

الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

٣

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد

الناشر: منشورات الأندلس
جلال حزي وشركاه



تاريخ المغرب العربي

الجزء الثالث

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين

تعد زغلول عبد الحميد
مدير الإدارة - جامعة القاهرة
المكتبة العامة - جامعة الإسكندرية (مكتبة)

الناشر: **مكتبة** **الكتاب** **بالإسكندرية**
جلال حزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
"قرآن کریم ، سورۃ یوسف"

تقديم

وبعد عشر سنوات أخرى وأكثر ، نقسم الجزء الثالث من كتابنا :
« تاريخ المغرب العربي ، القاطميون وينو زيري الصنهاجيون الى قيام
المرابطين » .

وهنا أود أن أشير الى المعاونة القيمة التي قدمها كل من قسم التاريخ
وكلية الآداب بجامعة الكويت في سبيل تيسير انجاز هذا السمل عن طريق
تذليل العقبات التي أعاقت لبعض الوقت قيام المؤلف بإجازة تفرغ علمي
خلال الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٨٨ - ١٩٨٩ ، الأمر الذي هيا له
فرصة زيارة المكتبات الوطنية في كل من باريس والرباط وتونس - للسادة
المسؤولين عنهما والعاملين فيه كل تبجيل ، وأخص بالشكر الأستاذين
الفاضلين د/محمد بن شريفة ، مدير خزافة الرباط ، ود/ابراهيم شبوح ،
مدير دار الكتب التونسية لما قدماه لي من تسهيلات الاطلاع على ذخائر
داريهما العامرتين .

وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في مقدمة
الجزء الأول من الطبعة السابقة لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب من
الأساتذة الأجلاء والزلاء الأفاضل والتلاميذ النجباء ، وأخص بالذكر :
الدكتورة لبيلة حسن ، والدكتور محمد عبد العال أحمد ، والدكتور محمد
عبد العزيز ، والأستاذ يوسف شكري . كما أوجه شكري خاصا للزملاء
الأساتذة : د/بدر الدين الخصوصي ، ود/أحمد مختار العبادي ، ود/سعيد
عاشور علي حشهم لي على مواصلة اخراج ما تبقى من أجزاءه . هذا ولا يفوتني
توجيه الامتنان الى الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الرابع من الكتاب ، في تاريخ
المرابطين والموحدين ، عما قريب - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الاسكندرية في ٢٥/٢/١٩٩٠

(٣)

المستويات

المقدمة في :

المصادر : في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين
(٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م) ، ص ٧ .

ملاحظات عامة : افتقاد الوثائق ، ص ٧ - ما بين الوثائق والأدب
التاريخي ، ص ٨ - الأدب التاريخي ما بين التدرج والكثرة - الكثرة ، ص
٩ - الروايات المتأخرة ، ص ١٠ - الخبر الأحادي ، ص ١١ - الروايات
المختلفة المناهج - مراحل الدراسة ، ص ١١ - المصادر الشيعية ، ص ١٢ .

دعائم الإسلام ، ص ١٣ - الولاية ، ص ١٤ - الجهل ، ص ١٥ -
التأويل والعلم ، - توريث البنات وزواج المتعة ، ص ١٦ .

افتتاح الدعوة ، ص ١٧ - الشئون الاجتماعية والمالية ، ص ١٨ -
تواريخ خاصة - تاريخ النسخ ، ص ١٩ .

المجالس والمسائرات - قضايا تاريخية ودينية وفقهية - سيرة المعز ،
ص ٢٠ - الأئمة - الدعوة ، ص ٢١ - تعاليم المذهب - الأحداث التاريخية ،
ص ٢٢ - معلومات وثائقية ، ص ٢٣ - أخبار المعز ، ص ٢٤ - تاريخ النسخ .

كتاب المهمة - سيرة جوفد ، ص ٢٥ .

عيون الأخبار - المحتوى - الداعي إدريس ، ص ٢٦ - التوثيق -
الروايات الشعبية (الفلكلورية) ، ص ٢٧ - توثيق ثورة أبي يزيد - مقتل
ميسور - علم الحدائق - شجاعة المنصور ، ص ٢٨ - نهاية أبي يزيد -
الرسائل والخطب المنبرية ، ص ٢٩ .

من كتب الأباضية : الدرجيني ، ص ٣٠ - التحقيق - الأخصد عن

أبي زكريا الوردجلائي ، ص ٣١ - أخبار أبي يزيد النكري - حلط الرواية
المنقبية بالخبر المعادي ، ص ٣٢ - نجريف الروايات - الحدثان والفصوص
الشعبي ، ص ٣٣ .

المفتبس لابن حيلان - العلاقات الاموية الفاطمية ، ص ٣٤ - الدعاية
والدعاية المضادة - موقف امراء المغرب ، ص ٣٥ - فتح سبتة والدعاية
الاموية الاندلسية عن فتح المشرق ، ص ٣٦ - الوجه الحضاري لكل من
المغرب والاندلس ، ص ٣٧ .

البيان المغرب ، ص ٣٨ - وجهة النظر السنية ، ص ٣٩ - كشف
السياسة الفاطمية المفرضة - المالية - الثورة السكتامية ، ص ٤٠ - المعز
ونهاية التشيع ، ص ٤١ .

البكري - مسرح الأحداث المرابطية ، ص ٤٢ - ثروات الصحراء -
جزولة ولطه ، ص ٤٣ - النقاب - النشاط الاقتصادي والجهاد - الاصلاح
المرابطي ، ص ٤٤ - مراحل الحركة ، ص ٤٥ - الرباط - فقه ابن ياسين -
النظام الحربي ، ص ٤٦ - معلومات وثائقية ، ص ٤٧ .

العبر لابن خلدون - تقييم عام ، ص ٤٨ - مشروع د - شوح - مصدر
رئيسي لتاريخ الهلالية ، ص ٤٩ - التوثيق - هلالية برقة ، ص ٥٠ - طرق
الحكاية عند الهلالية - من قواعد النقد في الادب الشعبي - تقييم القصة
الشعبية ، ص ٥١ .

ملاحظات منهجية - كثرة المعلومات - قلتها ، ص ٥٢ - تضاربها -
بعض النماذج ، ص ٥٣ - الرواية الأسطورية والمنقبية - الموضوعه -
الكرامة ، ص ٥٤ - الدروس المستفادة منها ، ص ٥٥ .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

شخصيته - صحة النسب - المهدي شابا ، ص ٥٧ - في سجناسية -
صفاته الجسمية والعلامات ، ص ٥٨ - الصفات الموضوعية - الحدثان -
العقلانية - رباطة الجأش - علامات كونية رمزية ، ص ٥٩ .

السياسة الداخلية - تركيز السلطة بين يدي المهدي ، ص ٦٠ -

البداية في سجل حاسنة - كبار الأعوان ، ص ٦١ - فتور العلاقة بين الامام والداعي ، ص ٦٢ - حنمية تاريخية - دور المخطوم ، ص ٦٣ - الرأى في تغيير النظام ، ص ٦٤ - توزيع أدوار المؤامرة ، ص ٦٥ - التخلص من الداعي والمتآمريين ، ص ٦٦ - التخلص من أبى زاكى - التحرز من الكتامين ، ص ٦٧ .

موقف الكتامين من مقتل الداعي - سوء سمعتهم في القيروان ، ص ٦٨ - مذبحه الكتامين في القيروان ، ص ٦٩ - الثورة في بلاد كنامه ، ص ٧١ - المهديّة الكسامية ونجاحها ، ص ٧٠ - نهاية الثورة ، ص ٧١ .

ثورة شعبية على الكتامين في طرابلس - السبب ، ص ٧٢ - استخدام الأسطول - أبو القاسم يحاصر طرابلس ، ص ٧٣ - تضيق الحصار والتخلص من زعماء الثورة ، ص ٧٤ .

الأحوال الداخلية - الاضطرابات في الأقاليم - انقلاب فاشل ضد المهدي سنة ٣٠٠ هـ - فتح برقة ٣٠١ هـ - محاولة غزو مصر ، ص ٧٥ - معاملة قاسية لأهل برقة ، ص ٧٦ - فشل والى مصر في استرجاع برقة ، ص ٧٧ - محاولة فتح مصر سنة ٣٠٢ هـ ، ص ٧٨ - خلاف القائد حباسة ومقتله مع أخيه عروبة والى تاهرت ، ص ٧٩ - عصيان أهل برقة الى سنة ٣٠٤ هـ وعقوبتهم ، ص ٨٠ - غزوة مصر الثانية - ثورة نقوسة بقيادة أبى بطة ، ص ٨١ - تاهرت والمغرب الأوسط ما بين الولاء والعصيان مع زناتة ، ص ٨٢ - هرب محمد بن خزر الى الصحراء - ثورة تاهرت ، ص ٨٣ - تاهرت مركز الدولة الفاطمية في المغرب - فتح نكور - تاريخ نكور ، ص ٨٤ - ولاية دلول على نكور ، ص ٨٦ - مد النفوذ الفاطمي الى مملكة الادارسة بفاس والمغرب الأقصى - الحملة الأولى ، ص ٨٧ - الحملة الثانية ، ص ٨٨ - القضاء على مملكة فاس الادريسية ، ص ٩٠ - محاولات اقرار الأمور في سجلماسة ، ص ٩١ .

المهديّة عاصمة جديدة - دواعى البناء ، ص ٩١ - اختيار المكان - ربط فاطمي جديد ، ص ٩٢ - البناء : المدينة الملكية ، ص ٩٥ - الأسوار - دار الصناعة - الميناء ، ص ٩٦ - القصر والجامع - مدينة العامة : زوينة ، ص ٩٧ - المهديّة مركزا للحكم ، ص ١٠٠ - حكم مركزي يعتمد على قاعدتي التهريب والترغيب ، ص ١٠١ - الصراع ضد الزناتية في المغرب ، ص ١٠٢ - مقتل مصالة أمام محمد بن خزر ، ص ١٠٣ - اجلاء الادارسة عن

بلادهم : فاس ، ص ١٠٤ - محمد بن حزر في تاهرت ، ص ١٠٥ - خروج
أبي القاسم الى المغرب ، ص ١٠٥ - مطاردة الزناتية ، ص ١٠٦ - نجساح
الحملة التاديبية ، ص ١٠٨ - العودة الى المهدي و احتفال النصر مع بشائر
ثورة أبي يزيد ، ص ١٠٩ - تحصين تاهرت ، ص ١١٠ - التحالف بين
موسى بن أبي العافية والأمويين في الأندلس - دخول سبتة في طاعة الفاصر
ص ١١٠ - الصراع ضد الإدارة ، ص ١١٢ - الصراع ضد زناتة ، ص
١١٣ - اجتياح تكور والهيمنة على المغرب ، ص ١١٤ - فشل رد الفعل
الفاطمي ، ص ١١٥ .

السياسة المالية على عهد المهدي ، ص ١١٦ - الحاجة الى مزيد من
المال - الخمس ، ص ١١٧ - الغرامات والمصادرات ، ص ١١٨ - الخاتم ،
ص ١١٩ - التراتيب المالية ، ص ١٢١ - ديوان الكشف ، ص ١٢١ -
ضرائب مستحدثة - التضييع - الشطور (ضريبة الحاج) ، ص ١٢٢ -
ديوان الدعوة ، ص ١٢٣ .

السياسة الدينية - ما بين الدين والمال - تساهل الداعي - ظاهر
علم الأئمة - تغييرات باسم السنة - اعتدال الداعي ، ص ١٢٥ - تشدد
المهدي - مذهب جعفر بن محمد ، ص ١٢٦ - غلاة المذهب ، ص ١٢٧ -
مستولية الدعاة ، ص ١٢٩ - اختراق الآداب الاسلامية ، ص ١٢٩ - غلاة
الدعاة ، ص ١٣٠ - الكف عن طلب التشيع من العامة ، ص ١٣٢ - الجدل
بين السنة والشيعة ، ص ١٣٣ - تساهل الداعي وسروته ، ص ١٣٤ -
الحياة الفكرية والثقافية - المذهب الفاطمي ، ص ١٣٥ - موصوع الامام
المصوم ، ص ١٣٦ - بقاء العامة سنينة بفضل علماء المالكية ، ص ١٣٧ -
ندرة علماء الشيعة ، ص ١٤٠ - ما بين أدب الدنيا والدين ، ص ١٤١ -
معارضة التشيع - تشدد المهدي والقاضي المروزي ، ص ١٤٢ - ما بين
التاريخ والخرافات والأساطير في سير العلماء ، ص ١٤٤ .

صقلية الفاطمية على عهد المهدي ، ص ١٤٥ - الحسن بن أبي خنزير
واليا ، ص ١٤٦ - ابن رهب والدعوة العباسية ، ص ١٤٧ - ابن قرهب
مجاهدا ، ص ١٤٨ - الاتصال بخلافة بغداد ، ص ١٤٩ - نهاية ابن قرهب ،
ص ١٥٠ - الضيف واليا فصقلية ، ص ١٥١ - ضرب مقاومة أهل صقلية
ودخول بلرم ، ص ١٥٢ - ولاية سالم بن راشد ، ص ١٥٣ - العلاقات مع
كلابريا وجنوب ايطاليا ، ص ١٥٣ - اجتياح ريوة ، ص ١٥٥ - حملات على

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوريه ، ص ١٥٧ - حملات صابر
الفتى ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب في صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - الكاتب والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طالوت) ،
ص ١٦٥ - الصراع من اجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب نكور والتحالف مع الادارسة ضد موسى بن أبي العافية ، ص ١٦٧ -
القتال في الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبي العافية - زجل
الأمويين في فاس - سجن الماسة الصعيرة والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاحتساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة في توزر - دار الهجرة في
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة وتونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهدي ، ص ١٧٩ - الرحيل عن المهدي ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتي يدخل في طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبي يزيد ، ص ١٨٨ - أعداء الثورة (بعد مقتل بن أبي يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهدة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتبساع
الناصر ، ص ١٩٢ - سرور الخادم واليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور في منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالنصر في القيروان .
ص ١٩٤ .

خلافة المنصور الفاطمي - شخصيته - الفصاحة - الصفح - الضعف -
الصحة ، ص ١٩٦ - الكفاية والتفاؤل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته ،

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوريه ، ص ١٥٧ - حملات صواب
الفسى ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب في صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثانى

الفاطميون فى المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - النكاح والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طالوب) ،
ص ١٦٥ - الصراع من أجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب نكور والتحالف مع الأدارسة ضد موسى بن أبى العافيه ، ص ١٦٧ -
الغلاقل فى الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبى العافيه - زجل
الأمويين فى فاس - سبلماسة الصفرية والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاحتساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة فى توزر - دار الهجرة فى
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية فى باجة ونونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهديّة ، ص ١٧٩ - الرحيل عن المهديّة ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتى يدخل فى طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبى يزيد ، ص ١٨٨ - أضداد الثورة (بعد مقتل بن أبى يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهدة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتيساع
الناصر ، ص ١٩٢ - مسرور الحادم واليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور فى منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالنصر فى القيروان .
ص ١٩٤ .

خلافة المنصور الفاطمى - شخصيته - الفصاحة - الصلح - الضعف
الصحى ، ص ١٩٦ - الكفاية والنفائل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته،

ص ٢٠١ - بناء المنصورية ، ص ٢٠١ - التخطيط ، ص ٢٠٢ - البقايا .
ص ٢٠٣ .

أصول الحكم عند المنصور - المهادنة والوفاء - مغزى بناء المنصورية -
الكرم والتواضع ، ص ٢٠٤ - إقامة العدل ، ص ٢٠٥ - إعادة الثقة مسح
الكتاميين ، ص ٢٠٦ - إعادة الحجر الأسود ، ص ٢٠٨ .

الصراع في المغرب ، ص ٢٠٨ - برغواطيه والرندفة ، ص ٢٠٩ -
عمارة وادعاء النبوة ، ص ٢١٠ ، ٢١١ - فاس ما بين مكناسة والأدارسة .
ص ٢١٢ - أبو محمد الأدارسة - (محمد كنون) - أبو العيش بن كنون .
ص ٢١٣ - الصراع بين الباع الناصر ، ص ٢١٤ - غلبة الناصر على المغرب
ما عدا سجلماسة ، ص ٢١٥ - اجتياح تاهرت باسم الناصر ، ص ٢١٦ -
سجلماسة : محمد بن الفتح والدعوة العباسية ، ص ٢١٧ - نهاية المنصور
ص ٢١٨ .

المعز لدين الله - ولايته - شخصيته ، ص ٢٢٠ - الصنف والحزم ،
ص ٢٢١ - البسطة وحب العمل ، ص ٢٢٣ - الزهد - برنامج العمل
اليومي ، ص ٢٢٤ .

سياسة المعز المغربية ، ما بين الاقدام والتربص ، ص ٢٢٤ - الصراع
مع الأمويين في المغرب - نفوذ الناصر في أرشقول وتامسنا ، ص ٢٢٥ -
خضوع الأدارسة في طنجة والعدوة (المغربية) ، ص ٢٢٦ - هيبة الناصر
على سبتة وتطوان ، ص ٢٢٧ - سجلماسة تدخل الدعوة العباسية - الصراع
البحري ضد الأمويين ، ص ٢٢٨ - الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل
الأندلس والمغرب ، ص ٢٢٩ - حملة معزية تجتاح المغرب (حملة جوهر)
(٩٥٨/٣٤٧) - تاهرت (يعلى بن محمد) ، ص ٢٣١ - سجلماسة (أحمد
ابن بكر) ، ص ٢٣٢ - فاس ، ص ٢٣٣ - سبتة وتطوان وطنجة ، ص ٢٣٤
- سقوط فاس على يد زيري الصنهاجي ، ص ٢٣٥ - محمد بن خزر في
الطاعة الفاطمية ، ص ٢٣٦ .

السنوات الأخيرة للعصر الفاطمي في المغرب - سياسة مزدوجة : تأكيد
الوجود والعمل على الرحيل ، ص ٢٣٦ - سياسة مناهضة لصاحب فاس
وسجلماسة ، ص ٢٣٧ - رد الفعل الأموي في الأندلس - كفاح من أجل
الهيمنة على العدو وتامسنا ، ص ٢٣٩ - كريت : سقوطها بين يدي تقفود

فوكاس ، ص ٢٤٠ - تهديد الامبراطور الرومى - محاولة اجتذاب الأخشيدي
مى مصر ، ص ٢٤١ .

هل تحققت الأمانى : الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى - احتفالات
الحنان ، ص ٢٤٢ - المركز قصر البحر ، ص ٢٤٣ - الأعداد - أيام أعياد
ومسرات ، ص ٢٤٤ .

السياسة الدينية - التمسك بشعائر المذهب ، ص ٢٤٥ - احياء
التلاص مع الأمويين ، ص ٢٤٦ - اللقب الحلافى من أسباب الوحشة -
المراسلات ، ص ٢٤٧ - فى الحرية المذهبية والحج ، ص ٢٤٨ .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر ، مصر ونقل المعز اليها ، ص ٢٤٩ -
الأعمال الشهيدية - جولة مبدئية فى بلاد كتامة ، ص ٢٥٠ - المسير من
الحضرة ، ص ٢٥١ - عودة المعز الى قصره - مسير الأسطول ، ص ٢٥٢ -
اضطراب رتانة بقيادة محمد بن الحير ، ص ٢٥٣ - ثورة محمد بن الحير
الزناقي - مقتل زيرى بن مناد ، ص ٢٥٤ - ثار بلكين من محمد بن الحير ،
ص ٢٥٥ .

أحوال صقلية من عهد القائم الى انتقال المعز الى القاهرة - غارة على
جنوة ، ص ٢٥٦ - استمرار ولاية سسالم بن راشد ، ص ٢٥٧ - ثورة
الصقايين فى بلرم ، ص ٢٥٨ - حملة خفيسل بن اسحق ما بين المواقف
الشجنية والأعمال التأريه ، ص ٢٥٩ - ثارات متسادلة ، من تشديد الحصر
والانصال بالقسطنطينية والهجرة الى بلد الروم ، ص ٢٦٠ - نهاية مهمة
خليل بن اسحاق ، ص ٢٦٢ - ولاية ابن عطاق ، ص ٢٦٣ - ولاية حسن
ابن أبى الحسين الكلبي ، ص ٢٦٤ - ردع بنى الطبرى فى بلرم ، ص ٢٦٥ -
الصراع ضد الروم ، ص ٢٦٦ - قائد كلابريا يستعين بامبراطور الروم ،
ص ٢٦٧ - الحسن يفرض الهدنة على الروم ، ص ٢٦٨ .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر ، ص ٢٦٨ - حملات أحمد بن
الحسين فى ايطاليا ، ص ٢٦٩ - نشر المذهب الفاطمى فى صقلية ، ص ٢٧٠ -
الاستيلاء على قلعة طبرمين ، ص ٢٧١ - فتح رمطة . انصارات لامعة على
الروم ، ص ٢٧٢ - وقعة المجاز (مسينا) البحرية ، ص ٢٧٤ - محاولة
اغواء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية ، ص ٢٧٥ - اقرار بنى الحسن
الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية ، ص ٢٧٦ .

أحوال الأقاليم الشرقية في كل من طرابلس وبرقة قبل رحيل المعز إلى مصر - تمهيد ، ص ٢٧٧ - طرابلس قاعدة للأسطول ، ص ٢٧٨ - برقة حاضرة مزدهرة ، ص ٢٧٨ - الرحيل إلى مصر - الأعداد للموكب الخلفي ، ص ٢٧٩ - ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية - أفريقية ، ص ٢٨٠ - طرابلس - صقلية ، ص ٢٨١ - الرحلة إلى مصر - أصول الحكم في أفريقية وآخر وصايا المعز ، ص ٢٨٢ - وفاة محمد بن هانيء في برقة ، ص ٢٨٤ .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب الزيريون خلفاء الفاطميين في أفريقيا

تمهيد . عهد جديد ، ص ٢٨٥ - تشابه دورات التسارنخ الأندلسي والمغربي - القطيعة في المغرب ، ص ٢٨٦ - أهمية الهجرة الهلالية - عروبة الدولة الصنهاجية - حيز محدود للشئون الدينية ، ص ٢٨٧ - المقابلة مع دولة الملتحمين من لمتونة ومسوفة - أثر الحضارة العربية الأندلسية ، ص ٢٨٨ - عصر السيادة البربرية ، ص ٢٨٩ .

صنهاجة أفريقية : المواطن والقبائل ، ص ٢٨٩ - بلاد صنهاجة . ص ٢٩٠ - قبائل صنهاجة ، ص ٢٩١ - بنو مناد ، ص ٢٩٢ .

الأسرة الزيرية - بلكين بن زيري ملكا مؤصلا ، ص ٢٩٢ - منساد ، ص ٢٩٣ - زيري ، ص ٢٩٤ - بناء أشير ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م ، ص ٢٩٥ - ازدهار أشير ، ص ٢٩٦ - زيري بن مناد والصراع ضد زناتة ، ص ٢٩٧ - حرب موسى بن أبي العافية - جهاد برغواطة ، ص ٢٩٨ - نجدة القائم ضد أبي يزيد - هجوم الزناتية وتهديد أشير ، ص ٢٩٩ - مقتل زيري ، ص ٣٠٠ .

السياسة الداخلية في حكومة القيروان من بلكين إلى المعز بن باديس - أفريقية الزيرية نمأة فاطمية - توزيع الاختصاصات بين الأمير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة - الإدارة المالية ، ص ٣٠١ - الصراع مع عامل الخلافة (ابن القديم) - عبد الله بن محمد الكاتب ، ص ٣٠٣ - أصداء التخلص من ابن القديم : إثارة كتامة ، ص ٣٠٤ - ثورة خلف بن خسر ، ص ٣٠٥ - تحسين العلاقة مع الخلافة واستعادة ولاية طرابلس ، ص ٣٠٦ - أخوة بلكين يجأون إلى القاهرة ، ص ٣٠٧ - عبد الله الكاتب يؤلف حرسا

أسود ، ص ٣٠٨ - المنصور يحاول التخلص من عبد الله الكاتب ، ص ٣٠٨ - المنصور يعلن انه ليس ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، ص ٣٠٩ - المنصور يصطحب عبد الله الكاتب الى أششير ، ص ٣١٠ - الكتاب يساعد الداعي أبى الفهم - عبد الله الكاتب داعيا للدعاة ، ص ٣١١ - التخلص من عبد الله ابن محمد الكاتب ، ص ٣١٢ - ردود الفعل : العسكر الأميرى ينهب ضواحي القيروان ، ص ٣١٣ - توتر العلاقة مع الخلافة وثورة كتامة تحت قيادة أبى الفهم ، ص ٣١٤ - ترهيب سفيري القاهرة ، ص ٣١٥ - رد لين للخلافة - تبادل الهدايا مع الخلافة ، ص ٣١٦ - الشريف الباهرى يأخذ البيعة على باديس المنصور وصنهاجة ، ص ٣١٦ - الخلافة تحاول استرجاع طرابلس ، ص ٣١٨ - أبو ركوة والثورة الرناتية فى برقة ، ص ٣١٩ - فلغل بن سعيد الرناتى فى طاعة القاهرة - أبناء محمد بن أبى العرب يلجأون الى قلنس الرناتى - أبناء ينال التركي فى طرابلس على علاقة حسنة مع فلغل ، ص ٣٢٠ - وروا أخو فلغل زعيمًا لرناتية فى نقرابة ، ص ٣٢١ - علاقات حسنة بين الحاكم وباديس - تبادل الهدايا - علاقة عرب بنى قررة فى برقة بالقاهرة ، ص ٣٢٢ - سجل بولاية العهد للمنصور بن باديس ، ص ٣٢٣ - سوء العلاقة مع حماد بن بلكين ، ص ٣٢٤ .

مبادئ الحكم فى العمالة الافريقية وتطبيقاتها العملية - اقرار الأمن .
 ص ٣٢٥ - تلخيص البروامج السياسى الذى رسمه المعز لثأبه بلكين ، ص ٣٢٦ - اقرار الأمن فى افريقية وأعمالها : باعاية وناهرت ، ص ٣٢٧ - اضطراب رجال الأسطوخ ، ص ٣٢٨ .

عهد المنصور - اقرار السلطان الأميرى بالقيروان : محاولة اقضاء
 الكاتب ، ص ٣٣٠ - فى كتامة : ثورة أبى الفهم ، ص ٣٣١ - الانتقام من ميلة ، ص ٣٣٢ - تأديب كتامة والمثلة بالنائر ، ص ٣٣٣ - رد الفعل فى كتامة - ثورة أبى نوح ، ص ٣٣٤ - طاعة سعيد بن خرون الرناتى والعهد له بطينة - عامل افريقية تابعا للأمير ، ص ٣٣٥ - باديس ما بين خلافة الحاكم فى مصر وولاية عمه حماد فى أششير ، ص ٣٣٦ - سمات الدولة الزيرية أيام باديس ، ما بين الامارة وعمالة الخراج ، ص ٣٣٧ - انتفاضة كتامية - الأمر بالمعروف - نهاية باديس فى حصار عمه حماد بالقلعة ، ص ٣٣٩ .

الصراع ضد الرناتية - التمهيد ، ص ٣٤٠ - الرناتية فيما بين ناغاية وتلمسان ، ص ٣٤١ - الرناتية بنهون الأسرة المدرارية فى سجلماسة ،

ص ٣٤٢ - حملة بلكين الأخيرة في المغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة
وسبتة ، ص ٣٤٣ - حرب برغواطية ومحاولة القضاء على زندقتهيم ، ص
٣٤٤ - الخلافة نطلب ألف فارس ، منهم أبناء زيري - نهاية بلكين واسترجاع
الزناتية فاس وسجلماسة ، ص ٣٤٥ - زيري بن عطية يدافع عن فاس أمام
يطوفت ، ص ٣٤٦ - الفشل في مواجهة زناتة - طينة ولاية زناتة بالوراثية ،
ص ٣٤٧ - هزيمة فاحشة لقوات صنهاجة أمام زيري بن عطية - أمير فاس
أول عهد باديس ، ص ٣٤٩ - باديس يقود الصراع ضد الزناتية في قلب
أفريقية والمغرب ، ص ٣٥١ - باديس يحقق انتصارا كبيرا على فلول
سعيد الزناتى ، ص ٣٥٢ - تحالف أبناء زيري مع فلول الزناتى الذى لجأ
الى طرابلس ، ص ٣٥٣ - أسيرة زناتية بمدينة طرابلس - فلول بن سعيد
أميرا ، ص ٣٥٤ - محاولة التمرد فى أفريقية ونفزاوة ، ص ٣٥٥ .

الانقسامات فى الأسرة الزيرية - تمهيد ، ص ٣٥٧ - الانشقاق الأول ،
ص ٣٥٨ - أولاد زيري بن مناد والعلاقات مع الأندلس - على عهد المنصور
ص ٣٥٩ - فى جليقية ، ص ٣٦٠ - عصيان أبى البهارين زيري ، ص ٣٦١ ،
التحالف مع زيري بن عطية (العرطاس) ، ص ٣٦٢ - الخلاف بين أولاد
زيري وباديس ، ص ٣٦٤ - مقتل حاكسن بن زيري وبنيه ، ص ٣٦٦ -
راوى (ابن زيري) فى الأندلس من جديد ، ص ٣٦٧ - الصراع بين باديس
وعمه حماد ، ص ٣٦٨ .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية - تمهيد ، ص ٣٦٩ - الادارة
المالية تابعة للخلافة - العامل يجمع ببرعات للخلافة ، ص ٣٧٠ - زيادة
الحزائن ، ص ٣٧١ - امتحان أولى لعبد الله الكاتب ، ص ٣٧٢ - الهدايا
للأمير - صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير ، ص ٣٧٣ - العامل
يوسف بن أبى محمد : أسلوب خاص للعباية ، ص ٣٧٤ - الموقف الضرائى
فى بلاد كتامة ، ص ٣٧٥ - محنة البونى مساعد عامل الخراج ، ص ٣٧٦ -
نفقات البلاط وروافد بيت المال من الغرامات ، ص ٣٧٧ .

الفصل الرابع **المعز بن باديس**

سمات العهد ، ص ٣٧٩ - المعز قاصرا تحت وصاية العمة أم ملال ،
ص ٣٨٠ .

الأحوال الداخلية - اضطراب العامة بالقروان ، ص ٣٨١ - مناهضة

التشجيع والعودة الى السنة - تمهيد ، ص ٣٨٢ - مسئولية الأمير طغلا
قاصرا - أول اهتمام بالأمور الدينية - ص ٣٨٤ - مسئولية تبلور الاتجاه
السني - ص ٣٨٥ - مهاجمة حي الشيعة في درب المعلى في يوم عاشوراء -
وفي المهديّة ، ص ٣٨٦ - موقف ترقب في القاهرة - محاولة الهجرة الى
صقلية ، ص ٣٨٧ - التقية ، ص ٣٨٨ .

حسم العلاقات ما بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان ، ص ٣٨٨ -
اختلاف الروايات ، ص ٣٨٩ - الاتصال ببغداد والعصيان المدني بالقيروان ،
ص ٣٩٠ - لعن الفاطميين - احراق البنود ونبدل السكة - الخطبة لخميه
بغداد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، ص ٣٩١ - مسئولية المعز شابا راشدا -
محاولات تقويم العلاقات بين القاهرة والأمير الزيري ، ص ٣٩٢ - المرحلة
الثالثة والآخرى للقطيعة سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ص ٣٩٣ .

افراد الأهل ومواجهة الفتن الداخلية - النزاعات العرقية من زناينة
وغيرها ، ص ٣٩٤ - مهاجمة دواب المعز في قايس ، ص ٣٩٥ - الهجوم على
المنصورية ، ص ٣٩٦ - اضطراب طائفة من صنهاجة ، ص ٣٩٧ - الاضطرابات
الاقليلية ، ص ٣٩٨ - ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف ، ص ٣٩٩ -
طرد واعظ الى القاهرة ، ص ٤٠٠ .

ما بين الأمير والوزير ورجال الدولة - تكوين أسرة أميرية - زواج
المعز بن باديس ، ص ٤٠١ - ممارسة السلطات المطلقة - نكبة الوزير قائد
الجيش أبي عبد الله محمد بن الحسن ، ص ٤٠٢ - اتهامه بالخيانة في الأموال -
عصيان عبد الله بن محمد (أخى الوزير) في طرابلس ، ص ٤٠٣ - أبو القاسم
ابن محمد بن أبي العرب وزيرا - أبو البهار بن خلوف وزيرا - سياسة
حازمة تجمل من أبي البهار مركز قوة يخشى أمرها ، ص ٤٠٤ - امتحانات
العمال ، ص ٤٠٥ .

الأمير وفراد الأسرة الحاكمة - تمهيد ، ص ٤٠٥ - الصراع ضد حماد
ابن بلكين ، ص ٤٠٦ - المعز يتزل الهزيمة بحماد (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) ،
ص ٤٠٧ - حماد يطلب الصلح ويقدم ابنه القائد رهينة - القائد واليا ،
ص ٤٠٨ - قيام الصراع بين الأسرتين ، واعصار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م سنة
الفصل بين الدولتين البلكينيتين ، ص ٤٠٩ .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس - تمهيد ، ص

٤١٠ - الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية ، ص ٤١١ - دخل
الثروة الزراعية ، ص ٤١٣ - الثروات المعدنية - المكايل والحو
السكة ، ص ٤١٤ - الكوارث الطبيعية ، ص ٤١٥ - أشهر الأعمال
- احتفال ولاية العهد للأمير تميم ، ص ٤١٦ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب - الهجرة - تهديد ، ص
التعريف بالهلالية - التغريبة الهلالية ما بين الحقيقة والخيال ، ص
مواطنهم بالصعيد - تهجيرهم ما بين الجرجرائي واليساروري ، ص
اليازوري يشير على المستنصر الفاطمي باصطناع العرب والعهد لهم
أفريقية ، ص ٤٢٠ - نجاح الرحلة الى برقة وتقاطر المهاجرين من
ص ٤٢٢ - تقسيم البلاد بين بنى سليم فى الشرق وبنى هلال فى
مؤنس بن يحيى الرياحى أول الرواد ، ص ٤٢٣ - عرب برقة حلفا
ضد المستنصر ، ص ٤٢٤ - المعز بن اللامبالاة بالعرب ومحاولة ادخا
خسوته ، ص ٤٢٥ - حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ ، ص
مفدمات الصراع : تقييم الموقف ، ص ٤٢٦ - ما بين القوتين المتصار
مبالغات ابن رشيق وابن شرف وموقفهما من محنة القيروان ، ص
المناوشات الأولية والحشد للمعركة ، ص ٤٢٨ - المناوشات الأولية
٤٢٩ - معركة يوم العيون ، ص ٤٣٠ - معركة عيد الأضحى ، ص
بناء سور القيروان وصبرة - يوم حيدران والمعركة الحاسمة ، ص ٤٣١
حصار القيروان والاجراءات التحفظية - انتفاضة العامة بالقيروان
٤٣٤ - الاحاطة بالقيروان ، ص ٤٣٦ - النقلة الى المهديّة ، ص ٤٣٦ -
القيروان وسيادة البدو من بربر وعرب على المنطقة ، ص ٤٣٧ - تباشير
الطوائف - وفاة المعز ، ص ٤٣٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالى منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١
مدوك الطوائف فى أفريقية - دولة المهديّة الزيرية وعلاقتها بالدولة الحمد
ص ٤٤١ - الموقف من الهلالية ، ص ٤٤٣ - طوائف أفريقية ما بين
والبربر البادية - طرابلس مملكة زناتة - فلفول بن سعيد وأخوه و
ص ٤٤٤ - خليفة بن وروا ، ص ٤٤٧ - المنتصر بن وروا ، ص ٤٤٨
الطوائف فى مدن الساحل ، ص ٤٤٩ - الصراع مع صاحب صفاقس
٤٥٠ - سوسة - القيروان وتونس - الحرب بين الناصر بن عداس
ابن المعز واتساعها من العرب ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ ، ص ٤٥١ - معركة مسيب

ص ٤٥٤ - مناقج معركة سيبية : تطويق القلعة ، ص ٤٥٥ - بناء مدينة بجاية . ص ٤٥٦ - التخطيط والبناء ، ص ٤٥٨ - التطور - تميم بن المعز والصراع مع المتغلبين في أفريقية ، ص ٤٥٩ - في القيروان وتونس ، ص ٤٦٠ - غارة ثارية للناصر بن علناس بأفريقية ، ص ٤٦١ - شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط - ما بين الصهاجيين والهلالية - خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح ، ص ٤٦٢ - الصنع بين تميم بن المعز والناصر بن علناس - استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية . ص ٤٦٣ - اساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهدية وزويله سنة ١٠٨٨/٤٨٠ - الأسباب ، ص ٤٦٤ - الحملة ، ص ٤٦٦ - التجمع في جزيرة قوصرة ، ص ٤٦٧ - موقف المهدية واقتحام زويله ، ص ٤٦٨ - الصنع ، ص ٤٦٩ - عودة الصراعات الداخلية مع المتغلبين والعرب ، ص ٤٧٠ - قدوم بشائر من ترك المشرق الى أفريقية - شاهمك في طرابلس ، ص ٤٧١ - الترك في خدمة تميم والفدر بولي العهد يحيى ، ص ٤٧٢ - حصار صفاقس - خروج المنلى بن تميم الى قابس وشغبه على والده وأخيه بالمهدية ، ص ٤٧٣ - استرداد قابس ١٠٩٧/٤٨٩ ، ص ٤٧٤ - العقد الأخير من حكم تميم . ص ٤٧٦ - فتح صفاقس ١١٠٠/٤٩٣ - السنوات الأخيرة من عهد تميم ص ٤٧٦ .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيري - أبو القاسم علي بن الحسن
ابن أبي الحسين أميرا - جهاد الروم في مسينا وكلابريا ، ص ٤٧٨ - جماعات المجاهدين « المرتزقة » في جنوب إيطاليا - الاستيلاء على قلعة أغاتة واجتياح طارنت ، ص ٤٧٩ - استشهاد أبي القاسم أمام أوتو الثاني وولايه ابنه جابر ، ص ٤٨٠ - معالم بلرم على عهد أبي القاسم ، ص ٤٨١ - جابر بن أبي القاسم أميرا - أمراء عابرون يحبون العافية ، ص ٤٨٣ - ثقة الدولة يوسف بن عبد الله : حكم قواعده العدل والجهاد والحدود ، ص ٤٨٤ - جعفر ابن يوسف أميرا ، وبداية التفكك في الأسرة الكلبيه ، ص ٤٨٥ - ثورة على ابن يوسف واستبداد جعفر - سياسة مالية متشددة تفجر الثورة ضد جعفر ، ص ٤٨٦ - أحمد الأكحل بن يوسف واليسا لصقلية في منعطف حاسم ، ص ٤٨٧ - محاولة للمساعدة من المهدية لا يقدر لها النجاح - نجاحات مبشرة في الصراع البحري ضد الروم ، ص ٤٨٨ - الأكحل وسياسة : « فرق تسد » ، ص ٤٨٩ - تدخل المعز في شؤون صقلية - الحسن مصصام الدولة - حكم الطوائف في صقلية وبداية النهاية للعصر الاسلامي - التحالف العائلي بين ابن الثمينة صاحب سرقوسة وابن الحواس

صاحب قصر يانة ، ص ٤٩١ - الصراع بين ابن الثمننة وابن الحواس ،
والتدخل البورمندي في الجزيرة ، ص ٤٩٢ - فشل التدخل الزيري في
صقلية وضياع الجزيرة ، ص ٤٩٣ .

بلاد المغرب في منتصف القرن الهـ ٥ / ١١ م - الحساديون همزة
الوصل ما بين أفريقية والمغرب ، ص ٤٩٦ - تاهرت وتلمسان ما بين أفريقية
والمغرب ، ص ٤٩٧ - علية ريوى بن عطية على فاس - بناء وجدة ، ص
٤٩٨ - بنو يعلى الرناتية في تلمسان وملحة أبي سعدى والهلالية - غارة
حمادية على فاس ، ص ٤٩٩ - بنو موسى بن أبي العافية في فاس ، ص
٥٠٠ - بنو خزر المغراويون وعلبة صاحب سلا : أبي الكمال بميم البقرنى
على فاس ، ص ٥٠٢ - دوناس بن حماسة محضر فاس ، ص ٥٠٣ - المغراويون
الأواخر في فاس : صراع الاخوة بين الفروح وعجيسة ، ص ٥٠٤ - امارة
سجلماة الزناتية ، ص ٥٠٥ - سبتة وطنجة : مجاز العدو الأندلسية ،
منطقة نفوذ بني حمود الادارة ، ص ٥٠٦ - خلافة على بن حمود بقرطبة -
الحموديون بمالقصة والمرية ومليلة ، ص ٥٠٧ - الحسن بن على المستنصر
بسبتة - تغلب الحاجب سكوت بسبتة ، ص ٥٠٨ - اغمات في سفوح جبال
المصامدة (درن) وأماؤها المغراويون - أهمية اغمات على طرق التجارة
ص ٥٠٩ - لقوط بن يوسف آخر أمراء اغمات المغراويين ، ص ١١٥ .

الصحراء الواعنة في المغرب الأقصى على تخوم السودان - المرابطون
وارهاصات الوحدة - امكانات الصحراء ، ص ٥١١ - صنهاجة الصحراء
ومواطنهم ، ص ٥١٢ - ثروات الصحراء المهدنية ، ص ٥١٣ - الثروة
الزراعية ، ص ٥١٥ - الثروة الحيوانية ، ص ٥١٦ - صناعات الوحدة : رعاة
الابل ، الجمالون الكبار ، ص ٥١٧ - البساطة والقوة سمة النقاء والرجولة .
ص ٥١٨ .

- المصادر ، ص ٥١٩

- الفهرس التحليلي .

الأشكال واخرائط

الصفحة	
٩٧	شكل ١ - المهدية
١٥٥	شكل ٢ - صغلية
١٨٠	شكل ٣ - أفريقية
٢٠٩	شكل ٤ - المغرب الأقصى
٢٩٠	شكل ٥ - بلاد القبائل : كتامة ومنهاجة
٢٩٦	شكل ٦ - موقع أشير
٣٥٠	شكل ٧ - اقليم تاهرت
٤٥٥	شكل ٨ - الأسرة الزناقية بطرابلس (شجرة النسب)
٤٥٧	شكل ٩ - الطريق ما بين القلعة وبجاية
٥١٤	شكل ١٠ - صحراوات الملشين

تاريخ المغرب العربي
الفاطميون وبتو زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين
الجزء الثالث

المقدمة : في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين .

الفصل الأول . عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء .

الفصل الثاني : الفاطميون في المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى
مصر .

الفصل الثالث : العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب - الزييريون
خلفاء الفاطميين في أفريقية .

الفصل الرابع : المعز بن باديس .

الفصل الخامس : خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالي منتصف القرن
الـ ٥ هـ / ١١ م .

المقدمة

في المصادر

المصادر :

في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين

(٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م)

ملاحظات عامة :

افتقاد الوثائق :

آفة البحث في التاريخ الاسلامي بشكل عام ، وبضمنه تاريخ المغرب ، تتمثل في افتقاد الوثائق أو الأوراق الرسمية اللازمة للبحث مع ندرة النقوش والنقود (١) ، الأمر الذي يجعل اعتماد الدارسين على مصادر

(١) وهنا لا بأس من الإشارة إلى جهود الباحثين في القاء الضوء على الوثائق ، ما كان منها أصيلاً ، وما سجلت بصورته في كتب المؤرخين ، فعلى يتعمق بتاريخ الفاطميين تذكر الوثائق الفاطمية المجموعة من موسوعة صبيح الأعمش للعلقشيدى ، لمعرفة حمسال بنين الشيبان ، التناهرة ، ١٩٥٨ ، والسجلات المستنصرية ، سجلات وتوقيعات وكتب لحوالا الامام المستنصر بالله ٠٠ إلى وفاة اليمن ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، ومخطوطات ووثائق دير سانت كاترين ، مستخرج من مجلد الخامس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، وعن المرابطين والموحدين رسائل مرايطية ، تحقيق حسين مؤسي ، مجلة المعهد المصري بمطريد ، ١٩٥٤ ، ومجموعة رسائل موحدية عن انشاء كتاب الدولة المزمينية ، تحقيق لطفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٤١ .

والوثائق العربية ، نشر امارى (Amari, Diplomi Arabi) ، ووثائق ماس لا ترى بالفرنسية ، تحت عنوان ، معاهدت سلام وتجارة ، ووثائق متنوعة خاصة بالعلاقات بين المسيحيين وعرب شمال إفريقيا ، باريس ، ١٨٦٦ .

وفي النقوش نذكر أعمال ماكس فان برشم (Max van Berchem) عن مصر ، وبمدها أعمال فيت (Wiet) . وعن المغرب هناك أعمال جورج مارسيل : مجموعة النقوش العربية

الدرجة الثانية ، مما يتمثل في الأدب التاريخي ، الذي كثيرا ما يتراوح بين تمهاقت الامرجة الشخصيه والانجهايات العصبية والميول الدينيه والاهوا- السياسية ، الى غير ذلك مما يؤدي الى الاقتراب او البعد ، قليلا او كثيرا من الحقيقة التاريخيه ، التي عادة ما تكون في حالة من الاتزان بين كل هذه الاتجاهات ، انهم الا اذا اضطرب ذلك التوازن ، وأدى الى الانحراف في مسار الأحداث مما يقع في حالات الانقلاب أو الثورة ، حيث تتسارع الأحداث في مساراتها بشكل يميز ايقاعها السريع عن الايقاع الرتيب ، مما هو معتاد في حالات الاتزان والاستقرار .

والأمر لا يقف عند ذلك التمييز بين الوثائق التي يفترض فيها الصحة بصفتها الرسمية وبين الأدب التاريخي الذي قد يفقد تلك الصفة الشرعية . تبعا لظروف أصحابه وموقفهم من الأحداث التي يسجلونها ، سواء كانوا مؤرخين أو غير مؤرخين ، معاصرين أو متأخرين ، متعاطفين مع تلك الأحداث . كما وقعت ، أو معادين لها لسبب أو لآخر . فقد يمكن أن تفقد الوثائق هي الأخرى ميزتها القانونية التي تحقق لها التفوق على الأدب التاريخي عندما يكون الهدف من اصدار الوثائق دعائيا أو عندما تكون الوثائق ناقصة تعرض ما يرغب أصحابها في عرضه ، وتسقط ما لا يرغب فيه (٢) ، وهو

بتونس ، ١٩٥٥ . وعن الأندلس هناك نقوش لبني يونس .

Inscriptions arabes d, Espagne, Leyde, 1931

وفيما يتعلق بالنقود نشير الى أعمال س . لين بول (S.Lane-Poole) وتعود عبد الرحمن

نهمي ، وكتالوجات المتاحف العامة والمجموعات الخاصة .

(٢) وهنا نشير الى ما أصدرته الخلافة العباسية باسم الخليفة المكتفي من رسائل تساهم الأمير الأغلب زبادة الله الأخير ضد أبي عبد الله الشيعي ، والتي اتهمت الداعي بالكفر وتبديل الدين وسب الصحابة وشرب الخمر ، على عكس ما عرف عنه من الزهد والدين . أنظر ابن عذاري ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٢٠ ، وقارن انتاج الدعوى القاضي النعمان ، ص ١٧٠ وما بعدها ومن ١٧٤ وما بعدها حيث تشكك النعمان في كتاب الخليفة المكتفي . ومثل هذا يقال عن المحاضر التي أصدرتها الخلافة العباسية فيما بعد ، والتي شارك فيها العلويون ، مدفوعين بمواهل اشرف - علي ما يرجح - أو العداء للمذهب ، سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، وسنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، والتي تشكك في صحة نسب العاطميين (أنظر حسن إبراهيم حسن ، العروة العاطمية ، ص ٧٠ - ٧٩) .

وفيما يتعلق بالمراملين راجع رسائل محمد بن تومرت الى أعوانه من الموحدين ومبالغتها

في سب المراملين واتهامهم بالتحسيم والكفر ، في مذكرات البندقي نشر لفي بروتسال .

وقبما يتعلق بتزييف النقوش نكتفي بالاشارة الى ما ينسب الى الميدي ، أول أئمة

القاسميين ، من الأمر بأن تطلع من المساجد والمواهل والنصور والعاطر أسماء الذين سوها .

وكتب فيها اسمه (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩ وما بعدها) .

الأمر الذى يضير الرواية التاريخية أيضا ، أو الخبر ، اذا كان صاحبه من عمال السلطة أو مشايعيتها ، والعكس صحيح اذا كان يعمل فى خدمة الخصوم أو يعتنق من الآراء ما يناهض السلطة ويعاديه .

والملاحظة التى يشكو منها المؤرخ الحديث مما يتعلق بنسبة انوثائق والنفوش والآثار الاصلية ، يمكن أن يندرج فيها أيضا ما يتعلق بالأخبار التاريخية التى قد تفتقد هى الأخرى ، فى بعض الأحيان ، والتى قد تزداد بشكل مرهق فى أحيان أخرى ، والتى قد تضطرب أو تتضارب فيما بينها بشكل يجعل الوصول الى الحقيقة من الصعوبة بكان (٣) . ويمكن أن نجد أسبابا لبعض ذلك فيما نحاول الإشارة اليه ، فيما يأتى :

تكثر الأخبار وتزداد الروايات استفادسة عندما يتعلق الأمر بالانتصارات والمكاسب فتحيط بها الهالات والمبالغات بشكل طردى مع عظم النتائج ، وعلى العكس من ذلك تقل الأخبار وتشح التفاصيل فى أحداث الهزائم والتكسبات . وفى جميع تلك الحالات يتها الجو لظهور الروايات الشعبية التى يمكن أن تحول الحقيقة التاريخية الى أسطورة خرافية أو على العكس من ذلك تجعل من الوهم فى كتب التاريخ حقيقة ، الأمر الذى يعانى منه الباحث عندما يضطر الى الاختيار ما بين رفض الأسطورة أو تبني أصولها التاريخية ان كان ذلك ممكنا (٤) .

(٣) وأهم النماذج بالنسبة لموضوعنا هو الاختلاف فى صحة النسب الفاطمية ما بين مؤيدى ومترين ، مما دعا الى حيرة الباحثين من قدامى ومحدثين ، الأمر الذى دعا ابن خلدون الى التدخل عن منهج النقد العلمى ، والقبول بسدا التحكيم الاظهر الذى يقضى بأن نجاح الدعوة الفاطمية يعنى أنها صحيحة والا لما قدر لها النجاح ، ومثل هذا يقوله عن الدعوة الإدريسية فى المغرب الأقصى ، وكذلك عن دعوة ابن بومرت ، صاحب ملهب التوحيد ، الذى انتسب الى الأئمة المرينيين . رغم ما هو معروف من انتسابه الى قبيلة هرقة إحدى قبائل مصبودة فى بلاد السوس الأقصى (انظر المرجع ١ ص ٢٢) ، وعلى العكس من ذلك فشلت دعوة القرامطة لكونهم أدياء فى النسب الشريف (المرجع ١ ص ١٨) .

(٤) مثل رحلة المهدي من الشام الى المغرب الأقصى وما تحللها من مقارنات قصصية فى مصر وبنقة وأفريقية ، وكذلك فى سجناسة أنظر ج ٢ ص ٥٨٩ وما بعدها ، وساء المبدية ، وثورة أمى يزيد الرناتى على عهد القائم وما دار حولها من علم الحدائق (غير أن الأشار للدهاقى إدريس ، ص ١١٧ - ١١٨ والمجاس والمسايرات ، ص ٥٤٢) . والهجرة الهلالية ، وهل كانت من صعيد مصر لأسباب شخصية خاصة بموقف الوزير البازورى ، من أمير القيروان الصنهاجى المزم بن باديس ، أم كانت من نجد لأسباب شخصية أيضا ، ولكن بن الشريف

ولا شك أنه لما كان من أهداف السرد التاريخي عند كثير من الكتّاء العداми ، هو السليبي أو إعطاء العبرة والمرعظة ، فإن ذلك أدى إلى عناء بانتخاب الروايات المستطرفة والاختيار الغريب . الأمر الذي كان يخدم بالأحداث التاريخية إلى مجسلات علم العجائب مما كان يؤدي بالكتّاب مؤرخا لأن أم غير مؤرخ ، إلى الاهتمام بالأحداث الهامشية وإعطائها من من العناية على حساب البنية التاريخية الحقيقية التي قد يضحى بها سبيل النوادر والكت (٥) .

وهنا تنتقل من الملاحظات العامة إلى بعض التساؤلات الخاصة ومنها :

١ - إلى أي حد يمكن الاستعانة من الروايات التاريخية المتأخرة ؟

ولا شك أن هذا الأمر يكون محسوما إذا وجدت الروايات المعاصرة التي يكون لها التفوق بطبيعة الحال ، إذا لم تكن مجردة لأمور أو لآخر . إذا افتقدت الروايات المعاصرة فإن المسألة تحتاج إلى عدد من الإجراءات التمهيدية والتحرى في سبيل تقييم الروايات المتأخرة حتى يمكن الاطمئنان إليها مثل : الموقف الاجتماعي للمؤرخ ، وثقافته ، ومدى صلتته بأصول المصداق وأدوات البحث . وموقعه الخاص من الأحداث ؟

٢ - إلى أي حد يمكن الاستفادة من المصادر التاريخية ذات الشاهد المختلفة من : الحوليات والطبقات والسير وتاريخ المدن ، وهل تنطبق عليها

أمير مكة وأسرة الشاذلي الهلالية الحارثية (ابن خلدون ، المعبر ج ٦ ص ١٣ - ١٦)
والحركة المرابطية وهل قامت على أكتاف العقبة الحزولي عند الله بن ياشين الذي كان يقيم الحفود
بنتهي الحزم حتى على الأمير القائد المرابطي وقتئذ (الكرى ص ١٦٦) .
(٥) والمثل لذلك هو ثورة أمي زيد ، صاحب الحمار ، التي تظهر تفصيلاتها المرحقة في
كتب الشيعة ، ومع الجانب المتصور ، والتي نقلت عنهم حتى من قبل المصوم ، كما في عيون
الأخبار للداعي أدريس ، وخصوصا فيما يتعلق بالمطاردة الأخيرة للشار (ص ٢٥٤ وما بعدها)
بينما نقل التفاصيل في كتب الأباضية كما عند الدرجيني ، وخاصة فيما يتعلق بالجيرة الأخيرة
من الصراع ، بينما يستفيض الرواية بعض الشيء عن بداية الثورة وقتما كانت تحقق الانتصارات
(ص ١٠٠ - ١٠١) ، وفي كلا الجانبين تملط الحقيقة بالأسطورة مثل قصة « الحدائق الخاصة »
بوصول الشار إلى باب المهدي التي تسر نهاية ثورته (عيون الأخبار ، ص ١١٨ ، والدرجيني
ص ١٠٢) ، الأمر الذي كان يشجع الاطمئنان في الجانب الفاطمي وقت الهزيمة - مما يعني أنه
اصططحت في وقت متأخر من قبل الفاطميين ، أنه أن تحقق لهم الظفر .

أصول النقد التاريخي العام ، وخاصة فيما يتعلق بالتراجم وسير الرجال ؟

٣ - الخبر الأحادي . وهل له ان يرجح على المتواتر (٦) .

٤ - الى أي حد يمكن الاستفاده من روايات المصادر غير التاريخية .
من : جغرافيه واجتماعيه وفلسفيه ودينيه وأدبيه وعبديه ؟ وعلى أي أسس
يكون الجمع فيما بينها على صعيد واحد ؟ وأي منهج يطبق عليها . وهي من
المسائل التي يشيرها المسعودي في قواعده للنقد التاريخي في مروج الذهب
والتي يميز على أساسها طبيعة العمل التاريخي عندما يصدر من غير المؤرخين
من أصحاب الفكر والمناهج الدراسية الأخرى كالفلاسفة (٧) .

تلك مقدمات منهجية عامة رائد ن نلمح ايها قبل عرضنا للمصادر
لعلها تثير بعض التأمل او تحظى بشيء من اعمال الفكر ، فهي جديرة بذلك
حسبما نرى . والحقيقة انه لما كانت الدراسة تكون من ٣ (ثلاثة)
عناصر ، هي :

١ - الفترة الفاطمية التي تمتد من ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م الى ٣٦٢ هـ /
٩٧٣ م (٨) .

(٦) والمتمثل لذلك تاريخ وفاة المهدي أول الفاطميين حيث ساعد افتتاح الدعوة للقمي
العماد بتاريخ : صيغة الثلاثاء ١٠ جمادى الآخر سنة ٢٢٢ هـ / ٢٩ مايو ٩٣٤ م ، بينما
يتواتر تاريخ منتصف ربيع الأول سنة ٢٢٢ هـ / ٦ مارس سنة ٩٣٤ م في المصادر المتغيرة
الأخرى . وهنا يشير ان ابن المسعودي عالج في نقده التاريخي في مروج الذهب هذا الأمر ،
فقسم الأخبار الى قسمين هما : المتواتر وهو الذي شاع ما بين المسعودي ورواه الكافة ، وهو
ما يجب عليه والعمل به والآخر ما نقله آحاد الرواة وقبوله غير واجب الا هو من النوع الممكن
أي الذي ليس بواجب ولا ممتنع وان كان المثل له عند المسعودي في الاسرائيليات ، والأخبار
في عجائب البحار (مروج الذهب . ط . بيروت . ج ٢ ص ٢٢٨) .

(٧) والحقيقة انه يسا يصح المسعودي على مماثله في التأليف في تنوع العلم المختلفة
ورؤاها قبل تأليف كتبه التاريخية واشادته بمصادره المتروكة ، فانه في تقييمه لتلك المصادر
يخص بالنقد سنان بن ثابت من قره الخراساني ، لانه انتحر - وهو القيسوق - ما ليس من
صناعته ، واستميج ما ليس من طريقته ، وذلك لمزجه ما بين الكلام في انفس والسياسة المدنية
روايات الملوك والوزراء ، وهو رغم احسانه في ذلك الا انه « خرج على مركز صناعته ،
وتكلف ما ليس من مهنته » (مروج الذهب . ط . بيروت . ج ١ ص ١٦ - ١٧) ، فكانه
يعيب عليه اضلاع علمية مختلفة ، من فلسفية عقلية واحادية عقلية الى نظام علمي
واحد .

(٨) والخلفاء الفاطميون في المغرب هم :

المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) ، والقائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ -
٩٤٥ م) ، والحز (٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٣ م - أي الى النقطة التي مصر) .

٢ - الفترة الصنهاجية الزيرية وتمتد من ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م الى حوالي منتصف القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (٩) .

٣ - الهجرة الهلالية ، من منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، الى ما بعد قيام المرابطين ، بل والموحدين في القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (١٠) .

كان من الطبيعي أن تختلف المصادر تبعا لاختلاف تلك الموضوعات :
فالعصر الغساصي الأول يتنازع حق التأريخ له ٣ (ثلاثة) أنواع من

(٩) وأمراء الزيريين الصنهاجيين في القيروان هم :

بلكين بن زيري (٣٦٢ - ٣٧٣ هـ / ٩٧٣ - ٩٨٤ م) ، والمصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م) ، وناديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٦ م) ، والمز بن ياديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ / ١٠١٦ - ١١٠٧ م) - حيث انفرد حماد بن زيري بحكم المسيلة واشهر ، وكون دولة بني حماد أصحاب القلعة ، وانتقل المز بن القيروان الى المهديّة (سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فانقسمت بذلك الدولة الزيرية الى دولتين ، هما : دولة بني المصور اى بلكين بن القيروان والمهديّة ، ودولة بني حماد بن بلكين بن القلعة وبجاية وأمراء الزيريين في المهديّة ، هم :

تسيم بن المر (٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٠٧ - ١١١٥) يحيى تميم (٥٠١ - ٥٠٩ هـ / ١١١٧ - ١١٢٥) ، وعلى بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥ هـ / ١١٢١ - ١١٢٩ م) ، وأخيرا الحسن بن علي (٥١٥ - ٥٤٣ هـ / ١١٢٩ - ١١٤٨ م) - عندما استولى اسطول صقلية البورمندي على المهديّة (٤٨٠ / ١٠٨٧) .
وأمراء الحساديين في القلعة وبجاية ، هم :

حماد بن بلكين (٣٩٨ - ٤١٩ هـ / ١٠٠٨ - ١٠٢٨ م) ، القائد بن حماد (٤١٩ - ٤٤٦ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٥٤ م) ، محسن بن القائد (٤٤٦ - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٤ - ١٠٥٥ م) بلكين بن محمد (٤٤٧ - ٤٥٤ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٢ م) ، الناصر بن علباس (٤٥٤ - ٤٨٦ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٨٨) ، المصور بن الناصر (٤٨١ - ٤٩٨ هـ / ١٠٨٨ - ١١٠٤ م) ، ناديس بن المصور (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ / ١١٠٤ - ١١٠٦ م) ، العزيز بن المصور (٥٠٠ - ٥١٥ هـ / ١١٠٦ - ١١٢١ م) ، يحيى بن العزيز (٥١٥ - ٥٤٧ هـ / ١١٢١ - ١١٥٢ م) .

(١٠) وبدايات الهجرة الهلالية ترجع الى سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، بعد ولاية اليازوري الوزارة بالقاهرة ، وسوء العلاقة مع المز بن ياديس ، وتولية زعماء الهلالية لأعمال الحربية التي وصلوا اليها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، واقتسامهم البلاد سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، وتقدهم الى القلعة ، وهجرة الناصر بن علباس (الحادي) من القلعة الى بجاية التي اختطها بالبحر ، ثم تقدمهم الى تلمسان حيث دخلوا في حرب مع الزناتية بقيادة الوزير أبي سمعة : خيفة الغري . وذلك في الوقت الذي كان الصنهاجيون من الملتحقين من لشونة ومسوفة وجزولة ودكالة يقومون بنهضتهم واقامتهم لدولتهم المرابطية التي عاصرها الجفرافي السكري الأندلسي . صاحب المسالك الممالك ، الذي كان آخر ذكر لهم عنده سنة ٤٦٧ هـ / ٧٤ - ١٠٧٥ م .

المصادر هي : الشيعة المناصرة ولها مقام الصدارة ، بطبيعة الحال ، وفي مقابنها المصادر الخارجية الأباضية المناهضة ، وفيما بينهما المصادر السنية في موقف الوسط ، وإن كان توسطها يأتي في كثير من الأحيان من حيث مزج الأنواع الثلاثة فيما يشبه الفسيخساء المبرقشة .

المصادر الشيعية :

أول مصادر الفترة تتمثل في كتب القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٤٧ م) ، قاضي المنصورية وداعي دعائها ، على عهد المنصور والمعز بخاصة . وأهم كتب النعمان التي وصلتنا ٤ (أربعة) ، هي : دعائم الإسلام (١١) ، وتاويل الدعائم ، ويعرف أيضا بـ « تربية المؤمنين بالوقوف على حدود باطن علم الدين (١٢) » واقتتاح الدعوة (١٣) ثم المجالس والمسائرات (١٤) . ومن عناوين هذه الكتب - التي جانب غيرها مما نشر أو لم ينشر من أعمال النعمان - يتضح لنا أن تخصص القاضي الفاطمي تراوح ما بين : الفقه من أصوله وفروعه إلى التاريخ السياسي والتاريخ الديني مع سير الأئمة -

دعائم الإسلام :

فدعائم الإسلام كتاب في الفقه الشيعي الفاطمي ، يعرف فيه النعمان بالعبادات (ج ١) والمعاملات (ج ٢) (١٥) . وقواعد المذهب عند النعمان لا تختلف كثيرا عن مذاهب أهل السنة ، الأمر الذي دعا إلى الاختلاف في مذهب النعمان الأول ، فقد قيل أنه بدأ سنيا مالكيا أو شيعيا اثنا عشريا ، قبل أن يتحول إلى الاسماعيلية الفاطمية - وإن رأى البعض أنه ما كان يمكن أن يكون منذ البداية إلا اسماعيليا لحما ودعما (١) .

(١١) نشره وحققه آصف فيظي ، القاهرة ، في ج ٢ . ١٩٠٢ - والمبرور الكامل ، حر -

دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام .

(١٢) نشر محمد حسن الأعظمي (ج ٣) ، القاهرة ١٩٦٩ .

(١٣) نشر وتحقيق وداد القاضي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، كما أنه تم نشره بمعرفة مبحث

الدراسات ، الشركة التونسية للتوزيع ، في نفس الوقت ١٩٧٠ م .

(١٤) تحقيق المصطفى إبراهيم شيوخ ومحمد البيلادي ، تونس ١٩٧٨ م .

(١٥) الجزء الأول يعالج العبادات في ٧ (سبعة) كتب ، في الولاية والتهامة

والصلاة والجنائز والركاة والصوم والحج ثم الجهاد ، والجزء الثاني يشتمل على ٢٥ (خمسة وعشرون) كتابا في البيوع والإيمان والدور والأطعمة والأشربة والطف والناس والعصية

والضحايا والتكاح . . . والسيان والشهادات والدعوة ، وأخيرا أدب القضاة .

(١٦) أنظر مقدمة المجالس والمسائرات ، ص ٦ ، ٧ وهـ ٢ .

والخليفة ، انه يمكن تفسير تلك القرآنية القريبة بين دعائم الاسلام
النعمانية العاطمية هذه ، وقواعد الاسلام السنية المالكية من حيث اصول
الدعاية الاسماعيلية التي ما كانت تسمح بشئ الا الظاهر من علم الائمة بين
عامة الناس - اى المقبول اصلا من جمهور العامة - ولا شك أن تسمية ائمة
أهل السنة بـ « ائمة العامة » من قبيل ائمة الشيعة ، حيث كان جعفر
الصادق أول من عرفت عنه تلك التسمية تؤيد ذلك .

وفيما يتعلق بدعائم النعمان فان الذي يؤيد عموميتها هو كتابه الذي
صنعه بعد ذلك تحت اسم تأويل الدعائم ، والتأويل هو التفسير الساطي
والمجازي للتخصص ، وهو من علم الخاصة . ولهم في الأمر أن دعائم الاسلام
عند النعمان تشمل على القواعد الخمسة المتعارف عليها عند المسلمين عامة
وهي : الولاية في البداية ، فكانها القاعدة الأولى للمذهب ثم الجهاد في
النهاية ، فكانه القاعدة السابعة والأخيرة ، وبذلك تكون قواعد الاسلام
سبعة بما يتفق مع أهمية الرقم ٧ (سبعة) في الفكر الاسماعيلي - مذهب
السبعية (١٧) .

الولاية :

ومبدأ الولاية ، أول دعائم الاسلام عند النعمان ، بمعنى الوا
والخضوع ، يتطلب الطاعة المطلقة للإمام . وفي ذلك يقول النعمان : « لو ار
الرجل عمل أعمال البر كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأنفق ماله في سبيل
الله ، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله ، ولم يعرف بيبه الذي جاء بذلك
الفرائض فيؤمن به ويصدق به ، وإمام عصره الذي افترض الله - عز وجل -
عليه طاعته ويطيعه . لم ينفعه الله بشئ من عمله » (١٨) والنعمان يظهر هـ
معتدلا على عكس غيره من المنشدين من فقهاء المذهب الذين يقولون : « من

(١٧) وهذا قريب مما فعله الشيعة الزيدية عندما أخذوا مبادئ الاعتزال الخمسة
المعروفة ، من التوحيد والعدل والوعد والوعد والمنزلة بين المراتب والأمر بالمعروف ، على
أساس أن الإمام زيد نمتز على أصل من عطاء ، ووضعوا على رأسها مبدأ الإمامة المتعارف
عليه عندهم ، ولدى يقبل مبدأ « امامة المفضل » مع وجود الأفضل » وجعلوا من كل ذلك
مقما لهم . هذا وإن شاركهم في ذلك أيضا بعض جماعات الاناصية الذين عرفوا باسم
« الواسلية » .

(١٨) الدعائم ، ج ١ ص ٢٠ وما بعدها .

مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» (١٩) . وطاعة الأئمة والرؤساء تظهر جلية عند اسماعيلية المشرق ، من : القرامطة والسرائية والحشيشية . ممن سمحوا باستباحة بعض المحرمات الاسلامية حسبما تراهي لهم (٢٠) . ومارسوا عمليات الاغتيال السياسي في سبيل تحقيق بعض مآربهم (٢١) .

أما عن الجهاد وجعله بعض دعائم الاسلام ، فهو يدل على أن التشيع ، على عكس ما قد يرى البعض من أنه مذهب الرخص والتساهل ، كما في بعض أمور الزواج ونوريت البنات ، هو مذهب أصولية وتشدد ، الأمر الذي جعل الشيعة يصفون أنفسهم بأنهم أهل السنة حقا دون غيرهم (٢٢) .

(١٩) أنظر الفرق بين الفرق للبهمنى ج ١ ص ١٩٢ .
(٢٠) كما نقلوا سنة ٣١٧ هـ / ٩٣٠ م . من استباحة « الكعبة » وقلع الحجر الأسود وادعائهم أن الطواف ولثم الحجر الأسود نوع من المائدة الجاهلية ، أنظر لعرو والحدادي . ج ٤ قسم ١ - تحقيق بنبلة عبد المصم داود . ص ٣٤٩ - حيث رواية ابن الجرار التي يقول فيها أن أحد أصحاب القرمطي قال لريخ من صحبايهم . يا حمار . تمشي الحجارة وتطوفون بها تلتعنون أركانها ونرقصون حولها ، ما نال رؤوسكم ، وفي مقابل ذلك أنظر ص ٣٥٩ - حيث النص على أن من كرامات الحجر الأسود أنه يحشر يوم القيامة وله عيمان ينشر بها ولسان يتكلم به ويشهد لكل من استلمه وفيه بالايان .

(٢١) ومن أشهر من اتعالمهم الحشيشة . الوزير السلجوقي نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م - أنظر ابن الأثير سنة ٤٨٥ هـ ج ١ ص ٢٠٤ - حيث النص على أن الذي قتله صبي ديلقي من الناطية . وهذا ، كما حاولوا قتل صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م حيث كانوا مدسوسين بين عسكره وهو يحاصر قلعة اعرار إذ ضرب واحد منهم بسكين في رأسه ، ولولا الفقر المرد تحت القلعة لقتله (سنة ٧٥٢ ، ج ١ ص ٤٣٠) - وعندما حاول صلاح الدين الانتقام منهم في السنة التالية ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م . وحصر قلعة شيوخهم حذر هذا الأخير بقتلهم جميع الأيوبيين وإسرائيل . الأمر الذي اضطر صلاح الدين إلى إحاسهم إلى الصلح والرجل عنهم (سنة ٥٧٢ ، ج ١ ص ٤٣٦) .

(٢٢) وهذا لا ناس من الإشارة إلى أن تشددهم دفعهم أحيانا إلى أخذ الآية التي تقول : « إنما المشركون نجس فلا يعربوا المسجد الحرام (بعد عامهم هذا - سورة التوبة) ، بمعناها الحرفي . لرفضوا التعامل مع غير المسلمين وأتهم رسما طلقوا ذلك على غيرهم من أصحاب المذاهب الاسلامية الأخرى . فلم يصلوا في مساجدهم ولم يزأوجهم أو يذاكلوهم حتى أنهم كانوا يحطون الآية التي يقدمونها لهم بالصيام والشراب - وهذا ما كان يحدث منذ أكثر من أربعين سنة في جنوب العراق - والمعهد على من روى ذلك لنا من الرملا ، المأمون بالتدريس وقتئذ هناك . ولا شك أن الأوصاف قد تغيرت الآن تماما . تبعاً لتطور الإدراك وتطور الوعي نحو الأفضل . وقارن مثري ماسمه ، الاسلام ، ترجمة بهج شعنان ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ص ١٩٢ - حيث النص فعلا على ذهابهم إلى درجة تحطيم الآية

التأويل :

والحقيقة أن المتمسكين من الشيعة بالسنة ، التي نعرف عند
بالأخبار هم الأخباريون مثل أهل الحديث عند السنة ، بينما الأصوليون
أشبه بأهل الرأي وهم أصحاب التأويل أي التفسير الباطني للنصوص
القرآنية والسنة ، وهو ما يعرف عندهم بعلم الحقيفة . فالعلم عند أهل
التأويل ينقسم الى ٣ طبقات ، هي : علم المحسوس (في الطبقة الدنيا) و
المحسوس (في الوسطى) وعلم المعقول (في العليا) (٢٣) .

توريت البنات :

وبفضل التأويل ، وهو عصب الاجتهاد عند الشيعة ، من حيث
التأويل هو معجزة الأئمة في مقابل التزويل (الكتاب) ، معجزة النبوة (٢٤)

التي يلعبها غير المسلمين ، مع الإشارة في الهامش الى مديقات العلامة محمد حواد .
(ص ٢٢٧ - ٢٢٦ في آخر الفصل) حيث النص في ص ٢٢٨ على انه لا أثر لهذا
ولا مصدر في فقه الإمامية . . . ولا هو من عادة واحد منهم . وان حكم جماعة من فقه
يقص بفصل الآية بالنساء اذا باشرها غير المسلم ، تماماً كما تفعل من الحرس ونحو
أما تحطيمهم الآية فلم نسمع به الا من المؤلف أي « مثليه » - ولا نرى ان تكون ذو
منقولة عن بعض الباحثين ، مثل صري ماسيه أو غيره .

(٢٣) أنظر التأويل . اسمه ومعانيه في المذهب الاسماعيلي ، تأليف الحبيب القهوي
مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ص ٩ (في الظاهر والباطن
ص ٢٣) (في الشريعة والحقيقة) ص ٦١ (حيث التقسيم الثلاثي ومركبه الأخيرة في
المطلوب تمتي الحقيقة المجردة البيان . وهذا التقسيم قرب من التقسيم الارسططاليس الش
للعلم ، وهو الذي أحد به بعض الفلاسفة المسلمين ، مثل ابن رشد (الحفيد) الذي طالب
« فصل المقال » بين الشريعة والحكمة من الاتصال » بالتأويل عندما يتمازج النص - خلا ،
مع العقل - وهو ما عرف في بحر الفهية الأوروبية في فرنسا فالانرشدية verroesme
وأسست المبدأ فيه في إيطاليا حتى القرن ال ١٦ م ، وهي الفكرة التي كانت
خطأ ، تعلب العقل على العقيدة الدينية ، الأمر الذي لم تقله الكنيسة وقتئذ حتى أنها أد
ابن رشيد والانرشدية ، وذلك اعتماداً على ترجمة التأويل بمعنى التهويل ولترتيب - ا
للمؤلف . من العرب القديمة ، دراسة مهجة لبعض الماذج ، مجلة علم الفكر (الكويتية
المجلد الثامن العدد الأول ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، بل هو ما أخذ به محمد بن ومرت سا
دولة الموحدين ومنظر مذهبها الذي حاول فيه التوفيق بين أفكار الشيعة والسنة والفلا
من المعتزلة ، اقتداء بالإمام الغزالي - أنظر للمؤلف ، محمد بن تومرت وحركة التجديد
المغرب والأندلس ، من منشورات جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٢ م .

(٢٤) افتتاح الدعوة للقاضي العلاء . ص ٣١١ .

ووصل الفقهاء الى حلول لبعض ما واجهه المجتمع من التنازل (أى القضايا الطارئة) مثل : توريث البنات وذوى القربى (٢٥) ، وهى القضية التى قد ينظر اليها فقهاء السنة على أنها قضية سياسية قبيل أن تكون من قضايا الأحوال الشخصية (٢٦) .

أما عن زواج المتعة فالرأى فيه عند النعمان مقبول من أهل السنة من حيث أنه منكر بعبارة لأقوال الأئمة ، وإن كان ذلك لأسباب عقلانية خاصة بكرامة المرأة وذويها (٢٧) .

افتتاح الدعوة :

وافتح الدعوة كتاب تاريخى يعالج فيه النعمان تاريخ الدولة الفاطمية الناشئة بالمغرب ، منذ بداية تنظيم الدعاية فى اليمن الى عهد المعز فى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م - حيث تم تأليف الكتاب . والنعمان يظهر فى الافتتاح مؤرخاً موهوباً ، يعرف انتقاء معلوماته ، ويفرق فيها بين الغث والسمين . فهو يوثق معلوماته بمقتطفات من الرسائل الرسمية التى كان يصدرها المهدى على طول الطريق من سجلماسة الى رقادة والقيروان ، رغم اتجاهاته المنقبية المبدئية ، كواحد من كبار الدعاة يرى حتمية انتصار دعوة الأولياء « حزب الله » وغلبة دولة الأئمة ، رغم أحوال الستر والثقية (٢٨) .

وهو يعرف التأثير السلبي للسياسة المالية الدقيقة التى انتهجها

(٢٥) انظر المجالس والمسايرات ، ط ٠ تونس ، ص ٩٧ - حيث الكلام فى توريث مدوى الأرحام ، من : بنى البنات وسات الأحوة وسى الأخوات وبنات الأعمام والعم : أحمى الأب فلام فقط ، وبنى الأحوة للألم ، وذلك استناداً الى اجتهاد الإمام سعفر الصادق الذى فهم كلمة « الأقربين » القرآنية على أنها « ذوى الأرحام » فقط بتدوينهم بالنص لقرآنى .

(٢٦) وهذا مما أناره الأستاذ أحمد بهاء الدين ، رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية السابق ، فى عموده « يوميات » جريدة الأهرام الناهرية بمناسبة قضية إلغاء ضريبة التركات فى مصر ، والتي تمت فى ثانياً موضوعات الاقتصاد الإسلامى وشركات توظيف الأموال ، وارباع البتوك ، وذلك فى أواخر سنة ١٩٨٨ ، عندما دعا الى الاجتهاد فى توريث البنات ، كما هو الحال فى الفقه الشافعى ، وذلك دعواً للتعايل على ذلك من قبل البعض ، وكان رد فعل فقهاء السنة على دعوته تلك ، ان النصوص الخاصة بالميراث قطعية ، وإن لا اجتهاد مع النص .

(٢٧) المجالس والمسايرات ص ٦٥ - حيث يكون التنازل « هل ترضى لمعك أن تسكج ذات محرم منك بكاح معة ؟ (ابن) لا ترضى لغيرك ما لا ترضاه لمعك » .

(٢٨) مقدمة الكتاب ص ١ .

المهدي منذ ما قبل اعلان الامامة وتولييه السلطنة بطريقة فابويه - من أعلى
منابر أريقية - وهو في الطريق من سجناسية الى رقادة والقروان ، حيث
قرر المرور بايكجان (دار الهجرة) ، وأمر باحصار الأموال التي كانت بين
أيدي الدعاة والمشايخ ، « فأحضروها اليه ٠٠ وأمر بقبضها منهم ، وشدها
أحمالا ، وقدم بها (الى رقادة) فكان ذلك من أول ما أحال القلوب
الفاصلة ، وتوهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله ، يأمرهم وينهون
ويقبضون ويسلطون . وهو يوثق معلوماته تلك بمقتطفات من الرسامة
الرسمية التي أصدرها من أيكجان الى كل من نائب أبي عبد الله بالقروان ،
وهما : أبو زاكى ، الزعيم الكتامي ، وأبو العباس ، أخو الداعي ، والذي
يحدد فيه تاريخ الوصول اليهما في يوم الخميس ٢٠ من ربيع الآخر سنة
٢٩٧ هـ / ٦ يناير ٩١٠ م ، وهو ما حدث فعلا (٢٩) .

الشؤون الاجتماعية والمالية :

وهو بعد ذلك يسجل ملاحظات المهدي الاجتماعية الدقيقة في التمرقة
بين شيوخ القروان المتمدينين وبين من كان يراهم « كاسواى » في المغرب
البيد (ص ٢٩٢) . وهكذا يستمر العمان مؤرخا له قدرانه الفائقة في
انتخاب معلوماته السياسية والاقتصادية والدسة والاحتمساعية ، ويطبق
منهج التاريخ العلمى عن طريق التوثيق بما كان في متناول يديه من الرسائل
الرسمية ذات التواريخ الدقيقة والمدايح الشعرية ، وكل ذلك في توازن
منطقي مقبول ، رغم شطط بعض الشعراء أو الأتباع أحيانا .

ومما يلفت النظر اهتمام النعمان بالمسائل المالية ، مما يتعلق بقبض
الأموال والضرائب من مختلف المظان ، أو ترتيب دواوينها من قديمة
ومستحدثة ، كاحياء ديوان الخراج الذي كان قد أحرق عند هروب آخر
الأغالبة ، أو نصب ديوان الكشف وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين
مع زيادة الله ممن استصفيت أموالهم (ص ٣٠٣) ، ونصب ديوان للعتاء ،
وطلب نهب رقادة الذي اجتمعت منه أموال كثيرة ، وإقامة ديوان لبيت المال
(أضرائب الأسواق) كانت حصيلته في شهر رمضان وحده ١٠٠.٠٠٠
دينار ، الأمر الذي أستهلوه صاحب بيت المال بينما استقله المهدي الى حد
القول انه : لو بلغت حقوقه ما رضى مثل هذا العطاء لرحل واحد من أوليائه .

والسماح ، في نظرة المهدي الى المال ، يقول : انه كان جوادا بالمال ومع ذلك لا يصيغ كل شيء منه ، فهو لا يستهين بالمال ولا يصرفه ، في غير حق (ص ٣٠٤) . وعلى اساس انتراخ الاموال من الكتمانيين في ايدجان يفسر انضمامهم الى الداعي في تورنه (معاقه) على المهدي (ص ٢٠٩) التي أدت الى قتله . وعقوبة القتل هذه هي في حقيقته الامر بظهير لرجل الدولة العظيم ، تماما « كما يتطهر الذهب مما تداخله من الغش بالدوبان في النار ليصفو » (ص ٢١٩) . الامر الذي لم يمنع ردود فعل عنيفة من قبل الكتمانيين واهل القيروان والاعالية (ص ٢١٩ وما بعدها) ، مما كان له أثره البعيد في ثورة الدجال « مخلد بن كيداد » عندما انضم اليه اهل القيروان ، وغدر بهم في يوم ليلانه (جوليانه) (ص ٣٢٣) . وبناء المهديه المرتبط بعلم الحدائق الذي يعرفه الأئمة حيث أعدت المدينة الملكية العظمة بحصونها العظيمة من أجل « ساعة واحدة من بهار » (ص ٣٢٨) - ساعة وصول الشائر أمام باب زويلة بالمهدية الذي سيعرف بباب الفتح .

تواريخ خاصة :

وينفرد افناح الدعوة بتحديد تاريخ خاص لوفاة المهدي ، هو : صبيحة يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ / ٢٩ مايو ١٩٣٤ ، بينما تقدم المصادر الأخرى ، حتى تلك التي أخذت من النعمان ، مثل : كامل ابن الأثير ، وانعاظ المقرئزي ، وبيسان ابن عذارى ، وتاريخ ابن حمادة ، « منتصف ربيع الأول » ٦ مارس سنة ٩٣٤ تاريخا لتلك الوفاة (٣٠) .

والملاحظ أن جهود كل من القائم والمنصور وكذلك المعز تأتي سريعة في حوالى عشر صفحات ، ولا بأس أن يكون النعمان قد اكتفى بسا ذكره عنهم في المجالس والمساومات التي يعتبرها سيرة للمعز بخاصة .

ومن الأمور التي تلفت النظر أخيرا ان الكتاب الذي افنئى النعمان من بسطه في المحرم سنة ٣٤٦ هـ / مارس - ابريل ٩٥٨ م تم نسخه الذي حوّل إلينا في شعبان سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م (ص ٣٣٩) دون ذكر أو إشارة الى أى من النسخ الوسيطة - وتلك آفة ما زال الأدب التاريخي « الشيعي » يعاني منها الى اليوم .

(٣١) ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، وهوامش ص ٣٣٠ ، وانظر التسمية لسما بعد ، ص ١٧٤ .

المجالس والمسايرات :

قضايا تاريخية ودينية وفقهية :

يختلف كتاب المجالس والمسايرات عن كتب النعمان من حيث اعتباره من كتب السيرة « الدانية » إذ المصيب الأوفر فيه للمعز بصفته واضع أصول المذهب الفاطمي ، وإن كان بخط النعمان ، وحقيقة أن الكتاب يمكن أن يندرج في قائمة كتب تاريخ الأديان والمذاهب ، من حيث تساوله للمذهب ، وشروحه لعديد من القضايا التاريخية ذات الصبغة الدينية أو القضايا الفقهية في مجال الأحوال الشخصية - مثل : توريث البنات وزواج المتعة ، مما سمحت الإشارة إليه (ص ١٧) - إلى جانب المعلومات التاريخية الصرفة كالعلاقات بين الفاطميين والأمويين بالأندلس ، إلى غير ذلك من موضوعات فلسفية أو لغوية أو أدبية . ويأتي كل ذلك في ترتيب زمني ، غير موضوعي ، حسب تسجيل المادة أثر كل مجلس أو مقام أو مسامرة وما يلحق بذلك من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة ، فماني المواد المتشابهة متناثرة على طول الكتاب ، وهو الأمر الذي عالجته المحققون بشكل مبهج مفيد في المقدمة ، (من ص ١٧ إلى ص ٢٧) ، حيث تصنيف الموضوعات - بشكل عام وموجز بطبيعة الحال - إلى : أحداث تاريخية خاصة بالأئمة ، من : المهدي إلى القائم والمنصور ثم المعز الذي تحصل على علم الأولين والآخرين ، من : ظاهر وباطن ، وعلوم رياضية وطب وهندسة ، كما كان صاحب اختراعات عجيبة - مما يدخل في مجالات التكنولوجيا ، كما نقول اليوم - كالعلم الحازن للنحير (٣١) .

سيرة المعز :

ومكثا يفهم من مقدمة الكتاب أن النعمان يعتبره تاليفا في سيرة المعز لدين الله ، صلوات الله عليه ، وأنه دأب في ذلك (التأليف) إلى أن ينقضي عمره (٣٢) . والمعز يستخدم الجدل المنطقي ويتكلم في البرهان ويعرفه ولكننه .

(٣١) المقدمة ، ص ٢٥ والنص من ٣١٩ - حيث الإشارة إلى أن القلم رمز للوطن - انظر الدراسة ، فيما بعد ، ص ٢٢١ وهـ ٥ .
(٣٢) الافتتاح ، ص ٤٦ ثم ص ٤٧ - حيث الإشارة إلى أن الدشراوي معقق الكتاب يأخذ بهذا الرأي وأنه ساء على ذلك ، يكون تأليف الكتاب في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ - ٩٥٨ م .
وإن كان ذلك لا يتفق مع التواريخ التي تتناوهره ، مثل : سنة ٣٤٨ هـ وسنة ٣٥١ هـ .

« لا يؤمن بحجية العقل ، فاناس كلهم يدعون العقل وهم مختلفون في المذاهب » فالعقل ادن هو المطيع لله (ص ٤٢٣) .

الأئمة :

وموضوع الأئمة وعلومهم ، وما يجب لهم من الطاعة ، مما ينال عناية النعمان واهتمامه ، مثل : للامهم في الظاهر والباطن (ص ٥٤) ، والسعي الى الامام واجب في ظاهره كالخج (ص ٤٦٨) ، وتكتم الأئمة في أمر الدعوة الباطنية شديد ، اذ ليس من الحرم أن يجارى الراعى أهواء الرعية (ص ٣٤٧ - مثل : بنى العباسى وبنى أمية) . والسجود لهم : طاعة ومعروف لا ينكر (ص ٥٧) ، وكذلك الصلاة عليهم حسب الآية التى تقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبى » (الأحزاب ، ٥٦) ، وزواج المتعة منكر عند الأئمة (ص ٦٥ - وانظر فيما سبق ص ١٧) وهم لا يعلمون الغيب ، بل ما غاب عن الناس من العلم الذى أودعهم الله اياه واستحفظهم سره (ص ٨٤ ، ٥٢٣) مما يعرف بعلم الحدقان . والامام لا يعطى حكيمته الا لحجته (الحجة هو الوصى أو الأساس ص ٩٤) ، وعقاب الله ثلمتطاولين على الأئمة عقاب عاجل (ص ١٠٢) . والامامة تنتقل من الماضى الى الساقى فى آخر دقيقة بنعى من نفس الماضى (ص ٢٦٧ ، ٥١٤) ، والامام المستقر أفضل من الامام المستودع (ص ٤١١) .

والأئمة فى النهاية ، باب السعادة ، بهم سعد بن سعد ، والسعادة لمن عرفهم (ص ١٠٩) .

الدعاة :

أما عن الدعاة فهم الى جانب عملهم يرسلون من جزرهم (أقطار دعوتهم) الأموال الى الامام (ص ٤٠٧) . هذا ، وقد يتحرف بعضهم عن الأئمة فيحلون المحارم (ص ٤٠٨) ، الأمر الذى دعا المعز الى أن يتبرا من بعضهم (ص ٥٥٢) . ومن الطريف أن يحاول النعمان تبرير انحراف بعض الدعاة وزيغهم فى اباحة المحارم فيفسر ذلك تفسيراً صوفياً ملامنيا ، على أساس ، ان : « ترك المعاصى سوء ظن بالله - عز وجل - انه لا يغفر الذنوب » (ص ١٠٥) ، ولو ان ذلك لا يتفق مع رفضه لتأويل المعتزلة العقلانى لوعده والوعيد بمعنى ان الله صادق فى وعده ووعيده ، ولكنه يغفر لمن تاب توبة نسيوها ، على اعتبار أن ذلك نوع من البداء ، أى تغيير قدر الله وقضائه المحترم ، الذى لا يجوز عند المتشدددين من أهل السنة (الحشوية) الذين

يقتدى بهم النعمان ، فى هذا المقام . وهو ينتمى المعتزلة هما وعقلانيتهن ،
ويتهمهم بأنهم أرادوا أن يكونوا أئمة أنفسهم (ص ٢٧٧) - أى أصحاب
الحق فى الاجتهاد .

تعاليم المذهب :

وفيما يتعلق بتعاليم المذهب ، يحرص المعز على قراءة كتاب دعائم
الاسلام (ص ٣٠٣) فكأنه أصبح دستور المذهب الرسمى من حينئذ .
والأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون ، نقلا عن المنصور (٣٣) . والحكم بعدم
نجاسة بول الفرس (فرس المعز الذى تنحى عنه ابن واسول صاحب
سجلنامه (٣٤) . وتوريث الموالى ، من : العبيد عند الفاطميين كالأحرار ،
شرط ولايتهم (ص ٣٩٤ - فكأنه نوع من الرخص الأخرى فى بساط
المواريث) .

الأحداث التاريخية :

ويحسن المجالس والمسايرات بالأحداث التاريخية الهامة ، ولكنها
للأسف بدون تحديدات زمنية . ومنها ما يتعلق بفتنة أبى يزيد ، وما يتعلق
بها من علم الحدثان ، وما قبل من انها قامت بدعوى رفع الضرائب . فالمهدى
كان ينوقع الفتنة ولهذا بسى المهدي (ص ٥٤٢) وان كانت رواية أخرى
تنص على ان القائم فكر فى استبدال المهدي (ص ٣٢٣) ، وغيرها تشير
الى ما ذكرته كتابه من تخلف القائم أيام الفتنة (ص ٢١٤) . أما المنصور
فكان يرى فى منامه فتنة أبى يزيد ، وانفراج الشدة على يديه (ص ١١٣) ،
بينما كان المعز يقول : ان من صبروا مع الأئمة أيام الفتنة يدخلون الجنة
بشفاعتهم مهما كان عليهم من الذنوب (ص ٥٥ - فكأنهم من أهل بدر) .
وفى الرد على ما ادعاه أبو يزيد من أنه قام من أجل رفع مظالم الضرائب ،
فليس صحيحا لأنه مبنى على ما رآه من رفع بعض الشيوخ المال الكثير الى

(٣٣) المجالس ، ص ٤٠٤ - ولا بد أن كان ذلك يتعارض مع ما سبق من القول بأن
الأئمة لا يعلمون السب بل ما تخاف عن الناس من العلم الذى حصوا به - نفس ما سبق .
ص ١٩ .
(٣٤) المجالس ، ص ٤٦٠ - الأمر الذى يدخن فى تحييل الجهاد - كما نرى - وألسه
بالامبيات المتمثلة فى الخيل ، هذه الرماط والقتال - مرات المعز الحديث المدرعة السريعة
الحركة .

الأئمة بمحض إرادته . بينما صار نفس الرجل يجأر بالشكوى من جور اصحاب أبي يزيد (ص ٣٣٧) . وعن قس أبي يزيد فقد تم على يد المصور بالسيف ذى القنار الذى كان يحتفظ به المعز . وفى وصفه : له شفرتان ، وفى وسطه عمود . أما جملة النفقة فى حرب أبي يزيد فقد بلغت ١٣٠٠٠ ر. ١٠٠٠ دينار (ص ٥٥١) . ومن أعمال المعز العمرانية انجاز شبكة المياه فى المصورية (ص ٥٥٢) .

معلومات وثائقية :

وتقدم المجالس والمسائرات معلومات وثائقية هامة عن الملاحات مع عبد الرحمن الناصر الأموى ، من حيث النوع والكم . ومنها . وصول رسول الأموى الى المعز يطلب الصلح ، ويتساءل : « كيف جاز له - أى المعز - أن يلعننا ونحن مسلمون ! وغاب عنه قول الله - عز وجل - « ألا لعنة الله على الظالمين (هود ، ١٨) . والأسويون يقطعون مركبا فاطميا ، يأخذون كتاب عامل صقلية ، واخراج المراكب فى اثره الى المرية (ص ١٦٥) ، والأموى يستنصر بملك الروم (ص ١٦٦) . والهدنة مع الروم سنة ٣٤٦ / ٩٥٧ (ص ١٦٧) ، والناصر الأموى يطلب الصلح والمعر يرفض لانه ادعى الخلافة . وهى وقف على الأئمة (ص ١٦٨) . والمعر يحير الجيوش الى المغرب لتطهيره من أتباع الأمويين (ص ١٧٠) ، واستمرار العلاقات مع الأندلس (الى ص ١٧٦ - ١٧٩) . ومناجات الناصر بصناعات الأندلس ، وسخرية المعز من ذلك ، اذ لا فخر - فى نظره - بأهل الصنائع (ص ١٨٠ - ١٨١) . استنادا الى قصة فخر المصرى على اليماني ، عندما قال له : انما أهل اليمن بين حالك برد ، ودافع جلد ، وسائس قرد ، فذمهم بذلك - وهو الأمر المستغرب ، كما نرى ، عندما يصدر على لسان مصرى ، الا أن يكون عربيا نبيل لا يقوم بالأعمال البدوية . وفى معاصر أهل افرقية وأهل الأندلس يعتد الناصر بحدوده معبرا ، ويحط من شأن السرور الأغنام ، والمعز بدوره يحقر أهل الأندلس المتصفين بالجهل والحق والرفاعة (ص ١٨٩ - ١٩٠) . اما عن لجوء أهل افرقية الى الناصر بسبب الحرية لأهل المناصب ، كما يرى ، فالحقيقة عند المعز انما بسبب طلبهم للملاهي الدنيا وحظائرها ، من : شرب الخمر والمجاهرة بالمعاصي (ص ١٩٠ - ١٩١) .

وبعد ذلك هناك ذكر لمقتل يعلى اليفرنى (سنة ٤٣٧ هـ / ٩٥٨ م ص ٣١٧ ، ٢٧٥) ، وقصه ابن واسول صاحب سخماسة وأسره (ص ٢١٧ ،

٢٥٥ ، ٢٨٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٨ ، ٤٨٣) • والاشادة بكتامة
(ص ٢٥٥ ، ٣٢١) •

أخبار المعز :

أما عن أخبار المعز ، فالى جانب ما سبق ، يذكر النعمان أن مخايل
النجابة والعظمة كانت بادية عليه منذ كان صغيرا ، فهذا ما يفهم من الرواية
التي تقول انه عندما عرضت عليه فاكهه جميله في طبق ثمين ، وقيل له
خذ الفاكهه واترك الطبق ، عرض هو العكس من ذلك فعلا : بل أخذ الطبق
وأترك الفاكهه (ص ٥٤٦) • أما المعز حليفه فهو لا يشك في افتتاح المشرق ،
رغم ان الذي طرد البربر من هناك نسي (داود) ، لأنهم أولياء الأئمة
(ص ١٢٨) • والمعز يعلم رجال كتامة الاحتجاج لولائهم للأئمة ، ويضرب
لهم المثل بما فعله الخليفة العباسي المكفي عندما أخرج القرمطي بقوله في
مسألة الخلافة : « ان العم أولى من ابن العم » فلم يحرج جوابا • وإذا كان
المعز لم يقدم الجواب هنا ، فالمعروف أن الإمامة في الفكر الشيعي -
بالنص والوصية ، وليست بالاختيار ، والا جاز للأمة ان نقيم نبيا • ومثل
تهكم المعز من جهل رسول ملك الروم ، الذي جاء يطلب هدنة مؤبدة ،
بأصول الاسلام الذي يمنع من ذلك (ص ٣٦٧) • ورؤية المعز لأمر قاس :
أحمد بن بكر أسيرا ، في منامه (ص ٣٨٥) وكذلك الأمر بالنسبة للناصر
الأموي الذي رآه في منامه في حالة مريرة ، في أزار وعلى رأسه طرطور
- رمز الشهوة - ويده مغلولة الى عنقه (ص ٣٦٤) ، وان كنا لا نحاول
تفسير الرؤى أو الأحلام فمن الواضح ان ذلك يعنى هموم المعز وحاشيته
من قبل هؤلاء الأعداء الذين كانوا يقلقون راحتهم في وقت صحوهم ويؤرقونهم
في حالة نومهم ، حتى استمعوا ما نزل بهم من البلاء في المنامات والأحلام •
وكتاب المعز الى طاغية الروم في أمر أهل اقريطش (كريت) وعقد الهدنة
ف ٥ (خمس) سنوات ، ورسالة المعز بهذا الشأن الى الأخشيدي (ص ٤٤٢)
ثم تنبؤ المنصور للمعز بفتح مصر (ص ٥٠٧) •

وأخيرا يظهر المعز في المجالس والمسائرات ، كواضع أسس الرسوم
للمواكب والاحتفالات ، وخاصة فيما تم أثناء الاحتفالات الكبرى سنة ٣٥١هـ /
٩٦٢ م التي تم فيها الاعذار الجماعي ثم طهر أولاده (ص ٥٥٣ ، ٥٥٦) ،
كما نهي المعز عن خروج مواكب التباحة على الموني (ص ٥٣١) •

وما يستحق التمسحيل في النهاية ، فهو ان الناسخ نقل من نسخة

للمجالس والمسائير تمت كتابتها في ٢٩ صفر سنة ١٣٣٢ / فبراير ١٩١٤ -
بمعنى حداثة النسخة دون معرفة أصولها . ومثل هذا يقال عن كتاب الهمة
الذى لم يعثر عليه الا سنة ١٩٣٤ (نشر محمد كامل حسين ، القاهرة) .

كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة :

ونتخلص أهمية كتاب الهمة في أنه يعرف بحدود المذهب الفاطمي
ويشرح واجبات الأتباع نحو الدعاء والأئمة ويبين حقوقهم المالية حيث
يصر على وجوب دفع الخمس لهم لأمام العصر ، قربى الى الله والرسول ،
يتصرف فيه كما يشاء ، وخاصة في فقراء أهل بيته . والمقصود بالخمس
هنا هو خمس مكاسب أهل المذهب (من المؤمنين) في كل عصر ، تدفع الى
امام ذلك الزمان معزكاة الأموال (انظر : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ
الدولة الفاطمية ، ص ٤٨٠ - ٤٨٢) .

سيرة الأستاذ جوذر (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) :

ويأتى كتاب سيرة الأستاذ جوذر - غلام الأئمة الذى أوصى به القائم
ابنه المنصور ، فما كان منه الا أن رد على والده قائلا : « وهل جوذر الا واحد
منا » وفعلا ارتفع شأن جوذر على عهد المنصور حتى أصبح المسئول عن
المهدية وسائر بلاد إفريقية ، فكان أشبه بالوزير الأول (صاحب الوساطة)
وأمين سر الدولة (٣٥) .

والكتاب من الشروع الوثائقي الذى يحتوى على عدد كبير من التوقيعات
أو السجلات ، أو الأحداث المتعلقة بالأئمة ، والتي شارك فيها جوذر الفتى .
والتوقيعات الجوزرية تضاهى من هذا الوجه مجالس النعمان ومسائراته ،
وربما تكرر بعضها فيه (٣٦) . فمن الموضوعات الجوزرية : خطاب المنصور
الذى يعلن فيه وفاة القائم (ص ٤٦) ، وانهزام مغلد ابن كيداد (ص ٤٨) ،
وخطبة للمنصور يعلن فيها موت أبيه (ص ٥٥) ، ورسالة من المنصور
بشأن هدية لملك الروم (ص ٦٠) ، ورسالة من المنصور فى الخارجين

(٣٥) محمد البعلوى ، الدفاتر النوسية ، ج ٢ سنة ١٩٧٤ ص ٨ و ٥ .

(٣٦) تحقيق وتعليق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ، ١٩٥٤

وترجمة كانار (Canard) الى العربية .

بصفية . ومكانبات المعسر الى جودر بوقاة المنصور (ص ٧٢) ، وأحمد ابن المهدي وتشنيعة على الامام وعلى جودر (ص ١٠٥) . الخ .

عيون الأخبار وفنون الآثار :

المختصون :

وياسي مع مجموعه الكتب التاريخية الفاطمية الاولى كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار للداعي ادريس عماد الدين القرشي ، وهو يمثل فقرات من الجزء الخامس من الكتاب ، جمع فرائد العشراوى . مؤس ١٩٧٦ . لتكون تكمة رواية افتتاح الدعوة ، عن عهدى القائم والمنصور ، وبخاصة ثورة ابي يزيد دوت التعصيات المرحمة حقا في هذا الكتاب (على اساس ان مصطفى غالب كان قد شرع في نشر السبع الرابع من الكتاب ، سنة ١٩٧٣) . ومحتوى الكتاب يمكن أن يهتم من عنوانه الكامل وهو عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر جمل وقضايا النبى المصطفى المختار ، ووصيه على بن أبى طالب صاحب ذى العقار . وآلهما الائمة الأطهار (المقدمة . ص ٩) ، فهو كتاب عام في التشيع ، مقسم الى ٧ (سبعة) أسباع ، يبدأ الأول منها بفصائل آل البيت ، والثانى في خلافة على ، وكذلك الثالث الذى ينتهى بمقتله . أما الرابع فيؤرخ للدعوة العلوية الى ظهور المهدي ، والخامس يعالج الدعوة في اليمن والمغرب الى سقوط الأغالبة وعهد المهدي ، والسادس في الخلافة الفاطمية من المعسر الى المستنصر ، والجزء السابع والآخر في الدولة الصليبية باليمن ، والدولة اسرارية والدعوة الاسرية ، وينتهى باخر ايمة الدعوة الدعوة المستعلية .

الداعي ادريس :

وصاحب الكتاب . وهو الداعي ادريس ، من رجال القرن ال ٩ هـ / ١٥ م ، اذ تسلم الدعوة بعد أخيه الداعي على ، في نصف النهار من يوم الخميس ٣ صفر سنة ٨٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٤٦٧ (المقدمة ، ص ١٠) . ورغم تأخر الكتاب فإنه يعتبر مهلاً لمعلومات تفصيلية دقيقة عن الموضوعات التى يعالجها . فعلى عكس ما قد يظن من أن الأدب الشيعى التاريخى هو أدب منقضى ينبغي أن يؤخذ بما يناسبه من الحذر ، فإن رواية الداعي ادريس هذه ترتفع فى قيمتها الى مرتبة الوثائق فى كثير من الأحيان ، اذ تستقى أخبارها من كتب المعاصرين كالقاضى النعمان والأستاذ جودر وجعفر الحاجب ، ممن كانوا على اطلاع على دواوين الانشاء والوسائل التى وثقوا بها تواريخهم

وسيرهم ، حتى أصبحت المصدر الأول لكتب الخصوم ، من : الخوارج أو أهل السنة - وهو الأمر المستغرب * .

التوثيق :

فبفضل مجموعة الوثائق السى يحويها الكتاب وخاصة ما يتعلق بثورة أبى يزيد ، من الرسائل التى كانت تصدر الى ديوان المهدي والى سائر البلدان والتى كانت تنشر على الناس من فوق المنابر ، وكذلك الخطب الرسمية التى كانت تلقى فى صلاة الجمعة أو العيدين أو المواسم والمناسبات ، وأيضا القصائد الشعرية والقطع الأدبية التى أنشأها أصحابها فى تلك المناسبات التاريخية ، وكل ذلك يرفع من شأن الكتاب الذى ارتقى الى مستوى الوثيقة - بصرف النظر عن المسحة المقبية التى نعتريه هنا وهناك - أو وجود القصص الشعبية والروايات الأسطورية جبا الى جنب مع الخبر الموثق .

فالرحلة المهدي من سجدماسة الى افريقية محددة المراحل والنوازيخ الدقيقة ، من اسم اليوم ورقمه والشهر والسنة ، وربما مع البرج والطالع (ص ٢٥) ، ومثل هذه التفصيلات تقال عن حملة القائم الى المغرب ، وقاتل دناتية ابن خزر (ص ٥٠) .

الروايات الشعبية (الفلكلور) :

وهذا لا يمع من تسرب روايات شعبية (فلكلورية) كقصصه أحد يعقوب بن اسحق التميمي : أخى خليل بن اسحق ، رجل الدولة وأحد قوادها اللامعين ، بل وشعرائها المداحين الى حبس بغداد ، بعده أسره فى ألاسكندرية ، ويقائه هناك ١٤ عاما ، وكيفية شراء السجنان البغدادى بالأموال التى كانت حصه بمعرفة الدعاة ، ثم صربه متخفيا فى رى الصوفية بعد وفاة الخليفة المقنر ، فى رواية أسطورية مدهشة ، مليئة بالمغامرات العجيبة فى القاهرة والفسطاط والعقد المثيرة على حبر الجزيرة ، ويعقوب فى رى النساء (أنظر ص ٧٢ ، ٧٣ وما بعدها) . حقيقة انه يمكن الاستفادة من الرواية الأسطورية هذه فى التعرف على أساليب التخفى والاستتار مما كان يلجأ اليه المظلومون وقتئذ ، والتى كانت معروفة لدى رجال البريد والأخبار ، ولكنها تبقى أسطورية على كل حال .

توثيق ثورة أبي يزيد :

وثورة أبي يزيد مليه بالنواريح الدقيقة والمواضع المحددة وتفصيلات الأحداث المرفقه ، مع توثيقها بالاسناد القوية من الكتب الرسمية والخطب المنبرية واشواهد العينية وانقصائه لشعرية ، والوارث الشرعية ، وخاصة في الأجزاء الأخيرة منها ، منذ فشل حصار المهديّة والهرب من القبروان نحو الراب وبلاد القبائل الكنانية . فالحصار يضيق على العسكر العاطس بالقبروان الى حد عودة الحامد الراجل الذي فشل حليل بن اسحق في إطلاقه ، كما فشل هو نفسه في لسس الدرع وركوب المرس (ص ٩٤) . وأخيرا مات حليل (آخر يعقوب صاحب مغامرة بغداد) واقعا رغم اصابته بـ ١٨ ضربة ، في ٢٣ صفر ٣٣٣ هـ / ١٧ أكتوبر من ٩٤٤ م ، كما وقع الكتاب الموجه من القائم الى قبائل لهيصة للحضور لتجسة المهديّة ، بين أيدي الناصر الذي عرف موقف القائم الصعب ، فعجل باهتبال الفرصة وأسرع نحو المهديّة لحصارها (ص ١١٢ - ١١٣) .

وبمناسبة الانتصار على الناصر الرناتي ومقتل أهل القبروان الذين كانوا معه ، أنشأ الداعي الأجل جعفر بن منصور اليميني (الحسن بن فرج ابن حوشب) قصيدة ، يؤمن فيها على حتمية انتصار الامام على أعدائه ، منها :

سيهزم الجمع اذا جازوا لحربكم والمارقون فقد خابوا وقد خسروا
فان وعده أمير المؤمنين لكم حق به جاءت الآيات والسور

مقتل ميسور - علم الحدثان :

أما عن مقتل القائد ميسور الفتى بالقبروان (ص ١٠٥) فانها تصبح مشكلة عندما يعود الى الظهور في فاس ولا بأس أن يكون شخصا آخر اسمه مسرور (أنظر فيما بعد ، ص ٥٣ ، ١٩٣ وهـ ٢) أما عن النصر الذي حققه المنصور ، فكانه المهدي يعرفه واسماعيل حنين في بطن أمه ، اذ كان يتابعه قائلا : « كاشف المحنة ومطفى نار الفتنة » (ص ١٦٢) . وعندما يضيق الحال بأبي يزيد ، يوجه ابنه الى الأموي بالاندلس يستنصره (ص ١٨٨ ، ٢٠٠) .

شجاعة المنصور :

وأعمال الامام الحربية وشجاعته الفردية لها طابع مقبي ، فهو يخرجه

بنفسه لابسا لامته منقلدا سيف الله وروحانية دا العقار ، ويأخذ الرمح
بسميته ، ويعتقل درفة على يساره ، ويتمادي الى قصر اعدو (ص ١٨٥) -
وهريمة النائر يوم الجمعة بالقيروان موثقة بالرسالة الموجهة الى أمير المؤمنين
القائم (الذي أحفيت وفاته) وهي بتاريخ ٢٩ ذى القعدة سنة ٢٣٤ هـ /
٤ يولية ٩٤٦ م ، والداعي أدريس يفصح هنا عن مصدره ، وهو « سرية
المنصور » لأبي نصر الذي ما زال مجهول الهوية . والامام وهو يطارد
أبا يزيد في المرحلة الأخيرة ، يلبس جوشنا فوقه خفتان أحمر مثقل بالوشى ،
ويعتمر عمامة صفراء . ويبلغ النصر في المعسكر أثناء المطاردة الى حد انعدام
العلف ، حتى بلغ ما نحتاجه النهاية من التشجير ١/٢ دينار من الذهب ، وبيع
الزيت دينارا ٠٠٠ حتى مات أكثر الخيل والجمال (ص ٢١٩) .

نهاية أبي يزيد :

وأخيرا يلجأ أبو يزيد الى قلعة كيانة ، وبعد قتال ليلى على ضوء
المشاعل ، يقوده المنصور وهو في ثوب أحمر موشى ، مذهب الآلام ،
وعمامه حمراء معلمة الطرفين مذهبه ٠٠٠ ، يقع النائر المثخن بالجراح أسيرا
(ص ٢٦١) . وكتاب الامام الذي يحسن بشاره العتق مؤرخ في ٢٥ محرم
سنة ٣٣٦ هـ / ١٨ أغسطس ٩٤٧ م (ص ٢٦٧) . اما عن سيطرة النائر
فقد انتهت بافحامه واقامة الحجّة عليه ، فقد سئل : تشبستم على
ابن أبى طالب ! فأجاب : معاذ الله ٠٠٠ نحن حزبه ، فرد عليه الامام :
الله مؤيده . وسئل : ألم تشبستم من هو خير من خيرات علي ؟ (البى) ،
فأجاب : معاذ الله ٠٠ كان كريما حوله قوم سوء . اما عن ارتكاب
المحارم ، فكان جوابه : انها من قوم سوء اتبعونى (ص ٢٧٠) .

الرسائل الرسمية والخطب المنبرية :

والى جانب المعلومات التاريخية فان الرسائل الرسمية والخطب المنبرية
تفيد الدارس من حيث تعريفه بالتراتب الدىوانية الخاصة بها من البدء
بالبسملة ثم الحمدلة والتصلية والتوصية ثم موضوع الرسالة أو الخطبة ،
ومكان الكتابة وتاريخ الرسالة .

وتنتهى عيون الأخبار باقامة المنصور بالمهدية الى سلخ صفر ، ثم
استعماله لعبده جوذر على المهديّة ، والانتقال الى المنصورية فى ربيع الأول
سنة ٣٣٧ هـ / سبتمبر ٩٤٨ م .

وهكذا يحتوى الكتاب على روايات تفصيلية دقيقة عن الصراع ضد الزنانية ، لا يقلل من قيمتها تلك النزعة المنغبية الخاصة بأعمال الأئمة وخاصة المنصور بطل النصر ، الى جانب بعض القصص الشعبية (الفلكلورية) كذلك الذى يعالج مغامرات يعقوب بن اسحق .

هذه المجموعة من الكتب الاسماعيلية الفاطمية تعتبر المصدر الاساسى للفترة الاولى من تاريخ الدولة الفاطمية ، فترة التأسيس فى المغرب ، وعنها نقل كبار المؤرخين من اصحاب التاريخ العام ، مثل : ابن الأثير والنويرى ، وابن خلدون ، أو اصحاب تاريخ المغرب الخاص مثل : الرقيق القيروانى (الذى يأخذ عنه الكثيرون أيضا كابن الأثير والنويرى وصاحب العيون والحداثى وابن خلدون) وابن حماد وابن عذارى . وما يسترعى الانتباه ان تلك المصادر الشعبية كانت رافدا لكتب الأباطنية الخوارج ، مثل : سيرة أبى زكريا الوردجاني وطبقات الدرجيني وسير الشماخى .

من كتب الأباطنية :

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت حوالى ٦٧٠ هـ / ٧١ - ١٢٧٢) :

والدرجيني ينتسب الى مدينة درحين ، إحدى قواعد الأباطنية ، فى بلاد الجريد قرب نفطة ، له كتاب الطبقات (طبقات المشايخ بالمغرب) الذى نشره مؤخرأ إبراهيم طلائى ، البليدة (الجزائر) فى جزئين ، أولهما بمثابة عرض تاريخى لجماعات الأباطنية فى المغرب مع بيان نظمهم وتراتيسهم ، والثانى فى طبقاتهم المنتظمة فى اثنتى عشرة طبقة . والكتاب يعتبر تكملة لكتاب السير لأبى زكريا (٣٧) -

(٣٧) انظر موتيلينسكى ، ثمت مصادر بلاد المزاب (المزاب) ، كت المذهب الاصى ، بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٨٥ (Motylinski, Bibliographie du Mزاب) ص ٢٦ - حيث :الإشارة الى كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، تأليف المسيح أبى زكريا يحيى بن أبى بكر الوردجاني ، وحيث يقول موتيلينسكى انه اطبع على النسخة التى عملت عليها نسخة مسكراى (Masqueray) الجزائر ، ١٨٧٨ ، وأنه استطاع أن يحسن النص وأن يحل الأخطاء الرئيسية المتفصلة مع نسخة أخرى ، مع جمع أقوال أبى زكريا من كتاب الطبقات ومن سير الشماخى - وعن التعريف بكتاب أبى زكريا ، مخطوط دار الكتب المصرية ، انظر كتابنا فى تاريخ المغرب العربى ج ١ ، ص ٣٨ - ٤٠ .

التحقيق :

والظاهر ان المحقق رأى ان يشير المحطوط دوسا تغيير او تعديل فم يصح أسلوبه ولم يحقق موضوعه ، نزاهة من جانيه أو احتراماً للنص الذى يمتس ان يكون أصلي رغم ما فيه من العيوب الاملائية والنحوية أو اللغوية والموضوعية . فعلماء المذهب من البربر المسعربة الذين قد لا يجسدون اسغه العربية ، والمثل لذلك شيوخهم واشهرهم : أبو زكريا الذى امتنع مشساين (عزابة) جربة من ارسال كتابه « سير الأئمة » الى مشايخ عمان لتعريفهم - بناء على طلبهم - « بسير الأخوة الأوائل فى المغرب ومناقب أسلافهم » اد « وجدوا انه ليس كاملا (رمنيا) وان أسلوب المؤلف يظهر فيه الأثر البربرى ، وعدم الدراية بالنحو والمصطلحات العربية » . ورغم النص على أن ذلك كان السبب فى التفكير فى كتاب يحوى تاريخ الأئمة الرسومية ومناقب الفقهاء القدامى ، ووقع الاختيار على الدرجيني للقيام بهذا العمل ، فكان تأليفه لكتاب الطبقات (٣٨) ، فلا بأس أن تكون الأخطاء اللغوية والاصطلاحية من قبل النساخ .

الأخذ عن أبي زكريا :

والدرجيني عندما يعرض لأخبار عبيد الله (عبد الله) المهدي وظهوره فى المغرب يعتمد اختزال رواية الشيخ أبي زكريا الوردلاني والنقل من كتاب الرقيق (ج ١ ص ٩١) . والأصل فى الحقيقة هى الرواية الشيعية المنقوبة للداعى جعفر ، فيما يتعلق برحلة المهدي الى سجلماسة (٣٩) . فهو عندما يعرض لأخبار أبي يزيد ، صاحب المسار ، يعبر عما يكنه الوهبة لآخوانهم الأعداء من الكارية (الأباضية) ، اذ يصف أبا يزيد بـ « الناكثي » وان ظهر بمظهر الخير فى التاريخ لسيرته ، حيث يهتم بالتفصيلات الصغيرة عن أصله عند الرقيق ، ويقول عن مسكنه بقلعة سدادة من تقيوس (تقيوس) بانه وهم أو غلط (ج ١ ص ٩٦) . اما عن فكرة الثورة فقد أثنه وهو لاجئ فى مصر - وهو الأمر المستغرب - وذلك عندما نظر اليه رجل من أهل مصر وقد حلق رأسه ، وقال له : غط وأسك أيها الثائر - فكان حلق الرأس الذى عرف به الخوارج فى المشرق والذى كان عادة من عوائد البربر ، كان

(٣٨) انظر موندلسكى ، كتب المذهب الإباضى ، ص ٢٩ .

(٣٩) ج ١ ص ٩٢ - حيث السكتى فى السار العالية ، ورؤيا الثمان العظيم الذى تعبر

عن شخصية الامام العامة .

قد أصبح شعاعا للثورة . هذا ، الى جانب ما كان قد طوّل به في بعض البلاد التي سلكها في مصر أيضا ، بمكس (ضريبة مرور أو « نراسيت ») فاستعظمه (ج ١ ص ٩٧) .

أخبار أبي يزيد :

وقصة هرب أبي يزيد من سجن توزر من النوع الروائي المثير ، وهي تذكر بقصة هرب يعقوب بن اسحق من سجن بغداد بعد أن قضى به ١٤ عاما ، مما سبقت الإشارة اليه في عيون الأخبار للداعي أدريس . والرواية هنا تقسم أدوار تخليص أبي يزيد من سجن توزر على ٤ (أربعة) مسلحين بالسيوف ، واحد يقف على باب المدينة (ليضمن عدم اغلاقه) . و٣ يذهبون الى السجن ويكسرون يابه ويقتلون السجان . وأحدهم يحمل أبا يزيد في كبوله والآخرون يسير أحدهما أمامه والثاني خلفه ، وهما يقتلان كل من يتقدم نحوهم . وتنجح الجماعة في الوصول الى جبل أوراس حيث يحاصرون هناك لمدة ٧ سنوات - مما يذكر بحصار عبد الرحمن بن رستم في جبل تاهرت - حتى قال قائلهم ، لما نزل بهم من الشدة والضرر « جبل لا يصعد ، ومطر سكب ، وفنى مستقصى (القائم) وشيخ (أبو يزيد) لا ينثى ، ونحن المبتلون » . وهذا الحصار المحكم لا يفك الا بحيلة غريبة من تدبير أبي يزيد ، لا ندري مقدار نصيبها من الصحة أو الخيال إذ تطلبت في وقت الشدة هذا ٥٠٠ ثور توضع في قرونها وذيلها الحلفاء المشتعلة ، ويقودها ٥٠٠ من الشجعان لكي تكتسح عساكر الأعداء - والحقيقة ان الى جانب القصص المستطرفة يهدف المؤلف الى اعطاء العبرة والموعظة عن طريق المثل والرمز . فعندما يفكر أصحاب أبي يزيد ، بعد فك الحصار ، في النار من الوهبية تقتل زعيمهم الأول ابن فندين ، يقول لهم : « ان نحن تخلصنا وتفرغنا من نسج الكساء ، اشتغلنا بقلبه » (ج ١ ص ٩٩) .

ووزير أبي يزيد ، وهو أبو عماره (أبو عمار الأعمى) يستخدم في فتاواه رموزا قليلة ودمنة ، مما يحض على القتل وسفك الدماء ، مثل : « ليس أرواح للقلب من قتل عدو ، وان بلغ من الضعف النهاية » (ج ١ ص ١٠٠) .

خلط الرواية المنقبة بالخبر العادي :

والدرجتي هنا يخلط الرواية المنقبة حينما بالخبر المعادي للأخوة

الأعداء من الكارية أحيانا . فتحريبيهم للقيروان لا يعادله الا أفعال نافعة .
ابن الأزرق القديمة (ج ١ ص ١٠٠) - وهكذا كان عدد القرى التي خربت
على يديه ٣٠ (ثلاثين) ألف قرية ، وهو نسبيا ، عدد فلكي ، كما نظن .
أما عن القسوة والفجور وأنواع الفساد التي تمت على أيديهم فلم تفعله
ولا ملوك الكفار (ج ١ ص ١٠٠) .

وهو بين ذلك يأتي برواية مثقمية ، مثل : و « كان (أبو يزيد) ،
في هذه الحركات كلها - يركب على حمار أوتي به من مصر ، فكان يعجز
الحيل أن مشى وعدا ، (ج ١ ص ١٠٠) . والمعروف أن كلمة « الحركات »
تعنى الحملات ، وهو مصطلح ظهر في المغرب في وقت متأخر على عهد
الموحدين ، أما نسبة حماره الى مصر التي اشتهرت بمواقف الحمار التي كانت
تؤدي للناس خدمات أشبه ما تكون بخدمات النقل العام في المدن الحديثة ،
الأمر الذي كان يثير عجب الرحالة المخاربة ، فهي غير صحيحة إذ المعروف .
أن أبا يزيد أهدى اليه حماره الأشهب الذي نسب اليه ، عندما دخل مدينة .
مرما جنة . على حدود بلاد الزاب .

تحريف الروايات :

ومن الروايات التي ظهرت محرفة في عدة أشكال ، تلك التي تقول .
أن « عزابته » (أي الشيوخ من أصحابه وتلاميذه) أخذوا صبيتين جميلتين ،
وأنه عندما حضرت أمهما اليه يقول له انهما (ابنتيهما) حرتان ، قال لها :
وهل في أفريقية حرة ؟ الأمر الذي أدهش المرأة وجعلها تخاف على نفسها .
فهربت (ج ١ ص ١٠٠) . والرواية هنا تحورت عما كانت عليه في أواخر
القرن السادس الهجري / ١٢ م ، يعنى قبل مائة سنة ، من حيث أن الثي
كان يبحث عن ابنتيه هو أبوهما الذي كانت قد صودرت أمواله ، والذي وجد
ابنتيه معا على قراش أبي يزيد ، وإن أبا يزيد فسر استحلاله لهما ب « ملك -
اليمن » (الاستبصار ، ص ٢٠٦) - يعنى بالسبي ، فكأنه يكفر المسلمين .
ويستحل دماءهم وأموالهم .

الحدثان والقصص الشعبي :

أما عن حصار المهدي فحصب قصته علم الحدثان حيث تقول الرواية
الماطمية بانتهاء الثورة عندما يصل أبو يزيد إلى باب المدينة ، وهي الرواية
التي تحولت عند الدرجيني إلى قصة شعبية ، تقول « أن أبا يزيد يخيب إذا ضرب .

فى ذلك المصراع ، ويصيب ان ضرب فى المصراع الآخر » ، وان المدافعين
على أسوار المدينة كانوا يرون ذلك حتى ان بعض من فى البرج قال لأبى يزيد :
« أخطأت يا شيخ » . ومثل هذا يقال عن قصة أسر أبى يزيد التى تأخذ
شكل « فلكلوريا » هى الأخرى ، اد نجعل الأسر بعد هزيمة القيروان مباشرة ،
كما يجعل من أبى يزيد الشعب من الجراح يلقى بيده على أحد الجنود الفاطميين
ممن كانوا يتبعونه ويقول له : « خلصنى ، أنا أبو يزيد » (ج ١ ص ١٠١) .
وهنا يرى أنه لا بأس فى أن تكون تلك القصة رمزا لفكرة رفض التبعة
(أى الستر والكتمان) عند المتشددى من الخوارج . هذا ، كما ان قصة
قتل رجال الفضل ابن أبى يزيد بأيدى المراتيين ، حلفاء الوهبة ، تبين
ما كان يضمره هؤلاء من الحقد على النكار (ج ١ ص ١٠١) ، الأمر الذى يعنى
الوقوف الى جانب خصومهم الفاطميين ، وهو ما يظهر فى قصة الشيخ
أبى القاسم الذى كان اتيرا لدى المعز بدين الله (ج ١ ص ١٢٣) .

وهكذا تتمثل أهم سمات الرواية الأباضية فى تطور الروايات
التعبية الفاطمية فيها ، من مفييه وأخباريه حقيقيه الى قصص أسطورية
وخرافات شعبية ، وهو الأمر غير المستغرب طالما كانت الكرامة هى السمة
الميرة لمشايع المذهب .

المحبس لابن خيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) :

الجزء الخامس ، نشر . ب شاليت . (Chaumeta) وف . كوريطي
(Corriente) وم . صبيح ، المعهد الأسباني العربى لثقافة - مدريد -
كنية الآداب بالرباط .

العلاقات الأموية الفاطمية :

وهذا الجزء يتناول أحداث الأندلس على عهد عبد الرحمن (ابن محمد)
الناصر ، لمدة ٣٠ سنة ، من ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م . والمهم
بالنسبة لموضوعنا فيه ، هو العلاقات بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى
المغرب ، والتى تتمثل بشكل خاص فى الصراع بينهما من أجل الهيمنة على
المغرب الأقصى الذى أصبح ما بين الأندلس الأموية وأفريقية الفاطمية ، وكأنه
أرض حرام فاصلة ، أو جبهة قتالية بين جيشين متواجهين ، يمكن لأى منهما
أن يجوبها فى أى وقت .

وكان من الطبيعي أن تؤدي العلاقة الحربية العدائية بين الدولتين - في سبيل السيادة على المغرب الأقصى - إلى محاولة اكتساب الطرف الثالث التمثيل في قبائل المغاربة من البربر ، وخاصة الزناتية ، عن طريق الترغيب والتهديد بالمال والسلاح أو الدعاية .

الدعاية والدعاية المضادة :

وفي مجال الدعاية والدعاية المضادة لها اتخذ الأمر من جانب الأمويين . على عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، شكل هجمة دعائية مناضة للفاطميين أشبه بعملية إحياء لذلك الصراع القديم بين العلويين والأمويين ، الأمر الذي أدى إلى تبادل اللعنات من أصلى المنابر^(٤٠) ، وكذلك الصراع بين الأمويين والعباسيين الذين استحوذوا على الخلافة المروانية . وهكذا لم يكتف عبد الرحمن الناصر باتخاذ اللقب الخلفي في قرطبة بل انطلقت أبواق الدعاية الأموية في الأندلس والمغرب تطالب باسترجاع أملاك خلافة دمشق من بين أيدي مفتصبيها علويين كانوا أم عباسيين .

موقف أمراء المغرب :

فالناصر يسمى عبيد الله المهدي باليهودي (ص ٢٥٩) ، وكذلك أمراء المغرب المواليين له ، مثل الخير بن محمد بن خرد الذي يطلق أيضا على تاهرت التابعة للفاطميين اسم « دار المشركين وماوى الملحدين » (ص ٢٦٠ ، ٢٦٢) . وإذا كان من الطبيعي أن يسخر أكثر الإدارسة الحسينيين في دعوة عبيد الله « الضالة » ، انحرافا عن بني أمية للأحقاد القديمة (ص ٢٦٢) ، فمن الغريب أن بعضهم مثل : إدريس بن إبراهيم السليمانى الحسنى ، أمير أرشقول ، دخل في طاعة الناصر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، وصار في أهل ولايته (ص ٢٦٢) - ولا بأس أن يكون ذلك من قبل العلويين الحسينيين نوعا من سياسة التوازن ، التي لا تقطع الجسور تماما مع الطرفين المتصارعين على بلادهم . وإن كان إدريس بن إبراهيم هذا ، قد بالغ في محاولة التقرب من الأهوى عن طريق المقالة في الاسفاف في شتم ابن عمه ، والادعاء بأنه السبب فيما صار إليه أمر الحسينيين من الفرقة . ففي فصل من كتابه إلى

(٤٠) وهو الأمر الذي استمر عليه الأمويون في دمشق إلى خلافة حماد بن عبد المزين الذي حمل مكانه على « إله الله يأمر بالعدل والإحسان وإتساء دي القرى ويهيى عن الفحشاء والمكر والهمى » الآية ، انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٩٩ تحت عنوان : « ذكر ذلك سبب أمر المؤمنين على عليه السلام » ، ج ٥ ص ٤٢ .

عبد الرحمن الناصر ، يقول ادريس : « قد انتهى من أمير المؤمنين سيدي
مباعدني بلذلب اسوء اليهودي احسري ، المبذل لدين رسول الله ، صلعم ،
المعس الكفر ، الجاحد للتترييل ، وفيامي مع ابن حرر ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ »
(ص ٢٦٣) فكان الرجل أصبح ملكيا ، نثر من الملك ، كما يقال الآن .
وهو في فصل من كتاب آخر يحاطب الناصر ، سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م ،
قائلا : « كنا أعزك الله ، ٠٠٠ أهنا رجل واحد ، محمد بن سليمان ٠٠ الى
أن فرق الله ملانا بقيام هذا الدعى الغوى ، صاحب افريقية ، وافنتان أكثرن
بالتعصب له ، ٠٠٠٠ وعصمنى بولاية أمير المؤمنين ٠٠ فنبأوا (بنو عمه)
منى ، والمتوكل بتأليبهم على : محمد بن ادريس ، وابن أخيه الحسن بن عيسى
المعروف بابن أبى العيش ، الادريسيان ٠٠٠٠ ، ومنهم القاسم بن ابراهيم
والحسن بن عيسى (٦٣ - ٢٦٦) » .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يغالى غير العلويين من أمراء المغرب فى
سباب عبيد الله ودولته ، ويبالغ فى مديح الناصر وعثرته . فمن فصل فى
كتاب محمد بن حزر الزناتى ، الى الناصر يقول : « ما قمت بدعوتك الا
تقربا الى الله تعالى ، وتوصلا الى قتال كفار المشارقة ٠٠ فانك يا أمير
المؤمنين ، ولى كل بربرى على الأرض ، اذ بنى أميه هداهم الله للإسلام ٠٠٠
فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله موليها ، ثم لا يقبل الله
له صدقا ولا عدلا ٠٠٠ » (ص ٢٦٦) ، فكان الخليفة الأموى القرطبى قد
ارتقى فى سلم الولاية والطاعة الواجبة له الى مرتبة المعصوم الفاطمى من
آل النبى .

فتح سبته والدعاية الأموية الأندلسية :

والهم انه ابتداء من فتح سبته (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) (ص ٢٨٧) ،
وتوطيد أقدام الجيوش الأموية على ساحل العدو الأفرقية بدأت لهجة
الخطابات المتبادلة بين الناصر وأمراء المغاربة من البربر تتناول موضوع
الخلافة الأموية الوطنية كحكومة مركزية وحيدة للمسلمين ، من وجهة النظر
الشرعية (القانونية) على الأقل . ففي الوقت الذى ينص ابن حيان على
نفور أمراء الحسينيين (الأدارسة) من عبور سلطان الأندلس الى عدوتهم ،
ومحاولة زحفهم الى سبته واخفاقهم يسجل فصلا من رسالة بنى محمد بن
ادريس الى الناصر ، فيه : قمرنا بما أحبب ، ونامض بنا من أردت ، فنحن
جندك على أعدائك ٠٠ ولك العهود المؤكدة بالوفاء ٠٠ لأننا لم ندخل البلد عن
افتتاح افتتحناه ٠٠ مع الذى تقدم من فعل جندنا الحسن بن علي ، رضه ،

في التسليم لسلطتك (ص ٢٩٠ ، ٢١٢) - صدر الأدارسة الحسنيين يعترفون بشرعية احلافه الاموية الاولى في دمشق تأسيسا على ساذل جسدتهم احسن لأمويين عن حقه في الخلافة ، كما يعترفون بفاووية سيادة اساصر على بلادهم المغربية ، تأسيسا على انهم ، بصفتهم عرويين هم يقوموا بفتح تلك البلاد ، ذلك الفتح الذي هم على ايام الأمويين في دمشق ، وبمشاركة أشهر ملوك المروانيين . عبد الملك .

وهكذا لم يكن من العريب أن يهيب عبد الرحمن الناصر الفرصة لكي يشيع بين الملوك البربر من انصاره ، الوهم بأنه يعد العدة لطلب دولة اسلافه الأمويين (ص ٣٠٥) ، فكان الأمر يتعلق بعلم حدثان أموي معاكس لذلك الذي أقام عليه الفاطميون دولتهم في المغرب ثم في المشرق - والأمر الغرب أن الأمويين بالأندلس وقتئذ استندوا على نفس الأسس التي طالب بها الفاطميون عندما دخلوا مصر والتي تتمثل في عجز خلافة بغداد عن حماية الحرمين ، وتأمين فريضة الحج من الخطر القرمطي ، وهو الأمر الذي يأتي في مقدمة برنامجهم السياسي . وفي خطاب من الزعيم المكناسي ، موسى بن أبي العافية إلى الناصر ، يشير إلى أن الحدث الجلل في المشرق ، الذي يمثل في استباحة القرامطة للكعبة وانتزاعهم الحجر الأسود من ركنه (سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) بعد سنة واحدة من اتخاذ الناصر للقب الخلافة ، يسمح لهذا الأخير في السعي لاسترجاع ملك آبائه هناك (ص ٣١١) - ومن فصل في كتاب آخر من قبل موسى بن أبي العافية ، يدعو الزعيم البربري إلى : « محاهدة هؤلاء الخنازير ... الذين يجحدون نبوة محمد ، ويتأولون كتاب الله تعالى على غير تأويله ، ويستحلون المحارم ، ويرتكبون الفواحش جهارا » (ص ٣٧٣) ، فكانه لا فرق بين الفاطميين والقرامطة من حيث أنهم جميعا اسماعيلية ، أبناء مذهب واحد .

الوجه الحضاري لكل من المغرب والاندلس :

والذي يسرعى الانتباه في تلك المراسلات بين ملوك البربر المغاربة وبين الناصر ، إلى جانب الولاية للناصر والحث على جهاد خصومه العلويين وأتباع مذهبهم ، هو الوجه الحضاري لكل من المغرب والاندلس الذي تكشف عنه تلك الرسائل ، ممثلا في الهدايا المتبادلة بين أمراء المغاربة من الأولياء ، وبين الخليفة الأنديسي . فهدايا المغرب تتركز في : « الخيل العدوية » (ص ٣٦٥ - هسدية الحسن بن عيسى الإدريسي) ، والنجب ودرق اللمط ، والافراس ، إلى جانب ، وحوش الجنوب السوداني من : الأسود والسباع

والدعائم (السعام) (ص ٢٦٨ - عن هدية محمد بن حرر) . أما عن هدايا
الناصر ، من إنتاج الأندلس - مما كان يباهى به المعز (في المجسالس
والمسائرات) - فتتمثل في : الملابس السنية من طرازه الخاص ، والتي يصل
عدد قطعها الى خمسين قطعة فائقة القيمة ، والسيوف من جنس الأمرنجيه
المحلاة بالفضة والمنقوشة بالذهب ، الى غير ذلك من مناطق الذهب المظلومة
باللآلئ الكبار والتراجم المزيّنة بأحجار الياقوت الرفيعة القيمة (ص ٢١٨ -
عن هدية الناصر الى محمد بن خزر « الزناتي » ، وص ٢٩٩ - عن هدية
الناصر الى ابن خزر ومنصور بن سنان) .

هذا ، الى جانب المعونات التي كان يطلبها أمراء المغرب من خليفة
قرطبة ، مثلما فعل ابن أبي العافية عندما طلب ببناء مدينة في ساحل
أرشقول ، فأرسل له مهرة العمال والعرقاء ، الى جانب ما طلبه الأدارسة من
ارسال طبيب مداء ، وهو الأمر الذي يعني أن المغرب حتى ذلك القرن
ال ٤ هـ/الس ١٠ م ، لم يكن مستغلا حضاريا عن الأندلس التي كان لها
نفوذها المدني والثقافي في العدة المغربية حتى قيام الدولتين : المرابطية
والموحدية ، وهو الأمر الذي أصبح موضع جدل بين شباب علماء المغاربة
الآن ، وهو الأمر الذي ما زال في حاجة الى مزيد من البحث والتقصي لحسمه
لصالح المغرب ، عن طريق الاتيان بالشواهد والبيّنات الجليّة ، اذا أمكنهم
ذلك .

البيان لابن عذارى المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) (٤١) :

يعتبر كتاب البيان لابن عذارى ، رغم تأخره النسبي مبيدا حتى
بالنسبة لأقدم فترات تاريخ المغرب الاسلامي ، من الفتح الى قيام الأغالبة
والفاطميين ، وحتى قيام المرابطين والموحدين وبنو مرين - وابن عذارى من
هذا الوجه مؤرخ موهوب ، يفهم التاريخ على أنه التاريخ الشامل بمعناه
الحضاري الذي يجمع ما بين أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ،
فكانه في أحوال العمران والاجتماع الانساني ، كما عند ابن خلدون ، وهو
في الحقيقة من مصادر ابن خلدون الذي أضرب عن ذكره في بعض الأحيان ،

(٤١) البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ١ (من الفتح الى العرب الرابع الهجري / ١٠ م)
محقق ومراجعة ج . س . كولان ، أ . ليفي بروكسسال ، دار الثقافة ، بيروت . وكذلك ط :
مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ - التي سمعتها مرة د . د . بيروت .

وابن عمه رى يحسن اختيار احباره في مثابها ، الأمر الذى جعل بيانه وثيقة تاريخية لا يستغنى عنها مؤرخ المغرب بأسسبه لى عصر من العصور . فرغم ان مشروع البيان كان القصد منه كتابا مختصرا ، فان المؤلف جمع بهذه روايه من الكتب الجليله ، معتظفا عيونها ، مقتصبا فنونها ، وواصل الأحداث بعضها ببعض من قديم وحديث (خطبه الكتاب ، ص ٢) .

وجهه النظر السنية :

وروايه ابن عذارى ، فيما يتعلق بالعصر العاطمى ، تاحد بوجهه النظر السنيه المعاصره لدوله الشيعيه الاسماعيليه ، ومع ذلك يهى نصف بالاسرار من حيث انها تجميع بين الأخبار الشيعيه الأصلية المستفاده من كتب النعمان وغيره من الدعاة ، الى جانب الأخبار الاباضيه المعاديه (من حيث المبدأ) والسببه المنزومه (قبل الجماعة) . فابن عذارى يستقصى كل أخبار العاطميين من شاردها وواردها ، على كل مستوياتها ، من أحداث السياسة والدبلوماسية والمراجع والموايد والوفيات والكوارث الطبيعىة ، وكل ذلك موثق بالروايع الأكيدة ، والتفصيلات المثيرة ، فى توازن بديع . وهو فى كل ذلك لا يغفل عن وجهه النظر التى يسساندها ، وهى الموقف السنى المعارض للتشيع الاسماعيلى . فهو فيما يتعلق بثورة أبى يزيد ونحالفه مع مشايخ أهل السنة بالقيروان يعزف عن الروايات الشيعيه ، ويأخذ بالرواية السنية الخاصة بفقهائهم أهل القيروان وعادهم ، مما فى كتاب ابن مسعودون الذى سماهم رجلا رجلا ، ووصف اجتماعهم فى المسجد الجامع ، وما معهم من الطبول والبثود المكتوب فيها آيات الجهاد (٤٢) .

(٤٢) ح ١ ص ٢١٧ - وابن سعدون هو أبو عبد الله محمد بن سعدون واسم تالفه « مزينة أهل القيروان بما جرى على البندان من صيحات الفتن وتقلب الألمان » وهو معاد للفاطميين تماما . اد يكذب نسب المهدي العلوي ، ويرى انهم قرامطة (ص ٢٨١) ، وهو فى ذلك يقول . انه عندما مات المهدي لم يعرف القارىء ما يد يقرأ ، لأن الحجر الاسود كان لديه « مهديّة منه أن أرسله اليه الحماى القرمطى ، وأن القصر طرح حشة لمهدي عدة مرات حتى رد اسم البائم الحجر الى موضعه (ص ٢٨٤) - والمعروف أن لدى سنى من ر الحجر هو لصيدور بن القاسم سنة ٣٣٩ هـ . وتسمّر رة ية بن سعدون المعاديه حتى حلاقة عبد المجيد بن المستنصر ، وحتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م . أما عن دعوى القيروان فراجع ابن عذارى هو ابن شرف (ص ٢٨٨) .

كشف السياسة الفاطمية المفروضة :

وابن عذاري يعمل على كشف سياسة القاطمين المفروضة - فعلى المستوى السياسى يبين كيف أمر المهدي بقلع اللوحات التذكارية التى وضعها الأغالية على مبانيهم وكتب عليها اسمه (ج ١ ص ١٥٩) . وفى السياسة الدينية يوضح كيف أظهر المهدي التشيع القبيح ، وكيف أنه مذهبه خالف الستة من حيث سقوط يمين الحنث عن طلق البنة واحاطة البنات باليراث . كما يورد الشعر الذى يعبر عن الغلو فى تعظيم المهدي (انظر ج ١ ص ١٦٠) . وفى تبجيل المهدي وعصمته يتكلم عن علم الحدثان الذى كان يعرفه (ص ١٦٠) ، حتى بلغ الأمر حد تعظيم خيل المهدي الى قيل ان اروائها وابوالها طاهرة (ص ١٨٤) .

المالية :

وفىما يتعلق بالسياسة المالية المتشددة التى اتبعها المهدي ، ينفرد ابن عذاري بالرواية التى تقول ان عبيد الله أمر بان يكون الحاج عن طريق المهديّة لأداء ما عليهم من الضرائب ، بينما الطريق السوى الى الحج هو طريق مصر وليس طريق المهديّة (ج ١ ص ٨٦) .

هذا فيما يتعلق ببيان ابن عذاري عن المذهب الفاطمي ومؤازرته لأهل السنة . أما عن تبيين أخباره التاريخية القيمة فهو ما يظهر على طول الكتاب بالنسبة لأفريقية وأخبار صقلية بخاصة ، حيث يقدم معلومات مذهشة لا تتوفر لها نظير فى غيره من المصادر . وابن عذاري يستقصى أخبار صقلية على طول السنين ، ويكاد يجعل منها حوليات متكاملة منذ ثورة ابن قرقب ، عميل بغداد سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م (ج ١ ص ١٦٨) الى الانقلاب سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م (ج ١ ص ١٧٤) ، والغارات على جنوب إيطاليا فى سنوات ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، ثم فتح جنوة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م أول ولاية القائم ثم الاضطرابات التى عرفت بها صقلية ما بين ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م ، ٣٢٩ هـ / ٩٤٨ م ، أثناء ولاية خليل ابن اسحق القاسية التى ألجأت الكثير الى الفرار الى بلاد الروم والتحصن هناك (ج ١ ص ٢١٥) .

الثورة الكتامية :

ومن أحداث العهد الزيرى التى يوردها ابن عسّادى ما يشبر الغرابة

حقا ، مثل ثورة أبي اعهم الخراساني الداعي بكثامة ، الذي ضرب السسكة واتخذ القود رمز السيادة ، الأمر الذي أدى الى الانتقام منه انتقاما مروعا عندما قتل سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م حيث قتل بجسده فشوت كبده وأكلت ، بل وشرح لحمه وأكل من قبل عبيد الأمير (ج ١ ص ٢٤٣) ، الأمر الذي يجعلنا نفكر فيما اذا كان عبيد المنصور الزيري من السودان هؤلاء قد استجلبوا من بلاد أكلة لحوم البشر - أم أن في الأمر مبالغة اقتضتها فكرة النار من العدو بلوك كبده ، مما في الشطرة الأولى من الخبر المروع .

المعز ونهاية التشيع :

وتبين رواية ابن عذارى أن ولاية المعز بن باديس كانت بمثابة بداية النهاية بالنسبة للمذهب الشيعي في بلاد القيروان ، ابتداء من سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م حيث مقاتل الشيعة ، أما عن قطع المعز بن باديس للدعوة الفاطمية من أفريقية (ص ٢٧٤) فيضج لها تاريخين أولهما في سياق أحداث ٤١٧ هـ / ١٠٢٤ م (ص ٢٧٣) وثانيهما ، وهو الأقرب الى الصحة على ما نرى ، سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م (ص ٢٧٧) . أما عن وصول العرب الهلالية الى القيروان فكان سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م (ص ٢٨٩) - وهو الأمر المتفق عليه - والروايات هنا عن قطع الخطبة وما يتبعها من تبديل السكة وولاية العهد لشمس بن المعز بن باديس ، كلها متقولة من ابن شرف (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، وكذلك الأمر بالنسبة لغارات الهلالية على بلاد القيروان ، وهزيمتهم لعسكر المعز ، التي كانت موضوعا ملحميا لشاعرهم علي بن رزق (ج ١ ص ٢٩٠) .

وفي سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م كان انتقال المعز الى المهدي تاركا القيروان لينهبها العرب (ص ٢٩٤) . أما عن دخول النصارى (الصقليون) الى المهدي سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وما فعلوه فيها من القتل والاحراق فقد استوعب ذلك أبو الحسن الحداد في قصيدته التي أولها .

غزا حمانا العدو في عدد هما السما كثرة أو اللحف
جاءوا عسلى غرة الى نهر قد جهلوا في الحروب ما عرفوا

(ج ١ ص ٣٠١)

أما عن المرابطين فيرجع ابن عذارى الى كتاب (الأنوار الجنية في الدولة المرابطية وكذلك : نظم الجمان في أخبار الزمان) لابن القطان ، الى جانب

كتاب البيهقي وكتاب ابن صاحب الصلاة ، وحى فى تاريخ الموحدين ، أى فى فترة « الطاولة » وهى الصراع بين الدولتين : المرابطية الرائدة والموحديّة المفضلة .

البكرى (أبو عبيد عبد الله - ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

تعتبر القطعة من كتاب المسالك والممالك ، فى وصف إفريقيا الشمالية للبكرى (شر دى سلان De Slane ، الجزائر ، ١٩١١) ، أهم وثيقة معاصرة لحركة المرابطين فى بداياتها الأولى فى صحارى المغرب الأقصى على عهد الفقيه المسالكى عبد الله بن ياسين (بعد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ص ١٦٤) وحى سنة ٤٦٠ هـ / ٦٧ - ١٠٦٨ م ، حيث كان أميرهم : أبو بكر ابن عمر (ص ١٧٠) .

مشرح الأحداث المرابطية :

ورواية الشكرى الجعراڤى ، تقدم وصفا رائعا لمسرح الأحداث المرابطية ، على طول الطريق من وادى درعة الى الصحراء وبلاد السودان ، مركز على طبيعة الصحراء التى تسدأ من وادى تارجا حيث التكوينات الصخرية الشبيهة بالصفاة التى يتجمع فيها الماء غير العذب (ص ١٦٣) والتى تتدخلها المجابة الكبرى التى يقطع فيها الماء فلا يظهر الا بعد مسيرة ٨ (ثمانية) أيام ، وذلك فى صحراء قبائل صنهاجة ، على بعد ٤ أيام فقط من أشهر مدن السودان الغربى وقسنط ، وهى مدينة غانة (ص ١٦٤) .

أما عن سكان تلك الصحراء ، وأحوالهم المعاشية ، فاشهرهم بنو لمونة الرجل الذين يجوبون تلك الصحارى على طول مسيرة شهرين فى عرض شهرين (أى حوالى ٣ آلاف كم) ، ما بين السودان الغربى وبلاد الاسلام فى الشمال الافريقى . وبسبب الصحراء القاحلة فانهم لا يسهون الحوت ولا الزرع ، وبالتالى فهم لا يعرفون الخبز ، وهى الأمر المستغرب ، وذلك ان معاشهم على الأنعام ، يأكلون لحومها ويشربون لبنها (٤٣) وفى ذلك يقول البكرى : « ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا آكله الا أن يسر بهم السجار

(٤٣) ص ١٦٤ - وأعداد اللحم منهم يكون تتدفعه ثم طحنه دقيقا يصب عليه اللحم المقداد والسمن ، وشراهم اللبن ، قد غشوا به عن الماء (ص ١٧٠) .

من بلاد السودان أو بلاد الاسلام فيطعمونهم الحُبز ، وينحفونهم بالدقيق «
(ح ١٦٤) .

وبعد خونه تذكر فيبته جسداله ، وبلادهم هي المنطقة من الصحراء
المتاخمة للبحر (المحيط) (ص ١٦٤) - بمعنى انهم يعرفون الصصيد ،
ويمارسون النقل في البر والبحر ، كما تقضى ظروف البيئته وهو الأمر الذي
لم يطرأ اليه البكرى كما لم يطرأ الى ذكر القبائل الأخرى من الملثمين ،
مثل ، مسوفة ولطة .

أما عن ثروات تلك الصحراء ، فهي غنية بحيوان اللمط ، وهو حيوان
دون البحر له قرون منشعبة طويلة (أشبه بحيوان الرنة) ، ومن جلده
تصنع أجود أنواع الدرق (٤٤) . وتكثر بها أيضا دواب الفئك التي تتخذ
منها الفراء الثمينة ، والتي تحمل من هناك الى جميع البلاد (ص ١٧١) -
فكانها « فيزون : Vison » تلك العصور . ويتوفر في تلك الصحراء
الملح في ذلك المنجم (المعدن) الذي يقع على مسافة يومين (حوالي ١٠٠ كم)
من الجابية الكبرى ، وهو يقطع في ذلك المنجم ، كمسا تقطع الحجارة (ص
١٧١) . هذا ، كما تكثر السلاحف هناك قرب جزيرة أيونا وأكثر معاش
أهلها من لحومها لمرط عظمها (٤٥) . ويعتبر العنبر الثمين من أهم ثروات
تلك الصحراء البحرية حيث يوجد على ساحل جدالة ، وخاصة في جزيرة
أيونا (ص ١٧١) .

جزولة ولطة :

وبعد ذلك هناك قبائل جزولة التي ينتسب اليها عبد الله بن ياسين من
جهة أمه ومساكنها في أقصى جنوب الصحراء ، المتاخمة لصحراء غانة (٤٦) .
وتأتى بعد ذلك قبائل لطة (ص ١٦٦) التي تنسب كما نرى ، الى حيوان

(٤٤) ص ١٧١ - وقارن كتاب الاستقصار ، ص ٢٦٤ .

(٤٥) ص ١٧١ - حتى كان الرجل يدخل في محار ظهروها يتصيد في البحر كالقارب -

انظر الاستقصار ، ص ٢١٥ .

(٤٦) ص ١٦٥ - حث قرية تاماناوت مسقط رأس رابدة عبد الله بن ياسين . وقارن
شجرة (محمد عبد الهادي) ، المراتلون ، ص ٢٩ - حث يرى أن جدالة وهي نطق آخر
لجدالة ولا له إلى قد سلق في ذلك جزولة وكرولة ، فكان ابن ياسين من نفس قبيلة
محمي بن ابراهيم - حسما يرى .

النمط - حسب مبدأ الطوطمية - إلا إذا كان الحيوان هو الذى نسب اليها بمعنى الى بلادها ، مع اضافة سرطة ، وتريكة التى ربما كانت أصل الطورق(٤٧) .

النقاب والخفارة والجهاد :

وجميع قبائل الصحراء هؤلاء يلتزمون بوضع النقاب على وجوههم ، وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر العينين (١٧٠) .

وكان نشاط تلك القبائل يتلخص فى خفارة القوافل أكثر من نقل المتاجر ما بين بلاد المغرب شمالا وبلاد السودان الغربى جنوبا ، كما كانوا يشتغلون أيضا بالجهاد فى السودان حيث هلك زعيم لتونة محمد تارشنى ، الذى كان معدودا ، الى جانب جهاده ، من أهل الفضل والدين والحج ، وحيث كانت قد استقرت بعض قبائل صنهاجة ، وهى تعمل على نشر الاسلام السنى هناك (ص ١٦٤) .

وعلى أساس الجهاد ونشر الاسلام السنى ، قامت تلك القبائل خلال القرن الخامس الهجرى/ ١١ م ، بحركة « النهضة » المرابطية التى يحلو لأستاذنا شعيرة أن يسميها بـ « التجدد » حسب المصطلح الخلدونى(٤٨) .

حركة الحق :

وبرى الكرى أن حركة الاصلاح المرابطية هى حركة الحق التى قامت على ٣ (ثلاث) دعائم ، هى : « رد المظالم ، وقطع المغارم ، والتمسك بالسنة » (ص ١٦٤) ، بدعوة عبد الله بن ياسين ، وزعامة يحيى بن ابراهيم الجدالى .

(٤٧) شعيرة ، المراطون ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٤٨) أطر محمد عبد الهادى شعيرة ، المراطون تاريخهم السياسى (٤٣٠ - ٥٣٩ هـ) ط١ القاهرة ١٩٦٩ - وفيه الإشارة الى أن أهل الصحراء كانوا أشبه بشركات المخطوط الخوية والحديدية فى زمانها ، وأن حياة الصحراء اليوم تافهة بالقياس الى حياتها قديما . وهذه حياة فقر وحدت ، وتلك حياة ثروة ونشاط - و ص ٩ - حيث المقدمة التحليلية . وفيها تقييم ابن خلدون لحركة المراطيين المسلمين على أنها حركة تحديد للفرق الإسلامية ، ص ٣٠ و ٣٣ و ٤٢ - حيث يستخدم اصطلاح « النهضة » .

مراحل الحركة :

وبخصوص البكرى لا توضح أين كان الرباط حيث دعا عبد الله بن ياسين الناس الى الانخراط في الدعوة ولا وقت ينائه ، وإن أشار الى الآتى :

١ - انقاد له في بداية الأمر ٧٠ (سبعون) رجلا للتعلم ، من جدالة بطبيعة الحال .

٢ - وأنه غرا بهم لتوئله في جبلهم واستولى على أموالهم (ص ١٦٥) ، فكان دخول لتوئله في الدعوة كان فهرا ، وبذلك فويت الحركة تحت زعامة يحيى بن عمر بن تلاجاجين بينما كان عبد الله بن ياسين مقيما بينهم وهو كاره لذلك حيث كان لا يستحل أكل لحماهم وشرب ألبنهم ، بل كان يأكل من صيد البرية .

٣ - بعد ذلك دخلت الدعوة فترة تأسيس حضرية عندما أمرهم ابن ياسين ببناء مدينة خاصة بهم ، سموها ارتننى ، حيث التزموا قواعد البناء الشرعية ، من عدم ارتفاع بناء البعض على بناء غيرهم . ولكن الأمر لم يطل كثيرا حتى دب النزاع بينهم وبين عبد الله بن ياسين بسبب تشييده في تطبيق حدود الشرع . وإن قيل أنهم ربما وجدوا تناقضا في بعض أحكامه حتى انتهى الأمر بعزله وطرده وهدم داره (ص ١٦٦) .

٤ - وعندما عاد عبد الله بن ياسين بمؤازرة بعض الزعماء الدينيين (وجاج بن زلوى) ، تمكن من فرض زعامته ، فتخلص من المخالفين له ، وفرض سلطانه على الصحراء بدخول القبائل في طاعته - ولا بأس أن تكون هذه المرحلة قد بدأت ببناء الرباط حيث تم تدريب الجماعة عسكريا وتأهيلهم دينيا وروحيا ، الأمر الذى حقق لهم النظام والنفوذ على الخصوم ، والنجاح في فرض تشريعات جديدة ، كان الهدف منها مصلحة الجماعة ، وإن ظهرت مجمعة بالاطراف الأخرى (التى طبقت عليها) . فلقد فرض ضريبة الـ ١/٣ (الثلث) على أموال القبائل المختلفة ليطلب لأصحابها بذلك الثلثان ، وهو ما ألزمت به قبيلة لمطة نظير دخولها في الدعوة . وتأكدت زعامة عبد الله بن ياسين حتى أنه كان يستطيع أن يعاقب الزعيم العسكري للجماعة ، وهو يحيى بن عمر ، لخروجه عن الحدود المسموحة له في القتال ، عندما تقسّم بنفسه وهدد الجماعة بعريض زعامتها للخطر (ص ١٦٦) .

٥ - وهكذا أمكن لجماعة المرابطين المسلحين ماديا ومعنويا ، والملتزمين

بالنظام والطاعة تحقيق انتصارات متوالية في درعة (ص ١٦٦) وفي
سجل ماسة (ص ١٦٧) .

٦ - وإذا كان نص البكري يذكر بعد ذلك مخالفة بني حندالة الى
ساحل البحر وتحصن الزعيم الممتوني يحيى بن عمر في جبل ثتونة حيث
حاصرتة جدالة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، فأغلب الظن أن النص مضطرب
هنا ، وأن المقصود بالخلاف بين جدالة ولتونة ولجوء الأوائل الى ساحل
البحر ، هو ما حدث في بداية الدعوة ، من الثورة على بشدد عبد الله بن
ياسين ، وليس بعد بدء هنره التوسع الكبير نحو الشمال .

الرباط عند البكري :

وعيب هذه الروايات الخاصة بصهاجة الصحراء أنها غير محددة
التواريخ ، لما هو الحال بالنسبة لأخبار الهلالية وخاصة في صراعاتهم مع
الرباطية ، أهل البادية في فمصان بعد أن اجتاحت الدولة الصهاجية في
أفريقية ، من حيث أن تاريخ أحداثهم تلك هو نوع من الأخبار العربية الأولى
التي كانت تتداول شفاها ، ولم تدون الا عندما فيض الله لها ذلك ، مثلما
فعل ابن شرف والرقيق وابن الأثير والتويرى وابن خلدون . وبناء على ذلك
نرى أن اتخاذ الرباط يحدد بعد بناء مدينة ارتننى (رقم ٣) ، وحسبوث
الوحشة بين عبد الله بن ياسين والممتونيين ، فكان بناء الرباط على ساحل
البحر مع الجندالين ، ربما في مصب السنغال مما يأخذ به البحث الحديث ،
وأنه بفضل أهل الرباط من الجندالين غزا قبائل لتونة الكثيرة الصدد في
جبلها (رقم ٣ ، رقم ٦) واتبع ذلك بقبائل لمطة (رقم ٤) الأمر الذي أدى
الى تكريس نظم الجمساعة الديرية وأدائها الروحية وقيمها الأخلاقية ،
فواصلت انتصاراتها في بلاد الشمال بدءا من درعة وسجل ماسة وتيفريلى
حيث قتل يحيى بن عمر سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ثم بلاد برغواطة في أقصى
الشمال ، غرب الرباط وسلا ، حيث كان مقتل عبد الله بن ياسين سنة
٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

ابن ياسين : مناقبه ونقاط ضعفه :

وهنا تتراوح الرواية في تقييم الزعيم الروحي للمرابطين . ابن ياسين ،
ما بين المتقبة التي تنسب اليه الكرامات ، من : كشف المياه في الصحراء ،
وسكون نقيق الضفادع في البحيرة عندما يتقدم اليها (ص ١٦٩) ، الأمر

أدى نرسب عليه جعل قبره مزارا مكنظا بالمريدين (ص ١٦٨) . ومن
الماحيه الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت في حب النساء
والاسراف في الاقتران بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج في الشهر عددا
مهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا حطبا لنفسه ، ولا يتجاوز بصادقهن ٤
(أربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) .

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمى ، وهو الامر المسموح به للفقيه
في مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من
أن أهل الصحراء في تلك الأرملة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية
والسكك الحديدية في أيامنا ، وإن حياة الصحراء قديما كانت حياة ثروة
ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ، ١ ، ٢) .

وهكذا يعدد البكرى ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل :
أخذه $\frac{1}{2}$ من الأموال المخلطة (لطيب لأصحابها الثلثان) ، وإقامة الحدود
على الداخل في الرباط ككفيرا لذنوبه السابقة ، أيام التسباب ، وتاديب
المتخفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدى بالعوام
الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، حزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع
صوته في المسجد . وإملاء أداء الصلاة في كل وقت قبل إقامتها مع الجماعة
(تعوضا لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) .

النظام الحربى :

أما عن نظامهم الحربى ، فقد عرف القوم بأن لهم في قتالهم جله ليس
لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الانهزام . وانهم يقاتلون على الحيل والنجيب ،
وأكثر قتالهم صنوفا : بأيدي الصف الأول القنى الطسوال للمداعسة
والطعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد
منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ . ولهم رجل قد قدموه أمام الصف يسلمه
الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبين ، وإن أمالها الى الأرض جلسوا . .
ومن قر أمامهم لم يتبعوه .

معلومات وثائقية :

تلك هي الصورة التي يرسمها البكرى لحركة المرابطين في صحراء
المغرب الأقصى الحربية ، في الطريق الى السودان الغربى ، وهي معلومات
وثائقية معتبرة ، وإن افتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذى لا يكون

بدي ترتب عليه جعله فراره مرارا مكتظ بالمريدين (ص ١٦٨) . ومن
اساحبه الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت في حب النساء
والاسراف في الاقربان بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج في الشهر عددا
منهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا خطبها لنفسه ، ولا يتجاوز بصادقهن ٤
(اربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) .

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمي ، وهو الامر المسموح به للفقيه
في مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من
أن أهل الصحراء في تلك الأزمنة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية
والسكك الحديدية في أيامنا ، وان حياة الصحراء قديما كانت حياة ثروة
ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ، ١ ، ٢) .

وهكذا يعدد البكري ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل -
أخذ السهم من الأموال المختلطة (ليطيب لأصحابها الثلثان) ، واقامة الحدود
على الداخل في الرباط تكفيرا لذنوبه السابقة ، أيام الشباب ، وتأديب
المنخلفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدي بالعوام
الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، جزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع
صوته في المسجد ، واملاء أداء الصلاة في كل وقت قبل اقامتها مع الجماعة
(تعويضا لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) .

النظام الحربي :

اما عن نظامهم الحربي ، فقد عرف الغوم بأن لهم في قتالهم جند ليس
لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الالهزام . وانهم يقاثلون على الخيل والنجب ،
وأكثر قسائلهم صفوفوا : بأيدي الصف الأول القنى الطسوال للمداعسة
والطعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، بحمل الرجل الواحد
منها عدة يزرعها فلا يكاد يخطئ . ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيسله
الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبه . وان أمالها الى الأرض جلسوا . . .
ومن فر أمامهم لم يتبعوه .

معلومات وثائقية :

تلك هي الصورة التي يرسمها البكري لحركة المرابطين في صحاروات
المغرب الأقصى الجنوبية ، في الطريق الى السودان الغربي ، وهي معلومات
وثائقية معتبرة ، وإن افتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذي لا يكون

التاريخ بدوه تاريخا ، مما سبقت الإشارة اليه وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م الى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ، حينما كاتب الزعامه هي تلك القبائل للأمير الممتوني أبي بكر بن عمر ، وتصف الرواية وضع تلك القبائل في تلك السنة بأن أمرهم منتشر غدير ملنثم ، وأن مقامهم بالصحراء ، وذلك في الفترة التي بدأت فيها الرئاسة تنقسم ما بين أبي بكر بن عمر في جنوب الصحراء ، ويوسف بن ناشين في الشمال الذي ستؤول اليه قيادتها وحده ، بعد أن يبنى عاصمته الجديدة ، مدينة مراكش ، التي ستعطي اسمها للبلاد جميعا منذ ذلك الوقت .

العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :

تقديم عام لنص غير محقق :

كتاب العبر لابن خلدون - رغم تأخره النسبي - مصدر أساسي بالنسبة لتاريخ المغرب والأندلس حتى بالنسبة لأقدم العصور ، من الفتح الى قيام الدول المستقلة الأولى - أما بالنسبة لعصره فهو مصدر أصيل لا غنى عنه ، إذ يقدم معلومات شاهد العيان ، ويستقصى أخباره من مظانها الأولية ، على مستوى المسئولين عن الدولة ، وعلى المستوى الشعبي حيث القصص « الفولكلوري » والشعر العامي . ولكن ما يؤخذ على نص ابن خلدون التاريخي أنه ما زال في حاجة الى تحقيق علمي ، يعهد به الى لجنة من المختصين ، تقوم بالنشر مع التحقيق على نفس النسق الذي قام به الدكتور علي عبد الواحد فيما يتعلق بالمقدمة التي حققها ونشرها في أربعة أجزاء قيمة ، فأسدى للمكتبة العربية جميلا جليلا .

ويكفي هنا أن نشير الى بعض الأخطاء ، من املائية وفنية ، مما يشيع في نص ابن خلدون في الجزء السادس الذي يبدأ بقصة دخول الهلالية الى المغرب ، كمقدمة لتساريف البربر ، ثم يتناول دول المغرب الأولى ، من الأغالبة ، والرسامين ، وبنو واسول ، ودولة آل زيري الصنهاجية ، وآل حماد بالقلعة ، حيث نجد :

(برصليتين) بن حبوس ، بدلا من : يصلين أو يصل (ص ١٣٠) ،
فشت بدعة الامية بدلا من : (الأموية) (ص ١٣٢) ، (الى أن أروى) ،
بدلا من : الى ابن أروى (ص ١٣١) ، تغلب (ملكين) بدلا من بلسكين
(ص ١٣٦) ، و (احفظ مدينته واشين) للتحصن بها ، بدلا من : واحتط

مدينة أشير للتحصن بها (ص ١٥٣) ، الى غير ذلك مثل : الحبائر (الجنائر) ، محاييل (ميحائيل) ، فاس (قابس) ، بلباو (بلباز) ١٠٠ الفخ .

مشروع ٥٠٠ ابراهيم شبوح :

وهنا لا بأس من الإشارة الى مشروع الدكتور ابراهيم شبوح ، مدير دار الكتب التونسية حاليا ، القيم ، لاعادة نشر وتحقيق عبر ابن خلدون ، بناء على ما نظر فيه من النسخ الفريدة المخطوطة ، مما تزخر بها الدار ، والتي تبين أن النسخة الموجودة بين أيدينا الآن ينقصها أشياء هامة من نسخ دار الكتب التونسية ، حسبما لاحظته د . شبوح ، يعنى زيادة صفحات طويلة لكل بيساض قد لا يستغرق الا سنتيمترات معدودات ، فى أقل من السطر . وبذلك يحقق مشروع اعادة تحقيق ونشر العبر هديين عزيزين هما : تصحيح النسخة التى بأيدينا ، كما يستكملها بما فى النسخ المخطوطة الكاملة من الزيادات .

مصدر رئيسى للهلائية :

وابن خلدون مصدر رئيسى لتاريخ الهلائية من عرب هلال وسليم فى بلاد المغرب ، وذلك عن طريق التعرف شخصيا على أحفادهم من معاصريه ، فى القرن الـ ٨ هـ / ١٤ م ، ممن كان لهم دور هام فى الأحداث التى عرفتها دول المغرب وقتذاك من المرينيين والحقصيين وبنى عبسه الواد . فهو فى أنساب عرب برقة يرجع الى نسابتهم من شافهم (ج ٦ ص ٥) ، وفى اقتصاداتهم الحربية على الصنهاجيين فى أفريقية ، يرجع الى ما سجله شعراؤهم فى قصائدهم الشعرية ، كما فعل ابن الأثير من قبل ، مثل : الشاعر الهلالى على بن رزق الرياحى ، الذى يقول :

وان ابن باديس لأفضل مالكا لعمري ولكن ما لديه وجنال
تلاتون ألفا منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذاك ضلال (٤٨م)

(٤٩) انظر المرجع ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أن تلك الأبيات يمكن أن تكون لـ ابن شداد (الأمير الصنهاجى) ، وقدر ابن الأثير ، د . تومسوج (بيروت) ، سنة ١٤٢ هـ .

ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث يختلف النص بعض الشيء

وان ابن باديس لأفضل مالكا	لعمري ولكن ما لديه وجنال
تلاتون ألفا منهم قد هزمتهم	ثلاثة آلاف وذاك ضلال
وقارن طبة يولا ، ج ٩ ص ٢٣٦ ، ومبها	
ثلاثة آلاف لسا علت لهم	تلاتين ألفا ان دا لـ

وبعد محاربة صنهاجة ، حارب العرب رناته في منطقة تلمسان حيث كان يسود بعض أعقاب محمد بن حزر ، ووريره الشهير الذي حلدته ملحمة الهلالية الشعبية : أبو سعدى خليفة اليفرنى (ج ٦ ص ١٦ « اليفرنى » ص ١٩ « الفترى ») ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة .

التوثيق :

وابن خلدون متأكد من صحة روايته عندما يعدد رجالات العرب من المهاجرين الأوائل مثل : حسن بن سرحان وأخوه بدر ، وفضل بن ناهض ، وماضى بن مقرب ، ومسلامة بن رزق (من الاتبيج) ، ودياب بن غانم (من بنى ثور) ، ومؤنس بن يحيى (من بنى مرداس) حيث ينص على أن هؤلاء الآخرين من مرداس رياح لامرداس سليم ، ويحذر من الغلط في هذا (ج ٦ ص ١٦ حيث موسى بن يحيى بدلا من مؤنس بن يحيى) .

أما عن الرواية التي تقول بأن زيد العجاج بن فاضل مات في الحجاز أى قبل دخولهم أفريقية ، فهو يرى أن ذلك زعم يشك فيه (ج ٦ ص ١٦) . وأشعار كل هؤلاء ، وعلى رأسهم زياد بن عامر ، رائدهم في دخول أفريقية ، والذي يسمونه « أبا محيسر » هي التي تروى خبر الهجرة الهلالية (٥٠) .

هلالية برقة :

وابن خلدون يفرق بين الهلالية الذين دخلوا برقة بتحريض اليازورى أو الجرجاني (الجرجاني) قبله ، وبين أولئك الذين أقاموا ببرقة قبل ذلك على عهد الحاكم الفاطمي وكانت لهم خملوهم مع الصنهاجين مما سجله شعراؤهم في أشعارهم العامة - مما يعرف الآن بالنبطية - مثل :

طلبنا القرب منهم وجزيل متهم	بلا عيب من عرب سحاج جهودها
وبيت عرت أمره منا وبينها	طرود انكاد الي يگودهها
ماتت ثلاث آلاف مرة وأربعه	بحصره منا تداوى كبودهها

ومنها :

(٥٠) ج ٦ ص ١٦ . وقارن ابن الأثير ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث الدور على أر دعم الدور الأول ، هو : مؤنس بن يحيى المرادى .

أيا رب جبر الخلق من ناتج البلا إلا القليل من انجار ما لا يجبرها
وخص بها قرة صاف وعينها ديمما لا رباد البوادي تشيرها
(ج ٦ ص ١٨)

طرق الحكاية عند الهلالية :

وابن خلدون يعرض بعد ذلك لحكاية الهلالية ، من دخولهم الى أفريقية وطرقهم في الخبر عنها ، الأمر الذي يحول الى روايات أسطورية وقصص شعبية . والحكاية الشعبية للهجرة الهلالية تجعل البداية من بلاد الحجاز ، وليس من صعيد مصر ، وذلك عندما تزوج الشريف هاشم ، صاحب الحجاز ، أخت الحس بن سرحان وهي « الجازية » ، بطلقة العصة . وعندما حدثت الوحشة بينهم وبين صهرهم الشريف وأرادوا اسرجاع الجازية لم يجدوا أمامهم إلا استخدام حيلة الرحلة للصيد حيث فوجئ الشريف بأنه في غير مملكته فرحح الى مكة ، وبين جوائحه من الحب داء دخيل ، بينما استمرت الجماعة في تفريبتها حيث ظهر على الجازية داء الكلف بزوجه الشريف حتى ماتت من حبه . وبذلك فاقمت قصة الهلالية في الحب العظيم كل عرفه العرب من ذلك اللون من أدب العشق والغرام ، مما عرف في قصص : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، مما يروى في اشعار الهلالية ، مما هو : « مطبوع ومنتحل ومصنوع » .

من قواعد النقد في الأدب الشعبي :

وهما يصنع بن خلدون قاعدة هامة من قواعد النقد في الأدب الشعبي الذي يوسم بالأصالة طالما لم يفقد من البلاغة شي . بصرف النظر عما فيه من خلل الاعراب الذي يعتبره الخاصة من أهل العلم بالمدن « أصل البلاغة ، وليس كذلك » (ج ٦ ص ١٨) .

وحق لابن خلدون ألا يثق بالقصة الشعبية التي عاصرها في القرن الثامن الهجري / ١٤م ، والتي كانت قد تعقدت خلال تطورها على طول الأجيال ، من حيث أنه تتولد منها قصة حب عظيم أخرى في أفريقية عندما تزوجت الجازية من رعيم الأبيج : ماضي بن مقرب ، وحدثت الوحشة مرة أخرى ، والغروب بين قبيلي الزوجين الحسيين . والمهم في كل ذلك ان الهلالية متفقون على صحة تلك الأخبار المتواترة بينهم جيلا بعد جيل « حتى ليكاد لمسترب في أمرها أن يرمى بمدحهم بالجنون والخلل » (العبر ج ٦ ص ١٨) .

وهكذا نعتقد أخبار الهلالية على طول الطريق في بلاد المغرب وعبر الأجيال ، ويختلط فيها التاريخ بالأساطير وهو الأمر الذي يدعو الى الكثير من الحذر في التعامل مع تلك الأخبار ، كما تتطلب الاستفادة منها الكثير من الاستنارة العقلية ، بل ومن سلامة الحس ، وشفافية البصيرة أيضا .

ملاحظات منهجية :

وهنا نود الإشارة الى بعض الملاحظات المنهجية الخاصة بالمصادر .
مما تقدم ذكره :

١ - فيما يتعلق بكثرة المعلومات التي قد تظهر مرهقة في بعض الأحيان نرى ان المعلومات الكثيرة عن الحدث الواحد قد لا تكون دائما مفيدة ، اذ قد يريد اختلاف المعلومات وعدم تطابقها الأمر عموضا . ففي حالة الثورة الزناتية ، بقيادة مخلد بن كيداد ، مثلا ، قد تختلف وجهات النظر في تحليل أسباب الثورة أو دوافع قيامها ، بين : سياسة قومية بمعنى رغبة المعاربية البربر في التحرر من الحكم العربي ، أو سياسة دينية بمعنى ان المغرب السنني المتشدد فيما بين المالكية وبخاصة والأباضية كان يبحث عن الانعتاق من ير انتشيع ، وهو ما يطلق عليه جورج مارسيه اسم الأزمة الفاطمية^(٥١) أو سياسية اقتصادية تتمثل في رفض السياسة المالية والضرائبية المشددة مما يظهر في تجميع الأموال من كل المظان وبكل الوسائل ، من : العقوبات المالية والمصادرات ، والتشدد في جمع الضرائب والدقة في محاسبة العمال ، وعدم التساهل مع المدينين ضرائبيا (أصحاب التقسيط) ، وابتكار أنواع جديدة من الضرائب مثل : ضريبة الحج (على أموال الحجاج) - وهو ما يرجعه ليتورنو (Le Tourneou) كسبب للثورة^(٥٢) .

٢ - وعندما تقل المعلومات على المكس من ذلك ، يكون الموقف أصعب . ويتمثل ذلك في افتقاد المعلومات الشخصية عن الأئمة ، فلا شيء عن الصفات الجسمانية أو أسلوب الحياة اليومية ، أو الاهتمامات الخاصة - وهي الأمور المعروفة تفصيليا عن النبي ، وربما الى حد ما عن الامام علي ،

(٥١) انظر كتابه بلاد البربر والمشرق الإسلامي في العصر البسيط (بالفرنسية) .

(٥٢) انظر بحثه عن أبو يريده (صاحب الحمار) في القرن السادس عشر ، دفاقر تونسبة

(بالفرنسية) ج ١ ، ١٩٥٣ .

والنبي كان يمكن ان يكون قدوة . ولا بأس أن يكون ذلك الحواء تركة عهد
الستر والكنمان في مرحله الغيبة ، وهي مرحلة الدعاية المستترة ، الأمر
الذي يستمر في مرحلة الظهور بما تقضى به من حفظ المسافة بين الخلفاء
والرعية ، وهو ما تفسره جيوش العسكر والموظفين والخدم والحريم ، ممن
ملأوا تلك المسافة الفاصلة بين الامام ووعيته ، رغم ما يفضى به المذهب
العاطفي من ضرورة معرفة الامام من أجل أداء واجبات الولاية ، من فروض
الطاعة وتقديم أموال الخمس .

٣ - وعندما تنصارب المعلومات أحيانا قد يصعب إيجاد الحل فنبقى
المسألة معلقة على أمل انتظار العثور على وثائق جديدة - وهنا يمكن الإشارة
الى بعض النماذج :

(أ) وفاة الفوائد الصقلي ميسور الفسي في اللقاء مع أبي يزيد
قرب القبروان في ربيع سنة ٣٣٣ هـ / ٩٣٥ م . ثم ورود اسمه بعد ذلك
في عمليات عسكرية جديدة في فاس - والأمر ما زال غامضا على الأقل
بالنسبة للشخصية الثانية التي ظهرت (بنفس الاسم) في فاس . ولا بأس
أن يكون اسم الشخصية الثانية مسرور ، كما ترد في بعض نصوص الداعي
ادريس وابن حمدون (انظر فيما بعد ص ١٩٣ وهـ ٢) .

(ب) وفاة علي بن حمدون الأندلسي في العمليات العسكرية الأولى ،
بطريقة مفاجئة سنة ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ م ، أمام أيوب بن أبي يزيد ، ثم ظهور
اسمه بعد ذلك في عمليات جديدة على عهد ابنه جعفر بن علي أمير المسيلة .
وهنا لا بأس أن تكون العمليات لعلي بن حمدون قبل وفاته ، وانها وضعت
خطأ في غير موضعها الصحيح . فهذا ما تسمح به سمة الرجل وحسن
بلائه في قتال السائر الزناتي ، وهو الأمر المفتقد في النصوص ، والذي
ترتب على اللبس في الاسم والكنية بينه وبين بعض بنيه .

(ج) وفاة موسى بن أبي العاقبة الكناسي التي يضع لها الكتاب ٣
(ثلاثة) تواريخ ، وهي : ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م ، ٣٤١ هـ /
٩٥٢ م ، ونظرا لعدم ذكر عمليات له بعد سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م فالمرجح أنه
توفي في تلك السنة ، الأمر الذي تؤيده رسالة ابنه مدين إلى الناصر
الأموي ، وهي ١ ، برز مدين من نسختها في مقتبس ابن حبان (ح ٥
ص ٤٢٧) .

٤ - الرواية الأسطورية ومنها :

المنقبية ، والقصة الشعبية :

(أ) كذلك التي ترتبت على علم الحدثان الخاص بالأئمة عند الماطميين ، كما قيل عن بناء المهديّة من أنّها أنشئت من أجل ساعة من نهار ، يصل فيها النائر الرناني إلى بابها وهي الرواية التي انتقلت إلى كتب الخوارج ، والهدف منها سياسي تربوي أصلاً ، يتمثل في الولاء للأئمة والاعتقاد في عصمتهم ، وإن أخذت شكلاً ساذجاً ، ساخرًا ، عند الأباضية (أنظر الدرجيني) .

(ب) ومثل هذا يقال عن الرواية التي تجعل من الزنانية موالى للامويين ، ومن الصنهاجية موالى للمعلويين ، وتبالغ في رابطة الولاء هذه والبحث على التمسك بها إلى درجة تجعل الخروج عليها خروجاً عن الدين (المقتبس ، ج ٥ ص ٢٦٦) - وهي في الحقيقة سياسية الهدف .

(ج) أما عن مناقب عبد الله ياسين زعيم المرابطين ، من الكشف عن المساء في الصحراء عندما تعطش الجماعة ويتهددها الهلاك ، أو توقف نقيب الضفادع عندما يقترب من البحيرة فهي تدخل ضمن كرامات الأولياء وخوارقهم التي كانت قد انتشرت مع انتشار الطرق الصوفية وتبجيل الأولياء ، وإن كانت قصص هوايته زواج الجميلات من النساء مع الاسماك في دفع الصداق ، يوازن تلك المناقب المنسوبة إلى الفقيه الأصولي ، المتشدد في الأحكام (أنظر البكري) .

والمهم في كل ذلك أنه إذا كان للباحث أن يسقط من حسابه الرواية القصصية الموضوعة أو أن يكشف عما وراءها من أغراض دنيئة أو دروس مستفادة ، فإن الرواية المنقبية لها أهميتها كمحدث تاريخي معنوي البنية ، بمعنى أن له تأثيراً في مجريات الأحداث .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن القصة الشعبية ذات الأصول الساريرية من حيث أنها تمثل الجانب المعنوي من حياة المجتمع الثقافية ، وميوله الوجدانية ، وقواه التخيلية والتعبيرية ، وهي الأمور التي يمكن أن يكون لها موضوعها في إطار الدراسة التاريخية .

هذه المحات في موضوع المصادر حمما بها حول موضوع المغرب الاسلامي ما بين الفاطميين والمرابطين ، عن طريق محاولة التعريف بمضمون بعض المصادر الأساسية عن شيعية فاطمية ، وأباضية خارجية ، وسنية تاريخية ، بقصد أن ذلك يمكن أن يعطى فكرة عن عناصر الموضوع ، بصرف النظر عن وضعها في أطرها الرمزية ، وبيان العلاقات فيما بينها ، بما يسمح بتصور مساراتها الواقعية وتطوراتها الحقيقية ، وهو الهدف من الدراسات التاريخية التي يريد الجميع أن يعيد كتابتها بما يحقق الأهداف المنشودة منها - والهدف العلمي على كل حال هو الوصول الى الحقيقة .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

(٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩١٠ - ٩٣٤ م)

شخصيته :

اختلفت الآراء في تقييم شخصية عبيد الله المهدي ، كما هو الحال بالنسبة لكبار الشخصيات التاريخية ، ممن كان لهم ذكر في أمور السياسة والدين أو الإصلاح الاجتماعي بشكل عام . ولقد تراوح ذلك الاختلاف عند المؤيدين والمعارضين ما بين التعصب الغالي والمقد المقيت ، مما راح بهم وغدا من حد التأليه والربوبية الى حد الاحتيال والتزوير .

وإذا كان الاختلاف في صحة النسب يعزى الى أسباب سياسية ومذهبية واجتماعية أو شخصية ، فإنه يرجع أصلا الى مبدأ الثقة الشيعي ، وما ترتب عليه من حياة السתר والكتمان التي عاشها الأئمة في حالة الغيبة . والحقبة ان مبدأ الثقة هو الذي يفسر أيضا ندرة الأخبار المتعلقة بصفات الأئمة الشخصية ، وعلى رأسهم عبيد الله المهدي بصفته أول الأئمة الظاهرين .

فالروايات التي تعرض لعبيد الله ، شابا يافعا ، عندما كان والده يضم أبا عبد الله الى جماعة دعائه الاثني عشر ، لا تعرف بشيء عن شخصه أو عن صفاته وهو ولي لعهد الامامة (الاستنصار ، ص ٢٠٣) . أما عن مسيرته الى مصر والمغرب ، وهو امام مسير ، يلح أصحاب الأخبار في بغداد وفي القيروان ، في إمطة الشام عن شخصه ، فلا يعرف الا انه كان مستترا بزي التجار ، وكذلك الأمر أثناء مقامة في سجلماسة^(٩) . ولا بأس أن

٩١ هذا وان ظهرت رواية تجعله . في مصر في ربي الصناديق ، ونصحه كتب كلف

نه ولي العهد الصغير ، ج ٢ ص ٥٨٧ ص ٥٨٨ والهوامش ، ص ٥٩١ .

تكون مظاهر النعمة البادية عليه وعلى أصحابه من الأسباب التي جعلته هدفاً لعاراب السلب والنهب التي نعرض لها على طول الطريق من برفه الى توزر ووارجلان (ج ٢ ص ٥٨٩ - ٥٩٠) .

أما في سجلنامه فيظهر مع ولده أبي القاسم ، في صورة مقبية كولي صالح ، صاحب آيات وكرامات ، أو في صورة رجل دولة يجمع الثقة في العلم الى جانب الخبرة في السياسة والادارة (ج ٢ ص ٥٩٢) . وعند كشف الداعي عن شخصيته في سجلنامه ، أعلن عبيد الله انه « المهدي بن المهدي » سلافة الهداية » ، فاستحق ما يليق به من داعيته الذي انكب ليقبل منه اليدين والركبتين (ج ٢ ص ٥٩٦ - ٥٩٧) . وعند الخروج من سجلنامه نحو القيروان ، نراه يلبس النفيس من قاهر الثياب ، ويفوح منه أريج الطيب ، وهو يمنطى صهوة فرس عتيق (ج ٢ ص ٥٩٧) ، بمعنى أنه كان في كامل عنفوانه ، وهو في نهاية العقد الرابع من عمره (٢) . وعند دخوله رقادة كان يرتدي ثوبا أدكن وعمامة مثله ، وتحت فرس ورد (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٨) .

أما عن صفاته الجسمية ، كامام ، فقد غلب عليها الأسطورة الشعبية . فمن علاماته التي كان يعرفها الدعاة حسبما أذاعها الداعي بين الزعماء الكتامين ، اثر سوء العلاقة بينهما ، والتي قد لا تتوفر في عبيد الله ، أن الامام يحمل بين كتفيه عبارة « المهدي رسول الله » كما كان النبي يحمل بين كتفيه « خاتم النبوة » وأن من آياته أيضا أنه يطبع بخاتمه في الصخر الصلد (٣) .

ولا بأس أن تكون قصة العلامات التي يفرس أن تكون في المهدي

(٢) انظر الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٧٧ - حيث الاشارة الى أنه كان يبلغ اليه ٦٣ عند وفاته سنة ٣٢٢ هـ / ١٩٣٤ م ، حيث كان مولده سنة ٢٦٠ هـ / ٧٨٢ م ، واس حمادة ص ٢٦ - حيث عمره ما بين ٦٢ و ٦٣ سنة .

(٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦١ . ولا بأس من الاشارة هنا الى أن رعيم القرامطة سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، وهو يحيى بن دكرويه الذي عرف به « الشيخ » الذي قتل وهو يحارب المبرقين من باب دمشق في تلك السنة كان يرعى انه اذا اشار بسيفه نحو أعدائه انهزموا ، كما أن أخاه وخليفته الحسين كان يظهر شامة في وجهه ويؤمن انها آية ، حتى عرف به « صاحب الشامة » الى أنه انتهى به الأمر الى أن يسمى به « المهدي أمير المؤمنين » قبل أن يصلب في بغداد أين الأثير ، ط . نيدس ، ج ٧ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ .

العاطمي ، قد ظهرت في أواخر سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م ، أثناء حملة الداعي بالمغرب (فيما بعد ، ص ٦٤) ، وإنها كانت جرثومة للروايات التي غالت في وصف المهدي حتى شبهته بكبار الأنبياء ، وتطرفت حتى بلغت به إلى حد التاليه (فيما بعد ، ص ١٢٧ - ١٢٨) .

أما عن صفات عبيد الله الموضوعية ، كما عرضها القاضي النعمان ، فمنها الكرم والجود بالمال ، في حدود الاعتدال . أما الصفات الغالية فهي الضبط والحزم إلى جانب حب العدل (افتتاح الدعوة ص ٣٠٤) . وإذا كانت بعض الروايات تنسب إليه معرفة علم الهدى من أوقات السعد الأئمة (٤) ، فإن من المشهود له أنه كان عقلانيا ، يزن الأمور بحكم المنطق . فهو لا يستمع لكلام المنجمين فيما يحددونه من أوقات السعد والنحس (٥) . هذا ، كما يعرف عنه الجهد في العمل وعدم الركون إلى الأعمال المكتبية فقط في شئون الحكم والإدارة ، بل أنه كان يتابع الأعمال التنفيذية بنفسه ، أحيانا ، وكانها رياضة بدنية مفيدة . حدث ذلك عند اختيار موقع المهديّة حيث شارك بنفسه في الرحلات الاستكشافية الأولية ، كما كان يباشر بشخصه أعمال البناء ويصدر أوامره إلى الصناع من غير وسيط (انظر فيما بعد ، ص ٩٥) . وهو في النهاية رابط الجاش ثابت الجنان ، حيث كان يبحث وليّ عهده أبا القاسم على رأس قواته لمواجهة الثوار في كل مكان من أقصى المغرب وكذلك في مصر ، رغم عاطفة الأيوّة العارمة ، التي كانت تسمح له بالبقاء في حضرته مع كبار رجال الدولة والحاشية ، بعيدا عما كان يلاقيه من المصائب في تلك الحروب (٦) ، ورغم وفرة من كانوا يكفونه مؤونه ذلك من كبار القواد .

(٤) فيما بعد ، ص ٩٢ . عن معرفة المهدي بما سوف يحدث بعد مساهمه المهديّة من ثورة أبي يزيد صاحب الجمار . عن الخراج بن كمال الكتاميّ إلى القيروان سنة ٣٦٥ هـ / ٩٢٧ م كانه يتوقع منهم أمرا ، وهو الدخول في حلف أبي يزيد ، انظر ابن الأثير سنة ٣٦٥ هـ / ٩٢٧ م ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .

(٥) انظر الداعي إدريس عيون الأحبار ، ص ٢٥ - حيث النص على أنه لم يستمع إلى صبيحة المقيم له بتأجيل سفره من سحلماسة إلى القيروان يوم الاثنين ٢٢ من المحرم سنة ٢٩٧ هـ / ١٢ أكتوبر ٩٠٩ م . حيث لم يكن الطالع حسنا لوبسود القوس والشمس في الميزان ٠٠ ، الا قرر ، سير « على اسم الله » .

(٦) انظر فيما بعد ، ص ٧١ ، ص ١٠٧ وص ١٠٨ ، والهوامش - حيث الإشارة إلى مكانه عندما وصفت كنه أبي القاسم متأخرة بعض الشيء ، وهي تصف ما كان يلاقيه من المصائب من عتاء في حملته ضد أبي حزر ببلاد الزاب والمغرب . حيث ينسب إلى المهدي أنه قال بهذه المناسبة أنه لا يسهل عليه أن يفارقه يوما واحدا - ابن عداري ، ج ١ ص ١٩١ :

وأمام مثل هذه الصفات المميزة لشخصية الامام الأول العارمة - لم ينس من المستغرب أن ينص الداعي أدريس على خسوف القمر خسوف كلياً ، في تلك الساعة التي توفي فيها المهدي من يوم ١٥ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٤ مارس ٩٣٤ م ، وإن كان خسوف الشمس قد نأحر مدة أسبوعين فلم يقع إلا في اليوم الب ٢٩ من نفس الشهر (٧) . والمقصود هنا بكسوف الشمس وخسوف القمر ، بطبيعة الحال ، هو الرمز الى ذلك النوع من الحدث الكوني المتمثل في انقطاع شعلة مؤسس الدولة القدوة ، والمخطط لسياساتها على المستويات المختلفة بما يتناسب وطموحات الأئمة المهديين ، سواء في بلاد المغرب أو خارجها .

السياسة الداخلية :

تركيز السلطة بين يدي المهدي :

لما كانت الدولة العاطمية قد قامت في بلاد القبروان ، وليس للامام من الأمر شيء ، رغم ما نقوله بعض الروايات من أن الداعي سلم الى المهدي الأمر في سجن (٨) ، كان من الطبيعي أن يعمل عبيد الله المهدي بعد اعلان خلافته ، على أن يمارس سلطاته حقاً بصفته صاحب الأمر الشرعي ، وإن كان ذلك على حساب داعيته المجاهد وأعوانه المخلصين من الكتامين . وهو ما قضت به طبيعة الأشياء في ذلك الزمان - وربما بشكل نسبي في كل زمان ومكان - حيث كان قيام الدول على اكتاف الأنصار الذين عادة ما يلقون جراً سنماً . هكذا اختلعت سياسة المهدي منذ البداية عن سياسة الداعي . فبينما مال أبو عبيد الله الى أسلوب الإدارة في سبيل اكتساب الانصار حتى من بين صفوف الخصوم ، اعتمد المهدي سياسة الحزم والحسم ، المبنية على حق شرعية الحكم المهدوي ، أولاً وقبل كل شيء . وهنا لا بأس من الإشارة الى أنه ربما استغل مبدأ العصمة في سبيل تأكيد سلطانه المطلق ، وأنه إذا كان قد تشدد مع بعض الذين جاهروا بالمنكر ، فإنه تغاضى في بعض الأحيان عن مغالاة بعض المريدين ، ومبالغات بعض الشعراء ممن رفعوه فوق مستوى البشر أو ممن اتخذوا

(٧) عيون الأبرار ص ٧٩ ، وقارن من سادة ، اخبار الملوك بس عبيد ، تحقيق حلول البدوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - حيث الكسوف من نفس الليلة .

(٨) ابن عذاري ج ١ ص ١٥٣ - ومن الواضح أن المقصود بذلك تقديم عروض الطاعة والولاء .

من حضرته قبله ينتهون اليها (انظر فيما يأتي ، ص ١٠٠ و ٩٥) . و اذا كانت تلك السياسة قد بدأت بإحاطة شخصه بالمقربين واهل الثقه من الحجاب خاصة ، فانها هددت ايضا الى استخدام اهل الخبرة من رجال الدوله السابقين . فهو يستخدم الامراء الأغالبه أنفسهم ، فيما يصلحون له ، وخاصة في الحملات العسكرية^(٩) ، وهو التقليد القديم الذى يسمح عادة بالحلص من الحصور بطريقه مشروعه وان لم يقدم المهدي الوسائل الى كانت تسمح له بتصفية أعداد من بقايا الأغالبه فى بعض الأحيان^(١٠) . وهو يستخدم رجال الادارة السابقين ، ممن عينهم الداعي من قبل ، أو من عمال الأغالبه ، وذلك فى الوظائف الادارية والفنية من : الكتابة والادارة المالية وحكم الأقاليم .

وهنا لا بأس من الاشارة الى أن المهدي بدأ يمارس سلطته فى سجلماسة عندما عهد بولايتها الى ابراهيم بن غالب المزاتى ، وأبقاه فيها على رأس حامية كتامية من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس^(١١) .

كبار الأعوان :

وفىما يتعلق بقائمة كبار الموظفين الذين أحاط بهم نفسه ، فمنهم الحجاب وأولهم جعفر بن على الذى اشتهر بالحجاب ، وأبو الحسن طيب ابن اسماعيل الذى عرف بالحاضن ، وكانا ضمن حاشيته الواصلين معه من سجلماسة . ثم يأتى بعدهما فى الحجابة : أبو أحمد جعفر بن عبيد ، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بسلم السجلماسي^(١٢) .

ومن كبار أعوانه من رجال الدولة الاغلبية : أبو اليسر ابراهيم ابن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي . فى الكتابة . وعندما توفي فى ١٦ جمادى الأولى سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ فبراير ٩١١ م ، عين مكانه

(٩) القاصي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ .

(١١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٤ - وانظر ص ١٥٦ ايضا حيث عدد الحامية ٢٠٠٠

(الفى) فارس . ولقد رحبا الرقم الأول بسبب مركز المدينة الصحراوية المتطرفة من حيث انه يصعب وقف حامية كبيرة العدد من الفرسان بها يدرهم من معدات وخدمات . قارن الغدادي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٢٤ .

(١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٨ . ١٥٩ .

أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ، الذي عرف بالدهاء وحسن الفهم ، وخاصة عند مواجهة الداعي والعمل على التخلص منه (١٣) ، الأمر الذي جعله يستحق في السنة التالية ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، رئاسة ديوان البريد (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩) الذي كان أشبه ما يكون بوكالة الاستخبارات في أيامها هذه . ومنهم . أبو القاسم بن القديم ، في ديوان الخراج (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) ، ثم أضيف إليه ديوان البريد قبل أن يتخلص منه المهدي مع من تخلص منهم من أصحاب الداعي (١٤) ، لكي تؤول إدارة البريد إلى أبي جعفر البغدادي ، وكذلك أبو بكر بن القمودي الفيسوف : في السكة . هذا ، كما كان من بينهم من أقرهم من عمال الداعي في وظائفهم ، مثل . الحسن بن أبي حنزير (١٥) ، في ولاية القيروان ، ومحمد بن عمر المروزي ، في قضاء القيروان . ويأتي في بقية القائمة أبناء الحصبية القوية مثل أبي جعفر الحرري ، على بيت المال ، وعبدون بن حباسة ، على العطاء ، وأفلح بن هارون الملوسي ، على قضاء رقادة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) .

وإذا كان المهدي قد سمح لنفسه بالاستفادة من خبرات رجال الدولة الأغلبية فإنه في نفس الوقت ، كان يعمل للقضاء تماما على دكريات تلك الدولة ، بل وذكرى السابقين قبلهم من عمال العباسيين والأمويين . وهو يلجأ إلى حيلة ذكية وإن كانت تقليدية من تقديم الزمان وتتلخص في نصب لوحات تذكارية باسم الحاکم المعاصر على الأعمال العمرانية للأمراء السابقين فقد أصدر المهدي في أوامره بـ « أن ترفع من المساجد والمواهل (خزائن الماء) والقصور والقناطر ، أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) ، فكانه كان يرى أنه صاحب الحق وحده في الحكم ، في الماضي كما في الحاضر - استنادا إلى مبدأ الشرعية الشيعي .

فتور العلاقة بين الإمام والداعي :

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في مسألة الوحشة بين الإمام

(١٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٤) المساح الدعوى ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(١٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٩ ، وانظر موسى لقيال ، كتابة - حرك الإغصارة إلى أن

في حنزير من ملة أصلا .

عبيد الله والداعي أبي عبد الله يثلخص في مدى مصداقية الداعي في دعوته للامام ، وهل يعنورها نوع من الشك والحقيقة أن النصوص صريحة في بيان اخلاص الداعي. في دعائه لعبيد الله الذي عرفه وليا لعهد الامامة عندما دخل في رعة الدعاة الاثني عشر ، في العقد الثامن من القرن الثالث الهجرى / ٩ م . وتظهر مصداقيته بشكل حلي في استدعائه للامام عندما انشئت الدعوة في بلاد كتامة ، وبدأت حرب « المطاولة » مع الأغالبة تحقق أهداف الدعوة ، وذلك بخروج الاسرة الشريفة في الطريق الى المغرب ، في حراسة ابي العباس (احمد) المخطوم ، الأح الأكبر للداعي (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٢) . وتأكد الاخلاص للامام عندما كان لاجئا في سجلماسة ، حيث كانت الرسل تروح وتغدو بينهما وهي تحمل أخبار نجاح الدعوة للامام مع نصيبه من الأموال التي كانت تجمع من الانتصار أو تحصد في ميادين القتال (١٦) .

هذا ، كما كان الداعي محلصا في استنقاذ عبيد الله من الاعتقال في سجلماسة ، كما كان واضحا في اعترافه بحقوقه عندما خر باكيا يقبل منه اليدين والرجلين . وإن كان هذا الاحتفال في تعظيم الامالى بمثابة أول شرح حقيقي في رابطة الولاء بين الامام والداعي ، اذ انزعج الأحرار من مشايخ كتامة ، اشفاقا على معلمهم الداعي وقائدهم من وطأة مثل هذا التذليل الذي رأوه جارحا لهم (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٦) ، وهو الأمر الذي تداركه المهدي عندما رجع الى القيروان حيث أكرم كتامة ، وأغدق على رعمائها الهدايا والأعطيات ، كما عهد اليهم بحكم الولايات الافريقية (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩) .

حتمية تاريخية :

ومع ان الوحشة بين الامام صاحب الدعوة شرعيا وبين الداعي قائدها بالأمر الواقع تعتبر من وقائع التاريخ الحتمية ، التي تعتبر نهاية أبي مسلم الحراساني الداعية العباسي ، من أروع نماذجها في تاريخ الاسلام ، فإن النصوص هنا تلقى بسبعة فساد ما بين رجل الدولة الكبيرين على عاتق

(١٦) انظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٦٥ - حيث كان للمهدي نصيب من مقام وقصة قسطنطين سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م . وخاصة من الدناير الأعلسة التي ربما كانت السبب في كشفه في سجلماسة واعتقاله - ص ٥٩٣ .

الأح الأكبر للداعي ، أبي العباسي أحمد المخطوم . ورغم ما يعرف عن المخطوم من أنه كان متعصبا للدعوة ، منشغلا في نشر مذهب أهل البيت ، فالظاهر أنه كان يفعل ذلك حتى يحافظ على نصيبه إلى جانب أخيه الذي أنابه عنه في حكم البلاد ، عندما سار إلى سجلماسة لاستنقاذ الإمام .

هكذا يجعل القاضي العمان أبا العباسي المخطوم من أحطر « المنافقين » على المهدي ، حيث كان يقول لأخيه : « ملكت أمرا . . فجئت بمن أزالك عنه . . وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت فيه . . . ويشغل ان شاء بشغل نفسه (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٧) . كما كان يقول لبعض رفقاته : « تركنا بناء بيضاء يسكنه غربا » (افتتاح الدعوة ، ص ٣١٧) . هذا ، كما ينسب إلى أبي العباس تحريض الدعاة وزعماء الكتامية على المهدي ، إذ : « طعن لهم في الإمامة ، وأدخل فيها الشبهة ، كما بن لهم اسهانة المهدي بهم عندما اترع منهم أموال أيكجان ، وعندما أدخل الجيبد معهم في الخدمة العسكرية (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٩) . وتضيف الرواية أن أبا العباس ، وهو يحرض أخاه ومن استفسده معه من أصحابه ، كان يعد ذلك على سبيل تخويفهم على أنفسهم . والذي يؤخذ على القاضي العمان في روايته هذه ، أنه يهمل تحديد تواريخ تلك الأحداث ، وإن كان من البين أنه ، كان لأبي العباس المخطوم أن يقوم بمثل تلك الأعمال التي تعتبر دعوة إلى قلب نظام الحكم . كما يقال الآن ، إلا بموافقة أخيه الداعي .

الرأي في تغيير النظام :

والمعروف أن أبا عبد الله كشف عن رأيه في تغيير النظام في آخر سنة ٢٩٧ هـ / أغسطس ٩١٠ م ، وهي سنة استنفاد الإمام في سجلماسة . فبعد وصول الإمام إلى رقادة خرج أبو عبد الله في حملة عسكرية لإقرار الأمور في المغرب ، في أواخر شوال أو أوائل ذي القعدة ، بعد عيد الفطر الذي حضر الاحتفال به مع ولي العهد بمصلى رقادة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) . حيث إن وصول الداعي إلى مدينة تنس ، من المغرب الأوسط ، كان في ٢٧ من ذي الحجة / ٧ سبتمبر ٩١٠ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١) . وإذا كانت إنجازات الحملة العسكرية قد سجلها ابن عذارى في خبر خروج الداعي سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، حيث النص على ظهور الالتفات في المغرب ، وفساد الطرق ، وثورة القبائل ، وفي أن الداعي حقق أهداف الحملة حسبما ورد في كتبه التي قرئت على منابر أفريقية ، وفيها : إخماد القلاقل وإخضاع المدن النائرة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) ، فإن

بقية اجازات الحملة تأتي في سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م حيث الحرب مع قبائل البربر ، من : مدينة وريانة ، وقتل الرجال وسبى النساء وأخذ الأموال الى جانب احراق بعض المدن بالنار ، واحطار الامام بالكتب التي قرئت على المنبر ، قبل العودة الى رقادة بعد شهر كثير (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٢) .
أما عن الوقوف بموضع الثور من تنس فكان بمثابة استراحة انتهزها لدعوة رعاء قبائل كتامة للخروج على عبيد الله . ولقد اعتذر الداعي عن ذلك بأن أفعال عبيد الله القبيحة لا تشبه أفعال المهدي الذي كان يقوم بالدعاية له ، وأنه يجوز أن يكون قد أخطأ في التعرف عليه ، وأنه يمكن استدراك ذلك عن طريق كشف العلامات الموجودة بين كنى الامام ، والتي كان يعرفها رؤساء الدعاة ، مما سبقت الإشارة اليه .

وبناء على ذلك تم الاتفاق على امنحان الامام عند العودة الى رقادة . وكان ممن دخل مع الداعي وأخيه في تلك المؤامرة : أبو زاكى تمام بن معارك الأجانى (١٧) ، وعروبة بن يوسف المنوسى (ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٦٢ . ١٦٤) . وهارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الازيايى (١٨) ، وأبو القاسم ابن القديم صاحب الخراج والبريد (١٩) .

توزيع أدوار المؤامرة :

ومن المهم أن الأدوار قسمت على الجماعة ، فكان على أبى زاكى أن يفتح دارة للاجتماع (٢٠) . وكان على هارون بن يونس بصعته شيخ المشايخ ، أن يواجه عبيد الله بالشك في امامته ومطالبة بتقديم الدليل على صحتها ان وجد (٢١) . أما ابن القديم فكان عليه أن يقوم بدور الممول للجماعة ، وذلك بفضل أموال كانت قد بقيت لديه منذ ولايته للخراج على عهد الأغالبة . وإذا كان القاضي النعمان يفسر تأمر ابن القديم على المهدي بسبب خشيته من أن يحاسبه على تلك الأموال التي كانت في ذمته ، فإن ابن القديم يظهر

(١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٢ ، فارت ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(١٨) افتتاح ، ص ٣١٠ - سنة الى قيلة اذابة وهي من بطون مسالته .

(١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩ ، وقارن افتتاح الدعوة الدعوة حيث ديوان البريد بدلا من ديوان الخراج - ولا بأس أن يكون قد جمع بين الديوانين ، كما يحتمل أحيانا حيث كان من مهام صاحب البريد (والأخبار) معرفة أموال الخراج .

(٢٠) افتتاح ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(٢١) افتتاح ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ .

أيضا في شكل العميل المردوج ، كما يقال الآن وذلك أنه كان في نفس الوقت يحضر « المسافين » (المتأمرين) ليعتدروا لئلاصام عما يدر سبهم (اسنح ، ص ٣١٥) ، أما عن عروبة بن يوسف فإنه بعد أن دخل مع جماعة المتأمرين فيما عقدوه بينهم ، عاد وكشف سرهم للمهدي الذي كتم الأمر (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢) - وكانت مكافأته على ذلك أن عين رئيسا لفرقة المماليك من عبيد القصر (٣٢) - ولا بأس أن يكون سب عذر عروبة بالجماعة ، ما كان بينه وبين أبي زاك من المنافسة الشديدة أو التحاسد ، إذ كان أبو زاك يقول : « لا والله لا أكون في قطيع أيام تقدمني فيها ابن راعي البصر » - يعني عروبة بن يوسف (افتتاح، ص ٣١٧) -

التخلص من أبي عبد الله وجماعة المتأمرين :

والمهم أن رد المهدي على المتأمرين كان في البداية مائيا ، يدل على رباطة الجأش ورجاجة العقل ، ولكنه عندما زال الشك باليقين كان في النهاية فاصلا ، يؤكد ما اتصف به الامام من الحزم والحسم - والحقيقة انه بينما كان أبو العباس متطرفا في عداوته للامامة ظل أبو عبد الله ممثلا للجماعة ، لا يبتغ به الأمر الى درجة الجحود والتفارق ، الى « أن فشا أن أمير المؤمنين قد أنهى اليه ذلك » (افتتاح ، ص ٣١٠) ، وعندئذ بلغ الجدل الذي بدأه هارون بن يونس مع الامام الى حده القطيعة - ورغم ما تقوله رواية النعمان من أن الامام نصح في افحام شيخ المشايخ الكتامي ، الا ان عقوبة هذا الأخير كانت الموت (٣٣) -

وهنا قرر المهدي أن يتخلص من الداعي الذي « بدت عورته » . ووجبت حجة عليه . . . وحل قتله لمحاربه اياه » (افتتاح ، ص ٣١٤) ، ولكنه كعادته لم يتعجل النهاية إذ رأى أن يعزل أبا عبيد الله وأخاه عن أصحابهما ففرقهم في النواحي حتى يسهل عليه الانفراد بهما . فأرسل أبا زاك على رأس حملة الى قبائل صوارة في حيز طرابلس (٣٤) التي كانت

(٣٢) افتتاح ، ص ٣١٢ ، وعن اتحاد المهدي للسيد اسطر ص ٣٠٣ -

(٣٣) افتتاح ، ص ٣١١ - حيث كان رد المهدي على شك هارون بقوله « ومحك - كنتم ؟ يقنتم ، واليقين لا يزله الشك » - ويعلق السمان على ذلك بقوله « وصدا الذي ذكره » (عم) أصل من أصول الدين ، وأنه حقت على هارون كلمة العذاب - وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ -

(٣٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٣ ، افتتاح الدعوة ، ص ٣١٥ -

ولا يهبط لعمه : أبى يوسف ماسكون بن ضبارة الأجانى - وأحكم المهدي
الديبر فقرر أن يكون التخلص من زعماء الفتنة الثلاثة ، وهم : الداعي
وأخوه المخطوم وأبو زاك دفعة واحدة ، رغم وجود أبى زاك بعيدا في
طرابلس - كما رأى أن خير وسيلة لعدم إثارة قبيلة أجانة ، عصبية
أبى زاك ، أن يسهل بتنفيذ العقوبة العظمى فيه إلى عمه وإلى طرابلس ، الذي
نفذ المهمة الثقيلة بمنتهى العفوية ، إخلاصا للامام ، كما تقبل أبو زاك من
عمه قرار الموت بما يليق بكبار القواد مثله ، من : رباطة الجأش ، إذ قال
له : « يا عم أنفذ ما أمرت به » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤) .

وبمجرد وصول نيا قتل أبى زاك من طرابلس إلى رقادة جوا عن طريق
الحمام الزاحل ، وذلك في أول ذي الحجة سنة ٢٩٨ هـ / ٣١ يولية ٩١٠ م ،
كان المهدي يضع اللمسات الأخيرة للتخلص من الداعي وأخيه قبل أن يصلهما
الخبر . فقد استدعاهما للقائه ، وكان اغتيالهما في الطريق إليه خلف القصر
البحري برقادة ، وعلى يدي عروبة بن يوسف ، وجبر بن ناسب
الميلي (٢٥) .

ورغم ترحم المهدي على الداعي لخدماته الجليلة ، ولمنه لأخيه أبى المباس
المخطوم الذي أوردته موارد التهلكة ، فإنه وضع أن منهاج الحق لا يتجزأ ،
وإن احقاق الحق لكل رجل لم يمنع من احقاق الحق فيه . أما عن العقوبة
العظمى التي نزلت بأبى عبد الله فهي تنقية له وتطهير (٢٦) .

وكان من الطبيعي أن ينحرف المهدي عن الكتامين ، أنصار الداعي

(٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ - حيث قال عروبة للداعي عندما استنصحه أمرى
وتنك من أمرت الناس بطاعته ، وانخلعت له من الملك بعد توكلته . وانظر ابن الأثير ، ج ٨
ص ٥٢ ، وقارن امتناع ص ٣١٥ ، ٣١٦ - حيث تاريخ قتلها فحق الأثير ١٥ جمادى
الآخرة سنة ٢٩٨ هـ / ١٩ سراير ٩١١ م . ولقد رجحنا رواية ابن عذارى رغم تأخره ، إذ
مرأها أكثر دقة من رأي التلميذ الحمار الذي تنقصه التواريخ كثيرا ، كما يرى أنه تحوّر
مع مرور الوقت بسبب طول الستر والكتمان . حيث لم ير العور إلا في وقت متأخر ، وكذلك
أطال بالنسبة لكثير من المصادر الأساعيلية التي لم تظهر متساهرة فقط ، بل وفيه شغف
مواظبها ، ممدا ، في الهند خاصة .

(٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ ، امتناع ، ص
٣١٦ ، ٣١٩ - حيث الإشارة إلى أن أبا عبد الله طهر بالعقوبة كما تطهر الذهب مما بداخله
من العش والدونان في النار ليصفو .

عاجتجب عنهم أيما ، قبل ان يؤمنهم ويستسلمهم مسروقين (ابن عسارى ، ج ١ ص ١٦٥) . هذا هو الوقت الذى بدأت مطاردة يقيه الخناعميين ومن يحوم اشك حولهم من أعوانهم ، بالعاصمة رقادة وبالأقاليم ، وكان منهم بعض أمراء الأغالله الساميين (٢٧) . وكان أبو القاسم بن القديم من بين الفارين منهم ، ولكنه قبض عليه ، فيما بعد ، وقتل (اغتياح ، ص ٣١٦) .

موقف الكتاميين من مقتل الداعى :

كان من الطبيعى أن يكون ، لمقتل الداعى أصغاء حزينة فى نفوس الكتاميين وقلوبهم ، الأمر الذى أدى الى جفوة بين المهدي ومعظم القبائل الكتامية ، ممن عرفهم الفاضى النعمان باسم « المنافقين » . أما عن أولئك الذين بقوا مخلصين للفاطميين منهم ، لسبب أو لآخر فكانوا قلة ، ومنهم الزعيم الكتامى أبو حنيفة فى جماعة من المشايخ ، وعلى رأسهم عروبة بن يوسف (اغتياح ، ص ٣١٢) ، والحقيقة أنه رغم اجتهاد المهدي فى الحفاظ على العلاقة المتينة بين كتامة وبين الدولة ، فمن الجلى أن اختفاء الداعى من مسرح الأحداث كان له نتائج سلبية على مجريات الأمور ، فى كل من بلاد القيروان وكتامة ، حيث قبائل الأحرار من المعتزين بأياديهم البيضاء على الدولة . وكل ذلك نتيجة للدعاية السيئة التى قام بها كل من الامام والداعى فى حق الآخر ، والى الوقت بظلالها القائمة على كل من الجانبين .

هكذا سمعت سمعة الكتاميين فى القيروان وأفريقية ، وخاصة بين طبقات العامة وأهل الأسواق ، كمسا سمعت سمعة الدولة والامام فى بلاد كتامة ، الأمر الذى تطلب من كل جانب منها أن يجند لنفسه بديلا عن الطرف الآخر . وفى الوقت الذى بدأ المهدي يعد العدة لاقامة نواة جيش خاص من المالك البيض والعبيد السود لا يدين بالولاء والطاعة الا لشخصه (ماسبق ، ص ٦٦ وما ٢٢ ، وبعد ١٠٥ - ١٠٦) ، كانت فكرة اقامة امام مغربى من بين أنفسهم تختمر فى عقول الكتاميين وقلوبهم ، بدلا من ذلك الامام « المشرقى » . وظهرت نتائج سوء ظن كل فريق بالآخر فى تلك الانفجارات الشعبية ضد الحند الكتامى فى كل من القيروان وطرابلس ، والتي كان لها

(٢٧) اغتياح ، ص ٢٢٠ - عن حرج بن الأعلى عثمينا سقم سا مقتل الداعى ، واصطراب من كان منهم بالقصر القديم ، مدينة حدم ابراهيم الأول « العباسية » ، ص ٣٢٦ .
- حيث معاهرتهم بالنعصة لولى الله (المهدي) الذى تركهم بعض الوقت ثم أمر بإعتقالهم
ص ٣٢٢ - حيث الأمر بالقبض عليهم وقتلهم وحبس من شذ منهم .

رد فعل في بلاد كتامة ضد عيد الله ، اعتبارا من أواخر سنة ٢٩٩ هـ /
يويه - يوليه ٩١٢ م التالية لسنة مقتل الداعي .

مذبحة الكتامين في القيروان :

في ٢٠ شعبان من سنة ٢٩٩ هـ / ١٣ إبريل ٩١٢ م قام انفجار شعبي رهيب في اسواق القيروان ضد الكتامين ، ومنها انتشر الى أزقة المدينة ، راح ضحيته حوالي ألف رجل منهم (٢٨) . وإذا كان السبب المباشر لمذبحة الكتامين في القيروان هو استغلال أحد الجنود الكتامين على بعض تجار المدينة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٦) ، فمن الواضح أن مذبحة الكتامين هذه ، وقعت مرتبطة بحركة التطهير التي قام بها المهدي في الجهاز الإداري ضد المتعاطفين مع الداعي من كبار الموظفين ، والتي راح ضحيتها منهم : محمد بن أبي سعيد الميلي ، صاحب السوق (المحتسب) ، وابن القديم (عبد الله بن محمد ، أبو القاسم) عامل الخراج (والبريد) ، وغيرهم (٢٩) ، الأمر الذي قد يفهم منه أن ثمة علاقة سببية بين الحادثتين . هذه العلاقة تتمثل في وقوف أهل الأسواق ضد الجند الكتامي الذين كانوا يسيئون الى التجار ، والتخلص من صاحب السوق ، وهو الأمر الذي يؤكد ما قام به والي القيروان ، أحمد بن أبي خنزير ، من تسكين الناس ، والأمر « بتغيب القتلى الكتامين الذين طرحوا في المراحيض (٣٠) » .

(٢٨) ابن عذاري ج ١ ص ١٦٦ - حيث العدد أكثر من ١٠٠٠ (ألف) رجل ، وانظر الحداثي والعيون ، المحيول ، تحقيق تيسلة عبد المعص ، ط ١ - الطبعة ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٢ - حيث تحديد عدد القتلى من الكتامين بـ ٧٠٠ (سبعمائة) رجل ، قتلوا في ساعة واحدة .

(٢٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٧ - حيث اصفاة محمد بن أبي تروجل الباغاني ، وأبو الوهب بن عمر بن رزاة السدي ، وأبو إبراهيم المعروف بـ ابن الجاوي القرشي الفهري ، وجماعة من بني الأغلب وقوادهم .

(٣٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٦ . أما عن رواية القاضي النعمان (امتلح) ص ٣٢٢ ، (٢٢٢) التي تصف الكتامين بالأولياء ، فهي لا تحمل تاريخا ، كما تحمل من مذبحة الكتامين شجارا عويا بين بعضهم وبين بعض العوغاء غير المنضدين ، مما دعا المهدي الى الاعراض عنهم لبعض الوقت قبل أن يعاقب بعضهم بمصادرة أموالهم . ومن الواضح أن هذه الرواية تمثل وجهة النظر الرسمية من حيث أنها تضع الدولة في موقف الحكم إلا إذا كان الأمر يتعلق بحادثة أخرى ، خاصة وأنها تربط بينها وبين مشاركة قهواء القيروان في ثورة أبي يزيد مخلد بن كنداد ، صاحب الحمار ، الزناتي .

الثورة في بلاد كتامة :

هكذا كانت النتيجة الطبيعية للمدبحة - امى تدل القرائن عسى مشاركة بعض الرسميين في تدبيرها - على عودة الجيود الكتامين العاملين في منطقة العاصمة رفادة الى بلادهم ، حيث أعلنوا الثورة على عبيد الله المهدي . وبلغ الأمر الى حد أنهم أعلنوا امامة أحد فتيانهم واسمه كادو بن معارك ، ولقبه الماوطنى ، نسبة الى عشيرته بنى ماوطنى ، من قبيلة أوسه (٣١) . والمهم أن الدعوة الكتامية المشقة على المهدي في بلاد كتامة اتخذت شكل دعوة طاطمية جديدة ، إذ لقب الماوطنى بالمهدي ، وقدم الكتاميون له فروض التبجيل ، وصبوا له الدعاة على النسق الذى قام به أبو عبد الله الداعى (الشيعى) من قبل ، بل واسم أبى عبد الله نفسه الذى قيل أنه حتى لم يمض (٣٢) ، فكانه الامام « المستقر » ، وكان الماوطنى يقوم بدور الامام « المستودع » . وفى ذلك تسببت الروايات الشعبية الى الماوطنى أنه يأتيه الوحى ، و« كتبوا فيه شريعة زعموا انها نزلت عليه » ، وبالفعل بعض تلك الروايات فقالت انهم : « اتخذوه قبلة يصلون اليه » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) . هذا ، كما وصفت روايات الخصوم - تماما كما فعل خصوم الاسماعيليين - دعوة المهدي الكتامى بأنها دعوة اباحية . تطبق نوعا من شيوعية النساء ، من : اباحة الزنا والمخارم ، الى جانب ما اشتملت عليه من « تخليط عظيم » (٣٣) .

والمهم أن المهدية الكتامية المضادة حققت نجاحا كبيرا في بلاد كتامة ، وفى منطقة القبائل الصغرى ، وكذلك في بلاد الزاب حيث اجتاحت ميلا

(٣١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٤ ، وقارن ابن عذارى . ج ١ ص ١٦٦ حيث تحريف الاسم الى « الماوطنى » ، وانظر الحقائق والبيون ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، حيث تحريف الاسم الى « الماوطنى » . وهنا لا بأس من الإشارة الى ثورة قامت في كتامة سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م أى بعد قليل من مباشرة الامام لسلطانه . وتقص الرواية أن صاحب تلك الثورة عرف به (سب) وأنه استمع اليه محمد عظيم من قبائل التبريز وأن عبيد الله كتب الى من يتبعك طاعته من الكتامين صحرارة الثوار للدين هرعوا ، وتم أسر « سب » كما قرئ . كتاب الفتوح بالقيروان (ابن عذارى ج ١ ص ١٦٠) . ولا بد من أن كانت لتلك الثورة علاقة بثورة الماوطنى ؟

(٣٢) افتتاح . ص ٣٢٥ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والبيون والحقائق . ج ٤ ق ١ ص ٢٥١ .

(٣٣) افتتاح ، ص ٣٢٥ ، وقارن البيون والحقائق ج ٤ ق ١ ص ٢٥٢ .

وعلييت على جميع البلاد (٢٤) . هذا ، كما نتجحت في مواجهة القواد الدين
سيرهم عبيد الله الى هسا ، بل ان بعض هؤلاء القواد انضم الى الشوار
الكنانيين . كما من صولات بن جندب مع رجال فرقة المايين (ابن
عداري ، ج ١ ص ١٦٧) .

وأخيرا تمكنت القوات العاطمية التي سارت في ٢٥ رمضان سنة
٢٩٩ هـ / ١٦ مايو ٩١٢ م ، بقيادة ولي العهد أبي القاسم ، من اجتياح بلاد
كثامة حتى سواحل البحر حيث دخلت مدينة قسطنطينية في ٢٣ شوال سنة
٢٩٩ هـ / ١٤ يونيو ٩١٢ م ، ولكن بعد أن بقيت كثيرا من العناء ، ليس في
حرب الشوار فقط ، بل وفي غدر الرعماء الكنائيين وحنودهم الذين كانوا
يحنون الى بني جلدتهم ، فيهربون الى الماوطننتي (٣٥) .

وإذا كان سقوط قسطنطينية يعني نهاية الثورة ، إذ تم الغلبة على
الثائر عندما انهزم في ٣ من ذي القعدة / ٢٢ يونيو ، ووقع بين يدي
عروبة ، فإن سياسة المدارة والملاطمة كان لها أثرها في اجتذاب أنصاره
الذين قبلوا أمان القائم وانصرفوا اليه (٣٦) .

وهكذا أعاد أبو القاسم الأمن والهدوء الى بلاد كثامة . وعاد بالدعي
الماوطننتي الى رقادة حيث قتله المهدي (٣٧) .

(٢٤) ابن عداري ، ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ .

(٣٥) ابن عداري ، ج ١ ص ١٦٧ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، الداعي ادريس ، عيون
الأسرار ، ص ٢٨ - ٢٩ . حيث تعصبات لا تفرق في غيره من المصادر ، نحن على أن أبا القاسم
الذي كان نصخته عروبة بن يوسف اللوسى كان يتقدمه جيشان ، أحدهما بقيادة ذمار الموسى ،
والآخر بقيادة محمد بن يعل . وفي معاقبة ولي العهد وما لاقاه من هول الهروب في كثامة كان
ود المهدي عليه في بعض رسائله متضمنة بعض أبيات من الشعر ، تعبر عن معاناته هو الآخر
مها

أصبح في كثامة ذا أفراد تقبل لها قساما في قيام
والتد الحياة بخصم عش معاذ الله والشهر المرام

(وانظر فيما بعد ص ١٠٨)

(٣٦) ابن عداري ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ . حيث تمتع آفة التاريخ في
شكل حركات من حيث التقسيم المعلومات على سنتي ٢٩٩ - ٣٠٠ ، وكان الأمر خاص بجمعتين
مختلفتين ، وقارن العيون الخدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥٣ . حيث النص على أن الرعب كان الى
ميلة .

(٣٧) ابن عداري ، ج ١ ص ١٦٨ . حيث النص على أنه طوف بالمناطلي وأصحابه أسرى
على الجمال . وعليهم القلائس الطوال المشهورة بالقرون والمصافح ، افتتاح ص ٣٢٥ ، وقارن
ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والداعي ادريس ، ص ٢٩ .

ثورة شعبية على الكتاميين في طرابلس :

وما أن انتهت الثورة في بلاد كتامة أو كادت حتى عاصرتها في السنة التالية ، ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، ثورة أخرى ضد الجند الكتامي في طرابلس . ورغم أوجه الشبه بين الثورتين من حيث أن كلاهما انتفاضة شعبية ضد الجند الكتامي ، فإن هناك من أوجه اختلاف أساسية بينهما . فبينما نمت ثورة الغيروان ، ضد الكتاميين المتآمرين على الإمام بتدبير بعض الرسميين ، كما توحى النصوص ، كانت ثورة طرابلس مخصصة للدولة ، ضد الكتاميين من الأولياء (المواليين) للمهدي ، وعلى رأسهم والي طرابلس : مكنون بن ضمارة الأجاني ، الذي كان من ثقة الإمام حتى أنه كلفه بقتل أبي زاكى - ابن أخيه .

والحقيقة أن المهدي كان قد أرسل أبا زاك على رأس جيش كبير ، إلى مطلع طرابلس لمعضساء على ثورة قبائل هوارية هناك بقيادة رعيمهم أبي هارون الهوارى ، الذى هدد المدينة بالحصار ، وبمشاركة من بعض القبائل الزبائية ومهسما قبيلة لماية (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣) . وهكذا انتهر المهدي الفرصة للتخلص من أبي زاك مع أبي عبد الله ، مفترقين ، وهذا ما حدث (ما سبق ، ص ٦٧) بعد أن أغرق أبو زاك الثورة الطرابلسية في الدم (٣٨) .

ورغم ما تشير إليه الرواية من أن السبب في انتفاضة أهل طرابلس ضد الجند الكتامي هناك ، هو ما كان يسمح به مكنون ، الوالى ، من « بسط أيدي بنى عمه من كتامة على الناس » حتى يبلغ الأمر إلى حد « تطلوهم إلى الحريم ، فتحرك السواد ، ومدوا أيديهم إلى من لقوا من كتامة فقتلوهم » ، فالمهم هو أن مكنون فشل في مواجهة الثوار الذين نجحوا في طرده خارج المدينة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨) ، وبصحبته : أفلع بن هارون الملوسى القاضى المعين من قبل المهدي (٣٩) . وانتهاز الطرابلسيون الفرصة وأغلقت أبواب المدينة وتخلصوا ممن كان بداخلها من الجند الكتاميين فقتلوهم ، ثم انهم رأوا أن ينظموا أنفسهم تحت قيادة بعض الزعماء ،

(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣ - حدث هرم التوار وهرق حزمهم ، وقتل كثيرا منهم ، وبغت برؤوس كثيرة وأذاذ مفرقة لم يقل ، فصبت برقاده .
(٣٩) الداعى ادريس . عن الإخبار ، ص ٣٠ .

ومنهم : محمد بن اسحق القرشي ، المعروف بابن القرلين^(٤٠) ، وأحمد بن نصر ، الباغاثي^(٤١) .

ولم يكن أمام ماقتون سوى الالتجاء الى عبيد الله المهدي برفادة ، حيث زوده بجيش جديد وسيره لحرب الثوار ، الأمر الذي استمر عدة شهور دون جدوى . وعندئذ انتهز المهدي عودة ولي العهد أبي القاسم من حرب بلد كتامة مظفرا ، ورأى أن يكلفه بمواجهة ثوار طرابلس فكان مسيره الى هناك في ٢ جمادى الأولى سنة ٣٠٠ هـ / ١٥ ديسمبر ٩١٢ م^(٤٢) .

استخدام الأسطول :

ولما كان الثوار قد استغلوا مركز مدينتهم البحرية وتمكنوا - بمساعدة الهواريين - من الشمال ما ضرب عليهم من الحصار البري ، وجد المهدي ضرورة أن تصاحب الحملة بعض قطع الأسطول ، فسار معها ١٥ (خمسة عشر) مركبا حربية . وكان من الطبيعي أن تصل قطع الأسطول قبل الحملة البرية ، لتجد مراكب أهل طرابلس في انتظارها . ولقد أثبت الطرابلسيون أنهم بحارة مهرة ، إذ تصعدوا لقطع الأسطول الفساطمي فأحرقوها وقتلوا من فيها من البحارة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ - ١٨٩) .

ولي العهد يحكم الحصار :

وعندما وصل أبو القاسم رأى أن يوجه نشاطه أولا الى قتال قبائل هواره في مواطنهم بظواهر المدينة ، وكانوا يمدون طرابلس بما يلزمها من الخلات بحرا (الداعي ادريس ، ص ٣٠) ، ثم انه اتجه الى طرابلس نفسها وشن عليها الحرب ، وأحكم حولها الحصار الذي استمر ٦ (ستة) أشهر (الداعي ادريس ، ص ٣٠) . ومن الواضح أن قطعاً جديداً من

(٤٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ - ولا ندرى إن كان المقصود بالقرلي ، لقب محمد بن اسحق ، له علاقة بالطائر المعروف في طرابلس باسم قرلة (حولة) ، وهو مشهور بتهارته ونهمه الشديد ، الذي قد يؤدي الى هلاكه - أنظر كتاب الاستبصار ، ص ١٠٩ . الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤١) الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ .

الإسطول الفاطمي شاركت في الحصار من جهة البحر فهذا ما يفسر كيف صاق الطرابلسيون بالحصر حتى أكلوا الميه ، واضطروا الى طلب الأمان (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩) ، وقبول شروط أبي القاسم التي تقضى باستثناء ثلاثة من زعماء الثورة - ربما كانوا يكونون مجلسا للحكم ، على ما تظن - منهم : محمد بن اسحق القرشي ، ومحمد بن نصر الباغاثي ، وآخر غير معروف الاسم (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩) .

التخلص من زعماء الثورة :

وعكذا يصبح دخول أبي القاسم مدينة طرابلس عوة ، حيث تخلص ممن كان معه من الأغلبة وقوادهم (٤٣) . كما أكرم أهل المدينة كل نفقات الحملة (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦) . كما ترك أمر تعذيبهم واستخلاص الأموال منهم الى القائد خليل بن اسحق - الذي سيفتح فيما بعد بمدايحه في صقلية - وهو من مواليد طرابلس ومن أبناء جلدتها (٤٤) . وبعد أن عهد بولاية المدينة الى أبي مدين كباوة النهيضي ، وجعل حباسه بن يوسف الملوحي معاوناً له (الداعي ادريس ، ص ٣٠) ، عاد على رأس حيوشه المظفرة الى رقادة ، يتقدمه زعماء الثورة الثلاثة الذين شهر بهم كما كان الحال بالنسبة للمواطنين وأصحابه ، على الجمل بالقلانس ، قبل أن يقتلوا (٤٥) .

الأحوال الداخلية :

الاضطرابات في الأقاليم :

هكذا يمثل الخلاف بين المهدي وبين الداعي أول أشكال السياسة

(٤٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩ . ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - حيث النص على تسريح البلد منها والمغادرة عن أهلها ، وقارن انتحاج ، ص ٣٢٥ - حيث الإشارة الى أن أبا القاسم أفتتحها بعد حصارها منه وأنه عفا عن عامتها ، وقتل أهل الخلاف من أكارها ، واستصفي أموالهم .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ ، وأظن عريب بن سعد ، صلة تاريخه الطبرى ، ص ٣٧ ، وأظن القحاس ، الرحلة ، ط ١ تونس ، ١٩٢٧ ، ص ١٧٢ .

(٤٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - الذي يلخص الرواية - ورواية انتحاج الدعوة أسلا - قائلا ، وأحد وجوه البلد عنده ، واستعمل عليه عاملا وانصرف .

الداخلية التي انتهجها المهدي ، وتكون تصمية أبي عبد الله سبيبا في فساد العلاقة بين الدولة وبين عصبيتها الكتامية ، ذلك الفساد الذي انقل الى المستوى الشعبي فشجع أهل أسواق القيروان على قتل الحند الكامي ، وما ترتب عليه من اضطراب بلاد كتامة نفسها ، وما تلاه من انتفاضة عامة قام بها أهل طرابلس ضد الكتامين ، وحرأتهم على طرد ممثلي السلطة ، من الوالى والقاضى .

ولا شك أن انتشار مثل هذه الأخبار عن كتامة كان مما يشجع على إثارة البلبله والاضطراب ، ليس فى الأقاليم المتطرفة وبين القبائل المعادية فقط . بل وفى قلب أفريقية - مركز الحكم . وهذا ما كان يحدث فعلا فى تلك العترة من مطلع القرن الرايسع الهجرى/ ١٠ م . وان لم تنصغر مواجهه الدولة لذلك سياسه الحزم والحسم فقط ، بل وبما واكبها من استعراض للقوة مما نمثل فى المحاولات الأولى لفتح مصر .

انقلاب فاشل ضد المهدي :

فى سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ - ٩١٥ م ، وهى السنة التى ولى فيها ديوان البريد ، وهو ديوان الخبر ، أبو جعفر البعدادى ، انهم أحد القيروانيين . وهو محمد بن أبى أيوب المعروف بأبى العاعة ، بمحاولة الثورة على المهدي . والظاهر أنه كان للرجل شركاء فى تلك الهمة ، وذلك أنه رغم اختفائه لبعض الوقت ، صدرت الأوامر بهدم عدد من الدور بالمدينة . ورغم أن الرجل سمح له بالظهور بعد أن قدم النصيح للمهدي فيما يتعلق بسياسته لأهل القيروان ، فإنه لم يسلم من عقوبة الاعدام بعد فترة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) .

فتح برقة سنة ٣٠٢ هـ :

فى نفس الوقت الذى ثارت فيه طرابلس (٣٠٠ هـ/ ١٢ - ٩١٣ م) ثارت برقة ولكن ضد حكم العباسيين . والظاهر أنه كان للفاطميين يد فى تدبير الاضطراب هناك عن طريق إثارة الأعراب الذين خرجوا يهاجمون حدود مصر . وكان ذلك بمثابة التميد لثورة المدينة ذاتها التى انخرقت فى الدم ، من حيث اعتبارها خيانة تفتح حدود مصر للمخطر الشيعي المحدث بها . وانتقم من الثوار بما يعبر عن الغيظ والتشفى ، اذ قطعت أنوفهم

وآذانهم وأرسلت الى بغداد(٤٦) .

وشجعت ثورة برقة عبيد الله على الاسراع فى محاولة غزى مصر .
ففى ٢٥ جمادى الآخر من السنة التالية (٣٠١ هـ / ٢٦ يناير ٩١٤ م) ،
سير حباسة بن يوسف الملوسى ويصحبه موسى بن عبد الرحمن الودائى ،
على رأس حملة نحو برقة التى كانت ضمن حدود مصر الادارية ، أى تابعة
لخلافة العباسية(٤٧) ، وبمجرد اقتراب العسكر العاطمى من مدينة سرت
فرت الحامية المصرية نحو الشرق ، وكان يكفى اعلان الأمان لأهلها لى
يدخلها حباسة دون قتال ، ويرسل كتاب الفتح الى رقادة حيث قرىء من
أعلى منابر افريقية(٤٨) . ومثل هذا حدث فى أجدابية ، اذ هرب الجنود
العباسى (المصرى) ، ودخل حباسة المدينة بالأمان ، وكذلك كان الحال الى
أن دخل عاصمة الاقليم برقة ، بعد أن هرب منها قائد الحامية المصرية :
أبو النمر أحمد بن صالح ، لى يدخلها حباسة فى ٧ رجب / ٦ فبراير
٩١٤ م (الداعى ادريس ، ص ٣١) . وتطلب الأمر من المهدي أن يمد
حباسة بالجيش على طول الطريق (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) ، من
أجل إقامة الحاميات وتهدة البلاد - على ما نرى .

معاملة قاسية لأهل برقة :

ورغم دخول برقة بالأمان الا أنهما لقيت معاملة قاسية من قبل
حباسة ، لأكثر من سبب حتى لجأت الرواية التى يقدمها ابن عذارى الى
التعميم ، فقالت : انه « كلمسا دخل مدينة قتل أهلها ، وأخذ أموالهم
(ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . هذا ، ويمكن تفسير تلك المعاملة بتبعية
المدينة للإدارة العباسية المعادية ، الأمر الذى دعا الى الشك فى تصرفات
بعض أهلها . من ذلك أنه قبض على جماعة من القيسريين ممن كانوا يلعبون
بالحمام ، واتهموا بالتخابر مع عملاء العباسيين باستخدام ذلك الحمام
الزاجل ، وأساء حباسة استغلال ذلك فى سبيل استخلاص الأموال منهم

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٤ ، وانظر للمؤلف ، مرقف الحاسا بين قيام العاطميين
بالمغرب وقتلتهم بن مصر ، مجلة كلية الآداب الليبية ، مجلد ١ ، ص ٢٣٠ .

(٤٧) انظر ابن الأثير (سنة ٣٠٠ هـ) ، ج ٨ ص ٧٤ - حيث الإشارة الى ورود الخبر الى
بغداد ، ورسول من عامل برقة ، وهى من عمل مصر ، وما بعدها به ٤ فراسخ لمصر وما وراء
ذلك من عمل المغرب .

(٤٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، رقاوى انتاج ص ٣٦٦ .

عن طريق التخويف بالاحراق بالنار (٤٩) .

فشل والى عصر في استرجاع برقة :

ورغم قرار الحاميات المصرية (العباسية) أمام جيش حباسة في اقاليم برقة التابعة لمصر ، فان والى مصر وقتئذ ، وهو تكين ، قام بمحاولة استرجاع برقة فأصدر الأوامر الى القائد أحمد بن صالح بالرجوع على رأس العساكر التى نجحت فى تحقيق بعض الانتصارات على جند حباسة (٥٠) ، الذى طلب النجدة من المهدي فأرسل اليه المدد بقيادة سليمان بن كافي الجيملى ، وعفيف بن كرادس ، اللذين خرجا من رقادة في ٥ شعبان سنة ٣٠١ هـ / ٦ مارس ٩١٤ م (الداعي إدريس ، ص ٣١) . وفى النهاية كانت الغلبة لحباسة الذى حقق النصر على المصريين في ٢٥ رمضان / ٢٤ ابريل ٩١٤ (٥١) . ولم تكن القوات الفاطمية بالنصر ، بل انها تابعت المنهزمين فى انسحابهم ، وقتلت الكثير منهم (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) .

والظاهر أن ذلك النجاح كان حافزا لكى ينزل حباسة المزيد من التكيل بأهل برقة ، وخاصة أولئك الذين كانوا قد اتهموا بالاساءة الى الامام - عندما طالبهم برد ما كانوا قد أخذوه من ماله ومناعه - وهم بنو حمال المراتى وبنو عمومتهم - وهو فى الطريق من مصر الى سجلماسة . ففى

(٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ - حيث مصر على أنه اصرم لهم نارا ، وأجندسهم حرائرها وأمر بأن تقطع لوجهم وتشوى ثم يطمر بها . وقدنهم بعد ذلك فى النار ، وصى الروايات الأسطورية ، كما ترى اننى نجد لها مثيلا فى موسى بن نصير فى صنع الأندلس . هذا ، ان ما تقول فى الرواية أيضا من أنه قتل حوان ألف رجل من أهل برقة عدرا ، عندما حاصم بالتوسع فى الرزق عن طريق تسجيل أنفسهم فى لديوان ، يسا أمر العرفاء الكتاميين بأن يتصرفوا على هؤلاء المكسيين عندما يحضرون لأحد الأزران . وتضيف الرواية انه وضع كرسيها وحسن فوق جثث القتلى ، الأمر الذى حال وجهاء البلد الذين اتوا ساء على دعونه - الأمر الذى يذكر بمذحة الأمويين فى بهر أبى بطرس - حتى مات بعضهم رجبا من شدة الخوف ولم يكن أمامهم سوى احضار ما طلب منهم من المال ، وجرده ١٠٠ (مائة) ألف مثقال .

(٥٠) انظر ابن الأثير ، سنة ٣٠٠ هـ ج ٨ ص ٧٤ - حيث النص على ورود الخبر الى مداد ، ورسول من عامل برقة ، يخبر طارحى حرج عبيهم ، وأبهم ظفروا به وعسكره ، وبنوا منهم خلقا كثيرا . ووصل على يد ابرسول من أبوفهم وآدابهم شوه كثير .

(٥١) الداعي إدريس ، ص ٣٢ - حيث الاشارة الى ان مدد رقادة فى الطريق بسبب الصاب وانه فوجى بمسكر أهل مصر ، ولكن المصريين هم الذين انهزموا .

السنة الثانية (٣٠١ هـ / ٩١٤ م) قام حياصة بقتل حارث بن حمال المراتى وأخيه نزار ، وبالعت الرواية المعادية للفاطميين ، على ما نشر . بدال : انه « باع نسائهم ، واحد جميع أموالهم » (٥٢) .

ورغم ما توحى به الرواية من أن العقوبة التي نزلت ببرقه كانت بايعاد عبيد الله المهدي ، فان أهل برقه عندما كتبوا اليه بما نزل بهم من القتل والسبي ومصادرة الأموال جاوبهم الامام معتذرا وهو يحلف بأنه « ما أمر بشيء مما ذكره ، الا هي البقرة الثلاثة » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . ولما كانت الرواية لم تذكر من قبل سوى قتل ابني حمال المراتى فقط ، فلا بأس أن يكون الثالث هو حمال نفسه ، الا اذا كان قد توفي من قبل . وتبعاً لأوامر عبيد الله المهدي رحل حياصة عن برقة ، ولكن في اتجاه مصر ، حيث حارب بعض الحصون المحاورة ، فكان فتح برقة والأقاليم المتاخمة لمصر منها ، كان تمهيداً لأول حملة يسيرها المهدي نحو مصر ، وذلك أن أبي القاسم ، ولي العهد ، خرج من رقادة في أواخر نفس السنة (٢٤ ذى الحجة سنة ٣٠١ هـ / ٢١ يولييه ٩١٤ م) ، وفي حشود عظيمة من كتامة وأهل أفريقية في طريقه الى برقه ومصر ، عبر قابس وطرابلس وسرت (٥٣) .

محاولة فتح مصر :

ولا بأس أن يكون عبيد الله المهدي قد رأى أن يستعمل النجاح الذي حققه حياصة ببرقة حيث لم تقم القوات المصرية (العباسية) بمداومة تذكر ، فقرر أن يكمل ذلك بمحاولة طرق أبواب مصر نفسها . فهذا ما يفسر اختلاف الروايات فيما وقع من الخلاف بين أبي القاسم الذي آلت اليه القيادة العليا للحملة وبين حياصة الذي أراد استقلال الظروف التي وافته في برقة . ورواية الداعي ادريس ، شبه الرسمية ، بتفصيلاتها الدقيقة تؤكد أن أبا القاسم ولي العهد ، كتب الى حياصة بأمره بعدم الرجيل والانتظار في برقة حتى وصوله ، ورغم ذلك فان حياصة لم يطق على ذلك صبراً ، وتقدم نحو المشرق على أمل أن يكون فتح مصر من نصيبه (الداعي ادريس ، ص

(٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، وقارن المؤلف ، موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين على أفريقية وولايهم الى مصر . مجلة كلية الآداب جامعة البية ، مجلد ١ ، ١٩٥٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ص ١ .

(٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧١ ، الداعي ادريس ، ص ٢٢ .

(٣٢) • وهكذا فعندما غادر أبو القاسم سرت في ٣ صفر سنة ٣٠٢ هـ / ٢٨ أغسطس ، ليصل إلى اجدابية في ١٢ صفر ٦٠ سبتمبر) ، كانت كتب حباسة ، التي كان قد دخل الاسكندرية في اليوم السابق (١ صفر / ٥ سبتمبر) تصف له دخول قواته إقليم الحنية ، وصرح أبي الدلاء ، قائد الحامية المصرية هناك ، رغم أنه كان بصحبة وإلى برقة الجديد خير المنصوري ، وواليتها السابق : أحمد بن صالح (الداعي إدريس ، ص ٣٢ - ٣٣) •

خلاف حباسة وأخيه عروبة وإلى تاهرت :

وهذا ما يفسر كيف أن حباسة لم يستطع التكيف في الخدمة تحت قيادة ولي العهد إذ أسفر الأمر عن هربه ، عندما استدعاه من قيادة جبهة مصر (الفسطاط) التي عهد بها إلى القائد أبي فريدن ، ليخدم تحت قيادته المباشرة في اليوم • إذ عصب حباسة لذلك وسار هاربا في ٣٠ (ثلاثين) فارسا من بني عمه نحو المغرب ، تتبعه أوامر أبي القاسم إلى عمال الطريق برصده وانقبض عليه ، كما كتب إلى أبيه الامام بذلك • ونجح حباسة في الوصول إلى برقة وطرابلس دون أن يدري به أحد ، ولكن أمره انكشف في نواوة ، غرب طرابلس • وإذا كان أصحابه قد نجحوا في الفرار فإنه تم القبض عليه ، وقيد وحمل إلى عبيد الله الذي أمر بحسنه وكذلك جميع أهله (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٢) •

ولقد استنبح هرب حباسة فرار أخيه عروبة حائما أو متواطئا ، من تاهرت إلى جبل أوراس ، حيث قبض عليه • وكانت نتيجة ذلك مقتل الأخوين جميعا سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٢) • بعد ما قدماء للدولة من تحليل الخدمات ، فكانتهما كررا سيرة أبي عبد الله الداعي ، ولقبيا نفس جزاء منماز (٥٤) •

(٥٤) ولا بأس من الإشارة هنا إلى ما حدث المهدي من قطع رؤوس الأخوين وجمع قراصمها وكتابة بطاقات باسمائهم وتعليقها في آذانهم ، والأمر بطرحها جامع الاسكندرية سرا • وأنه قيل ان المهدي عندما نظر إلى رأس حباسة وعروبة قال : ما أحب أمور الدنيا هذه الرؤوس ساق بها المشرك والمغرب وجعلتها هذه القفة • (ابن عذاري ، ج ١ ، ص ١٧٢) ، وقارن المعون والمذلق ج ٤ ق ١ ، ص ٣٥٩ • ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٠ - حيث النص على محاولة مروية بالقرون واحسان خلق كثير الله من كتابة والبراسة وان المهدي أخرج النهم مولاة في محضر القرون حيث قيل عروبة وهو عمه • وهذا ، ويمكن أن نجد هذا المعنى من منماز العيظ من عدد القاندين الكتابيين أثناء الحملة على مصر وتواطئها مع

والمهم في الأمر أن أبا القاسم تبع حباسة راجعا من الفيوم (في ١٠
ذى القعدة ٣٠٢ هـ / ٢٧ مايو ٩١٥ م) ، عندما علم بوصول قائد الحسالة
العباسية ، مؤنس الحسام . ولما وصل برقة خرج اليه أهلها يهتفون
بالسلامة ، فحاول أن يطيب خاطرهم بالقول : انه اذا رجع خصيصا في
طلب حباسة ليعاقبه على فعله بهم . وبعد أن أمرهم باصلاح ما كان قد
شعث من تحصينات مدينتهم ، استخلف عليهم بعض رجاله من الكتاميين
(ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣) - فكأنه جعل الحكم هناك لمجلس من
عدة أشخاص ، وليس لرجل واحد ، هو الوالي . ولكنه بمجرد أن عرف
أهل برقة انه رجس من مصر مهزوما ، ومعه حباسة بطبيعة الحال ، بادر
الغوغاء منهم الى من عندهم من الكتاميين فقتلوه (ابن عذاري ، ج ١
ص ١٧٣) .

عصيان أهل برقة وعقوبتهم :

وهكذا كان على المهدي أن يواجه عصيان برقة بعد فترة وجيزة من
دخولها تحت حكمه ، وأن يخضعها من جديد على يدي قائد كنامي آخر من
الموالين له ، هو أبو مدين بن فروخ اللهيضي ، الذي سار اليها في سنة
٣٠٣ هـ / ٩١٦ م (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٣) . ولم تكن مهمة أبي مدين
سهلة ، إذ امتدت حرب المدينة العتيقة حوالي ١٨ (ثمانية عشر) شهرا ،
عانت فيها من شدة الحصر والحريق بالنار حتى فنى أكثر أهلها . وعندما
سقطت سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٨ م استصفيت أموالهم ، وسير زعمائهم الى رقادة
حيث أمر المهدي بقتلهم (٥٥) . وبقي أبو مدين في ولايته على برقة حوالي ٣
(ثلاث) سنوات الى وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م (ابن عذاري ، ج ١
ص ١٨١) .

المصريين ورجال الخلافة العباسية ، الأمر الذي قد يردع هؤلاء الآخرين عن معاودة مثل هذا
العمل والتخية أن النصر الذي يورده ابن الأمير والذي يسبب الى عسكر برقة المصري
(العباسي) أنه عندما حقق بعض الانتصارات على الجند الفاطمي ، قطع أبوابهم وأذالهم وبعث
بها الى ديوان الخلافة ببغداد (انظر فيما سبق ص ٧٧ وهـ ٥٠) الأمر الذي يعني ان مثل
هذا العمل الذي بدأ به عبد الرحمن الداخل عندما حقق النصر على الداعية العباسي ، الملاء
من مغيب ، كان قد أصبح عملة دارجة في ذلك الوقت .

(٥٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٥ ، وقارن افتتاح ، ص ٢٦ - حيث النص على افتتاحها
وقتل أكابر أهلها من المخاضين .

أحضر دواس فحبسهم في حصن برفجاة المعروف بتاهرت القديمة ، فان ذلك لم يمنع محمد بن حرر من مهاجمة المدينة والاسيلاء على بعض أرباضها ، الامر الذي ادى الى هرب دواس والنجاة الى ابن حمه ، صاحب القبة (برفجاة) والى قتل المحبوسين من بنى دواس في حصن برفجاة (ابن عذاري ، ح ١ ص ١٥٥) . والمهم أن أهل تاهرت نجحوا فيما فشل فيه واليهيم ، فحاربوا دواعا عن مدينتهم حتى هرموا محمد بن حرر ، ومن ثم كاتبوا دواس الذي رجع الى ولايته (٥٧) .

هرب محمد بن خزر الى الصحراء :

وكان موكب الامام والداعي قد وصل الى مدينته « أربا » في اتجاه أفريقيا عندما أتت الاحبار بشهيد محمد بن خزر لتاهرت ، ولكنهم عندما غيروا مسارهم نحوه ، هرب الى الصحراء وتوغل في مجاهل بحار الرمل (٥٨) .

ثورة تاهرت :

وهكذا استقرت الأمور لصالح الامام لمدة سنتين قبل أن يدور الأحداث في تاهرت بشكل معكوس اذ تار الهاجريون على عاملهم دواس ، وألقوا به هزيمة مكرة . اذ قتلوا معظم رجال حاميته المسكونة من ألف فارس ، واضطروه الى اللجوء الى حصن تاهرت القديمة (برفجاة) . وحينئذ استدعوا محمد بن خزر ليلى أمر الملك . ورغم ما أظهره من الشفوى في دواس ، اذ ، برزوا اليه بأن دواس وعياله وسلاحه ، يسرعان ما اتضح للطرفين عدم الانسجام فيما بينهما الأمر الذي زهد ابن خزر في الولاية ، فترك تاهرت وانصرف من حيث أتى (ابن عذاري ، ح ١ ص ١٦٦) .

وعهد عبيد الله المهدي بولاية تاهرت المهزومة الى مصالة بن حبوس المكناسي ، وبذلك عاد دواس بن صولات (الكتامي) كسير الخناج الى رقادة

(٥٧) ابن عذاري ، ح ١ ص ٢٥٥ . حيث النص خطأ على أنهم قتلوا محمد بن خزر .
(٥٨) ابن عذاري ، ح ١ ص ١٥٦ . وقارب الداعي افرس ، ص ٢٥ وما بعدها حيث النص على أن الامام علم بهجوم محمد بن حرر على تاهرت عبيد . وقيل ان المدينة ، يسمى ان مدينة « أربا » كانت من أعمال تاهرت . والرواية تقسم تقصلات لا يوجد في غيرها . من المصادر من تاهرت ان « صبح تاهرت » . وبسبب اوقات ان قيادة مدينة والتحول في مدينته ، قبل الوصول الى المكان حيث أقام ٢٠ (عشرون) يوما .

حيث كان جراؤه القتل ، ولكن بعد حين (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٦) .
دون أن تمنحه خدماته من ازال العقوبة العظمى به . فأبو حميد دواس هو الذي
نشر التشيع في منطقة تاهرت بين قبائل البربر (٥٩) . فكأنه صاحب الفضل
في تحويل تاهرت نهائيا من معقل الخارجية الى مركز للاستماعيلية
الفاطمية .

تاهرت مركز الدولة الفاطمية في بلاد المغرب :

والحقيقة أن المهدي كان يحس الاحتيار عندما عهد الى مصانة بولاية
تاهرت اذ يرجع الفضل الى مصالة في توطيد أركان الحكم الفاطمي ، ليس
في المغرب الأقصى فقط ، بل وفي ربوع المغرب الأقصى أيضا - وهو الأمر
الذي كان يخطط له المهدي منذ اقامته في سجلماسة بأقصى صحراوات
المغرب الأقصى . وهكذا تأكد موقف تاهرت كمركز إشعاع التشيع
الفاطمي ، الأمر الذي بدأ على يدي أبي حميد دواس السكتامي ، ووقع
استمراره على عاتق مصالة بن حبوس المكناسي ، رغم أننا لا نعرف الكثير عن
نشاطه منذ ولايته لتاهرت ٢٩٩ هـ / ٩١١ - ٩١٢ م .

فتح نكور :

وفي ذلك تقول الرواية انه لما تغلب عبيد الله المهدي ، كتب الى أهل
المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعته ، والتدين بامامته ، ويعد في خطابه
ويتوعد ، وكان من بين من كتب اليهم صاحب مدينة نكور ، التي تعتبر من
مواني ساحل تاهرت ، والمواجهة لمدينة مالقة من الأندلس (٦٠) . وهو

(٥٩) ابن خلدون ، المعر ، ج ٦ ص ٢٩٨ - حيث النص على انه حصل القيسان على
الرفض .

(٦٠) عن مدينة نكور ، انظر البكري ، ص ٨٩ وما بعدها ، حيث الإشارة الى أنه
جدارها بعد المشرق قبائل ربيعة وحراوة ومطاطة ، ومن جهة الغرب بنو مروان وسر حميد ،
وهم من عبادة (على مسافة ٥ (حصة) أيام - ابن خلدون ، المعر ، ج ١ ص ٢٩٢) .
أما عن مراسيلها فهي : ملوية وهرك وكركط ومرسى الدار ، الذي يقابل مالقة . أما عن المسجد
الذي سماه سعيد بن صالح على نهر نقيس ، فهو « على صفة مسجد الاسكندرية ، بحارسه
وحصنه مثاقفه » .

وعن تاريخ نكور صانها سعيد بن صالح الحميري ، وينسب الى والده صالح انه عرف
« بالعد الصالح » وانه فتح نكور على امام الوليد بن عبد المالك (سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م ،
اليعرب ج ٦ ص ٢٦١ ، ومصدره صاحب المقياس) ، وانه صاحب الفضل في نشر الاسلام هناك =

سعيد بن صالح (الهامش السابق) الذي أجاب صيتهرا بالمهدي ، الأمر
التي ترتب عليه ضياع اماره نكور ، وكان سعيد يظن انها بعيدة المنال (١١) .

بين قبائل البربر ، من صنهاجة وغمارة ، ودعم ارتداد هؤلاء القوم عندما استنقلوا شرائح
الاسلام بحث اعراء وجن من بغرة يعرف بالريدى ، وطردهم لصالح ، الا أنهم ثابوا بعد
ذلك الى رشدهم واسرودوا صالحا الذي بقى فيهم الى ان مات (سنة ١٣٢ هـ ، ٧٥٠ م -
ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٦٢) . وخلعه في رئاسة القوم أحد بنيه ، وهو المعتصم ، وبعد أخوه
ادريس (الذي يسب اليه تخطيط مدينة نكور على الضفة الأخرى من النهر ، وان لم يكملها ،
وتوفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م - ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٦٢) ثم دعه سعيد بن ادريس (الذي
اختطف نكور بين الهريين نكور وغيس ، العبر ، ج ٦ ص ٢٦٢) . وعلى أياحه تعرضت
نكور سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م لغزو المحوس الذين اسبوا وسبوا سباء بن صالح ، فتداعى
الامام محمد بن عبد الرحمن (البكرى ، ص ٩٢) . الأمر الذي يمسى ان المطلقة كانت خاصة
للسعود الأموي بالأندلس . هذا ، كما تعرض سعيد بن ادريس الى ثورة ضائل البرانس بقيادة
رجل يسمى « سكين » ، ولكن الأمر انتهى بأن هزمهم واعادهم الى الطاعة « (ونفى في الامارة
الى سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م - العبر ، ج ٦ ص ٢٦٢) .

وبعد سعيد ملك امه صالح الذي خلعه هجرة (١٠) أسماء . وقام صده أخوه ادريس
في ضائل من دريدل وكرواية ، ولكن الأمر انتهى بقتله وقتله . كما تشلت ثورة على صالح
ابن سعيد قامت بها قبائل مكاسية ، قامتوه عن دفع اعراب ، ولكنهم عادوا الى الطاعة
سلب (البكرى ، ص ٩٣ ، وقارن ابن عساري ، ج ١ ص ١٧٧) . وسب صالحا ، به
سعيد ، صاحب المسجد المنى على سبت جامع الاسكندرية ، على نهر نكور . وتوفي سعيد
سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وله من العمر ٧٤ عام . ولما كان سعيد هذا هو أمير أدوته وقد
تعرض لثورة أخيه عبد الله وعنه القرصى ، وقضى عليهما ، مثلما هزم سعادة الله بن هارون
الذي ثار انتقاما لثي منه ، وتحالف مع بني يسلات ، ووجدوا في حربة سعيد ، وقتلوا من
بواليه الصقالية نحو ١٠٠٠ رجل ، ولكن الأمر انتهى بظفره عليهم . كما غزا بلاد بطوية ،
وأصهر بأخيه حمد بن ادريس بن محمد بن سليمان ، وأمر له جمع بمدينة نكور . وسعيد
هذا هو الذي كاتنه المهدي يطلب منه الطاعة بدلا من طاعته أمير الأندلس الأموي ، كما يقرأ
لنا . والمهم هنا ان ابن خلدون (ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٣) يصيب اصناما جديدة الى النص
الذي وصلنا عن البكرى ، الأمر الذي يمسى أهميته الكبرى بالنسبة للعصور المتقدمة على عصره
من تاريخ المغرب .

(٦١) البكرى ، ص ٩٥ - حيث النص على ان كتاب المهدي حوى في نهايته أبيات من

الشعر ، منها :

فان تستصموا استم لصالحكم
وان تعدلوا عسى أرى فتلكم عدلا
وأعلموا بسفى قاهرنا لسبوككم
وادخلها عفوا وأملوها قتلا
لرد عليها أحد شعرائهم من الأندلسيين بأبيات ، منها :

كذبت وبيت الله لا تحسن الملا
ولا علم الرحمن من قولك الفضلا

فما كنت الا حاهل ومساقي
تمثل للحبائل في السنة المثلا

وقارن . العبر ، ج ٦ ص ٢١٣ - حيث النص على ان الشعر للشاعر أحمد الطاسلى ،

وذلك ان المهدي اصدر اوامره الى مصالة بن حبوس بالمسير الى بلد نكور
لحرب سعيد بن صالح . وكان خروج مصالة من ناهرت في اول ذي الحجة
سنة ٣٠٤ هـ / ٢٦ مايو ٩١٧ م . وعندما وصل الى مشارف نكور كان سعيد
ابن صالح في انتظاره بموضع يعرف (بنساعت) على مسافة يوم من المدينة .
وبدار القتال سجالا ، وظهرت كفاءة سعيد الحربية - رغم مرور ٥٤ (أربع
وخمسين) سنة على حكمه - الأمر الذي دعا مصالة الى قبول ما عرضه عليه
أحد المغامرين من شجعان سعيد ، عندما وقع في الأسر ، وسأل شراء حياته
ثمنا للغدر بأمره سعيد . وبجح الرجل فعلا في مفاجأة سعيد الذي أخرج
ما كان يحشى عليه من المتاع والأبناء الى بعض الجرد في مرسى نكور ، وقائل
حتى قتل (٦٢) . ودخل مصالة مدينة نكور التي استباحت يوم الخميس ٣ من
الحرم سنة ٣٠٥ هـ / ٢٦ يونيو ٩١٧ م ، وأرسلت رأس سعيد مع رؤوس
قرائنه من بنى صالح ، الى القيروان حيث شهر بهسا بمدينة رقادة . أما
الناجون من بنى سعيد وأهله فقد عبروا الى مالقة وبجانة حيث أمر الأمير
عبد الرحمن (الناصر) بحسن استقبالهم ورعايتهم (٦٣) .

وبعد إقامة في نكور استمرت لمدة ٦ (ستة) أشهر ، استخلف
مصالة عليها رجلا من أصحابه يعرف بـ « دلول » ورجع حر الى ولايته في
ناهرت . والظاهر أن دلول لم يتمكن من السيطرة على رجال حاميته ، اد
افترق عنه معظمهم ولم يبق لديه منهم الا القليل ، الأمر الذي شجع أبناء
سعيد بن صالح على العودة الى مدينتهم ، معتمدين على ثقتهم « بمحنة رعيته
لهم » ، وان آلت الولاية الى أصغرهم سنا ، وهو صالح ، دون أخويه
الأكبرين : ادريس والمعتصم اللذين اعترفا له بالسيادة . أما عن دلول
وأصحابه فكان مصيرهم أجمعين الصلب على ضفة نهر نكور (٦٤) .

وحيث الشطرة الأولى من البيت الأول « وان تستقيموا استقيم مصالحكم » ، والشطرة الثانية
من البيت الثاني « واملؤها » بدلا من « امنوها » ، والشطرة الثانية من البيت الثالث «
« الفصل » بدلا من « الفصل » والشطرة الأولى من البيت الرابع « وما أنت لا جاهل ومناق » .
(٦٢) الكرى ، ص ٩٥ - ٩٦ - حيث ، لاشارة الى أنه كان من بين من أخرجهم سعيد
ابن صالح من قصره الى ماسهم في جزيرة المرسى ، أبنائه : صالح وادريس والمعتصم ، وقارن
ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٣) الكرى ، ص ٩٦ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٤) الكرى ، ص ٩٦ - حيث النص على اتفاق الأجرة على نوع « يب من القرعة تشمل
في أن يركبوا ثلاثهم في مراكب مختصة ، في ليلة واحدة ووقت واحد ، وبيع واحد ، فمن

وقرىء كتاب صالح - بما تم نه من اجمع - الى .لناصر الاموى بجامع قرطبه وسائر مساجد الأندلس ، وبذلك توطن الملك لصالح بن سعيد وبنيه ، من جديد ، تحت الراية الاموية (البكرى ص ٩٧) .

مد التفوؤ الفاطمى الى مملكة الأدارسة بفاس والمغرب الأقصى :

الحملة الأولى :

فيما يتعلق بالتوسع الفساطمى فى المغرب الأقصى وفاس ، يمثل تصارب الواريح مشكلة تتطلب حلا ، اذ يتحير الباحث فى محاولة ترتيب السنوات المتدرجة ما بين : ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م و ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ، ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ثم ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . ولتبسيط الحبل يمكن البدء بالنظر فيما يمكن أن يكون من الارتباط بين كل سنة والتي قبلها والتي تليها وهو الأمر المقبول . فمن الواضح أن التاريخ الأول (٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) وهو الذى يقدمه البكرى نقلا عن النوفلى (٦٥) ، مرتبط بحملة تكور التي بدأت فى أواخر سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، واستمرت بطبيعة الحال خلال سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م . وفى تلك الحملة يشير البكرى الى وصول مصالة الى مدينة الريون . مكناسة ، قاعدة يحيى قبل فاس ، وإن خطأ فى وضع ذلك سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، بدلا من ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م . وهكذا تكون أول مواجهة بين يحيى وبين مصالة قد وقعت بمكناسة سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، وأنه رغم هزيمة يحيى التي يعتبرها البكرى نهاية لحكمه ، فمن الواضح أن مصالة أقام نوعا من توازن القوى فى المغرب الأقصى كما يفهم من البكرى (ص ١٢٥) ، إذ ترك لمحيى مملكة فاس وما ينسبها ، من مكناسة وغيرها ، كما قرب الزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية صاحب تسول وتآزة وكروسيف (٦٦) .

وأتى ذلك التوازن بشماره ، من حيث أن يحيى الادريسي ومملكته

وحصل منهم قتل صاحبه كانت الولاية له ، فكان السبق من نصيب صالح الذى وصل بمس اللثة الى تسكوير ، فسارع القبرر الى هـ ، وعقدوا له الامرة ، ولقدومه به « التسم » لصفوه ، ووجهوا الى دلول فاحفوه وحبيح اصحابه . وقارن ابن خلدون ، المدبر ، ج ٦ ص ٢٩٣ .

(٦٥) البكرى ص ١٢٥ ، وقارن بن عدارى ج ١ ص ١١٩ . ابن أبى ذؤيع ، القرطاس ،

ص ٨٠ .

(٦٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٣٤ ، القرطاس ، ص ٨٠ .

الحصريه كانت بمثابة صمام الأمان بالنسبة لموسى الزناتى وامارته
البدوية (٦٢) .

وهكذا وقع على عاتق مصالحه ، فى حملته الأولى ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ،
عبء اقرار النفوذ الفاطمى فى المغرب الأقصى حيث الشرفاء الأدارسة وهم
الفاطميون أيضا . الامر الذى كان يريد من اشتعال الصراع مع الأمويين
والأندلسيين فى تلك المنطقة من المغرب الأقصى التى أضحت وكأنها من
« أرض حرام » بالنسبة للطرفين المتصارعين على ضفتى الحجاز أو العسوة ،
فكان الأمر عودة الى جبهة « الحكيم » فى أذربيجان بين الشام والعراق ، أيام
على ومعاوية ، وذلك ما تظهر أحداثه بوضوح لدى القاضى النعمان فى
المجالس والمسائرات (ما سبق ص ٢٣) .

الحملة الثانية :

وكان على مصالحه بن حنوس المكاسى ، فى حملته الثانية ، أن يثبت
انموذ الفاطمى فى إقليم فاس ، فى حرب العظمة تلك أو حرب اثبات الوجود
بين أولئك الخصوم الجدد من العدويين المغاربة والقدامى من الأمويين
الأندلسيين .

أما عن التواريخ فالبكرى يحدد سنتى ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، ٣١٠ هـ /
٩٢٢ م ، فيجعل الأولى (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) تاريخا لحملة مدينة الزيتون
(مكناسة) التى انتهت بالوفاق مع يحيى ، وإن عاد وجعلها تاريخا للحملة
الثانية التى أنهت حكم يحيى بتدبير موسى بن أبى العافية ، وإن جعل تاريخ
الحملة بعد ذلك سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . وإذا كان توقيت القرطاس لتلك
الحملة وهو سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م قد يساند سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، فإن

(٦٧) الكرى ، ص ١٢٥ - حيث الإشارة الى التوفيق الذى يصب على أن مصالحه لما قدم
المغرب فى حركته الأولى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م انتهى موسى بن أبى العافية بالاحسان ، وقدمه
فى المغرب ، وكان موسى كلما وحا الظهور « عزه » (غمره) يحيى بن إدريس وقطع به عن
أمله . هذا ، وإن قدم على ذلك سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م كتاريخ لبرجة يحيى أمام مدسة الريطون
(مكناسة) ، كما سقت الإشارة ، وتجاوز القرطاس ، ص ٨٠ - حيث النص على أن موسى
ابن أبى العافية خدم مصالحه وهداه وتقرب إليه بالاحسان ، وقاتل فى جميع حروبه بالمغرب
واحترسه بن سائر أمرائه ، فكان موسى كلما أراد الظهور بالمغرب والاستعداد فيه ، غمره
يحيى ابن إدريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله وقطع عديه كل ما يريده ، فكان على قلبه
من حمل ثقيل .

ابن حلدون الذي يجعل سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م تاريخا لقتل مصالة على يدى محمد بن حزر (اعبر ، ج ٧ ص ٢٥) يضعف من ذلك .

وبناء على ما تقدم فائنا نرجح سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ، الى يحددها ابن عذارى نوفينا للحملة الثانية ، وهى التى نسميها سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، عند البكرى ، على اعتبار تلك الأخيرة كدأية للحملة التى تكون قد استغرقت أيضا السنة التالية لها (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) (٦٨) .

وهكذا يكون خروج مصالة من تاهرت فى حركته الثانية نحو المغرب سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م الى فاس ، كما كان عليه أن يمر بمدينة نكور ليزيح عنها النفوذ الأموى ويعيد إليها الرموز العلوية . وفى هذه المرة كان على صالح بن سعيد ، عندما بلغه اقتراب مصالة ، الخروج من نكور والاعتصام بجبل أبى الحسين القريب ، تاركاً مدينته مفتوحة أمام القائد الفاطمى الذى أقر النظام فيها (٦٩) .

ومن نكور سار مصالة فى نفس السنة الى فاس حيث يحيى بن ادريس ابن عمر . ويعهم من رواية البكرى ، التى نقلها صاحب القرطاس مع بعض التحوير ، أن يحيى كان حافظاً للعهد موالياً لسولة الامام المهدي ، لولا سعاية موسى بن أبى العافية الذى كان يطلع الى الاستبداد بالمغرب لولا يحيى الذى ثقل على قلبه لوقوفه ، حجر عثرة فى طريقه (انظر ما سبق ص ٨٨ وهـ ٦٧) إذ وشى ببحيى لدى مصالة حتى أسخطه عليه ، فأصدر الأخير أوامره بالقبض على يحيى غدرا ، ودخل به مشهرا الى فاس ، وصادر جميع أمواله ثم انه أخرجه عن بلده ، وقضى على مستقبله السياسى (٧٠) .

هذا ، ونحن نرجح رواية ابن عذارى التى أخذنا بتاريخها (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) وان كانت لا تعرف لمصالة الا هذه الحملة وحدها على فاس ، على تلك الرواية شبه المنقبية التى قد لا تبدو كافية لتدبير ما نزل بالأمير الادربسى الذى كان وقتئذ أعلى بنى ادريس حالاً بالمغرب (البكرى ، ص

(٦٨) انظر البكرى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، القرطاس ، ص ٨٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٢ .

ابن حلدون ، ج ٧ ص ٢٥ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٢ . حيث النص على ضبطها بمعرفة مصالة .

(٧٠) البكرى ، ص ١٢٦ ، القرطاس ، ص ٨٠ .

١٣٢) ، ويرى أنه من الأوفق أن يكون يحيى بن ادريس قد قدر ما كان يحيط به من أخطار الفاطميين والبرانية ، وأنه قرر مواجهة قوات مصالة ، وإن لم يقدر له الصمود أمامها إلا لعدة أيام . وبذلك تمكن مصالة من الاستيلاء على فاس وإقرار الأمور فيها (٧١) .

القضاء على مملكة فاس الادريسية :

وهكذا يكون الفاطميون قد قضوا على مملكة فاس الادريسية ، ويكون يحيى بن ادريس قد انتهى قباية مأساوية ما بين سمجن موسى بن أبي العاصية ، في مدينة لكاي ، لمدة زادت على ٢٠ (عشرين) سنة ، ثم الإقامة الرقيقة الحال بمدينة أصيلة ، في كنف بني ابراهيم ، قبل التوجه الى المهديّة سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م حيث كانت فاجعة موته جوعا سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٣ م في حصار أبي يزيد (٧٢) .

أما عن مدينة فاس فقد قدم مصاله عليها ، ربحان بن علي الكتامي ، الذي بقي واليا عليها ٣ (ثلاث) سنوات ، الى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، عندما استولى عليها الأمير الادريسي : حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام ، وطرد الوالي الفاطمي ، وملكها لمدة عامين (٧٣) .

(٧١) ابن عسار ، ج ١ ص ١٨٢ - حيث الإشارة الى تزيين بعض الشعراء بأهل فاس ، الذي يقول .

دخلت فاسا في يوم اي فاس والجهنم بأحمد بالعين والرأس
فلمست أدس ناسا ما حلت ولز اعطت فاسا بها فيها من الفاس
(٧٢) النكري ، ١٢٦ وأظن أيضا ص ١٣٢ - حيث الإشارة الى أن يحيى بن ادريس كان أعلى من ادريس حالا بالمغرب ، وحيث يضيف رواية النوفلي التي تنص على أن يحيى كان محبا للعلم يشهد مجلسه العلماء والشعراء ، وكان أبو أحمد الشافعي من جلسائه ، وأنه كان يسبح له عدة من الوراقين وينتجعه الناس من الأندلس وغيرها ، فحسن اليهم القرطاس ص ٨١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ١ ص ١٣٤ - حيث الإشارة الى القبض على يحيى بفرقة موسى وطرده من عمه ، ولحاقه بسى عمه بالصخرة والريف .

(٧٣) النكري ، ص ١٢٦ - حيث الإشارة الى أن أحمد بن القاسم بن ادريس هو الذي لبس بالحجام عندما وجه يحسن الضرب في المعام وحيا يتقائلان . وفي ذلك قال بعض الشعراء على لسان الأمير حسن :

وسميت حجاما ولست بحمام ولكن ضرب في مكان المحتاج
وقارن ابن خلدون ، ص ١٢٦ - حيث الإشارة الى أن خروج الحجام كان في سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، بمعنى ترجيح الرواية التي تجعل سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م تاريخها شملة مصالة على فاس .

محاولات اقرار الأمور في سجلماسة :

ولما وقع على عاتق مصالة ، بصفته والى تاهرت والمغرب ، مد النفوذ الفاطمي الى سواحل نكور ، والى مكناسة وفاس في الداخل ، كان عليه أن يعيد سلطان الفاطميين في أقصى الصحراوات الغربية الجنوبية الى سجلماسة التي كانت قد انتقضت بعد فترة وجيزة من خروج الامام والداعي في مطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . فلقد تار أهل سجلماسة بوالي الميهدي : ابراهيم ابن غالب المزاني ، بعد ٥٠ (خمسين) يوما فقط من انفراده بالسلطة ، فقتلوه ومن كان معه من رجال الحامية الفاطمية ، وأعادوا ملوكهم القدامى من بني حدرار . وكان الذي ولي منهم هو واسول بن ميمون الذي لقب بالفتح ، وذلك في ربيع الأول من سنة ٢٩٨ هـ / نوفمبر ٩١٠ م . وعندما واهاه الأجل بعد حوالي سنتين ، في رجب سنة ٣٠٠ هـ / فبراير ٩١٣ م ، خلفه أخوه أحمد الذي استمر في الحكم حتى مقدم مصالة الذي اقتحم عليه سجلماسة وقتله في المحرم من سنة ٣٠٩ هـ / مايو ٩٢١ (البكري ، ص ١٥١) اثر استيلائه في حملته الثانية على مدينة نكور للمرة الثانية ، مما سبقته الإشارة اليه (ص ٨٩) .

والمهم في هذه المرة انه اذا كان مصالة قد أخذ العبرة مما جرى من اضطراب سجلماسة عقب خروج الامام منها في آخر سنة ٢٩٨ هـ / ديسمبر ٩٢٢ م فأقر الأسرة المدارية في الحكم ممثلة في الأمير المعتز محمد المداري ، الذي بقى في الولاية الى قرب نهاية عهد الميهدي ، اذ توفي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (٧٤) فإنه لم يقدر له النجاح في اقرار السلام الفاطمي في المنطقة بسبب اضطراب الزناتية هناك ، بزعامة محمد بن خزر ، منذ ذلك الحين . فلقد كان على مصالة بعد أن عاد الى ولايته في تاهرت ، عقب زيارة المهدية لتعريف الامام بالأحوال في شعبان سنة ٣١٠ هـ / نوفمبر ٩٢٣ (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) ، الدخول في صراع مرير مع الزناتية وعلى رأسهم محمد بن خزر ، مما يأتيه ذكره فيما بعد .

المهدية : عاصمة جديدة لدولة المهدى :

دواعي البناء :

خلال الفترة ما بين سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وسنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ،

(٧٤) البكري ، ص ١٥١ ، وقاود بن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ .

حيث كانت الفوات العاطمية سمي الى تأكيد سلطان الدولة في اطرافها الشرقية من طرابلس حتى برفه ومصر ، وبنى الاطراف الغربية من تاهرت الى سبجماسة . كان الامام مشغولا باقامة عاصمة جديدة تطل على البحر ، وتحتل بفسطاطها اركان الدولة ، وتكون رمزا لعصر سيادة الخلافة والمضيعة ، كناية عن طبيعة النظام الجديد التي يعبر عن اسم المدينة ، وهو المهدي ، نسبة الى الامام المهدي ، عبيد الله . هذا ، وان عرفت أيضا باسم « البيضاء » (التعمان ، افتتاح الدعوة ص ٣٢٧) ، بمعنى الزهراء .

والرواية العاطمية التي تفسر أسباب بناء المدينة تأخذ طابعا أسطوريا مقبولا ، كما هو الحال بالنسبة لبناء كثير من العواصم الإسلامية الكبرى ، كدمشق والاسكندرية والقاهرة . فهناك ربط ما بين بناء المهدي وبين الثورة الزناتية التي أشعلها أبو يزيد « صاحب الحمار » على عهد القائم . الأمر الذي يدخل في علم الحدائق ، المعروف في الفكر الشيعة ، والذي يمثل ما يمكن أن نسميه بالماريخ المستقبل للأمة - إذا حاز استخدام هذا المصطلح المستحدث - وهو العلم الذي اختصوا به دون غيرهم - وفي ذلك قيل ان المهدي كان عندما ينظر الناس الى تحصينات المهدي ويبنون عصبهم لحسنها ومناعتها يقول . كل ذلك أعد لساعة من نهار - وهي ساعة الخطر التي بلغ فيها أبو يزيد ذروة قوته ، باقترابه من البوابات الشيعية (٧٥) .

والحقيقة ان اتخاذ عاصمة جديدة من قبل حاكم دولة ناشئة ، عادة ما يرمز الى واحد من احتمالين أحدهما : أن المدينة المستحدثة تعبر عن طبيعة النظام الفتي الناشئ ، اذ هي تمثل المستقبل المستشرق بآماله المرجوة . بينما العاصمة القديمة للدولة السابقة ، تعبر عن الماضي المرير بأزمائه المنقطعة - وكل ذلك مما يدخل في مجال الأمانى والتمنيات التي تتحقق بمرسوخ النظام الجديد على المستوى السياسي أولا ، وبالتالي على المستوى

(٧٥) انظر القاضي العطار ، المعالي والمساير ، ص ٥٤٢ ، حيث يروي عن المزمع لدين الله - « ان المهدي كان يرمز بحلة تكون وفرة تظهر ، وتعاين يشتمل على أكثر الأمة ، ومن أجل ذلك اتى المهدي . وحسبنا وانتقل اليها ، وكان يؤخر عنه أنه اذا نظر الى سورها الحصن وابوابها الحديد ، وتكلم على ذلك من يكور بين يديه . ووصفوها بالثمنة ... يقول كل ذلك أعدناه لمقام ساعة من نهار . فلم تكن تدرى ما يعنى قوله ذلك حتى ظهر الدخان مخرج من كبداد . وانظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - ٩٥ .

الخصارى . أما الاحتمال الآخر ، وهو الأقرب الى أرض الواقع فيتمثل عدة هي أزمة عدم الثقة بين نظام الحكم الجديد وبين أهل العاصمة القديمة الذين كثيرا ما يحنون الى نظامهم السابق ان لم يتمسكوا به . وفيما يتعلق بعبيد الله المهدي فقد حدثت أزمة عدم الثقة هذه في عدة أشكال ، أولها : سياسي ويظهر في عدم الثقة بالكناميين ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ٦٧) الأمر الذي يمكن معه القول أن العصر الكتامي على نسق العصر الفارسي في الدولة العباسية - قد لا ينطبق الا على فترة التأسيس ، أي عهد أبي عبد الله الشيعي (الداعي) وثانيها ، ديني : يظهر في عدم تقبل أهل القيروان ، المالكية ، للمذهب الاسماعيلي الفاطمي ، وخاصة فيما يتعلق منه بعصمة الامام ، الأمر الذي حاول عبيد الله الاستفادة منه في سبيل توطيد أركان حكمه ، في محاولته جمع السلطة بين يديه باستعادتها من الداعي . فكانه حدث نوع من الانفصال بين السلطة ممثلة في المهدي ، وبين شعب افريقيا ممثلا في أهل القيروان - بعد خروج الكتامين من بين أظهرهم ، اثر مذبحه سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م (انظر فيما سبق ص ٦٩) وهو ما يمكن تشبيهه « بالطلاق » كما حدث في العصر الأموي عندما ترك الخلفاء دمشق واتخذوا قصور البادية مقرا لهم ، قبل أن يخرج المصور العامة من بغداد المدورة الى حي الكرخ في خارجها ، وقبل أن ينترك العباسيون بعدد نفسها ليستقروا لفترة ما بين حرسهم التركي في سامرا .

على نفس هذا النسق استشعر عبيد الله المهدي عدم الاطمئنان ، وهو يقيم وسط خصومه في القيروان ورفادة ، الأمر الذي عبر عنه عندما استقر في مهابيته ، قائلا : « اليوم آمنت على الفاطميات » (ابن الأثير ، ج ١ ص ٩٥) . وهكذا فكر عبيد الله في اتخاذ مقر جديد له بعيدا عن القيروان حيث كان الكتامية والمالكية ، وذلك في أعقاب « الأزمة الكتامية » مباشرة ، اذا استمرنا اصطلاح جورج مارسيه الذي يطلق على العصر الفاطمي بالمغرب اسم « الأزمة الفاطمية » (٧٦) .

اختيار المكان : رباط فاطمي جديد ما بين سوسة وصفاقس :

فيما يتعلق بمكان مدينته الجديدة ، رأى المهدي أن يكون بحريا ،

(٧٦) بلاد البربر والمغرب الاسلامي من العصر الوسيط ، بالمرسية ، باريس ١٩٤٦ .

بعيدا عن الداخل ، وهكذا بدأ منذ سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ - ٩١٣ م بجولات استطلاعية في مناطق الساحل الشرفية ما بين شواطئ الفيوان ، حيث سوسة جنوبا ، وشواطئ موسى وفرطاجنة شمالا . وأخيرا وقع اختيار على موضع شبه جزيرة يعرف بـ « جمعة » ما بين سوسة وصددس (٧٧) . واختيار الساحل موقعا للمدينة يعني أحد أمرين ، أولهما أن المبنى رأى أن تشوجه دولته وجهة بحرية ، بمعنى الافتتاح على العالم الخارجي فيما وراء البحر ، سواء من حيث المعلنات الاقتصادية وإبهارات التجارية ، أو من حيث العلاقات الحربية حيث أصبح الدولة الفاطمية دولة جهادية ، بناء على اعتبار السواحل مناطق تغور أي جبهات قتال يمكن أن يطرقها العدو البحري ، مثلا في الأسطول البيزنطي . وإذا كان ابن خلدون ، في المقدمة ينص على عناية الفاطميين بالأساطيل إلى أن انتهى الأمر بغلبة المسلمين على سواحل المتوسط حتى لم تعد «تسيب» استمرارية فيه ألواح» (المقدمة ، العر ح ١ ص ٢١٣) . فالحقيقة أن منطقة الساحل ، وخاصة ما بين سوسة وصفاقس ، كانت مشهورة بكثرة محاربتها وأراملها ، ومنها : رباط سوسة ورباط المنستير ، حيث كان العناء المجاهدين يقطعون لأعمال الورع وانتقوى ، انظارا لمواجهة العدو البحري إذا ما هاجم الساحل . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال ، تقرير عبيد الله المهدي أن تكون حصانة الموضع موجهة ضد أعداء الداخل أيضا ، وعلى رأسهم الزناتية ، كما تشير إلى ذلك الرواية المنقوبة التي ساقها بها . كما نأخذ بعين الاعتبار ، اعداد المدينة لتكون قاعدة بحرية أيضا تسير منها القوات البحرية مصاحبة للقوات البرية الموجهة لفتح مصر .

وفي حصانة الموضع بوصف جزيرة « جمعة » التي احتيرت للبناء بأنها أشبه ما تكون بكف متصلة بزنند (٧٨) ، بمعنى أنها شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات ، شمالا وجنوبا وشرقا وتتصل بالبر من جهة الغرب من حيث يكون الدخول إليها (البكري ، ص ٢٩) .

وهكذا أملت طبيعة المكان أن تكون أسوار المدينة الرئيسية وبواباتها الكبرى من جهة الغرب حيث الاتصال بالبر ، بينما الأسوار المحيطة بها

(٧٧) انظر عدي ، ج ٦ ص ١٦٩ . ابن الأثير ح ٨ ص ٩٤

(٧٨) ابن الأثير ، ح ٨ ص ٩٤ . وأبطل محمد المروقي ، المهدية وشوارعها قسم ،

تونس ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

من جهات البحر من قوة وحصانة (٧٩) . وكان من الطبيعي أن يكون البنية
ببناء تحصينات المدينة وأبوابها ، وذلك أنه تم الانتهاء منها في ربيع الأول
سنة ٣٠٤ هـ / سبتمبر ٩١٦ م (ابن عداري ، ج ١ ص ١٧٤) . وبذلك كانت
المهدي ، بوصفها رباطا فاطميا جديدا ، توجه أنظارها نحو أعداء الداخل
في البر ، أكثر مما تفعل مع العدو الخارجي في البحر ، فهي رباط مزدوج
هند أعداء الداخل والخارج ، مما يذكر باختيار موضع القيروان (ج ١ ص ١٨٤) ،
فكان المهدي فيروان جديد ، وكان قيام الدولة الفاطمية إعادة فتح لبلاد
المغرب .

البناء :

المدينة الملكية :

والظاهر أن استكشاف الموضع استغرق أكثر من جولة ساحلية وأن
ترجيحه على غيره استغرق بعض الوقت ، وذلك أن الأوامر لم تصدر ببدء
البناء إلا يوم السبت ٥ من ذي القعدة سنة ٣٠٣ هـ / ١١ مايو ٩١٦ م
(ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤) أي بعد أكثر من ٣ (ثلاث) سنوات من بداية
الاستطلاع . أما عن عملية البناء فقد تمت تحت إشراف المهدي نفسه (٨٠)
وهذا ما قد يفسر عظمة البناء وحسن تنفيذه . فالسور الرئيسي في المغرب
حيث تتصل المدينة بالبر ، عرف إلى جانب ضخامته بحسنه ودقة
إحكامه (٨١) . أما الأبواب فكان للمدينة بآبان كبيران يوصفان بالعظمة التي
لا نظير لها ، وكان لكل باب منها مصراعان هائلان من الحديد ، وزن كل
مصراع منهما ١٠٠ (مائة) قنطار (٨٢) . والأمر الذي يلفت النظر أن البابين

(٧٩) أنظر ، الكسندر ليزين ، المهدي ، تونس ، سنة ١٩٦٨ (بالفرنسية) ص ٤٩ .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ ، حيث النص على أنه كان يأمر الصانع بما يعملون

بالحجارة اقتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ .

(٨١) ابن حوقل ، ص ٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - أنظر محمد المروقي ، المهدي

وشاعرها ميم ، ص ٢٢ - حيث الإشارة إلى ما كشفت التفتيشات الأثرية الحديثة من أن عدد
الأبراج التي كانت بالسور الرئيسي بلغ ١٦ بوجا ، ٨ (ثمانية) منها في السور الأول ،

٨ (ثمانية) أخرى في الزيادة .

(٨٢) لقاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ووبها بالحديد المحصن ، وقارن

إلى حوقل ، ص ١٣ ، لها بآبان لا شبيه لهما غير بآبان سور الرفاعة ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤

(أبواب وزن كل مصراع ١٠٠ قنطار ، وقارن الكري ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧ ، حيث

تحدثت الرواية إلى ألف (١٠٠٠) قنطار لوزة كل باب مع تفصيلات أخرى تحدد طول الباب

بـ ٣٠ (ثلاثين) شبرا ، ووزة كل مسمار فيه ٦ أطلال .

١١٧) مرمرين بصور الحيوان (البكرى ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧) وهو ما يعنى ان الفن الفاطمى الاول سى بلاد المغرب كان فنا تصويري (ايقونيا) ، ياحد بصور الشخص الحيه ، تماما ، كما كان الفن الاسلامى الاول على عهد الأمويين بالشام .

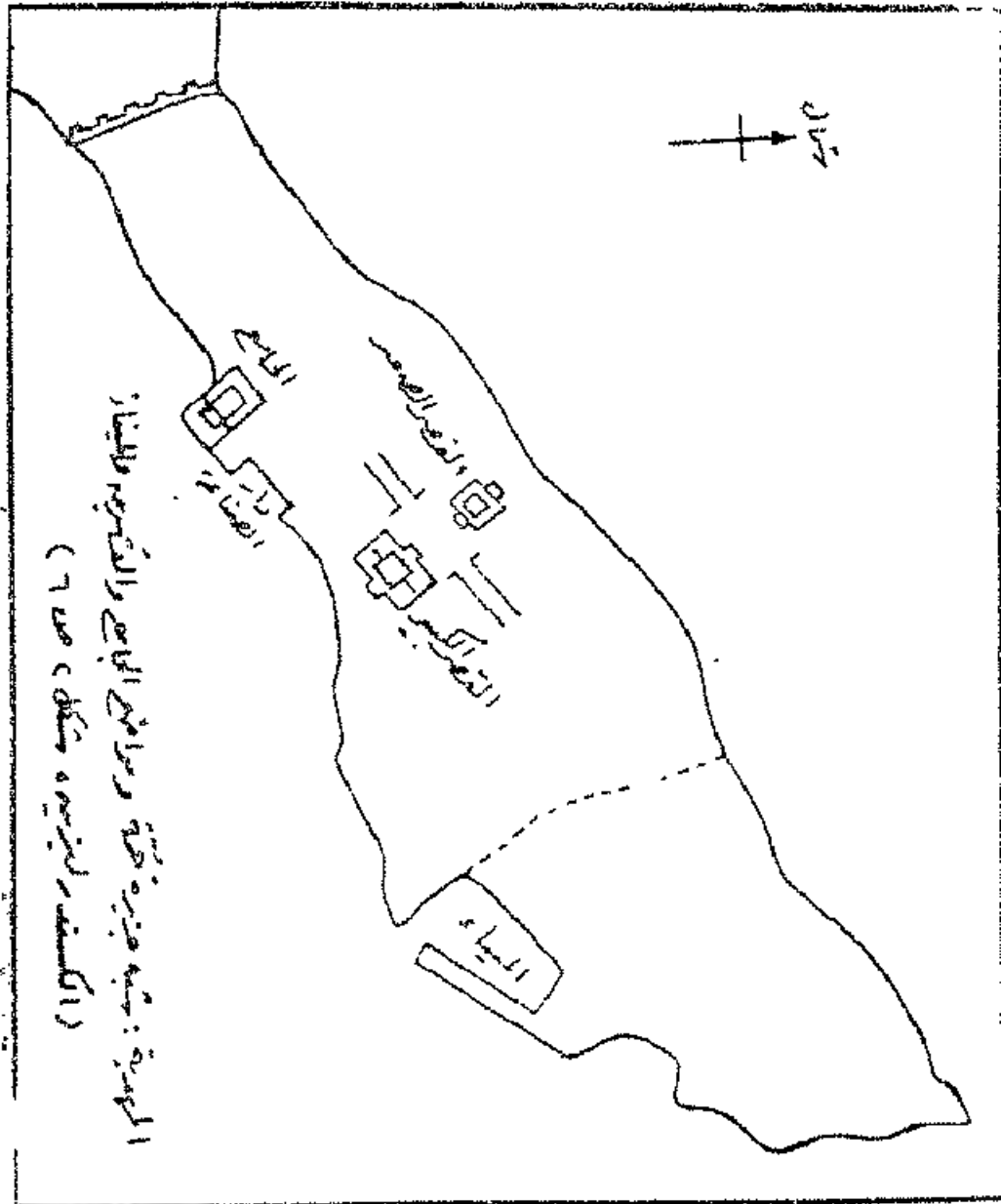
اما عن دار الصناعة - صناعة السفن فهي شرقى قصر عبيد الله (البكرى ، ص ٣٠) ، وكانت شديدة الحصانة ، اذ كانت فى حوض الجبل كانتا منقورة فيه ، وكانت تتسع لـ « ١٠٠ » (مائة) مركب من النوع الشينى (الكبيرة الحجم) دون غيرها ، وعليها باب مغلق (٨٣) .

أما الميناء (المرسى فى آخر المدينة) فكان على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة فى بصفه الشرقى ، كما بيست الحفريات الأثرية الحديثة (٨٤) ، وكان هو الآخر فى جوف طبيعى فى حوض الجبل ، كأنه منقور فى الحجر الصلد ، وكان يتسع لـ ٣٠ (ثلاثين) مركبا ، وله على طرفه برجان تمتد بينهما سلسلة (٨٥) ، لتنظم دخول المراكب وحرونها بهارا والتحرز من مراكب العدو البحرى الرومى « ليلا » .

هذا ، فيما يتعلق بالمرافق العامة الخاصة بالرباط ، بمعنى المدينة البحرية العسكرية ، والتي تمثل محيط المهدية ودفاعاتها . أما عن المدينة الملكية فى الداخل ، فقد اشتملت كما هى العادة فى بناء المدن العربية الإسلامية ، على نواة مركزية تتكون من قصر الاحام المهدى وله باب غربى وبجواره قصر ولى العهد أبى القاسم وله باب شرقى ، وبينهما رحبة فسحة (٨٦) على ساحل البحر فى موضع مردوم فيه وعلى مقربة منهما غربا

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٤ - حيث النص على ان المهدى أمر بقرها فى الجبل ، وقادته البكرى ، ص ٣٠ - حيث الإشارة الى ان سعة دار الصناعة تسع أكثر من ٢٠٠ (مائتى) مركب ، وحيثا قبران كبيران طويلان لآلات المراكب وعددها ثلاثا ينالها شمس ولا مطر .
(٨٤) أنظر الكسندر بيرين - المهدية - تونس - ١٩٦٨ ، ص ١٠ شكل ٢ ص ٦ أنظر الشكل .

(٨٥) الثعمان ، افتتاح ، ص ٣٢٨ - حيث النص على ان المهدى زاد اليها فى البحر ، واحتقر فى آخرها مساء حرقها بها وجعل لها محرجا الى البحر قلل عليه ٠٠٠ ، قارن البكرى ص ٣٠ والاستبصار ، ص ١١٨ ، حيث النص على انه منقور فى الحجر الصلد .
ومعجم القنداق (المهدية) ، ج ٨ ص ٢٠٧ .
(٨٦) البكرى ، ص ٣٠ -



المسجد الجامع (انظر الشكل) ، حيث اقيمت الاسواق التي نظمت في شكل مجموعات من الدكاكين المخصصة في مهنه أو تجارة أو حرف معينة (٨٧) . أما المصلى ، حيث تكون صلاة الجمعة في الهواء الطلق وصناعات الخناسبات الكبرى ابطارته ، من : الاسسفاء ، الكسوف ، والخوف ، وغيرها ، فكان خارج السور الغربى على بعد رمية سهم (٨٨) .

ولقد زودت المدينة بمخازن القمح (الطعام) في سراديب تحت الأرض ، كما حفرت خرائات المياه ، من : « المصانع والمواجل » الوفيرة العدد (٨٩) ، الى جانب المياه المجنوبة اليها من قرية مناش ، على بعد ٤ أميال عن قنوات الرصاص تحت الأرض (٩٠) .

وسرعان ما زهت المهديّة بالدور والقصور التي كانت موضع تقيظ ابن حوقل بعد ذلك بقليل ، لحسنها ونظافتها (٩١) .

مدينة العامة : زويلة :

تلك كانت المهديّة الملكية التي لا يسكنها الا أرباب الدولة من كبار الموظفين ورجال الخاشية وقواد العسكر المقيمين في المدينة كحرس أميرى ، ونواه للجيش النظامى . أما عن أهل الأسواق فكانت لهم أموالهم (مباحرهم) فقط في المدينة ، ولم يكن يسمح لهم بالنواحد فيها الا نهارا . والظاهر ان درس اخراج الأسواق من بغداد المدورة على عهد بانيها المنصور ، الى حين الكرخ خارج السور ، كان قد استفاد منه بناة المدن الجديدة من الأمراء

(٨٧) ياقوت ، معجم البلدان (المهديّة) ، ج ٨ ص ٢٠٧ . حيث النص على انه عمر الدكاكين ، ورتب أرباب المهن كل طائفة في سوق .

(٨٨) محمد المروقي - مهديّة ص ١٨ ، الكسوف ليرين ، ص ٦ .

(٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ - البكري ، ص ٢٩ حيث تتحول الرواية الى قصة سعيه اذ جعل عدد مصانع الماء (المواجل) ٣٦٠ ماحلا على عدد أيام السنة حتى يكون نصيب المدينة مخزون ما قبل واحد في اليوم .

(٩٠) البكري ، ص ٢٩ ، محمد المروقي ص ٢٢ - ويشير البكري هنا ان ماء مناش كان يحلب من الاقداس ، ويصب في سهاريج عند الجامع ومن هناك يرفع الى القصر بالدواب من ٢٩ - ٣١ .

(٩١) صورة الأرض ص ٧٣ حيث أنها كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور . حسنة المعلومات والخانات - تزهة الخارج ، بنية المتظر ، انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ .

المتعلين بالأقطار البعيدة ، حتى لا يعيشون وسط ما كان يتهدهم من
تضر انعامه ، الأمر الذي كان قائما وقتئذ ، في رقادة الملكية والقبروان
الشعبية . هذا وإن كان انشغال المهدي ببناء المهديّة وزويلة لم يمنعه من
تعباه بعمدة القبروان حيث شيد حيا تجاريا سماه بالقاسمية نسبة الى
وا العهد ، انتهى بناؤه في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٥ هـ / أغسطس -
سبتمبر ٩١٧ م ، حيث انتقل اليه التجار وأصحاب الصناعات (ابن عذاري ،
ج ١ ص ١٨٠) الأمر الذي يعنى اهتماما بشئون البلاد الاقتصادية ، أساس
التقدم والرفاه .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يبني عبيد الله الى جانب المهديّة ضاحية
للعمامة من أهل الأسواق وغيرهم . هي التي عرفت باسم زويلة ، نسبة الى
بربر زويلة سكانها الأوائل ، الذين سيطر عليهم اسمهم الى حارة زويلة وبابها
المشهور في جنوب القاهرة المعرية . فكانت المسافة بين المهديّة ومدينة
زويلة الشعبية تقدر بانبساط ميدان من تلك الميادين التي كانت تتوسط
المدينة الإسلامية . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن المهدي أفردها
بسور وأبواب وحفظلة (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧) ،
فأغلب الظن أن الأمر لم يكن كذلك ، حيث حاول أهل زويلة النروج الى
المهديّة للاعتصام بأسوارها عندما تهددهم خطر أبي يزيد (أنظر فيما بعد ،
ص ١٧٩-١٨٠) . هذا ، كما أن ذلك ينفي نصيبا من الحكمه التي أريد بها
السيطرة الدائمة على أهل الأسواق ، حتى لا يهكروا في الثوره . وفي ذلك
تقول رواية ياقوت : أن الهدف من اسكان أرباب الدكاكين ، من
البرازين وغيرهم في زويلة أن يكونوا عند المهدي تبارا وأهلهم تحت سلطانه
برويلة ، سيما تكون أموالهم (تحارتهم) تحت سلطانه ليلا ، ويضمن
بذلك طاعتهم الدائمة (٩٢) . وهكذا ينسب بناء سور زويلة الى المعز بن باديس
(الكرى ، ص ٢٩) عندما سكن المهديّة ، وهذا لا يمنع أن يكون المهدي
قد زودها بسور وأسوار مناسبة أو أن يكون القائم هو الذي أقام تلك
التحصينات عندما دعت الحاجة اليها . أما عن ارباض المهديّة العديدة والعامة
التي يذكرها الكرى ، فهي ترجع الى العصر الزيري عندما حلت محل القبروان

(٩٢) أنظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧ . وقارن الكستندر ليرين ص ٦٠ . حيث
نسب الى المهدي أنه كان يقول : «أنا آمن لئلا وفهدا» ، فإن اردوني بكهدهم زويلة
كانت أموالهم عسى فلا يمكنهم ذلك ، وإن أرادوني بكهدهم بالمهديّة فاعلموا على حريهم
هناك . »

كعاصمة للبلاد (١٤) .

والمهم انه بعد ان فرع المهدي من معظم أعمال البناء في المدينة ، من قصره ، وقصر أبي القاسم ، ولى العهد ، واسور ودور بعض رجاله ، وان لم يكمل الكس ، سارع بالانتقال اليها وشجعه على ذلك سوء الأحوال الجوية في القيروان ورقادة من : المطر والعواصف التي هدمت كثيرا من الدور ، وذلك في يوم الخميس ٨ من شوال سنة ٣٠٨ هـ / ٢١ فبراير ٩٢١ م (١٤) .

ولقد أعرب المهدي عن ارتياحه لتلك اسقله ، قائلا : « اليوم أمنت على العاطميات ، وإذا كان ابن الأثير يفسر ذلك قائلا : « يعني بناته » فالمقالة ترمز الى ما هو أبعد من ذلك ، نقصد ، الى توطيد أركان الدولة ، والاطمئنان الى المقدرة على مواجهة الحشوم في الداخل أو في الخارج — برا وبحرا .

المهدية مركزا للحكم :

هكذا انتقل مركز الحكم من رقادة والقيروان حيث ذكريات الحشوم المؤرقة من : الأعمالية وسادتهم أو من المناققين من كتامة وغيرهم ، الى المهدية وزويلة حيث مقام الامام الذي أصبح محط أنظار المريدين من الأولياء والأنصار ، ورجال الدولة ، من : أهل الحاشية وكمار القواد وأمراء الأقاليم الذين كانوا يترددون على الحضرة طلبا للشفاعة والبركة أو طمعا في المكافأة والوظيفة . وكانت المهدية في نظر بعض هؤلاء : كما كانت رقادة قبلها حرما أشبه بالحرم المكي ، حسبما عبر عنه بعض الشعراء في تلك المناسبة (١٥) .

(١٣) الكرى ، ص ٣٠ - ٣١ حيث ذكر أرباض : الحس وقصر أبي سعيد ، وبقعة وقاساس (هشير حاليا) ، والمطنة ورضي قعصة ، وعيرما ، وقارن محمد المرزوقي ، المهدية ص ٣٢ .

(١٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ .

(١٥) من ذلك ما قاله بعض شعراء أفريقية وقتئذ ، من قصيدة انشدتها مناسبة نزول الامام عبيد الله للمهدية ، ومنها :

حطمت الرحل في بلد كريم	رعبه لك الملايكة السكريم
لقد عظمت فأرض الفسرب دار	لهما الصلوات ثقيل والصيام
في المهدية الحسرم الموقى	كما تنهامة البلد الحرام

هذا ، وان كان نص ابن عذارى يورد تلك الأبيات من أجل بيان ما كان يستحله المهدي ، وما كان يحوز منه من الأشعار ، البيان ، ج ١ ص ١٨٤ .

وكنشيجة لست كان من الطبيعي ان يصيب رقادة الصعف والوهن الذي كان يردد مع مرور الوقت لى ان حريت على عهد المعز ٠٠ معد بن اسماعيل (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٦) .

وهكذا خرج فواد بعض الحملات في تلك الفترة حين كان بناء المهديـه على وشك الانتهاء يحملون اللواء من رقادة ، ليعودوا لتقديم الحسابات عن انجازاتهم في المهديـه ، كما فعل أبو القاسم ولّى العهد بعد حملته الثانية على مصر سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، وكما فعل مصالة بن حبوس ، بعد حملته الثانية على فاس وسجلماصة سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م (٩٦) .

حكم مركزي يعتمد على قاعدتي الترهيب والترغيب :

والطاهر ان عبيد الله المهدي بعد ان اطمش في مدينته الحصينة ، بدأ يمارس سياسة تهدف الى تأكيد سلطة الحكومة المركزية (المهديـه) ، وكان من بين الوسائل التي استخدمها سياسة دعوة أبناء الزعماء في القبائل والأقاليم المختلفة ، وخاصة من كن ينشئ خطره منهم في الاقامة في العاصمة ، في كتف الامام لتعليمهم وتدريبهم ، ملوكيا على أساليب الحكم والسياسة ، تهيئة لهم خلافة آباؤهم في بلادهم . وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأمراء الصغار يلعبون الرعاية بصفتهم ضبوما فوق العادة ، كانوا في نفس الوقت بمثابة رهائن ثمينة يضمنون ولاء أولياء أمورهم وهي السياسة التي تمارس حتى يومنا هذا ، من قبل الدول والجماعات : ما عظم منها وما صغر ، مع اختلاف أساليب الحصول على الرهائن .

ومن الواضح أن تطبيق نظام الضيوق والرهائن لأول مرة كان في جبل أوراس ، الذي ولع أهله بالحرية وعدم الخضوع للسلطة ، وذلك عندما طلب قائد الاقليم الكتامي أبو معلوم فجلون من أهل الجبل سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، « رفع عيالاتهم الى المهديـه » ، الأمر الذي أتى برد فعل عكسي اذ ثاروا به وقتلوه غيلة ، كما فتكسوا برحال حاميته الكتامين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) .

وفي نفس هذا الوقت (٣١٠هـ / ٩٢٢م) قامت قبائل نفوسة بمنطقة

(٩٦) انظر فيما سبق ص ٩٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ ، ١٨٧ .

طرابلس بالثورة - وإن لم تعرف أسبابها - بزعامة رجل اسمه (أبو بطة) وعظمت الثورة إلى حد أنهم هزموا الجيش الذي سيره اليهم المهدي بقيادة علي ابن سلمان الداعي ، وشنتوا جموعه حتى اضطر إلى اللجوء إلى طرابلس . والظاهر أن الداعي لم يقتنع بجدية رحاله إلى القنال وذلك أنه عندما كتب إلى المهدي بخبر الموقعة ، انتقم الإمام من المهرمين ، بل أصدر الأوامر إلى عامله على قابس ، علي ابن لقمان ، يقتل من يمر به منهم ، بينما أمده علي ابن سلمان بالجيش التي شددت الحصار على نفوسة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . هذا ، ولم يسع اضطراب منطقة طرابلس من أن يمتد نشاط القوات الفاطمية إلى داخل الحدود المصرية ، حيث اشتكت مع القوات هناك في ذات الحماة ، غير بعيد من الاسكندرية ، الأمر الذي كانت له أصدأه على منبر المسجد الجامع بالقبروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) .

وبذلك تكون المهدي قد نجحت في سواتها الأولى في توطيد الأمن في أفريقية والأقاليم الشرقية اعتمادا على سياسة الترغيب والترهيب التي مارسها المهدي بالنسبة لحصوم الدولة أو العاملين لحسابها ، وكان عليها أن تمكن لنفسها بعد ذلك في الأقاليم الغربية ، اعتمادا على نفس السياسة التي تعنى التشدد في الحساب ، وفي الثواب والعقاب .

الصراع ضد الزنانية في المغرب :

يلاحظ القاضى النعمان اضطراب بلاد المغرب عقب التقلبة إلى المهدي (١٧) ، وهذا ما يفسر كيف أن مصالحة لم يمكث في حضرة الامام إلا أياما قليلة خلال زيارته لها سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، حتى صدرت إليه الأوامر باللاحاق بولايته في تاهرت ، فخرج من المهدي في شهر شعبان من تلك السنة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . وكان على مصالحة أن يواجه اضطراب الزنانية في المغرب الأوسط بقيادة محمد بن خزر ، الأمر الذي راد من المواجهة السافرة مع الأمويين بالأندلس ، من أجل الهيمنة على بلاد المغرب المواجهة للعدوة وسواحل الأندلس وبضمنها بلاد الأدارسة في فاس وغيرها وهي الأقاليم التي أصبحت بفضل ذلك الصراع أشبه بالأرض التي لا صاحب لها في حمة القنال (no man's land) . كما يقال .

(٩٧) افتتاح الدعوة - ص ٣٢٨ - حيث القول « والثالث أمر المغرب » وذلك بمناسبة خروج أبي القاسم إلى هناك سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م .

مقتل مصالة ، أمام محمد بن حزر :

هكذا خرج مصالة من مازرت في سنة ٣١٢ هـ / ٩٧٤ م لحرب زلته .
ونادى رعيهم محمد بن حزر - وإذا كانت الرواية تشير الى انه امر
بالرماية عن يمينه شديدة في منطقة شلف ، « فاداح بلدهم ، وقتل وسبى » .
فان الحملة انتهت بكارثة بالنسبة للقائد الفاطمي الذي لقي مصرعه في ميدان
القتال ، عندما انهر محمد بن حزر أحذه على غرة ، وهو في قلة من أصحابه ،
وذلك في ٢٠ من شعبان من نفس السنة / ٢١ نوفمبر ٩٢٤ م (٩٨) .
ولا تمدنا الصوص بمن خلف مصالة في ولاية مازرت ، وان رأينا ابن
أخيه . حميد بن يعل الملكاني متربعا على دسك الحكم في عاصمته المغرب
الأوسط مازرت ، وان كان ذلك فيما بعد منذ سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ،
بمناسبة الصراع من أجل السيطرة على فاس (٩٩) .

والحقيقة أنه قبيل الوقت الذي لقي فيه مصالة مصرعه أمام ابن حزر ،
كان ابن عمه موسى بن أبي العافية ، حليف الفاطميين ، يلقي هزيمة منكرة
على يدي حسن الحجام الادريسي ، صاحب فاس (عدوة القرويين) ، وذلك
في اللقاء الذي تم بينهما في (وادي المطاحن) غيا بين تازا وفاس . اذ فقد
موسى في المعركة أكثر من ٢٠٠٠ (ألفي) رجل ، على رأسهم ابنه : منهال (١٠٠)
والظاهر أن موسى بن أبي العافية نجح في تقويم الموقف ، كما يقول
ابن خلدون ، اذ رجع الحسن الى فاس مغنولا ، الأمر الذي أدى الى أن يفدر
به عامله على عدوة القرويين ، وهو حامد بن حمدان الهمداني ، الذي انتهز
الفرصة باكتساب رضا موسى ، فأرسل اليه يستدعيه الى دخول فاس (١٠١) .

(٩٨) ابن عذاري ، ج ٩ ص ١٨٩ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث يجعل مقتل
مصالة في حملته الى المغرب سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م على يدي ابن حزر .
(٩٩) نبيون الأخبار ، للداعي ادريس ، ص ٧٢ ، لعمر ، ج ٧ ص ٢٦ ، القرطاس ،
ص ٨٣ .
(١٠٠) انظر القرطاس ، ص ٨٢ - الذي يجعل الواقعة في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م . ويحل
القتل من جانب موسى بن أبي العافية ٢٣٠٠ رجل وفي جانب الحجام ٧٠٠ رجل ، وقارن
ابن عذاري ، ج ٩ ص ١٨٨ - حيث الاشارة الى أن موسى كان يتولى لسياسة - وذلك حسما
منه يكون على ما ترى .
(١٠١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٤ ، وقارن القرطاس ، ص ٨٣ حيث تقدم الرواية
تفاصيل شبة قصصية عن دخول الحسين الى المدينة وحده ، دون حش ، ودخول حامد عليه
في داره لئلا حث قيده وسجنه عنده وأغلق أبواب المدينة في وجه معسكره .

ولكنه بعد أن تمكن موسى من حيا عدوة القرويين سلما ، ودخول عدوة الأندلس عنوة ، لم يتم الوثام بينه وبين حامد بن حمدان بسبب مطالبة ابن أبي العافية بتسليم الحسن الحجام ليأخذ منه بنار ابنه ، الأمر الذى اضطر حامد الى ترك فاس واللجوء الى المهديّة (١٠٢) . وبذلك خلا الجو لموسى ابن أبي العافية ليس للاسيلاء على فاس فقط ، بل ولتكوين دولة مغربية ، عرفت عند الكتاب باسمه .

اجلاء الأدارسة على عن بلادهم : فاس :

وهكذا انتهى الأمر ، كما تنص رواية البكرى ، بأن أجلى موسى الأدارسة أجمعين (عن بلادهم) حتى اضطروهم الى الالتجاء الى مغفلهم فى حجر السر السى بنوه سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، وبذلك يكون موسى قد استولى على جميع المغرب ، كما استخلف ابنه على فاس . وظل الحال على هذا المول الى سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، أى قبل سنة واحدة من وفاة المهدي ، حينما قدم حميد ابن يصل ، ابن أخى مصالة ، ووالى ناهرت ، ليعيد حامدا والياء على فاس من جديد وان لم يلبث أن قتل ، ربما بتدبير موسى بن أبي العافية ، وذلك ان قاتله : أحمد بن بكر الجذامي بعث برأسه الى موسى . وكان من الطبيعى أن ينقى المهدي وهو فى آخر أيامه بسبعة تلك النكسة على حميد ابن يصل الذى آتهم بالتقصير فى مواجهة موسى بن أبي العافية ، وأنه عاد من المغرب الى المهديّة بدون إذن فكان حزاؤه السجن ، وان كان قد هرب بعد ذلك الى الأندلس (البكرى ، ص ١٢٧) .

والمهم من كل ذلك أن أحوال المغرب كانت قد بدأت تضطرب بشكل يثير القلق ، بفضل أعمال الخصوم المعلنين منهم ، من الزناتية ، مثل محمد بن خزر الزناتى ، الذى بلغت به الجراة الى حد قتل مصالة (سنة ٣١٣هـ / ٩٢٤م) أو الأصدقاء المتلونين ، مثل موسى بن أبي العافية .

(١٠٢) اس حلدون ، ج ٦ ص ١٣١ - ١٣٥ - حيث مررد من التفاصيل ، عن قبل حامد عدوة القرويين عبد الله بن ثعلبة وتولية محمد أمى موسى ابن أبي العافية مكانه ورفض حامد تسليم الحسن ، بل والامار اليه بالفرار ، حيث سقط وهو يتدلى من السور فانكسرت ساقه قبل أن يموت مستخفا فى عمرة الأندلس بعد ٣ (ثلاثة) أيام ، وقارن روى القرمطاس ، ص ٨٢ حيث أفسد الشكلى القصصى الإخبارى على الرواية ذات الطابع المفسى بالنسبة لحسن والشرباء الأدارسة . وقارن البكرى ، ص ١٢٧ - حيث الإشارة الى هوية محارب ، ابن والى فاس عبد الله بن ثعلبة ، الى قرطبة أو الى المهديّة ، الأمر الذى يفسر بشكل عام عن تدهور الأمراء المحليين بين القرويين الكبيرين وقتذاك ، فى المغرب والأندلس أى العاطسيين والأمويين .

محمد بن خزر يهدد ناهرت :

والحقيقة ان محمد بن خزر كان قد استأمد في المغرب الأوسط ، بعد انتصاره هذا ، حتى انه ابدا يهدد ناهرت ، عاصمة الأقليم ، حيث زحف اليها في السنة التالية ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، وهدد حاميتها الصغيرة المكونة من ٣٠٠ (ثلاث مائة) رجل بقيادة واليها فضل بن حبوس ، الذي أرسل يستنجد بالمهدي طالبا المدد ، رغم ما تقوله الرواية من أنه هزم بن خزر (١٠٣) كما كان هذا الأخير يهدد المنطقة في السنة التالية ، ٣١٤هـ / ٩٢٦م أيضا - ولهم ان محمد بن خزر ومن معه من زفاته كانوا يستخدمون الأسلوب البدوي في الحرب ، وهو المبني على طريقة الكر والفر ، التي تعني حرب الجماعات الصغيرة ذات الامكانيات الخفيفة في مواجهة الجيوش النظامية البطيئة الحركة بعتادها الثقيل وخططها الحربية المحددة . وهكذا عندما سير المهدي الجيوش بقيادة موسى بن محمد السكتامي ، انهزم محمد بن خزر من أحوار طينة ، عاصمة الزاب الى الصحراء ، بينما ترك أخاه عبد الله بن حرر كميناً لكي يشاجئ القوات الفاطمية ويهزمها في وادي مطماطة . ووجد المهدي صعوبة كبيرة في مواجهة ابن خزر عندما تحالفت معه قبيلة لماية ، وبمكنت من رد القوات الفاطمية بقيادة اسحاق بن خليفة ، وكذلك الامدادات التي تبعتها . وبذلك خضعت البلاد ما بين الزاب والجريد لمحمد بن خزر الذي جعل ولايتها لأخيه عبد الله الذي قاد الفضال ضد الناطميين (ابن عذارى ج ١ ص ١٩١) .

خروج أبي القاسم الى المغرب :

وفي هذه الظروف الحرجة كان علي المهدي أن يضع ثقته في أبي القاسم ، ولي العهد لتفريم الموقف ، فكان خروجه من المهدية نحو المغرب يوم الخميس ٩ صفر سنة ٣١٥هـ / ١٥ ابريل ٩٢٧م (١٠٤) بينما كان على القوات المصاحبة له ، مما أمر المهدي بحشدته من : قبائل كتامة وجنود صريقية ، وعبيد

(١٠٣) عيون الأسرار للداعي إدريس ، ص ٥١ حيث الصر على ان رسالة فصل وصلت المهدية في شعبان ٣١٥هـ / أكتوبر ٩٢٥م ، وان الامدادات التي أرسلها المهدي كانت بقيادة علي بن سليمان بن كاسي ، والعلامة بن محمد (الملقب) ، ومحمد بن ثعلبة .

(١٠٤) عيون الأسرار للداعي إدريس ، ص ٥١ . حيث رواية ذات التفاصيل الدوامة ، سواء في الأحداث أو في التوثيق ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ حيث الخميس ٧ من صفر بدلا من ٩ .

القصر ، ان تتجمع تحت قيادته على طول الطريق ، في . الفيروان ، حيث
واحد عسكريها في سبحة بني معروف ، وفي الأريس ، حيث وافاه خليل
ابن اسحاق التميمي على رأس ٤٠ (أربعين) ألف رجل من عساكر إفريقية
(عيون الأخبار ، ص ٥٩) .

ورغم ورود الخبر من عامل تاهرت بفرار ابن خزر ، سارت الحملة في
الطريق المرسوم لها الى باغاية حيث كان الاعداد الأخير للحملة ، خلال شهر
ونصف . حتى آخر ربيع الثاني / ٣ يولييه . ففي باغاية وافيه قبائل :
مزانة ، وهوارة ، وصديفة ، وعجيسة ، وأهل تيجس ، وقصر الإفريقي
وزنانة وغيرهم (عيون الأخبار ، ص ٥١ - ٥٢) . وهما مارس أبو القاسم
سياسة الترهيب والشرعيب التي تطلبت أخذ الرهائن من أبناء تلك القبائل ،
ومن وحوه الناس الى المهدي ليتيموا في كنف المهدي ، وتحت رعايته (١٠٥) .

وكان الرحيل من باغاية في ٢ حمادى الأولى / ٦ يولييه والوصول الى
سطيف في اليوم العشرين / ٢٣ يولية ، حيث كان عليه أن يقرر الأمور في
بلاد كسامة ، الأمر الذي تطلب تتبع المنشقين ، من : قبائل مزانة ، وكبانه ،
وبني كملان . ولقد سار القائد جعفر بن عبيد في ١٦ حمادى الثاني / ٣
أغسطس الى قلعة « عقار » المنيعه لحصارهم ، وتمكن من احتياج الموضع
بعد ما أنزله فيهم ، من القتل والاحراق ، ثم أنه أعلن الأمان لكل من دخل
في الطاعة ، وأمرهم باللاحاق بالعسكر في تاهرت (١٠٦) .

وكان من أهم ما تمخضت عنه حملة سطيف هذه ، تقرير بناء قاعدة
في المنطقة ، في أرض بني برزال وبني كملان ، وهي : مدينة المسيلة التي
عهد ببناؤها الى علي بن حمدون الأندلسي وهو أخو جعفر ، على أن يتخذها
مقرا له مع عجيسة ، وجماعة من عبيد الحصرة (١٠٦) .

مطاردة الزناتية :

وعلى طول الطريق نحو الغرب ، كان أبو القاسم يقوم أمور البسلاد

(١٠٥) عيون الأخبار ، ص ٥ ، وأظن فيما سبق ، ص ١٠١ - الأمر الذي كان قد أنار
أهل جبل أوراس .

(١٠٦) عيون الأخبار ، ص ٥٣ ، وقارن ابن عداري ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الإشارة الى
قال بني برزال ومعموم من ثلاثة بعض المال والانتصار عليهم .

(١٠٧) عيون الأخبار ، ص ٥٣ - حيث الإشارة الى انها أرض فيها ماء ، حارية ومحمور
واسعة كثيرة الزرع .

والقبائل ، كما فعل بالزباب في أواخر جمادى الثاني / ١٦ أغسطس ، وفي هواره حيث قضى شهر رجب / سبتمبر ، كما أمر بمعاينة العصاة من الرامية بقطع الميرة عنهم (عيون الأخبار ، ص ٥٣) . وخلال شعبان / أكتوبر كان يشق بلد صنهاجة ، شمال الزاب وشرقي كتامة ، حيث نهر شلب - وفي سوق حمزة التي وصلها في ١١ شعبان / ١١ أكتوبر ، وافته جماعة كثيرة من زناتة يعلنون الطاعة ، ويطلبون الأمان ، فعفا عنهم ، وأغلق عليهم الأموال ، الأمر الذي جعل غيرهم يحذون حذوهم (١٠٨) . ومع الانتحار نحو الغرب كانت طبيعة الأرض ترددات وعورة حتى تطلب الأمر من أبي القاسم أن يمشي راجلا لصعوبة المسالك ، وهو يتابع عبد الله بن خزر (بن تبادلت) أخا محمد ، الذي كان قد اعتصم بقلعة جمسة ، بجهة تاهرت ثم انه هرب عندما اقترب منها أبو القاسم في آخر رمضان / ٢٨ نوفمبر (عيون الأخبار ، ص ٥٤) .

وهنا تأخذ المطاردة شكلا دراميا مثيرا ، بحيث يواجه أبو القاسم ، الى جانب طبيعة الأرض الصعبة ، سوء الأحوال الجوية من الأمطار وكثرة الريح ، الى ما نديره القبائل الثائرة من : مطمطة ، وزبرقة ، من مفاجأة العسكر الفاطمي ليلا ، الأمر الذي أحبطه الأمير بالاستعداد للقنال ، عن طريق ايقاد السرج والمشاعل في كل مكان ، مما أفشل ما كان عبد الله بن خزر قد أعدّه من الكمائن ، الى جانب حسن أداء القائد خليل بن اسحق (عيون الأخبار ، ص ٥٥ - ٥٦) . وهكذا نهجت الجيوش النظامية ، بقطعها المختلفة وخططها المرسومة في اقتحام معقل مطمطة الذين طلبوا الأمان فبى نداءهم ، بينما نجح ابن خزر - رغم تيقظ خليل - من الهرب (عيون الأخبار ، ص ٥٧) . وبعد ذلك يأتي فتح زبرقة في المحرم من سنة ٣١٦هـ / فبراير - مارس ٩٢٨م (١٠٩) بعد حصار شديد ، ويقظة من جانب خليل (أخي يعقوب) ابن اسحق على رأس أهل أفريقية ، وشجاعة نادرة من ولي العهد الذي وقف

(١٠٨) عيون الأخبار ، ص ٥٣ - ٥٤ . حيث النص على ان رعيم حساعة الرامية هو مصعب بن مانا الزناتى .

(١٠٩) عيون الأخبار ، ص ٥٩ - ٦٠ . وان حسن ذلك خطأ في سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م . وقارن ، ان هدارى ، ج ١ ص ٩٩٢ - حيث انتاريخ الصحيح ، وان حصل المدينة المقترحة « برقة » بدلا من زبرقة (في البلاد التونسية) . وان كانت طريقة الحوليات التي تحزه الأحداث في سنوات متوالية جعل حيلة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م وكأنها قائمة لذاتها ، غير مرتبطة ببدايتها في سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م .

باصرار في أول الصفوف وهو بكامل عناده وسلاحه ، من : الدرع والسيف والبيضه على الرأس ، الأمر الذي انتهى بالوصول الى السور وهدمه بالقووس . وكل ذلك رغم المقاومة العنيدة من جانب المدافعين الذين كانت تتقدمهم النساء ، يحرض على القتال ضربا بالدقوف ، مما تطلب الانتقام منهم بأسباحة المدينة طوال الليل حتى طلوع الشمس (١١٠) .

وعندما وصلت الأخبار بالفتح الى المهدي بعد طول انتظار ، وعرف ما لاقاه ابنه ولى العهد من الصعوبات ، وهو ما يركز عليه ابن عداري ، اختلطت لديه مشاعر العرج بأحاسيس الأسى ، فعليه انشأ والبكاء (١١١) .

نجاح الحملة التاديبية :

وبذلك ظهر وكان أبنا القاسم حقق ما كان يرحوه الامام الوالد ، من حملة التاديبية في المغرب الأوسط ، إذ أنه انقائل في معسكره بـ « تاغشست » قرب ربرقة ، طائفة حائمة ، وهم لماية ومطاطة ومكاسه وقصيرة وهوارة ثم اهل العيون ، وبعد أن هلم سور مدينة عبد الله بن حرر (ابن تبادلت) ، وحل أبو القاسم الى زهرت يوم ٣ صفر ٣١٦ هـ / ٢٨ مارس ٩٢٨ م ولكن جيشه النظامي « لم يكن ليستطيع متابعة ابن خزر الذي هرب في قفار الرمل والساح الشبيهة بالبحار » (١١٢) . وهكذا كان عليه أن

(١١٠) عيون الأحبار ، ص ٦١ - ٦٣ - حيث الإشارة الى ان المدافعين عندما ياسوا من السمود مالوا على ساقهم وأولادهم وتلوهم بأيديهم واستماتوا . وقارن ابن عداري ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث الإشارة الى ان أهل المدينة عندما نظروا عملة الشبيهة صبيهم ، أصرعوا الأمتعة وعزموا الدواب والمواشي ، وقاتلوا حتى قتلوا ، وأسر منهم من أساسر ، وانتهت ما في الحصى . (١١١) البيان ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الإشارة الى تأخر كتب أبي القاسم على المهدي لبعض الوقت فلما وصلته وعرف ما كان يلاقيه ولى عهده من التساع غلبه السكاه . وقال للمحيطي به ، من امواد المشية - « هذا مرلاكم يذكر في كتابه انه إقام في مناج واحد شهرا كاملا ، عليه المطر كل يوم فالقدو والآصال ، وأنه متى عظاما كثيرة راحلا ، إذ لم يستطيع لركوب فيها لوعرها ، ويقنات كل يوم بيضة أو نحوها لكثرة الدباب في المعسكر . وقارن العيون والحداثي ، ج ٤ ق ١ ص ٣٣٩ - حيث الرواية المعاصرة المسبوبة الى ابن الحرار ، ومستندة الى ابن المهدي - « أبو عبد الله (أحمد) الذي حدثه بها مباشرة ، وتغتم بأسات من الشعر تعبر عن شوق المهدي وقلقه وأولها . يا رحمتي لقد تب في البلد المازج ماذا نفسه صلتها ، وعن الأمير أحمد بن المهدي أنظر ص ١٠٩ وهـ ١١٣ .

(١١٢) عيون الأحبار ، ص ٦٣ - ٦٩ ، وقارن العيون والحداثي ، ج ٤ ق ١ ص ٣٣٩ - حيث النص على فتح مطاطة ودربرقة وريانة وهوارة ولماية وكل من حالطهم من الصفوية

يرجع قافلا من تاهرت بعد شهر (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢) الى بلاد الزاب حيث بلغ طينة ، ورحل عنها بعد حين في ٣ رمضان / ٢٠ أكتوبر ٩٢٨ م .
وعبر بعيد منها واقاه البريد بكنب المهدي يعرفه بما تم لهم من الفتوح في الروم بصقلية وفلورية (كلايريا) وهي مصر بدات الحمام ، حيث غنم العسكر سودا وأعلاما أرسل بعضها الى أبي القاسم الذي عرصها منكوسة على رجال جيشه (١١٣) .

الاحتفال بالنصر مع بشائر ثورة أبي يزيد :

وكانت عودة أبي القاسم مظفرا الى المهدي في ١٥ رمضان سنة ٣١٦ هـ / ١ نوفمبر ٩٢٨ م بعد حوالي ٢٠ (عشرين) شهرا من خروجه منها . وأقيم الاحتفال بالنصر في الايوان (القصر) الكبير ، حيث جلس ، بصفته ولي العهد ، الى جانب الامام يتقبلان التهنئة من وفود كبار المهنيين (عيون الأخبار ص ٧٠) .

والصحيح أن « أعياد النصر » التي أقيمت في المهدي لم تكن لتعبر عن حقيقة الأوضاع في بلاد الزاب أو في المغرب من أوسطه الى أقصاه .
ففي نفس السنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م كانت بشائر حركة أبي يزيد ، صاحب الحمار في بلاد الزاب وما يتأخمها من بلاد الجريد ، ولا بأس أن يكون ذلك قد حدث في ثانيا انتفاضة الزناتية بقيادة ابن خزر في ذلك الاقليم . فقد كان ظهور أبي يزيد كآمر بالمعروف على مذهب الخوارج النكار في مدينة تقيوس حيث اشتغل بتعليم الصبيان ، الأمر الذي أدى الى الثورة على عامل تقيوس وقتله . ورغم هرب أبي يزيد أمام مطاردة رجال المهدي (انظر فيما بعد ، ص ١٧٢) فان محصنة بن خزر نجح في السنة التالية (٣١٧ هـ /

والأباصية - وبلغ تاهرت ، وابن عذارى ، ص ١٩٢ - حيث الرواية المختصرة لا تذكر من أسماء القاتل إلا هواره ولماية ، كما تنحور قراءة « تأغشمت » فيها الى « نامعلت » ، حيث جعل الإقامة فيها شهرين مناظرا لابن خزر الذي كان بموضع اوران بعد .

(١١٣) عيون الأخبار ، نفسه ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث يجعل سيب عودة أبي القاسم هو ما وصله من اسمه قاسم يعقبه بما تحدث به الناس من مبايعة عبد الله لابن أحمد المكنى بأبي علي . وان هذا الأخير كان قد سبق بالندس عبد الغطر وعبد الأصمى ، فأقلقه ذلك وعدم المهدي .

٩٢٩ م) في الاستيلاء على كل بلاد الراب (١١٠) ، بينما كان الأدارسة يتراجعون أمام موسى بن أبي العافية ، الأمر الذي دعا بني محمد منهم ، إلى بناء المدينة الحصينة ، المعروفة بـ « حجر النسر » ، لتكون مقعلا لهم (١١٥) .

تحصين ناهرت :

ورغم أن رواية ابن عذاري لا تشير إلى رد فعل من جانب المهدي بالنسبة إلى تلك الأحداث ، فاعلم الطالب أن خروج حميد بن يصل سنة ٣١٨ هـ / ٩٣١ م من المهديّة إلى ناهرت ، كان بموافقه صنيعة منه إن لم تكن يادن صريح ، على عكس ما نص عليه الرواية ، وذلك أنه أصلح سور ناهرت وبنى فيها قلعة تحصن بها ، كما عمل على عدم سداد العلاقة بينه وبين العاص السابق : حماد بن هاشم ، فردّه إلى بلده بعد أن صاهره ، كما أصلح ما كان بين حماد وبين منافسه - سيار بن عبد الوهاب - أما عن تفسير خروج حميد بغير إذن بسبب استدعائه عن طريق الطلب من والده : يصل ابن حيوس (وإلى المنطقة الشرعي) توجيهه إلى المهديّة دون تأخير ، فمن الواضح أن المهدي لم يكن حائقا على حميد الذي لم يلق منه سوءا (ابن عذاري ج ١ ص ١٩٥ - ط بيروت ، ص ٢٧٦) .

التحالف بين موسى بن أبي العافية (في المغرب) والأمويين في الأندلس : دخول سبته في طاعة الناصر :

والهم أن موسى بن أبي العافية رأى ، لكي يضمن تثبيت أقدامه في المغرب الأقصى ، مما قد يتهده من أخطار ، أن يتحالف مع الأمويين في الأندلس . ففي السنة التالية (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) كاتب عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، يعرب له عن رغبته في الدخول في طاعته ، واستعداده

(١١٤) ابن عذاري ، ج ٢ ص ١٩٤ ، وقارن عيون الأخبار للداعي إدريس ، ص ٧٠ ، وقارن ابن خلدون ، المعبر ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث النص على ملك محمد بن حرر الشلف و... ووهرا ، وأنه ولي عليها ابنه المنير ، وث دعوه الأموية في المغرب الأوسط عندا ناهرت .

(١١٥) أنظر - الكرى ، ص ١٢٧ وعن ١١٣ - ١١٥ - حيث يتحدث حجر النسر في منتصف الطريق تقريبا ما بين سبتة وقاس ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩٤ ط بيروت ص ٢٧٤ - حيث يسمع ذلك لأعمال موسى بن أبي العافية ضد بني صالح بن... بن... الحسن بن أبي العيش (الإدريسي) مما حدث في سنة ٣٢٠ هـ - وهو ١٠ - م ١١٠ في موضع - أنظر دينا بعد ص ١١٢ .

زواجة لغزو الحسن في عمر داره . وعلى طول الطريق استولى على بلدة عامر ،
أخى الحسن الذي تقاعس عن مواجهته ، وانتقم منه بإحراق المزارع في سهل
جراوة ، الأمر الذي أرغم ابن أبي العيش على طلب الصلح . وانتهت
التسوية إلى رد الحسن ما كان أخذه من مال موسى (ابن عذارى ، ج ١ ص
٢٠١ - ط بيروت ص ٥٨٥) ، وعودة جراوة إلى صاحبها الحسن .

ولكن الصراع بين رجلى المغرب الكبير لم يلبث أن ثار من جديد
عندما هاجم موسى مدينة أوزقور التي كانت في طاعة الحسن الذي استجاب
لطلب النجدة من أهلها . فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان أن فضل أهل
حراوة الرجوع إلى هيمنة ابن أبي العافية ، الأمر الذي أدى إلى معاناة أهل
المنطقة من مآسى تلك الحرب التي قسمتهم على أنفسهم ، دون طائل (١٢١) .

الصراع ضد زناته :

وكان من الطبيعي أن تثير مثل هذه الأخبار القلق في نفس المهدي
الذي حاول اتخاذ الموقف ، فكتب إلى زعماء القبائل هناك يحرضهم على
طاعته ، ويعددهم بإرسال الإمدادات اليهم ويمنيهم بالنصر إلى جانبه والظفر
(ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٦) . ولكن الظروف لم
تكن مواتية وقتئذ ، فبينما كان ابن أبي العافية يحقق ما سلفت الإشارة
إليه من الانتجازات في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، اضطربت منطقته تاهرت
بموت واليها يصل بن حبوس ، إذ اختار أهلها على بن مصالة ليل أمرهم ،
وكتبوا بذلك إلى المهدي ، الذي لم يقبل بطبيعة الحال ، الأمر الواقع ، فجعل

(١٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط . بيروت ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - حيث يذكر على
أن أهل حراوة كانوا ابن أبي العافية ومكنوه من دخول المدينة . هذا ، وتثير بقية النص
إلى أن ابن أبي العافية قصد التنازل (المصنوع أصلا) الذي دعا أهل حراوة إلى الأمان ، فأجابته
بعضهم وتملق على سائرهم ، وقتل بها جماعة . وقبل أنه (ابن أبي العافية) أخذ زوجة ابن
أبي العيش القرشنة ، وأولاده ، وخيله وسلاحه ، وأحرق المدينة بالنار وانصرف إلى محبته .
وبعد زوجه ابن أبي العيش إلى أهلها مع ثقات أهل حراوة (ط . بيروت ، ص ٢٨٦) .
وأغلب الظن أن تلك الأحداث تكرر لما سلفت الإشارة إليه عن الصراع بين موسى والحسن ،
إلا إذا كان المقصود بحراوة هي قبائل المنطقة التي انقسمت على نفسها بالنسبة للعدول في
طاعة كل من الرعين . الأمر الذي أدى إلى اشتغال الموقف ، وتكرار مآسى تلك الحرب التي
سكن أهلها بالأملة - على نفس الوتيرة - ومن أوزقور التي تمتد أثر حد صجاجة ، أظن .
الكبرى ، ص ٦٥ .

الولاية الى حميد بن يصل وأرسله الى تاهرت في جيش كنيف ، وكان وصوله في ذي الحجة / ديسمبر (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٩) . وإذا كان حميد قد نجح في تهدئة الأحوال في تاهرت بانزال الهزيمة بزعماء العصبان في المنطقة ، في مطلع سنة ٣٢٠ هـ / يناير ٩٣٢ م (١٢٢) ، فان بريجة موسى بن أبي العافية كانت وقتئذ ، تزداد قوة في بلاد المغرب . فهو يصرع بمعاونة الأمير الزناتي محمد بن حرر عندما تحدهم سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، وأعلن مؤازرته للمحسن بن أبي العيش ، فيخرج اليه من جراوة ، ويهبطه على عرة ، ويهزمه ويقتل رجاله (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

اجتياح تكور والهيمنة على المغرب :

وهو في نفس السنة (٣٦٠ هـ / ٩٣٢ م) يجتاح باسم المصير مدينة تكور ، حيث يصل صاحبها من بني صالح ، وهو المؤيد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس ويقيم الخطبة باسم خليفة قرطبة . ومن تكور يسير الى قاعده الادارة في حجر النسر في منطقة جراوة ، ويرغم الحسن ابن أبي العيش على الانحياز الى المرسى بأكاس ، من حيث أبحر الى جزائر ملوية ثم الى جزيرة أرشقول المنيعة . بساحل تلمسان - وهماك انحصن بأهله ومواليه ، وان لم يمنع ذلك ابن أبي العافية من اكتساح المنطقة ، والاستيلاء على مدن مريجة وأرشقول . بعد أن هرب الإدارة ، من بني معمر ، وأرغم من بقي منهم على دفع الفدية ، ونراجع قواد بني حزر وعمالهم . وبذلك خلصت البلاد ما بين تاهرت والسيوس الأحصى لموسى ، ودخلت في مملكته (٩٣٣) .

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٩ - حيث أوقع حميد بن يصل سادود بن مصالة ، وسنان وابن حميل بن بربو . وان حصر ذلك قريء في كتاب المهدي على راس أفريقيا في ٢ جمادى الآخرة / ١٠ يولية .

(١٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٤ - ط بيروت ، ص ٢٧٤ - حيث توجد الرواية ضمن أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قبل أن تأتي ملحصة في أحداث سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م (ج ١ ص ٢٠٤ - ط بيروت ، ص ٢٩١) . والذي نرجحه هو أن يكون وضع تلك الأحداث من قبل ابن عذارى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (وكذلك الحال بالنسبة لروى القوطاس ، ص ٨٤) بمثابة تلخيص لأهم أعمال موسى بن أبي العافية ، وان موضح الانصار الكبير لموسى على موسى بن أبي العيش هو في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، والا لما كانت فتنة حيد النسر بعد سنتين شهرين الى الحضانة والمعة إذا كانت قد احدثت في سنة انشائها (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) .

ختم رد الفعل العاطفي :

وهكذا كان علي ، عيسى بن يسير في السنة الثمانية حميد بن يعلى . وفي صحبته حامد بن حمدان التمداني ، تاجو تاهرت وفاس ، حيث تباعدت أمامه قبائل زناتة ومكناسة (العبر ج ٧ ص ٢٦) ، بينما فر موسى ابن أبي العافية إلى بلدة تسول (١٢٤) ، كما فر ابنه عدي ، الذي كان إلى فاس هاربا ، عندما تأكد من هذا النبا . وعندئذ عين حميد لولاية فاس حامد بن حمدان . والظاهر أن وصول القوات العاطمية إلى فاس أثار الحساس في نفوس الأدارسة في منطقة جراوة وحجر النسر حيث ثاروا على القوات التي كان قد خلفها ابن أبي العافية تحت أمرة قائده « أبي قسح » فهرموها (١٢٥) . ولكن ابن أبي العافية نجح في مقابل ذلك في إثارة فاس على العاطمين . حيث قام أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الخداعي على حامد فقتله وبعث برأسه ، وولده إلى موسى الذي سيرها إلى قرطبة ، تأكيداً لولائه ، وإعلاناً لهيمنة الناصر على المغرب . وكان ذلك الفشل سبباً فيما نزل بحميد - الذي كان قد عاد إلى المهديّة من العقاب سحناً بتهمة رعيته من المغرب بغير إذن ، دون مواصلة حرب ابن أبي العافية ، الأمر الذي سوف ينتهي بثورته على عهد القائم ، سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ، من سجن المهديّة إلى الأندلس ، لكي يزيد في اشتعال الخصومة بين الأمويين والعاطمين ، ويثير الاضطراب في المغرب الأوسط بتحالعه مع زناتية (سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م) قبيل ثورة أبي يزيد (١٢٦) .

وهذا ما تؤيده رواية الكرى (ص ١٢٧) التي ينقلها ابن عذاري ، كما ترى ، وضمها في قائمها التاريخي - حيث ألصق على انتصارات موسى على الأدارسة وإخلائهم عن مواضعهم ، الأمر الذي دعاهم إلى اللجوء إلى (الإصحاش في) « حجر النسر » الذي كان قد سعى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، وكبف ابن موسى اعزاز محاصرتهم واستئصالهم لولا احتياج أكابر بلاد المغرب على أن يفعل ذلك ربح من التبرير فال إدريس (المتدين الرشيد) ، وهو ما ترتب عليه الإكتفاء بمراقبتهم من بعد ، سيما كان عدي بن موسى (ابن أبي العافية) يخلعه على مدينة فاس ، وذلك قبل قدوم حميد بن يعلى من قس المهديّة إلى المغرب في السنة الثالثة (٣٢٩ هـ / ٩٣٣ م) - وانظر ما سبق ص ١٠٤ وهـ ١٠٢ .

(١٢٤) الكرى ، ص ١٤٢ ، القرطاسي ص ٨٥ -

(١٢٥) الكرى ، ص ١٢٨ ، القرطاسي ، ص ٨٥ .

(١٢٦) انظر الكرى ، ص ١٢٨ ، وابن حنبل ج ٣ ص ٣٩٥ وج ٧ ص ٢٦ ، وانظر

«بما بعده ص ١٧٠» .

السياسة المالية على عهد المهدي :

أول ما نلاحظه فيما يتعلق بالسياسة المالية التي اتبعها المهدي ، هو أنها حالت مسار السياسة المالية التي كان يتبعها الداعي أبو عبد الله منه بدرجة نشرة الدعوة إلى انتهاء المطالبة أي انصراف بالطهر ، وإعلان الخلافة المهدية . فقد كان طابع سياسة الداعي المالية هو التخفيف ما أمكن عن دافعي الضرائب في الأقاليم المفتوحة ، كنوع من العناية التي تساعد على نشر المذهب الفاطمي الذي تقوم عليه الدولة الناشئة ، كما هو الحال بالنسبة لكل الدول الوليدة عندما تبشر بأقبال عهد العدل والانصاف . وارتكزت سياسة التخفيف الضرائبي هذه على محورين ، أولهما : تقليدي ينادي بإسقاط الضرائب المستحقة في دولة الاسلام ، مما اعتبره البعض من قبيل المغارم وسموها بالمظالم ، فلا تبقى الا الضرائب الشرعية لحما ودما ، فكان الدولة الجديدة تنادي - في نفس الوقت - بالعودة بالاسلام الى عصر النقاء الأول ، دونما بدع أو انحرافات . والمحور الثاني ، على العكس من ذلك ، تجديدى يتمثل في حق الامام في الخمس الذي يتعدى نطاق المال الرسمي للدولة ، وهو الوافد من القوات الشرعية ، الى مال الرعة من شريعة الامام مما كانت تمارسه الشيعة في عصور الستر والكتمان ، قبل قيام الدولة (١٢٧) . وهذا الخمس اذا ظهر من الناحية الشكلية كضريبة اختيارية يدفعها القادرون كالصدقة ، فان أداءه للامام كان ، من حيث المضمون ، أشبه بقاعدة مركزية من قواعد المذهب من حيث النظر الى أموال الرعية بصفتها مكاسب سلمية مثل المكاسب الحربية ، يحق للامام فيها الخمس ، فهي علامة الولاء للمموسة ، والولاية أو الطاعة للامام هي اسمى أصول المذهب ، الأمر الذي سيلقى بظلاله المنهية على بقية الضرائب ، وبالتالي على بيت المال جملة ، اذ يصبح للامام مطلق التصرف فيما يحويه من أموال الوارد والصادر ، ما يأتي ذكره .

(١٢٧) انظر : ابن الأثير ، ج ٧ ص ٤٤٥ - عن حق الامام عند قراطة الكوفة حيث النص على ان الداعية الأولى كان يطلب دفناراً ويرغم ادلاء الامام ، وانظر ص ٤٩٤ - عن الخمس عند القرامطة بالحري ، حيث النص على حضور رجل في سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م اسمه يحيى بن المهدي ، أظهر انه رسول المهدي الذي قرب وقت ظهوره ، وان الشيعة اجابته هناك . وكان بن يحيى هذا يحب ويظهر ومنه كتب المهدي التي طالبت اول الأمر بأن يدفع كل رجل منهم مبلغاً محدداً من المال ، وهو ٦٪ دينار ، قبل ان يطلب منهم ان يدفعوا الى يحيى خمسم أموالهم « ودفعوا له الخمس » -

هكذا كان أبو عبد الله الداعي يرفض صريته الخراج (على أرض المسلمين) وإن قبل التقاليد العمرية سياسة ، كما نطرح ، في جباية صريته العشر (أصر ج ٢ ص ١٧٢ وهـ ٥٦٥) ، كما حرص على دفع حق الإمام في الخمس ، والمهدي لاجبي في سجله (ج ٢ ص ٢٦٥) . وفي مصر حق الإمام أو حق الدولة ، لم يصرط فيما تركه الأغلبية من المناع والأموال . فهو يتنعم تلك الأموال أينما كانت ، سواء في رباط سموسه ، حيث وجد ٢٨ (ثمانية وعشرون) حملا من المسال كانت لريادة الله الأخير أو في رقاده حيث جمع ما كان قد انتهب من الأموال هناك (أنظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٨٢) .

الحاجة إلى مزيد من المسال :

والحقيقة أن الدولة الفاطمية الفتية ، على عهد المهدي ، كانت في حاجة إلى المزيد من الأموال مع مرور الوقت ، من أجل تحقيق برنامجها الطموح في إقامة دولتها العالمية ، بل وقبل ذلك ، نشر الأمن في ربوع الدولة في مرحلتها المغربية الأولى ، الأمر الذي كان يتطلب حشد كل الطاقات في سبيل أعداد الجيوش والأساطيل ، ومما تتطلبه من الحصون والمسكرات والأسلحة والعتاد والخيل والأزواد - فأخرب كمشروع استثماري ، كما يقال الآن ، لا بد لها من المسال :

الخمس :

والحقيقة أن ترتيب صريته الخمس الخاصة بالإمام ، وهو في دور السترة ، تعنى أن الحركة الشيعية الفاطمية كانت تعرف مسبقا ، أهمية المسال بالنسبة لتحقيق أهدافها . فالمهدي خرج من سلمنة محملا بالمسال ، ولهذا ظهر في هيئة التجار ، وفي ذلك قيل أنه كان يقدم الهدايا كما فعل مع أمير مصر في تسهيل مسيرته . كما تقول بعض الروايات (أنظر ج ٢ ص ٥٨٨) وكذلك كان يفعل في سجله حتى قيل أن الدنانير الذهبية التي كان يخرجها أو ينفقها هي التي لفتت إليه الأنظار فكانت سبب اعتقاله (١٢٨) .

وهكذا كان من الطبيعي أن يهتم المهدي بجمع المسال منذ الكشف عن شخصيته بعد استنقاذه في سجله التي كانت من أسواق الذهب الهامة ، إذ خرج منها ترافقه أحمال التبر التي غرمها أهل المدينة بحجة

(١٢٨) أنظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٦٥ وهـ ١٢٧ ، ص ٥٩٢ وهـ ٢١١ .

أساءتهم إلى الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٦ ، ٥٩٧) . وفي الطريق إلى القبروان رأى عبيد الله المهدي أن يمر بايكجان حيث كانت تحفظ الذخائر والأموال بمعرفة الدعاة من مشايخ كنامة فأخذها منهم . الأمر الذي ساعد على فتور العلاقة معهم ، من غير شك (١٢٩) . وتقريبا من هذا ما حدث في القبروان عندما استقبله فقيهاؤها وهناؤه وسألوه الأمان ، فأسمهم في أنفسهم ودراريهم ، دون إشارة إلى الأموال رغم سؤالهم له ، الأمر الذي أدى إلى أن « يخافه أهل العقل من ذلك الوقت » (١٣٠) . بمعنى أن أهل القبروان كانوا عرسة لغرامة أو المصادرة .

الغرامات والمصادرات :

وهكذا كانت الغرامات والمصادرات واستصماء الأموال كعقوبات جماعية أو فردية ، من مصادر دخل بيت المال . ففي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م عندما أخرج المهدي جيوشه إلى طرابلس أعزم أهلها جميع ما امتلكه على تلك الحملة (ابن الأثير ج ٨ ص ٦٦) ، وعندما سار حباسه في السنة التالية ٣٠١ هـ / ٩١٣ م نحو المشرق ، كان كلما دخل مدينة فتل أهلها وأخذ أموالهم كما أعزم أهل بركة ١٠٠ (مائه) ألف دينار تحت تهديدهم بالقتل ، وأخذ جميع أموال بني حمال المراني بدعوة أنهم أساءوا إلى الامام عند قدومه من مصر ، وسرقوا بعض ماله ومتاعه (١٣١) . ورغم ما نقوه الرواية من أن المهدي اعتذر لأهل بركة ، وحلف بأنه ما أمر حباسه بشيء من ذلك فإن هذا الأخير عندما دخل الأراضي المصرية فعل بها مثلما فعل ببركة ، من : قتل الناس وأخذ أموالهم ، (ما سبق ج ٢ ص ٥٨٩) ، هذا ، كما كانت أموال أهل بركة هدفا لقوات المهدي التي دخلتها سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، بقيسادة أبي مدين الذي استصمى أموالهم ، بعد أن أثت الحرب على أكثرهم ، مدة ١٨ (ثمانية عشر) شهرا (ما سبق ، ص ٨٠) . وفي السنة الثالثة كان القائد مصالة يصالج يحيى بن أدريس في فاس ، على الطاعة ودفع مبلغ من المال للامام ، كما أنه عاد وعذبه في سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢٠ م حتى أخرج له ماله وذخائره (ما سبق ج ٢ ص ٤٧٨) . ومثل هذا حدث بالاسكندرية

(١٢٩) الثاقبي السمان ، النتائج الدعوة ، ص ٢٨٩ ، انظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٨ ، ص ٢٢٨ - حيث الإشارة إلى الخلط بين أموال ايكجان والأموال التي أخذت من سجناسه .

(١٣٠) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٨ .

(١٣١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٧٠ ، ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٩ ، وأعله ، ص .

عندما دخلها أبو الفناسيم ، ولى العهد سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، اذ انتهب
أموالها وجنى حراجها (١٣٢) . وهو ما حدث في سجناسنة سنة ٣٠٩ هـ /
٩٢١ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥) . وفي نفس السنة (٣٠٩ هـ /
٩٢١ م) كانت أموال أهل القبروان هدموا لعارات أصحاب الحارس تحت
قيادة أبي سعيد الضيف . وعندما اشتكى المتضررون للمهدي حلف بأنه
لا يعرف ، وأن أمر بتغيير بعض أعوان أبي سعيد (١٣٣) . ومثل هذا ما شاع
عن القاضي محمد بن عمران النقطي ، وإلى قضاء القبروان بعد عزل استحقاق
ابن أبي المبال ، لئنه ، مع أنه وصل إلى منصبه هذا بفصل الأموال التي
كان يستولى عليها من الرشي وأموال الأوقاف (الأحياس) ، والتي تقرب
بها إلى المهدي (١٣٤) . ومثل هذا ما يقال من أنه عندما توفي أبو حفص القلاسي
سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ترك دارا ومسجدا يجساورها وفندقا دون وارث ،
لم يكف عبيد الله المهدي بورائته ، بل أنه أوعر إلى الناظر في الموارد فاعلق
له باب المسجد ليصبح حراء من الدار والفندق (ابن عذارى ، ج ١
ص ٢٦٨) .

هذا ، عن المعارم والمصادرات على المستوى الجماعي والتي كان يصاحبها
مغارم أخرى على المستوى الفردي . ومن أشهر الأمثلة لذلك ما وقع لأبي جعفر
ابن خيرون ، وهو من أغنياء تجار القبروان ، الأندلسيين أصلا ، والذي كان
يمتلك العديد من الفنادق المجاورة لسجن المدينة . فلقد قتل الرجل ، الذي
يشهد له بأنه بنى مسجدا شريفا ، وذلك في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بسعي
من القاضي المروزي الذي شهد « بأن قبله وديعة كبيرة » فطولب بها ، وعذب
حتى مات (١٣٥) . والأمر الذي تؤخذ منه العبرة ، هو أن القاضي المروزي

(١٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة أيضا إلى انتهاب الأئمة في الغيوم ،

وما سبق من

(١٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٦ ، وما بعد ، ص ١٣٩ وهـ ١٧٧ ، وقارن ص ١٥٠

عن راية الصيف لصقلية .

(١٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٦ - وحيث وفاته في شهر
ربيع الأول سنة ٣١٢ م / يونية ٩٢٤ م ، والص على أنه كان يرتضى على الأحكام - ربيستتر
في صرور من المنكر ، ثم عودة ابن أبي المبال إلى القضاء ثانية - حيث نص مرسوم العهد ،
وفيهِ عرلناك لبسك ومهانك ، ورددناك لديك وأمانتك .

(١٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن ص ٢٣٥ - حيث القراءة
ابن خيرون بعدا من خيرون . وقارن ، رياض القيس للسالك ، تحقيق شير الكوش ومحمد
الظوي ، بيروت ١٩٨١ ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، حيث النص على أن الرجل مات دمهبا تحت

نفسه مات في عذاب المهدي معصوباً عليه سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ - ٩١٦ م ، حيث طوّل بعض من كان له صلة به من وجهاء القيروان وتحارهم بعد وفاته ، بما كان لديه من المال وعدّوا من أجل ذلك (ابن العذارى ، ج ١ ص ١٧٣) .

المغاسم :

وإذا كانت عقوبات مدن الداخل ، وما يسزل بها من الغرامات ، قد صارت مورداً لبيت المال ، فقد كانت المغاسم التي يؤتى بها من بعض مدن الخارج البحرية ، هي الأخرى ، من روافد بيت المال بالمهدية . وذلك كما حدث في غزو مدينة أغمات سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م (فيما بعد ص ١٥٦) ، وكما حدث في غزو الروم في صقلية سنة ٣٠٣ هـ / ٩٢٥ م ، حيث عاد الحاجب قائد الأسطول بالسبايا والهدايا إلى المهدي الذي كان وقتئذ يعرض جواهر وأموال مدينة وادي (أورية) ، وهو يقول : « والله ما أعطاني من الجمل إلا أذنيه » (فيما بعد ص ١٥٧ ، ١٥٨) ، بمعنى أنه كان يرغب فيما هو أكثر من ذلك ، وأنه كان ينظر بعين الريبة في صحة نصيبه من الخمس ، ويتهم الحاجب القائل بالغلول (١٣٦) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن العهد إلى صابر الفتى (مولى ابن قرحب) سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، بولاية القيروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٩) إذ أنه كان في السنة التالية ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م يغزو صقلية ويصيب ويسبي (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٠) ، كما كان في السنة التي تليها (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، يغزو إيطاليا (بلد الروم) ويحتوي على ما في القلاع ويصالح أهل المدن على الأموال والديباچ (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٣) وبعد الغزو التالية ، ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، التي فتح فيها مدينة ترمولة عاد منصرفاً إلى المهدي (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٥) .

أقدام السيد السودان ، إذ « بطح على ظهره وطمع السودان فوق السرير وفقروا عليه بأرحلهم » حتى مات ، ومثل هذه الميعة كانت للمروزي الذي ركضته الخيل في استغلال الدواب ، وقارن ما يأتي من ١٣٥ و ١٧٠ .

(١٣٦) غار أفتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ . حيث النص على أنه عندما استكر صاحب بيت المال حصيلة شهر رمضان التي بلغت ١٠٠.٠٠٠ دينار ، قال المهدي : لو بعثني الله لي حتى ٠٠٠ ما رصب من هذا العطاء لرحلي واحد من أوليائي . والنعمان يضيف إلى ذلك أن المهدي كان جواداً بالمال ، وكان مع ذلك لا يضيع أقل شيء من المال ، فهو لا يستهين به ولا يصرفه من غير حق .

الترانيب المالية :

ومثل هذا الحرص في جمع المال ، وذلك الدقة في حساب العمال ، يتطلب بطبيعة الحال ، اهتماما بالترانيب المالية التي كانت قد انهارت في البلاد اثر سقوط الدولة الأغلبية ، ما بين طمع الأمير الهارب وفساد ذمم العمال ، والعمل على تقويمها بما يتفق وأهداف الدولة الجديدة . ولما كان المعروف أن أبا عبد الله الداعي كانت له ترانيبه الخاصة سواء في إيكجان أو في نازروت ، فمن المعروف أيضا أنها كانت نظما بسيطة تنفق مع بساطة الدعوة وطبيعة المجتمع القبلي في بلاد كتامة . فالداعي عندما دخل القيروان كانت لديه نظم خاصة بالسكة ، والسلاح والكتاية ، وبيت المال ، وديوان الخراج ، والعطاء والقضاء (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) . ومن الواضح أن النظم المالية نالت عناية فائقة من المهدي منذ دخوله القيروان - وهذا ما يفسر استخدامه لبعض عمال الأغلبية ، كما فعل بأبن القديم الذي عهد إليه بالخراج ، والذي اتهمه فيما بعد باحتجان بعض ما كان في عهده من المال الأغلبى (مسبق ص ٦٥ و ٦٨) . وفي نظم الدولة المالية يقول القاضي النعمان أن المهدي دون الدواوين ، وأمر باقضاء واجب الأموال . وكان ديوان الخراج قد أحرق لما هرب زيادة الله فأمر به فأحرق (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) .

ديوان الكشف :

ولم هذا المجال يقدم النعمان معلومات طريقة عن بعض الدواوين ذات الصلة بديوان الخراج أو المتفرعة عنه ، مثل : ديوان الكشف ، وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين مع زيادة الله من استصفيت أموالهم ، وإن ترك ما كان لنسائهم (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) . كما تتبع المهدي ما كان قد نهب من قصور وقادة فاسترجع كثيرا منه من أيدي الناس ، أو طولبوا به ، واجتمعت منه أموال كثيرة (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) . ولقد أقام المهدي أيضا ديوانا لبيت المال الذي كانت حصيلته في شهر رمضان وحده ، ١٠٠٠ ر دينار (افتتاح ، ص ٣٠٤) . والنص على كثرة دخل بيت المال (أنظر الهامش السابق رقم ١٣٦ ص ١٢٠) في شهر رمضان يوحي إلى أن ذلك راجع إلى كثرة الدخل من الأسواق في شهر الصوم ، حيث كانت المبالغة في العناية بأمور الطعام والشراب ، قبل الاهتمام بالكساء في أواخر أيامه .

ضرائب مستحدثة :

التضميم :

وهكذا يكون المهدي قد استحدث دواوين جديدة مختصة بجمع الأموال وترتيبها في اوجه نفقتها المختلفة ، وعلى نفس اسوال كان من الطبيعي ان يستحدث أنواعا جديدة من الضرائب التي عرفت بالمعالم ، ليستند به حاجات بيت المال التي كانت تزداد مع تطور الدولة على مر الأيام . من ذلك ضريبة « التضميم » التي فرضت سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م على ضياع أفريقية ، وهي ادن من ضرائب الأرض (أو الحراج) التي وصفت بأنها من بقايا التقسيط (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨١) ، بمعنى التعديل الضريبي أي الاصلاح الضريبي الذي كان يتم ما بين الحين والحين . وكان من أهم الضرائب المستحدثة ، التي نظر اليها على أنها من المظالم الفاضحة ، ضريبة طريق الحج التي قررها المهدي في السنة التالية لاستقراره في المهديّة (سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) ، اذ أمر بأن يكون طريق الحجاج ، اجباريا ، على المهديّة حيث يكون التوقف في موضع « بندون » لأداء ضريبة تسمى « الشطور » علما بأن طريق الحج السوي ، أي المختصر ، هو طريق مصر « الكبير » أو الدولي ، كما يقال الآن « الأمر الذي كان موضع التنذر بين الناس (١٣٧) » .

الشطور : ضريبة الحج :

والخليفة انه اذا كان ظاهر خير تحويل طريق الحج الى المهديّة يمكن ان يعبر عن ان صريخ « شطور » هي ضريبة على الحجاج ، كما تريد الرواية المخصصة للفاطميين - على ما يبدو ، والحقيقة هي أن « الشطور » ليست ضريبة حج بل ضريبة حراج ، مما يعرض على الأراضي الزراعية . فعلى سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م عندما عهد المهدي بولاية الحراج بأفريقية الى أبي معمر عمران بن أحمد بن عبد الله بن أبي محرز القاضي ، قام الرجل بإصلاح ضريبة الحراج في بلاد أفريقية بحيث تكون ضريبة موحدة ، أقرب الى العدل (القسطنطين) والواقع ، بحيث لا يضار أصحاب الضياع كثيرا يتذبذب الاناج الزراعي ، ولا تتأثر ميزانية الدولة نتيجة لذلك . ولكي

(١٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٦ - حيث الإشارة الى أنه كان من أمثال أهل النبرون أيام الأغالبة ، صد المطالبة بشيء . مستحق ان يقال ، « اذا أردت الحج فخذ على بندون » ، فقال الناس - صار المثل القديم حقا .

يحقق أبو معمر هذا الهدف ، نظر في متوسط ضريبة العشر على مختلف المزارع (الضياع) من أعلاها إلى أدناها - تبعا لمساحة الأرض بطبيعة الحال - وأخذ المتوسط بين الطرفين ، وهو « الشطر » الذي أصبح ضريبة موحدة على مختلف الضياع (١٣٨) . الأمر الذي كان من أغراض بعض ملوك الدولة الأغلبية من قبل (أنظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٤١) .

وبذلك تكون ضريبة الشطور (ومعهدها شطر) : ضريبة خراج وليس ضريبة حشج - أما عن جمعها على طريق المهدية في موسم الحج ، فكان بمثابة المراجعة الصربية على الحجاج وما كانوا يحملونه من المال ، بهدف أن يدفعوا ما يكون مستحقا عليهم للدولة ، قبل مغادرة البلاد بأموالهم لأداء المساك - وأغلب الظن أن ديوان الكشف الذي استحدثه المهدي (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣ ، وأنظر فيما سبق ص ١٣١) سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . في وقت مبكر ، حسبما يضعه ابن عذاري ، والذي جعل إدارته مشاركة إلى كل من : أبي جعفر البغدادي ، كاتبه ، وعمران بن أبي خالد بن أبي سلام (البيان ، ج ١ ص ١٦٢) ، ربما كان يقصد به كشف المتهرين من ضريبة الأرض ، خاصة (١٣٩) .

ديوان الدعوة :

ولا ندري ان كان من بين ادواوين المالية المستحدثة في الدولة الفاطمية الناشئة ديوان خاص بالدعوة يكون اختصاصه ضبط الأموال التي تنفق عن طريق الدعوة الذين كانوا يحصلون المال والأخبار سرا ، من الحضرة إلى سائر الأقاليم ، وهو ما كان دارجا على أيام أبي عبد الله ، وكان يحقق الاتصال الدائم بالامام سواء في سلمية أو في سحلماسة . وكان ذلك النوع

(١٣٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١٣٩) قانون مرسى لقال ، دور كناسة ص ٤٢٣ - حيث يبدو ان المقصود بالكشف هو كشف المخالفين للمذهب . والحقيقة أنه قد يساعد هذا الرأي قوة المهدي بأبي جعفر البغدادي ، واستنائه به في التخلص من الداعي (ما سبق ، ص ٦٢) حتى أنه عهد إليه بعد ذلك سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بديوان البريد (الخبر - المخابرات) - ولما كان البريد وثيق الصلة بالخارج إذ وليه ابن التقيم أول ولاية الخراج للمهدي (ما سبق ، ص ٦٢) فإن مشاركة عمراؤ له في إدارة ديوان الكشف يعنى عدم تخصص أبي جعفر ، وهو الكاتب ، في تلك الإدارة الفنية التي تتطلب حبرا وهو ما يرجع ما يقترحه من أن يكون ديوان الكشف قريب لصلة بديوان الخراج .

من النعقة أشبه بما يسمى حاليا « بالمصارييف السرية » والحقيقة ان الداعي ادريس يمدنا بمعدومات طريقه في هذا الشأن ، تشير الى أن يعقوب ابن اسحق ، عندما قبض عليه في مصر ، في حلة سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، وحمل الى بغداد (انظر فيما سبق ص ٢٧) كان دعاة المهدي يوصلون اليه المال والأخبار طوال ١٤ (أربعة عشر) عاما ، انتهت بمقتل الخليفة المقتدر ، وعودته الى المهدي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على أواخر أيام المهدي (١٤٠) .

وهكذا تعددت واردات بيت المال وأوجه النفقة ، فتمثلت تبعاً لأهميتها ، في اعداد الجيوش والأساطيل مع رواتب الموظفين والعمال المدنيين في البلاط ، وفي مختلف الدواوين ، وبشر المذهب القاطمي والعتابية بالعلم ، عصبية الدولة وأصل قواها السكامة ، الى جانب شراء الأعوان والحلصاء المجاورين ، مما كان يسهل تمدد الدولة اقليمياً وتوسعها معنوياً ، واقامة المدن من ملكية وشعبية ، والعناية بالأسواق والحرف والصناعات ، واحية الحضارة الفاطمية المادية ، والدليل الملموس على نجاحها مذهبياً ، بصفتها دولة الأئمة الشرفاء من آل البيت ، ولكل ذلك حرص المهدي على جمع المال في مظانه المختلفة ، وكان ، كما تنص رواية القاضي النعمان ، جواداً به ومع ذلك فهو لا يضيع أقطره ، اذ لا يسهين بالمال ، ولا يصره في غير حق (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) .

السياسة الدينية :

ما بين الدين والمال :

ارتبطت السياسة الدينية بالسياسة المالية بموع من الرباط العصى

(١٤٠) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٧٣ - ٧٥ . حيث الاشارة الى أن السحان هي بغداد انتهى به الأمر الى الإفراء من كثرة ما كان يعطيه يعقوب ابن اسحق ، وأن ذلك كان سبباً في أن أطلق السحان سره بعد وفاة المقتدر . هذا وان اتحدت الرواية شكلاً معسماً مثيراً - بعد ذلك - فيما يتعلق برحلة العودة الى المهدي ، حيث تكثر انعقد أو المواقف المرحية ، مما يصلح لأعمال السبائير الروائية - كما يقال الآن - يعقوب يتخفى في رى الصوفية ، ويصبح في التحصن عندما كشفه حواسيس بغداد في مصر ، ثم انه يشربى بوى النساء ليغير حصر الخبرة في صحة زهرة من النساء الى محبة (طريق) العرب وبعاته بفضل من كن معه عن النساء رغم كشفه ، الى سلسة ، أخرى من مثل هذه المقامرات العجيبة . والرواية هذه وان كانت من نوع القصص الشعبي ، فانه من حيث المضمون تدب أساليب الحمى التي كان يلجأ اليها الحواسيس والمبلاء في تلك العصور .

من حيث ان كلا من المال والمذهب الاسماعيلي العاطمي كانت له ، الى جانب مزاياه الايجابية تأثيراته السلبية . فجمع المال يوصف عادة بالعلم ويخلق العداوة ، وانما يوصف بوجود ويجلب المحبة . وعلى نفس النسق ، بينما كان المذهب الشيعي يكتسب الى جانبه الأنصار كان يولد الخصم في صفوف أهل السنة . وبسبب صعوبة الموازنة بين السلبى والايجابى في كل من الجانبين ، كانت الدعايات المبشرة بقيام الدولة الجديدة ، وعهود الخير ، تبدأ معتدلة وهي تحاول التوفيق بين القديم المدير والجديد المقل ، قبل أن تكشف النقاب عن حقيقة أمرها .

تساهل الداعي : ظاهر علم الأئمة :

هكذا بدأ أبو عبد الله الشيعي دعوته بنشر ظاهر علم الأئمة مما يتفق مع مذهب أهل السنة ، من الدعوة الى المروءة والهي عن المكر ، دون الكشف عن أسرار الباطنة (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) . وهو اذا كان قد أحدث بعض التغييرات في صيغة الأدان أو الغى صلاة الاشماع (التراويج) أو أمر بتفصيل آل البيت على من سواهم ، فقد كان يفعل ذلك باسم «الكتاب والسنة» ، وبشكل معتدل . فهو لا يقل تطرف أحبه أبى العباس عندما أراد نفى المعارضين من المالكية عن القبروان ، ولا يستجيب له (١٤١) . وهو يستنكر ما قام به بعد ذلك من عقوبة اثنين منهم بالحس والقتل والتشهير . هما : ابن البرذون وابن هذيل ، ويرد عليه من سحلماسة قائلا : « قد أفستد علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه (١٤٢) » . ولا شك أن اعتدال الداعي لم يلق الترحيب من عبه الله الذي كان يرى استثمار المذهب في سبيل تأكيد السلطة ممثلة في شخصه ، بصفه اماما مهديا ، له حق الطاعة المطلقة . ففي سبيل توطيد مركزه كان أول توقيعاته (قراراته) التي أصدره في يوم الجمعة ٢١ ربيع سنة ٢٩٧ هـ / ١٨ ديسمبر ٩٠٩ م ، غداة وصوله الى القبروان ، بأمر بالدعاء ، بعد الصلاة على محمد ، وعلى فاطمة والحسن والحسين ، وعلى آبائه خلفاء الله الراشدين المهديين ،

(١٤١) ابن عذري ، ح ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(١٤٢) ابن عذري ، ح ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ . حيث النص على أن القتلين صا ابراهيم ابن محمد الطوسي ، المعروف بابن البرذون ، وأبو بكر بن هذيل وان الذي وثى بها هو القبح المنفى . على مذهب أهل العراق الذي أجازوه لما فيه من الترخيص - وأصحابه تهمة الظعن في الدولة والتسوية بين علي بن أبي طالب وبين أبي بكر وعمر وعثمان .

بالصلوة أيضا على الامام المهدي : عبد الله بن أبي محمد ، خليفة الله ، والقاضي
بأمر عبادته (١٤٣) .

تشديد المهدي :

وهكذا سار المهدي في سياسة التشديد في شمر المذهب الفاطمي بين
الناس دون هوادة باستخدام الترغيب والترهيب . فبعد تمام صلاة الجمعة
اسى أعلن في خطبتها للقبه بالمهدي خليفة الله ، بجامع القيروان . في نفس
يوم ٢١ ربيع ، جلس الشريف (العلوي) رئيس الدعاة ومعه أعوانه ،
وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، حسب روايه ابن الاثير ، ودعوههم إلى
مذهبهم ، فمن أجاب (ضمه) اليه ومن أبي حبس (١٤٤) .

مذهب جعفر بن محمد :

ومن أجل مرض المذهب ، أصدر القاضي محمد بن عمر المروزي ، الأمر
إلى الفقهاء بالألا يقتل أحدهم الا بالمذهب الرسمي للدولة ، الذي سماه .
مذهب جعفر بن محمد (ابن عداري ، ج ١ ص ١٥٩) . والمقصود منا .
هو جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ، وليس جعفرا الصادق . والظاهر أن
الهدف من ذلك هو اجتذاب الشيعة الاثنى عشرية إلى صفوف الاسماعيلية.
الفاطمية بمعنى توحيد الحركة الشيعية تحت رعاية المهدي ، اعتمادا على اتفاق
المذهبيين في بعض الفروع ، مثل : « سقوط الحنث عن طلق البتة » ،
واحاطة البنات بالميراث » - وهذان الأمران من أهم ما يميز المذهب الشيعي
عن المذهب السني (١٤٥) ، وكذلك سقوط الرجم عن الزاني ، والمسح على

(١٤٣) انتاج الدعوة ، ص ٢٩٣ ، وقارن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث اصافة ما يقرره ابن حنبل
(حماد) ص ١٦ ، ص : قول المؤذن : حياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين .
وقارن ، ط الجزائر ١٩٨٤ ، ص ٢٧ - حيث النص « أحيالك » بدلا من « حياك » ، ويسمى
في ٣ أسطر . « وجسج شمل الاسلام والمسلمين » وأعز سلطتك جاسب الموحدين ،
وأباد سيوفك كافة الملحدين ، وصل على عليك وعلى آباءك الطاهرين ... الخ .

(١٤٤) ابن الاثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على أنه لم يدخل في المذهب رغم ذلك
الا قبل من الناس رغم ما تشير اليه الرواية بعد ذلك من التشديد الذي بلغ حد « قتل كثير
من لم يوافقهم قولهم » .

(١٤٥) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٥٩ ، وانظر الاستصار ، ص ٢٠٥ - حيث نفس سقوط
الحنث عن طلق البتة لتحليل المطلقة ثلاثا (دون حاجة إلى « المحلل » ، وهو ما يختلف عنه

الحقنين ، وإيمان الخرج الى جانب تقرير « الصوم بالعلامة والفطر بها » (أى بالحساب) (١٤٦) . وهذا ، كما أصر المهدي على نشر المذهب وراء قوائمه الفاتحة ، كما حدث في مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، عندما دخلت الاسكندرية اذ صدرت الأوامر بتعديل أذان الفجر بحيث يشمل عبارة « حتى على خير العمل » كما عين قاضيا من لدنه ، بمعنى اقرار العمل بالمذهب الفاطمي هناك (١٤٧) .

غلاة المذهب :

وهنا نلاحظ ان المصادر السنية تنمادى في المبالغة ، عندما تنسب الى الشيعة العاطمية ممارسات مما ينسب عادة الى المتطرفين من الاسماعيلية كالقرامطة . فاين عذارى ينص على أن عبید الله المهدي أظهر التشيع القبيح ، وسب أصحاب النبي وأزواجه ، باستثناء علي بن أبي طالب وبعض رفاقه (١٤٨) . وهكذا تشير بعض النصوص أيضا الى ان المهدي كان يستمع الى مديح الشعراء بالكفر ، من تشبيهه بالأنبياء ، بل وبالله كذلك ، وأنه كان يستجيز ذلك (١٤٩) .

اهل السنة عن اعتبار سبع الطلاق ثلاثا ، الواحد ، كطرفة واحدة) . أما عن ميراث البهائم فيشرحه الاستبصار بقوله : « ثوريت البنت اذا امردت بجميع المال كله » ، مع ان الله يقول : « وان كانت واحدة فلها النصف » .

(١٤٦) الاستبصار ، ص ٢٠٥ - حيث النص على ان اظهار المذهب وتسميته سبب أهل البيت حدث على عهد القائم بعد وفاة المهدي - وقادر محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة «أمرية ابن قيام الدولة العاطمية ، المحلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث امساة « القوت في صلاة الجمعة قبل الركوع » مما يصيحه ابن حماد (حماد) ص ١٦ ، الى ما سبق ذكره .

(١٤٧) انظر عيون الأخبار للقاضي أدریس ، ص ٣٣ .

(١٤٨) البیان ج ٩ ص ١٥٩ ، حيث يقول : انهم ارتدوا عن الاسلام ، جاشي على ، والمهادن الأسود وعمار بن ياسر ، وسليمان الفارسي ، وأبي در العفاري . (١٤٩) ابن عساري ، ج ١ ص ١٦٠ - حيث يستحسن شعر محمد بن ليدل كاتب ابن قصاعة ، الذي يقول فيه :

حل	بها	آدم	ونوح
حل	بها	الكش	والذبح
حل	بها	شيء	سواء
حل	بها	كل	شيء

هذا ولو أن البعض تنسبه الى محمد بن حاتم الأندلسي فكانه قيل في المنز وأن لم بعده ابن الأقرم في ديوانه ، كما يقول - ابن الأثير ج ٨ ص ٦٣١ . وانظر فيما بعده ص ٢٨٤ ، وقارن فيما سبق ، ص ١٠٠ .

والذي نراه هو أنه كان هناك عدد من الشيعة المتعصبين للامام مرس يذهبون في تبجيله الى حد التفديس . والمثل لذلك ابن سيرين الحنفي (الجديدي في المذهب) الذي سار حافيا مع الداعي من القيروان الى سجلماسة محتسبا للشواب في طلب الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) . وان المهدي وهو في سبيله الى تركيز السلطة بين يديه ، والتخلص من الداعي وأنصاره كان يسمح ان لم يكن يشجع ، مثل هذا الاعتقاد في عصمة الامام ، الأمر الذي أدى الى انزلاق البعض في الطرف والعدو الذي يظهر كنوع من التآليه ، مثل اتخاذ مقر الامام قبلة ، كما فعل أحمد السلوي تاجر العبيد (الحاسن بالرقيق) الذي كان ينحله في صلاته وهو بالقيروان جنوبا وهو رقادة ، ثم انه اتجه شمالا في صلاته ، عندما انتقل الامام الى المهديّة . وفي تبرير ذلك يسبب الى الرجل أنه كان يقول : أنا لا اعبد ما لا يرى (١٥٠) .

وفي سبيل توطيد سلطة الامام ، ناكيدا لمبدأ الولاية والطاعة الواجبة له ، وخاصة بالنسبة للكناميين الذين ساءهم تدليل زعيمهم الداعي في حضرة الامام بسجلماسه (انظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٧) . فقد كان عليهم قبول الطاعة المطلقة الى حد أن يكون قسمهم الذي يجلدون به ، عند قدومهم الى أفريقية ، هو : « وحى عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة » بمعنى أنهم ، اني حاسب الولاية ، يعمرون للامام بعلم الحدثن وهو التاريخ المستقبلي للامامة (١٥١) الأمر الذي جعل بعض شباب القيروان يرد على ذلك بكتابة بطاقة يقول فيها :

الجور قد رخصينا	لا السكفر والحماقة
يا مهدي الغيوس	من كاتب البطاقة (١٥٢)

(١٥٠) انظر فيما سبق ، ص ١٠٠ و ٩٥ (عن المهديّة) - حيث يقول بها الشعراء كما يقال في الحرم المكي هي المهديّة الحرم الموقى كما سهامة البلد الحرم - ابن عدي ج ١ ص ١٨٤ .

(١٥١) ابن عدي ج ١ ص ١٦٠ (عن القسم) وقارن المجالس والمسايرات للشمسان ، ص ٥٤٢ حيث ينسأ المهدي لمصنوع وهو حن في بعض أمه ، بكشف غشة ابن يزيد ، عبون الأحبار للداعي اوديس ، ص ٨ - حيث رواية العمل التي يقول فيها ، انه « انهض المهدي الى مصر كرني ، دعم علمه ايها لا يعج » ، انظر فيما سبق ص ٢٨ ، ٩٢ (عن علم الحدثن) .

(١٥٢) ابن عدي ، ج ١ ص ١٦٠ - حيث الاشارة الى أن ذلك اشتد على المهدي الذي حاول الكسب من كاتب ذلك ، فلم يقع له على حد .

مسئولية الدعاة :

والحقيقة ان مسئولية كثير من مثل تلك الممارسات التي انحرفت بالمذهب الاسماعيلي بعيدا عن الأصول السنية المتعارف عليها ، سواء على المستوى الرسمي ، مما يتعلق بالقرارات والنظم والقوانين أو على المستوى الشعبي ، مما يتعلق بالعادات وأداء الشعائر والاحتفالات لا تقع على عاتق الأئمة وحدهم ، اد ربما شاركهم بعض الدعاة أو انفراد به بعض المتطرفين منهم أو من رجال الدولة الذين تحمسوا للمذهب أكثر من أصحابه ، فكأنوا ملكيين أكثر من الملك كما يقال . وهنا لا بأس من الإشارة الى أن كثيرا مما طبق من تعاليم المذهب ألفت تبعته على كاهل من أشرف على تنفيذه . والمثل لذلك القاضي المروزي الذي واجه اجتماع فقهاء المالكية عندما أمر بإسقاط صلاة التراويح ، علما بأن الداعي هو الذي أسقطها منذ هلال أول رمضان ، في بلاد كنامة (ابن عذاري ج ١ ص ١٧٠ - ط بيروت) ، وإن تراوحت ردود الفعل بين الناس فالتمسكون أعربوا عن احتجاجهم بأن كتبوا في حائط قبلة الجامع حيث جلوس المروزي : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها » (الآية ١٠٨ سورة ٢) ، والظرفاء (الخلفاء) سألوا القاضي أن يحتال لهم في الصوم كما خفف عنهم في الصلاة (١٥٣) . والغريب في الأمر ان النصوص التي تشير الى ممارسات شعبية عربية اخترقت الآداب الإسلامية فيما يتعلق بالصلاة والصوم ، وفي شهر رمضان على وجه الخصوص - أي مع سبق الإصرار ، كما يقال - وأحيانا في كثير من المناطق دفعة واحدة ، فكان في الأمر نوع من تنسيق من قبل جهات عليا - من أعوان الدولة أو من خصومها - لتنظيم تلك التظاهرات المذهبية الذي أساء بها الغلاة الى الدولة من غير شك - بقصد أو بغير قصد .

اختراق الآداب الإسلامية :

ففي شهر رمضان من سنة ٣٠٩هـ / يناير ٩٢٢م ، وهي السنة التالية لانتقال عبد الله الى المهديّة قامت جماعات من المتطرفين من الشيعة ، في كل من مدن القيروان ، وباجة ، وتونس ، و « جاهروا بتحليل المحرم »

(١٥٣) ابن عذاري ج ١ ص ١٥٢ - حيث الإشارة الى أن المروزي سأل اذا كانوا راوا من كتبها رأسهم بدموع - واحتقن من الجلوس بذلك الموضع - وأنه أمر بدفع المحقق الخلع ،
انظر « إمامنا المرحوم » .

وأكلوا الخنزير ، وشربوا الخمر في رمضان جهاراً ، الأمر الذي كاس به صدام سينه ، انتشرت بسرعة داخل البلاد وخارجها حتى وصلت إلى مصر (١٥٤) . ولم يسكت المهدي على هذا العمل العنفي غير المسئول ، إذ صدرت أوامره إلى عماله في تلك الأقاليم بالقبض على مدبري تلك الفتن الذين بلغ عددهم حوالي ٢٠٠ (مائتي) رجل ، وإرسالهم إليه بالمهديه مقبدين ، وهناك ألقوا في السجن حيث مات أكثرهم (١٥٥) . ولما كان بعض رعاء هؤلاء الغلاة من المعروفين في البلاد ، مثل : أحمد اليلوي النخاس ، الذي كان يتوجه في صلاته إلى حيث يقيم المهدي ، اعتقاداً في الوحيته ، ويرى أنه يعلم السر والنجوى ، وكذلك إبراهيم بن غاري ، الذي كان أيام الأغلبية ، من الزهاد المرابطين في قصر الطوب يسوسة حتى أنه رشح لصلاة الجماعة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٦) - الأمر الذي يذكر أيضاً بالفقيه الحنفي « ابن سيرين » الذي مقى راجلاً مع الداعي من القيروان إلى سجلماسة ، احتساباً (انظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) - نرى أنه لا بأس أن تكون حركة الغلاة هذه قد نشأت « ملائمة » مرتبطة بالزهد والتصوف المتطرف ، من اعتقد أصحابه في نظريات الفيض والحب الإلهي ووحدة الوجود ، فارتفعوا فوق مستوى عالم الحس ، لا يفرقون بين الراحة والألم أو بين الحزن والفرح ، وبذلك انكشف عنهم الحجب ، وارتفعت عنهم التكاليف (١٥٦) . هذا ، ولا بأس أيضاً أن تكون تلك الحركة ذات أصول شعبية قرمطية متأثرة بالديانات الشيعية الشرقية كالزردكية ، مما أدى إلى إطلاق الخصوم على الاسماعيلية اسم (المزدكية) في المشرق (الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢) واسم (المشارقة) في المغرب (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) .

غلاة الدعاة :

أما على المستوى الرسمي فيمكن أن تكون مثل هذه الانحرافات الغالية نتيجة لأعمال غير مسئولة من قبل بعض المتحمسين من الدعاة ، كما حدث في نفس سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، في منطقة جبل ونشريس ، عبر بعيد من

(١٥٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ - « حتى عير به أبو القاسم (وقى العهد) أيام كونه بالخيم » ، في حملته الثانية على مصر .
(١٥٥) ابن عذاري ج ١ ص ١٨٦ ، وقارن القاضي العمان ، المحتاج الدعوة ص ٣٢٨ - حيث الإشارة إلى قوم مرقوا عن الدين ، واستحلوا المحارم ، بمقابهم المهدي على قدر ذنوبهم -
(١٥٦) قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨ - عن الديصانية أهل الباطن ، وعدم وجوب الغرائس وأغلة الأمهات .

تاهرت عاصمة المغرب الأوسط وقتئذ ، وهي متطقة الداعي منيب بن سليمان .
المكناسي ، الذي ينسب اليه رواية ابن عذارى ، أنه : « أظهر التشريق
(التشيع الفاطمي) بجانب تاهرت (نيهرت) وتحليل المحرمات » .
والحقيقة أنه إذا كانت الرواية هذه تصف التشيع الفاطمي بـ « التشريق
(نسبة الى المشرق) وتعني أنه نوع من الزندقة التي تحلل المحرمات ،
وخاصة ما يتعلق منها بالنسائل في العلاقات الجنسية ، مما يصل الى مستوى
شيعوية النساء ، فالحقيقة ان الرواية ليست قاطعة في نسبة ذلك الى
المهدي (١٥٧) . وبناء على ذلك فمن الممكن أن يكون ما جاء ذكره من تحليل
المحرمات نوعا مما ينسبه بعض الكتاب ، من تساهل بعض أقاليم المغرب
الجليلة المنعزلة في أمور العلاقات الجنسية ، مما يمكن أن يكون من ذكريات
الماضي البعيد ، ان لم يكن من التشنيعات التي يصطنعها (الخصوم فيما
بينهم ، من عرب وبربر ، أو سنة وشيعة - وخاصة فيما يتعلق بالقرامطة
من الشيعة (١٥٨) .

وهذا لا يمنع من انزلاق بعض الدعاة نحو الغلو والتطرف ، الأمر
الذي كان يعالجه الامام تبعا لمقتضى الظروف والأحوال ، كما حدث سنة ٣١٥هـ
٩٢٧م عندما وصل أبو القاسم ولي العهد ، الى المغرب وقبض على الداعي
معل بن محمد الملوسي ، وبعثه مقيدا الى المهديّة حيث ضرب عنقه ، في موضع
الرملة هناك ، بأمر المهدي (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - ط ، بيروت ،
ص ٢٧٨) .

وإذا كان ابن عذارى لم يوضح سبب ادانة الداعي معل الملوسي ، فإن
القاضي النعمان ، يخصص فقرات في المجالس والمسائرات لانحرافات بعض
الدعاة ، فيما يتعلق بإباحة المحارم . والذي يلفت النظر أنه عندما يتكلم
عن : « زيغ بعض الدعاة » يفسر « إباحة المحارم » تفسيراً غريباً يمكن أن
يتفق مع ما سبقت الإشارة اليه من أفكار الصوفية ، من أصحاب نظريات
الفيض والحب الإلهي ، وذلك على أساس أن تركّز المصايف يعتبر سوء ظن

(١٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ - حيث النص . وقيل ان عميد الله وجهه (اي منيب
لداعي) وغيره الى الأطراف ، وأمرهم بإظهار التشريق .
(١٥٨) انظر الاستنصار ص ١٩٢ (عن عاده الموارية في بعض مناقب اسرر) وابن الأثير ،
ج ٧ ص ٢٤٧ ، ٢٩٣ (سنة ٢٨٢ م) ، ج ٨ ص ٢٨ (عن بعض ما ينسب من شعايات الى
القرامطة) .

يا الله ، عز وجل ، أنه لا يغفر الذنوب (المجالس والمسائرات ، ص ١٠٥) -
وهو يسبح ذلك بأن المعز كان لا يجد أولياء ثقة بالرغم من اتساع ملكه -
وبأنه كان يبرأ من دعاء السوء ويصفهم « بأنهم ليسوا أولياء بل أعداء الله
وأعداؤنا ، والصادون عن الله » (اذ) حرفوا وبدلوا ٠٠٠ فصلوا
وأصلوا كثيرا ، وصلوا عن سواء السبيل (ص ٢٢٧) .

الكف عن طلب التشيع من العامة :

وهكذا فإن كان المهدي قد أصدر الأوامر للدعاة بالكف عن طلب
التشيع من العامة ، كما ينص المقيري (١٠) ، فانه يظهر أن ذلك الاجراء لم
يكن كافيا لتهدئة حواطر أئمة العامة ، حسب المصطلح الشيعي ، من فقهاء
المالكية ، الذين وقفوا معارضين لمذهب التشيع ، على عكس الحنفية أصحاب
الرخص (التيسير) حتى تشجع كثير منهم ، ودخلوا في خدمة الدولة ما بين
محتسب وطامع ، منذ أيام الداعي . فمن أول النماذج : الفقيه أحمد بن
سبرين الحنفي الذي مشى مخمسا مع الداعي الى سجلماسة ، وكانت
مكافأته ، فيما بعد ، ولاية مدينة برقة (١٦٠) . وخلف بن معمر بن منصور
الذي تشرق أول دخول الشيعة أفريقية ليحتل بذلك من مطالبة ابنه بمال
قد غمس يده فيه عند حرب آخر الأغالبة ، زيادة الله ، في رقادة (ابن
عسكاري ، ج ١ ص ١٧٣ ، ط بيروت ، ص ٢٤١) . وهكذا لم يسكن من
المشغوب أن يروح أوائل القتل من فقهاء المالكية ، مثل ابن البردوني وابن
هدبل ، ضحية وشاة الفقيه الحنفي الكلاعي (انظر ما سبق ، ص ١٢٥) .
فكان ذلك بداية لما يمكن أن يسمى بـ « عصر شهداء المالكية » في التاريخ
الفاطمي ، وإن كانت محنة المالكية قد بدأت على أيام الأغالبة ، في القيروان ،
منذ دخلها المذهب الحنفي ، مذهب بغداد الرسمي (ما سبق ، ج ٢ ص
١٠٨ وما بعدها) .

(١٥٩) انظر موسى لقال ، ص ٤٢٦ ، (عن اتمام الحنف) .
(١٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٣ ، وانظر لقال - دور كتامة ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ حيث
الذين اعتدوا المذهب لأغراض مادية ، ص ٤٢٤ وما بعدها ، حيث الذين اعتنقوا المذهب
برضاهم دون أغراض مادية ، وقارن محمود اسماعيل المالكية والشيعة بأفريقية ، المحنة
التاريخية المصرية ، المجلد ٣٣ - ١٩٧٩ ، ص ٨٣ - حيث المص على أنه يمكن القول انه
معاداة المالكية للمهدي ترجع الى سياسته الاقتصادية أكثر من دعوته المذهبية استنادا الى
إيقانوف ، وأنه ما دعم « هذا التفسير الاقتصادي » أن بعض من دخل في المذهب الفاطمي
من المالكية كان مدفوعا بالرغبة في الاعفاء من المعنوم المالية ، مما تشير اليه سيرة جعفر -
وانظر أيضا ص ٨٧ حيث الإشارة الى بعض من تشرق من فقهاء المالكية ، وكذلك الشاعرة
والأحناف .

الجدل بين السنة والشيعة :

واضح أنه أن الجدل انتهى قام بين الطائفتين ، من حيث أن المالكية مذهب حديث تقليدي ، والحنفية مذهب اجتهاد ورأى ابداعى استمر على أيام الفاطميين ، بعد أن دخل الشيعة فيه بمسائلهم المستجدة مما يتعلق بأداء المرائض ، من صلاة وصوم وركاة . وكان أبطال ذلك الجدل الأوائل ، هم : القاضي محمد بن عمر المروزي ، وأبو العباس المخطوم ، من رجال الدولة ، والفتية سعيد بن الحداد (سعيد بن محمد بن صبيح الغساني المشهور بابن الحداد - ت ٣٠٢ - ذو القعدة / ماية ٩١٥ م) الذي بدأ مالكية ، من أصحاب سحنون تم تحول الى الشافعية العقلانية ، غير التقليدية (١٦١) ، والذي اعتبرت وفاته سنة ٣٠٢ هـ / ١٤ - ٩١٥ م ، فجعية بالنسبة لأهل السنة (١٦٢) . وهنا لا بأس من الاشارة الى أنه اذا كان الفضل يرجع الى المالكية ، في الصمود أمام المذهب الفاطمي حتى رأى ابن تاجي أنه لولا ذلك لكفرت العامة (١٦٣) ، فإن فقهاء الحنفية ، رغم ما قيل عن تساهلهم أو استعلاء الدولة على المالكية (ما سبق ص ١٣٢) أو دخول بعضهم في المذهب الفاطمي ، فقد كان لآخرين منهم موقفهم المبدئي الرافض للمذهب الاسماعيلي - ولا بأس من أن يكون من أوائلهم ، أحمد بن يحيى بن طيب ، الفقيه الحنفي (على مذهب أهل العراق) ، والمشتغل بممارسة العلاج والمداواة (المتطبب) ، الذي قتل بمدينة رقادة سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م (ابن عداري ، ج ١ ص ١٦١) ، وإن لم تذكر الرواية سبب ذلك ، كما كان هناك مدافعون أشداء من الشافعية ، مثل ابن الحداد .

(١٦١) انظر رياض اليعوس للمالكي ، ج ٢ ص ٦٤ - حيث النص على أنه « صار الى مذهب الشافعي من غير تقليد ، بل كان كثيراً ما يخالفه » ولا يمتنع مسألة الرد بغير وحجة ، وكان يقول « اما أدخل كثيراً من الناس الى التقليد بقص العقول ودناءة اليهم ، وانظر ص ٦٩ - حيث النص على أنه كان ممحلاً بقول الشافعي : « لو ان الناس تكلموا في العلم بصحة العقل لفسد اختلافهم فيه ... » فرب حامل فقه في هو أوفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقه » ، كما في الحديث النبوي .

(١٦٢) انظر موسى لعمال ، دور كثامة ص ٤١٣ وما بعدها .

(١٦٣) انظر موسى لعمال ، ٤٢٣ ، وما ٢٣٥ - حيث الرجوع الى معالم الايمان ، والنص على قول أبي نايف « حذى الله متبعة القروان حيرة ، هذا يوم ومهنا يضرب .. » وهم سادرون لا يبرون ولو قروا لكفرت العامة دفعة واحدة .

تساهل الداعي ومرونته :

ومن الواضح أن الجدل الديني هذا انصف بالتساهل والمرونة على عهد الداعي ، أبدي كان شعاره : « ان دولتنا دوله حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستطالة » (١٦٤) ، والذي كان يقوم بنهضة أطراف المناظرة ، عندما يجتهد الجدل ، وتوعيتهم بأداب الحوار ، مثلما فعل مع ابن الحداد ، صاحب الصوت والجمهور واللسان العصيغ والمنطق الفخيم والمحاسن الصائبة (رياض النفوس للمالكي ، ج ٢ ص ٦٣) ، وهارون بن يونس (شيخ المشايخ الكنتامي) صاحب المزاج الحاد والانفعال السريع ، والذي ياجأ الى الاقناع بالرمح بدلا من الحجج . والحقيقة أيضا أن تعاضيل المناظرات وطولها ، يدل على أن أبا العباس ، أخا الداعي رغم ما قيل من انصافه بالعجلة وكثرة الكلام وضعف العقل كان يملك القدرة على ضبط النفس واحترام آداب الجدل والمناقشة . ولا شك أن كل ذلك كان مما يعارض مع مبدأ الولاية والطاعة للإمام « المهدي » ، ويشير خاطره ، رغم ما كان يظهره من الحرص على مجادلة الخصوم ، بل وتهذبة خاطرهم ، كما فعل مع ابن الحداد (١٦٥) . وهكذا كان من الطبيعي أن تتغير سياسته اللين هذه ، بعد وفاة الداعي وأخيه ، حيث كان فرض مذهب آل البيت دون ما سواه ، ايذانا ببداية « الأزمة الصاطمية » وعهد « شهداء المالكية » كما يظهر في كتب التاريخ وتراجم أهل السنة ، من علماء القديرون وزهادهم ، ممن كانوا يسوون بين علي وبقيّة الراشدين ويفضّلون البعض عليه (١٦٦) ، أو يسقطون « حيين على خير العمل » من الأذان (١٦٧) ، أو يرفضون الدخول في المذهب (١٦٨) ، أو ممن ظلوا يفتنون

-
- (١٦٤) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ط ٤ ص ٥١ - ٥٢ .
 (١٦٥) رياض النفوس للمالكي ، ص ٥٩ ، ٦٠ - حيث عرض ابن الحداد آراءه المخالفة من تفسير الولاية (الطاعة) للإمام حسنة حامت في حديث عدير خم على أساس أنها ولاية في الدين فقط ، فقد قال له المهدي : « انصرف لا يتالك أحمد » ، وإن كان أمير جعفر السفادى ، الكاتب والمقرّب من الإمام ، تصححه بكتمان ذلك المجلس .
 (١٦٦) مثل ابن البرقون ، واس هديل ، ابن عذارى ج ١ ، ص ٢٤١ ط بيروت أو حسن بن مفرح العبيد أو محمد الشندوبى الراشد (ص ٢٦٢) .
 (١٦٧) مثل عبّوس المؤذن ، ابن عذارى ص ١ بيروت ج ١ ص ٢٦٥ .
 (١٦٨) مثل محمد بن حصص الفهم ت ٣٠٣ ص ١ ، ابن عذارى ص ١ بيروت ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ . حيث النص على أنه كان يتقاصى رأتيا شعريا مقدّره ١٠ دأبه ، وإن المروى أحضره وقال له : لا يؤم بنا الا رلى من أولياء أمير المؤمنين . فادخل الى بعض الدعاة بأخذ عندك الشيعة . وتبقى في خطبك . وطلب الرجل أمهاله ليتأمل في الأمر . فلما احتدو في الدعاء ، عزى

يقول مالك (١٦٩) ، والدين تراوحت عقوباتهم ما بين العزل أو الضرب والتبليس والتعذيب أو القتل والتشهير (١٧٠) .

والهم انه على عكس ما قد يظن من ان العصر كان عهد تسلص واستبداد وفهر ، ولا يتسبب الفسادم العلمى والازدهار الأدبى ، والتفتح الفكرى مما يسبب مع حكم الامام المعصوم ، بمعنى الحكم الدينى ، الالهى ، الذى لا يخطئ ، فقد كان الأمر على العكس من ذلك ، مما نحاول بانه فيما يترتب على الحياة الدينية من أوجه النشاط الفكرى والثقافى .

الحياة الفكرية والثقافية :

المذهب الفاطمى موضوع لأدب خصب :

لما كانت نظريه حكمومه المهدي انعصوم نعى : الحكم الدينى (التيوفراطى) لشامس ، الذى يصفى على الحياة الثقافية طابع المذهب العاطفى ، فالحقيقة ان هذه الرؤية وان كانت مقبولة ، فهى ليست صحيحة على اطلاقها ، بفضل مرونة المذهب والليونة فى تطبيق تعاليمه ، مما سمح له بالالتقاء مع مذاهب أهل الرأى من الحنيفة والمعتزلة الذين تقبلوه بسهولة ، دون المسالك المتسكين بالسنن والمقاليذ المدنية . وهكذا يعتبر المذهب الشيعى بعامة ، مذهب رحمة وتساهل ، الأمر الذى يظهر فى بعض أمور الأحوال الشخصية من الزواج والميراث (ما سبق ، ص ١٧) أو مما أدى اليه الرأى من التمسك بالاحتشاد فى استنباط الأحكام ، وهو ما استمر عندهم بينما توقف عنه أهل السنة منذ القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ،

عن الصلاة - ورغم ما يتوهم من عدائى من ان المروى أراد من ابن سمر أن يشرى بهم ويسجل فى الكفر ، فمن الواضح أن الأمر لم يكن يتطلب أكثر من القسم بالطاعة .

(١٦٩) مثل محمد بن العباس الهذلى ، ابن عدارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(١٧٠) انظر موسى لصال ، دور اكنانة ، ص ٤١٨ وما يسببها - حيث قائمة حصة بالمستحسن ، وقادر محمود اسماعيل المالكى والصفة فى أمرينية ، المجلد المصرية ، ٢٣ ، ص ٨٨ وما بعدها حيث اصابة مخالفات أخرى ، من التمسك بما نهى عنه من شروط فى كتب الصدوق (ص ٨٨ ، عن الحسنى) أو عقوبات مسكرة ، ص ٨٩) مثل القتل دون اذقة دماء القتل ، كما حدث ل محمد بن حبرون الذى أمر عبد الله بن موسى حتى يموت « فطلع السودان عوى السرير ، فقفزوا عليه بأرجلهم » حتى مات (وانظر رياض النفوس ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، ٥٤ وما سبق ، ص ١١٩) ، وهى العادة المعروفة عند الترك - وانظر لمؤلف الترك والاسلام ، مجلة عالم الفكر - الكويت ١٩٧٩ ، المجلد ١٠ العدد ٢ ، ص ٤٤٩ .

فكانت له تأثيراته المميزة في مجالات الحضارة الفاطمية المختلفة . من التعميم
والرسوم ، الى العمارة والفنون ، وخاصة العلوم والآداب .

فالمذهب الاسماعيلي الفاطمي كان موضوعا لأدب خصص أثرى الفكر
الاسلامي على وجه العموم ، حيث دارت حول الموضوعات الخلافية فيه ، و
يتعلق بأصوله في الإمامة وشرعية نظام الحكم في الاسلام ، ومما يتعلق
بفروعه في الأذان والزواج وتوريث المرأة والميراث ، مناظرات عامة
ومناقشات عميقة ، استخدمت فيها كل وسائل الإقناع من : بياضة ، عقلية
منطقية ، مما سبق الإشارة إليه (ص ١٣٣) .

وفقد كان موضوع الإمام المهدي المعصوم ، وريث النبوة وصاحب
القُداسة بفضل القمص والحلول الإلهي ، من الموضوعات التي أثارت خيال
الشعراء الذين شبهوه بالأنبياء وبالغوا في ذلك الى حد التأليه (ما سبق ،
ص ١٢٧-١٢٨) أو الذين شبهوا المهدي ، حضرته ومقره ، بالبيت الحرام في
مكة (ما سبق ص ١٠٠ وهـ ٩٥) الأمر الذي يمثل بأكورة ضرب من الأدب
والشعر الفاطمي الجديد ، الذي تضح في المشرب على يدي شاعر الخليفة المعز
محمد بن هاني الأندلسي ، والذي كان له تأثيره في الأدب الديواني في
البلاط العباسي حيث ظهرت المصطلحات العالية في الكتب والرسائل
الإنشائية ، مما يتعلق بالقب الخليفة وصفات إمامة المؤمنين ، بما يشبه
نعوت العصمة والهداية والشرف ، مما ظهر نماذجها أيضا عند الملوك
المتغلبين ، بل وعند عمال الدولة أيضا (١٧١) . والمهم في هذا الأدب العالي

(١٧١) انظر ادم متز ، الحضارة الاسلامية ، الفصل التاسع ، رسوم الخلافة ، ج ١ ص
٢٥٥ وما بعدها حيث أصبح شعار الخلافة اللويز الأسود (العباسي) والأبيض (الفاطمي)
في مصر (ص ٢٥٦) ، كما أصبح سيف الرسول ذو الفقار من شعيرات الخلافة العباسية
(وحرر محمد الفاطمي سيف الامام علي ذو الشعرين) - ص ٢٥٥ وانظر أيضا سبق ، ص
٢٢ - حيث قتل أبي يزيد البرناتني بذي الفقار ، وفيما بعد ص ١٨٥ وهـ ٦٨ حيث يحسن
المصور ذو الفقار في قتال الناصر .

هذا كما حملت على رأس استبداد العباسي شمس الخلافة (كما المظنة عند المعاصرين في
مصر - ص ٢٥٧) أما أول من أخرج في ذكر الخليفة وسعد بالحضرة المقدسة الضوية ، اجترعها
حجته قربة ، فصار سنة ، ومضى في ذلك حتى خرق العرب والعادة « معز كاس الخليفة القادر »
(٣٨١ - ٤٢٣ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م) ، (ص ٢٥٩) وأنهى الأمر بأن احمد أملاك المسلمين
باللقاب التقليدية أيضا كما فعل امرء بني بويه لشعبة الدين بخدوا لقب شاهنشاه وملوك
الملوك ، الأمر الذي أثار القاضي المساردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) صاحب الأحكام السليطة

انه كان محصورا في دوائر المذهب الخاصة ، بصفته معرفة من طبقة علم الحقيقة الذي لا تدركه العامة الذين يعرضون لفسوس فهمه والانحراف عن مقاصده ، الأمر الذي دعا المهدي الى الطلب من الدعاة ، عدم نشر المذهب بينهم (ما سبق ، ص ١٣٢) .

بقاء العامة سنية بفضل علماء المالكية :

وهنا لنا أن نتساءل ، بصدد بقاء جمهور العامة في أئريقية سنية بفضل علمائه المالكية خاصة ، عما اذا كان شحاح هؤلاء العلماء العلمي والثقافي تصح نسبته الى ذلك العصر الفاطمي الذي وقفوا منه موقف الرفض والمعارضة ؟ والحقيقة انه اذا كان نتاج علماء أهل السنة في تلك الفترة المبكرة من عهد الدولة الفاطمية ، هو ثمرة عرس ترعرع في ظلال العصر الأغلب السني ، فمن الصحيح أيضا انه في موضوع التاريخ تصح نسبة الأحداث الى أزمانها ، تماما كما تنسب الى مواضعها ، بصرف النظر عن طبيعتها التي لا تمتع من تصنيفها موضوعيا حسب المضمون . وهكذا يمكن تقسيم النشاط الثقافي في ذلك العصر ، كما في كل عصر ، الى نتاج رسمي ينمو ويزدهر تحت مظلة السلطة ، وهسو الذي ينسب الى العصر حقا ، بصفته نتاجا شرعيا مقبولا من الدولة ، وان لم يحفظ برعايتها ، فهو ملتزم أو موحد ، كما يقال الآن ، ومجاله الجهر والعلن ، والى نتاج شعبي ينمو ويزدهر في أوساط العمامة بعيدا عن السلطة ، وربما في كتف المعارضة أيضا ، فهو ما بين حر تلقائي ، ومعارض مجاله الخفاء والستر . فمن أهل البسلاد المغاربة الذين عرفوا بعلمهم وأدبهم ، يذكر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن اسماعيل ، الزناتي ، التاهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - ع ٩٦ سنة) الذي كان عالما بالحديث وطبقات الرجال . كما كان شاعرا مقلتا (١٧٢) .

عن أساس انه من أسماء الله ، ولو أن الماوردي عساه حمل كسب أقصى الفضا الأمر الذي أثار حقد فقهاء بغداد وقتئذ (انظر للمؤلف ، الماوردي بين التاريخ والسياسة ، سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية ، لعام ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، طبع جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣ - استنادا الى ابن خلكان وياقوت في معجم الأدياء ، ابن سلوم ، ط بولاق ، ج ٣ ص ٤٤٩ ، والسكي ، ج ٣ ص ٣٠٥) .

(١٧٢) ابن عداري ، ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ - حيث الاشارة الى انه كانت له رحلة (سنة ٢٩٧ هـ / ٨٠٣ م) سمع فيها من الفقهاء وحلة العلماء كما مدح الخليفة المعتصم ، الأمر الذي أدخله في سراعات مع شعراء العراق وقتئذ ، مثل دهن - انظر ص ٢٨٢ - ٢٨٣

وعن نتائج انوافدين (من أصل السنة) الذين عاصروا الأعابسة وخسومهم ، نذكر : عمال أبي اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي (ب ١٦ جمادى الأولى سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ يناير ٩١١ م) القى عمل كاتباً (وريثاً) للأغالبية ثم دخن في خدمة الداعي وسار معه إلى سحلماسة ، وظل بعده في خدمة عبيد الله المهدي كاتبا ، وإن كنا لا نعرف صراحة إن كان قد دخل في المذهب أم لا ، وهو الأمر غير المهم - على كل حال - فالرجل الذي عرف بـ « الرياضي » لم يكن من رجال الدين أو الدعاة ، بل عرف بأنه كان ظريفاً أدبياً ، رسالاً ، شاعراً ، حسن التأليف ، ورعهم اتجاهاته الأدبية ، بصفته كاتباً وقد كان من بين تاليفه ما هو في علوم الدين ، مثل : سند في الحديث ، وكتاب في القرآن سماه (شرح الهدى) إلى جانب كتب في الأدب منها « لقيط المرحان » ، ورسالة « الوحيدة اؤسسة » و « قلب الأدب » ، وغيرها (١٧٣) . أما عن ابن جعفر البغدادي الذي خلف أبا اليسر في الكتابة للمهدي والذي صار أول رجال البلاط المحدثين ، فقد كان محباً للأدب ، يجالس أهله وخاصة من الأندلسيين القاصدين إلى الحج (١٧٤) .

وعن ذلك يقال عن الفقيه أحمد بن نصر بن زياد المالكي ، صاحب المذهب (ت ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) الذي سمع من محمد بن سحنون ، والذي كان عالماً بالمنظرة ، فقد كان يردد على مجلسه بالفيروان الأندلسيون وهم في طريقهم إلى الحج (١٧٥) .

حدث انتشاره في الحياة السياسية واشادته بانتصارات موسى بن أبي العافية على الحسن ابن أبي العباس وحلفائه من البربر ، من : زواغة ونقرة وميعة وحراوة ، ومن شعره في ذلك :
 غنى ميعة بالسبب مهلة وسقى حراوة من نقيع الخنظل
 وانظر العيون والمذاق ، ج ٤ قسم ١ ص ٢٢٢ - حيث المر على انه ولد في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م بناصر ، وأنه هاجر إلى المشرق كتنقة في الحديث وكشاعر حد ، وفارن رياضي أنفوس للمالكي - حيث الإشارة إلى حروجه هرباً من ابراهيم بن أحمد نحو قاهرته بلسه ، ثم مراقى في ولده عبد الرحمن الذي قتل في الطريق .
 (١٧٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ - حيث يذكر في طريقه ، ما فعداه عبد الله الأندلسي محمد بن عبد الرحمن ، من أنه رسول أهل الشام إليه ، واحسان الأمير اليه رغم معرفته ريف ذلك الإغواء .
 (١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٣ - حيث الإشارة إلى من كان يخالطهم من الأندلسيين في المغرب ، ممن كان يجالسهم في الأندلس عندما دخلها أيام الأمر عبد الله -
 (١٧٥) ابن عذاري - ط : بيروت ج ١ ص ٢٧٥ - حيث الإشارة إلى دخول محمد بن

ومن أهل أفريقية يذكر أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن جندب ، المعروف بـ « موسى القطان » (ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) ، وهو ممن أخذ عنه محمد بن سحون (ت في نفس السنة) ، وله تأليف في أحكام القرآن في ١٢ (اثنى عشر) مجلدا (جزء) (١٧٦) .

ومن أهل التمرين والعلاج الذين استخدمهم عبيد الله المهدي . زياد ابن خنيس ، المتطبيب ، مولى بني الأعلب (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، الذي كان عالما بالطب ، حسن الذهن فيه . ومن المهم هنا هو أنه رغم حاجة المهدي الى الرحل وتقريبه له ، فإن تلك الصلة الوثيقة بالمهدي لم تكن لتضمن له الأمن والسلامة من عدوان القائلين أبي سعيد الصيف في القسريون من رقادة (١٧٧) . وفي الحساب اشتهر إبراهيم بن يونس ، مولى موسى بن نصير ، وهو المعروف « بابن الحساب » ، و « بحارث حسية » (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، وكانت له ولاية الحكم والقضاء بالقيروان ورقادة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٥) .

وفي الوثائق أو الشروط كان لأحمد بن زياد الفارسي (ت ٣١٩ هـ / ٩٣٢ م بالقيروان) صاحب الوثائق الذي حسم على أيام الأغلبة كتابات للقاضي عيسى بن مسكين . كتب معروفة في هذا الفن ، وكذلك في مواقيت الصلاة . أما عن صاحب الوثائق وقتئذ بطرابلس ، وهو عبد الله بن سلمان ، الذي كان في هذا الفن من معاوني أبي جعفر البغدادي ، فقد كان منتصفا الى عشق الفرد من الأحداث (الفتيان) مما أثار بعض كبار رجال الدولة (خليل الشيعي - ابن اسحق) فرفع الأمر الى المهدي ، « خشية من

عبد الله بن مسرة القرطبي اليه حين توجه الى الحج ، وعدد الشيخ جماعة من المساطرين في المسائل ، الأمر الذي يعنى أن المجلس مشهورا ، وأنه كان مباحا للواديين من أهل العلم . وإذا كان ابن عذاري يتكلم عقب ذلك عن أحداث من العصر الأغلب ، فالرأي أن يكون مدح المساطرة هذا من العصر العاطلي الذي كان له من العصر عشرين عاما وأكثر من قبل التركة الأغلبية .

(١٧٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة الى أنه ولي قضاء طرابلس أيام الأغلبة ، وأن الأمير إبراهيم بن أحمد سجل عليه فاقصاء عن القضاء وسجده . واطل رياضي النفوس ، ج ٢ ص ٦٣٢ حيث يشهد بحق ابن الحداد في المساطرات .

(١٧٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث النص على أن المهدي كان يحذر طبعه من دخول القيروان عندما يكون أبو سعيد الصيف هناك - وعندما تهاون زياد ذات يوم في الالتزام بتلك الصيغة ، تخلص منه الصيف بمعرفة حواسسه .

شتر هذه الدولة الزاهرة وادخال العيب فيها ، كما كان اخل على أيام
الأغالبة ، حيث يذكر ابن سلمان هذا لقبيح المسول ، في رجز لابن عامر
الغزاري ، منه :

نار ابن سلمان على الغزلان شبيه بدر فوق غصن بار
ما ان له في حسنه من ثاب كانما صميم من اعقيان

(ابن عداري ، ج ١ ، ط بيروت ص ٢٩٠ - ٢٩١) .

ندوة علماء الشيعة :

ومن اسنعرص وفيات العلماء ورجال الدولة ، من اصحاب التواليف
والنشاط الثقافي لا نجد دلرا الا لتقليل من ينص على أنهم من الشيعة ،
خالوقب كان ما وال بعيدا عن المعر ، حيث ظهر القاضي النعمان بن محمد بن
حيون ، بمؤلفاته العنية في المذهب من ظاهره الى باطنه ، وهي تاريخ
الدعوة ، من افتتاحها الى سير ائمتها .

وهنا لا بأس من الاشارة الى انه كان من اهل السنة من يذهب بمذهب
الشيعة ، بمعنى أن التشيع هو حب العلويين من آل البيت الفاطميين ،
وعلى رأسهم الامام علي . والمثل لذلك هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد
الرناتي ، الناهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) الذي رتب الامام عيسا وهجا
قاتله ، بقصيدة يمارض فيها عمران بن حطان (١٧٨) .

ومن بعد الرعي الأول من فقهاء المذهب الفاطمي ودعائه ، مثل ،
القاضي محمد بن عمر المروزي الذي كانت له ميوله الشيعية قبل قيام
الدولة ، فكان من أوائل من دخلوا في دعوة أبي عبد الله الداعي ، ومثل
أبي العباس المخطوم ، ممن جادلوا الخصوم واستخدموا الاقتناع في نشر المذهب
والدفاع عنه الى جانب الارهاب ، لا يمر بما في وفيات العلماء والزهاد في

(١٧٨) انظر : العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ٦ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ حيث يسمي نفسه

القصيدة الى ابن الحارر ومنها :

قل لاسي منجم والاندلس عالية	حدثت ويحك للإسلام أركان
قلنت أفضل من سلس من قصه	وأول الناس إسلاما وإيمان
سهر السحر الذي أهدى المسك	فه بورا أسماء به دينا ودانا
من كان معه على رغبة المسود له	مكان حارون من موسى من صرانا

ابن عذارى الا أسماء قلة من الشيعة ، رغم ما كانت تكتفى به الدولة من مجرد اعلان الولاء أو البيعة كشرط للدخول في المذهب ، وإن كان ذلك على يد أحد الدعاة (انظر فيما سبق ، ص ١٢٦) . ولقد دخلت الدعوة قلة من سلالة الأمويين ، أو ممن كانوا في خدمة العباسيين أو قبلت خدمة الدولة . فكان ممن دخل منهم في الدعوة أبو الفضل محمد بن عبد السلام ، من ولد عبد الملك بن مروان (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) والسدي تولى جباية طرابلس وتونس (١٧٩) . كما يذكر محمد بن سلام بن سيار ، البرقي ، الهمداني (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) على أنه كان متفقها على مذهب الشيعة ، وإن لم تذكر له مؤلفات ما (ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٦٤) .

ما بين أدب الدنيا والدين :

ومما يسترعى الانتباه في وفيات ابن عذارى ، موت المغني البغدادي ، مولى موسى بن بغا ، فجأة ، سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (البيان ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٢٦٩) ، بمعنى وقوع العاصمة الفاطمية تحت تأثيرات الحضارة العباسية في مجال الغناء والموسيقى ، تماما كما كان الحال بالنسبة لقرطبة الأمويين والأندلس ، التي كان قد برلها تلميذ الموصلي الشهير زرياب ، على عهد الأغالبة ، وبذلك كانت ثقافة بغداد من دينية وترويحية تنتشر ، على طول طريق الحج ، ما بين الأندلس والمغرب (١٨٠) .

هكذا كانت الحياة سبيل في فوارن معقول ، ما بين أدب الدين وأدب الدنيا ، الأمر الذي يخفف من غلواء « الأزمة الفاطمية » عند البعض (١٨١) أو « عصر شهداء المالكية عند الآخرين » (١٨٢) . والحقيقة أن الأزمة وعصر الشهداء لا يظهرون بحده إلا في تراجم أهل السنة من العلماء وبخاصة

(١٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٣ - حيث النص على أنه توصل الى أحد بعته ، ومات في عذاب الضيقة ، ص ٢٦٤ .

(١٨٠) انظر فيما سبق ص ١٣٨ - عن البغداديين الذين دخلوا الأندلس قبل أن يعملوا في خدمة المهدي ، وكانت لهم محالهم مع حجاج الأندلس . وانظر ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ج ١ ص ٢٥٦ ، عن محمد بن أحمد . من ولد عثمان بن عفان (ت في تونس ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) الذي كان قد طرأ على إبراهيم بن أحمد الأندلسي . ودخل الأندلس مرتين .

(١٨١) انظر ج ٠ مارسية بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصر الوسيط « بالفرنسية » . (١٨٢) موسى لصال . دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص ٤٢٣ - استنادا الى ابن تيمي في معالم الايمان ، وانظر فيما سبق ص ٩٣ .

الزهاد منهم ، من المجاهدين في الأمر بالمعروف ، طلاب الشهادة وأصحاب الكرامات .

معارضة التشيع :

فجبله بن محمود الصدفي . مولى عثمان بن عفان (ت ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م) الذي تراه عند ابن عداري ، المؤرخ ، فقيه ، راهبا ببد اندليا ونبرا ، من تركة والده الذي كان يعمل في الجباية ، والتي بلغت ٨ (ثمانية) آلاف دينار ، يظهر عند المالكي ، الفقيه ، مرابطا بقصر الطوب قرب سوسة ، وصاحب كرامات يستطيع أن يخرج التين الأحمر (الطازج) في غير زمانه لمن يشتبه من الصغار ، ثم أمرا بالمعروف يرفض تنفيذ أوامر القضاة المروزي الخاصة بالالتزام بتعاليم الأذان والصلاة ، ويشتم الرسول والمروزي معا ، وهو قبل ذلك ، يغم عما شديدا لخروج بعض أهل القيروان لاستقبال الداعي ، وإن كان تقيه ، كما رفض ما سمعه في خطبة الجمعة بجامع القيروان مما لا يجوز ، حيث كشف رأسه ، احتجاجا ، وسار من عند المنبر في عمق المصلى الى باب الخروج على رواق الصحن ، وهو يصيح . « قطعوها قطعهم الله » . ويعلق المؤلف قائلا : « من حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم ، وهو أول من نبه على ذلك ، رحمه » (١٨٣) . وهو الأمر المبالغ فيه من غير شك . فبصرف النظر عن الأمر بالمعروف وعن الحوارات والكرامات ، فالمشهور عند المؤرخين أن مقاطعة الناس لصلاة الجمعة لم تبدأ الا على أيام الزيريين قبيل منتصف القرن الخامس الهجري / ١١ م ، على أيام المعز الزيري بالقيروان ، والمستنصر الفاطمي بالقاهرة ، وإن كان ذلك بالنسبة للعامة .

تشدد المهدي والقاضي المروزي :

وفيما يتعلق بالفقيهين ابن البردون وابن هذيل اللذين قتلتهما ابن أبي خنزير بأمر أبي العباس المخطوم ، فأولهما (ابن البردون) عند المالكي ، فقه نارع في العلم ، قوى في الجدل واقامة الحجة على المخالفين ، كواحد من تلاميذ ابن الحداد ، يقاوض المعتزلة على عهد الأغالة ويتعرض لعقوبة الضرب من القاضي الصديني الذي كان يقول بخلق القرآن . أما ثانيهما (ابن هذيل) فهو زاهد يأكل من كسب امرأته التي كانت تغزل الكتان ، وهي المعلومات التي تعتمد اضافة مقبولة لما عند ابن عداري وغيره

من المؤرخين . ولكن ما يلفت النظر هنا ، هو ما يضيفه المالكي من معلومات سبب في بل من ، سبب احادته وبوفينها . فبدلا مما سبب ايها من ، التسوية بين علي وبين بعية الراشدين ، والظعن على الدولة ، الى جانب وشاية الخفية (مما سبق ، ص ١٣٢ وهـ ٦٠) ، يضيف رواية احسرى تقول : ان المهدي هو الذي امر بدبجهم واشبهير بهما ، لما رخصا القول ، « انه رسول الله ، كما أمرهم الداعي أحوم » ، وهو لذلك يغير توقيت الحديث ، فبدلا من وضعه في موضعه في صفر سنة ٢٩٧ هـ / أكتوبر ٩٠٩ م . أثناء وجود الداعي في سجلماسة ، يصعه في سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، اي بعد حوالي سنتين من اقامة المهدي في رقادة (١٨٤) .

وعن الناحر أبو جعفر بن خرون الذي ورث المهدي تركته بما فيها جامعه الخاص ، بعد أن مات في العذاب لمطالبته يوديعه كثيرة ، يسعى المروزي ، يقدم المالكي تفسيراً لعذابه بطريقة لا تدري مدى صحتها ، ان هي من عادات الترك بخاصة ، وتتلخص في موت الرجل دهسا بأرسل الحرس السوداني ، حسب أوامر المهدي (ما سبق ، ص ١٣٥ وهـ ١٧٠) . وهو عندما يعدد أعمال المروزي السيئة . يذكر انه ترك الناس يصلون التراويح (القيام) سنة واحدة ثم انه منعهم من ذلك (رياض النفوس ، ص ٥٦) والمعروف تاريخيا انه مع التراويح عند حلول أول رمضان بالقيروان وهو الأمر المقبول ، طالما كان الداعي قد معها ، وهو في ايكجان (١٨٥) .

أما عن القاضي المروزي ت ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م الذي تأتي ترجمته في « الرياض » في ثنايا ترجمة ابن خرون الأندلسي القرطبي - فينسب اليه الكثير من البلايا ضد أهل السنة الذين أخافهم ، حتى وصفت أيامه بأنها كانت « صعبة جدا » . وهكذا كانت نهايته بسعاية ابن أبي خنزير الذي ضج من كثرة ما كان المروزي يأتي له به من العلماء والصالحين ليقتلهم . وعندئذ مكن المهدي ابن أبي خنزير منه ، فأسرع في تعذيبه ، بهدف استصفاء ماله ، قبل أن ينتهي مرفوسا (مركوزا) في بطنه في اسطور

(١٨٤) انظر رياض النفوس ، ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠ ، وقارن ص ٥٥ - حيث ينسب قسهما ، في رواية ثالثة ، الى القاضي المروزي .

(١٨٥) انظر ابن عذاري ج ١ ص ١٢٧ ، ط . بيروت ص ١٧٠ (في ايكجان) ومن ٢٠٧ في القيروان) .

الدواب ، دون أن يراق دمه ، على الطريقة التركية (١٨٦) ، كما كان الحال بالنسبة لابن خيرون الذي كان المروزي قد سعى عليه ، بينما كان ابن أبي خنير نهب ماله (رياض ، ص ٥٤) .

وفيما يتعلق بأبي عبد الله محمد السدري (ت ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) فهو - عند المالكي أحمد المريد بن البدلاء (رياض ، ص ١٦٦) - أي الأفضلاب أصحاب الكرامات والكشف ، الذين لا يقوم العالم إلا بهم ، فإذا مات أحدهم حل بديله محله . وهو متناضل ضد التشيع الفاطمي ، قد بايع على جهاد عبيد الله المهدي ، وأمن من عقابه إذ كان يطلبه فلا يتمكن منه ، حيث كان الجند يفضبون عليه كما كان البريد يخطيء فيه . وهكذا فهو لا يقبل إلا عندما يسلم نفسه بمحض إرادته (رياض ، ص ١٧٠ - ١٧١) . وبسبب قتله ابني المهدي بعلقة انتفخ فيها جسده وتفجر بالدماء . وعندما توفي لم يفتح الله على المقرئ إلا بالآية التي تقول : « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود » (سورة هود ١١ ، آية ٩٨) (١٨٧) .

٢. ما بين التاريخ والخرافات والأساطير :

وهكذا يختلط التاريخ بالخرافات والأساطير في سير العلماء والزهاد في كتب التراجم خاصة ، ويصبح الوصول إلى الحقيقة ، هدف البحث التاريخي ، من الصعوبة بمكان . ولكنه إذا كان من المقبول إسقاط ذلك اللون من قصص الخوارق والكرامات ، فإنه ينبغي ألا يضع المؤرخ ذلك إلا بعد أعمال الفكر فيه والروية ، فعسى أن تكون لبعض الأساطير أصول تاريخية تماما ، كما يمكن أن تتحول بعض الأساطير الشعبية ، مع مرور الوقت ، إلى حقائق تاريخية . وبناء على ذلك ينبغي التأنى في الحكم على مثل تلك الموضوعات الشائكة مما يتعلق بالصراع الفكري والمذهبي ، فعادة ما تكون الحقيقة في الوسط ما بين الطرفين . وهكذا ، عندما سئل القاضي

(١٨٦) رياض النفوس . ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، وما سبق ، ص ١٣٥ وص ١٧٠ .
 (١٨٧) رياض النفوس . ص ١٧٢ - وانظر فيما سبق تحت رأس السدري عبيد الله بقليل الكلام مثل : « لو كنت أمير المؤمنين ما أمرت بسب السلف وأظهرت الحمر والقبالات (الضرائب على ما تباع في الأسواق) والمراصد ٠٠٠ » وكيف خافه العسكر فهربوا ، وقتلوا مكانه روميا إلى جانب روايات أسطورية أخرى خاصة بقتله بعد سجنه ، وقاد ابن حمادة ، أحبار ملوك بني عبيد ، ص ٢٦ - حيث كانت وفاته من دولة سلفه أيام ابن الجزر لعلقة تقترس - كان يشكو منها .

المروزي عما جرى على يديه من امتحان محمد بن محمد بن سحنون ، وكيف لم يشفع له صلاح والده وامامة حده ، رد الرجل الذي اشهر بقسوته مع مخالفيه ، والذي كان قد هدد حفيد سحنون بالقتل ، ومع ذلك فقد قنع من عقوبته بـ « درات يسيرة » ، قائلا : « ضربه شفقة عليه ، خوفا أن يرفع أمره الى السلطان » (رياض النفوس ، ص ٥٥) . وهنا يظهر الجانب الآخر من القاضي الفاطمي الذي كان يخيف أهل السنة ، فهو رقيق القلب ، حريص على سلامة المعتبرين من أهل السنة ومثل هذا ما كان يفعل المهدي تبعا للظسروف ، بمعنى أن ما يسمى بالأزمة الفاطمية أو عصر شهداء المالكية ، ما هو الا نصير عن أحوال سببية نظراً في كل عهد و زمان ، وهو ما يؤكد استقراء التاريخ الفاطمي في تطوراته المستقبلية ، وما توضحه بشكل ملموس انجازاته الفكرية والحضارية ، في المغرب أو صقلية ، قبل مصر والشام .

صقلية الفاطمية : على عهد المهدي :

ورث عبيد الله المهدي جزيرة صقلية بين ما ورثه من تركة الأغالبة في بلاد افريقية ، حيث كانت قد ظهرت أسر متخصصة - والتخصص في الحكم والادارة عند الخاصة ، كما في الحرف والصناعات عند العامة هو ظاهرة تلك العصور الوسطى - في حكم صقلية ، وفي الجهاد فيما وراء البحار ، سواء في الجزيرة أو كلابريا (قنورية) وإيطاليا (الأرض الكبيرة) ، نتوالى على الامارة بشكل شبه دوري رئيس . أما عن أحوال الجزيرة على أواخر أيام الأغالبة ، بعد حوالي ٨٠ (ثمانين) سنة من الفتح ، فلم تكن تنير الاطمئنان في القيروان - فالجزيرة لم تكن قد أصبحت اسلامية تماما ، اذ ظل سلطان بمرنطة موجودا في المدن والقلاع على الساحل الشرقي للجزيرة ، بينما كانت الأقاليم الاسلامية منشعة على نفسها ، عرقيا ومذهبيا ، بين العرب والبربر ، على الساحل الشمالي ، وخرجت على الساحل الغربي ، حيث قامت النزاعات بينهم بل والحروب ، مما سبقت الإشارة اليه (ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٥) ، فلم يكن يوحد بين الفريقين الا النداء للجهاد ، وهو ما لجأ اليه أمراء الأغالبة الأواخر ، من ابراهيم بن أحمد وخليفته (ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها) .

والحقيقة أنه كان قد بدأ يتكون في الجزيرة عرق على صقل ، شبه بجماعة المولدين في الأندلس له طموحات في الحكم والسيادة في مقابيل خبراته في الحرب والجهاد ، صناعة أهل الجزيرة بالامتنياز . هكذا ولي الجزيرة سسنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م محمد بن السرقوسي ، وإن لم يعمر طويلا في الامارة ، اذ

عزل في أسسه اساية ١٩٥ هـ / ١٠٨٨ م . وحل مكانه . حمد بن أبي الحسين
ابن رباح ، سليل قواد الجزيرة . الذي لم يكتب له الياء طويلاً في منصبه ،
فبمجرد وصول احبار البصار الداعي وهرب زيادة الله الى مصر ، ثار اهله
على : أحمد بن الحسين بن رباح ، فخلعوه واختاروا للامارة بدلاً منه . علي بن
أبي الفوارس في رجب ٢٩٦ هـ / ١٩٠٩ م ، الأمر الذي وافق عليه الداعي
بناء على طلبهم شريطة أن يقوم ابن أبي الفوارس بواجب الجهاد ، برا
وبحرا .

الحسن بن أبي خنيزر وأهله :

وبعد أن استقر المهدي في رقادة وبدأ يعيد النظر في إدارة الدواوين
وترتيبها ، نقل الحسن بن أحمد بن أبي خنيزر من ولاية القيروان التي كان
قد أقوم فيها عقب عودته من سجلماسة ، الى امارة صقلية ، فكان وصوله
الى مارز يوم عيد الأضحى (١٠ ذي الحجة) سنة ٢٩٧ هـ / ٢٠ أغسطس
٩١٠ م . ولا ندري ما اذا كان اختيار الحسن بن أبي خنيزر لامارة صقلية
قد تم بناء على قاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، لما عرف
عنه من الشدة والحزم ، أم لأنه تم في إطار ما كان يخطط له المهدي من
تفريق أصحاب الداعي ، قبل أن يفرد به وحده (ما سبق ، ص ٦٦)
وهو ما لا تصرح به النصوص .

والهم أن الحسن بن أبي خنيزر ، بعد أن استقر في العاصمة بلرم
حيث « الارستقراطية » العربية بدأ باقرار الأمور في الجزيرة فعين أخاه عليا
واليا على مدينة (الرير) جرجنت ، حتى يضمن ضبط المدينتين المتنافستين
قيما بينهما ، كما أقر قاضي الجزيرة ، المعين من قبل المهدي ، وهو : اسحاق
ابن أبي المنهال ، ليمارس عمله في القضاء والدعوة (١٨٨) ، ثم انه لم يتأخر
في اتباع ما كان يرجى فيه من سياسة القوة والحسم ، في الجهاد والحكم .
فلم تطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م الا وكان يسير على رأس قواته الى حيث

(١٨٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على أنه « جعل قاضيا بصقلية » اسحاق
ابن أبي المنهال وهو أول قاضي تولي للمهدي . « اذا كانت يداه النص يفهم منها أن ابن
أبي خنيزر هو الذي عين القاضي فإن نهايته ترجح أن تسميته كان من قبل المهدي ، كما جرى
بذلك التقليد الذي يحقق استقلال السلطة القضائية عن السبعية . وانظر عزيز أحمد ،
صقلية الإسلامية (بالإنجليزية) أدسه ، ١٩٧٥ ، ص ٦ - حيث الإشارة الى أنه كان على
القاضي ابن أبي المنهال أن يعلن خلافة المهدي في الخطبة من بلرم »

ثار النصراري في مدينة دمشق (وادي الشيطان Val Demone - عرير أحمد ، ص ٦) ، التي تعرضت لأعمال من العنف والاحراق ، انتهت بعودته بالعنيفة والسبى . ولكن تطبيق مثل تلك السياسة داخلياً لم يقدر له النجاح . فبعد مدة يسيرة ثار به الأحرار من الصقليين ، فخنقوه في الإمارة سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م والقوا به في السجن ، بعد أن نهسوا داره ، وكذلك فعلوا بأخيه وبعثوا إلى المهدي يعتذرون له عما بدر منهم في حق واليه الصعب ، فقبل عذرهم ، وانتهى الأمر بأن عين لهم والياً جديداً من قبله ، هو : علي بن عمر البلوي ، الذي وصل إليهم في ذي الحجة من نفس السنة (٢٩٩ هـ / يولييه ٩١٢ م) (١٨٩) بينما عاد ابن أبي حمزير إلى رقادة حيث سيعهد إليه المهدي بقيادة الأسطول ، كما سوف نرى .

ابن قرهب والدعوة للعباسيين :

وإذا كان المهدي ، عندما وقع اختياره على : علي بن عمر للولاية ، فعل ذلك لكبر سن الرجل ، وما كان ينصف به من الرقة واللين ، على عكس سلفه ، كما يظن ، فإن الصقليين المتقلبين دائماً ، والمنطلعين إلى الاستقلال لم يكونوا ليرسوا بذلك ، إذ نعللوا بضعف الرجل ، فعزلوه سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، وعرضوا الولاية على واحد من رجال الأغلبية السابقين هو : أحمد ابن زيادة الله بن قرهب ، الذي لم يقبل - « تكتيكياً » كما يقال الآن - . وتناخ الرواية عندما تقول انه هرب منهم ، وتوارى في بعض الغدران - كأنه واحد من الصالحين الذين يخشون أن يحصلوا عبء الأمانة (في الحكم) . والحقيقة أن الرجل لم يكن يريد أكثر من صدق زعماء الجزيرة فيما يعرضونه عليه من الإمارة ، وذلك انه عندما اجتمع وحوه أهل البلد إليه ، وسألوه التآمر عليهم ، وأوتقوه من أنفسهم أنهم لا يخذلونه تولى أمرهم (١٩٠) .

وأغلب الظن أن قبول ابن قرهب للولاية كان مشروطاً بالموافقة على قطع علاقة الجزيرة بالشيعة الفاطميين في أفريقية ، على أن يستبدلوا بذلك

(١٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٠ وقارن ابن عذاري ، ج ٦ ص ١٦٨ - حيث يضع الثورة على الحسن وأخيه علي في غير موضعه (في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) وهو تاريخ الثورة الثانية التي خلعوا علي بن عمر .
(١٩٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ ، ط بيروت ص ٢٢٣ - حيث يبدأ النص ما من الثورة كانت على الحسن وعلي ابن أحمد بن أبي حمزير ، وهي رواية الثورة السابقة ، وضعت في غير موضعها كدعاية لثورة ابن قرهب ، كما سيأتى الإشارة في الهامش السابق .

اعلان الطاعة للخلافة العباسية . فلقد كتب ابن قريش الى الخليفة المقتدر ببغداد يطلب الموافقة على أن يكون تابعا له على الجزيرة نظير الدعوة له في خطبة الجمعة . ووافق الديوان الخلافي ببغداد على ذلك وبعث الى ابن قريش بالأعلام العباسية السود ، والملابس الرسمية السوداء ، كما أكرم عيسته بوسام « الطوق الذهبي » (١٩١) .

ابن قريش مجاهدا :

وكما هي العادة ، وفي سبيل لم شمل رعاء الجزيرة حوله كان عليه أن يبدأ عمله سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، بالجهاد فبعث حملة صغيرة الى كلابريا ، عادت بالغنائم والأسرى من الروم . ثم انه في السنة التالية (٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) سير ابنه عليا على رأس حملة لحصار قلعة طبرمين الحديثة ، وكان هدفه كما تنص الرواية أن يجعل منها ، اذا ما ملكها ، قاعدة احتياطية له يشحنها بماله وعبيده وأولاده ، « فاذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها » (١٩٢) . ولسكن الحصار الذي طال الى ٦ (ستة) أشهر آثار الملل في نفوس العسكر الذين ثاروا بقائدهم ابن التال ، الى حد أن « أحرقوا خيسته وسواد عسكره ، وأرادوا قتله ، فمنعهم العرب » (ابن الأثير ج ٨ ص ٧١) ، وهو ما يعني أن العسكر الدائر كان من البربر من أهل حرجنت وان ابن قريش كان يجاهد منذ البداية تحت شعارات الدولة العباسية السوداء ، وان كان ذلك يثير تساؤلات عما اذا كان اضطراب العسكر البربري نوعا من الاحتجاج على قطع ابن قريش وقتئذ ، لصلوات صقلية بأثريقية ، بلادهم الأصلية ، ووصلها ببغداد البعيدة ، أو انه كان بتحريض من المهدي ، بمعنى أن : شراء صداقة بعيد بعداوة قريب ، مما لا ينصح به سلامة الحس لفداحة الثمن .

ولا بأس أن يكون ابن قريش قد أراد أن يؤكد سياسته هذه ، وذلك عندما تجرأ في السنة التالية ٣٠١ هـ / ٩١٤ م وشن غارات بحرية بعيدة

(١٩١) ابن عسار ج ١ ص ١٦٨ ، وقارن ابن الأثير ، الذي يحسن ذلك بعد قيام ابن قريش بنشأته الحرب في قلورية (كلابريا) وفي الجزيرة ، وان لم يحدد التواريخ ، فربما أن سلامة الحس ترجع أن يكون ابن قريش قد بدأ بالاتصال بالخلافة ، فعلا ، وأنه بدأ بممارسة نشاطه في الحكم والجهاد قبل أن تاتيه الموافقة من بغداد ، الأمر الذي يعبر صحة ترتيب الأحداث عند ابن الأثير بالشكل الذي أعطانا به .

(١٩٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

المدى على طول السواحل الفاطمية فكانها سواحل دار الحرب في بلاد الروم .
ففى مرسى « نص » بجذب مراكب . بن قهرمب ، بقياده ابنه محمد ، فى
معاجمة الأسطول العاطمى الرابض هناك بقيادة الحسن بن أحمد بن أبى خنزير ،
فاستولت عليه ، وأسرت من طاقمه ٦٠٠ رجل ، من بينهم قائده ابن أبى
خنزير . وتدل العقوبة التى أنزلها محمد بن قهرمب بهذا الأخير ، من : دبحه
بيديه وقطع يديه ورجليه (١٩٣) ، وهى عقوبة المفسدين فى الأرض ، بأن ثمة
انقساماً فى الأمر وثارا ، مما يرجح أن يكون للحسن يد فى تأليب بربر
جرجست على واليهم الذى وجه أنظره بعيداً عن بلادهم نحو المشرق وبغداد .
ولم تجد محاولة المهدي الذى سبر العساكر لانقاذ الأسطول الذى كان قد
تم احراقه ، ولا لتصدى للصقليين الذين هزمهم (١٩٤) ، قبل أن يواصلوا
عارتهم على سقاقتهم التى خربوها ، ولو أنهم لم يستطيعوا - عندما وصلوا
الى طرابلس مواجعة ولى العهد أبى القاسم ، بقواه الكبيرة المتجهة وقتئذ ،
نحو مصر ، فعادوا من حيث أتوا ، الى مواعدهم (١٩٥) .

الاتصال بخلافة بغداد وبداية النهاية لنظام ابن قهرمب :

ولا بأس أن يكون ابن قهرمب قد أضر بغداد بما حققه من انتصارات
على العاطميين فهذا ما يفسر وصول الخلع السود والألوية اليه من الخليفة
المقتدر (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١) . ومن الطبيعى أن يكون قد عمل على
تأكيد نفوذه البحرى بغارات جديدة على جنوب إيطاليا وسواحل أفريقية .
فابن الأثير يشير الى أنه أخرج قوات برية (حيشا) محمولة فى البحر الى
كلابريا (قلورية) ويقول انها غنمت وحربت وعادت - كما حدث فى أول
ولايته ، دون أن يحدد التاريخ (١٩٦) . وهذا يكون اللجوء الى رواية تاريخ

(١٩٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧١ حيث الإشارة الى انه أحرق الأسطول جميعاً ، بمعنى
أن الحريق كان قصداً ، ولم يكن صدفة أو عملاً حربياً غير مقصود لذاته . وقارن ابن الأثير
ج ٨ ص ٧١ - حيث النص على احراق الأسطول ، وقتل الحسن وحمل رأسه (الى صقلية)
وقارن الكتلة المتصلة لأمدى ، ج ١ ، الباب ٢٧ تاريخ جريرة صقلية من حين دخلها
المسلمون حسب تاريخ العالم ، المعروف بمخطوط كامبريدج ، ص ١٦٨ - حيث النص على
خروج مراكب ابن قهرمب فى ٩ يولييه (سنة ٦٤٢٢ من تاريخ العالم) وعلى أن احراق مراكب
أفريقية وقتل ابن أبى خنزيرة كان فى ١٨ منه (يولييه) .

(١٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٩٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

(١٩٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - وهذا يمكن الظن أن تلك الحملة - سبب غياب

صفية (حسب تاريخ العالم) لدى محمد حمزة خرجب من صفية في ول
سبتمبر (سبتمبر) من السنة ثمانية لاجراء الاسطول اعطى وقتل
ابن ابي حنيفة ، وهي سنة ٢٠٢ هـ / ١٥ - ١١٦ م ، ويص على ان وجهتها
تألف « جلايانا » ، ونفسها انتهت بالهلات في بحر غرق (١٩) . وتبع سوء
انطالع هذا فشل اسطول ابن قريش في محاوله جديده ضد الاراضي العاطية
اد تصدى له اسطول المهدية ونجح في اسر مراكبه ، فكان ذلك بداية للنهاية
بالنسبة لنظام ابن قريش في صفية ، اد « طمع فيه الناس ، وكانوا
يخافونه » . وكان الخارجون عليه ، بطبيعته الحال ، هم : بربر خرجب
الذين بدأوا الاتصال بالمهدى او عاودوا ذلك ، الأمر الذي كان يمكن ان
يؤدى الى حرب أهلية (فتنة) بين العرب والبربر ، لولا ، ان أهل الرأي في
الجزيرة ، وجدوا أنه من المصلحة العودة الى طاعة القيوان ، فراسلوا المهدى
سرا (١٩٨) . وهنا استحسن ابن قريش استخدام سياسة الإدارة مع خصومه ،
فذكرهم بعهدهم له ، وعندما تيقن من عدم استجابتهم ، قرر ترك الجزيرة
واللجوء الى الأندلس . وعلا أكثرى عددا من المراكب وشعبها بما كان عنده
من المال والمتاع ، ولكن خصومه حالوا بينه وبين الهرب ، فهاجموا على المراكب
ونهبوا ما كان فيها ، كما قبضوا عليه وعلى ابنه محمد : قائد الأسطول على
ما نطق . وكذلك على قاضيه المعروف بابن الحامي ، وذلك في سنة ٣٠٣ هـ /
٩١٥ م ، وبعثوهم في ١٤ يوليو / ٢٨ دى الحجة - مقيدين الى مرسية التي
وصلوها في المحرم من سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م . وكان انتقام المهدى الذي كان
في انتظارهم مروعا ، اذ أنزل بهم عقوبة القتل وتقطيع الأيدي والأرجل ،
على قبر الحسن بن ابي خنيزر بباب سالم ، من أبواب القيوان - حيث شهور

التاريخ - دعا كانت تكرارا لحملة كلابون الأولى (ما سبق من ١٤٨ هـ ١٩٢) ولكنه من المقبول
ان يقوم الصقليون بحرب اسطر عن والمهم - بحملاتهم الدورية في البحر من أجل المقام ،
هذا أصبح بالنسبة لهم بعضا من نشاطهم اليومى .

(١٩٧) أمارى الكتبة الصقلية ، ج ١ من ١٦٨ - حيث تحديد السنة بـ ٦٤٤٣ -
حسب تاريخ العالم ، وطر عريير أحمد ، مجلة الاسلامية (بالانجليزية) ، ص ٧ - حيث
النص على انه رغم تعظم القوة الحربية الصقلية فان القائد اسيرطى من كلابريا ، وهو
أوسستانيوس ، وافق على دفع الجزية - هذا ولو ان المرجح في ذلك ، وهو ج . جاي
(J. Gay) يشير الى ان ذلك كان سياسة معايشة حسنة انتهجها بعض القواد
البربري ، ولو انه يقترح أكثر من تاريخ لذلك ما بين سنة ٩١٥ وسنة ٩١٨ . انظر فيما
سلف . ص ١٥٤ .

(١٩٨) من الأثير ، ج ٨ من ٧٢ ، ابن عدي ، ج ١ من ١٧٤ .

بهم صلباً (١٩٩) .

الانصال بالمهدي ، وتعيين أبي سعيد « الضيف » واليا :

على عكس ما كان يظنه عقلاء الزعماء من رجاء مظنة السلام العاطفي بدلا من الفتنه العيسوية ، فالظاهر ان روح احلاف الماصلة في نعوس الصفليين ، ان لم تكن روح ابن قهرمب التي ذهبت صحبة الفرقة فيما بينهم ، قد حادت بهم عن الطريق السليم . وذلك أنهم كتبوا الى المهدي يطلبون منه أن يرسل لهم « عاملا (واليا) وقاضيا » فعط . لانهم « لا يحتاجون الى رجال ولا مدد » (٢٠٠) - فكانهم ما زالوا مصرين على الاستقلال عن القيروان ، بالأمر الواقع ، بمعنى أن تكون طاعتهم للدولة نوعا من الولاية التي لا طائل وراءها . وهنا تكون قد لحقت بهم لعة ابن قهرمب حنا ، حيث يذكر المهدي مقالته له فيهم ، وهي . ان أهل صفقية يكثرون الشغب على أمرائهم . ولا يطيعونهم ، ويهبون أموالهم ، ولا يروون ذلك الا بمسكر يهرهم ويزيل الرئاسة عن رؤسائهم (٢٠١) . وهكذا عهد عبيد الله المهدي بامارة صفقية الى واحد من مشاهير القضاة من رجاله وهو أبو سعيد موسى بن أحمد المشهور بالضيف ، وأخرجه مع كثير من شيوخ كتأمه على رأس الجيوش والأساطيل ، التي أرسلت بميناء طرابلس في ١٥ أغسطس (أوت) من نفس السنة ٣٠٤هـ / ١٩ صفر ٩١٦م ، وفي ٢٨ من سبتمبر / ١٦ ٣٠٤هـ ربيع كانت قواته تدخل العاصمة نهرم برا ، كما دخلها الاسطول بحرا (٢٠٢) .

(١٩٩) . ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - وقادون ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧ - حيث تضطرب الرواية بعض الشيء ، كما تصد الثورة على ابن قهرمب - خطأ - سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م ، بدلا من سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وقادون المكتبة الصفقية ، ج ١ الباب ٢٧ ، تاريخ صفقية حسب تاريخ العالم من ١٦٨ - ١٦٩ - حيث النص على انه في ١٤ يوليو سنة ٦٤٢٤ هجرورا الصفليين ابن قهرمب وعنه الى أمريقية ، ومات بها حر وولده .

(٢٠٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ .

(٢٠١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، وقادون ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على ان المهدي استقبل من قهرمب ليلته عن سبب خلاصه ، فقال له « أهل صفقية رثوني وأنا كاره وحنوني وأنا كاره » .

(٢٠٢) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، والمكتبة الصفقية لأماري ج ١ فصل ٢٧ - تاريخ صفقية (حسب تاريخ العالم) ، ص ١٦٩ - حيث النص على انه في ١٥ أغسطس ٦٤٢٤ هـ أنا أبو سعيد الضيف الى صفقية بمسكر كبير ، وأنه في ٢٨ سبتمبر دخل نهرم .

ضرب المقاومة الصقلية ودخول بلرم :

وكان وصول القوات العاطمية هذا ، بمثابة انداز بالخطر لكل اهل الجزيرة ، بصرف النظر عن اختلافاتهم العرقية أو المذهبية . فلم يأت ١٧ أكتوبر ٩٦٠م / ١٨ ربيع حتى فاضت قائمه الصقليين جميعا عليه ، اذ تحالف ضد ابي سعيد الصيف كل من بربر جرجت وعرب بلرم (المدينة) بل ونصارى الجزيرة الذين تقوى بهم اثوار ايسا (٢٠٣) ، وضربوا عليه الحصار . وتمكن أبو سعيد من كسر نطاق ذلك الحصار البرى بفضل السور الذى أحاط به قوائمه فكان يمكنه من السيطرة على المرسى (٢٠٤) . والمهم ان القنال انتهى بنراجع الشوار الى المدينة (بلرم) تتبعهم قوات ابي سعيد التى حاصروهم برا وبحرا لـ ٦ (سنة) شهور وقتلت عددا من رؤوسائهم وأسرت منهم آخرين ، وقاست المدينة من الجوع والغلاء حتى بلغ سعر الملح فيها « أوقية بخروبتين » (٢٠٥) ، كما قاست ضواحي المدينة من ذلك الحصار الطويل حيث راح كثير من النساء والصغار ضحية عبث الكناميين بهم . والظاهر ان ابا سعيد الضيف انتهز الفرصة وكتب الى المهدي بأخبار ما حقه من الانتصارات ، وطلب المزيد من المعونة والامدادات لكسر شوكة العصاة نهائيا . وعندما وصلت المراكب الحربية عليها الاعداد الوفيرة من الرجال ، انتهى الأمر بطلب الأمان على أن يقدم المسئولون عما وقع فى المدينة من الأحداث . وبذلك دخلت المسامر بلرم وتسلم أبو سعيد الضيف المدينة فى ١٢ مارس / ٢٥ رمضان (٢٠٦) .

(٢٠٣) انظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم

ص ١٦٩ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ .

(٢٠٥) انظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم ،

ص ١٦٩ .

(٢٠٦) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - ٧٣ ، وقارن ابن عدارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث

يلخص كل من المؤرخين الأحداث ذات المصدر الواحد ، كما يرى دون توارىخ وبشكل يوحى بأنها وقعت متزامنة فى وقت واحد . ولكن المقارنة بين النصين تساعد على التفرقة بين الأحداث تبعا لسلسلة وقوعها المطلقى ، وقارن العيون والمدايق ، ج ٤ قسم ١ ، ص ٢٦٩ وص ١ - حيث الاشارة الى انتهاء فعل المؤلف من كامل ابن الأثير وبيان ابن عدارى . أما عن تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ فصل ٢٧ ، ص ١٦٩ . فله الفصل فى ترتيب الأحداث ترتيبا دقيقا حسب السنوات حسب تاريخ العالم . حيث وصول الضيف الى صقلية فى ١٥ أغسطس سنة ٦٢٢٤ وعوده الى أفريقية فى سبتمبر سنة ١٤٢٦ .

وكانت فرصة اغتنامها الضيف وقرر أن يكون الاسنلام شاملا ، وإلى الأبد . كما تصور ، فجعل من بلرم مدينة « مفتوحة » ، كما يقال ، فهدم سورها وجرد أهلها من الخيل والسلاح ، ثم أنه فرض عليهم غرامة مالية ثقيلة ، تناسب مع ثقل وذرهم على ما نظن ، وإن لم يعرف ثمنها . أما عن اعتقالهم ممن يشك في ولائهم أو خطورة وجودهم في الجزيرة ، فقد بعث بهم إلى المهديّة ، ولكن ظروف البحر لم تسمح لهم بالوصول سالمين (٢٠٧) .

ولاية سالم بن راشد :

وعندما أتى كتاب المهدي يأمر أبا سعيد الضيف ، بالفرار عن العامة (٢٠٨) ، كان ذلك يعني أن الأمور قد هدأت تماما في صقلية وإن الهبسة الفاطمية على الجزيرة قد أصبحت كامدة ، وهكذا عهد أبو سعيد بولاية الجزيرة إلى : سالم بن راشد ، وترك معه حامية كتامية ، وانصرف هو عائدا في شهر سبتمبر / ربيع الأول إلى القيروان .

والمهم في ولاية سالم بن راشد هذه أنها طالت إلى أكثر من ٢٠ (عشرين) سنة إلى ما بعد وفاة المهدي (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) وولاية القائم الذي أقره في الإمارة إلى أن انتهى أمره بشكل غامض خلال الاضطرابات التي ألمت بالجزيرة اعتبارا من سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م والتي استمرت لسنوات طويلة . وعلى عكس سنوات الاضطراب التي ختمت عهد سالم ، تلاحظ أن الحوليات المغربية في كل من ابن عذارى وابن الأثير وهي أخصبها ، تكاد تغفل أحوال صقلية خلال أيامه الطويلة ، باستثناء النص على بعض الأعمال الحربية فيما وراء البحار ، في كل من : كلابريا وأرض إيطاليا ، أو الهدنة مع نصارى الجزيرة ، مثلا -

العلاقات مع كلابريا وجناب إيطاليا :

وهنا لا بأس من التساؤل عما إذا كان ذلك يعني استتباب الهدوء

(٢٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على أنه بعث من أحد منهم إلى عميد الله في مراكب ، فدفعوا بهم البحر . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ - حيث النص على أنه أمر أهل المدينة إلا رحلين هما آثارا العتنة ، مرضوا بذلك ، وتسلم الرحلين ، وسدّهما إلى المهديّة بأفريقية .

(٢٠٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ .

والسكينة ، بمعنى حياة خير والرحاء - في الجزيره وسيادة الامن و
 مسع اروم (ابيرنطيين) في كلابريا والامازات الايتاليه المحمله
 بابون وسائرون الى جرجاشو وجايه وعيرها (انظر شكل ٢ ص ١٥٥) و
 أنه يمكن ان يهتم من المصادر الروميه . ومنها ما هو مكتوب بالامه الم
 مثل : تاريخ صغليه حسب تاريخ العالم (١٠٩) . ان قبحر القاعده وال
 في كلابريا . وفي جنوب ايطاليا - مثل : اوستانيوس (athinog)
 ومورالون (Muzalon) نادوا قد غصوا وقتلوا على افامه فوخ من
 المعاشه او حسن الجوار مع العرب الغراء ، طالما تجزوا عن ردهم
 الامر الذي يتلخص في تحويل العديه التي كانوا يدفعونها الى
 الضريبة المنتظمة (٢١٠) . وهكذا فان القائد اوستانيوس الذي كان
 للامبراطور وافق على ان يدفع ضريبة قدرها ٢٢ (اثنين وعشرين) ألف
 ذهبية وذلك حوالي سنة ٩١٥ هـ / ٩١٦ م / ٣٠٣ / ٣٠٤ هـ . وهو ا
 الذي يحدده أمارى ، على أيام ابن قهره ، أو ما بين سنتي ٩١٧ - ١٨
 على عهد سالم ابن راشد ، كما يقترح ج . جاي (٢١١) . كما اضطر
 القائد اوستانيوس ، وهو البطريق : جان موزالون الى زياده الصرا
 لى يوصى بتعهداته المالية الى العرب ، الامر الذي أدى الى النوره
 وقتله فيما بين سنة ٩٢٠ م / ٣٠٨ هـ وسنة ٩٢٢ م / ٣١٠ هـ ، وهى الس
 التي كانت فيها بلاد اللومبارد وكالابريا مسرحا لجلوات اساطيل
 والمهدية .

وبناء على ذلك فلا بأس أن تكون سياسة شراء المسلم هذه
 استمرت على أيام سالم بن راشد ، الأمر الذي تؤيده الحملات التي كانت
 من المهدية مباشرة الى ايطاليا وأغلب الظن ان المهدى لم يكن ليستفيد

(٢٠٩) مخطوط كاريديج ، فى المكتبة الصغلية لأمارى ، ج ١ فصل ٢٧ . ص ٦٩
 . ١٧٠

(٢١٠) ج . جاي ، ايطاليا الجنوبية . . (بالفرنسية) ، ص ٢٠٢ .

(٢١١) والحقيقة ان ج . جاي ، مرصفاً فى ذلك ، يقترح لتلك المعاهدة سنة ٩١٧ .
 ٣٠٥ هـ اعتماداً على المزج اليونانى سكيليتس (Skylitzès) عند ناوله للحرب مع العرب
 التي دعت الى ذلك الاتعاى ، وان كان يرجح . تمنا لتتسلسل المنطقى للأحداث . سنة ٩٨
 ٣٠٦ هـ التالية ، أى بعد انتحام ريو ونهيبها ، حسب تاريخ صغلية بالنسبة الى تاريخ اله
 ج ١ ص ١٦٩ . انظر ج . جاي (J. Gay) ايطاليا المرمومة والامبراطورية السزاطية . . .
 باريس ، ١٩٠٤ ، ص ٢٠٢ - وفيما سبق ، ص ١٤٩ وهـ ١٩٧ .

أما عن السياسة التي اتبعها سالن في صقلية نفسها فقد هدفت الى تهدئة الأوضاع في الجانب المسيحي الرومى ، الذى كان قد تقوى بفضل الاضطرابات الداخلية . ولقد عقد سالن هدنة مع أهل طبرمين وسائر القلاع المجاورة لها على الشاطئ الشرقى للجزيرة ، وذلك في أواخر السنة التالية (ديسمبر ٩١٨ م / رجب ٣٠٦ هـ) . والظاهر أن الهدف من مهادنة بشارى الجزيرة كان تهيئة الظروف المناسبة لنقل الحرب الى الشاطئ الآخر فى جنوب إيطاليا . وإن كان ذلك لم يحدث - فى ضوء ما لدينا من الوثائق - إلا بعد ٥ (خمس) سنوات .

فلقد كانت مدينة (شنت أغاثى) (St. Agathe) المجاورة لثريو (جاي ، ص ٢٠٦) هدفا لغارة بحرية قامت بها (٢٠) عشرون مركبا من نوع الشينى ، بقيادة مسعود الفتى (الصقليى) ، اجتاحت المدينة وعادت الى المهديّة بالغنائم والسبى ، وذلك سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م (٢١٤) .

أما عن حملة سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م التي استهدفت أيضا عرو بلاد الروم والتي كانت قيادتها الى الحاجب ، الوزير ، جعفر بن عبيد ، فالظاهر أنها خرجت فى وقت غير مناسب من أواخر الصيف وبداية الحريف ، وذلك أن الأسطول الخلافى اكتفى بقضاء الشتاء فى صقلية وعاد - عندما تحسنت الأحوال الجوية - دون لقاء العدو (٢١٥) .

حملات على جنوب إيطاليا :

وعوضا عن تلك الحملة التي أجهضت لسبب أو لآخر ، كان جنوب إيطاليا هدفا فالحملة مزدوجة فى السنة التالية ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، من جانب

(٢٢٣) المكتبة الصقلية تاريخ صقلية حسب تاريخ أسالم ج ١ ص ١٦٩ .
(٢٢٤) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٨٨ ، ط . بيروت ص ٢٦٤ ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٦٩ حيث النص على أن شنت أغاثى هي مجموعة من القلاع ، وقارن ، ج . جاي ، إيطاليا الجنوبية ص ٢٠٦ - حيث الإشارة الى أنه اعتدوا من تلك السنة (٩٢٢ م) بدأ ظهور عصابات اللصوص فى كامباني ، ولكن الخطر الأعظم من ذلك كان يتمثل وقتئذ فى د حكام جدد للمسلمين هم صقلية البحر الأدرياتي ، الذى دخل كثير منهم فى خدمة المهدي (كخديتر يتربون فى كلب الخلافة قبل أن يصل بعضهم الى المراكز القيادية) .
(٢٢٥) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٨٩ ط . بيروت ، ص ٢٦٦ ، وقارن المكتبة الصقلية .
تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ - ١٧٠ - حيث النص على أن جعفرا الحاجب أخذ برعيانه ؟

أسطول صقلية بقيادة الأمير سالم بن راشد ، وأسطول المهدية بقيادة الحاجب (أبو أحمد) جعفر بن عبيد . ورغم ما توحى به رواية ابن الأثير من التسميق بين الأسطولين ، فمن الواضح أن كلا منهما سار في وجهة خاصة به . وبعد أن اتجه جيش بلرم إلى بلاد اللومبارد (أنكبردة) حيث تحقق فتح مدينتي : الب ، عيران ، وأبرجة ، وتم الحصول على مغنم وفيرة ، عاد جنوباً نحو كلابريا ومدينة « طارنت » التي حوصرت وفتحت عنوة في شهر رمضان / نوفمبر ، ومنها عرجت القوات الصقلية على مدينة « إدونت » التي حوصرت ولكنه لم يمكن اجنياحها ، فاكثفى بتخريب منازلها . وكان ذلك الفشل نذير سوء للحملة ، حيث عصفت الوباء بالرجال واضطهرهم إلى العودة من حيث أتوا (ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٥٩) .

اجتياح أوربة :

أما عن حملة أسطول المهدية بقيادة الحاجب جعفر ، فقد اتخذت مساراً آخر إذ نزلت قرب طارنت ، وحقت انتصارات كثيرة ، كان المعها : التقدم نحو مدينة أوربة (Oria) واجتياحها بعنف أسفر عن مقتل ٦ (ستة) آلاف رجل من محاربيها ، وسبى ١٠ (عشرة) آلاف من نساها . وكان من بين الأسرى بطريق بلدة محاورة دفع خمسة آلاف دينار كمدية عن نفسه واصلح عن مدينه . وكان على القائد الحاجب ، وهو في طريقه إلى صقلية ، عبر كلابريا أن يهادن أهلها ، على دفع « الجزية » من غير شك ، إذ أخذ منهم ومهنتين من أكبر أعيان الناس همما : « لاه » ، أسقف صقلية ووالى قلورية (كلابريا) . وذلك قبل أن يسير إلى صقلية ليصلح من شأنه ، ويخبر المهدي بانجازاته ، قبل الرجوع إلى المهدية في ٢٦ من ربيع الآخر ، ليقدّم الحساب عما حصل عليه من المغنم (٢٦٦) التي استقلها المهدي — رغم كثرتها

(٢٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٠ وط . بيروت ، ص ٢٦٧ (حيث الاسم وارى بدلاً من أوربة) ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، المكتبة الصقلية لأماري ، ج ١ ص ١٧٠ وقارن ج . جاي (J. Gay) ايضاً المصوبة ص ٢٠٧ — حيث الإشارة إلى أن أوربة (واري عند ابن عذارى ، وأوره في المكتبة الصقلية) كانت مدينة أهلة بالسكان فيها حالة يهودية كبره ، وأنه كان من بين الأسرى العالم اليهودي شعلاني الذي اقتدى بعد عدة أشهر في طارنت . ولا بأس أن يكون المقصود بالطريق قائد البلدة المحاورة ، كما في نص ابن عذارى هو ورئيس حي اليهود الذي صالح عن نفسه ومن مدينه ، وأن كان « جاي » يأخذ برواية أماري التي يرى فيها أن يكون صلح الطريق وبلدته هو صلح أوربة نفسها ، الذي صدق عليه المهدي بعد أن وعده الامبراطور رومان لسكان (Lécapène) بأن يدفع قائد كلابريا الضريبة بانتظام .

وارتفاع قيمتها - فبالان حاجبه القوائد لم يعطه من « الجمل الا اذنيه »
(ما سبق ص ١٢٠) - أما عن سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م . فنص رواية صقلية
حسب تاريخ العالم ، على أنه اى من قبل الحكومة المركزية بالمهدية ، شيخان
هما البيلزمى والقلشانى - بصحبه سالم ، وانهم جموا ضريبة من اهل
صقلية ، دون اشارة الى نوعها او مقدارها او سبب فرضها (٢١٧) .

حملات صابر الفتى :

ورغم الهدنة التى عقدت فى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، فسرعان ما يقوم
الى الفيروان ، وهو صابر الفتى « الصقلبى » ، المولى السابق لابن قره ب.
(ابن عذارى ، ط : بيروت ، ص ٢٦٩ - سنة ١١٤) بثلاث حملات دورية
يعزو فيها بلد الروم . جنوب ايطاليا . وأولى تلك الحملات ، وهى التى
قامت فى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، وحوت ٤٤ (اربعة وأربعين) مركبا ،
سارت الى صقلية ، وبعثها الى جنوب ايطاليا حيث فتحت عددا من المواضع
أحدها ربما كان « أوترنتوه » (Otrante) وذلك فى ١٧ أغسطس (٢١٨)
والحملة الثانية لصابر الفتى كانت فى السنة التالية ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ،
وهدفتها السواحل التيرانية من جنوب ايطاليا ، حيث هاجمت موضع الغيران
وقلعة الحسب ، واستولت على ما فيها ، قبل الرجف الى ساليرفو التى صالحه
أهلها على فدية من مال وديناج ، ثم الزحف الى نابولى حيث تم الصلح على
نفس الشروط (٢١٩) . وقبل العودة من صابر يكالابريا حيث عقدت معه
هدنة لمدة سنة واحدة - نظير مبلغ من المال من غير شك (٢٢٠) . وفى حملة

٠ (٢١٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ ص ١٧٠ .

(٢١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٠ ط . بيروت ، ص ٢٢٠ . وقارن ، المكتبة الصقلية ،
تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٧٠ - حيث تحديد التاريخ وقراءة صابر من شكل
صاين ، وهو ما أخذ به ج . حارى الذى جعل عدد المراكب ٥٠ (خمس) ، وانها حاصرت
طارت واصبحت وقتلت حروا من الحامية ، وأرسلت الباقي الى اوبىقة ، وذلك قبل مهاجمة
أوترنتوه ، وان العرب انسحبوا عندما حل بهم الوباء - ايطاليا الجنوبية ، ولاسراطورية
البيزنطية . ص ٢٠٨ .

(٢١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ ، ط . بيروت ، ص ٢٧٣ ، وقارن المكتبة الصقلية ،
تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ج ١ ص ٨٧٠ - حيث الاشارة الى عود الصقلبى (صابر)
الى لانكريد (لومارديا) حيث أخذ سبيل كتيرو ، ولم يحكم على مدسة ، وقارن ، ج . حارى
حرب ايطاليا ، ص ٢٠٨ .

(٢٢٠) المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية . ج ١ ص ١٧٠ . وانظر ، ج . حارى ،
ايطاليا الحربية ، ص ٢١٨ - حيث النص على ان فرض الصرايب كان على ساليرفو ونابولى .

صابر الثالث في السنة التالية (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) ، والتي كانت أشبه بغارة صغيرة تقوم بها ٤ (أربعة) مراكب ، مما جعل ج . جاي يصف والى اقيروان الصنلبي بالفرسان . على ما نظن ، تقدم صابر الى البحر الأدرياتي ونجح بمراكبه الاربعة في هزيمة مراكب الروم السبعة التي كان يقودها حاكم كلابريا القائد الذي يحمل لقب سرد غوس (Stratège) ، لكي يتوغل بعد ذلك الى ما وراء جرجانتو (Garganto) ويقتحم مدينة ترمولة (Termoli) التي أخذ منها الكثير من السبي ثم عاد الى المهديّة (٢٢١) .

جباية الضرائب في صقلية :

اما أهم أحداث صقلية على أواخر أيام المهدي ، فيذكر منها صاحب تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ما وقع على كاهل أهل الجزيرة ، سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، من الضرائب الثقيلة . حيث قدم من المهديّة شيخان ، مثلما حدث في سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (ما سبق ، ص ١٥٨) هما : ابن سلعة وابن الدية ، وقام سالم بن راشد باصطحابها في جولة جمعا فيها مالا كثيرا ، أرهق الناس من غير شك ، وأثار شكواهم . وهو ما يظهر في السنة التالية (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) عند عودة الجابيين الى أفريقية ، حيث النص على أن أمير المؤمنين (المهدي) سخط عليهما (٢٢٢) ، تماما كما كان يحدث من قبل في برقة وغيرها (ما سبق ص ١١٨) . وهذا ما تختم به الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم ، قبل وفاة المهدي في سنة ٦٤٤٢ من تاريخ العالم ، الموافق ٣ مارس (٩٣٤ م / ١٢ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ) التي وصل خبرها الى صقلية في ٢٥ أغسطس مع اعلان خلافة ابنه أبي القاسم بعده (٢٢٣) .

والهم في تاريخ صقلية وجنوب إيطاليا على عهد القائم انه بدأ قوبا بحملة ناجحة خرجت من دار الخلافة ، في نفس سنة ولايته : ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، الى مدينة حيرة فاجتاحها ، فكانت بمثابة هدية عزيزة على قلوب رعيتة يقدمها بمناسبة عيد جلوسه .

(٢٢١) ابن عداري ، ج ١ ص ١٩٣ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٥ ، وقارن المكتبة الصقلية ،

ج ١ ص ١٧٠ حيث يقدر عدد السايّا ب ١٢ (اثني عشر) ألفا .

(٢٢٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٠ .

(٢٢٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ٧٠ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر :

- القسائم (أبو القاسم محمد : ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م)
- المنصور (أبو الطاهر اسماعيل : ٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م)
- المعز (أبو تميم محمد : ٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٢ م)

تمهيد :

توفي المهدي في منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٩٣٤ م (١) بعد خلافة ناهزت ربع قرن قضاها في تكثير الأولياء بشهر المذهب ، والقضاء على الأعداء بحشد الجيوش واثقا الأموال ، وعلى الحملة باستخدام سياسة الترغيب والترهيب ، الأمر الذي انتهى بتوطيد أركان دولة الفاطميين الشرفاء في كل أرجاء المغرب ، مع طرق أبواب كل من مصر وإيطاليا ، عن طريق

(١) هذا ما يتفق عليه معظم الكتاب باستثناء رواية القاضي الفاضل في افتتاح الدعوة (ص ٣٢٩) حيث تاريخ الوفاة ١٠ من جمادى الثاني / ٢٩ مايو ٩٣٤ م . ومع اننا لا نعارض محقق الكتاب فيما يراه من أن هذا هو التاريخ المضبوط (مكانة النص . صفته أحد كبار رجال الدولة ، إذ قضى ٩ (تسع) سنوات في خدمة الهدية (المجالرو والمسايرات ص ٧ وما بعدها) قبل أن يدخل في خدمة القسائم ثم المنصور والمز إلى وفاته سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م بالقاهرة . فابننا بفضل الانتماء على التوقيت الدارج إلى أن نتأكد صحة الرواية الواحدة أن كانت صحيحة ، إلا إذا كانت الروايتان صحيحتين بمعنى أنه كانت للقسائم الذي تبيع في نفس اليوم الذي مات فيه والده ، ببعثان . أولاها سرية خاصة ، والأخرى عليية عامة ، خاصة وأن بعض الروايات تشير إلى أنه كتّم وفاة والده لبعض الوقت . والداعي أندريس (الميوني والحدائق ، ص ٧٧) ينص على أنه كتّم خبر وفاته لمدة ١٠٠ يوم ، وأنه أظهرها في ٢٥ من جمادى الآخر ، وهو ما يقترب من ٩٧ جمادى الآخر في افتتاح الدعوة ولا بأس أن يكون أصلا له . أما الرواية الثابتة فهي لابن الأثير (ج ٨ ص ٢٨٤) وتقول أنه أخفى وفاة المهدي مدة ستة لتدبير كان له (الخوف من اختلاف الناس) ، وأنه عندما أعلن ذلك كان قد تمكن .

برقة وصديقه . وهكذا كانت خلافة المهدي بمثابة عهد التأسيس وارساء العواعد . بعد عهد السهيد والمطاوله على أيدي الداعى ، وكان المنتظر ان يبدع عهد انتشيسيد وارتفاع الصرح بوصول ابي القاسم القائم ، ساعد المهدي لايمان وشريكه فى الحكم ، الى عرش الامامة . واذا كانت ولاية ابي القاسم قد بدأت قوية ، سنة ١٢٢٢هـ / ١٩٣٤م بغارة كبرى على جنوة كانت لها أصدادها المدوية فى كل من المشرق الاسلامى وأوروبا المسيحية (انظر فيما بعد ص ٢٥٦) فان الأحداث لم تلبث أن تغير مسارها بعد فترة وجيزة ، فى صقلية حيث اشتعلت بران الفتنة بين أهلها من عرب وبربر ، الأمر الذى أشتت شري فى المغرب بعد عشر سنوات عندما انفجرت الثورة الزناقية الكبرى تحت رايات ابي يزيد ، صاحب الحمار ، ودمغت العهد بطابعها فجعلته عهد الفسة العامة والحرب الأهلية ، كما نشرت ظلالها القائمة على بقية العصر الفاطمى فى المغرب ، فجعلته عهد المتأسى والمعاناة - عهد الأثرة بالنسبة للحكام والمحكومين على السواء . وهكذا كان الانفصال الذى تم على عهد المعز بانتقال الامامة من القيروان الى المصططاط حتمية تاريخية بدأت منذ سعى المهدي الى طرق أبواب مصر أكثر من مرة . ومن الواضح ان حين العودة الى المشرق بدأ منذ عبور قافلة عبيد الله حدود مصر الى برقة ، وأخذ يأخذ شكل الهاجس الملح على طول الطريق حتى سجل مأساة . فهذا ما عمرت عنه أحاسيسه عندما وصل الى القيروان وارتاح الى مشاهدة رقبه أهلها أصحاب الحصارة والسدن ، الذين ذكروه بأهل مدائن المشرق ، على عكس حفاة طواعن البربر ، - حسب الاصطلاح الحاسونى - الذى عرفهم فى بوادى المغرب (٢) .

القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥م) :

ولايته :

أعلنت خلافة ابي القاسم محمد ابن عبيد الله المهدي (٣) بالبيعة له فى

(٢) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٢ .

(٣) هنا لا نأس من الاكثارة الى الجدل حول حقيقة العلاقة بين عبيد الله المهدي وبين اسمه ابي القاسم محمد القائم ، إذ يرى بعض الكتاب أنها علاقة أثرة روحية ، بمعنى ان ابا القاسم هو صاحب الحق الشرعى فى الامامة ، وأنه من هذا الوجه امام « مستقر » سما المهدي امام (مستودع) كما هو الحال بين الحسن والحسين - حسب المصطلح الشيعى - انظر المحلى وسائر اراء للقاضى النعمان ، ص ٢٦ حيث النص : « سلم الإمام المهدي بالله الى ولده القائم رتبته وأدى اليه ودينته وأمانته وأظهر العيبة » (عن زهر المغانى ، ص ٢٩٢) .

نفس اليوم الذي مات فيه (بوه الهندي : ١٥ ربيع الأول ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٦٢٥ م - وتقب بالقبام بأمر الله وهو يومئذ في مطلع العقد الخامس ، عقد الرجولة المترنة^(٤) - ومن أواصح أنه كذب لصيقه بوالده أثناء ولايته للعهد ، دون أخوته الخمسة الذين لا تعرف غير أسمائهم عند ابن حمادة^(٥) (ص ٧٩) ، باستثناء أحدهم ، وهو أحمد الذي دار ذكره على الألسن في بعض الأحيان . كما عمن يحمل لأبي القاسم في ولاية العهد (مات سبق ، ص ١٠٩ و ١١٣) (٦) .

صفاته :

وهنا لا بأس من الإشارة إلى أن علاقة القبام بأبيه اسماعيل المنصور ، لم تكن على ما يرام فهد ، كما يفهم من روايته النعمان التي تنص على أن القبام كنم تعيينه للمنصور وليا للعهد أكثر من ١٠ (عشر) سنوات^(٧) أو الرواية الأخرى التي تقول أن القبام فكر في صرف الخلافة إلى المعر تباشرة بدلا من المنصور والده^(٨) . ومن المعروف أنه كان الأمير « المشير » على عهد والده ، حيث آلت إليه قيادة الجيوش إلى ميادين القتال في إفريقية والمغرب ، كما كانت له قيادة الحملات الموجهة إلى مصر ، مما سبق ذكره . فهو من هذا الوجه مثاصل شجاع على عكس ما ينسبه إليه النعمان من التقص في الحزم وعدم الميل إلى الفزوة^(٩) ، الأمر الذي يعبر عن موقفه السلبي - في بعض الأحيان - من ثورة أبي يزيد (انظر فيما بعد ، ص ١٨١ و ٥٦) . والحقيقة أنه لا بأس أن يكون القبام قد جمع في شخصه بعض النقائص ، من : مركبات التقص أو عقد النفس أو الشعور بالذنب أو الاكتئاب النفسي . مما هو من موضوعات علم النفس . فالرحل الذي كاثب الحرب هماغه ، وميادين القتال مسرح مشاهداته ، لم يطلق صرا على فراق والده ، فأظهر

(٢) انظر ابن حمادة ، ص ٢٦ - حيث العدد ٧ والأسماء ٦ فقط ، وابن عدي ، ص ٢٩٥ (دون ذكر أسمائهم) .
(٥) انظر ابن عدي ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٢ - حيث النص على أنه كان من أسباب عدم لقاء أبي القاسم القبام بالثائر الرقائي محمد بن حرد بلاد الراب ، وعودته إلى المهدي ، ورود كتاب من قبل أبي القاسم يعينه أن الناس تحدثوا بمباينة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بـ علي . وأنه (أحمد) حمل بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى - وانظر سيرة جرد ، ص ١٠٥ - حيث الإشارة إلى أحمد بن المهدي وتشجيعه على الإمام المعز وعلى جرد .
(٦) المجلس والمسايرات ، ص ٤٤٨ - الأمر الذي أثار امتعاض المنصور وتعبه ، كما في ص ٤٤٨ .

(٧) المجلس والمسايرات ، ص ٤٦٩ .

(٨) المجلس والمسايرات ، ص ٢٢ .

من الحزن عليه ما لا يعهد لمثلته ، وواصل الحزن لفقدته ، وأدامه من بعده ، (١) .
وهنا لا بأس أن يكون ذلك الحزن العميق على الوالد القدوة ، وما سبقه
من ذكريات الملاحم المروعة قد أصابته بنوع من الصدمة النفسية ، مما كان
يلزم بالزهاد والمنصوفه فنحولهم الى حياة التأمل الروحية ، والانقطاع عن
الأعراض الدنيوية ، الأمر الذي أكدته بعد ذلك ردود فعل الثورة الزناتية .
وهكذا ما ركب (القوائم) داية من باب قصره منذ مات أبوه الى أن قبض
سوى مرتين « كما » لم يركب طول أمارنه بمظلة (فازه) (ابن عذارى ،
ج ١ ص ٥٩٥) .

ولا بأن أن يكون ذلك نوعا من الاحتساب والنهي عن المنكر ، الأمر
الذي دعاه الى اتباع سياسة دينية متشددة كانت من أسباب معاناته فيما
عرض له من الاضطرابات وأعمال العصيان والثورات . فرغم النص على أن
القائم سار على نفس السياسة التي رسمها والده ، فهناك رواية لابن حمادة
ينقلها ابن عذارى تنص على أن أبا القاسم الشيعي « لما مات أبوه عبيد الله
أظهر مذهبه ، وأمر بسب (الصحابة) وغير ذلك من تكذيب كتاب الله
تعالى ، فمن تكلم عذب وقتل واشتد الأمر على المسلمين (١٠) . ومع أن
النص يظهر القوائم وكأنه المسئول عن التطرف الذي لحق بالمذهب العاطمي ،
فالحقيقة أن النص وضع ليكون مقدمة طبيعية لتبريره ثورة أبي يزيد الزناتي
سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ، التي تكاد تشغل - عند الكتاب - كل عهد القوائم
وتغطي على غيرها من الأحداث ، رغم أنها لا تحتل ، زمنيا ، من عهد القوائم
الذي يزيد على اثني عشر عاما الا حوالى ثلاث سنوات فقط (٣٣٢ - ٣٣٥ هـ /
٩٤٣ - ٩٤٦ م) (١١) .

وهكذا اتخذ عهد القوائم طابعا حريبا ، فلا يكون من الغريب أن يبدأ

(٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٥ ، وقارن النعمان ، افتتاح الدعوة ،
ص ٢٣١ - وهو مصدر ابن عذارى - حيث إضافة انه « اذن في اليكاه عليه » .
(١٠) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ ، وانظر ابن حمادة ، أخبار بني عبد ،
تحقيق حمود البدوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - ٢٧ ، حيث وفاة المهدي وكتابتها . . .
ص ٢٩ - حيث ولاية القوائم دون إشارة الى رواية ابن عذارى .

(١١) انظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ - حيث تكتمل رواية ابن حمادة
عن معالة القوائم من المذهب بالنص على صيوط أبي يزيد من جيل أوراس يدعو الى الحق
بزعمة ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فربوا فيه الخير والقيام بالسنة ، فخرج على الشيعة .

ولايته بإصدار الأوامر إلى « عماله في سائر البلدان لعمل السلاح وجميع الآلات الحربية » (ابن عساري ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦) ، وأن لا يظهر خلال العشر سنوات الأولى من ملكه إلا بعض الأحداث الأخرى التي لا تشغل - عند المؤرخين - إلا حيرا ضئيلا .

الأحوال الداخلية :

الكاتب والحاجب :

والحقيقة أن القوائم اقتضى أثر والده في سياسته ، وهذا ما يظهر في إقرار أبي جعفر البغدادي على أبريس (أي المحابر) والكتابة (الاتصالات الخطبة والرسائل من داخلية وخارجية) ، إلى جانب تفويضه في كثير من أمور المملكة (١٢) بمعنى أن يمارس الرجل سلطات رجل الدولة الأول - وهو الحاجب الذي كان يقوم حينئذ مقام الوزير - أما عن حاجبه - « جعفر بن علي » مولى المهدي وحاجب المنصور أيضا (عيون الأخبار للداعي ، ص ١٩٤) ، « فالواضح أنه يأتي بعد أبي جعفر ، ولم يشاركه سلطاته ، وإن كان يقيم صلاة الجمعة في المسجد الجامع ، الأمر الذي قد يعنى أنه كان كبير الدعاة (١٣) » .

ثورة ابن طالوت بطرابلس :

أما أول الثورات التي يسجلها الكتاب في بداية عهد القائم (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) فكانت في الأقاليم الشرقية ، وهي ثورة ابن طالوت القرشي في منطقة طرابلس . وتأخذ هذه الثورة أهميتها من طابعها المذهبي ذي الشكل الشيعي . إذ ادعى الرجل أنه المهدي حقيقة ، ونجح في اقناع أهل الناحية من السرير بذلك فساروا معه نحو مدينة طرابلس ، ولكنهم فشلوا في قتالها ، الأمر الذي شكك في صحة دعوى الرجل ، فثاروا عليه وقتلوه ، وبعثوا

(١٢) ابن عساري ، ط - بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن ما سبق ، ص ١٣٩

ص ١٢٣ .

(١٣) هذا ما يظهر من النص على أن إقرار أبي جعفر البغدادي في وظيفته كان من أول الأعمال التي قام بها القائم (ابن عساري ، ص ٢٩٦) رغم ورود اسم جعفر بن علي كحاجب قبل ذلك مع أن أبي التيهال كواحد من قصاته (ابن عساري ، ص ٢٩٥) - وهو من قضاة المهدي (ما سبق ، ص ١٦٩ و ١٣٤) - وتأكد ذلك بما ينص عليه الداعي إدريس (عيون الأخبار ، ص ١٩٤) ، من أن جعفر بن علي كان ما ذاك حاجبا ، يقيم الجمعة في المسجد الجامع إلى ما بعد العصر على أبي يزيد سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

برأيه إلى القوائم (١٤) . والظاهر أن الأمور كانت قد استقرت في الأقاليم الشرقية حتى أن القوائم بعث في السنة الثانية (٢٢٣هـ / ٩٣٥م) عسكريا له بركة بقيادة فتاه زيدان ، وكان عليه أن يتقوى ببعض عساكر كتامة هناك ، ويتجه نحو الاسكندرية ، وسكنهم انهرموا أمام قوات محمد الأحشيدي (١٥) .

الصراع من أجل المغرب :

أما عن الأوضاع في الأقاليم الغربية فقد كانت قلقه بالسبب لعدم انقائهم ، إذ تظهر من الأسباب التي أملت حالة الاستعداد الحربية ، وخروج ميسور الفتي إلى المغرب في بدء ولاية القوائم سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ، حيث وقع المغرب الأقصى من فاس إلى ما وراءها من سبنة وطنجة ، إلى بلاد ملوية ، تحت الهيمنة الناصرية في قرطبة ، بفضل الأعوان من موسى بن أبي العافية إلى الشرفاء الأدارسة . ورغم تداخل الأحداث بتشكيل آثار الاضطراب في التصور المشاهدة من : أبي الأثير إلى ابن عداري إلى ابن خلدون ، الأمر الذي يدعو حقا إلى إعادة النظر في تحقيقها بأسلوب علمي ، فإنه يمكن ترتيب الأحداث على الوجه الآتي : خرجت حملة ميسور الكبيرة وهي تهدف إلى استرجاع فاس ، حيث أحمد بن بكر الجذامي ، عامل موسى بن أبي العافية أو حليفه ، واعادتها إلى الطاعة . والظاهر أن موسى الذي أخذ بالحشد الفاطمي الرهيب تنحى عن طريق ميسور ، وذهب ليعتصم ببعض قلاع في حصن « لكاي » بسقلة في منطقة تسول (١٦) وواصل ميسور المسيرة إلى فاس لكي يخرج له أحمد بن بكر ملاطفا بالهدايا والمال ، تعبيرا عن الطاعة ، ولكن ميسورا غدر به ، فقبض عليه وسيره إلى المهدي (١٧) .

(١٤) السار . اجتماع الدعوة ، ص ٣٣٢ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ (حيث النص على أنه ابن المهدي وليس المهدي نفسه ، وكذلك الأمر في ابن عداري ، ط : بيروت . ج ١ ص ٢٩٥ .

(١٥) ابن عداري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٥ . حيث النص على أن المراد بالفتح في اللغة على تلك الحملة .

(١٦) ابن خلدون ، العر ، ج ٦ ص ١٣٥ ، وانظر الترطاس ، ص ٨٦ - حيث يرحل ابن أبي العافية بعد حصار فاس ، وقارن ابن عداري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، حيث تلخص الأحداث بطريقة محلة ، تجعلها تبدأ بهزيمة ابن أبي العافية قرب فاس وأخذ ابنه أسيرا ما حدث فيما بعد .

(١٧) ابن عداري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، قارن الترطاس ، ص ٨٥ . حيث النص على أن ابن أبي بكر خرج لميسور مائبا مع هدية ومال حبيب .

محاولة استرجاع فاس :

والنهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اد اختاروا واليا مكانه ، هو : حسن بن فاسم اللواتي ، وتمكنوا من انصمود أمام الحصار الذي صربه عليهم ميسور مدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وغابت اخبار الفتح لمدة طويلة عن المهدية ارسل القائم المدد الى ميسور بقيادة صندل اعنى الأسود الذى كان عليه ان يريل بعوذ قرطبة الاموى عن اماره نكور ، ويرجعها الى الاخرى الى طاعة المهدية التى كان قد خرج منها فى جمادى الثانى سنة ٣٢٣ هـ / مايو ٩٣٥ م . وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بنى صالح الخروج اليه مكنيا بإعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكري » بعد أن قتل رسله ، الأمر الذى دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة فى قتال رهيب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب ، واكتفى صندل بتعيين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامى : مرمازوا ، لكن يسرع باللاحاق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهزها أحد أمراء بنى صالح ، وهو موسى بن رومى ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل والى الكتامى مرمازوا . الذى بحثوا برأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكتمى بقول الاعتراف بسيادة القائم ، مع دفع فدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن اللواتي فى ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقاء موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البورى » وسيره الى المهدية .

تأديب نكور والتحالف مع الإدارة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم فى طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسبكان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبى النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشفول

(١٨) ابن عسارى ، ط ٢ : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) البكرى ، ص ٩٨ .

(٢٠) اسطر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ - حيث النصر على ابن حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (نكور - خطأ) .

(٢١) البكرى ، ص ١٥٥ .

محاولة استرجاع فاس :

والهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اذ احناروا واليا مكانه . هو : حسن بن قاسم النواتي ، وتحكنا من الصمود أمام الحصار الذي ضربه عليهم ميسور مدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وعابت اجبار الفصح لمدة طويلة عن المهدية ارسل القائم المدد الى ميسور بقيادة صندل الفنى الاسود الذى كان عليه ان يزيل نفوذ قرطبة الاموى عن اماره نكور ، ويرجعها الى الاخرى الى طاعة المهدية التى كان قد خرج منها في جمادى الثاني سنة ٣٢٢هـ / مايو ٩٣٥م : وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بنى صالح الخروج اليه مكتفيا بإعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكري » بعد أن قتل رسوله ، الأمر الذى دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة في قتال رهيب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب . واكتفى صندل بتعيين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامي : مرمازوا ، لكى يسرع بالحق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهزها أحد أمراء بنى صالح ، وهو موسى بن رومي ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل الوالى الكتامي مرمازوا ، الذى بعثوا يرأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقتحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكتمى بقبول الاعتراف بسيادة القائم ، مع دفع فدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن النواتي فى ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقاء موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البورى » وسيره الى المهدية .

تأديب نكور والتحالف مع الإدارة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم فى طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسكبان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبى النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشقول

(١٨) ابن خلدون ، ط ١ : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) البكري ، ص ٩٨ .

(٢٠) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ - حيث النص على ان حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (تكرور - شط) .

(٢١) البكري ، ص ١٥٥ .

حيث خلع أدريس بن إبراهيم ، وجعل مكانه في الإمارة أبا العيش بن عيسى (٢٢) . وهناك استعان بالأدارة في النخلص ، بشكل مؤقت من موسى بن أبي العافية وأتباعه الداخلين معه في طاعة الامويين بالاندلس ، قطرده من نواحي ملوية ووطاء الى ما وراءها من الصحراء (٢٣) ثم انه أسرع في العودة الى المهدي التي وصلها في سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م وبذلك دخل للأدارة في طاعة القائم ، وتملكوا ، كان بيد موسى (٢٤) . وان كان ذلك الى حين .

الغلاقل في الزاب وأوراس :

ومن هذا الوقت (٣٢٤هـ / ٣٥ - ٩٣٦م) عانت بلاد الزاب من بعض الغلاقل التي دفعت على بن حمدون المعروف بابن الأندلسي ، الى تخريبه مدينة المسيية التي كان قد بناها بأمر القائم ، سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، كما تقول الرواية ، والتي كانت تعرف عند الشيعة باسم المحمدية ، نسبة اليه (٢٥) . والظاهر ان ذلك التحريب كان شكليا فهدم ببيت مدينة المسيية مقرا لمعمر بن علي بن حمدون ، الذي كان له شأن كبير فيها ، بعد والده الذي هلك في ثورة أبي يزيد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ، حيث كانت له الرئاسة في كل بلاد الزاب حتى سنة ٣٦٠هـ / ٧٠ - ٩٧١م ، على عهد المعز (٢٦) .

والحقيقة أن سيطرة القائم على الأقاليم الغربية من الدولة ، اعتبارا من الزاب وأوراس الى المغرب البعيد ، بدأت تخف تدريجيا مع ازدياد قوة خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) الذي كان ملاذا لكل الخارجين على الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ابتداء من البرغواطيين المصامدة وتادلاوتامستنا الى موسى بن أبي العافية المكتاسي . وانتهى بأبي يزيد الزناتي الذي كان قد بدأ يظهر منذ الآن في أوراس وقسطنطينية (الجريد) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٦٢٥ ، الفطاس ، ص ٨٥ ، وقارن ابن عذاري ، ط ٤ بيروت ، ج ١ ص ٢٩٧ الذي يبدأ الأحداث بعزيمة موسى بن أبي العافية في حيز فاس وأسر الله .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٢٥) ابن عذاري ، ط ٤ : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

(٢٦) ابن عذاري ، ط ٤ : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٦ .

موسى بن أبى العافية رجل الامويين في فاس ضد الإدارة :

موسى بن أبى العافية ، بعد النشوء الذى خلفت به على بنى ميسور ، وفراذه الى زمان الفجار ، عاد الى فاس فملكها بعدوتها ، واحتفظ بنفسه بعدوة القرويين ، وولى على عدوة الأندلس ابا يوسف محارب الأزدى الذى كان به افضل فى محاسنها وسدورها . وراى موسى فى توثيق علاقته بالناصر قراسمه يطلب منه المعونة فى مواجهة الإدارة (من بنى محمد) فى تلمسان . فعلا بم التنسيق بينهما فأرسل الناصر مددا من أسطوله اتجه نحو تلمسان بينما سار ابن أبى العافية اليها فى البر . ولم يستطيع الأمير الإدريسي ابو العيش مواجهة القوتين المتحالفتين ، فعز الى قاعدته أرشقول واعصم بها ، بينما سار موسى الى تكور التى كان قد استولى عليها أبو العيش فاستردها . وهكذا عظم شأن ابن أبى العافية حتى اتصفت بلاده بلاد محمد بن خزر (فى الزاب) . وبذلك ارتفعت الرايات الناصرية الأندلسية فى معظم بلاد المغرب بفضل دعاية الزعيمين المغربيين (البربريين) ، وخاصة موسى بن أبى العافية الذى أرسل ابنه مدين الى قرطبة ، زيادة فى تأكيد رابطة الخلف والولاء للناصر (٢٧) .

سجلماسة الصفرية والمذهب المالكي :

أما عن صحراوات المغرب الجنسوية وسجلماسة التى توفى أميرها المعز بن محمد سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٣ م قبيل وفاة المهدي ، فانها ظلت بين أيدي أمرائها من بنى واسول . فقد خلف المعز ابنه أبو المنتصر الصغير ، الذى كان تحت وصاية جدته ، والذي لم يقدر له النقاء فى ولايته ، حيث تضاعفت الظروف ضده . من : شغب الفاطميين عليه بسبب انتمائه الى حزب موسى بن أبى العافية وبعده الى معسكر أبى يزيد ، الأمر الذى انتهى بأن قام

(٢٧) انظر ابن سلدون - ج ٦ ص ١٤٦ . وانظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٤ - حيث انص على ان الناصر الاموى عقد له على أعمال أسه ثم انه اقتسمها مع أخويه . البورى وأبى منقذ . ولقد أجاز البورى الى الناصر بالأندلس سنة ٣٣٥ هـ حيث عقد له على بلاده . وكان وفاة البورى سنة ٣٤٥ هـ أثناء حصاره لأخيه مدين بمدينة فاس . عقد الناصر لانه منصور على عمه . وعندما توفى مدين ، عقد الناصر لأخيه أبى منقذ على عمله . ثم غلبت معاداة على فاس وأعمالها واستمع أمراءهم بالمغرب ، وأزالوا مكتاسة من ضواحيه وأعماله . وأجاز اسماعيل بن البورى ، ومحمد بن عبد الله بن مدين الى الأندلس فملوها الى أن أجازوا مع واتهم أمام المنصور بن أبى عامر عندما خرج زيري بن عطية عن طاعتهم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م .

عليه ابن عمه محمد بن الفتح الذي ترك المذهب الصفري لكي يتحسّل في المذهب السني المالكي ، وبالتالي الدخول في طاعة خلافة بغداد الشرعية ، وإن كان قد تسمى بأمر المؤمنين واتخذ اللقب الخلفي « الشاكر لله » سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٢٨) .

أبو يزيد مغلد بن كيداد والثورة البربرية بقيادة زناته :

ذلك كانت خريطة المغرب السياسية على عهد أبي القاسم محمد القائم بأمر الله ، وهي تبين ان البلاد لم نصف تماما لدعوة العاطميين ، رغم المجهودات المضنية التي قام بها الداعي والنتائج الاعجازية التي حققها ، ومن بعده المهدي ثم القائم . فالتزعّات البربرية الاستقلالية او الانفصالية كانت في كل مكان ، من برقة شرقا ، وكانت تابعة من قبل لخلافة بغداد ، الى سبتة وطنجة وبلاد برغواطة في نادلا ونامسا الواقع تحت هيمنة قرطبة الناصرية - وهكذا تدعم هاجس المهديّة المتمثل في الخوف من البربر الغاربة على أسرة المهديين المشاركة برهبة مزدوجة من قبل اعباسيين في المشرق والأمويين في أقصى المغرب والأندلس ، وكان كل من الطرفين أشبه يقظ جدب شديد مضاد للطرف الآخر ، الأمر الذي يفسر ذلك التمزق الواضح في الخريطة السياسية للبلاد . وإلى جانب ذلك جاءت السياسة المالية المتعسفة ، والحياة الاديوية الصعبة لكي تزيد في سوء الأحوال العامة ، وتخلق ذلك الوضع الذي أطلق عليه البعض اسم « الأزمة العاطمية » ، والذي تعجّر في الثورة باسم السنة ورفض التشيع ، وهو ما نادى به أبو يزيد صاحب الحمار .

أبو-يزيد : شخصيته وتكوينه على يد أبي عمارة الأعمى :

أبو يزيد « صاحب الحمار » هو مغلد بن كيداد الزناتي اليفرنى (٢٩) ، وأصله من قسطنطينية من بلاد الجريد حيث مضارب (قيطون) زناته هناك . أما عن مسقط رأسه فهو مدينة كوكو السودانية المشهورة التي كان والده

(٢٨) الكرى ، ص ١٥١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ .

(٢٩) انظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ص ١١٣ - حيث النص على أنه من بني وازكو من بطون يفرن بن حانا (زناتا) ، الجد الحادي عشر لمغلد حسب سلسلة النسب التي يذكرها ابن خلدون مع الإشارة الى أنه يمكن أن يكون من بني واسين بن سبك بن حانا ، كما في الرقيق -

يتردد عليها للتجارة ، بينما كانت أمه جارية هواريه اسمها سيكة (٣٠) .
 وقد شب أبو يزيد الذي عاد والده به صغيراً إلى مضارب رناته بقسطينية ،
 هي مدينة توزر التي استقر فيها والده مع التردد على مدينة تقيوس - وهكذا
 تعلم مغلدة القرآن وتأديب بكل من توزر وتقيوس ، حيث كان ينتشر مذهب
 الخوارج الإباضية الذين ينتمون أصلاً إلى إمارة تاهرت . وهناك حالط
 جماعه النكارية وأخذ بمذهبهم وهو مذهب المنشقين على الأئمة الرستمين ،
 الداعين إلى تطبيق مبدأ الشورى أى الاختيار والمساواة فى انتخاب الإمام
 (انظر فيما سبق ج ١ ص ٣١٥ وما بعدها) - ومع شغفه بالمذهب ورغبته
 فى الاستزادة من العلم به سار إلى تاهرت حيث تفقه على المشايخ هناك ،
 ومنهم أبو عبيدة (عبد الحميد) بن عمار الأعمى ، فى الوقت الذى كان يعلم
 الصبيان ، وذلك فى الوقت الذى كانت تسقط فيه تاهرت بين يدي الداعي
 أبي عبد الله ، وهو فى طريقه إلى استنقاذ المهدي بسجلماسة حوالي سنة
 ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م (٣١) . وهكذا كان على أبي يزيد أن يرجع محسوراً إلى
 بلدة قسطينية التي صارت ملجأً للوافدين عليها من أبناء المذهب الخارجيين
 من تاهرت . ومنهم شبح المذهب أبو عمار الأعمى الذى ربط مصيره منذ
 الحين بمصير أبي يزيد . وهنا نشير إلى أنه لما كان أبو يزيد يوصف بالعرج
 والقصر وقبح المنظر جميعاً ، وكان أبو عمار يعانى من فقد بصره فلا بأس
 أن تكون ثمة علاقة بين عامة كل من الرجلين ، هي التي ربطت بينهما منذ
 هذا الوقت المبكر ، واستمرت إلى أن أصبح الأعمى مطراً للمذهب
 ومستشاراً للقائد الأعرج ، حتى انتهى الأمر بهلاك المعوقين ، وهما يفاضلان
 جنباً إلى جنب ، وسط الحصر والضيق ، فى شعاب قمم الجبال الشاهقة .
 فقتل المنظر (الأيدولوج) بينما أخذ القائد (الأمير) فى دمقه الأخير .

الاحتساب :

والهم أن والد أبي يزيد القاهر توفي وتركه فقيراً من غير مال ، إذ
 أنه اشغل بتعليم الصبيان القرآن فى مضارب (قيطون) الزناتية ، إلى

(٣٠) عن كوكوا انظر الاستقصار ، ص ١٦١ ، وعن سبكه أم مغلدة التي صارت أم ولد
 بعد انحلالها لمخلد بمعنى انها كانت جارية (مملوكة) حسب رواية ابن خلدون (ج ٧
 ص ١٣) ، الأمر الذى يعنى انها كانت سودانية أصلاً ، هوارية حسب رواية ابن الأثير ،
 ج ٨ ص ٤٢٢ ، بالولاء ، على ما نظن .

(٣١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

جانب تعاليم النكارية ، وكان ينبغي من فضل مالهم (ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣) . وكان التعليم وفشده من أعمال الورع والنقوى التى تؤدى احتسابا ، فكأنها من أعمال الأمر بالمعروف . والحقيقة أن أبا يزيد قام فعلا كآمر بالمعروف ناه عن المنكر ، من وجهة النظر الاباضية النكارية ، اذ اشتهر عنه تكفير المخالفين لمذهبه من المسلمين بعمامة ، وتخصيص الشيعة الفاطمية بذلك ، اذ كان يرد على سيهم الصحابة بسب الامام على (٣٦) . والظاهر أن احتساب أبى يزيد لقي استحسانا من الناس ، الأمر الذى أدى الى بحسن احواله المعاشية . فعندما نشأ المسئولون الى نشاطه المعادى للدولة . انتقل الى سيوس حيث اشترى صيغه . واقام يعلم فيها (٣٧) ، وهو يأمر بالمعروف ، ويخص بذلك حياة الضرائب . ويدعو الى الخروج على السلطات حتى ثار اهل تقيوس بوالهيم فقتلوه . وعندئذ حاف أبو يزيد على نفسه ، وخرج مع أبى عمير فى رى الحجاج ، وذلك سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، ولم يكن يصل الى طرابلس حتى شعر بالارهاق من شدة البحث والتقصى عن المطلوبين من البربر ، ففضل العودة الى تقيوس (٣٨) .

والظاهر أن أبا يزيد رأى أن يخفف من ضغطه على المسئولين من رجال الدولة ، فوجه احتسابه الى العامة ، فأحد « يحاسب على الناس » فى أفعالهم ومذاهبهم . ولقيت تلك الدعوة نجاحا حتى اشتهر أمره ، وأصبحت له جماعة تناصره وتعظم من شأنه ، وذلك اعتبارا من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م على أيام المهدي (٣٩) . وهى السنة التى كانت بلاد الزاب تضطرب فيها بأعمال محمد بن خزر الزناتى ، والتى تشير فيها الحوليات المغربية الى ابتداء أمر أبى يزيد (٤٠) .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ .
حيث النص من أخبار سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٨ م على ابتداء أمر أبى يزيد الذى يأخذ بمذهب النكار ويحلل دعاء المسلمين وفروجهم ، ويسب على ابن أبى طالب .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - حيث الإشارة الى أن مدعاه تكفير أهل الملة ، واستباحة الأموال والعماء واخروجه على السلطان .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٦) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، انظر لسان سقى ، ص ١٠٩ .

بداية الثورة في توزر :

وإذا كانت التصيوص لا تقدم لنا ، عن دعوة أبي يزيد منذ سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م إلا معلومات عامة ، من : اشتداد شوكته وكثرة أتباعه على أيام القائم (٣٧) . فإن الفضل يرجع إلى عبر ابن خلدون في تقديم معلومات ثمينة ، وفريدة ، عن دعوة أبي يزيد قبل انفجارها سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م . فلقد أوعز القائم إلى أهل قسطنطينية بالقبض على أبي يزيد ، الذي تنبه إلى ذلك فهرب إلى المشرق إلى أن خف عنه الطلب فعاد إلى وطنه ، ودخل توزر مستترا سنة ٣٢٥ هـ / ٣٦ - ٩٣٧ م (ابن خلدون ج ٧ ص ١٣) ، ولكن أمره انكشف عندما وشى به أحد خصومه ، ممن تطلق الرواية عليه اسم ابن فرقان (من الفرقة والانقسام) ، عند والي البلد فقبض عليه ، واعتقله بدعوى أنه مطالب بالخراج ، وليس مطلوباً لذاته . وعندما أسرع أهله من الزناتية ، وعلى رأسهم أبو عمار (عبد الحميد) الأعمى ، وفشلوا في اقناع والي باطلاق سراحه ، عمدوا بصحبة ابنه : فضل ويزيد إلى إخراجه من السجن عنوة بعد قتل الحراس . وهكذا تكون حركة أبي يزيد النكارية قد بدأت في الخروج من نطاق الدعوة السرية إلى الثورة العلنية ، على يد أبي عمار الأعمى وولدي أبي يزيد ، الفضل ويزيد (٣٨) .

دار الهجرة في أوراس :

فقد كان على أبي يزيد أن يلجأ إلى بني وارجلا حيث أقام ، وهو يدعو قبائل المنطقة إلى الثورة في : جبل أوراس ، ومواطن بني برزال بجنسوب المسيلة ، وبني زنداك المغراويين . وتطلب الأمر مدة سنة خرج أبو يزيد بعدها مع ممثلي القبائل ، الاثنى عشر داعياً ، وبصحبه أبو عمار الأعمى إلى أوراس حيث استقروا بمنطقة النوات النكارية ، أي في سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٨ - ٣٧ م (٣٩) .

وبذلك أصبحت منطقة النوات في جبل أوراس دار هجرة جديدة

(٣٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٢٢ -

(٣٨) قارن رواية طبقات الدرجي ، ج ١ ص ٩١ وما بعدها ، وانظر فيما سبق ، فصل

المصادر ، ص ٣١ وما بعدها حيث تأخذ الرواية شكل قصة مفكورية .

(٣٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ - حيث الصر على أنه وصل النوات في ١٢ من

الرحلة .

لأبي يزيد وأصحابه الإباضية النكارية (الشعبيين) . وبعد ٥ (خمس) سنوات اجتمع اليه حلالها القراية ، وتدفق عليه مختلف الحوارج ، أخذت له البيعة بزعامه الحركة ، سنة ٣٣١ هـ / ٤٢ - ٩٤٣ م . ومثلت شروط عقد البيعة ، في : قلب النظام الشيعي الفاطمي ، وإقامة دولة المساواة النكارية المثالية ، القائمة على الشورى والمساواة ، واستخدم العنف والارهاب ، من : استباحة الغنائم والسبي (ابن خلدون ، ج ١ ص ١٣ - ١٤) في سبيل تحقيق الهدف النبيل .

الثورة الكبرى ومراحلها :

وهكذا بدأت في السنة التالية ٣٣٣ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م الثورة الرائعة ضد الأئمة الشراء . وقسمت المسلمين في القارة المغربية والجزيرة الصقلية الى أخوة أعداء من عرب وبربر ، طوال أربع سنوات دامية ، ساد فيها القتل والحرب ، وعم خلالها الظلم والفساد حتى أصبحت في الفكر الشيعي حتمية مستقبلية (حدثانية) يعرفها الأئمة ويستسلمون لمقدراتها الأزلية ، من : محنة تعم جميع البلاد ، ومنه تظهر نباشيرها عند باب مصلى المهدي (انظر ما سبق ص ٩٢) .

ويمكن تقسيم الثورة الى أربع مراحل ، على عتد سنينها ، الأولى : استولى فيها أبو يزيد على بلاد الزاب والأقاليم الساحلية الشمالية في باجة وتونس . والثانية علب فيها على القيروان ، فهي بمثابة مرحلة التأسيس لدولة الشورى الوليدة ، حلم النكارية العزيز . والثالثة حاصر فيها المهدي نفسه وبلغ المد ذروته بالوقوف على عتبة بابها ، واقتحام الخيل لمياه بحرهما . ثم الرابعة ، وفيها الانحسار عن المهدي والقيروان ، لكي تسهي الثورة في سقط رأسها ، غارقة في دم أهلها ومشعلها .

والمصادر الشيعية المنشورة حديثا مثل كتب المعمدان ، من افتتاح الدعوة الى المجالس والمسائرات ، ثم العيون والأخبار للداعي ادريس بخاصة ، تقدم لنا معلومات تفصيلية مرهقة عن الثورة الزناتية مما يمثل الأصول التي رجع اليها المتأخرون من مؤرخي المشرق والمغرب مثل : ابن الأثير الذي احتفظ بسببة وفيرة من معلوماتها ، وابن عذارى الذي اكتفى بالاختصار ، مركزا على نتائج الأحداث دون حشوها ، وإن كان له فضل التركيز على أخبار فقهاء المالكية وموقفهم من أبي يزيد ، داجعا الى الرقيق القرواني وابن سعدون ، وهي المعلومات التي ليس لها ذكر في المصادر

الشييعية ، وهو الأمر الطبيعي من حيث يقف أهل السنة هؤلاء موقف المناصر لأبي يزيد ضد القائم . ثم ابن خلدون الذي أحد قدرا كبيرا من المصادر الشييعية ، وزعه في عبره على تاريخ القسائل والدول حسبما ارتآه من خطط منهجية خاصة به . وهكذا لا يغيب عن الذهن أن مصادر الخصوم هذه تقف من أبي يزيد موقف العدو المدود . فهو عندهم الدجال الذي يدعوا إلى الكفر في آخر الزمان بينما هو عند أهل المذهب أمر بالمعروف يحاسب على الناس في أفعالهم ومأذاهبهم .

فتح بلاد الراب :

والهم ان ثورة أبي يزيد بدأت سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م عندما طهر في مستطع اوراس وكذب أهل بلدة قسطنطينية وخاصة بني واسين منهم ، فأجابوه ، ثم نزل منها ليجتاح بلاد الراب في أوائل سنة ٣٣٣ هـ/ أغسطس ٩٤٤ م . اد حاصر باغاية وفنها صلحا بعد حرب واليها كيون ، قبل أن يسير بأهلها لفتح تبسة التي أمها على أن تؤدي له أموال كيون وأصحابه من الكتاميين (٤٠) ، ومجانة التي هدم سورها . بعد ذلك دخل مدينة مرماجة حيث « أهدى له حمار أشهب مليح » ، ركب أبو يزيد (٤١) استكمالا لما كان يظهره من الزهد والتشيع بلبس جبة صوف قصيرة ، معوحة العواتق ، ووضع قلنسوة بيضاء كدرة على رأسه ، ولذلك أطلق عليه اسم صاحب الحمار ، الذي أصبح دارجا بين الناس من الأتباع الذين يجسرون فيه رمز البساطة والسك ، والأعداء الذين أخذوه مأخذ الهرم والسخرية من المعوق الأعرج . وبعد هزيمة القوات الكتامية في سببة التي صلب عاملها ، انتهت الحملة العاصفة على مسيرة يوم من القيروان ففتح الأديس في ١٥ من ذي الحجة/ ٢٩ يولييه ٩٤٥ م ، التي أحرقت ونهت ، كما قتل الناس في مسجدها الجامع ، تماما مثلما حدث على أيدي الكتاميين أصحاب الداعي الفاطمي ، حسب رواية أهل السنة ، قبل فتح القيروان منذ أقل من ٤٠ (أربعين) سنة ، وهو ما كان يتذكره المسنون من أهلها ، الأمر الذي أثار

(٤٠) عبود الأخبار ، للداعي ادريس من ٨٠ - ٨١ - حيث النص أيضا على أنه سمى « بنى النساء والدرمة وألحم ذلك البربر ، واحد برعمه الخمس » ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الإشارة أن ترمه غيبة إلى باغاية قبل انصرف على سيطتها ، وانها امتنعت .
(٤١) من الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، وقارن عبود الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨٠

الحوف والفرع بين أهل المهدي ، اد قالوا للقائم : « الأربس يدب أفريقية ، ولما أخذت رالت دوله بنى الأعلب(٤٢) » .

الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية نى باجة وتونس :

وهكذا تنهى أول مراحل الحرب الرقابية بتقدم صاعق من جانبي أبي يريه ، وموقف انتظار سلبي كان سببا في وصف القائم بالضعف وعدم الحسم ، وإن وجد تبريرا رسميا في اعتقاد القائم بما سبب إلى المهدي من حتمية وصول التأثير الزناني حتى باب أصلي من المهدي ، انذى عرف بعنه ذلك بباب الفتح (انظر فيما سبق ، ص ٩٢ وما بعد ص ١٨١) . وهنابداً أول تدخل من قبل القائم عندما أخرج الجيوش لضبط البلاد المهتدة بالخطر . فقد أعد جيشين سير أولهما بقيادة ميسور الفتى في ١٣ من المحرم ٣٣٣ هـ / ٦ سبتمبر ٩٤٤ م ، نحو القيروان ، والآخر بقيادة بشرى الفتى إلى باجة . وعلى عكس ما كان متوقعا من مسير أبي يزيد بقوته الرئيسية نحو القيروان القرية ، فالظاهر أنه رأى بحاشي مواجهة محتملة في قاعدة المالكية ، بصفه مؤقتة . فكان اللقاء مع جيش باجة حيث نجح بشرى في إلحاق الهزيمة به ، ولكن التأثير الزناني الذي كان يحسن حرب الكر والفر في الميادين المفتوحة ، فاجأ معسكر بشرى وخيامه ، وحول الهزيمة الأولية إلى نصر حاسم عندما اجتاحت باجة فاستباحها ، فهبا وسلبا واحراقا(٤٣) .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨١ - ٨٢ . حيث النص على حرب اسحاق بن خليفة عامل الأربس ، وأمر أبي يزيد قائده سليمان بن حيران الزريل (من مراة) بقتل وحرق كل من على الطريق ليرهب كتامة ، إلى جانب ما فعله البواد المنهزمون من الكتانيين من مهاجمة أمتة أبي يريه في معانة قتل دحرلهم المهدي في ٥ محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٢٨ أغسطس سنة ٩٤٤ م ، وإن جلدوز ، ج ٧ ص ١٤ حيث الأربس بدلا من الأربس .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ٨٤ - ٨٥ . حيث مزيد من التفصيلات المرحقة والتواريخ الدقيقة عن خروج قواد آخر إلى رقادة في ١١ من ذي الحجة سنة ٣٣٣ هـ / ١٥ أغسطس سنة ٩٤٤ م ووصول خليل بن اسحق التميمي إلى القيروان في الأرماء ٢٢ من ذي الحجة وتقديم أبي يريه لإبراهيم بن أبي سلاسي إلى سعة ، وقوله له : « إن كنت لي ناصحا فاقتل من لقيت وأسب حريمهم ونفذ أموالهم » ، ونزول أبي يزيد عن داتته بعد الهزيمة وركوب حمارة وأخذ عصاه ، إلى غير ذلك من التفاصيل العناري في حاجة في المسجد الأعظم . الأمر القى أنى إلى حمل ألف امرأة يوم حاجة ، إلى قطاعات أخرى تمتلئت في قتل الأملال صريا برؤوسهم في أعمدة الجامع وحيطانه .

وكان ذلك النصر على قوات المجديية تشجيعا للفصائل على تلبية ما،
أبى يزيد للانضمام الى جانيه كما ساعده على تطوير قواته في شكل حش
نظامي يقيم في المعسكرات ، ويستخدم آلات الحرب المتقدمة ، ويرفع
الشناعات من الرايات والبنود (٤٤) .

ومن باجته افحه ابو يزيد نحو تونس التي جا اليها بشرى الصنلى .
والتي ساءت حوالها الى حد مخالبه أهلها لأبى يزيد والدخول في طاعه ،
الأمر الذى دفع بشرى الى اخروح منها بصحبة الوالى حسن بن على (بن
أبى الحسين الكلبي) الى سوسة في ٢٥ من المحرم ٣٣٣ هـ / ١٨ سبتمبر
٩٤٤ م (٤٥) . والحقيقة أن الصراع استمر طويلا بين بشرى وأبى يزيد
الذى اعتمد حرب الحريق والارهاب النفسى بأعمال العنف والتخريب ،
الأمر الذى كان يؤدي الى أعمال انتقامية من قبل القوات العاطمية (الكنانية)
التي لم تحترم بدورها ما هو معارف عليه من حقوق الأسرى ، لنفس عن
كربنها ، اثر انتصارات محلية في منطقة الجزيرة قرب تونس ، بقتل مئات
التمساع المكيين بالأغلال منهم (٤٦) .

دخول القيروان :

وبعد أن أحسد أبو يزيد بثأره من السكاميين فهزمهم في وادي
مجردة (٤٧) ، تبعهم الى القيروان وقيادة التي نزل في شرقها في ١٠٠ (مائة)
ألف رجل في ٢٧ من صفر سنة ٣٣٣ هـ / ٢٩ أكتوبر ٩٤٤ م ، بينما كان
الوالى خليل ابن اسحق لا يحرك ساكنا ، بعد أن فرغ عساكره في الصادق
والدور ، انتظارا لوصول جيش ميسور الفتى . وأمام الطاح القيروانيين ،

(٤٤) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأحيار للدمعي الادريس ص ٨٧ .
(٤٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، حيث النص على ان أبى يزيد نجح في دخول تونس
رغم هزيمة لحقت به من قبل بشرى ، وأنه ولي عليهم رجلا من أعيانه اسمه رجس ، وقارن
عيون الأحيار للدمعي ادريس ص ٨٧ ، حيث النص على اختلاف عامل تونس ، حسب الكلبي
وأخيه عماد رغم نجاحهما في هزيمة العدو ، مع تحديد تاريخ الخروج الى سوسة .
(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، وقارن عيون الأحيار ص ٩٠ حيث النص على عمليات
عسكرية بين حسن بن على وبشرى الخادم وبين أيوب بن حيران الرديني قائده أبى يزيد مئات في
الجزيرة وانتهت حرب عرقلية وسوسة بمقتل أربعة آلاف على رأسهم أيوب وأسر . . أسير
سبعمهم الى المهديّة حيث قتلهم بالماء بالمضى والحجارة .
(٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤٠ - حيث القراءة معصدة .

حاول حليل أن يتخلص من العدو الرهيب بأهول الأساليب عن طريق الغدر حيث اتصل ببعض أصحاب أبي يزيد من الرويليين ، الأمر الذي لم يتحقق . وأخيرا اضطر حليل إلى الخروج مكرها إلى القتال لكي يعود مهزما من الرلانيين إلى القيروان ، حيث اعكف في قصر الإمارة ، ناركا الربر يدخلون المدينة ويقتلون ويفسدون إلى أن انتهى أمر خليل - الذي لم يعرف مثل ذلك سوء تدبير - بالقتل غدرا بعد الأمان في ٢٣ صفر / ١٦ أكتوبر (٤٨) .

التحالف مع شيوخ المالكية :

وهكذا لم يكن أمام شيوخ القيروان من المالكية إلا أن يخضعوا لأبي يزيد وحرصوا إليه برفادة يصلون الأمان حتى يكف رجلاه عن النهب واستخريب ، وهذا تقول الرواية السنية التي يتقلها ابن عداري أن أبا يزيد عندما دخل القيروان في صفر / سبتمبر ، أظهر لاهلها حسرا وترحم على أبي بكر وعمر ، ودعى الناس إلى جهاد الشيعة والتمسك بمذهب مالك . وبناء على ذلك فقد انضموا إلى أبي يزيد ، وحرص الفقهاء والعباد الدين سماهم ابن سعدون رجلا وحلا - لحرب القائم . وفي يوم الجمعة التالي اجتمعوا بالمسجد الجامع ، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح والطبول ، والبسود : فيها آيات الجهاد والنصر . وهذا ينقت النظر أن عدد البنود سبعة من بينها اثنان أصفران وواحد فيه : « نصر من الله وفتح قريب ، على يد الشيخ أبي يزيد » . وبعد خطبة الجمعة التي كان موضوعها الجهاد ولعن عبيد الله وابنه ، خرج

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ . وقارن عيون الأخبار ص ٨٨ - ٨٩ حيث النص على سوء تدبير حليل عندما أبقى رحاله في المدينة ولم يتخذ له مسكرا خارجها ولو أنه كان قد اعسى أبواب القيروان وسورها ، وأن عمته أخبار أبي يزيد عنه مع الإشارة إلى أن رحاله كانوا ألفا حفظ من المنزلة والمبيد الدين كانوا يطالبونه بأوراقهم فبعتهم ويهروا بهم . الأمر الذي أدى بهم إلى الانضمام إلى أقاربهم الذين كانوا مع أبي يزيد عندما اقترب من الأبواب الذي أصعب من متوكله وأصابه بالأساط فأتلق دأره عليه ومعه القاضي أحمد بن يحيى ، والكاتب عبد الله ابن زياد ، وصاحب النقطة : سهيل بن نفس ، وعامل القيروان من قبله : منصور بن عمار في حوالي ٤٠٠ (ارملة) رجل . أما عن شدة الحصر فصورها فشل حليل في الاتصال بالقائم حتى عن طريق الحمام . الأمر الذي أدى إلى طلب الأمان والبرول إلى أعوان أبي يزيد متدليا بالهناك ، واعطاء أمان مكتوب له ثم حصله إلى حيلة أبي يزيد حيث قيد بالسلاسل ، قبل أن يقتل بعد يومين بموافقة أبي عمار الأصمعي مع أصحابه في حكومة القيروان المحلية . وبهذا مات خليل واقفا وهو يضرب بالسيف ، حال الأمر أحمد بن يحيى القاضي حزما ، فقتله كيف تقتل الفضلاء .

الناس مع أبي يريد لعمال الشيعة (٤٩) .

وبعض اصحاب شيوخ القيروان الى أبي يريد وبفصل مناصرة بنو كملان الكرامية في صفوف ميسور ، وهو في مودعه الاسرانيجي عند ملامى الطرق بين القيروان والمهدية ، كرّس استقرار الناصر الذي حصار به . يحمل لقب « شيخ المؤمنين » ، في القيروان بعد هزيمة جيش ميسور الذي لقي مصرعه في المعركة في ١٢ من ربيع الأول / ٤ نوفمبر ٩٤٤ م (٥٠) .

الهجوم على منطقة الساحل وحصار المهدية : (انظر شكل ٣ ص ١٨٠) :

وهنا شعر أبو يريد بقوة ، وبغوب فوره النهائي ، فسار الكتب بها حقله من مصر الى عامة البلاد ، بصفه ولى الامر الشرعى ، كما بدأ يتطلع الى تأكيد سلطانه عند الملوك في الخارج ، فبعث رسله مع وفد من أهل القيروان الى الخليفة عند الرحمن الناصر بقرطبة وهو يضمن الطاعة له ويلتزم بالسمع له من فوق المنابر (٥١) . وبذلك تحول شيخ المؤمنين من محتسب فاساك الى ملك مرفه ، فترك لئس الصوف وركوب اتمار ، وارتدى اباب الديباج والحريير ، وركب صهوات الخيل ، وجمع فى حريمه اصناف الجوارى ثم يفرد بين الحرة والامة ، ولا بين الاخت وأختها على أساس ملك المؤمنين (٥٢) . وكان لهذه الاساءة أثر سيئ فى أطراف المهدية وفى زويلة

(٤٩) ابن عدادى ، ط ١ : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - حيث تتبع ذلك رواية أخرى تنص على أنه عندما استقر أمر أبو يريد ، ورأى أن الشمس كاد يبدد ، دبر مكيدة يتحصى بها من حلفائه مشايخ القيروان عن طريق كشفهم أمام الأعداء أثناء القتال ، الأمر الذى أدى إلى المدهاء بهم وسد . ومع أن كل هذه الأحداث قد سجلها ابن عدادى سنة ٣٣٢ هـ / ٤٣ ٩٤٤ م فى الواح من فتل أولياء الله شهداء مشايخ المالكية بالقيروان بوضع بعد حصار المهدية بمقدار مازم وقتل القسائم .

(٥٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٢٥ - حيث النص على حمل رأس ميسور الى القيروان والطواف بها تشهيرا . هناك - رقادن انتاج الدعوة ص ٣٣٢ ، عمود الاحبار للمدائى إدريس ، ص ١٠٤ وما بعدها حيث أنشأ على معنى بنى كملان الكرامية في التخلص من القنائل الصقليين مع تفصيلات عن سير المعركة التي شهدها فيها أبو يريد - نكسكا - كما كانت عادته - ثم عودته المظفرة على ميسور الذى أهدى بغيره سهم فى الدماغ . ثم إقامة الرحال في ميسر ميسور بنى اتمارات وفتح الميسور ، وحمل المدايم والصلى الله .

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ - مع النص على تكرار مثل هذه السفارة سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م ، معروفة انه أجوب .

(٥٢) عمود الاحبار ، ص ١١ - رجعت انصا على ان اما يزيد كان يامر به

يقتلون الرجال ويسمون النساء ويحرقون المدينة ، ويشقون الفروج
ريشخرون ابطون حقيقة لا مجزا ، بحثنا عن الذهب الذي كان يحفيه البعض
في أماكن حساسة من جسده ، وعندما وجد البربر بعضه غالوا في التمثيل
بالناس طمعا في المزيد ، « حتى لم يبق في أفريقية موضع معمور ولا سقف
مرفوع » ، كناية عن عظم المحنة ، كما تقول الرواية (٥٣) .

واستعدت المهديّة للحصار بحفر الخنادق حول أرباضها اعتبارا من آخر
ربيع السنائي ٣٣٣هـ / ١٨ ديسمبر ٩٤٤م (٥٤) ، كما أرسل الكسب إلى كنانة
يضمعونهم إلى الإسراع في القدوم إلى المهديّة « بالخيول والرجال لجهاد الغاسقيين
الكفرة المارقين ، أهل أوراس ، أي جهادهم أفضل من جهاد المشركين » .
الذين نزلوا غير بعيد من المهديّة (٥٥) . وهذا أسرع أبو يزيد بالرحيل نحوها
حيث نزل على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا منها ، وأخذ يبيت سراياه في كل
نواحيها ، وبعد لقاء مع الكتاميين وأتباع أنقائم الذين انهرموا أمامه ، وصل
إلى باب الفصح (المصلي) بل وحاول اقتحام المدينة من ناحية البحر (٥٦) .

وبدأت الأمور تتحسن بالنسبة لأنقائم عندما استنجحت صنهاجة إلى
دعوته ، وحضر زعيمهم زيري بن مناد ليرجح كفة كنانة ، في وقت كانت
المهديّة تعاني من الحصار الذي استمر من حمادى الأولى ٣٣٣هـ / ٩٤٤م إلى

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤٦ ، وقارن عيون الأحياء ص ١٠٨ ، ابن خلدون ، ج ٧
ص ١٥ - حيث النص على القتل والنهب ، وأن « من أفلته السيف أملاكه الطوع » .
(٥٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤٦ ، وقارن عيون الأحياء ص ١١١ - حيث ٢٣ ربيع الأول
١٥ نوفمبر .
(٥٥) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - حيث النص لمطالع منها كان قد وقع بين يدي
أبي يزيد .

(٥٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤٧ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - عيون الأخبار ، ص ١١٥
- ١١٨ ، وأنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٣ - حيث النص على أن الأولياء من كنانة يوجههم
كانوا يقاتلون أثناء حصار المهديّة بلا نظام ولا رئيس عليهم ، ص ٥٥٩ - حيث لفت النظر
تسجبا من كثرة حدوث الثورة والدولة بها ٧٠٠-٧٠٠ (سبعون ألف) مقاتل ويريدون ، وقارن
عيون الأخبار ص ١١٥ - حيث النص على أنه عندما سار أبو يزيد نحو المهديّة في ٣ حمادى
الآخرة سنة ٣٣٣هـ / ٢١ يناير سنة ٩٤٥م ووجه البربر إلى باب الفتح كان منهم أهل البروان ،
ومن جبل أوراس وأعمال أفريقية ، وأنظر ص ١١٧ - ١١٨ - حيث النص على أنه عندما كان
البحال (أبو يزيد) على باب الفتح كان القائم في مجلس له على البحر ، وكان مستبشرا
بكرت . وأنه عندما أصرف أبو يزيد ، قال القائم لمراقبيه : « ليس ترونه بعد هذا طالما
إلى هذا المكان أبدا ، فاستبشر القوم » .

مطلع سنة ٢٣٤ هـ / أغسطس ٩٢٥ م أي فراه ثمانية أشهر ، واندى شارك فيه بربر أفريقية وطرابلس والزاب وحاصه الزبائية منهم (٥٧) . وبسبب قطع الطريق وشده احصر والجوع والعلاء ، رغم ما قام به الفائم من فتح الأهراء وموزيع الطعام ، هاجر خير من أهل المهدي من السوفه والتجار عن طريق البحر إلى صعيه وطرابلس ومصر . بل وإلى بلاد الروم ، فلم يبق في المهدي سوى اجند . ونشع الرويات الشيعية بـ « يريده فتقول . » انه لما افترت البلاد ولم يعد هناك ما ينهب من له رجاله فلم يس معه إلا هجرة إلى جانب الرواد الاوائل من أهل جبل ، ورأس ، والانباع الجدر من بني كملان الكتامين (٥٧ م) . وهنا وجه أبو يزيد أنظاره نحو القيروان حيث طلب من أهلها الخروج إليه بالغازات (المظلات) والسلاح والعدة ، وعندما وصل مددهم زحف بهم الرحلة الثالثة نحو المهدي في ٢٣ رجب ٢٣٣ هـ / ١٢ مارس ٩٤٥ م (٥٨) . وصام بحريص الفائم رجاءه من الكتامين وتشبيهم بالخواريين والأصار وأبناء المهاجرين والانسار ، كانت هزيمة أبي يزيد الذي قتل فيها كثير من أهل القيروان ، وهي معركة شهدها المالكية التي يوردها ابن عذاري وينسبها إلى محاصرة أبي يزيد والكتامين الذين كشفوا أهل القيروان ليخلص منهم (٥٩) .

أما هزيمة أبي يزيد الرابعة فكانت يوم الجمعة ٢٣ شوال من سنة ٢٣٣ هـ / ١٠ يونيو ٩٤٥ م وبها تكرر العشل وخاب الأمن بالنسبة لأصحابه ، والظاهر أنها كانت فرصهم الأخيرة في السلب والنهب والقتل والفساد ، وتكرار تلك المشاهد المروعة من : « شق البطون والأرحام طلياً

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ - ويعدد الكتاب ٤ (أربع) رحلات جريئة ضد المهدي إلى آخر شوال / ٣ أغسطس ٩٤٦ م . كان الشاعر الصبي يعرض لبها نغسه للمفطر ، كما حدث عندما تحجر وكاد أهل الأرياض يأخذونه باليد ، فلم يخلص إلا بصعوبة لكي ينسحب نحو معسكره في تربوط ويحفر حوله خندقاً .

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٥٨) عيون الأحبار ، ص ١٢٠ .

(٥٩) انظر فيما سبق ص ١٧٩ ، هـ ٤٩ - ولقد جلد جعفر ابن منصور السني

(ابن حوشب) هذا الصبر بقصيدة يؤكد فيها علم الأئمة بالمعدن ومنها :

الحمد لله هذا الفصح والظفر	هذا الذي كان للابن يتظفر
سهرم الجمع إذ حاروا لحركم	والمارمون فصد حاربوا وقد خسروا
فإن وعد أمة المؤمنين لكم	حق به جاءت الآيات والسور
عن حده المصطفى الهادي وحبه	والله المر حاء المسلم والخبر

لخبايا الدناير ، ، الأمر الذي يذهب بإيمان الناس وعقولهم (٦٠) .

، برحيم بن الهسيه :

ومسند شهر ذي القعدة سنة ٣٣٣ هـ / يولية ٩٤٥ م بدأت الدائرة بدور على الدوار ، واحد الجند العاطى يحرق عليهم بعض الانصارات المحلية ، التي لم تمنع بعد مآسى الحصر والجوع والهجرة ، وأعمال العنف وقطع الطريق . ومع مطلع سنة ٣٣٤ هـ / أغسطس ٩٤٥ م قامت الانشقاقات في المعسكر النكاري ، وانضم بعضهم الى المعسكر الفاطمي ، كما جرب البعض طريق الخلاص في الدعوة الخليفة بغداد (٦١) .

وهال أبو يزيد هذا الفشل الذي كاد يودي به فجأة فاضطر الى العودة سريعا نحو القيروان التي وصلها في أوائل صفر / منتصف سبتمبر ، ناركا معسكره نهبا لرحال القوائم الذين أفاقوا من شدة الحصر ، ينوفر الحاجيات المعيشية ورخص الأسعار . وتصور الروايات المعادية سوء حالة أبي يزيد وقلة رجاله في معسكره بموضع المصلى خارج المدينة ، عندما تشير الى أن صبيان القيروان خرجوا يلعبون حوله ويضحكون به ، بل وأن أهل القيروان فكروا في القبض عليه (٦٢) .

وهكذا بدأت أحوال المهدي في التحسن ، إذ كاتب أهل القيروان القائم ، كما قامت الثورة على أبي يزيد في بعض البلاد كما في سوسة التي أمدها القائم بمراكب الطعام وكذلك تونس وباجة (٦٣) . وفي الوقت

(٦٠) أطر عيون الأخبار للداعي ادريس ص ١٢٥ - حيث يروى عن بعض القيروانيين أنه شاهد إمرأتان في شهر رمضان قبل المعركة تكيان وتقولان : « لو كان في السماء إله لغير هذا العمل » . ويرد الداعي على تلك المقولة بما هو معروف تقليديا من أن المحنة تمحص المؤمنين وتطهرهم .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ص ١٢٧ - ١٣٣ - حيث النص على هروب أصحابه نحو القيروان ، فلم يبق معه إلا عصابة ويثر كملان وأوراسي .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٠ ، قارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ١٢٤ وما بعدها حيث عقبه صاحبه أبو عمار الأعشى للتشاعر عن الجهاد ، وأكل لذيذ الطعام وليس الذين من الثياب ، والنضاض الإنكار ، وما ترتب على ذلك من تومة أبي يزيد بالجوع إلى لس الصفوف وركوب الحمار . ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣١ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٣٦ - ١٣٩ - حيث

الذي كانت ترداد الفرقة في صفوف أبي يزيد وكان يسامر بعض أصحابه على قتله . أبي انصراب الميرون نتيجة سوء سلوك رجائه . ليزيد الحانة سوءا لما أستمع عتصيان المدن عليه ودخولها في طاعه القائم . كما حدث في بريرة ر. ديس (١٦).

ورغم ما أحاط بأبي يزيد من الصعاب فقد كان الرجل من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم شسذاتة الا قوة . ودلت له ان يحاول بقويم الموقف المضطرب دون هوانة او ملل . فقد حوّل أهل البيروان من القائم . كما انتقم من أهل بوس وباجة . الأمر الذي يذكر بديام حو . فهو يعد ان يهرم في ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ / سوبر ٩٤٥م اضم استقال المسكر القسطنطيني وادخل مسوياته . يعود من حديد في حمادى الثاني / يناير ٩٤٦م لحمار سوسة القريبه من المهديّة بأندببات والمنحيفات (١٧) .

ولكنه مع ظهور على بن حمدون (أبو الاندلسي) ضمن المسيلة الذي استجاب لنداء القائم فحيش كتابة في مطبعة قسطنطينية . كما نشط في حشد الرجال من بلاد الراب . تعدل ميزان القوى تماما لصالح القاطنين في بلاد كتابه وفي الراب . حيث هربت هراة واستعملت مدينتا تبجس وباغاية رطم سياسة على النجسة (٦٦) . وذلك قبل وفاة القائم في شوال سنة ٣٣٤هـ / يولييه ٩٤٦م .

قبص على عامل محله بسوسة : احمد الهوارى بيعت القائم مكانه . عباس بن سدر مع المراكبة لضبطها حتى قدم اليها الحسن بن ماكسين لاستقرت أمورهما . اما عن بوس وباجة فاستمر الصراع بين من عندهم القائم وبين من يعت بهم « المجال » لفترة من الوقت عرف فيها أهل كل من المدينتين صرعا من العنابة والعداء حتى أصبحت « بوس خرابا لا مقام فيها ولا أهل لها » . اما عن باجة فكانت الأولياء يقيمون بها نهارا . ويخرجون عنها ليلا إلى الصغارى - حدود من البرير .

(٦٤) عيون الأحيار - للدعي ادريس . ص ١٣٩ - ١٤٣ .

(٦٥) ابن الأثير . ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ . قرو عيون الأحيار . ص ١٥٠ .

(٦٦) ابن الأثير . ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ . ابن حمدون ج ٧ ص ١٥ . وقارون عيسون الأحيار . ص ١٤٥ - ١٤٦ . حيث قام بجولة كبرى في بلاد الراب انضم اليه فيها حسن بن منصور مقدم بني عراش وثمان بن أمي سلاس . ولكن مدحاه ايوب بن أبي يزيد له انتهت بهلاكه في بعض الأوعار . وقارون ابن حساه . ص ٣١ - حيث سقط من حرف عال فانكسرت يداه ورجلاه وظهره .

نهاية الثورة على عهد المنصور :

ومع خلافة المنصور الذي كان في عهده الثاني والثلاثين من عمره ، بدأ انحسار الثورة الثمانيّة ، وتنتهي دوله أبي يزيد النكارية . فلقد جمع المنصور كل قواه البحرية والبحرية لمطاردة أبي يزيد الذي انهرم من أمام سوسة إلى القيروان ، ولكنه لم يتمكن من دخولها بسبب رفض أهلها له ، ودخولهم في طاعة المنصور الذي سار إليهم يوم الخميس ٢٥ شوال ٣٣٤هـ / ٢٩ يولييه ٩٤٦ م . ووجد فيها جماعة من حرم أبي يزيد وأولاده معهم مكرمين إلى المهدية (٦٧) . بينما سار أبو يزيد بأصحابه إلى ناحية سببية القرية . وبعد محاولات غير مجدية للعودة إلى القيروان باشر المنصور فيها القتال بنفسه في مواجهة أبي يزيد وحشوده ، وأظهر خلالها شجاعة نفسية نادرة وكفاءة شخصية رائعة في مواجهة الأهل ، وزاد من هيبة في قلوب الناس وهياهم الصمود والظفر للرجال (٦٨) . وهي المطاوعة التي استمرت على جبهة القيروان من ذي القعدة ٣٣٤هـ / يولية ٩٤٦ م إلى سنة ٣٣٥هـ / أغسطس ٩٤٦ م . ورحل أبو يزيد عن أفريقية تاركاً في أرض المعركة بالقيروان أكثر من عشرة آلاف رجل من عسكره بعد الهزيمة المروعة التي لحقت به يوم ١٣ من المحرم / ١٤ أغسطس (٦٩) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ، وقارن عبود الأحبار للفتاوى ادريس ، ص ١٦٥ - ١٧٠ - تحت النص على أنه عندما وصل أبو يزيد ممسولاً عند باب أبي الربيع شتمه أهل القيروان ، وبادوا « لا طاعة إلا طاعة اسماعيل » ، ثم انهم أحاطوا بدار أبي عمار الأحمي وحاصروه ٥٠٠ فأجمع رأيهم أن ينصرفوا مؤثماً عن القيروان .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، قارن عبود الأحبار ، ص ١٦٦ - ١٧١ وما بعدها . حيث الإشارة إلى سرايا أبي يزيد الاستطلاعية وحضر المنصور حندق حول عسكره - في ذي القعدة ، وبطولة المنصور في الدفاع عن عسكره بسيف حده ذي القعدة . والمظلة المروعة على رأسه ، فموضعه معروف ، والأولياء في ٥٠٠ فارس فقط والبربر في ٣٠ ألفاً (ص ١٧٣) ، الأمر الذي جعل تلك الملحمة المتقبة موضوعاً لتصانيد الشعراء مثل عبد الله بن أصبح الذي قال في تلك المناسبة :

فل فيه الجو أغبر اقتصا

ويوم بارض القيروان شهدته وقد

ومثل محمد بن الحارث بن سعيد الأديوي ، الذي قال :

لدين ولا أحسن لك اسماً

ولم أر كالمتمسور بالله سائراً

(ص ١٧٣ - ١٧٧)

(٦٩) عبود الأحبار ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، ص ١٩٦ - حيث نسخة الكتاب المروعة إلى

المهدية بهذا الشأن .

طلب المعونة من عبد الرحمن الناصر :

وحلال تلك الفترة كان أبو يزيد متحيراً ما بين قطع الطريق ومهاجمة المهديّة ، وبين الوعد بطاعه المنصور نظير سبائه وبناته وأولاده ، وسبائه رجاله ، الذين أوسسوا من القيروان إلى المهديّة (عيون الأخبار ، ص ١٨٤ - ١٨٧) أو مواصلة الصراع بطلب المعونة من عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، حيث أرسل له ابنه « يستنصره » ويعينه بالقيام معه « ، وإن كانت المعونة العسكرية والمالية التي يعثها الناصر مع ابن أبي يزيد لم يقدر لها الوصول إلى هدفها ، إذ وقعت بين يدي عامل ناهرت الفاطمي ، عبد الله بن بكار (٧٠) .

ولا شك أن عبد الرحمن الناصر أصيب بخيبة أمل نتيجة فصياح معونته في ناهرت ، كما هو الحال بالنسبة إلى أبي يزيد ، بل وربما أصابه القلق للموقف الصعب للبيعة المتوقع ، فاستجاب لرسالاته الملحة ، وشرع في تجهيز حملة انقذ بحرية كبيرة نجح العدد والسلاح والأموال ، وتخرج بها من قاعدة المرية . وعهد الناصر بأعدادها إلى عامله على مدينته بجائته بساحل حموب الأسلس : محمد بن رماحس . والظاهر أن الرجل الذي كانت له علاقات تجارية ما بين المغرب والأندلس تباطأ في تنفيذ أوامر الناصر الذي كان قد أسرع بإرسال كتابه إلى المرية لأعداد المراكب . وبناء على ذلك فعندما سار إلى المرية متأخراً بعد رحل الناصر له ، كان عليه أن يقتصر فصل الشتاء من سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م هناك وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار ابن رماحس بالأسطول إلى مدينة بونة (عنابة من شرق الجزائر حالياً) ، ولكنه لم يكمل يصل إلى أسوار المدينة حتى بلغته أنباء هزيمة أبي يزيد ، فكر راجعاً إلى ناحية تنس ومنها إلى الأندلس ، بعد معاناة شديدة في أهوال البحر ، غرقت فيها أكثر مراكبه ، كما تقول الرواية الفاطمية ، في ذلك الربيع المبكر ، فلم ينح الرجل بنفسه إلا بشق الأنفس (٧١) .

محمد بن خزر الزناتي في طاعة المنصور :

والهم أن أبا يزيد رحل بعد الهزيمة إلى بلاد الزاب وقبيلة المنصور منذ أواخر ربيع الأول ٣٣٥هـ / أكتوبر ٩٤٦م ، ولحق به قرب باغاية ، ففر أمامه

(٧٠) عيون الأخبار للداعي إدريس ، ص ١٨٧ - ١٨٨ . وهـ ٣٤٩ ص ١٨٨ - حيث الإشارة إلى إدريس (عن الربيع) ج ١ ص ٢١ - ٢٢ .
(٧١) عيون الأخبار للداعي إدريس ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

بحو طسه (عاصمة لافليم) نى ٢٠ ربيع الآخر ١٩٠٧ بوليس (٧٢) . وهما
 حتى عن التائر المعتيد وحده من حين حده ، هو محمد بن حرر الرماي
 ادى دخل في طه المنصور بعد ان كان في دله الباس الاوى . واحد
 على عاتقه ، لتحص من سائر وسيع آذره بغير ما رعه به لنام من اسال
 ادى بلغ ٣٠ (ندرين) حملا . ومن طبه اسبب المطاردة نحو تسطية
 وبلاد ابريد اى بسكره حيث وافاه جعفر بن حى بن حمدون ، صاحب السيف
 بالجيل والابل . و انتهت المطاردة (الاولى هـ) باعتصم أبى يزيد بآخر
 ملاجى ، نوار المغرب الأوسط ، وهو جبل أوراس المعتيد ، الذى بدأت منه
 الثورة - ككل ثورة - واستقر بين الأباضية المكار فى موضع منه يعرف
 بجبل برزال ، موطن بى برزال ، رواد الثورة الأوائل ، ولكنه لم يمكن
 من الشات أمام القوات الفاطمية ، رغم وعوره لمطقة . وبذلك اضطر الى
 سلوك الفجر الذى لم يسلكه حيش قط ، والمنصور معه فى اثره ، مصر على
 تعقبه اباه ، رغم ما تعرض له الجيش من الشدة حتى بلغ ثمن غليق الدابة
 دينار ونصف دينار ، وبلغ ثمن قربة الماء دينارا . حيث لا عمارة وراء تلك
 القفار الا بلاد السودان . وعندما انضح ان التائر الزناني « اختار الموت خوفا
 وعطشا على القتل بالسيف » ، عاد المنصور الى بلاد صنهاجة حيث وصل
 اليه زبرى بن مناد ، مددا بعساكر صنهاجة ، كما أتت كتب محمد بن خزر
 تعرفه بنوضح الذى لجأ اليه أبو يزيد فى تلك القعار (٧٣) .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ . عيون الأخبار ، ص ٢٠٦ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ . وقار عيون الأخبار للدهى ادرى ، ص ٢٠٥
 - عز محمد بن حرر ، ص ٢٠٧ - ص جعفر بن على بن الأندلس - ص ٢١١ - عن قتال
 التائر فى سكره واتصافه بعد الهزيمة بلسلك والأوعار ، ص ٢١٢ - عن الوصول الى
 بى برزال ، ص ٢١٤ - حيث وصف القتال فى كتاب الامم ، لدى دار فى ١٤ بىلدى الأولى
 سنة ١٢ / ديسمبر ١٩٤٩م مع التائر ومن معه من هذارة وبنى برزال وبنى كمال .
 وفى صبر الامام قال بعض الشعراء :

احد ، ولم يفخر بى ايمان

لك بىل يوم آية لم ياتها

« فى ذلك اليوم قال المنصور لنفسه :

احد ب القفار وأطوى الرمال

أحبل نفس ليول مهول

رسم ٢١٩ - عن لهروب فى الرمال ص ٢٢ - ص علا الاسعار والمقاتلة فى تلك
 . نوار المصنفه بلاد السودان ، ص ٢٢٢ - عن موافاة زبرى بن مناد ، وكتاب محمد بن حرر
 فى المكن الذى لا تعرفه محمد .

معركة قلعة كيانة وأسر أبي يزيد :

والظاهر ان ما قام المنصور من اجهد ادى به الى المرض (٧٤) ، وكانت فرصة سكي يعود أبو يزيد الى الزاب مرة أخرى . وعندما شفى المنصور من المرض كان أبو يزيد معصما بقلعة كيانة (٧٥) ، ورجاله ينزلون لقطع الطريق وتختطف الناس ، ولكنه كان قد فقد أهم أعوانه من بني كملان وهوارة الذين دخلوا في طاعة المنصور (٧٦) . وهكذا انتهى التأثير العجيب ، المعوق بقصر القامة والعرج ، وقبح الصورة ، وساعده الأيمن : أبو عمار الأعمى ، مستشاره الأول ومنظر المذهب ، بعد قتال يائس من جانب الثائر في قنة الجبل في قلعة كيانة ، والحاج رافع في تتبع أثره من جانب الامام العاطمي الشاب ، اعتبارا من ١٠ شعبان / ٧ مارس ٩٤٧م حتى أول رمضان / ٢٦ مارس ٩٤٧م بعد ملأه رائية في النهار وفي الليل ، تحت المطر وفي ضوء المشاعل ، تماسك فيها الرجال بالأيدي ، ورموا بالصخر من رؤوس الجبال ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه القناء . فقد سقط أبو يزيد في الوعر في مكان صعب اثر محاولة يائسة في الخروج من الحصر في حملة خارجية ، وهو محمول على أيدي الرجال ، فأدرك وحمل الى المنصور متخفا بالجراح التي مات منها في أواخر المحرم سنة ٣٣٦هـ / أواخر أغسطس ٩٤٧م (٧٧) .

(٧٤) عيون الأحرار ، ص ٢٢٢ - بقى مفسى عليه مدة ١٢ يوما .

(٧٥) أنظر امتحان الدعوة ، ص ٣٣٣ وما ٢ ، والمجالس والمسايرات ، ص ١١٥ - حيث الإشارة الى انها القراءة الصحيحة على عكس « كتامة » عند ابن الأثير وابن خلدون ، أو كغافة في سيرة جودر ، وكيانه في ابن حماد وان كانت في الترجمة الفرنسية صحيحة في شكل كيانة .

(٧٦) ابن الأثير ، ج ١ ص ٤٤٠ - حيث الإشارة الى اقبال هوارة وأكثر من مع أبي يزيد يطلبون الأمان ، فأسهم المنصور ، وأنظر المجالس والمسايرات ، ص ٢٥٧ - حيث الإشارة الى ان بني كملان كانوا يكفرون عن خطيئهم هذا في حق القائل عندما انضموا الى جيش المنصور فيما بعد .

(٧٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٩ - ٤٤١ - حيث التاريخ ٢٩ المحرم ٣٣٦/ ٢٣ أغسطس ٩٤٧ ، وقارن عيون الأحرار للمداعي ادريس ، ص ٢٢٤ - متابعة مغلدة في أدلة علي ٩٢ هـ من المسيلة في ١٠ شعبان ، ص ٢٢٥ - عروبة (مغلدة) ومتابعته في رؤوس الجبال والأودية وعقر زيري لجواده وقتل ابنه يونس وطمعه بن كتمه وهربه ص ٢٢٦ - جعفر من منصور الذين كان حاصرا وسمى المعركة بيوم المسيلة ، وفيها قال في المنصور :

بهذا لك النصر فيما رمت من سب يا سيد الخلق من عجم ومن عرب

ص ٢٣٠ لجوء أبي يزيد الى قلعة شاكور في حال كيانة من حبار عقار ، ص ٢٣١ متابعته في الوعر ومع بني كملان ، ص ٢٣٤ - البربر يلقيون الصخور من أعلى الجبال ، ص ٢٣٤ =

نجح في ربح النوار ودفعهم بعيدا ، يوم الجمعة ، ول صفر / ٢٢ أغسطس سنة ٩٥٧م (٧٩) .

وإذا كان معبد بن حرر ، الذي كان اخوه محمد بن طاعة المنصور . قد ارتدع وكف عن الفساد (٨٠) . فإن الفصل ابن أبي يزيد ظل يصل امتداد ثوره ابيه الكارية . فبعد ظهر الفصل في حل اوراس وصوره على الناس بن ابيه « حتى لم يمت » ، الامر انى اجناب عامة الناس وارباشهم من اسير ، فسار بهم الى فلسطين ، فقتل من بلاد الجريد ، حيث خافه الناس ونوموا سقوطها بن يديه . وعد - ١ - خرج اليه المنصور في أول شعبان من سنة ٣٢٦هـ / ١٥ فبراير ٩٤٨م ابغ الفضل أسلوب والده في الفرار الى الرمال ، مما دعا المنصور الى فتح بعض القصر والحصون التي كانت لاعوانه ، مثل قصر حمونس وبرحمانه ، قبل الوصول الى سبغلة ثم قفصة التي وصلها في ٢٠ شعبان / ٧ مارس ، بينما عاد فوصل الى جبل اوراس من حيث هاجم باعابه (٨١) . وكان على المنصور أن يثار من عامة بني يهرن في المنطقة ، من : كلاله وبرادية وبني شداد وبني نمت ثم تتبع أصول أهل بيت أبي يزيد من بني واسين لبسناصلهم ، وكذلك المكناسيين ، من : بني مولاب ومزرعة ، الذين لجأت فلولهم الى حصن ماواس ، حيث وقع عبء الاستيلاء عليه على عاتق ولي العهد ، في رواية منقبة أظهر فيها من رباطة الجأش وحسن التدبير ما كان موضوعا لشعر جعفر بن الحسن منصور اليمن (٨٢) .

(٧٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤١ - حيث النص على محمد بن عمرو بن دلا من معبد وقار بن خلدون ج ٧ ص ١٦ . عيون الأحرار للداهي ادريس ص ٢٨٣ - حيث النص على معبد بن حرر فقط دون الفصل ، وعن أنس كل من معبد وفصل أثناء الكفاح اعبر نفس المنصور ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ - حيث مهاجمهما مدينة طنة واهرامها بعد ان محالفا معا من حيث ان معبد كان يرى رأى الخوارج (٨٠) عن شهادة معبد الذي قص عليه وقتل سنة ٣٤٠هـ / ٥١ - ٩٥٣هـ أنشور ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٨١) عيون الأحرار ، ص ٢٩١ وما بعدها - حيث النص على وصول فصل الى مدينة مدبلة وعامتها القاسم هو باسط بن بعل بن باسط الرابي ، وقار بن خلدون ج ٧ ص ١٦ حيث يعتقد ذلك في احصائه .

(٨٢) أنظر عيون الأحرار ، ص ٢٩٤ - ٢٩٩ - حيث النص على أن المنصور وحده في ولي عهده رغم صغر سنه ، ما لا يوجد في شعر الا قد - ومن شعر جعفر بن الحسن في الرقة -

انعم بك يا ابن خير الناس ويا حياك الله في ماواس

وامام اخفاق الجيوش النظامية في متابعة -- حرب العصابات التي كان يشنها فوصل بن أبي يريه في منطقة باغاية ، لا بأس أن يكون المنصور قد لجأ الى أسلوب الخداع والعدو فأوعز الى بعض رجاله في المنطقة ، وعو ما طيط ابن يعلى أن يحال في قتل فضل بن أبي يريه بطريقة أو أخرى .

وهكذا خرج المنصور وبصحبه الى عهده المعمر من حصن ماواس في ٥ رمضان لبصل الى المنصورة في ١٥ من رمضان قبل الرحيل الى المهديّة في ٢٥ رمضان (٣٣٧هـ / ٢٩ مارس ٩٤٩م) . وفي ٢٠ من ذي القعدة / ٢٤ ابريل كان مايطيط بن يعلى يصل الى المهديّة برأس فضل بن أبي يريه بعد أن غدر به وهو يحاصر باغاية ، الأمر الذي كان موضوع احتفال الداعي جعفر بن حسن منصور النيمن (٨٣) .

وبمقتل فضل انفض أصحابه جميعا . وباحتثات أصول بنى يفرن من آل بيته ثم القضاء على الدعوة « البزيرية الفكرية » ، انتهى أهم أدوار بنى يفرن السياسية ، وراثهم ابن خلدون اثر ذلك « بالبقاء لله » كما هي عادته في نعي الملوك والدول (٨٤) .

تهدئة المغرب :

ونظمت رحله العودة الى المهديّة (في شهر رمضان سنة ٣٣٦هـ / مارس ٩٤٨م) من المنصور أكثر من ٦ (ستة) أشهر كان عليه أن يقصدها في اقرار السلام في المنطقة ، وفي بلاد المغرب البعيدة . ففي المسيلة ، بند جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي أقام المنصور ١٧ (سبعة عشر) يوما ، أقيم أثناءها مهرحان النصر الذي طيف فيه في شوارعها بجلد أبي يريه المنفوح كتمثال بالتن ، وهو في القفص مع الفردين اللذين ينبغي أن عليه ويصفعانه ، وفيها واقاه زعماء الكتامين المشفقين من بنى كملان يتضرعون اليه ويسألونه العفو ، فقبل منهم وأصدر لهم سحلا بالأمان ، وشملهم

(٨٣) انظر عيوب الأخبار من ٣١١ حيث قال في المنصور شعرا ، منه :
 'راد الدجاء اذ مر بصل بن مخلد يسحر بك اتحاء طول التمدد
 وسم مرل المنصور بأحد قادرا يبيد عداه بالقنا القفص
 (٨٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارو عيوب الأخبار للداعي ادريس من ٣١٠

باحسانه (٨٥) .

حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع الناصر :

وعلى عكس ما كان متوقعا من اتجاه المنصور جنوبا بشرق ، عبر بلاد الزاب ، نحو القيروان والمهدية كان عليه أن يقوم بحملة أخرى الى مسطنة تاهرت في الشمال الغربي . فقد راحته الأبناء من تاهرت تفيد ان المدينة مهددة من قبل ابن واليها الأسبق ، وهو : حميد بن يصل المكاسي الذي غلب على الفسواحي ، وطمع في اخذ المدينة نفسها ، فحرب عليها الحصار . وكان حميد الذي عرفناه من أولياء المهدي في تاهرت سنة ٣٢١هـ / ٩٢٣م ، قد حرج على الفسائم سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م لكي يدخل في طاعة الناصر الأموي بقرطبة ، ويحصل منه على ولاية الغرب . ولقد انتهز الزناتية من بنى خزر فرصة النجاح الذي حققه ابن جلدتهم أبي يزيد ، وهاجموا مع حميد بن يصل تاهرت في أواخر سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م على ما نظن ، وقتلوا عامل المدينة عبد الله بن بكار وأسروا قائدها مسرورا الخادم (٨٦) فلما ظهرت علامات الفشل على ثورة أبي يزيد انقض الحلف الزناتى المكاسي بدخول محمد بن خزر في طاعة المنصور ، وان بقي أخوه معبد متعاطفا مع فضل بن أبي يزيد . وهنا لا بأس أن يكون حميد قد أراد أن يحل وقتئذ محل الزناتية في تاهرت رغم ضعف موقفه .

وهكذا كان على المنصور أن يغادر المسيلة الى هناك ، وذلك في تمام الساعة التاسعة من ليلة الثلاثاء ١٨ صفر ٣٣٦هـ / ٩ سبتمبر ٩٤٧م لكي يصل الى تاهرت بعد مسيرة ١٢ (اثني عشر) يوما بعد عصر الاثنين أول ربيع الأول / ٢٠ سبتمبر ، ونصب المنصور معسكره خارج المدينة ، وابتدأ بتأمين أهلها قبيل الطواف بجبله أبي يزيد في أرجاء المدينة ، في مهرجان شعبي صاخب ، حسما نظن ، وان كان في مدينة الخوارج الصفرية . ولا بأس أن يكون احتفال التشهير هذا بمثابة إنذار لحميد بن يصل الذي لم يفر الى الصحراء هذه المرة بل فيما وراء المحار الى الأندلس لدى

(٨٥) عيون الأخبار لداعي أدريس ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٨٦) انظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ . حيث النص على ميسور الحصى ولما كان مقتل ميسور بالقيروان أثناء ثورة أبي يزيد (ما سبق ، ص ٧٩ وهـ ٥٠) ، فأغلب الظن انه مسرور الخادم ، انظر الى الحديث (انظر ص ١٩٣ وهـ ٨٨) .

عبد الرحمن الناصر ، وكان قد دخل في طاعته (٨٧) .

مسرور الخادم واليسا لنهاوت ونس :

ولما كان حميد قد ركب من نس ، مرفا ناهرت ، الى الأندلس ، فقد كان على أهله أن يسارعوا بانقذوم الى حضرة المنصور بتاهرت لتقديم عروض الولاء والخصوع . ولقد أحسن المنصور استقبال النسيين وأكدهم أمانهم بإصدار سجل شريف به ، وجعل ولاية كل من المدينين ، تاهرت ونس ، الى قائده مسرور الخادم ، الذي احتفل بتقديده يوم الثلاثاء ، ربيع الأول / ٢١ سبتمبر ، محمولا على سرج محلي (٨٨) . وبذلك تأكد ولاء المنطقة للمهدية من جديد ، من الداخل حتى الساحل .

مرض المنصور :

وكما حدث أثناء متابعة المنصور - وهو في المسيلة - لأبي يزيد ، عندما مرض ذلك المرض الذي كان يصيبه بالاعضاء الطويل ، اعتل بتاهرت أيضا عله شديدة ، وإن كانت من نوع آخر - ربما كان الذوب (البواسير) الذي عرفه إبراهيم ابن أحمد (أنظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٢٨٣) ، وذلك أنه ظل يعاني من عدم القدرة على القعود أو القيام لمدة ٢١ (واحد وعشرين) يوما حتى أشفى على الموت ، كما يقول القاضي النعمان ، وفكر في الوصية . « حسبيما يجب لله عليه » (٨٩) .

جولة أثرية في منطقة لواتة ، وتهجير قبائل كتامة :

وفي ناهرت ، بعد أن عادت اليه الصحة ، كان على المنصور أن يخضع قبائل لواتة في المنطقة ، وكانوا قد تحالفوا مع حميد بن يسل (٩٠) ، فخرج اليهم في ٨ ربيع الآخر / ٢٧ أكتوبر ٩٤٧ م ، ولكنه عندما وصل الى ديارهم ،

(٨٧) عبود الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٨٨) عبود الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - وقارن ما سبق ، ص ١٩٢ وما ٨٦ ،

حيث المرأة مسرور في ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٨٩) عبود الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ - حيث الإشارة الى انه جمع

وجهاء القوم لمريم بنته في الوصية ، ولكنه ما أمسى الا مديقا ، وعادت القوة واتصلت الصحة اعسارا من يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول / ٢٩ أكتوبر حينما خرج للتريض بناحية

بج سادة .

(٩٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٧ .

وجلبهم قد هربوا إلى رحل السودان وبراريه . وهكذا اكتمل المنصور بالتعظيم
بحجته بقديه في شخصه العتيق بالانار ابيرنطيه العديله من عهد سليمان
(Solomon) قائد جستين وبيودورا . نكح يعود بعد عشرة أيام ، في
٢٠ ربيع الآخر / ٦ نوفمبر ٩٤٧م إلى المسييه التي وصلها في ٢٩ من ربيع
الآخر / ١٧ نوفمبر . ومن المسييه ارتحل فجر الخميس أول جمادى الأولى /
١٨ نوفمبر نحو سطيف حيث أقام بها ٣٠ (ثلاثين) يوما . ولقد قصي
المنصور هذه العترة مشرقا على ما كان فرصه ، وصعد ، على قبائل كنامه
هناك من نهجر ١٤ (اربعة عشر) ألف أسرة (بيت) إلى المنصورية للاقامه
بها في كنفه (عيون الاحبار ، ص ٢٨٨) وهو بذلك كان يضرب عصفورين
ببحر واحد ، فهو من ناحية يستعملهم في خدمه كحرس أميري خاص ،
وهم من ناحية أخرى يبقون لديه رهينة يضمن بها طاعة أقاربهم وبنى جلدتهم
في بلاد القبائل . وفي سطيف أشبع المنصور هوايته بالآثار ، فنظر فيما
كان يحويه قصرها القديم الذي تبلغ مساحته حوالى ٥ (خمسة) آلاف متر .
من عجائب البناء بالحجر والطوب ، والزخرفة بالواح الرخام (٩١) . وبعد أن
أعطى الأمان لرجل من أولاد أبى يزيد ، حلق عليه وأكرمه بألف درهم ،
رحل من سطيف يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخر / ٢٣ نوفمبر ٩٤٧م إلى ميله
التي أقام بها ٩ (تسعة) أيام اسنقل فيها وفود الكتامين المهاجرين إلى
المهدية معه . وفي ١٨ جمادى الآخرة / ٥ ديسمبر رحل إلى سبيبة حيث
كانت وفود القيروان في استقباله في ٢٦ من جمادى الآخرة ٣٣٦هـ /
٢٣ ديسمبر ٩٤٧م .

احتفالات النصر بالقيروان :

وهكذا خرج المنصور من سبيبة إلى القيروان في موكب ضخم من
رجال الجيش ، والكتامين المهاجرين ، ووفود المستقلين من القبروانيين .
يتقدمهم الأولياء من كبار القواد وأهل البلاط والحاشية في ملابسهم الرسمية
المطرزة . ومن القيروان قوبل المنصور بالتهليل والتكبير ، فسجد لله شكرا
على عرف فرسه . قبل أن يدخل قصره الجديد ، بضاحية صبرة التي سوف
تعرف بالمنصورية منذ الحين ، في يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة

(٩١) عيون الأحبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٩ - حيث طول قصر سطيف ٣٠٠٠ ذراع
وعرضه ٦٠ ذراعا ، وأما هاشم ٥١٤ ، ص ٣٥١ - حيث الإشارة إلى امتناع الدعوة
وابن حرقل ، واليعقوبى ، والادريسي .

سنة ٣٣٦ هـ / ١٦ ديسمبر ٩٤٧ م . وفى اليوم التالى كان على أهل القبروان أن يحتفلوا بعيد النصر لمدة ٣ (ثلاثة) أيام ، طيف فيها بشوارع المدينة وأسواقها بجلد أبى يزيد مشهرا على الجمل بالطرطور وبالقردين ، قبل أن يستقل ذلك المهرجان الى المهديّة حيث انتهى تمثال الناصر العباسي ، المصنوع من جلده مخرقا على سور المدينة ، بفعل الرياح والعوامل الحرة الأخرى (٩٢) .

خلاصة المنصور الفاطمي

شخصيته :

هو أبو الطاهر اسماعيل بن أبي القاسم محمد . وفي وصف شخصيته يقول ابن عداري انه ولد في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م بقرادة بالقيروان (١) ، وبذلك يكون قد ولي الملك وعمره ٣٢ (اثنان وثلاثون) سنة ، وانه توفي سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م وعمره ٣٩ سنة بمعنى انه حكم سبع سنين (٢) .

الفصاحة والصفح والضعف الصحي :

اما عن أهم صفاته فقد كان نصيحاً بليفاً ، كما كان خطيباً مفوهاً ، « يخترع الخطبة لوقته » (٣) . وكما هو الحال بالنسبة لسائر الأئمة لا تعرف شيئاً عن صفاتهم الجسدية ، حتى عند الكتاب الذين خدموهم عن قرب ، مثل . القاضي العمان الذي يكتفي بالإشارة الى ان المنصور كان ميالاً للعفو والصفح عن قدر عليه (٤) ، بمعنى أنه كان ليناً لا يميل الى العنف . ولا نأس أن يكون ذلك بسبب اعتلال صحته لما كان يعانيه من المرض . كذلك الذي كان يصيبه بالغيوبة من « صرع » أو غيره ، أو من « داء الدرب » (الدوسنتاريا أو البواسير) الذي كان يعذبه واقفاً أو قاعداً (أنظر ما سبق ص ١٩٣) . ولا بأس أن يكون كل ذلك من الأسباب التي جعلت القسائم يمنع اعلان ولايته اياه للعهد لمدة طالت الى أكثر من ١٠ (عشر) سنوات (٥) .

-
- (١) أنظر البيان المغرب ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣١١ - حيث النص على انه ولد بالمهدية التي لم يتم سكنها الا في سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ولهذا عدلنا المهدية الى رقادة .
(٢) ابن عداري ط . بيروت ، ج ١ ص ٣١٤ .
(٣) ابن عداري ، نفسه ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ .
(٤) افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٤ .

(٥) أنظر المجالس والمسابرات ، ص ٢٢ (الخدمة) وص ٤٤٨ - حيث النص - رواية عن المنصور على ان القسائم لم يتقدم لتولية الأمر بعد وفاة المهدي الا بعد أن أخذ يبدى (المنصور) وحلاي وفلندي عهده . وأسر الى ذلك واستكنى اياه - وه ٤ - حيث الإشارة الى تعريب حودر بذلك . وأنظر سيرة حودر ، ص ١٥٩ - حيث النص على ايثار القسائم للمعز .

وهنا لا نستطيع أن ننسب الصدر للقائم بإى الحكمة كانت تقضى بسك
بسبب بورة بى بريد اتى بم تبدا الا سنة ٣٣٢هـ / ٩٣٤م أى بعد ٩
(تسع) سواب من ملكه ، وكان المنصور وقتئذ ناضجا قد بلغ سن
الرشد . ولا بأس ان يكون ضعف المنصور صحيحا هو الذى جعله يفكر
فى أن يعهد الى جفيده المعز (معد) بن المنصور بولاية العهد ، منخطيا
والده (٦) . الامر الذى لا يحدث عادة الا لعدم الأهلية كما فى سابقة تنحية
الصادق لولده اسماعيل ، التى لم يقبلها أتباع اسماعيل . وهذا ما يحول
دونه فتح اسماعيل المنصور من طول انظاره الاعلان عن ولايته للعهد التى
تعنى مشاركته فى الحكم كنوع من التمهيد للعمل والتأهيل . هذا ، كما
يمنع من عدم كفايته ما أظهره منذ اعلان ولايته للعهد ، وان كان قبل فترة
وجيزة من وفاة القائم ، من : كفاءة شخصية بل ومن قوة احتمال بدنية ،
وشجاعة روحية ، وتضحية بالنفس والفنيس ، الى غير ذلك من البساطة
والتقشف والنزاهة (٧) . وهى الصفات المؤهلة دون غيرها من الصفات
والعضائل لتولى الخلافة وإمارة المؤمنين فى أوقات الحرب والفتن (٨) ، وهى
الصفات التى أظهرها فى قتال أبى يزيد ، مما سبقت الإشارة اليه .

التساؤل :

ومن الواضح ان المنصور كان متفائلا بنتيجة الصراع ضد الزناتية
عن طريق الارادة أصلا والاختيار ، على عكس والده القائم الذى يظهر متوكلا
منتظرا عناية الله وقدره المقدر (٩) . فالمنصور حرى بشير النخوة فى قلوب

(٦) المجالس والمسايرات ، ص ٤٦٩ - حيث التص على ان القائم كان يخاف على المعز
من تنكر المنصور له .

(٧) مما يشير اليه المنصور نفسه ، فى رسالة له الى حوذر فى أمل القصر حيث يقول :
« قد علم الناس كافة انى كنت نشأت معرضا عن الدنيا زاهدا فيها ، شبيها براهب من
الرهبان ... » الى قوله : ثم والله الذى لا اله الا هو ولا رب غيره ما قبلت من أحد من
العباد درهما فما فوقه هدية قط الا من جرود ... (سيرة جودر ، ص ٦٢) .

(٨) أنظر الأحكام لسلطنة لىساوردى ، ط ١ فصل الخلافة ، ص .

(٩) عيون الأخبار ، ص ٩٦٦ - عن رؤيا خريطة البلاد ومدنها مفتشية بالسواد كناية
عن استيلاء أبى يزيد عليها ، فكان المنصور كلما وضع يده على شئ منه يزول فى الحال ،
المجالس والمسايرات ، ص ١٣٢ - حيث يعلم المنصور علم النجوم الذى يعبر المظهر ولكنه
لا يعمل به ضد أبى يزيد . ومن موقف اللامبالاة من قبل القائم أنظر فيما سبق ،
ص ١٨١ وص ٥٦ .

رحاله واضرع في نفوس عدائه ، = التبيية في عين الناس ، حتى قيل ان
المسيدي كان يعرف انه كاشف المحبة ومطفيء نار الفتنة ، وهو جيب في بطر
أصه (١٠) ، وهو صائب في مواجهه صاعب العمريق ، من . سلوك الشعوب
وتسليق الال ، والسير الطويل المسافات . ويظهر تعاؤل استصور فيما كان
يرتديه من ملايس احسب الزاحية الألوان التي تشهد الاستياء ، والمظلة
المرفوعة « عى رأسه كالعلم » ، موضعه معروف للأصهار والأعداء . فهو
عند النعينة وآخر أيام الكفاح في بلاد الراب وقبلة كيانته « يلبس جوشنا
وصوقة خفتان أحمر مثقل بالوشى وينعم بعمامة صفراء » (أنظر عيون
الأخبار ، ص ٢١٩) أو « يلبس قباء أصفر وينعم بعمامة صفراء » ويرحى
ذؤابيه « (عيون الأخبار ، ص ٢٤٨) ، أو يجرح للقتال في ثوب أحمر
موشى ، مذهب الأكمام والأديال ، وعمامة حمراء معملة اطرفين مذهبة ،
وقد أرخى ليا دؤابة ، ويده درقة مفضاة يديباح أحمر مصنع بصفرة (عيون
الأخبار ، ص ٢٥٦) .

الجرأة والعلم :

ولا شك ان تلك الجرأة التي صدمت الأعداء نفسها ، ورفعت شأن
الأولياء معنويا ، كانت تستند الى جانب صدق اليقظة وقوة المزيمة - الى
صحة العقيدة وسلامة الايمان بتعاليم المذهب ، وخاصة فيما يعد به من النصر
والظفر في علم الحدثنان . وهنا يصور الكتاب ، وعلى رأسهم القاضي السمعان ،
أبا الطاهر اسماعيل جامعا بين فخر الجهاد المظفر وزهو العلم الأصيل المتمثل
في التأويل . فهو محب للعلم جماع للكتب (١١) . وهو عالم بالنجوم ، وان
كان لا يؤمن بتأثيرها في الخطوط ، فلا يلتفت الى استخدامها أثناء فتنة
أبي يزيد (١٢) . هذا كما ان المنصور جمع الى فصاحته وبلاغته القدرة على
نظم الشعر . فمن ذلك ما نظم في انتصاره يوم المسيلة على أبي يزيد ،
وبعثه الى ولي عهده المعز ، ومنه :

أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفي أقدم اليها تحت المغافر

(١٠) عيون الأخبار ، ص ١٦٢ .

(١١) الخالص والمسايرات ، المقدمة ص ٢٣ والنص ص ٥٠٢ - حيث يقول ان المسيدي
كان يوجه المنصور الى الاهتمام بطلب الأرواح أى علم الساطن ، وأنه ناوله كتابا ضخما في
هذا المجال ولكنه طلب إليه ألا يراه أحد لديه . من وألا يطلع أباه عليه .

(١٢) الخالص والمسايرات ، ص ١٢٢ ومن ١٢٣ - حيث الاشارة الى عدم ايمان الصادق
عليه التحريم أيضا . وأنظر أيضا ص ٤٣٦ .

ومنه أيضا :

أجوب المنصور وأطوى الرجال وأحصل نصي لهول مهول
(عيون الأخبار ، ص ٢١٧)

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون المنصور هو المعلم الأول لولي عهده
المعر الذي يصبره القاصي النعمان « مصدر كل العلوم وأساس التأويل
وكاشف الأسرار » (١٣) . والمنصور هو الذي علم المعز أصول الجدل والمناظرة ،
وتعريفه بالقاعدة الذهبية في الجدل ، وهي : أن العلم لا يثبت الا بعد الحجة
والمعارضة (١٤) .

وهي سبيل العلم والدفاع عن المذهب لم يترك المنصور عموه أبا يزيد
بذلك متسحا بجراحه بل يأمر بعلاجه ومداواته ، لكي يقوم بمناظرته من أجل
معرفة كنه دعوته ، وأسباب احتسابه ، وما كان يسكره على الأئمة - وهو
يعلمه في كل ذلك ، حسبما تعلمه من أصول الجدل وأساليب المناظرة - بناء
على قواعد المذهب واستنادا الى علم الأئمة (أنظر فيما سبق، ص ١٨٩ و ٧٨) .

والمنصور في النهاية محب للعلوم الدنيوية ، فهو مقرب بالآثار المخربة
القديمة يشاهدها أثناء جولانه الحربية . ولا يكتفى بالاستمتاع بجمالياتها
المعمارية والفنية ، بل يطلب المترجمين العارفين باللغة اللاتينية لك ورموز
موشيا ، وفراءها ، وترجمتها الى العربية ترجمة صحيحة ، كما حدث في
حملة لوانة قريبا من تاهرت (انظر فيما سبق ، ص ١٩٣ - ١٩٤) .
وتظهر محبة المنصور للعلم والفن فيما أنجزه وخلد ذكره ، في تحويل ضاحية
صيرة بالقيروان الى مدينة ملكية تحمل لقمه ، فهي المنصورية (انظر فيما
بعد ص ٢٠١) .

ورغم كل هذه الصفات التي ردمت من شأن المنصور وهيبته في القلوب
مما كان يمكن أن يكون مصدر رهو وتكر له ، عرف المنصور بتواضعه .

(١٣) المحاقس والمسايرات المقدمة ص ٢٤ ، ٢٥ : حيث قراءة الحكمة يوم الجمعة ،
و مناق الفقهاء على دفتر يقال له « مجلس الحكمة » يقدم ان المنصور ليجيز تلاوته على المؤمنين
بمعرفة دعي الدعاة .

(١٤) المحاقس والمسايرات . ص ١١٧ ، ١٣٣ - حيث كان المنصور يشجع المنز على
مناظرته .

فهو يسمى القاضي النعمان عن تعجيل الأرض بين يديه - الأمر الذي لم يقبله المعز بعده (١٥) .

جسامع الأخصداد :

وهكذا يكون المنصور قد جمع في شخصه عددا من المناقصات . من - الصحة والمرض . وحب الحرب والعم ، مما يتمل في القوة والضعف أو السماكة والشفافية ، ويرمز في النهاية اذا صبح القول - الى وحد - الأضداد متحدة في النفس الانسانية بمنازعها الى الخير والشر .

السياسة الداخلية :

كتمان بوليته للعهد :

دعم ما عاناه المنصور من كتمان بوليته للعهد لمدة طالت الى أكثر من اثني عشر عاما ، فانه عندما آتت اليه الخلافة بعد وفاة القائم كان عليه أن يبقى في الظل لأكثر من خمسة عشر شهرا من خلافته ، حتى تسهي ثورة أبي يزيد (١٦) ، فكان الكتمان قد أصبح مع قيام الدولة الفاطمية من مبادئ أصول الحكم والسياسة ، بعد أن كان من قواعد التشيع والمذهب . وهكذا ظل المنصور يمارس اختصاصاته وكأنه أمير ولي للعهد ، مفوض من قبل الإمام ، الى نهاية الثورة الزناتية . فهو يصدر السجلات ، (الخطابات الرسمية) الى العمال ويخاطبهم باسم « الأمير اسماعيل » أو « ولي عهد المسلمين » مباشرة دون مداواة ، أو مع الإشارة الى أن الكتمان موجه الى أمير المؤمنين اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وان اختلف الأمر بالنسبة للدعاء في الخطبة على المنابر حيث يقتضى الأمر ذكر الأئمة متسلسلين ، ومن بينهم آخرهم : محمد أبو القاسم القائم - دون ذكر اسمه هو (١٧) .

(١٥) الخبائس والمسائرات ، ص ٥٧ ، هذا وان كانت رواية أخرى ، ص ٦٥ - ان المعز كان أرفق بالناس من المنصور ، وذلك بنسبة ترحم الناس في ساحة القاضي .

(١٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٥٥ .

(١٧) انظر سيرة الأستاذ حيدر ، ص ٤٤ حيث استخلاف حيدر على المهديّة وسائر البلاد وكانت ترد اليه مكاتبات المنصور باسم القائم بأمر الله ، بعد وفاة القائم ، ص ٤٥ - حيث خطاب انتصار يوم الجمعة على أبي يزيد ، ولله « ولي عهد المسلمين » نائب أمير المؤمنين ، يوجه الخطاب الى « سيدنا ومولانا أمير المؤمنين » . وقارن عيون الأبحار لنداءى ادريس ، ص ١٩٤ - حيث أمر المنصور حاكمه (حمقر بن علي) بالتوجه الى جمع القروان =

اعماله الخالفته :

وفي نفس اليوم الذي تم الظفر فيه بأبي يزيد ، وهو الخميس ٢٩ من المحرم سنة ٣٣٦هـ / ٢١ أغسطس ٩٤٧م أصدر المنصور ١١ وأمر بالسلام عليه ، وتوجيه الخطاب اليه . باسم : « أمير المؤمنين » ، والكتابة بذلك إلى الأعمار أو الأعمال ، لاداعته بين الرعية ، والدعاء به على المنابر ونشبه على المنسوحات الحكومية ، الخاصة بالملابس الرسمية . وطبعه على النفود (١٨) .

أما عن ابنه محمد (أبو تميم المهر) فقد كان إعلان ولايته للعهد سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م أي قبل فترة وحيرة من وفاة المنصور سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م التالية (ابن عداري ، ط . بروت ج ١ ص ٣٣٤) .

بعضه المتشعورية :

أما عن أول أعماله أبو الظاهر اسماعيل المنصور ، بم أعماله الحربية ضد الرمانية ، هو اتخاذ مدينة ملكيه جديدة يمر على طبيعه عيشه الذي يمثل النصر والفتح الايجائي ، وفي المنصورية ، على عكس المهدية التي مثلت في الفكر الشيعي الدواع والصمود . والذي يعبر من التنب الصغيرة التي

بعضي الجمعة وأقام الحفلة باسم الأمير اسماعيل . ص ١٩٦ - حيث كتب المنصور كتابا إلى المهدية وأمر حوذر الأسناد أن يقرأه على المنبر في المهدية ، وفيه يصف بعضه « بولي عهد المسيح سيف أمير المؤمنين » . وفيه « وقد بعثت كتابي هذا إلى أمير المؤمنين مولانا وسيدنا ، ساريح ذي القعدة / يونيو ٩٦٤م » . ص ١٩٧ حيث وجه الخطاب إلى كسامة . وفيه من الأمير اسماعيل إلى عهد المسلمين ، ص ٢١٢ حيث الخطاب الموجه إلى قدام الخادم ، عاملة على المنصورة والقروان - شربيع ١٤ جمادى الأولى سنة ٣٣٥هـ / ٩٢ ديسمبر ٩٤٦م ومثل كسابة النصر الهشامي على أبي يزيد وأمره المؤرخ في ٢٥ محرم سنة ٣٣٦هـ / ١٧ أغسطس ٩٤٧م ، حيث يرسل لكتاب « من الأمير اسماعيل إلى عهد وابن أمير المؤمنين » ص ٢٦١ ، وظفر ص ٢٣٩ حيث حفلة الظفر سنة ٣٣٥هـ / ٢٥ أبريل ٩٤٧م ، وفيها اسم التسائم ، وكذلك حطة الأصح في نفس السنة ص ٢٥١ .

(١٨) عيون الأخبار ، ص ٢٨٠ - حيث البس في الخطاب الموجه إلى عامل أفريقية ، على أنه « لم يرل أمير المؤمنين يأخذ نفسه بغير ما أماء الله من شرق الخلافة وفخر الإمامة ... لا بشعاله بالجهاد وطلب العاسق مخلصه من كداد ... وبعد هلاك العاسق أحب أمير المؤمنين ابتداء ما اختصه الله من كرامته من بباد الخلافة ... وأمر إنشاء الكتب إلى جميع الألقا ... (حيث) تنظيم أمر الدين وقامت شرائحه ... والتقدم في اداعته في الأولياء واللمبة والرعية ليحمدوا الله على ما منحهم بركة أيام أمير المؤمنين ... فاقم الدعاة على المنابر ... ومن بالثبات ذلك في الطرر وفي دار الضرب .

يقدها الكتاب ان المنصور احثار موضع حصرة ، وهى الصحاح الجنوبية على بعد نصف ميل من القيروان فى مقابل رفادة الشمالية ، ليكون مقرا جديدا له ، وذلك عندما لاحت نباشير النصر على عدوه أبى يزيد الذى كان ينهزم أمامه فى القيروان فى أواخر سنة ٣٣٤ هـ / يونيه - يوليه ٩٤٦ م . وذلك أن الأوامر صدرت بالبناء الذى عهد به الى قدام الخادم الصفلاوى عقب انتصار القيروان الفاصل على أبى يزيد فى معركة يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ٣٣٥ هـ / ٦ أغسطس ٩٤٦ م ، فى نفس مكان معسكره فى أرض المعركة ، استبشارا بالمكان وبالحدث . وهكذا فبعد أن أقام المنصور بالله فى خندقه بقيه شهر المحرم وشهر صفر ، وأخذ يستعد للخروج فى أثر أبى يزيد « أمر بعمارة مدينته فى ذلك المكان ، فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ هـ / أكتوبر ٩٤٦ م ، وسماها المنصورية » ، « وأمر بإحكام سورها ورفع بنيانها » - وعند الرحيل أصدر الأمر بتعيين قسام الخادم واليا (عاملا) على كل من القيروان والمنصورية ، وطلب اليه ألا يترأخى فى السناء (١٩) ، ومنذ ذلك الوقت كان قدام الصقلي يتلقى أخبار الحملة المظفرة بصفتة أمين دار الخلافة ، وأقرب العمال الى الأمير (انظر فيما سبق ، ص ٢٠١ حيث يفيه هـ ١٧) .

التخطيط :

اما عن التخطيط حسبما يسفل عن البكرى ، فكانت المنصورية مربعة لها ٤ (أربعة) أبواب فى الاتجاهات الأصلية الأربعة (٢٠) بمعنى انها كانت شطرنجية الشكل يخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان ، ينتهى طرف كل منهما عند واحد من الأبواب الأربعة . والفروض أن يكون موضع تقاطع الطريقين الرئيسيين هو سرّة المدينة حيث المسجد الجامع الذى لا يبعد عنه القصر كثيرا ، والذى تحيط به الأسواق التجارية التى نقلت بأمر المنصور

(١٩) عن يوم الجمعة أنظر سيرة حوذر ، ص ٤٢ - حيث رسالة المنصور ، وقارن ابن حوقل ، ص ٧٤ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٩١ وما بعدها ، وص ٢٠٢ - ٢٠٣ (عن المنصورية) وابن عذارى الذى يحمل السناء فى سنة ٣٣٦ هـ / ٤٧ - ٩٤٨ م ، أى عقب النصر النهائي لأسر أبى يزيد .

(٢٠) انظر البكرى ، ص ٢٥ - حيث النص على انه كان لصبره ٥ (خمسة أبواب) : قبل (جنوب) وجوفى (شمال) وشرقى وجب الفتوح (غربى) بالإضافة الى باب كتامة الذى لا يعرف اتجاهه . وقارن ابن حنابلة ، ص ٣٤ - حيث الباب الشرقى رويلة ، والجوفى ، كتامة ، والغربى - باب الفتوح .

من القيروان إلى مدينته الجديدة (٢١) . أما عن انتقاله فكان في ٢٩ شوال سنة ٢٢٧هـ / ١ مايو ٩٤٩م ، عقب عودته من حملة المغرب ، وبقيته في القيروان لبعض الوقت (٢٢) .

ولقد كانت المنصورية موضع عناية الممن ، بعد المنصور ، إذ زادت رقعتها ومبانيها وازدهرت قصورها ومرافقها ، فجلب لها الماء على الهيا من الجبال البعيدة ، كما شق لها الأنهار ، مما يرد ذكره في مجالس السمان ومسايراته (٢٣) . والحقيقة أن الاختلاف في تاريخ طريق الانتقال إليها ، قد يعنى بقاء مبدأ الكتمان مع استمرارية نفس نظام الحكم ، مما يمتثل في بقاء الحجابة مع جعفر بن علي .

البقايا :

ولقد دلت التنقيبات الأثرية في خرائب صبره المنصورية ، على بقايا من الحجر والرخام المنقوشين والرجاج الملون ، كما بينت بقايا القصور عن أساسات تتداخل فيها ٣ (ثلاث) قاعات متوازية . أما عن مواد الرصف فهي مربعات من اللبن المحروق أو قوالب الطوب بغير « مونة » أو بمونة من التراب والحصى ، مع وجود بعض قوالب الطوب المزججة من وجه واحد . أما عن مواد الكساء فتتراوح ما بين طبقة من الجص المنحوت بورقة الاكانتوس أو مربعات الفخار من مزججة وغير مزججة (٢٤) .

(٢١) الكرى ، ص ٢٥ - حيث النص على أن طولها في القيروان كان ميلين تقريباً ، وانظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٦٢ . أما ما نقل عن ابن حوقل في وصف المنصورية ، فهي حصة عجيبة الأسى واسعة الأفنية ، معدومة التظير ، عيون الأخبار للداعي لادريس ص ٢٩٦ .

(٢٢) ابن حوقل ، ص ٧٤ . انظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٢ - حيث نص ابن حسانه الذي يقول أن المنصور دخل القيروان سنة ٣٣٧هـ / ٤٧ - ٩٤٨م عقب طهر نابي يريد ، قتل بعض الناس وعذب آخرين ، بينما ينسب تاريخ دحوقة المنصورية في سنة ٣٣٧هـ / ٤٨ - ٩٤٩م إلى الفصاعى ، وقارن ابن حوقل الذي يحدد التاريخ الذي أحدا به بدقة ، ويصف المنصورية بأنها من طهر القيروان أى من صواحيها الخارجية . وقارن عزى

الأخبار ص ٢٩ - حيث الإشارة إلى أن ولي عهده المنصور لحق به هناك . (٢٣) انظر ابن حسانه ، ص ٣٤ - حيث أسماء قصور الايوان ، الكفور ، التاج ، لبرجان ، الفصة ، الخلافة ، الحورق ، وغيرها . وانظر المؤلف ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ط : الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢٤) انظر سليمان مصطفى زيس ، المهدية وصورة منصورية ، المحلة الأسرية (J.A.t. CCXLIV) سنة ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ٩٢ (عن المنصورية) .

أصول الحكم عند المنصور :

الجهادة والوفاق .

مغزى بناء المنصورية :

بناء المنصورية يعتبر رمزا لنظام حكم جديد ، فإعاصمة الجديدة بالنسبة للدولة نوع من تغيير الزى القديم يرى حديث . يعبر من الهيئه الى ما هو افضل - ولما كان المقام في المنصورية بدلا من المهدية يعنى العودة الى القيروان ، فمن هذه يعنى بالتالى الورى بين نظام الحكم الفاطمى وبين أهل العاصمة الامريغية العريقة . وبناء على ذلك فان ما يقال من أن المنصور أساء الى أهل القيروان بعد طفره بأبى يريد ، وأن محبتهم معه بقيت حتى وفاته (٢٥) ربما كان المقصود بها ملاحقه بعض من كان لهم نشاط خاص مع أبى يريد . فالمفروض أن القاعدة الذهبية في العمل عند المنصور ، وهى أمر صريحة كن يقدمها لوزن عهده المعر ، تلخص فى : « اعمل ما يسرك أن تقضى به » (٢٦) . ويظهر برنامج السياسة فى أول خطبة له فى عيد الفطر ، بعد اعلان ولايته للعهد ، وإيعاز القائم اليه بوصيته مما يعتبر عند الداعى ادريس . استقلالا بالأمر . وظهورا من السر الى الجهر (٢٧) . فكان أول ما بدأ به المنصور ، بعد السلسلة والحمد له والنشيد ، هو « طلب المغفرة من الناس » ، وحثهم على الحفاظ على الدين ضمير المسام الحق . وفى ذلك قال الشاعر محمد بن أحمد الطرزي :

يحق لنا أن نصف المعز والمجدد ونكثر فيك الشكر لله والحمد (٢٨)

الكرم والتواضع :

والمنصور يتخذ الكرم وبذل المال مبدأ أخلاقيا فى الحكم . فهو يطفى كتمان وفاة أبيه القوائم بكثرة الصلوات (٢٩) ، كما أخرج بهذه المناسبة الصدقات فى المساكين والفقراء والمحتاجين (عيون الأخبار ، ص ١٥٨) . وهو بمناسبة انتصار يوم الجمعة بالقيروان (١٣ المحرم سنة ٣٣٥ هـ / ١٤

(٢٥) ابن عسارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٣ .

(٢٦) المعالى والمسايرات ، ص ٩٦ - « اعمل من الأعمال ما يسرك أن تقضى بك فيه »

(٢٧) عيون الأخبار ، ص ١٥٩ .

(٢٨) عيون الأخبار ، ص ١٥٧ .

(٢٩) المعالى والمسايرات ، ص ٩٦ .

أغسطس ١٩٤٦م) ، يعنى عن طريق حاجبه جعفر بن على من اعلى صير الديوان
الاعماء العام من ضرائب سنة ٣٣٥هـ / ٤٦ - ٩٤٧م ، من العشر « صرية
الأرض » . والصادقة (الزكاة) وجميع اللوارم من المسلمين والتميين . وعند
بهم ، وغوب بهم على عمارة أرضهم وبناديبهم . كما تقرر ألا تؤخذ منهم
الضرائب ، نى اسموات الدلية الا حسما نفصى اقوابى الشرعية . عيسى من
نوع الاناج ، سموا كان نباتيا أو حيوانيا (٣٠) . والمنصور لا يكتفى بالعفو
عن أحمد شى أبى يريه عندما طبت الأمان ، بل يهديه الخلع ، ويعطيه ألب
درهم (عيون الأخبار ، ص ٢٨٩) . وهو يبدأ عهده بعد ذلك بالعفو عن
المحبوسين فبطلق سراحهم من السجنون (عيون الأخبار ، ص ١٦١) .
ويظهر نعطفه مع الضعفاء من الناس ونواضعه وعدم تعاليه فى رده على والده
عندما أوصاه بخادمه (المملوك) حوذر ، اذ قال له : « هل حوذر الا واحد
منا » (٣١) ، فكانها دعوة « الأخاء والمساواة فى ذلك العصر الوسيط . ومنذ
ذلك الوقت ارتفع شأن حوذر ، اذ ولاه المنصور المهديّة العاصمة وقتئذ ،
وجعل له الخل والربط فى جميع الأمور (عيون الأخبار ، ص ١٦١) . فكان
جوذر بذلك أصحح « الحاكم » العام على البلاد كلها نيابة عن الامام « (٣٢) .

اقامة العدل :

والى جانب الكرم تتمثل سياسة الوفاق فى اقامة العدل ، الذى به
يحيى الصام ، كما تنصى به أصول السياسة المديّة (٣٣) . ومثلت العدالة

(٣٠) انظر عيون الأخبار لعادى ادرى ، ص ١٩٥ .

(٣١) سيرة الأساد حوذر ، ص ٤٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٥٨ .

(٣٢) انظر سيرة حوذر ، المقدمة ص ٦ . حيث كانت كتب المنصور ترد الى المهديّة باسم
القائم وهو فى الحقيقة حوذر . وبعد النصر على أبى يريه كما المنصور حوذرا فعتقه وشره
دلق « مولى أمير المؤمنين » وهو اللقب الذى لم يشاركه فيه سوى جوهى الصقل بعد منح
مصر على عهد المملى . وان احتفظ بالصدارة . فكان ثالث رجل فى الدولة بعد الامام وولى
المشهد . فكانه فى مرتبة الودير الذى لم تكن معروفة وقتئذ . الى غير ذلك من مراتب الشرف
الذى حازه بها المنصور ، من . اثبات اسمه على الطرر والركوب فى مركب رسمى .
والجلوس الى مائدة الامام ، وفى ذلك انظر النص ص ٣٩ (حوذر صاحب بيت المال ومنصور
المنصور) ، ص ٤٤ (استخلاف حوذر على سائر البلاد) ص ٥١ (عفى حوذر وتلقبه)
ص ٥٢ ، اسم حوذر على الطرر واليسط) ، ص ٦١ (رسالة المنصور الى حوذر من أهل
العصر) .

(٣٣) انظر كتاب اليهود وسر الأسرار ، بشر وتحقيق عيسى الرحمن بدوى ط - دار
الكتاب ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ ، وقارن ابن حنبل . المقدمة بحقيق على عبد الواحد
- ١ ص ٤١٦ . ونظر فبسا بعد ، ص ٣٦٩ وهـ ١١٤ .

أيام المنصور في شخصية النعمان بن محمد بن ميمون بن قاضي فاضلية
بالتصميم الجديد المنصورية ، بعد انقراض من بنائها ، مع انقراض وفس
اعمال ، فريقيه ، وجميع ما استولت عليه الملكة العاروية و بدعوة الشريف
الفاطمية (٣٤) فكانت المسئول عن القضاء على كل بلاد ، مثل قاضي القضاء
في المشرق العباسي . وبهذه المناسبة كان يهي المنصور لقاضي النعمان بن
تقريب الأرض بين يديه . وهو ما يعتبره الفاطمي المنصور في خدمة الأئمة .
أما غير ملزم لأنه اختبار بمثابة الهبة عن المعروف (٣٥) . أما عن سياسة
القضاء فكانت سقيفة القصر الخلافي التي لم تنسح وفنذ لوقوف جميع
المتقاضين وخاصة النساء منهم ، والضعفاء الذين لا يتحملون مزاحمة الرجال
لهم ، الأمر الذي دعا القاضي النعمان الى عرض المسألة على ولي العهد المعز
الذي تدخل لدى والده الإمام حتى صدر توقيع المنصور بالمال اللازم لبناء
موضع فسيح يصل فيه الناس الى القاضي دون معاناة (٣٦) . ويصل اهتمام
المنصور بالقضاء الى حد تأنيب النعمان الذي كان يربح اليه في الصغيرة
والكبيرة ، واتهامه بالنقصير نتيجة لهذا الضعف الذي بدر منه ، فكانه أراد
له أن يتشدد في أحكامه حفاظا على عيبته كقاضي ، وأن يكون الرجوع الأخير
في تلك الأحكام حتى يحقق للقضاء ما يرحى له من نزاهة واستقلال (٣٧) .

إعادة الثقة مع الكنايين :

وتظهر سياسة الوفاق هذه في أجلى معانيها . في العمل على إعادة
الثقة بين الدولة وبين أتباعها الأوائل من الكنايين الذين اشرخت وحدتهم
بثورة أبي يزيد الذي نجح في استمالة بعضهم اليه مثل بني كملان .
فالمنصور يرد الاعتبار الى قبائل كتامة الذين أظهروا بدورهم استعدادا
طيبا للعودة الى انس الطاعة والبقاء في الخدمة ، الأمر الذي يعنى تقوية
« الجبهة الداخلية » كما يقال الآن . من غير شك ، فالمنصور بالغ في تحريض

(٣٤) غير الأما . ص ٢١٥ .

(٣٥) انظر المجالس والمسيرات ، ص ٥٧ - ٥٩ ، وانظر قصة سبق ص ٢٠٠ و ١٥٥ .

(٣٦) المجالس والمسيرات ، ص ٦٥ ، ٧٠ .

(٣٧) المجالس والمسيرات ، ص ٧٥ . وهنا لا بأس من الإشارة الى ما تذكره المصادر
المتن (ص ٢٤٨) من حكاية المعز بن محمد لما ولده المنصور قضاء اقرصة ، وليف لهم
دوجوا الشائعات من شأنه ، فكان يقول ان ذلك كان السبب في ناسب المنصور له ، الأمر
الذي دعا الى الشكوى الى المعز بن محمد الذي دعا من روعه ومن له اهل للثقة فيه .

الكثامين على الإحلاص لدولته ، وبسألح في مديحهم الى حشد القول :
« لو اعتادونا في أجرة لأخبار الكثامين النار » (٣٨) .

وه يظهر تلك المحاياة لكثامة ، ودعوتها الى التمسك بالطاعة في الكتب
التي كان يرسلها اليهم المنصور بعد القائم ، أثناء الثورة الزنانية ، وكذلك
في احطب انسى كدت تنقش من أعلى المسابر يوم الجمعة او في المناسبات
المختلفة . وفي خطبة القائم التي ألقاها القاضي أيام حصار المهديّة ، تذكر
لكثامة بما مضى عليه أبائهم من لزوم الطاعة والمجاهدة لله ، وانهم « خبيثة الله
لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهدي » وانهم « كجوارى عيسى وأنصار محمد » .
فهم « أبناء المهاجرين والأنصار والأوليين السابقين المقربين » (٣٩) . وفي خطبة
المنصور التي يعلن فيها موت أبيه القائم يصف كثامة بأنهم أهل الدعوة
وأنصار السوفا ، الذين فضّلهم الله على كافة الخلق في غرب ومشرق ،
« اذ بصركم والناس عميان واذا هداكم والناس ضلال الى دينه ونصرة حقه
وطاعة وليه » . وهو يعلن في الختام : « اللهم اني أصبحت راضيا عن كثامة
لاعتصامهم بحبك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك ، نعمسا لنا
واعترافا بفضلنا ، وأداء لما افترض الله على العباد لنا ، ونوسلا اليك
بطاعتنا ثم يأتي الدعاء لهم بمضاعمة حسناتهم ومحو سيئاتهم ، وحشرهم
في زمرة السلي الذي دانوا به والولي الذي والوه » (٤٠) .

اما عن كتاب القائم الى الكثامين بعد سقوط القيروان ، فهو موجه
الى جماعة لهيصة يخبرهم بما سبق أن وجه اليهم من الكتب ، وبأمرهم
بالاسراع في الخروج لجهاد الفاسقين الكفرة ، الذين ظفروا بالأربس والقيروان.
بنفاق أهل أفريقية ، وغدرهم بخليل في القيروان ، وبأخذ عليهم تنافلهم
عن القدوم ويحذرهم من ذلك ويرغهم في ابتغاء رضا الله وحمد أمير
المؤمنين (٤١) . وكتاب المنصور الى كثامة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ/
٣ يولية ٩٤٦م بعد انتصار « يوم الجمعة » بالقيروان ، يشير فيه الى تنابع
كتبه اليهم لما فيه رضا سيدهم (القائم) الذي رضا من رضا رب العالمين
وثناقلهم . وهو يزجرهم ويشبههم بأشياء الرجال ويهددهم بعدم الكتابة

(٣٨) المطالع والمسايرات ، ص ٢٠٣ .

(٣٩) انظر سيرة حوذر ، ص ٥٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٢٠ - حيث انص خطأ على انه

الاضي هو المروزي (محمد بن عمر) .

(٤٠) سيرة حوذر ، ص ٥٩ .

(٤١) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - ١١٣ .

انبيهم بعد هذا ، ويرجو لهم التوبة (عيون الأخبار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠) .
وعما ورد في خطبه العطر . اول شوال سنة ٣٣٦ هـ / ٠ ابريل ٩٤٨ م .
في مصنى اميدية خارج المدينة ، حيث اجتمعت العائلة الامامية ، من : الخليفة
رولى العهد المعز وخلفه أفراد العائلة المهدية على طبقاتهم من : الأعمام ثم
الأخوة وأبناء الأخوة . وبعد الزواج على الوالد (انقائم) والجدة (المهدى)
وجه المنصور الخطاب الى . أهل الدعوة من الأنصار من كنسامة ، وذكر
ما اخصصهم الله به من الفصل على كافة الخلق في عرب وشرف . . . فبصرهم
والناس عريان ، وعدمهم والخلق جهال ، لكي يحسم الخطاب مفررا انه أصبح
راضيا عن كنسامة لاغتصامهم بسبب الله . وصندهم على اليأس والضراء ،
والدعوة لهم أخيرا برضاء الله عنهم ، ومصاعدة حسناتهم ، وتحديد العرفى
أعقابهم (عيون الأخبار ، ص ٣٠٣ - ٣١٠) - الأمر الذى سيزداد توثق
ووضوحا على عهد المعز .

إعادة الحجر الأسود :

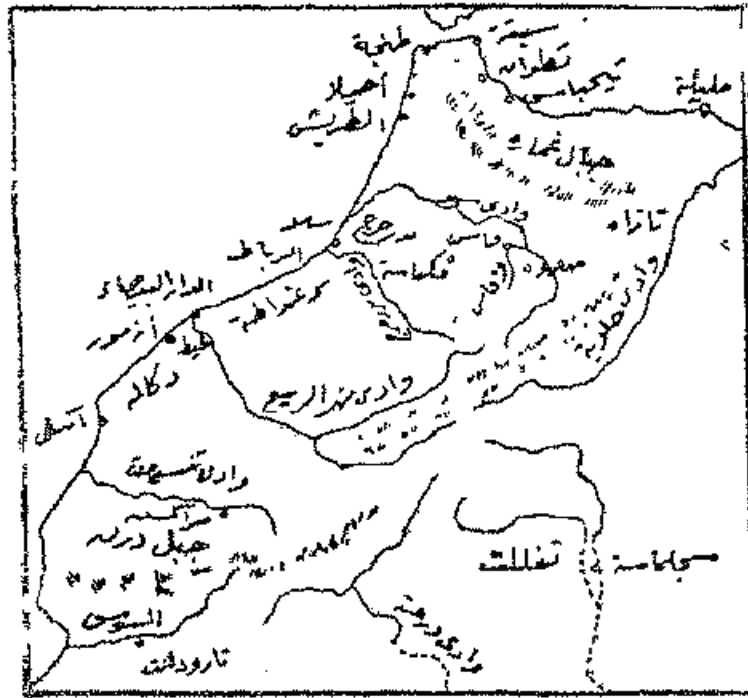
ومن أهم ما يدخل في سياسة المهدية والوفاء ، عمل المنصور على
إعادة الحجر الأسود الى موضعه في اركان من اكعبه . الأمر الذى يعتبر نوعا
من التوفيق العام بين المغرب الفاطمي والمشرق العباسي ، اى بين الشيعة
والسنة ، فهو أشبه بما يسمى أياما هذه الوفاق بين الشرق والغرب بنظمهما
الرأسمالية والاشتراكية . ففي سنة ٣٣٩ هـ / ٥٠ - ٩٥١ م قام المنصور
باتصالات مفيدة مع القرامطة بالمشرق ، انتهت ببرد الحجر الأسود الذى كان
قد خلعه سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، أيام الخليفة المظيع العباسي . أى بعد ثمانية
٢٢ (اثنين وعشرين) سنة (٤٢) .

الصراع في المغرب : (أنظر شكل ٤ ص ٢٠٩) :

ولكن سياسة الإدارة والوفاء بالسببة للمشرق العباسي حيث الحلفاء
الضعاف وقتئذ ، لم يكن من الممكن ممارستها في المغرب البعيد اذ كان
الصراع على أشده مع الأمويين خلفاء قرطبة ، وكان الوقت هو عصر أعظمهم
عبد الرحمن الناصر الذى امتد حكمه من سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٥٠ هـ /

(٤٢) أنظر ابن عدارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣٠٣ - حيث ترد روايتان احدهما
تقول بتحرك المنصور بنفسه الى بلاد المشرق لهذا الغرض - وهو ما لا يعرفه المؤرخون -
والأخرى تقول ان اخوة القرمطي هم الذين ردوه منذ مرت انبيهم :

٩٦٦ م . وهكذا قدر لصراع أن يستمر بين القيروان وقرطبة على عهد المنصور والناصر بن المغرب الأقصى في كل جهات تادلا وتامسنا حيث البرغواطيين . وفي فاس حيث المكاسيين من آل ابن أبي يعافية ، وفي تاهرت وبكور وارشفول حيث الأدارسة (من بني محمد) وبني صالح (العبد الصالح) ، وأخيرا في سجلماسة البعيدة حيث كانت أسرة الملوك من بني واسول قد عرست جذورها بعيدا في أرض الاقليم .



المغرب الأقصى

(شكل ٤)

برغواطة والزندقة :

ففي منطقة تادلا وتامسنا ، غرب بلاد مصب بورجرح (أبو الرفراف) كانت أسرة البرغواطيين من بربر مضمودة التي نشأت شأه خارجية أيام ثورة ميسرة سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ثم انهمم بالزندقة عندما حاولت ترجمة القرآن الى البربرية ، كما نطن (أنظر ج ٢ ص ٤٣٠ وما بعدها) . وكان منكمها حينئذ : أبو الأنصار بن عبد الله بن أبي عفير الذي حكم منذ مطلع القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، واقعما في سياسته عندما والى عبد الرحمن الناصر ودخل في طاعته ، ونصح ولده : « أبو منصور » عيسى الذي ولى سنة ٣٤١ هـ /

٩٥٢م ، وهي نفس السنة التي انتهى فيها عهد المنصور وبدا عهد المعز ، بأن يسير على نفس سياسة الموالاتة لأمير الأندلس (٤٣) . والحقيقة أنه بسبب الموقع الجغرافي المطرف فإن أمير الأندلس كان يكتفى من البرغواطيين بالإعلان بالولاء والطاعة ، الأمر الذي ظهر بجلاء على عهد الحكم المستنصر (بن الناصر) عندما أرسل أشهر الملوك البرغواطيين ، وهو أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن عمير ، رسوله المشهور « أبو صالح زهور البراغواطى » في شوال سنة ٣٥٢هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٦٣م إلى قرطبة ، معرف بأصل الأسرة وأحوال ملوكها عن طريق الترجم عنه باللسان العربى : عيسى بن داود المسطاسى (٤٤) .

وبسبب المتشاي لم تكن بالفاطميين حاجة إلى بسط سلطانهم ، بل ولا نشر نفوذهم حتى بلاد البراغواطيين في تادلا وتامسنا حيث كانت زندقتهن من شئون دول المغرب الأقصى وحدها ، ابتداء من الإدارة وحتى الموحدون الذين بنوا من أجل جهادهم ، مدينة الرباط - وباط الفتح - الحالية .

غمارة وادعاء النبوة :

ومل هذا يقال عن حركة حاميم الغربية في بد غمارة ، قرب نكور وأحواز طنجة وتطوان . وصاحب الحركة هو أبو محمد حاميم (حم) بن من الله من بنى وجفوال ، والمشهور بالمفتري لادعائه النبوة ، كما تقول الرواية . وأظهر حاميم دعوته في موطنه بجبل قريب من تطوان (تيطاوان) وظهرت دعوته كحركة انفصالية بعيدة الانحراف عن الإسلام ، بفضل صبغتها المحلية . فهي منية على عادات أهل المنطقة وتقاليدهم في أعمال السحر والتمردة والتنبؤ بالغيب من أجل التحكم في حظوظ الناس ، مما كانت تقوم به العجائز من النساء ، مثل عمه حاميم الذى وقع تحت تأثيرها . كما يظن . ومن تفصيلات الحركة التي يصفها الكتاب بالزندقة والتنبؤ ،

(٤٣) البكرى ، ص ١٢٧ - حيث صفة أسى الأنصار - أوطس شبه أسود الوجه ، ناصح بياض الجسم ، طويل اللحية ، يلبس السراويل والمنفعة ولا يلبس الخيش ولا يعتم إلا فيه الحروب ، ولا يتم في بلده إلا الغرباء . أما من أخلاقه فكان ظريفا يقف بالعهد ويحفظ الجار ويكنى مرهيب من حوله من القبائل بالعرو ، متباهية وسبائله . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٤٤) أنظر البكرى ، ص ١٢٤ وما بعدها ، وقارن الاستيعمار ، ص ١٩٧ وما بعدها . وقارن ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٣١٨ .

ويظهر انها تميل أصلا على الأخص الى الرخص والتساهل في تطبيق التعاليم ،
كما يتعلق بنرجسه القرآن الى اللغة ابربريه والصلاة والصوم والحج ، وفي
بعض أمور الطعام وآداب المائدة ، من حل وتحريم - وهي الأمور التي ربما
تحوّرت عند الكتاب مع مرور الوقت (٤٥) .

والمهم أنه اذا كان حاييم قد قتل سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م بمنطقة مصودة
الساحل بأحوار طنجة ، فإن ابنه عيسى الذي خلفه في زعامة المنطقة كان له
شأن ، كما يقول البكري ، دخل الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ،
بمعنى موالاة الحركة الغمارية للأمويين في قرطبة (٤٦) .

عمارة والسحر في جبالها :

ويضيف البكري الى حركة حاييم ، حركة أخرى في جبل محكسة من
بلد عمارة لرجل من السحرة يعرف بأبي كسية ، نسبة الى كساه الذي
يلتحف به ، ويخرج البوق من تحتة عندما يلوح به . ويصن الشكري (ص ١٠١)
على أنه كان لبني الرجل وعقبة في القرن الخامس الهجري / ١١ م ، على أيامه ،
منزلة رمزية على من سواهم . أما عن فاس وبقيّة مناطق المغرب من تاهرت
الى ملوية وما يدخل في نطاقها فقد ظلت موضع صراع ما بين قرطبة
والمهدية على عهد المصور بينما كانت سجنماسة البعيدة خارج النفوذ
الأموي وكان لها وضعها الخاص . واذا كانت كلمة الصراع قد مالت بعد ذلك
الى ناحية الممن الفاطمي اعتبارا من سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ، عندما قام جوهر
الصلقي بجولته المقربية الكبرى حتى سواحل المحيط ، فإن اشتغال المعز
بأمور مصر والمشرق ، وما صاحبه من وصول الحكم المستنصر (ابن الناصر)
الى خلافة قرطبة ، خففت من حدة الصراع ، وألقت بتبعته في القبروان على
الزيريين ، خلفاء الفاطميين بالمغرب .

(٤٥) انظر البكري ، ص ٩ - ١٠١ - حيث التمس على تنبؤ حاييم الذي وسع
قرأنا بشماهم وكيف جعل الصلاة صلائين فقط ، وصوم يوم الخمس ونصف الأربعة على أن
يكون غرامة المختلف (خمسة) أوار ، وتحديد العيد باليوم الثاني من الشهر ، وتحديد
الركاة بالعدد من كل شيء الى جانب استقامت الحج والظهور والوصوء ، وتحريم الذكر من
الجزير فقط وتركه الموت (السمك) أي دمه وتحريم بعض الطيور غامة ، قار
الإستيعار ، ص ١٩١ - ابن عداري ، ط - بيروت - ج ٢ ص ٢٧٩ .
(٤٦) الشكري ، ص ١٠١ .

فاس ما بين مكتاسة والأدارسة :

وفيما يتعلق بفاس (القرويين) التي كانت تمسكت بولاية حسن ابن قاسم اللواتي مع قبول البيعة للقائم بعد الصلح مع ميسور الصقلبي ، فانها ظلت بوضعها هذا بعد عوده موسى بن أبي العافية اليها سنة ٣٢٥هـ / ٣٦ - ٩٣٧م ، اد عهد بولاية عدوة الأندلس الى يوسف بن محارب الأدي الذي مدتها ، بعد أن كانت حصونا - أشبه بجبهة قتال (أنظر فيما سبق ص ١٦٩) . ولا بأس أن يكون موسى بن أبي العافية قد قبل طاعة شكلية لا طائل وراءها من قبل حسن اللواتي . وبذلك يكون الأدارسة قد تملكوا ما كان بيد موسى . وقاموا بدعوة أبي القاسم الفاطمي ، كما يقول الرواية (٤٧) باستثناء مدينتهم التاريخية فاس . الأمر الذي لا يتنافى مع تنازل حسن اللواتي عن ولاية فاس الى واليها السابق أحمد بن مكر . عندما قدم متكررا من المهدي بعد اطلاق سراحه سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م (٤٨) مع نهاية عهد المنصور وبداية عهد المعز ، وهي نفس السنة التي توفي فيها موسى ابن أبي العافية - حسب بعض روايات ابن خلدون (٤٩) .

والحقيقة ان الصراع ظل مستمرا بين الأدارسة وبين أبناء موسى بن أبي العافية الذين لم تنقرض دولهم الا سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م . على عهد محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى الذي توفي سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م (٥٠) ، وان مالت الكفة الى صالح الأدارسة الذين لن يكتفوا بالسخر في طاعة الأمويين قرطبة ، بل بلغ بهم الأمر الى حد منازعة الأندلسيين خلافتهم في قرطبة نفسها ، مع انهيار المرwanيين في مطلع القرن الخامس الهجري / ١١م .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٤٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ - حيث الإشارة الى الصراع بين الحو بن محمد بن خرد ومدين بن موسى بن أبي العافية ، وتدخل الساصر لاصلاح ذات البين بينهما بواسطة قاضية « مقدر بن سعد » . وان كان لحاق البوري بن موسى ابن أبي العافية بأبيه مدين بعد فراره من العسكر الفاطمي سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م (بقيادة أحمد بن بكر) واقسام البلاد معه ومع أخيه الآخر منقذ كان مما زاد في تعقيد الأمور حتى اعتزلهم ابن خلدون « ثلاثة الأثامي » .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ - وان قدم رواية أخرى تذكر ان موسى توفي قبل ذلك سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م - وهي الرواية الراجعة .

(٥٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ .

بنو محمد الأدارسة : القاسم بن محمد « كئون » :

بعد فرار موسى إلى الصعراء سنة ٤٢٢ هـ / ٩٣١ م ، قام ميسور العتي ، آلت الرئاسة في بني محمد الأدارسة إلى القاسم بن محمد المعروف بـ « كئون » (حون) والذي ذاع صيته إلى حد القول بأنه « ملك كل بلاد المغرب الإفاسي » ، وكان مقره في حجر النسر (٥١) ، من بلاد أرشكول . والحقيقة أن الأدارسة هددوا النفوذ الأموي في المغرب ، وخاصة عندما اعترفوا بسيادة أبناء عمومتهم الفاطميين ، فهذا ما أنزعج له الناصر حتى أنه جهز وزيره قاسم بن محمد بن طلسم ، وجعله يعبر المضيق سنة ٢٣٣ هـ / ٩٤٤ م إلى المغرب لحرب الأدارسة من بني محمد ، كما دعا الزعيم المفاوي . محمد بن خزر إلى تقديم العون لعساكره في مهمتهم هذه (٥٢) . وانت الحملة بما كان يرحوه الناصر دون قتال ، وذلك أن الأدارسة من بني محمد سارعوا بالدخول في الطاعة ، وأرسلوا وفودهم يعلنون ذلك إليه بقرطبة (٥٣) .

أبو العيش بن كئون :

أما عن كئون فقد تمسك بالمدعوة الفاطمية ، وظل يبحر حصونه من إحصار الأمويين إلى أن هلك بقلعته « حجر النسر » سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م . وقام بعده ابنه أحمد بن القاسم كئون الذي اشتهر بأبي العيش ، وهو من مشاهير النابغين منهم ، إذ عرف إلى جانب شجاعته بعقده وعلمه ، وخاصة في الأيام والأخبار ، الأمر الذي أدى إلى اشتهاره بلقب « الفاضل » . وكان أبو العيش أحمد الفاضل له ميل للمرواية ، كما يقول ابن خلدون ، وهو مما تقضى به سلامة الحس من حيث خسارة الصفقة التي يشتري فيها صداقة المعبد بعدواة القريب ، كما نرى . وهكذا دعا الفاضل لثخيفة

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ - حيث النص على مشاركة ابنه إبراهيم له في الرئاسة قبل موته . وقارن أيضا ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ - حيث النص على أن أول من سارع إلى ذلك محمد ، أبو العيش إدريس بن عمر الذي تمت أمه محمد في قرطبة فاحتل القدوم وأكد له ثم . وكذلك فعل مع سائر بني محمد الذين دعوا ، وفودهم إلى قرطبة . وقارن الكرى مع ١٣٠ حيث وفد على الناصر . حسن بن القاسم (حون) وأخوه عيسى يوم الاثنين ١٢ من شوال سنة ٣٣٣ هـ / ٢٩ مايو ٩٤٥ م . ونقبا في ضافة الناصر أكثر من ٣ أشهر . في سفر سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م .

الناصر ، وحطّبه به على منابر عمله ونقص طاعة الشيعة ، مما أدى الى مبايعة أهل المغرب كافة الا سجلماسة ، بمن فيهم أهل فاس التي استعمل عليها محمد بن الحسن^(٥٤) . ومع ذلك فقد كان أحمد العاصل يعلى الطاعة للناصر ولكنه كان في نفس الوقت عيورا على استقلال بلاده حتى انه رفض أن يمكن الناصر من طنجة وسبتة ، الأمر الذي يطلب من الناصر ترهيبه بالأسطول والزامة بالبقاء مع أقاربه من الأدارسة تحت الطاعة بمدينة بني البصرة وأصيلة^(٥٥) .

الصراع فيما بين أتباع الناصر :

هذا ، كما كان الصراع يدور أحيانا بين أتباع الناصر « الأعداء فيما بينهم » ، كما حدث في سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أدى الصراع بين البوري ابن موسى بن أبي العاصية وبين الحسن بن عيسى الذي لجأ الى أرشكول وهزيمة هذا الأخير وارساله الى الناصر بفوطية^(٥٦) . وعلمنا نجح الأدارسة

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ، وقارن ج ٧ ص ٨٨ - حيث اذعان أهل المغرب للناصر والحبّة له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة ، وقارن الكرى (ص ١٢٩ - ١٣٠) الذي يرى ان « العاصل » عالم الأدارسة هو : أحمد بن إبراهيم بن محمد الذي كان بلده من أحاجن قبيلي حجر السير الى مدينة سبتة ، أما فاضلنا - فاضل ابن خلدون - وهو أبو العيش (أحمد) بن جيون (القاسم بن محمد) الذي كان بلده من أحاجن الى فاس ، فهو أحمد الأكبر الذي اشتهر بالعلم ، وكان له علم وقدر بالمغرب ، وهو الذي استجلب الشاعر بكر بن حماد ، ولكنه يعرف بـ « الكرتي » فكان الكرتي هو أحمد الأكبر ، والأفضل هو أحمد الأصغر ، وان كانا متعاصرين ، فالفضل أحمد الأصغر - عند الكرى - هو الشهيد الميسل الى حلفاء بني أمية - لامتداد أملاكه الى سبتة والداخله في نفوذهم - وهو الذي فكر في دخول الأندلس معاندا عندما استشار ماضي المباحة بقرمجة محمد بن عبد الله بن عيسى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٢م ، فأمر الناصر بتشجيعه على ذلك بالوعد بتشريفه بماء القصور له والمنازل على طول طريقه الى محلة بلام حبيد بأقصى الشعر ، وبنقطة يومية تصل الى ألف مثقال - أما الكرتي أحمد الأكبر فقد وفد على الناصر من أخوته بني جيون - حسن وعيسى ، مما سبقت الإشارة اليه - هـ ٥٣ ص ٢١٣ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ ، وقارن ج ٦ ص ٢١٨ - حيث أخذ طقعة من سيف أبي العيش الذي بقى في أصيلا على بيعة الناصر ، وأعطى القرطاسي ، ص ٨٨ .

(٥٦) الكرى ، ص ٧٨ ، وقارن مع ما ورد في الكرى فيما بعد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ - حيث الإشارة الى أسر الحسن حفيد أبي العيش (عيسى ابن إدريس محمد بن سليمان) ، مؤسس جراوة حث وقع بين يدي البوري بن موسى بن أبي العاصية ، سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، في حصن سمالوا ، قتل جراوة ، وكان الحسن قد انتقل الى ذلك الحصن بأهله وماله وولده ،

من بنى محمد في الأحد بشارهم من البورى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م بأن
عزموه في موضع يعرف بـ « الشيوخ » قى بلد مغيلة ، وغيموا ما كان في
معسكره (٥٦) . وكذلك كان الأمر في سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أجمع
الأدارة من بنى محمد بن القاسم على هدم مدينة تطوان (تيطوان) ثم
عودتهم بعد ذلك الى بنائها من جديد ، وهو ما أثار اعتراض أهل سببته
لما كان ينزل بهم من الضرر الذى يصيب مرافق مدينتهم . وهذا استجاب
الناصر لشكوى أهل سببته ، فسير قائده : أحمد بن يعلى سنة ٣٤١هـ /
٩٥٢م بالجيش الى سببته بغرض هدم مدينة تطوان ، وطلبه الى والى مدينة
تيجساس وقتل ، حميد بن يصل ، قائد الفاطميين الأسبق ، بآنتقدم الى
سببته لمؤامرة أحمد بن يعلى . وفعلا النقي القائدان في سنة في السنة
التالية ٣٣٩هـ / ٩٥٠م ، ولكن حميد بن يصل لجأ الى السياسة ففاوض
بنى محمد الأدارة ، وانتهت المفاوضات الى رصوخهم الى مطلب الناصر ،
من النخلى من مدينة تطوان ، ويحث أبناهم الى بلاط قرطبة ، تعبيرا عن
الطاعة والولاء (٥٨) .

غلبة الناصر على المغرب ما عدا سجلماسة :

وهكذا غلب الناصر على بسائط المغرب وأدعن له أهله ، « وحطب
له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة (ابن خلدون ، ج ٧
ص ٨٨) ، الأمر الذى أدى الى ضعف بنى محمد حتى رأى أمبرهم أبو العيش
أحمد الفاضل أن ينهى أعماله بالجهاد فى ثغور الأندلس حيث استشهد
سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م . بعد أن استخلف أخاه الحسن بن كنون فى عمله ،
وظل الحسن مواليا للناصر حتى وفاته سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م (٥٩) .
أما عن أحوال تاهرت وسواحلها فى نكور وأرشقول فلم تختلف كثيرا عنها

وهى المناسبة التى خلدها الشاعر بكر بن حماد ، فى قصيدة منها :

سائل زواغة عن فعال سيوفه ورمحه فى العارض التهلسل
عت مينة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من تقيع المنطل

(٥٧) البكرى ، ص ١١٧ .

(٥٨) البكرى ، ص ١٢٠ - ١٣١ ، وقارن ابن خلدون ج ٧ ص ٨٨ - حيث الإشارة الى

أن حميد بن يصل أوقع ببربر عمارة ، أنصار عيسى بن أحمد الفاضل .

(٥٩) ابن خلدون ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨ - حيث النص على حسن استقبال الفصل فى

الأندلس وساء التصور له سبقة وليس وعدا ، كما تريد الرواية المنقوية ، على طول ٣٠ مرحلة

الى الثغر كما أحرى عليه ألف دينار فى كل يوم . وقارن فيما سبق ، ص ٢١٤ وهـ ٥٤ .

في فاس ومناطق امتداداتها في تطوان وسبينة وطبجة ، من حيث كونها منطقة صراع بين الأمويين الأندلسيين والفاطميين المغاربة مع قريبتها من الأندلس التي كان لها النفوق ، الأمر الذي ساعد عليه اضطراب البلاد الأفريقية بالثورة الرناتية ، ومحاولة أبي يزيد النحالف مع عبد الرحمن الناصر الذي لم يتردد في اهتبال الفرصة وإرسال الامدادات البرية والأساطيل البحرية لجذته . ولكنه في ذلك الوقت المتأزم من سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م كان والي تاهرت الفاطمي عبد الله بن بكار يستطيع أن يعطخ الطريق على المعونة الواردة من الأندلس الى التائر النكارى ، وأن يجهض عملية الانقاذ الناصرية لثورته (أنظر فيما سبق ، ص ١٨٦) .

اجتياح تاهرت باسم الناصر :

ولقد تمثل انتقسام الناصر ، كما نرى ، في زحف تابعه محمد بن خزر ، في نفس سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م مع قومه المغراوين وعلى رأسهم ابنه الخير (بن محمد) ، وعمه عبد الله الى جانب يعلى بن محمد وقومه ، ونجاحهم في اجتياح تاهرت باسم الناصر الأموى ، وقتل عاملها عبد الله بن بكار . وأسر قائدها مسرور الحادم . وبذلك تقاسم المغرب محمد بن خزر وابنه الخير بن محمد مع يعلى بن محمد (٦٠) . والمهم ان خضوع الأتباع من الكتناسية (أبناء ابن أبى العافية) أو المغراوية الزناتية (أبناء محمد بن خزر) للناصر ، وما قام بينهم من نحالف لم يكن يمنع من الصراع فيما بينهم ، كما حدث بين : مدين بن موسى بن أبى العافية والخير بن محمد ابن خزر ، الأمر الذى اقتضى تدخل الناصر (أنظر فيما سبق ص ٢١٤) فالمسألة لم تكن تتعلق بمصالح مستقرة من هذا الطرف أو ذاك ، بل كانت بمثابة انتهازية وردود فعل آنية عند كل الأطراف . وتلك خطيئة عصور التمزق والانفصال .

هكذا ولى تاهرت أيام المنصور الفاطمي صلاص بن محوس ، ولكنه لم يلبث الا قلبلا حتى استجاب الى اغراء الدعاية الأموية فيما وراء البحر ، فترك ولايته وانضم الى الخير بن محمد بن خزر ، رجل قرطبة فى زفافة المغرب . وعندئذ عهد المنصور الى قائده مسرور الحادم بتاهرت ، فسار مع أحد أعوانه القواد وهو : أحمد بن الرحالى ، اللذين اعتقلا لفترة من

(٦٠) ابن حلمون ج ٧ ص ٢٦ - حيث المى على ميسور الذى عدلناه الى مسرور ، كما سبق فى ص ١٩٢ وص ٧٩ قبلها .

الوقت قبل اطلاق سراحهما . ومع أن رواية ابن خلدون لا تنص على الشروط التي ادت الى ذلك ، فمن المستغرب انه يختم هذه الرواية بأن تاهرت هذه « لم نزل بعد لأعمال الشيعة وصنهاجه في سائر أيامهم » (العبر ، ج ٦ ص ١٢٢) ، فكان الاتفاق كان لصالح المهزوم ! ولكن هناك رواية أخرى عن ابن خلدون ، في تاريخ بني يعرب (ج ٧ ص ٢٦) ترجح أن تكون هذه الأحداث قد وقعت سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ، وهي السنة التي قبض فيها من قبل المنصور على محمد بن خزر (أخى محمد) وقتل عقاباً له على موالاته من قبل لأبى يزيد ، كما وفد في تلك السنة فتوح بن الخير مع مشيخة تاهرت ووهران ، على الناصر يقرطبة فآكرمهم وأعادهم الى أعمالهم - بمعنى دخول تاهرت مع وهران في طاعة الناصر بدلا من المنصور الفاطمي ، وهو الأمر المقبول كتمن لاطلاق سراح مسرور وابن الرحالي (٦١) .

سجلهماسة : محمد بن الفتح والدعوة العباسية :

أما عن سجلهماسة فحق لابن خلدون أن يصر على أنها - دون بقية المغرب - لم محصع للخليفة الناصر الأموي ، حيث كانت لها أسرتها الملكية العريقة المثلثة في أسرة بني مدرار من أبناء واسول الدين رضى بهم العاطميون حكاما للمدينة عندما افتتحوها على عهد المهدي لأول مرة . اكتماء بغير الواحد من بني مدرار بأن عمه . وهكذا خلف أحمد بن ميمون ابن عمه المعتز ابن محمد ثم ابن هذا الأخير ، وهو أبو المنتصر محمد سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، على أواخر أيام المهدي لمدة عشر سنوات اذ خلفه ابنه الصغير المنتصر « سميكو » حوالي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، على عهد القائم . وكان تحت وصاية جدته التي كانت تدبر أموره ، وذلك قبل ثورة أبى يزيد . وهنا لم يرض بذلك أحد أبناء عمومته من أمراء الفرع الحاكم السابق وهو محمد بن الفتح بن ميمون (الأمير الأسبق) ابن مدرار (٦٢) .

والذي يفهم من قصة محمد بن الفتح أن الرجل كان المهازيا في

(٦١) العبر ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن عذاري ، بيروت ص ٢٧٩ - حيث الإشارة الى خروج محمد بن يصل من تاهرت سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ، وحواله الى الأندلس ، وولاية ميسور الفتى (بدلا من مسرور الخادم) عليها وإسائه الى أهلها ، الأمر الذي سبب يلقاها الى محمد من سر الرباتي وأنه الخير ولغيرهم به وأسره ، قبل اضطراب المدينة وتقلب يعلى بن محمد العربي الرقائبي عليها الى قدوم جوهر سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م .

(٦٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ .

سياسته التي كانت توجيها رايح القصة حسبا يكون اتجاهها . فلقد بدأ ثورته أيام القائم سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ، على ابن عمه الفتى الصغير مستعينا بموسى بن أبي العافية الذي كان يدعو للناصر الأموي ، لكي يؤازر بعد ذلك حركة أبي يزيد التي سمعت الى تأييد الناصر أيضا . وعندما افتتحت ثورة الرناتية بالفشل على عهد المنصور ، رأى محمد بن الفتح أن يواجه سخط الفاطميين عليه بالانضمام الى المعسكر العباسي ، والدعوة الى خيفة بغداد . وفي سبيل ذلك كان عليه أن ينصل من مذهب أهل سجماسة الصغرى ، الخارجى ، وأن يعلن الدحول فى الجماعة على مذهب المالكية . ولكن الأمر انتهى فى سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣م بأن اتخذ لنفسه اللقب الخلافى ، وتسمى بـ « الشاكر لله » ، وأضاف الى ذلك شعارات الملك الأخرى من اتخاذ البنود ، وضرب المسكة باسمه ولقبه هذا . وبسبب جودة سبيكة تلك المسكة ، حيث كانت سجماسة من أهم مراكز تجارة الذهب السودانية وقتئذ ، ذاعت شهرتها ، كما رفعت من شأن محمد بن الفتح من حيث حملت لقبه فكانت تعرف باسم « الدراهم الشاكرية » ، كما وسمته بالعدالة والخير (٦٣) ، الأمر الذى كان من الأسباب التى أدت الى ما اتخذه المعز لدين الله من إجراءات حاسمة فى سبيل إعادة المغرب الأقصى الى الخضوع والطاعة .

نهاية المنصور :

وهكذا كانت سيادة بلاد المغرب البعيدة متنازعة بين الناصر الأموي ، والمنصور الفاطمي ، الذى وافته منيته فى آخر شهر شوال سنة ٣٤١هـ / ٢٦ مارس ١٠٥٠م ، وهو فى عموان التاسعة والثلاثين من عمره ، بعد ملك لم يطل الا الى ٧ (سبع) سنوات ، قضى معظمها فى اطفاء نيران الثورة

(٦٣) الكرى ، ص ١٥١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ - ١٣٢ - حيث النقل من ابن حرم الترطى الذى يصف الشاكر بالله محمد بن الفتح ، ناه كان غاية فى العدل ، وقادر على الجالس والمسائرات ، ص ٤١١ .

الزناتية بقيادة أبي يزيد ، صاحب الحمام ، فلم يقدر له أن يستمتع طويلا
بشمره انتصاره ، سواء في قصوره بالمنصورية أو فيما حوله من الاستمتاع
بالمنزه في منطقة جالولاء الغنية ببساتينها وأزهارها وزياحنتها في السنة
السابقة (٣٥٠هـ / ٩٤٩م) ، من حيث عاد مريضاً ، بسبب رقة حالته
الصحية ، مما سبقت الإشارة إليه ، على ما نظن (٦٤) .

(٦٤) أنظر فيما سبق ، ص ١٩٦ ، وأنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ - حيث
النص على أنه خرج منها سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٢ م إلى جالولاء فصادفه في طريق العودة برد
ومطر أدى إلى مرضه ، فوسف له دخول الحسام - رغم معاوضة طبيبه اسحق بن سليمان
الاسرائيلي - فكان اسبب المباشر لزيادة علته ووفاته ، وقارن ابن خلدون ج ٩ ص ٤٥ .
وقارن ابن عسار ج ١ ص ٢٢٩ - حيث النص على أنه صلى عيد العطر مريضاً في تلك السنة
التي خرج للمنزه فيها وهي سنة ٣٤٠ هـ / ٩٤٩ م ، بمعنى أن مرضه طال لمدة سنة إذا صح
« انه توفي في سبع شوال من السنة التالية ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م » ، وعن متزهات جالولاء
أنظر الاستبصار ، ص ١٩٩ .

المعز لدين الله (أبو تميم معك)
٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م - ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٣ م
الانتقال إلى مصر

ولايته :

ولد المعز بالمهديّة في رمضان ٣١٩ هـ / سبتمبر ٩٣١ م على يد
المهدي ، وكتب ولايته للمعهد . بمعرفة والده سنة ٣٤٠ هـ / ١٠٤٩ م .
السابعة على ملكه سنة ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م ، بمعنى أنه ولي الأمر وعمره
٢٢ سنة (١) ، أي وهو على عتبات سن الرشيد الأول .

شخصيته :

واسعير هو شهر الحفّاء العاطمين فاطمة ، لعدة أسباب ، أولها : أنه
أول من ملك مصر (٢) ، وبنى القاهرة التي ارتبط اسمها باسمه فهي
« المعزية » ، بعد أن بدأت باسم « المصورية » مثل قصور صرة ، ضاحية
القيروان . وثانيها : أنه عالم الأسرة ومنظر مذهبيها مما يظهر في كتب
القاضي النعمان (٣) . وثالثها : أنه واضع تراتيب الدولة الشريفة ومقعد

(١) ابن عسّار ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٢١٥ ، وقارن الخطط للمعز يزي ،
ج ١ ص ٢٥١ حيث روايتان ، أولاها تنص على أنه ولد في الصف من رمضان سنة
٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وأنه ولي وعمره ٢٤ سنة ، كما عند ابن الأثير أيضا ، ج ٨ ص ٤٩٨ .
والثانية ج ١ ص ٢٥٢ ، وتنص على أنه ولد بالمهديّة في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هـ ، ٢٧ سبتمبر
٩٣١ م .

(٢) ابن عسّار ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٨ - حيث ينص النعمان على أن المعز قد تأسر دعوته
نفسه راجعاً على ذلك ثواب الله ، غير مستكر ولا مستكف - وأنه أقام صلاة الأعياد وكثيراً
من المسح والمطبة في ذلك اسمه . ودليل تأييد الله أنه لم يكن له معلم . غير ما أقضى به
ولي الله . وإن الله دل بذلك على توريث أمته . وذلك مما أثبتته في سيرته . وانظر المعجّالين
والسائر ، ص ٢٤ (المقدمة) حيث الإشارة إلى أن معظم كتب النعمان ألقت في عصر المعز
ص ٦٠ - حيث المعز مجتهد يستنبط الأحكام وص ٣٦١ - حيث يعترم النعمان عرض كسل
كتاب بكتبه في الدين والعقبا على المعز ، ص ٢٥ - حيث يحصل المعز غسل علم الأولين
والآخرين . المعز يعرف علم الطساخر والباطن ، والعلوم الرياضية والطب والهندسة ،

رسوماتها ، مما يشهد به المقريري ومن أخذ عنهم (٤) ، وهو أخيراً حينئذ ، تسجل له الاختراعات وتكتب باسمه الثراءات (٥) ، وهو على الجملة جبار بيت الشيعة وفحلهم مند أوليتهم (٦) .

الصحيح مع الخرم والحسم :

وكل ذلك يعنى ان المعز هو أعظم أفراد الأسرة الفاطمية على كل المستويات من سياسية ودينية وحضارية . أما على المستوى الشخصي فلانعرف شيئاً عن هيئته الجسمانية أو صفاته الأخلاقية والنفسية أو أسلوب حياته الأسرية باستثناء بعض الاشارات العابرة . من ذلك انه تنسب على يد أبيه المنصور الذي علمه الجدل والمناظرة (٧) ، أو ما قيل من أنه كان أرفق بالناس من والده المنصور (٨) . أما ما تؤكد الرواية من أن العلاقة الوثيقة بين المعز ووالده المنصور الذي اشركه معه في جلائل الأمور كقتال فضيل بن أبي يزيد ، بعد قتل والده ، فكان يصدر أوامره بقتال العصاة وعمره ١٧ عاماً (٩) ، الأمر الذي أدى الى اغناء المعز ، جزعاً عند موت والده (١٠) ، وأنه اقتدى بسيرة المنصور في العفو عن العصاة حتى هدأت

ص ١٣٤ - حيث يامر بتأليف كتاب من البحر ، ص ١٩٩ ، ٣١١ - حيث يتناقش مع دوى ويعرض أحجية لغوية ، ص ٢٢٤ ، ٤٤١ ، ٣٨٨ - حيث الحضر على تعلم الحكمة ، والنص على أن تدوت الناس في صهيها لا يحول دون تقليدها ، ص ٣٣٤ - حيث يتصنع كتاباً في تاريخ المناسيب ويستقدم من حيث الاعتزاز بأعمال اللهو والقصب . وانظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٥٧ - حيث يقول ابن هاشم في مدحه .

وحدوا الى علم الفايوب مسبيلا
ولا حجاب دون عليك حاجر
والعقل علما والقياس دليلا
لولاك لم يكن التفكير واعظا

- (٤) انظر الخطوط ، ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، وانظر فيما بعد ، ص .
(٥) مثل : القلم الحار ، الذي يكتب بلا استئذان ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٦ (المقدمة) ، ص ٣١٩ (النص) ، ومثل القمصين المبتكرين الذين أعدوا لابن واسو وابن بكر صاحب سحلماسة وفاس - نفس المصدر ، ص ٤١٨ .
(٦) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦١ .
(٧) المجالس والمسايرات ، ص ٢٦ ، ١١٧ ، ١٣٣ .
(٨) وذلك فيما يحتص بالزحام في سقفة القاصي التعمان بقصر المنصورية التي رسمها المعز - المجالس والمسايرات ، ص ٦٥ .
(٩) عيون الأخبار للداغى ادرسى ، ص ٢٩٤ .
(١٠) المجالس والمسايرات ، ص ١١٢ وقارن ص ٤٦٩ - حيث رواية مأكسة تنص على ان القائم حد المعز - كان يغشى عليه من تنكر والده المنصور له .

الروعات وسكر الناس (١١) ، فمن الواضح أنه كان لا يتسامح مع من يخرج عن حدود الأدب في التعامل معه ، وبالتالي مع أفراد الأسره المملوكه ، مما عرف حديثا بالعيب في الذات الملكية - ان لم نقل إنه كان حدودا فيما يتعلق بهذا الأمر . فهذا ما نخرج به مما حدث لمظفر الصقلي الذي كان له فضل تعليمه الخط ، صغيرا . فلقد صان خلق الخادم مظفر ذات يوم وهو يخدم أميرنا الصغير ، فصدرت منه ، في ثورة غضبت أملت به ، كلمة بالصقلية علقت بذهنه ، وان لم يفهم معناها . وعبر على الخليفة المعز ألا يفهم لغة من كان يتعامل معهم من الخشم والخدم ، وقرر لا أن يتعلم الصقلية فقط ، بل وسائر اللغات المعروفة في المملكة مما يعرض في البلاط من أفراد الحاشية أو من رجال الدولة ، من : البربرية والرومية والسودانية والصقلية - وذات يوم عرف المعنى القبيح للكلمة التي كان مظفر الصقلي قد تفوه بها أثناء خدمته له ، وكان الموت عمرة الجراء على العيب في الذات الملكية ، وبأثر رجعي أيضا - مما لا تعرفه الا القوانين الاستثنائية (١٢) .

ومع ذلك فلا بأس أن تكون تلك الخصوصية هي السبب في التخلص من المملوك الصقلي الذي ارتفع شأنه كواحد من كبار القواد ، مثله في ذلك مثل مولاة الآخر قبصر . وفي ذلك تقول رواية ابن خلدون ان الأمر انتهى بأن علب كل من مولييه : قبصر ومظفر على دولة المعز ، حيث استتب أحدهما بالمغرب والآخر بالمشرق ، فلم يكن أمامه بد من القبض عليهما سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، وقتلهما (١٣) . وهكذا يكون الفتيان ضحية تداخل أمور الدولة العامة في شئون الخليفة الخاصة ، إذ الحقيقة ان الخط الفاصل بين ما هو خاص وما هو عام لم يكن واضحا في نظم الدولة ، وقتئذ .

ومن الواضح ان المعز كان شديد الحساسية بالنسبة للافتئات على حقوقه وخاصة السياسية منها . فهذا ما يظهر فيما كان يراه في مناماته من خصومة العصاة والمعادين له ، وقد نزلت بهم الهزائم والنكبات (ما سبق ٢٤ وما يأتي ، ص ٢٣٧) الأمر الذي يشبع حاجاته النفسية من غير شك .

(١١) اقتتاح الدعوة ، ص ٢٣٥ .

(١٢) الخط ، ج ١ ص ٣٥٣ .

(١٣) العز ، ج ٤ ص ٤٧ - هذا وإن ذكر ابن خلدون قبل ذلك (ج ٤ ، ص ٤٦) سقلى كوال لناغاية من بلاد الزاب ، دون ذكر لمظفر كواحد من سائر أولاده .

البسطة وحب العمل :

ومن المعروف من حياة المعز الخاصة ان مولد له نزار (العزيز) كان في سنة ٣٢٤ هـ / ٩٥٥ م (ابن عسارى ج ١ ص ٣١٦) وان نشاطه الشخصى وعانيه فى العمل كان مضرب النسل والقذوة التى يجب أن يهتدى بها رجال الدولة وكبار القواد من اكناميين ، لا يمنعهم من ذلك تغلب الاحوال الجوية السيئة ، فهو فى وقت البرد الشديد من فصل الشتاء يصحو مبكرا للنظر فى الرد على ما ورد الى ديوانه من الرسائل ، من المشرق والمغرب - فى ذلك الوقت من سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عندما كان القائد جوهر يجوب بلاد المغرب عازيا حتى اقاصيها الغربية . وهو لا يستكف الاستئناس برأى زوجه أم أولاده الأمراء . التى كانت باهضة الى جواره ، وذلك عندما قرر استدعاء زعماء كنامة فى تلك الحالة الجوية الصعبة ، لكى يعرفوا ماذا كان يفعل الامام وقتئذ ، فى مجلسه البسيط ، المفروش باللبود ، وثيابه الخشنة المكونة من كساء فوقه جبة ، بدلا من أن تذهب بهم الأوهام وتغزو ، ما بين التفكير فى تمتعه بمباهج الحياة من الأكل والشرب الرقيق والتغلب فى الثياب الناعمة والعطور الثمينة ، فى تلك الظروف الصعبة . والهدف النهائى الذى أراده المعز تربوى بصفته الامام المعلم ، وهو يقومه للزعماء الكنامين ليكون حاضرا لهم على التفتش ، وخاصة فيما يتعلق بعدم الكلف بالنساء والاكتفاء بالزوجة الواحدة حفاظا على سلامة الجسم والعقل ، وضانا لحسن الخدمة والعمل (١٤) .

وقريب من هذا ما تقوله الرواية فى السياسة المالية وجمع الأموال التى كانت تتراكم فى ألوف الصناديق فى القصر الخلافي تحت اشراف المعز المباشر ، قبل استدعاء صاحب بيت المال ، أبى جعفر حسين بن مهذب ، الذى كان عليه مراجعة محتوياتها بمساعدة معاونيه من الموظفين فى بيت المال والفراشين ، وتسجيل كل ذلك فى دفاتره ، قبل ختم الصناديق بخاتم المعز نفسه وحملها الى خزائن بيت المال لتكون فى عهده تحت طلب الامام . والأمر هنا يتعلق بما كان قد جمعه المعز سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م من الأموال اللازمة للنفقة على حملة فتح مصر ، والتى بلغت مجموعها ، حسبما رصده ابن مهذب ، ٢٤ مليون دينار (١٥) .

(١٤) انظر لخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ ، وقارن انماط الخطوط ، ج ١ ص ١٣٦

(١٥) انظر الخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ .

الزهد :

والهم انه رغم ما آفاه الله على المعسر من « الملك والسعة والبسطة واستقامة الأمور » . مقاربة بما كان عليه والده المنصور الذي عاش عصر الفنة والنعب ، فلم « ينمئع من الدنيا بما ينمئع به من يملك مائة دينار فما دونها » ، فان النعمان ينص على أن المعسر « ما كان يندس في ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب » ، فما كان تلذذه الا بالحكمة والتذكر بالمواظ على الحسنة ، الى جانب اشغاله بأمور الدولة وصالح الرعية .

برنامج العمل اليومي :

فهو يترك مسرله من الصباح الى ديوانه حيث يبقى في تصريف أمور الدولة حتى وقت الظهر . وعندئذ يعود الى المنزل لتناول طعام الغداء ، ويؤدي فرض الصلاة ، ويتخذ مسطاً من الراحة وقت الفيلولة . لكي يعود الى ديوانه بعد صلاة العصر ، لكي يبقى هناك الى الليل . وهو عندما يدخل الى دأوه بعد ذلك يصرف قدراً من الليل بصحبة خاصته في النظر في الكتب والعلوم والكتابة والتأليف . فذلك كان نظامه اليومي في العمل ، باستثناء الأيام التي يخرج فيها للفرجة والتي غالباً ما تكون ايضاً ، للاطلاع على أحوال الناس والنظر فيما يصحح شئونهم (١٦) .

وكن ذلك يعني ان نظام الحكم الذي طبقه المعسر في ادارة شئون دولته ، كان من ذلك النوع الكلي الذي يزول كل شيء فيه الى الخليفة الامام ، من حيث هو مصدر كل السلطات بمعنى ان كل من حوله من رجال الدولة والحاشية ليسوا بأكثر من أعوان يمكن له أن يستشير بأرائهم ، ولكن دونما التزام .

سياسة المعسر المغربية ، ما بين الاقدام والتربص :

رغم الآمال العراض التي ترتبت على نهاية المقاومة الزناتية في بلاد أفريقية ، الأمر الذي يرمز له ترك المهديّة تنعى من بداها ، والعودة المدفوعة الى حسانية المصوريه بالقبروان ، فان مواجهة التدخل الأموي في الحدود المغربية ، وما وراءها من بلاد المغرب الأقصى والتحالفات التي عقدتها

عبد الرحمن الناصر مع ملوك البربر وأمراء الأدارسة ، تطلب المزيد من الجهد من جانب المعز الذي وقع عليه ذلك العبء ، شابا يافعا . والحقيقة انه لم تنقص ست سنوات على امامة المعز حتى كانت جيوشه المظفرة تكتسح بلاد المغرب الأقصى ، من أدناها الى أقصاها فلا تغف أمامه الا سبينة حيث ثبتت القوات الأموية أقدامها بعناد يمكن أن نتفهم أبعادها من حيث كانت سبينة باب العبور الى الأندلس . وكذلك تراوحت سياسة المعز المغربية - رغم قوتها - ما بين الخوف والرحاء ، فهو يناجر الخصوم في المغرب دون هوادة ، ويعمل في نفس الوقت بكل صفة على فتح مصر ، أول مرحلة في سبيل تحقيق الحلم الكبير ، المتمثل في تصحيح ما ألم بتاريخ صدر الاسلام من الانحراف نحو الأمويين والعباسيين على حساب آل البيت من الفاطميين .

الصراع مع الأمويين في المغرب :

ولكنه قبل تصحيح مسار تاريخ المشرق السعيد كان على المعز أن يقوم ما أعوج من تاريخ المغرب المعاصر الذي مالت كفته لصالح عبد الرحمن الناصر الذي دامت له بلاد المغرب ، اثر الثورة الزناتية بعد أن كانت خاضعة كلها ، بإسثناء سحلماسة في أقاصي الصحراء الجنوبية ، لأبي القاسم القائم ، جده (١٧) .

نفوذ الناصر في أرشقول وتامنا :

والظاهر ان عبد الرحمن الناصر الذي حاول استغلال ثورة

(١٧) انظر ابن خلدون ج ٧ ص ٨٦ - حيث النص على أنه حطب وكنه لأبي القاسم على المسير من مدينة تاهرت (بالمغرب الأوسط) الى مدينة طنجة (بساحل العود) ، ما عدا سحلماسة التي كانت حصة مستقلة تحت سادة بني مدرار - وقارن ابن خلدون ، ج ٥ تحقيق شامتا وآخرين ص ٢٥٩ - ٢٦٠ - حيث الإشارة الى أن الصراع كانت محلفة من حيث الصراع عليها في سبيل السيطرة على منطقة الساحل في المغرب الأقصى على عهد المعز سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وما بعدها ، فيص محمد بن حرر في كتبه الى الناصر ، على أن مدينة تاهرت هي « قاعدة الشيعة وبقرة مشايخها » - كما يذكر أنه الحير بن محمد في محاسبة الناصر بعد ذلك ، أحبار برول أبي القاسم (عبد الرحمن) ولد الشامي مدلل الإيمان ، بالساحل لديهم ، وأنه (الحير) استرجع حصا كان قد ساء (القائم) هناك ، وبذلك « ظهر الأرض منهم فليس لهم بالساحل مكان ، ولا مستق ، ما خلت مدينة تاهرت » ، التي يصورها بدار المشركين ، وماوى المنحدين - وانظر فيما سبق ص ٣٥ ، ٣٦ .

أبى يريد إلى أقصى حد في سبيل توطيد أقدامه ليس في المغرب فقط
 بن وصى أفريقيه (ما سبق ص ١٨٥) رأى أن فشل الثورة يحسم عيب
 مصاعفه جهوده في رد الحصر العسائمي بعيدا عن بلاده . وذلك بمساعدة
 حلفائه من رعماء البربر والموالين له من الإدارسة . وفي سنة ٩٢٨هـ
 ٩٢٩م كان البوري ابن موسى بن أبي العاصيه يحقق النصر على الحسن ؛
 عيسى (بن أبي العيش) الإدريسي في أرشعول . ويبعث به إلى الناص
 يقرطبه - علامه حضوره فيها (١٨) . وفي نفس هذا الوقت كان يعلى ،
 محمد بن خزر اليعرني (الرناني) يمدن مدينه فكان (أو افكان) عس
 حساب تاهرت حيث انتقل إليها أهل معسكر تاهرت (١٩) . وامتد نفو
 الناصر إلى منطقة نامسنا ، وهي المنطقة الساحلية غرب سلا والرباط
 فيما بين أسافل نهري بورجرج وأم الربيع والتي كانت تقطنها قبائل
 يرغواطة التي عرفت بأنها صاحبة زندقة أو ما يشبه الردة عن الاسلام (٢٠)
 والمهم هنا أنه عندما ولي أميرهم أبو منصور عيسى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م
 تقول الرواية ان أباه أبا الأنصار الذي عرف بالسخاء والظرف وأنه لا يتعم
 الا في الحرب كان قد أوصاه بموالة صاحب الأندلس (٢١) ، أي مداراة
 واطهار الحضور له ، مما يأتي ذكره .

خضوع الإدارة في طنجة والعدوة المغربية :

وفي مطلع عهد المعز كان زعيما الإدارة في طنجة والعدوة المغربية
 وهما الأخوان : أبو العيش والحسن بن كنون قد دخلا في طاعة الناصر
 وكعلامة اخلاص له استأذنه أبو العيش في الجهاد في الأندلس فرحب الناصر

(١٨) البكري ص ٨٧ .

(١٩) البكري ص ٨٩ .

(٢٠) والجمعية ان هذه الزندقة التي بدأت في تسايا حركات الحوارح الأولى بالمغرب
 والتي تنحصر في الاستقلال السياسي أو ما يشبه الحكم الذاتي ، مع تطوير الاسلام سلفت
 الكلية من حيث هو دين ودولة واقتصاد واجتماع إلى متطلبات الحياة في المنطقة وخاصة مع
 يتعلق بترجمة القرآن إلى اللغة البربرية وأداء الفرائض بنفس اللغة المحلية مع تطوير بعض
 أمور الأحوال الشخصية والعاملات بما يتفق والعادات المتوارثة ، من . محاولة تحليل علم
 أنشئ المنزير على أساس أن النص في شكل الذكر ، أو المبالغة في تركية الحيوان عند البيع
 كي تشمل السمك (الحوت) ، أو تبجيل الديكة على أساس أن صياحها فجرا هو نوع من
 الأذان والدعوة إلى الصلاة الأولى . إلى غير ذلك مما اعتبره الكتاب ديانة مسيحية خائفة عن
 الاسلام . انظر البكري ص ١٣٦ ، الاستبصار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ ، ابن عداري ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٢١) البكري . ص ١٣٦ . ابن عداري . ج ١ ص ٣٢١ .

ببلاصر واحسن وعادته تسد مجيئه . ولكنه عندما خرج الحسن بن كنون على
الناصر ، بعد وفاة ابيه ابي العيش بالاندلس سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ،
ودخل في طاعة المعمر في اسبوريه ، كان رد الناصر عنيفا بقدر ما كان
سريعا ، اذ غلب على بلاد المغرب بما فيها اعمالك الحسن ابن كنون (٢٢) .
وفي نفس سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م كان كلا من الرعيين الرباطيين يعلى بن
محمد بن صالح والخير بن محمد (بن خور) قد دخلا في طاعة الناصر
الأموي ، وكان يعلى قد ملك وهران منذ سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، ولما كان
يعلى يالتحالف مع الخير بن محمد ، قد استولى على تاهرت من يدي كل من
مسرور الفتى وعبد الله بن بكار سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ، فان ملكه كان قد
عظم بالمغرب بقدر ما كان يخطب للناصر على متابره ما بين تاهرت الى
طنجة ، الأمر الذي استدعى من الناصر تولية رجال بيته (٢٣) .

هيمنة الناصر على سبتة والأدارسة في تطوان :

هنا ، كما كان الناصر يؤازر أهل سبتة ضد الأدارسة من بصر
محمد الذين كانوا يتآرعون الموري بن موسى بن أبي العافية معلقة
مغيلة (٢٤) ، الأمر الذي أدى بالأدارسة الى عدم مدينتهم تطوان (نيطاوان)
التي كانت منافسة لسبتة وذلك سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، وعدم تمكنهم من
إعادة بنائها عندما رغبوا في ذلك بسبب اعتراض أهل سبتة ، ووقوف
الناصر بحزم الى جانبهم ، الأمر الذي انتهى بإرسال الجيوش للناصرتهم
سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م ، مما أدى الى خضوع الأدارسة ودفعهم لأبنائهم رهائن
في قرطبة في نفس تلك السنة (٢٥) . ولما كان الزناقية من بني خزر قد
أصبحت لهم السيادة على فاس بصفتهم قواة الناصر الذي ولى عليها
محمد بن الخير بن محمد اليفرنى (الزناتى) الذي رحل بدوره الى الأندلس

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٧ - حيث الإشارة الى امر ميسور ، ومثل عبد الله بن بكار
الذى كان مطبوعا لقتله والده محمد بن صالح مع الإشارة الى اختطاف ماذة القرويين سنة
٣٤٤هـ / ٩٥٤م بمرقة أحمد بن بكر ، (ابن أحمد بن عثمان بن سعيد) الذى آلت اليه
ولاية دس من بن عمه محمد بن الخير (ابن محمد بن عثيرة) عندما عسك واستأذن في
الجهاد والرباط بالاندلس ، وعن الاستيلاء على تاهرت سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م . انظر ج ٧
ص ٢٦ .

(٢٤) البكرى ص ١١٧ - وان كان ذلك فما بعد سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م عندما هزمه .

(٢٥) ابن عدارى ، ج ١ ص ٣٦٧ .

باسم الجهاد ، كما فعل ابو العيشن الادريسي من قبله ، تاركا ابن عمه أحمد بن بكر الندي بنى مدار اجمع القروى سنة ٢٤٤هـ / ٩٥٥م ، وايضا عليها (١٦) ، كما كانت لهم السيطرة على اقليم رهوت ، فان الناصر يكون قد غلب فعلا او كاد على كل بلاد المغرب ، كما يقول ابن خلدون (٢٧) .

سجل ماسة تدخل في الدعوة العباسية :

أما عن سجل ماسة فلم تكن قد استقلت فقط تحت رئاسة ملوكها القدامى المدرايين من بني واسول ، بل ان محمد بن الفتح الذي استولى على السلطة من ابن عمه أبو المنتصر بن المعز انتهى به الأمر الى أن أجرى تحولات ثورية سريعة الايقاع في أحوال سجل ماسة ، وذلك أنه ترك مذهب الصمريه الخوارج الذي كان يعتنقه بنو مدرار ، ودخل في السنة على المذهب المالكي في سبيل الدخول في طاعة خلافة بغداد العباسية ثم لم يلبث أن اتخذ اللقب الخلامي عندما تسمى بـ « الشاكر لله » وضرب النقود - ومر السيادة والتي عرفت باسمه ، فهي « الشاكرية » (٢٦) .

الصراع البحري ضد الأمويين :

ولم يكن من الغريب أن يستشري ذلك الصراع بين الناصر والمعر ، من البر الى البحر ، وان حدث ذلك بمحض الصدفة ، وربما بدون قصد منهما ، وان كان الصراع في البحر بينهما يعتبر أمرا احتميا من حيث أن كلا من الدولة الفاطمية والدولة الأموية الأندلسية كانت قوة بحرية بالامتياز ، نتيجة طبيعية لأوضاعهما الجغرافية ، فمن حيث أن لكل منهما سواحل طويلة على المتوسط ، أما في مواجهة الشواطئ البيزنطية شرق في مقابل كريت وصقلية وجنوب إيطاليا أو الشواطئ الفرنسية والإيطالية مع جزر كورسيكا وسردينيا المواجهة لشرق الأندلس ، إضافة الى شواطئ المحيط من حيث كان يتهدد الأندلسيين الخطر النورماندي .

(٢٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٨ .

(٢٧) المر ، ج ٦ ص ٨٩ .

(٢٨) البكري ، ص ١٥١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، البحر ، ج ٦

ص ١٣١ .

الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل الأندلس والغرب :

وكان أول صدام في البحر سنة ٦٤٤ هـ / ٩٥٤ م ، عندما مر مركب أندلسي بجزيرة . كان قادما بمناجر من الاسكندرية ، ببعض الجزر الاريقية الواقعة على سبت صقلية ، فوجد بها قارباً من قوارب البريد الفاطمية في طريقه برسائل رسمية من صقلية إلى المهدي . وحتى الأندلسيون أن يسدروا القارب بهم . فأخذوا سكان (رجل) القارب ، كما ظمعوها في بعض الامتعة فاستولوا عليها . ومنها حقيبة جندية (خريطة) كان فيها كتاب عامل صقلية إلى المعز (٢٩) . وكان من الطبيعي أن يغضب المعز لجرأة البحريين الأندلسيين ، رعيه العدو الأمازيغي في الاعتداء على بريده البحري ، بين صقلية والمهدي ، فيما يمكن أن يعسر بحق مياهها فاطمية افليمية . فأمر باعداد قوات برية بحرية مشتركة يحملها أسطول صقلية بقيادة والي الجزيرة . الحسن بن علي نفسه ، وأن تكون مهمتها متابعة المركب الأندلسي الكبير حشماً كان . والتأثر منه لفعلته الشقاء . ولم يكن من العسير على والي صقلية العثور على المركب المطلوب في ميناء المرية بجنسوب شرق الأندلس . ولم يكتف العسكر المعزى بأحراق المركب الآثم الذي كان قد أرسى لتوّه هناك ، بل انهم نقلوا إلى البر بميناء المرية نفسه الذي يعتبر مجمع المراكب والأساطيل الاموية ، ودار صناعة السفن هناك ، فاستولوا على المدينة احتياضاً ، وأحرقوا ما بها من المراكب والمخازن ، وما كان فيها من المعدات البحرية ، من الصواري والعدد وأنتهبوا جميع دخالها ، وعادوا جميعاً إلى المهدي سالمين (٣٠) .

(٢٩) المحاليس والمسائرات ، ص ١٦٤ - ١٦٥ - حيث رواية السمعان هنا بدون تاريخ وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٢ - ٥١٣ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) - حيث النص على ان المركب الأندلسي الكبير ، الذي لم يعمل مثله ، كان لعبد الرحمن الأموي (الناصر) ، وأنه قطع على المركب الفاطمي الذي كان فيه رسول من صقلية إلى المعز ، وأخذوا ما فيه وأخذوا الكتب التي إلى المعز ، بمعنى أنها غارة مقصودة لم تأت عرساً حسب رواية السمعان التي رجحناها .

(٣٠) المحاليس والمسائرات ص ١٦٥ والفيرواني ، وقارن ابن الأثير ج ٨ ص ٥١٣ (حوادث سنة ٣٤٤ هـ) - حيث الاشارة إلى ان الفساطر الفاطمية أخذوا المركب الحاني وفيه امتعة لعبد الرحمن (الناصر) وحوار معنيت ، وافتتاح الدعوة ، النص العربي ص ٣٣٦ - حيث الاشارة إلى احراق أساطيل المهدي ودار الصناعة بها ، مع التلميح فقط إلى ان السبب هو حور حارة بنو أمية ، في البحر إلى المشرق دون أمر أميرهم ، والترجمة الفرنسية ص ٤١٣ مقرة ٣٠٣ هـ ٢ - حيث تحديد تاريخ الواقعة سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م (حسب تاريخ ابن الأثير بشكل عام) مع الاشارة إلى نفس الموضع ، أسبانيا الإسلامية ، ج ٢ ص ٧٠٦ .

وكان من الطبيعي أن يتمثل رد فعل عبد الرحمن الناصر في تجهيز أسطوله للقيام بعمل ثأري فنزلت مراكبه « في العسام القايص » (٣٤٥ هـ / ٩٥٥ م) (المجالس ، ص ١٦٦) ، بقيادة غالب مولاة بعض السسواحل الأفريقية تخرب ونهب ، ولكنه كان على الأندلسيين العودة الى مراكبهم والرحيل نحو بلادهم عند محيى القوات الفاطمية ، بعد مناوشات خسر فيها كل من الطرفين أعدادا من القتلى . وعندما عاد الأندلسيون في السنة التي تليها (٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، في ٧٠ (سبعمين) مركبا ، فاجأوا بها مرسى الحزر في المغرب الأوسط ، قبل أن يواصلوا المسيرة الى جهات سوسة في ساحل القيروان ثم طبرقة (طرنه) في سواحل برقة (٣١) .

وأمام تهديد عبد الرحمن الناصر لوجود الفاطمي في المغرب الأقصى وعادته البحرية التي وصلت الى سسواحل برقة ، وجراة أمير سحلماسه الدراري على اتخاذ المنصب الخلافي ، وكأنه أراد - دون قصد - أن يريك في تفتت الخلافة الى أربع « حلافات » بدلا من ثلاث ، كان على المعز أن يتخذ اجراء عسكريا رادعا يعيد به السلطة الفاطمية الى منطقة العدو مقابل الأندلس ، ويعطى له الثقة في نجاح ما كان يخطط جديا له منذ ذلك الوقت من فتح مصر .

(٣١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١٢ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) وقارن رواية النعمان في المجالس والمسيرات ص ١٦٦ - حيث الإشارة الى أن الأموي الذي أصابه الهلع نتيجة لما برل بأباطيله بالمرية على أيدي قوات مصر لم يكف بتسيير مراكبه (عند بلاد المعز) بل انه لحا الى الاستصدار بطايع الروم التي سبر مراكبه مع المراكب الأندلسية والذي أخذ يساهم المعز على عقد هدنة طويلة الأمد معه نظير انصرافه عن الأموي . والحقيقة هنا ان رواية النعمان تربط بين سراج المعز مع الناصر ومصراته مع الروم في صفية وحبوب إيطاليا (أنظر ص ١٦٧ و ١) الذي انتهى بهدنة ، سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ، ولمدة خمس سنوات ، الأمر الذي أدى أيضا الى طلب الناصر الصلح مع المعز ، أنظر فيما سبق . ص ٢٣ - حيث اتسع للمعز من الصلح بسبب اتخاذ الأموي للقب الخلافي ، وقارن ص ١٩٥ - ١٩٥ حيث الإشارة الى احتجاج صاحب الأندلس على ما نزل ناتماعه من البربر الذين أرسلهم لغزو بلاده عندما عثقت مراكبهم ، من الأسر والبغ بالكلاب ، حيث لا يجوز بيع أحرار المسلمين ، وهو ما رد عليه المعز بأنه لم يسع ذلك لأن عقوبتهم الشرعية هي القتل أو المن .

حملة معزية بجناح المغرب من أدناه الى أقصاه
بقيادة الندند جوهر الصقلي : ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م :

ولا بدري ان كانت سياسة التهذئة تلك ، المتمثلة في الاحسان والترغيب قبل الاساءة والترهيب ، قصده بها المعز بشر « السلام الفاطمي » في بلاد المغرب قبل البقلة الى مصر ، أم أنها كانت تمهيدا لاجتياح المغرب الأقصى بمعرفة جوهر القائد ، واقضاء النفود الأموي عنه ، أم ان ذلك الاجتياح للمغرب البعيد (٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م) كان بمثابة تدريب أو مناورة تمهيدية للحملة التي كان على القائد الصقلي أن يقودها لفتح مصر سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) . هذا ، ولو أن المنطقي أن نعتبر أن حملة جوهر المغربية هذه والتي صاحبه فيها زيري بن مناد ، تكملة للحملة التي قادها المعز بشخصه سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م على جبل أوراس وبلاد الزاب ، والتي انتهت بالقضاء على آخر أوكار المقاومة هناك ، بعد أن استأمن بنو كمالان ، ومذيلة من هواراة ، ودخلوا في طاعة المعز ، كما استأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد (٣٣) .

أما عن السبب المباشر لتسيير حملة جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عند ابن خلدون ، فهو ما بلغ المعز من مداخلة يعلى بن محمد اليفرنى للأمويين من وراء البحر ، وبالتالي نقص أهل المغرب الأقصى لطاعة الشيعة (٣٣) .

تاهرت :

والهم أن المعز سبر الحملة التي توصف بأنها جيش كثيف (ابن الأثير ج ٨ ص ٥٢٤) ، يزيد عدده على ٢٠ (عشرين) ألف رجل (٣٤) ، وعسلى رأسها القائد جوهر الذي كان قد عظم شأنه عند المعز حتى بلغ رتبة الوزارة . كما يقول ابن الأثير ، فكانه نائبه في تلك الحملة ، وبصحبه جمع من كبار القواد ، منهم : الزعيم الصنهاجي زيري بن مناد ، صاحب أشير ، وحعفر بن علي صاحب المسيلة (٣٥) . وكان وصول الحملة الى تاهرت دفعة

(٣٢) العير ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن المؤسس لابي أبي دندر ، ص ٧٤ - حيث الاشارة الى ان زمرى بن متاد حضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م ، والتي استعمله المعز بعدة على أشير وما والاها .

(٣٣) العير ، ج ٤ ص ٤٦ .

(٣٤) ابن خلدون ج ٧ ص ٨٩ .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٦ .

واحدة ، دون عمليات عسكرية جاتبية ، يعنى جدوى حملة التهدة التى قادها المعز فى السنوات السابقة فى جبل أوراس وبلاد الزاب . ويظهر ذلك فى استسلام يعلى بن محمد بن حزر الذى يعنى اسظام الأسرة بجميها فى صف المعز بدلا من عبد الرحمن الناصر .

ولكن حضور يعلى كان مؤقنا اذا لم يلبث أن انتهز الفرصة وخالف القائد العاطمى لاجئا الى مركز قيادته فى بلده فكان (أو أفكار) بالقرب من تلمسان (ما سبق ، ص ٢٣٦) ، حيث طارده جوهر الى هناك ، وخرب المدينة ، ونجح فى القبض عليه وعنى ولده (٣٦) ثم انه قتله وبعث برأسه الى المعز بالمنصورة بالقىروان ، فى حمادى الآخرة ٣٤٧ هـ / سببر ٩٥٨ م ، حيث عرض عليه مع رأس أخيه (٣٧) .

هذا ، ولو ان ابن خلدون يورد روايتين أخريين ، احدهما تقول : ان جوهر تقبل اذعان ارعيم الرناى يعلى وهو يضم الفتك به ، وأنه فعل ذلك يوم خروجه من البلدة ، على أيدي الأباع من الكتاميين والصنهاجيين لكى يبعد دمه هدرا ، الى جانب تحريب مدينة « ايفكان » . أما الرواية الأخرى فتص على أن الفتك يعلى كان بناحية شلف ، وأنه بمقتله لم يجتمع بنو يعرن الا بعد حين على ابيه يلدو بالمغرب ، وأن الكثير منهم لحقوا بالأندلس (٣٨) . وكان لمقتل يعلى رنة حزن شديدة لدى الناصر الأموى ، حسبما ينص على ذلك القاضى النعمان ، بحيث تبدد العسكر الأندلسى الذى كان فى مرحلة الاستعداد فى المرية لعمور المضيق ونجدة يعلى (٣٩) .

سجل ماسة :

ومن ناهرت اتجه جوهر بجيوشه نحو فاس التى كان يليها أحمد بن بكر (الجندامى) خليفة محمد بن الخير بن محمد اليقرنى الزياتى ، الذى كان حليفا للناصر الأموى فى قرطبة ، فوله على فاس ثم انه عندما سار الى الأندلس للجهاد عهد بفاس الى أحمد بن بكر ، الذى خلص له الأمر بعد وفاة

(٣٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٤ - حيث الاشارة الى ان أصحابه هم الذين ثاروا بعد القصر عليه .

(٣٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ ، المحاليس والمسائرات ، ص ٢٧٥ .

(٣٨) المسر ، ج ٧ ص ١١٧ - ١١٨ - حيث « يدوى » بدلا من « يدو » .

(٣٩) المحاليس والمسائرات ، ص ٢١٧ - ٢٧٥ .

محمد بن الحبر بالأندلس سنة ٣٤٣ هـ/ ٩٥٤ م ، فخلد اسمه هناك في السنة التالية ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م ببناء مئذنة (صومعة) جامع القرويين (٤٠) . هذا ولو أن ولدي موسى بن أبي العافية ، وهما : مدين الخليف السابق لأحمد بن بكر ، والبورى ، الذى كان في سنة ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م في طاعة الناصر ، كانا يمازغان أحمد بن بكر ولايته لقاس ، حيث تنص رواية ابن خلدون على أن البورى توفى وهو يحاصر أخاه مدين بفاس (٤١) .

والهم أن أحمد بن بكر قرر المقاومة في فاس ، فأغلق أبوابها ونجح في الدفاع عنها أمام هجمات القوات الفاطمية ، الأمر الذى دفع جوهر إلى الاستماع إلى نصيح الناصحين له من أمراء الإدارة الفاطميين من أقاصى المنطقة (السوس) ، الذين أتوا إليه مرحبين وبإلهادياً مهثين ، ألا يترك قواه في عمليات الحصار ، وأن يعجل قبل ذلك بالمسير إلى سجلماسة ، هدفه الأبعد (٤٢) -

ولم تكلف سجلماسة القوات الفاطمية الكثير من العناء ، وذلك أن صاحبها ، محمد بن الفتح ، المتلقب بالشاكر لله ، خرج منها بمجرد علمه باقتراب جوهر ، إلى بعض حصونه القريبة ، والظاهر أنه بقى في المنطقة متخفياً يتحسس الأخبار ، الأمر الذى انتهى بأن غدر به بعض خصومه (من مدغرة) فوقع في أسر رجال جوهر ، وذلك في شهر رجب التالى من نفس سنة ٣٤٧ هـ/ أكتوبر ٩٥٨ م (٤٣) .

فاس :

ومع قدوم فصل البرد كان على جوهر أن يقضى الشتاء في المغرب وأن يستقبل العام الجديد (المحرم) ٣٤٨ هـ/ مارس ٩٥٩ م هناك .

(٤٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ .

(٤١) السر ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٤٣) البكرى ، ص ٦٥٩ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ . ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٢٢ -

حدث العباس على ابن جوهر قتل ابن واسول ، وهو غير صحيح ، وإن كان له الفضل في تحديد الكارثة شهر رجب .

سبينة وطنجة ويطوان :

ولا بأس أن يكون جوهري قد استغل تلك الفرصة ليؤكد النفوذ الفاطمي في المغرب الأقصى ، وبخاصة في منطقة العدو المواجهة لسواحل الأندلس ، في منطقة سبينة وطنجة وما وراءها ، وهو ما يؤكد رواية ابن الأثير التي تقول انه وصل الى البحر المحيط^(٤٤) ومن الواضح أن وصول جوهري الى منطقة العدو حيث كان الأدارسة يجاهدون في الحفاظ على سلطانهم في تلك المنطقة الشبيهة بالأرض الحرام بين المتحاربين من الأمويين الأندلسيين والفساطميين الأفريقيين ، عن طريق الميل مع من يميل كفته رجحانا ، من الطرفين ، وكانت كفة الناصر وقتئذ هي الراجحة ، كما سبقنا الإشارة - فالحسن بن كنون آخر منوك الأدارسة بالمغرب ، والذي حلف أخاه أبا العيش (الذي توفي سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م مجاهدا في الأندلس) بموافقة الناصر ، كان عليه أن يفر هاربا الى الأندلس^(٤٥) .

أما عن موقف بني محمد ، أصحاب فطوان (نيطوان) من الأدارسة ، فالمعروف انهم كانوا على خلاف مع أهل سبينة اتباع الناصر ، وانهم اضطروا الى هدم مدينتهم نيطوان سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٩ م^(٤٦) ، وكانوا وقتئذ قد دخلوا في طاعة الناصر . ولكنهم عندما خرجوا على طاعته في السنة التالية ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م^(٤٧) ثم أرادوا إعادة بناء بطوان من جديد سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، اغترص عليهم أهل سبينة من حيث أنه يضر بمصالحهم ، وذلك بتأييد من الناصر لهم . ولكنه عندما هددهم الناصر بما أرسله اليهم من قواته بقيادة : حمد بن يعلى ، وبما أصدر من الأوامر الى حميد بن يعلى ، صاحب تيجيساس ، قاعدة تلك الجهات ، تخلوا عن إعادة بناء نيطوان ، بل وبعثوا بأبنائهم رهائن الى قرطبة حسب طلب الناصر ، في نفس السنة على أن يكون اسبندالهم في السنة التالية : ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م . ولا نعرف ماذا كان موقف بني محمد الأدارسة من جوهري عندما حاول حصار سبينة ، ولكنه لم يقدد عليها على كل حال الأمر الذي اعتبره صاحب سبينة انتصارا على عسكر جوهري ، يستحق أن يكتب به الى الناصر^(٤٨) .

(٤٤) الكامل . ج ٨ ص ٥٢٥ -

(٤٥) ابن خلدون ، ج ٨ ص ٨٩ .

(٤٦) البكري ، ص ٣٤ .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .

(٤٨) البكري . ص ١٢٤ . ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

فاس : سقوطها على يدى زيرى بن مناد الصنهاجى :

وسمى بحسن الأحوال الجوىه فى فصل الربيع ، كانت القوات الفاطمية نتجه الى نحو فاس وصرى عليها الحصار . وبجحت مدينه المولى ادريس . التى عرفت بشجاعة رجائها ، وقوة تحصيناتها وكثرة أطعمتها فى الصمود امام قوات جوهر ، كما أن أهلها أصموا آذانهم عن الاستماع الى رسائل المعز اليهم بالاسنىسلام نظير الأمان^(٤٩) ، فلم يسقط الا عندما نجح زيرى ابن مناد مع قومه الصنهاجيين فى مهاجمة أهلها ليلا ، باستحداى السلاليم العالية لتسلق أسوارها من أدناها (الستارة) الى أعلاها ، وفتح أبوابها لكى يدخلها جوهر على رأس قوائه حسب العلامة المنقوشة عليها ، وسط أصوات الطبول وأصوات المشاعل . ويسقط على أيدي أحمد بن بكر الذى اختفى لمدة يومين لكى يقضى عليه ، وذلك فى رمضان من سنة ٣٤٨ هـ / نوفمبر ٩٥٩ م (٥٠) .

وهكذا بعد أن قضى جوهر فى المغرب حوالى سنتين ثبت فيها أقدام الفاطميين فى كبريات الخواضر التى عهد بها الى الأولياء هناك ، عاد ويصحبه صاحبى سجناسه محمد بن الفتح الشاكر لله ، وفاس : أحمد بن بكر ، مشهورين فى قصص كائنا قد أعدا لهما مسقفا ، بمعرفه الخليفة المعز ، الخبير فى علم الخيل (الميكانيكا) . واذا كان حصل أميرى فاس وسجناسه الى المنصورية يرمز الى خضوع كل المغرب الأقصى بشطريه الشمال والجنوبى ، من تخوم سبتة الى وادى درعة ، فان قلل الماء التى حملها جوهر ، وكان يسبح فيها سمك المحيط الأطلسى (البحر المحيط) ، كان رمزا لوصول الفتوح الفاطمية فى المغرب الى منتهاها ، حيث لا أرض وراء المحيط^(٥١) . أما عن عاصمة المغرب الأوسط تاهرت ، فكانت حكومتها من نصيب زيرى ابن مناد ، جراء له على ما أظهره فى تلك الحملة من البطولة وحسن البلاء ، وخاصة فى فتح فاس^(٥٢) .

(٤٩) المجاس والمسايات ، ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٤ - ج ٧ ص ٨٩ - حيث لاشاره الى فتح فاس سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م .

(٥١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٥٢) ابن خلدون ، ج ٩ ص ٤٧ .

• رموز شمل بن حرر بن طاعة الفاطميين :

والحقيقة أنه إذا كان بعض بني محمد بن حرر قد دخلوا في طاعة الباصر إلى جانب يعلى بن محمد بن صالح ، فالمعروف أن سياسة الباصر في تغريب يعلى والعهد له بالمغرب وأعماله ، إلى جانب العقد لمحمد بن يصل (المكاسي) على تلمسان وأعمالها ، كانت سببا في مزاحمة محمد بن حرر - رأس الرناتية الأكبر - لموقعه من الفاطميين ، ودخوله من جسيده في طاعتهم . فلقد وعد على المعز في بداية خلافته سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م . فأكرمه وأحسن إليه حتى أنه ظل مطيعا إلى ما بعد عودة جوهر من حملته سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٨ م . بعد ذلك كانت وفادة محمد بن خزر الثانية على المعز في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، حيث هلك بالقيروان وقد تجاوز المائة من عمره . وهكذا ، فقد توفي عبد الرحمن الباصر خديعة قرطبة في نفس تلك السنة ، وقد انتشرت الدعوة الشيعية بالمغرب ، في مقابل تقصص النعموز الأموي الذي لم يكن يتجاوز أعمال سنة وطلحة (٥٣) . وبذلك كان على الحكم المستنصر العمل على تعديل ميزان القوى بما يسمح بدفع الخطر الفاطمي بعيدا عن حدود الأندلس ، الأمر الذي سوف يقع على عاتق محمد بن الحرر ابن حرر (الزناتي) من الجانب الأموي ، وعلى قريشه زيري من منذ الصنهاجى من الجانب الفاطمي (٥٤) ، الأمر الذي يعنى بواكر عهد الأسرة الزيرية في أفريقية والمغرب الأوسط ، والعصر الصنهاجى على طول بلاد المغرب وعرضها وبذلك تبدأ عصور حكم الأسر المغربية السربية ، بعد الأسر المشرقية العربية ، وهو ما سوف ينسحب على بلاد الأندلس أيضا ، وهو الأمر الذي سيمتدحرس على أيدي المعز خلال السنوات العشر التالية .

السنوات الأخيرة من العصر الفاطمي في المغرب :

سياسة مزدوجة ينتهجها المعز : ما بين تأكيد الوجود ، والعمل الجاد من أجل الرحيل :

رجع جوهر إلى أفريقية بعد حملته الكبرى في المغرب ، وهو يحمل صاحبى فاس وسجلماسة : أحمد بن بكر ، ومحمد بن واسول ، وتصحبه وقود رهائن أهل المغرب (٥٥) ، ومنهم الفاطميون (الإدارة) (٥٦) ، شهادة

(٥٣) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ .

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ .

(٥٥) المجالس والمسايرات ، ص ٤٨٣ .

(٥٦) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٧ .

خصوع البلاد لسيادة المعز . ما عن قلال أسماك البحر المحيط التي قدمها لسيده المعز ، فهي رمز الى أن حيرات البلاد جميعا من برها الى بحرها أصبحت دانية انعطوف بالسببة للامام وهو مرناج في قصوره بمنصورية القيروان - تماما كما كان الرشيد يحاطب المزن العابرة فوق قصر الذهب ، قائلا : امطري أينما شئت ، فإن خراجك لي ، وكما سوف يستمتع العزيز ابن المعز ، وهو في القاهرة باطباق طرف الكرر البعلبكي يوم ظهور بشائرها هناك ، بفضل حسن تنظيم البريد الطائر بالحمام الزاجل ، ووحى ساحبه (مديره) ، وذكاء يعقوب بن كلس الوزير (٥٧) .

سياسة مناهضة لصاحبي فاس وسجلماسة :

ويظهر من رواية القاضي النعمان في المجالس والمسائرات أن الخليفة المعز كان يعول كثيرا على القبض على زعماء الثوار من الربور ، واحضارهم أحياء لديه ، وخاصة صاحبي فاس وسجلماسة : ابن بكر - وابن واسول ، ممن كانوا لا يفلقونه في صحوه بل ويؤرقونه في منامه (٥٨) . وإذا كان القصد بعد ذلك اشفاء عليه منهما بالعقاب مواجهة ، والاذلال (٥٩) ، فإن هذا لا يمنع من أن يكون تفكير المعز قد تطرق الى امكانية اعادتهما الى طاعته بعد اخضاعهما لنوع من التاهيل النفسى اللازم لذلك (٦٠) .

(٥٧) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٩٥ - ويذكر أنه كان من العرايب أيضا ما حدث على عهد اليازوري وزير المستنصر ، من توحيه الحمام من افريقية الى مصر ، وإن كان القلقشندى صاحب تلك الرواية يتحفظ قائلا : والمعده على الراوى .
(٥٨) المجالس والمسائرات ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، حيث يرى المعز أمير فاس في منامه - وانظر ص ٢٥٢ - حيث يرى المعز حمد بن يصل - عميل الباصر في منامه منهزما .

(٥٩) انظر المجالس ، ص ٤٥٨ - حيث المعز يوبخهما ، ص ٤١٨ - حيث يحتج المعز لكل منهما قصصا عجيبة الشكل على عقل ، له وتدان يديران السير يس عليه ليرى كل من حوله وجهه ، ولا يعلمون من يديره للتشهير بها ، ص ٣٩٠ - حيث المعز يربح وفقد من سجلماسة على عصيانهم وسماحهم لصاحبهم باتخاذ لقب أمير المؤمنين وامام المسلمين .
(٦٠) هذا ما يفهم من أنه عاتبهما لعصيانهما (المجالس ، ص ٤٥٨) ، وإن اس واسول تاب أمام المعز - واعتذر بحيله واشتازيته عندما اتخذ اللقب الخلامي (المجالس ، ص ٤١٥) ، مما أدى حافط منظرته عندما سأل السماح له بحضور صلاة الجمعة خلف المعز ، في مسألة 'تخذه اللقب الخلامي الذي هو من حق الأئمة وحدهم' (المجالس ، ص ٤١١) ، ثم السماح لاس واسول بحضور صلاة الجمعة وما كان يدور معه بعدها من الجدل مع القاضي النعمان حول دمه الألكي ، وملصق آل البيت الفاطمي ، مما كان يتضح منه أن الرجل (يرى الطبع) =

هذا ، ونضيف روايات المجالس والمسايرات عن « ابن واسول »
معلومات مفيدة سند تراعى فيما هو معروف بندي عن . حداث سجلماسته
عقب حمله جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م . وذلك اننا نجد . اى جانب محمد
ابن واسول اشكر لله ، فى رواية النعمان ، شخصا آخر من نفس الأسرة ،
كان رهينة هو الآخر فى المنصورية ، وهو المنتصر بن محمد بن المعتز . أما
عن كيفية وصوله الى بلاط المعز وارتبائه لحين الفصل فى أمره فيتلخص فى
أن جوهر الذى يشار اليه بنقب (القائد) فقط ، صفح عن أهل سجلماسته
لتركهم الشاكر لله يخرج من المدينة دون اعتراض ثم انه ولى عليهم واليا
مهم ، من المدرارين بنى واسول ، ولكنهم لم يلبثوا بعد مسيره أن ثاروا
بواليه وقتلوه ، وأقاموا مكانه « منتصر بن محمد بن المعتز » ، وذلك دون
تحديد التاريخ . ولكى يدرا اعيان سجلماسته عن أنفسهم سيخط المعز
وانتقامه كتبوا اليه يعتذرون عما بدر منهم فى حق واليهم الذى أساء
السيرة ويعلمون ولايتهم ، ويتمسبون العفو والسماح . الأمر الذى لم يقبله
المعز إلا أن يأسى وجوههم الى الحصرة ومعهم المنتصر ، وهو ما استجاب له
السجلماسيون فى التو واللحظة ، حيث أتى منهم مائتا رجل مع المنتصر
مسارعين فى أعقاب الرسول الى حضرة المعز . وبعد ترهيب المنتصر وعتاب
السجلماسيين وتقريرهم ، قرب المسعر وصفح عنهم ، وعسدا رأى المعز
صرفهم ، عقد للمنتصر على سجلماسته وعملها وخلع عليهم . كما أكرم صحبه
وكساهم (٦١) .

= لم يرد علمه فى أمور الدين عن نطاق ما قرأه من كتب الطاعة ، «وكانه ظن أنه ليس الحق
إلا ما انتهى اليه ، ولكنه كان « اذا سمع الحق أصمى اليه » ، واذا بين له وشرح وفسر مجمله
رجع اليه وانقاد ، ولم يلج فى الباطل ، كما يفعل كثير ممن اتحل مذهباً ونشأ عليه ممن
يشامه » (المجالس ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥) .

(٦١) انظر المجالس والمسايرات ، ص ٢٨٨ - ٢٩٥ . وأظر هامش ٢ ص ٣٨٩ - حيث
الاشارة الى ان المنتصر ولى سجلماسته بعد أبيه سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، وثار عليه ابن عمه
محمد بن فتح (ابن واسول) سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م وهو غلام حدث ، الأمر الذى لا يتفق زمنياً
مع رواية المجالس هذه . والحقيقة انه يمكن ايجاد تفسير لهذه التناقض الذى يحيط بابن
واسول الرهينة فى بلاط المعز اذا أخذنا برواية ابن عذارى التى تصر على مقتل ابن واسول
الأول على يدى جوهر (انظر فيما سبق . هـ ٤٣ ص ٣٣٣) . ثم القصص على المنتصر بعد
ما أحدثه فى المدينة عقب انصراف جوهر ، وذلك أثناء وجوده فى المغرب انتظاراً لفتح مدينته
فاس . سكرى ابن واسول الذى حملته جوهر الى حاسب ابنى بكر صاحب فاس فى القفصين
(المكابكين) ، هو المنتصر ، وما يكون المائتا رجل الذين صحبوه هم فى الحقيقة رعاثن
أهل سجلماسته والمظنة . وذلك يصرف النظر عن قصة مكاتبة أهل سجلماسته للمعز
ورعبت المنتصر مع وجهائهم ببعض ارادتهم - وهو الأمر الذى

رد الفعل الأموي في الأندلس :

كان للانتصارات التي حققها جوهر على أمراء الزناتية في المغرب رنة حزن وأسى في نفس الناصر بقرطبة - حيث فشل الدعم العسكري الذي كان يعده في المرية (٦٢) لمساندة أنصاره في المغرب ، والذي أصبح غير ذي موضوع بعد أن وصلت أنباء القضاء على يعلى بن محمد بن صالح ، تابعه في تاهرت ، وبلوئ أهله إلى الأندلس (٦٣) . ولا ندري إن كانت مثل هذه الأنباء الحزينة قد أثرت في نفسية عبد الرحمن الناصر الذي توفي بعد ذلك بفترة قصيرة في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م .

والهم أن ابن الناصر وخليفته ، الحكم المستنصر ، وهو الأمير العالم ، المشغول بآثراء مكتبته الذائعة الصيت ، سار على نفس سياسته القوية في مناهضته للنموذ الفاطمي في المغرب ، والتي وانتهت الظروف المناسبة حتى نص ، ابن عذارى ، على أنه « طاع له المغرب كله » (٦٤) ، ولا بأس أن يكون قصد ابن عذارى ما حدث فيما بعد ، بفضل نشاط محمد بن أبي عامر ، واستغراق المزم في الاعداد لحملة مصر ، ثم نقلته إلى القاهرة ، ووقوع عبء مواصلة الصراع مع الأمويين على عاتق آل زيري الصهاجيين .

الكفاح من أجل الهيمنة على العدو وتامسنا :

فمن الواضح أنه في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م والسنوات التي تليها كان الحكم المستنصر يكافح من أجل إقرار سلطاته في سببة وطنجة وما يجاورهما - كإقليم تامسنا حيث قبائل برغواطة المتهمه بانحرافاتها الخارجية ثم الزندقية . والحقيقة أن الحكم المستنصر حقق نجاحا هائلا في سياسته المغربية عندما استقبل سفير أمير برغواطة وقتلذ ، وهو : أبو عيسى منصور ابن أبي الأنصار الذي كانت ولايته بعد أبيه ٣٤١ هـ / ٩٥١ م ، وذلك في شوال من سنة ٣٥٢ هـ / أكتوبر ٩٦٣ م . أما السفير فهو أبو صالح زمور البرغواطي وبصحبته ترجمانه إلى اللغة العربية ، وهو : عيسى بن داود المسطاسي . فإلى الحكم المستنصر يرجع الفضل في تعريفنا بمنطقة تامسنا وأهلها ، وتاريخ الأسرة الحاكمة فيها ، التي ترجع إلى طريف (ابن ملوك) :

(٦٢) المجالس ، ص ٢١٧ .

(٦٣) المجالس والمسايرات ، ص ٢١٧ .

(٦٤) السان ج ١ ص ٢٢٧ ، ط : بيروت ، ج ص ٢٢٤ .

صاحب الحملة الاسكتشافية الأولى في فتح الأندلس ، وابنه صالح (بن طريف) الذي سمي نفسه صالح المؤمنين ، والمهدي ، الأبر ، فكانه كان ينشيع رعم ما تنص عليه الرواية من انهم بدأوا حوارج صفريه ، مناصرين لميسرة المدغرى ، سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م (٦٥) . وهكذا يكون تاريخ المغرب مدين للحكم المستنصر ، وللبعثة البرعواطية التي أتت تقدم فروض الطاعة للعاهل الأندلسي ، بمعلومات طريقة عن حقبة خفية من تاريخ تامتنا وعادات قبائلها البرعواطية التي تعد من فروع قبائل المصامدة ، وخاصة ما يتعلق بقضية زندقته مما يجب أخذه شيء من الحذر والحيطه (ما سبق ، ص ٢٠٩ والهامش ٤٣ ص ٢١٠) .

وإذا كان الحكم المستنصر قد اطمئن الى ولاء برعواطة ، البعيدة نوعا ما عن المجاز ، فانه كان في السنة التالية ٣٥٣ هـ / ٩٥٤ م يعمل على شراء وضاء أهل سبنة عن طريق رفع الضرائب عنهم ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بما عنيهم من ديون (التقييط) حيث وقع غيب سدادها على أهل شرف اشبينة (٦٦) .

سقوط كريت بين أيدي البيزنطيين :

أما عن أهم أحداث سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م في شرق البحر المتوسط فهو سقوط جزيرة كريت « اقريطش » التي كانت تابعة بطريا الى الخلفاء العباسية منذ أن استولى عليها الأندلسيون عند خروجهم من الاسكندرية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، بين أيدي الروم البيزنطيين بقيادة تقصور فوكاس (٦٧) . وهو الأمر الذي عمل المعز على الاستفادة منه منذ أن علم بخبره عن طريق بعض وسطاء الأخشيدي صاحب مصر (المجالس ، ص ٤٤٤) ثم عندما طلب منه أهل كريت المعونة (المجالس ، ص ٤٤٦) الى أقصى حد . فلقد اتخذ من تدخله في شئون المسلمين في جزيرة كريت درجعة للتدخل في شئون مصر عن طريق تدبير خطة مشتركة للعمل مع

(٦٥) انظر استكري ، ص ١٣٦ - ١٣٧ م ، اس تشاري ، ج ١ ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٦٦) اس تشاري ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦٧) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٧ - حيث نازل الروم الجزيرة في ٧٠٠ مركب واقتحموها عنيهم ولم يتمكن المسلمون من استعادتها ، وقارن ارشمالد لورس ، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، الترجمة العربية ص ٢٩٥ - ٢٩٦ - حيث النص عن أن القوى البحرية البيزنطية تكوتت من ٤٠٠٠ سفينة حربية منها ١٣٦٠ سفينة للمؤن والامداد .

الأخشيديين ، حسبما يشير اليه السعسان ، من الهدنة التي عقدت بين الروم والمصر في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ولمدة خمس سنوات ، وما يرد في كتاب المعز أيضا إلى امبراطور الروم والأخشيد وإلى مصر (٦٨) .

تهديد الامبراطور الرومي :

فمجرد وصول خبر عزو الروم لبحريرة بأمر المعز بالكتابة إلى امبراطور الروم يهدده بالغاء الهدنة بينهما إذا استمر في العدوان على أهل كريت الذين بعثوا اليه بسفيرهم باعتبارهم في حمايته ، وعلى أساس أنه صاحب أمر المسلمين بالحق الإلهي ، سواء أطاعوه أو امتنعوا منه (٦٩) .

محاولة اجتذاب الأخشيدي في مصر للعمل سويًا :

أما عن كتابه إلى أبي الحسن علي الأخشيدي في مصر - عن طريق وسيط - فقد نص فيه على أن الله خوله أن يكف أيدي الكفرة عما مطاولت اليه من حرب المسلمين في هذا الصنيع وهو مع ذلك يحثه على الجهاد وتقديم المعونة البحرية لأهل دعونه من الكريتيين ، ويعدده بعدم الخوف منه على مراكبه التي ستعود اليه بعد أن يتم لهم الفتح . وهو يعد أن يطمئن الأخشيدي على مراكبه ويعطيه المواثيق والعهود . يطلب منه أن يبعث المراكب المصرية إلى مرسى « طبرقة » من أرض برقة ، لقربه من جزيرة إقريطش (٧٠) . ولقد حدد المعز موعد اجتماع الأسطولين المصري والفاطمي في مرسى برقة هذا ، في أول ربيع الثاني من سنة ٣٥٠ هـ / ٢٠ مايو ٩٦١ م . والمعز يحثه خطابه

(٦٨) المجالس والمسايرات . ص ٤٤٢ ، هـ ١ ص ٤٤٣ - حيث الإشارة إلى أن هدية سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م كانت بين المعز وقسطنطين السابع ، وأنظر حسن إبراهيم وطه شرف ، المعز لدين الله - القاهرة - ١٩٤٧ ، الملحق الأول ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ط ٢٠ ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ - حيث الإشارة إلى توجه عرب كريت نحو بغداد وسف الدولة الحمداني وصاحب مصر فلما لم يستجيب هؤلاء ، ولوا وخربهم شطر المصرية ، وكان رد فعل المعز الاتصال بالأخشيديين لمتعاون وتحدث الروم .

(٦٩) المجالس . ص ٤٤٤ وم ١ - وهو عند ضرب المثل للامبراطور قسطنطين (السابع) بما فعله هو وآدوه من التمسك بحقيقتها في سرحاع ملكهم الذي كان اغتصبه رومانوس (رومانوس) لكتاب سنة ٩١٩ م .

(٧٠) انظر المجالس ، ص ٤٤٥ حيث اقتراح مرسى طبة من أرض برقة ، هـ ٣ - حيث اقتراح أن يكون الكلمة تحويف للسنة ، وهي مدينة برقة الأثرية ، اما اقتراحا طبرقة فهي بناء على قراءة حسن إبراهيم وطه شرف بما أشيرنا إليه أعلاه (هـ ٦٨ ص ٢٤١) .

هذا ، بأنه سيرسل أساطيله لمساعدة المسلمين في الجزيرة على كل حال ، سواء استجاب الاحشيدي لدعوته تلك أم لم يستجب (٧١) . وهو الأمر الذي لا نجد له صدى بعد ذلك في النصوص . ولا شك أنه لم يكن من مصلحة المعز أن تتعاقم مشكلة كريت بينه وبين الروم بحيث تؤدي إلى صراع يمكن أن تكون له آثاره السلبية على مشروع فتح مصر .

هل تحققت الأمناني :

المعز يرسى قواعد الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى :

احتفالات الختان :

والذي يفت النظر أنه في السنة التالية ، وهي ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، التي اعتبرت غزو الروم لجزيرة افریطش كانت مجالا لاحتفالات شعبية كبرى ، مما أرسى قواعد المعز ، وذلك بمناسبة عملية الإعداد أو الختان التي كانت تجري لصغار أولاد المسلمين ، يجعلونها وكأنها أول مراسم سن البلوغ ، بمعنى « الرشيد الديني » ، من حيث أنها عملية طهور وتطهير ، مما يجنب القيام به قبل الصلاة ، فربما من مطلب الوضوء أو أدنى من ذلك إلى مطلب الاغتسال من الجنابة ، والتي أصبحت من وقتئذ نوعا من التعميد عند غير المسلمين ، بما يتطلبه من احتمال يشيع خبره بين الناس ، وبقي أصداؤه في نفوس الصغار والكبار .

هكذا قرر المعز في مطلع سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م بمناسبة ما قرره من طهور أبنائه الثلاثة : عبد الله ونزار (العريز) وعقيل ، أن يجعل من ذلك احتفالا شعبيا عاما ، يشارك فيه أهل المملكة على طول الشمال الأفريقي من برقة شرقا إلى سحلماسة غربا ، ومن صقلية شمالا إلى بوابات السودان في الصحراء جنوبا ، وذلك لمدة شهر كامل ، وهو شهر ربيع الأول من تلك السنة ، الذي كان يوافق موسم الربيع فعلا حيث امتد من ٩ إبريل إلى ٨ من مايو ، فكانه « نوروز » فارس أو « نسيم » مصر .

(٧١) المجالس ، ص ٤٥ - ٤٤٦ . أما عن رسوك أهل كريت الذي وصل إلى المنصور متأخرا بمضى الشيء ، فقد بين للمعز خطوة استسلام الروم على جزيرة كريت ، سبب موقوفها الاسرائيحي الهام الذي يرجو أن يمكنه من فتح القسطنطينية والمشرق . الأمر الذي استحق عليه تقدير المعز ، مع الإشارة إلى أنه لو كان قد جاءه في وقت صكر لكادت أساطيله وفتنقه عديم . وانظر بحثا « موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في أفريقيا ونقلتهم إلى مصر » ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ٩ سنة ١٩٥٨ ، ص ٩٣٣ .

وأخطر المعسر الخاصة من رجال البلاط وأهل الخاشية والجند والعبيد ، وكذلك سائر أهل الحضر من التجار والصناع وعمامة الرعية بالمصيرية والميروان وسائر مدن أفريقيا وكورها من حاصر وبدد . كما أصدر الأوامر إلى المسؤولين عن الولاية والعمال في سائر أنحاء السولة بأن يقدموا في ظهور آبائهم يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ٣٥١ هـ / ٩ ابريل ١٩٦٢م إلى انقضاء هذا الشهر . كما صدرت الأوامر أيضا بإرسال الأموال اللازمة للاعاق على عملية الظهور ، وما يصاحبها من الخلع والهدايا على الصغار « المتطهرين » وأولياء أمورهم . والظاهر أن نصيب كل ولاية من مال الظهور قدر بحوالي خمسين حملا من المال ، وهو القدر الذي أرسل إلى صقلية فعلا ، دون حساب الخلع والكسي (٧٢) .

وكان قصر البحر (برقادة) هو المركز الرئيسي لعملية الختان العامة . ففي ساحته صرحت السرايدات حول بركة الماء الشببية بالبحر . حيث كان الختان الكبير يجري تحت إشراف المعسر شخصيا ، الذي بدأ بختان آبائه ثم سمح لبقية المعسور من الصبيان ، مع كافة أصناف طبقات السلم الاجتماعي ، بالتحاق مع من صاحبهم من الآباء والأمهات أو العبيد والمخدم . هذا ولقد راد من سائر المدن بأبنائهم إلى الختان ما أعطى لعملية من صيغة رسمية ، وما أتبع من أنها ستكون « سببية » بمعنى دورية كل سبع سنوات ، فكان ذلك مما تقضى به أصول المذهب « مذهب السببية » ، وإن الخروح على ذلك يعتبر انحرافا عن الرغبة الامامية ، وهي الشناعة التي استهجنها المعسر ، طالما كانت في مصلحة الجميع . ولقد استعوى الاشراف على العملية الكثير من وقت المعسر الذي كان يجلس لاستعراض صغار المتطهرين . من وقت الصبح (الغداة) حيث يمرون بين يديه فبصبيون من الكساء والصلاب جميعا ، وربما استشاء ، وإن كانت هداياهم تبعا لتصنيفهم الاجتماعي والطبقي من « الشرفاء » والخاصة إلى العامة والعبيد السودان . وكان متوسط ما يعطى لكل صبي من أهل الحاضرة ، غير الكسوة ، من ٢٠٠ (مائتي) درهم إلى ١٥٠ (مائة وخمسين) درهما ، أما أقل ما أعطى لصبيان أهل البادية فهو ١٠ (عشرة) دراهم (٧٣) .

(٧٢) الخالس والمسايرات . ص ٥٥٦ .

(٧٣) انظر لحال المسايرات . ص ٥٥٧ . حيث حوت عملية الختان عن طريق خلوس

الخاشية من السرايدات على الكرسي وبين أيديهم المقاعد المربعة (اسائر) لخلوس الصبيان =

أما عن أعداد معمار المنصورين فقد بلغ متوسطها ايجوسى بالخاصرة ،
حلال شهر الاحتفال ما بين ٥ (خمسة) آلاف و ١٠ (عشرة) الاف صبى ،
ولا بدرى مدى صحة هذه الأرقام قياسا على ما قيل من ان جملة من تظهر
من صبيان صفية بنخ ١٥ (خمسة عشر) الفا - وسواء صحت تلك الأرقام
أم كان مبالغ فيها (٧٤) ، فقد كانت بالنسبة لأهل ذلك الزمان تعبيراً عن
كثرة المظهرين الصغار ، وقبل ذلك عن كثرة ما أنفق عليهم من الأموال ،
الأمر الذى كان يبر شفقة بعض المسئولين من رجال الدولة كالحامى النعمان
الذى أسر الى سيده بما انتابه من القلق لولا نظمين المعز الذى هدأ من
روعه ، عندما عرفه أنه أعد للأمر عدته ، وأنه عزل من المال ما يستغرق
انفاقه بقية الشهر ، وإن القصد من ذلك هو الخير للناس مع إقامة الفروض ،
واحياء السنة المحمدية والملة الإبراهيمية . والمهم أنه لم ينقض الشهر
الا وكان جميع الصبية ، فى كل المملكة ، قد تم تطهيرهم عن آخرهم حسبما
رسم المعز وقنس (٧٥) .

وعن هذا الطريق بدأ المعز فى العرب ارساء قواعد الاحتفالات والرسوم
العاطمية بهذا العيد الشعبى الكبير الذى طال أمده شهرا كاملا . فكانت
أيامه . « أيام أعياد ومسرات وأفراح ومسات لكل راحة وجهه من مملكة
أمير المؤمنين من بدو وحضر ، وعيمهم فصله وتبين عليهم أثره . وارتقى به
أغنياؤهم ، وانتعش له فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم ،
وكان له أثر جميل لم يسبقه إليه (صغ) أحد قبله ٠٠٠ » ، كما يقول
النعمان (٧٦) . ولا شك أن مرامى المعز من ذلك العيد كانت أبعده من
المظاهر الاحتفالية التى صاحبتة ، وذلك بشد الرعية الى امامها الذى يكرمها ،

ومساعدون يسكنونهم فى حجورهم ، ويدرون الدورات المسكة للدم على حثائهم ويقفون
بالبحور وماء لورد على رؤسهم ويرشونهم على وجوههم لما يصريهم من الروع . والمعز من
أهل اسند بأصناف اللالع قيام عليهم يلهمهم ، ويصحبون من طهر منهم ، يرفون به انه
مزله .

(٧٤) انظر المحالى ، ص ٥٧٧ وه ٢ - حيث التعلق على تلك الأرقام أبى حاله مبالغ
فيها ، وقارن ص ٥٥٨ - حيث المعز على أن عدد المظهرين فى أسر يوم من الشهر بلغ ١٣
(اى عشر) ألف صبى .

(٧٥) المحالى والمساربات . ص ٥٥٨ .

(٧٦) المحالى . ص ٥٥٨ .

ويؤيد بيد التصعد منه ، ومساهمة دوله وتأييد سياسته (٧٧) .

فكان المعز يؤيد أعماله العسكرية التي هدفت الى تثبيت قدام الأسرة العاطمية بالترهيب ، بأعماله السلمية التي قصفت اكساب قلوب الرعة المغربية بالترغيب - وكل ذلك كما يرى ، كخدمة للحفاظ على وحدة الدولة عندما ينهبها لها تحقيق أملها في الهيمنة على المشرق بدأ يفتح مصر .

السياسة الدينية :

وهنا يمكن ادخال ظاهرة الحُتان الكبرى هذه ، وما صاحبها من التوسعة على الرعية ، وبخاصة الفقراء وأهل الحاجة منهم ، في اطار سياسة المعز الدينية . من حيث اعتناؤه بمقنن المذهب العاطمي وواضع فواعده ، وإن كان بفلم العمان ، فاصبه ومستشاره وكبير دعاته مما سقت الاشارة اليه (أنظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ وه ٣) . فهو يجعل مسألة الحُتان بهذا في سبيل اقامة فروض الدين والسنة النبوية والملة الابراهيمية ، مما ذكر أعلاه .

اتتمسك بشعائر المذهب :

اما عن سياسته الدينية فنمثل في اكمال ما كان بدئه الرواد الاولين ، من : الداعي أبي عبد الله وأخيه أبي العباس . والقاضي اسروزي . وما كان آكله المهدي ثم القائم من شعائر مذهب أهل البيت مما يتعلق بالآذان والصلاة مما يقع فيه الاختلاف مع أهل السنة وخاصة المالكية منهم ، الأمر الذي ربما كان قد وقع فيه شيء من التراخي ، وخاصة بعد بحربة أبي يزيد النكاري . ففي سنة ٩٣٤هـ / ٩٦٠م أصدر المعز أوامره الى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم ألا يؤذّنوا الا ويقولوا : « حي على خير العمل » ، وأن يقرأوا « بسم الله الرحمن الرحيم » في أول كل سورة ، وأن يسلموا تسليمتين ، وأن يكرروا على الجائز خمسا ، وألا يؤحروا صلاة العصر ، ولا يبكروا بالعشاء الأخيرة (٧٨) .

(٧٧) انظر المعالي ص ٥٥٩ - حيث تظهر مشاعر المعز الانسانية هذه فيما عبر به عندما قال : والله لقد ساءني من رأيتني يمر من أهل الفقر والمسكنة ، وإن كانوا قليلا في كثير ، لأنهم رحمتا ومن يحب أن يكونوا أعباء تظهر نعمة الله (نع) عليهم ما . إذ قد جرى مثل هذا .

(٧٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٣ . هذا الى جانب تنظيم الاحتمالات الحاشية بمنع النساء المشجعات من الصباح حلف الميت ، وعدم قراءة العمان التران بالمقابر الا عند التمدن فقط . -

أحياء الملأعن مع الأمويين :

وصلا لا بأس من الإشارة مرة أخرى الى أن الصراع السياسي مع
الأمويين بالأساس من أجل السيطرة على المغرب ، والذي تفاقم على عهد
المعز بما قام به البحريون الاندلسيون من الأعمال العدوانية ضد رجاء
المعز ، وما ترتب على ذلك من تبادل الأعمال الانتقامية ، ثم ما قام به
المعز من فرض الهيمنة العظمية بقوة حتى شواطئ المحيط فيما وراء
طنجة ، وبالتحديد مع زعماء البربر ، والتعاقب مع أبناء العم الأحرار من
الفاطميين الإدارسة ، أصحاب فاس أو بني محمد أصحاب حجر النسر ،
كل ذلك قد سببا فيما يمكن أن يقال أنه أحياء لصراعات فترة التحكيم
الملوية الأموية ، وما ترتب عليها من تبادل المعن من فوق المناابر ، الأمر
الذي استمر على عهد الأمويين الى خلافة عمر بن عبد العزيز صاحب الفضل
في معه . وهكذا كان الصراع من أحل المغرب الأقصى ومنطقة العداوة
المغربية سببا في أحياء استأعن الديني بين الفاطميين والأمويين ، على عهد
الناصر ، منذ أن اتخذ اللقب الخلافي بخاصة ، الأمر الذي أثار حساسية
شديدة لدى الفاطميين الذين اعتقدوا أنهم أصحاب الحق وحدهم في حمل
اللقب .

ومن الواضح أن الناصر الأموي وأتباعه من أمراء البربر كانوا
يكتفون بتسجيل نص الفاطميين الشعة في الخطابات الرسمية للمبادلة
فيما بينهم ، بل وربما بالغ زعماء البربر في ذلك اكتسابا لرضاء الناصر ،
ولكن الفاطميين خرجوا عن هذا النطاق الى لعن الأمويين من فوق المناابر ،
وكأنهم يأخذون بثأرهم من الأمويين الذين مارسوا أهانتهم في خطب الجمعة
لأكثر من نصف قرن . فهذا ما يفهم مما فعله الناصر الأموي عندها أرسل
مبعوثا من لديه ، عن طريق وسيط ، الى المعز يطلب الصلح ، ويحتج على

ما يسئل في جهود المعز كرائد ترتيب الرسوم الفاطمية . والى جانب ذلك يذكر محاولة المعز
تصحيح اتجاه فتنة القيروان التي كانت متخرفة نحو الشرق منذ أن ساءها عقبة ، كما تقول بعض
الروايات ، وأن المعز عندما وجد معارضة شديدة لذلك على أساس أن من قبله عقبة
أصابه الله سوء بدء عقبة المستعجب ، قرر المعز الانتقام منهم بنشر فير عقبة بتهوده ،
وأرسل لذلك سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ٥٠٠ (خمسمائة) رجل ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك
إذ ثار بهم العواصف التي ردتهم على أعقابهم - البكري ، ص ٧٤ - وقارن الاستخصار ،
ص ١١٤ .

... يمارسه المعمر من بينهم وهم مسلمون (٧٠) . وإذا كانت تلك الرواية
لا تشير إلى المعمر من فوق المنابر ، فإن المعمر يشير في مجلس آخر إلى أنه
يلعبه أن الساصر يلعبهم على منابرهم « كل من سلفه الفسقة لأمير المؤمنين على
(عم) ويكره علينا لعبه » (٧١) .

النسب المتأخر من أسباب الخلاف :

ص : ، كما أن اتحاد عبد الرحمن الساصر لنسب الخلاء ، من وجهة
النظر الشخصية الذاتية داخل من ذلك الصراع الديني (السياسي) القائم
بين الطرفين ، على أساس أن الإمامة والخلاف وقف على الأئمة القاطنين
، دونه ودون من سواه » ، ومن حيث ما يروونه من أن الله فرض عليهم
مخاربة من اتهم ذلك دونهم وادعاءه . وبناء على ذلك يقول المعمر لواء السلطة :
« ما أنا بملء الله من دين الله ، ولا الراكن بالموعدة إلى أعداء الله ، ولا بالمجادع
في أمر من أمور الله » (اشجالس والمسائرات ، ص ١٦٨) .

والمعروف أن تلك المراسلات تمت عن طريق بعض حواري كل من
الطرفين . أي الساصر والمعمر . الأمر الذي يعني أن المسألة كانت تتعلق

(٧١) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١١٥ - ١١٦ - حيث يشير المعمر في (د) إلى
تأويل بعض الكلمات في عدد من الآيات القرآنية على أنها تعني للأمويين ، مثل الآية الله
على الظالمين (هود ، ١٨) والشجرة المنوعة في القرآن (الاسراء ، ٦٠) ، والتي تشمل
الأصول والفروع .

(٨٠) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١٧٦ - ١١٧ - حيث يستخدم المعمر نفس الجدول
الذي يستند في لعبة للأمويين إلى تأويل بعض الآيات القرآنية (كما في الهامش السابق)
مع الإشارة إلى قوة سنته في لمن الأمويين إلى الآيات القرآنية ، سيما الساصر ، عندما يسميه
أو يسميه بالاقبلاء بسيفه الدين شتموا (الرسول ٩) ولعنوا وصيه إلى جانب تسمية الدين
بمعنى الطير والابعاد من الجماعة وهو ما فعله النبي بهم - الأمر الذي اقتنع به رسول
عبد الرحمن الساصر ، قبل أن يصرفه عائداً إلى بلده - وقارن أيضاً ص ٢٨٥ - حيث يعرض
المعمر على علمه بأن للأمويين لمعومهم على منابرهم بالأندلس كما يلعبون أنماؤهم علناً ، مع
تكراؤ القول بأن الطرد يعني اللعن ، وهو الأمر القديم بينهم منذ أيام الرسول ، مع النص
على أن اختصار الأمويين بالانتساب إلى عبد الملك بن مروان أمر لا يعتد به ، فهو اللعن من
الليثيين الحكم ومروان ، وهو الأمر الذي يرد عنه أس خلدون في المقدمة ، مستنداً إلى
مالك بن أنس في الموطأ - حيث يشهد بمصادقة عبد الملك ومروان - انظر المعمر ج ١ فصل ٢٨
عن انقلاب الخلافة إلى ملك ، ص ١٧٢ - حيث يقول فقد احتج مالك في الحزباً مع عبد الملك ،
وقد ما كان من المصلحة الأولى من الجانبين وعندهم معروفة .

بوساطة حير ليدف الى حقردماء المسلمين . وادا كان العاضى انعمان لا يحدد تاريخ تلك المراسلات ، فمن الواضح من روايته انها تمت قبل حملة جوهر الكبرى التى سيرها المعز الى عدوه الأندلس والمغرب الأقصى سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ، فهذا ما يعنى مما يقوله الرواية من أن رسول الأمرى عندما رجع يلبح فى الصبح من جديد ، صرعه المعز خائبا دون جواب ، « وأمر بتجهيز الجيوش الى أرض المغرب لتتبع كل من مال الى بنى أمية بالقتل ، واجساحهم عن جديد الأرض » . فاذا طهرها الله منهم فيما والا من البربر جهزهم اليهم - ان شاء الله - فى البحر لقطع دابرهم ، واصطلامهم عن آخر بحول الله وقوته « (٨١) » .

فى الحرية المذهبية والحق :

وفى مجال ذلك انصراف المذهبى السياسى وما دار حوله من الجدل . يرفض المعز ما يباهى به الناصر من تركه الحرية المذهبية للناس يختارون ما يحبونه من المذاهب وربما اكراه حتى « نزع الناس اليه وسكوا ببلده لذلك » ، على أساس أن ذلك سمة حكم المستبدين من الأمراء غير الشرعيين الذين يسعون الى عاجل الدنيا ولا ينظرون فى أمور الدين (٨٢) .

اما عن ادعاء الناصر بمنع حجاج أهل الأندلس من المرور بأفريقيه ، فهو الأمر الذى ينفبه المعز ، بل ويلقى على الناصر (الفاسق) بتبعته ، ثملا يؤدوا بزعمه أخباره اليها . والحقيقة أنهم يذهبون ويرجعون دون أن يمنعه أحد . « وكيف نصعد عن بيت الله ونحن أهل أم قمم من زيارة قبر جدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ونحن ولده (٨٣) » . وهنا لا بأس

(٨١) المجالس والمسايرات ، ص ١٧٠ .

(٨٢) أنظر المجالس والمسايرات ، ص ١٦٠ - ١٩١ - وذلك حسبما تقضى قواعد المذهب الفاضلى . من : ان الله عز وجل يرسل الرسل و (ما) أقام الأئمة الا لظهار دينه ، وتقويم عبادته . وان دعاء اليه . اما عن سبب نزوح الناس الى بلده « لما أتاح لهم من شرب الخمر والمجهره بالمعاصى » . اما عن افتخاره بنزوح الناس الى بلده ، فالمراد انه لا توجد قرية فصلا عن المسار والمدن ، من المغرب الى المشرق ، الا وفيها طائفة من أهل الأندلس قد برعوا اليها ووطنوا بها . وان كثيرا منهم ليذكر ان الذى نزع به خوف سخط الله لما رآه من اظهار المعاصى ببلده ، فضلا عن سخط الناس بن السدان اختيارا ولغير علة على قديم الزمان فى كل مكان .

(٨٣) المجالس والمسايرات ، ص ١٩٣ .

من الإشارة الى أن إعلان أمان المعز لأهل مصر الذى قرأه جوهر عليهم عندما دحر القسطنطين فى أواخر شعبان سنة ٣٥٩ هـ / أوائل يولييه ٩٧٠ م ، والذى كان بمثابة إعلان مبادئ الحكم (أى الدستور) الفاطمى . المبني على اصول الاسلام والسنة النبوية . في مقابل دستور الحكم الاحتشيدى العباسى المبني على الأغراض الدينية والأهواء الفاسدة (٨٤) . كان من بين مبرره ما ينص على « إقامة الحج الذى تعطل » - بسبب القرامطة أبناء مذهبهم الاسماعيلى ، و « أن أحركم فى الموارد على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وأصح ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى ، فلا استحقاق لحصرها لبيت المال » و « رم المساجد وتزينها بالفرش والايقصاد » ، وبيان أن الاسلام سنة واحدة وشرعية متبعة ، وأن « يجرى الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله فى كتابه ، وبصه نبيه (صلى الله عليه وسلم) فى سنته (٨٥) » . وهذا يعنى أن الإصلاح الدينى كان فى مقدمة البرنامج السياسى الذى أعده المعز لمصر .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر لمصر وثقله المعز اليها :

والحقيقة أن المعز كان على أهبة الاستعداد لفسح مصر بمجرد وفاة الأستاذ الأسود أبو المسك كافور الأخشيدى (٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م) ، الذى آل اليه حكم مصر بعد وفاة ولدى الأخشيد : أنوجور (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م) وعلى (أبو الحسن) (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م) . وساءت العلاقة بينه وبين اخوة الأخشيد الذين كانوا وقتئذ لائحين ببلاد الشام . فالمعز كان على دراية بالفراغ السياسى والدستورى الذى سيحدثه اختفاء كافور عن مسرح الأحداث فى القسطنطين ، والظاهر أنه كان على دراية أيضاً برقة حالة كافور الصحية . وهذا ما تعبر عنه الرواية التى كانت تقول ان فتح مصر يتم عندما يزول الحجر الأسود (٨٦) ، كناية عن وفاة كافور . فى تلك الأوقات

(٨٤) حيث استشرى الفساد ، ليس بين رجال الدولة فقط ، بل بين النساء الأخشيدات ايضاً ، حيث كانت بعضهن تشتري الحارية الغالبة الثمن من أجل الاستمتاع بها - انظر انماط الخنفا ، ص ١٣٤ - حيث اشترت الأميرة الأخشيدية صبية مغربية ، كانت السفطات الفاطمية قد دستها فى أسواق القسطنطين ، ب ٦٠٠ دينار لتتبع بها .

(٨٥) أنظر كتاب أمان جوهر فى انماط الخنفا للمقبري ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، وحسن

ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٨٦) انماط الخنفا ، ص ١٤٦ .

الصعبة حيث كانت مصر تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة لندرة المحل والوباء التي آلت بها بسبب انخفاض مبيعات النسيج الذي استمر لتسج سنوات موزالية ، من : ٣٥١ هـ / ٩٦٢ - ٩٧١م (٨٧) .

الأعمال المهيمنة :

وهكذا علا بأس ان يكون المعر قد يلد الأعمال المهيمنة بتدريج مصر مند سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦م ، حيث صدرت أوامره بحفر الآثار على صور الطريق الى مصر ، وبناء الاسنراحات ، من : المتارن والعصور (٨٨) ، ودلت تحت تأثير علم الحدائق الذي كان يعرفه الأئمة ، وصعوط الأبناع من الشيعة والدعاة الذين اعتنقوا في ذلك ليس في حصره الخلفه بالقيروان بل وفي مصر والمشرق (٨٩) . وكان من الطبيعي ان يستغرق هذا العمل عدة سنوات ، ولا بأس أن تكون وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨م . قد زادت من همة المعر في انجاز تلك الأعمال . ففي تلك السنة كان المعر منهكاً في ترتيب صناديق الأموال التي بنيت الآلاف في قصر المنصورية . والتي قدرت قيمتها بـ ٢٤ (أربعة وعشرين) مليون دينار (اتعاط الحما ، ص ١٣٨) ، ويعهد بها الى صاحب بيت المال ، مما نأق الاشارة اليه (ص ٢٥١) . كما تضيف رواية ابن خلدون ان المعز خرج بنفسه ، في قلب الشتاء الى المهدي ، وأخرج من قصر آياته ٥٠٠ (خمسمائة) حمل من المال عاد بها الى القيروان ليزيد مرة بيت المال بقصر المنصورية (٩٠) .

جولة مبدئية في بلاد كنانة :

هكذا ، وتضيف رواية ابن خلدون ان المعر أصدر أوامره الى حوهر بأن يتجهز للخروج الى مصر . وإذا كانت تلك الرواية تقول ان حوهر

(٨٧) أظن اغائة الأمة للمقريزي ، ص ١٢ - ١٣ . حيث كان مستوى القصص ما ، ص ١٢ درج (كما في سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م) و١٥ درج ، كما في سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤م - الأمر الذي لم يقع منه في اللغة الإسلامية كما يقول المقريزي .

(٨٨) اتعاط الحما ، ص ١٣٨ - وقارن المؤسس لأم أبي دينار ، ص ٦٤ .

(٨٩) أظن المحائس والمسائرات ، ص ٥٠٧ - حيث كان المنصور يتسأ للمعز ، أنه ، يتمتع مصر ، ص ١٣٨ - حيث كان المعز نفسه لا يشك في افتتاح المشرق قرناً ، ص ٤٧٥ - حيث يحيى وفد مشرفي بحث المعز على غزو المشرق .

(٩٠) ومات الأعبان ، ترجمة المعز العبدى ، ج ٥ ص ٢٣٦ ، وقارن ابن أبي دينار المؤسس ، ص ٦٤ - حيث أخرج دون ذكر فصل الشتاء ، وقصور أنه بدلا من آياته .

بدأ بالخروج الى جبهة المغرب لاصلاح اموره وكان معه جيش عظيم ، الامر الذى يوحى بقيامه بحملة جديدة على بلاد المغرب ، فـ يهك فيها قواه في ذلك الوقت غير المدسب ، فان بغية الرواية جعل تلك الحملة من الاعمال النميدية المقولة بالسببة لفتح مصر ، فرواية ابن حلكان التى تظهر أصداؤها عند ابن ديار ، تشير الى أن الهدف من الحملة كان حشد الأجناد من قبائل كمامه (٩١) ، في اقليم القبائل الصغرى ، الى حاسب حماية الأموال التى كانت على « فطائح » البربر ، والنسب سبع مصادرها ٥٠٠ (خمسمائة) ألف دينار (٩٢) .

وعندما عاد جوهر من جولته تلك على بلاد كمامه بعد أن تم له ما كان يبغيه من حشد الرجال والأموال ، وذلك في ٢٧ من المحرم سنة ٣٥٨هـ / ٢٢ ديسمبر ٩٦٨م ، صدرت اليه أوامر المعز بالخروج الى مصر ، الأمر الذى تم خلال فترة لم تتجاوز الشهر الا بأيام قليلة ، وخلال تلك الفترة كان المعز يشرف بنفسه على تجهيز العسكر الكبير الذى حوى المتطوعة من بربر أفريقية ، وخاصة من قبائل كتامة وزويلة ، الى جانب الجند النظامى . ولم يبخل المعز فى المفقة على العسكر ، وإلى براوحت ما بين ٢٠ (عشرين) ديناراً و ١٠٠ (مائة) دينار لكل فرد منهم (٩٣) .

المسير من الحضرة :

وهكذا كان مسير جوهر من الحضرة فى اتجاه مصر ، يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ / ٦ فبراير ٩٦٩م ، فى احتفال عظيم ، حضره الخليفة المعز الذى ودعه جوهر مقلدا يده وحافر فرسه (٩٤) . كما قدم لجوهر

(٩١) هب فصلنا رواية ابن أبى دينار التى تشير الى حشد كتامة على رواية ابن حلكان (عن المعز ، ج ٥ ص ٢٢٦) التى تشير الى جمع قبائل العرب الذى يتوجه بهم الى مصر ، حيث كان العرب يقطنون وتشتد في اقسام برقة ، قبل الهجرة الهلالية ، مما تشير اليه قيساً بعد (ص ٤٢٤) .

(٩٢) ابن حلكان (عن المعز) ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن المؤنس من أبى دينار ، ص ٦٤ .

(٩٣) انظر ابن حلكان ، ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث تاريخ مسيرة الحملة (٤ ربيع الأول) الى حاسب تحديد عناصر الجيش من البربر والكتامين الزويجين والمند .

(٩٤) بن حلكان (عن الجوهر) ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، وحسن ابراهيم حسن ، الدولة العاضية ، ص ١٤٠ .

ما يليق بمكانه عن انتعظيم والبيجين من كسار رجل الدولة ، وعلى رأسهم
الأمراء أبناء المعز الذين نرحلوا عن حيوليم بامر الخليفة الوالد (ابن حنكاز
جوهر ، ج ١ ص ٢٧٧) * ومقدم ابيقتس ، الخليفة المحمل بالكلاس المال (١٥) ،
الذي وصعه محمد بن هانيء الاندلسي ، قائلا .

رأيت بعيسى فوق ما كنت أسمع
وقد راعى يوم من الحشر أروع
عادة كان الأفق سد بمثله
معاد غروب الشمس من حيث تطلع (٩٦)

وعند عودة المعز الى قصره ، أرسل الى جوهر كل ما كان عليه من
ثياب سوى الخاتم (ابن حنكاز ، جوهر) رهرا لبيانته العامة عن المعز
مع استمرار كون انكسار الاخيرة لتخليفه ، صاحب الحق الشرعي في امضاء
الأمور مهما تكن الأحوال . وعلى طول الطريق كان جوهر يتلقى من ولاته
الأقاليم ما هو مقرر عليهم من المعونة ، ومن واحات البيجيل والاحسرام
نحو القائد الذي كان قد ارتقى الى مرتبة الوزارة ، كما تقول النصوص .
وذلك في المراكز الكبيرة ، مثل : قاس وطرابلس وبرقة ، على ما نظن .
فالمعروف أنه كان على جوهر في برقة أن يستقبل حشد العرب الذين
يسبرون معه الى مصر مع حشد كنامة (انظر أعلاه ص ٢٥١) كما كان على
والى برقة أيضا وهو وقتئذ أفلح بن ناشب أن يقوم بواجب البحرية نحو
جوهر فيترجل له (عن حصانه) ويقبل يسده ، الأمر الذي دفعه الى عرض
١٠٠ ألف دينار على الخليفة المعز في سبيل اعفائه منه فلم يلق استجابة له
(انظر فيما بعد ص ٢٧٩ وما ١٧٠) .

مسيرة الأسطول :

ولما كانت خطة الفتح تقضي بمسير الأسطول في البحر محاذيا للحملة
البرية ، فإن هذا التعاون المشترك بين القوات البرية والبحرية كان

(٩٥) انظر ابن حنكاز ترجمة جوهر ، ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - حيث النص على بروز
جوهر في أكثر من ١٠٠ (مائة) ألف فارس ، ومعه أكثر من ١٢٠٠ (ألف ومائتي) صندوق
من المال وقارن ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث النص على أن يسير جوهر كان
في عدد يقصر عنه الوصف ، ومعه ألف رجل من المال .

(٩٦) حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤ .

عما سهل فتح الاسكندرية . الذي يقول فيه ابن هاني :
نفور بنو العباس هل فتحت مصر
فقل لبني العباس قد قصي الأمر
ومسد جاور الاسكندرية جسوه
نظالعه البشرى ويصعبه اسمر (٩٧)

وبعد فتح الاسكندرية كان على جوهر أن يسير بمحاذاة فرع النيل
الغربي ، مروراً بمدينة تروجة المزدهرة وقتئذ ، بسما كان على قطع الأسطول
أن يصعد في النيل من مصب رشيد ، محاذية الجيش البري ، نحو مدينة
مصر : القساط . وكان الوصول الى الجيزة يوم ٧ من شعبان/ ٢٦ يوبه
٩٦٩ م ، من حيث كان عبور النيل في ١٦ شعبان/ ٥ يوليه ، ووضع
حجر الأساس لبناء مدينة القاهرة التي سماها جوهر بالمنصورية . في
اليوم التالي . ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ / ٦ يولية ٩٦٩ م .

وبقي المعز في قصره بالمنصورية يتلقى أنباء الفتح الجيد أولاً بأول ،
وكانت أول بشارة تصله في ١٥ رمضان سنة ٣٥٨ هـ / ٢ أغسطس ٩٦٩ م .
لها بسارة فوح الشام . الى أن تترت قواعده بالديار المصرية . ففر
المسير الى هناك في شوال سنة ٣٦١ هـ / يولييه ٩٧٢ م . بند ٣ (ثلاث)
سنوات قضاه هو الآخر ، في اقرار قواعد الدولة بديار أفريقية والمغرب .

اضطرب قبائل زناتة بقيادة معتمد بن الحبر بن محمد بن خور
(سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) :

بمسير جوهر والكتامين الى مصر ، وقع عبء اقرار السلام الفاطمي
في بلاد المغرب على كتفي المعز ، قبل أن يلقيها بدوره على كاهل معاويه
من آل زيري الصهاجيين .

ففي نفس سنة فتح مصر اضطربت قبائل زناتة من جديد في بلاد
الزاب ، وذلك بقيادة أميرها محمد بن الحبر بن محمد بن خور الذي استماله
المستنصر الأموي الى جانب (٩٨) . وكان على المعز أن يخرج بنفسه الى لقائه

(٩٧) انظر حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٧ .
(٩٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٩٩ - حيث الاسم
أو خور الزناتى .

فى بأعاليه . ولكن ابن الخير الذى كان يسبح فى حرية سلوب مياثل البادية المتمثل فى الكر والعر ، بمعنى عدم الالتحام بالخصم ، كتفاء بارهائه على طريقه « اضرب واهرب » ، كان عليه أن يعر الى الصحراء المجسولة على طريق سلوك الدروب الوعره . وهنا أسلم المعر الى بنكين من زيرى بن مناد الصنهاجى معارضة الثائر الرناتى الى أن احتفت آثاره (١٩٠) . والمهم ان محمد بن الخير لم يستسج رياضه المطاردة الصحراوية العنيفة فقرر فى السنة اثناثة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، العودة الى أسر الطاعة ، فوصل بنفسه سسناسا الى المعر الذى رحب به وأحمس اليه ، فأجرى عليه رائسا يصمن به معاشه (١٠٠) .

قوة محمد بن الخير الرناتى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م (١٠١) ، ومقتل زيرى بن مناد :

ولكن المعر لم يثبت أن واجه تحالفا من قبل جعفر بن على ابن الأندلسى ، صاحب المسببة وأحد المرشحين لخلافته بأفريقية ، وأخيه يحيى مع الرناتية من بنى خزر ، القائمين بدعوة الحكم المستنصر الأموى بالأندلس ضد أعوانه الصنهاجيين من زيرى بن مناد صاحب أشير ، ووالى قاهرت وما يهتجه بسيف المعر من بلاد المغرب ، وابنه بنكين (١٠٢) .

فعندما شق جعفر بن على ابن الأندلسى عصا الطاعة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، وتقرب الى الحكم المستنصر الأموى ، كان عليه أن يترك إقطاعه فى المسبيلة وأن يلحق بمحمد بن الخير بن محمد بن خزر الرناتى لكى يسج الجميع عبر الصحراء لمقااة زيرى بن مناد ، غير بعيد من ولايته بتاهرت على ما يظن . ورغم دقاع زيرى السطولى بما يليق باسمه فان المعركة انتهت بمقتله ، واحتواء بنى ابن الأندلسى والرناية على معسكره (١٠٣) .

(٩٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٩٨ .

(١٠٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٥٩٩ ، وأظفر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٦ - حيث المص على ان ذلك لم يعنه من قل لأحد غير المعز .

(١٠١) ابن عذارى ، ج ٢ (الأندلس) ص ٢٤٣ ، وقارب ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٦ - حيث الاسم خطا محمد بن الحسين الرناتى بدلا من الخير .

(١٠٢) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

(١٠٣) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

ورغم ما يهمهم من روايات ابن عدارى التى جمعها من محمد بن يوسف الوراق وغيره . والنسب يظهر غير متسجمة بعض الشيء . من ان الرعيس الزبائى محمد بن الخير هو الذى قتل ريرى بن مساد ، فمن الواضح ان جعفر بن على ابن الاندلسى انتفع بكل حماس الداحل الجديد فى الدعوة الاموية . نكايه فى المعسر ، لياخذ على عاتقه قتل الزعيم الصنهاجى ريرى بن مساد . تابع المعسر المقرب . وهكذا باذر جعفر بمراسلة الحكم فى قرطبة ، مدلا على صدق دخوله فى دعوته بتقديم رأس ريرى . كاعظم هديه يمكن ان يتوقعها العاهل الاندلسى ، وذلك بمعية احيه يحيى وامراء بنى حرر الزبائية . واستقبلت قرطبة رأس عدوها فى احتفال عظيم شهده كبار رجال دولة المستنصر فى أوائل شهر ذى القعدة من نفس السنة (٣٦٠هـ / أغسطس ٩٧١م) . اما عن ذروة الاحتفال فكان فى ٢٨ من ذى القعدة / ٢٤ سبتمبر ، حيث جلس المستنصر فوق السرير لاستقبال جعفر بن على ابن الاندلسى ومن اتى معه من أمراء رناتة ، الذين كان قد بدأ الترحيب بهم منذ أن نزلوا فى مرسى مالقة . حيث كان فى استقبالهم محمد بن أبى عامر ، الذى كان يشغل منصب قاضى أشبيلية . بصفته نائبا عن الحكم (١٠٤) .

ثار بلكين من محمد بن الخير الزناتى :

وحق للمعسر أن يترعج أشد الانزعاج لما نزل بقائده زيرى الصنهاجى . فى ذلك الوقت الحرج حيث كان يرتب أموره من اجل السير الى مصر ، ولكن فدغه لم يستمر طويلا . وذلك ان بلكين بن ريرى نجح فى قطع تلك الأعياد التى أقيمت فى الاندلس ابتهاجا بقتل والده . وذلك بالشا من انزعج الزناتى ، محمد بن الخير ، عندما نجح فى مفاجاته بدوره على حين غرة ، فى ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠هـ / ١٧ فبراير ٩٧١م ، وصار فى بعض محاسناته ، الأمر الذى دفع ابن الخير المعتز بنفسه ، والذى لم يقس نسيم الرقوع فى الأسر ، عندما أحيط به ، ولا القتل بيد خصمه ، الى الانتحار بأسنوب اقرب الى ما عرف حديثا بطريقة (الهار اكبرى) اليابانية وذلك بالاتكاء على سنان سيفه وقتل نفسه ، الأمر العظيم الذى كانت له صداؤه الرائعة فى كل بلاد المغرب ، والذى استقبله المعز بما يعادله من الشعور بالراحة والفسطة ، حتى انه جلس لتقبل التهاني لثلاثة أيام متوالية.

فكانت مناسبة العيد (١٠٥) ، وكانت في الحقيقة مناسبة الرحيل .

واحتييه انه بسما كن المعز يسر نحو المشرق في أواخر شوال من السنة التالية ، ٣٦١ هـ / يولييه ٩٧٢ م ، كانت الاحلاف قد تغيرت نحو المغرب حيث انصر السخالب بين جعفر بن علي بن الاندلسي الذي انضم الى صفوف بنيك زوين الرناتيه ، وبدأ يحاربهم باسم المعز . كما كان الصراح دائرا في اعدوة المعريه ما بين الامويين وشيعتهم في سبقة وبين شيعه الفاطميين من الادارسة ، وعلى رأسهم الحسن بن ضون ، تلك الصراعات التي ستمسح تركه المعز لثأبه بلكين بن ديري . اما عن الاضطرابات التي عرست صقلية وفتنذ فقد انقطعت تماما عندما اعاد المعز الامارة الى بني الحسن الكلبى ، فعين ابا القاسم بن الحسن واليا للجزيرة نيابة عن أخيه احمد (أبو الحسين) ، فقاموا بشئون الجزيرة وبواجب الجهاد خير قيام .

أحوال صقلية من عهد القائم الى انتقال المعز الى القاهرة :

غارة على جنوة :

بدأ عيد التسائم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م ، بحملة قوية خرجت من الميمنية ، بقيادة يعقوب بن اسحق ، الى جنوة التي كانت تعتبر من أرض الأفرجة ، فاجتاحها قبل أن تعود بالمغام والسبي - الأمر الذي كانت له أصداؤه المدوية في كل من الجسائين الاسلامي والمسيحي على السواء (١٠٦) .

(١٠٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٦ ، ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٤٣ ، وأنظر انماط السنة ١٢٨ - حيث وردت الرسل في شعبان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م من المغرب برأس محمد بن حرر ، ومع ٢ آلاف رأس فقرأ عند السمع يوم الجمعة كتاب المعز بغير المذكور - وحيث تعديده تاريخ انتصار محمد بن الحبحر بـ ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠ هـ / ١٧ فبراير ٩٧١ م .

(١٠٦) المكتبة الصقلية ، مخطوط كامردج ، تاريخ صقلية حسب حوايات العالم ج ٩ ص ١٧٠ - حيث النص على أخذ جنوة ، وأنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٨٥ - حيث حوة من بلاد الروم ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٣١ - حيث الاشارة بشكل عام الى افتتاح معائن الروم ، وغروهم بساحة الاندلس (جنوة) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٩ - حيث النص على أن وجهة الحملة كانت بلاد الروم فانفتحت جنوة . الأمر الذي حمل ارشمالد لريس ، القوى البحرية النصارية ، الترجمة ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، يقول ان نشاط الأسطول السنطري أززعج الفاطميين في غرب المتوسط حتى أنهم أرسلوا عام ٩٣٥ م (٩) أسطولا كاملا الاستعداد ليثبت دعائم =

استمرار ولاية سالم بن راشد :

أما عن صقلية فإن القوائم أقر على ولايتها سالم بن راشد . وفي نسخة الأولى من إمارة سالم على عهد القوائم ، تذكر الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم مقتل والي طبرمين المسمى زبداش ، ذلك في حملة كان يقوم بها ضد قلعة « قصر سالم » في ١٠ مارس من تلك السنة ٩٣٥م / ٢ ربيع الثامن ٣٢٣هـ . وفي السنة التالية تعرضت الجزيرة يوم الأحد الموافق ١٩ أكتوبر ٩٣٦م / ٣٠ ذي القعدة ٣٢٤هـ ، لسوء عظيم سالت له الأودية من المرتفعات المحيطة بمدينة بلرم فأغرقت الناس ، وهدمت الكثير من الدور في أرباض المدينة وداخلها . وعلى العكس من ذلك تعرضت بلرم في صيف العام التالي ، إلى ريح « سموم » عاصفة في يوم ١١ يولييه ٩٣٧م / ٢٤ رمضان ٣٢٥هـ ، ترتب عليها حرق دوالي العنب والثمار ولم يكن في تلك السنة قطاف (١٠٧) .

والظاهر أن سالم بن راشد لم يكن موقفا في السياسة التي واجه بها تلك الصعوبات الطبيعية ، وما ترتب عليها من أزمة اقتصادية ، إذ تمع ذلك اضطرابات خطيرة انتهت بها فترة ولايته للجزيرة التي تحاوت أنعشرين سنة ، والتي كانت أشبه بذلك الاضطرابات التي عرفها البلاد على أيام سلفه : أبي سعيد الضيف . ففي سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م اشتعلت الفتن بين أهل صقلية وأمرائهم ، وذلك عندما أعلن أهل مدينة جرجنت (حيث البربر) العصيان على سالم ، متهمين إياه بسوء السيرة - ربما لنشدده في جباية الأموال ، مما عرف عنه في بداية ولايته على عهد المهدي (أنظر فيما سبق ، ص ١٥٩) ففي ١٧ من إبريل ٩٣٨م / ١٨ جمادى الثانية ٣٢٦هـ ، ثار الجرجنتيون على الأمير سالم بن راشد ، وطردهوا عامله عليهم « ابن عمران » من قلعة البلوك ، كما نهوا من كان لديهم من تجار اللومباردين (النردبارين) . وهنا أعد لهم سالم عسكريا ممن كان تحت امرته ، من : الكتامين والصقليين (١٠٨) ، إضافة إلى جماعة من رجال

سلطانهم على مياه البحر البيراني ، ولتغير على سردنية وكورسكا ، وربما حرد أيضا (٩) .
ثم ما تخصصه النصوص العربية من غزو جنوة ، وأنه استطاع أن يحرق الكثير من السفن
والذي تراه أن المؤلف لا يتقيد بالنصوص بل يعطى لنفسه الحرية في تفسيرها والتعلق عليها
حسما يتواءم له ، وإن لم يتفق مع مضمون النصوص .

(١٠٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٠٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٣٧ - حيث ذكر

عن أهل صقلية وإفريقية (تلك الكتامين) .

الفائد ميمون بن موسى ، وجعل فيادتهم الى المقدم . أبي دقاق الكناني .
وسار هؤلاء العساكر نحو جرجت حيث ضربوا هازانهم (آحييهم) في
موضع يقال له عصرة . وهنا رأى الجرجنتيون أن تكون لهم المبادرة بالعمل ،
مزحوا الى معسكر قوات بلرم ، ودارت الحرب بين الطرفين ، في يوم السبت
٢٤ يولييه / ٢٧ شعبان ، وانتهت بهزيمة العسكر الكناني الذي قتل كثير
من رجاله وعلى رأسهم قائدهم . المقدم أبي دقاق . ورفع النصر من روح
أهل جرجت الذين تابعوا المهزمين من العسكر الأميري الى بلادهم بلرم
ليحاربوها نفسها . وكان من الطبيعي أن يقبل الأمير سالم ذلك التحدي ،
فخرج الى لقاء الجرجنتيين وبصحبه القائد ميمون بن موسى . وتم اللقاء
في يوم الأحد ٢ يولييه / رمضان ، في موضع يعرف بـ « مسيلد البس »
كان النصر فيه لأهل المدينة (بلرم) الذين أوقعوا بالجرجنتيين خسائر
كبيرة ، وتبعوهم حتى موضع « مطاحن مرنوه » (١٠٩) .

ثورة الصقليين في بلرم :

ولما كان التمرد والعصيان معديا كالمرض ، بالسبب للعامة سقى
الأقل ، لم يكر من العرب أن يثور الصقليون داخل بلرم ، وذلك بقيادة
رحلين منهم ، هما ابن السبيبه وأبو طار ، على الأمير سالم ، وأن يقتلوا
بعض أعيان رجاله . كما فعلوا بأبي بطار الأسود يوم الأحد ١٧ سبتمبر
(شسر) ٩٣٨ م / ١٦ ذي القعدة ٣٢٦ هـ . ولكن الأمير سالم بن راشد
لم يلبث أن أوقع بالصقليين بعد ثلاثة أيام ، حيث هزمهم يوم الأربعاء
٢٠ من نفس الشهر / ١ من ذي الحجة ، هزيمة مكره ، اشتهرت بـ « مقبله
الكلاب » - انقاصا من شأن المهزومين . ومن الواضح أن سالم بن راشد
أدرك أن التمرد الذي استشرى بين العسكر من أهل صقلية أكبر من أن
يواجه بقواته المحدودة في الجزيرة فأرسل الى الخليفة القائم بالمهدية يسأله
بالموقف الحرج ، ويطلب منه المدد .

وقبل أن يصل المدد الذي أعده القائم تحت قيادة واحد من كبار
المخلصين للإمام ، هو : خليل بن اسحق (أخو يعقوب بن اسحق) ، كان
الصقليون في بلرم يتحركون مرة أخرى بأعداد كبيرة ضد سالم ، وذلك

(١٠٩) الكتبة الصقلية ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٢٧ -
حت الإشارة الى أن هزيمة أهل جرجت كانت في شعبان .

فى يوم السبت ٧ أكتوبر / ٦ دى الحجة ، وكن سالم نجح فى هريمهم مرة اخرى هريمه كبيرة ، داخل المدينة حيث حصرهم بالقلعة القديمة (القصر القديم) (١١٠) .

عنده خليل بن اسحق :

ما بين المواقف الشجنية والأعمال الثارية :

ويمضى خليل بن اسحق بفوات المهدية فى ٢٣ من أكتوبر / ٢٤ من دى الحجة (١) . ظهر وكان يعيد القيادة فى الجزيرة قد امس عودة اليدو والسكنية ابها . فند حرج ائيه أهل بلرم مظهرين الطاعة ، شاكين ظم سائم وجوره ، كما خرج النساء والنسبان يكون ويشكون ، وندعت العواطف أوجها عندما أثار الموقف الشجنى فى نفوس العساكر فاضطربوا ، هم أيضا فى البكاء . وشجع الموقف العاطفى الحزين أهل بقية البلاد وبصمهم أهل خرجت (البربر) على المجرى الى بلرم للقاء القائد الجديد . خليل بن اسحق . وهذا يكمل الشكل القصصى للرواية التى يقدمها ابن الاثير . عندما يفسح الدس والوقية هما المحرك للعلاقات بين رحى الدولة المشاركين فى ولاية أمر الجزيرة . فمن الواضح ان الخليفة الفائم أرسل خليل بن اسحق مددا لسالم ، وليس أميرا بدلا منه ، الأمر الذى سمح لسالم أن يمارس سياسة تعقيد الأمور بالسبب له حتى يقتل من فرصة مراحمته له فى اماره الجزيرة . فهذا ما يهم من اجتماع سالم بالعاديين لثاء خليل ، وخاصة من الجرجنتيين الذين كانوا لا يضمرون له ودا ، واحرازهم ان حابل لم يحضر من قبل الخليفة القسام الا من أحل الانقام منهم بم قتلوه من عسكره ، الأمر الذى جعلهم يريثون فى تحديد موقعهم منه (١١٢) .

وبصرف النظر عن صحة قصة التآمر بين كبار رجال الدولة أو اصطناعها ، فمن الواضح ان الأمور سارت فى مجاريها الطبيعية ، فخليل حضر وهو يعرف ماذا يواجهه من تمرد أهل صقلية ، وهو ما سوف

(١١٠) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ ، وغارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ .

(١١١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ .

(١١٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ - حيث النص على انهم عندما سمعوا مقالة سالم فمادوا لخليل ولكن ما يأتى بعد ذلك عندما عدلوا الى التريث فى تحديد الموقف .

مؤكدته الأحداث التالية وما صاحبها ، من نواتر أعمال الحلاف العبيدة .
وبالنسبة للإستقامات الخائفة . فمجرد دخول خليل بعساكره الكثيره الى
بلرم بدأ بتحرير المدينة من دروعها . وجعلها مدينة مفتوحة ، يهدم سورها
وحلج ابوابها ، ونقض الكثير من تحصياتها ، واشروع في بناء مدينة
بدينة أو قلعة حصينة ، من نوع ما سوف يعرف فيما بعد ، بـ « القصبه » ،
بمعنى مركز الحكم والإدارة ومقر الحامية ، وسماها « الخالصة » (١١٣) .
والحقيقة انه اذا كان نقض تحصينات بلرم يعنى جعلها مدينة مفتوحة
بالنسبة للمدينة الحكومية الجديدة ، فان بناء الخالصة اعتبر بمثابة اندار
موجه الى أهل جرجنت ، الذين أحدهم الخوف ، ونحقق عندهم ما قال لهم
سالم . « فحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب » .

وأعد خليل من جانبه العدة لمواجهة ، فحشد الرجال من صقليين
وأفريقيين ، وخرج اليهم بقوة الكيرة يوم الجمعة ٩ مارس سنة ٩٣٩م /
١٣ جمادى الأولى سنة ٣٢٧هـ ، وضرب عليهم الحصار فما كان من الجرجنتيين
الا أن تخلصوا ممن كان لديهم من العمال الفاطميين ، مثل : ابن أبى خنزير ،
وعلى بن أبى الحسين ، صير سالم بن راشد ، فقتلوههم . ورغم تشديد خليل
الحصار عليهم لكنه تمأبنة أشهر ، فانه لم يقدروا انهم على شيء ، حتى اضطر
عند اقبال الشتاء الى رفع الحصار في ٣٢ من أكتوبر / ٢٧ من دى الحجة
والعودة الى الخالصة (١١٤) .

ثارت فتية ، من : تشديد الحصر ، والاتصال بالقسطنطينية ،
والهجرة الى بلد الروم :

وانتهز أهل جرجنت فرصة رفع الحصار التى اعتبروها انتصارا .هم
على قوات الخلافة ، وقاموا بدعاية واسعة النطاق ضد خليل ، كما بشوا
سراياهم في كل اتجاه ، الأمر الذى انتهى مع مقدم السنة التالية ، بخلاف
أهل مازر وجميع القلاع على خليل . وبلغ الأمر بالجرجنتيين الى حد مكاتمة
أمبراطور القسطنطينية وطلب النجدة منه ، وكانت قرصة انتهزها
الباسيليوس (الملك) فأمدهم بالمؤن والرجال عن طريق الأسطول ، كما
انتهزها رجاله من المستوطنين في كلابريا وجنوب ايطاليا للكسب غير المشروع

(١١٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ - حيث نازم بدلا من بالر ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٢٨ - حيث النص على انه أخذ أبواب بلرم ليعصن بها الخالصة .
(١١٤) المكتبة الصقلية ، مخطوط كسريديج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(انظر ما يابى ، ص ٢٦٢) . وذن على حليل ان يخطر الحسنة باستعمال
امر اهل جرجنت ، ونعاقم خطر اشورة بالجريرة ، عبتت اليه جيشا كبيرا
خرج به حليل في جاسب من معه من الصقبيين ، لاسترجاع الحصون الثائرة .
من قلعة ابي نور ، وقلعة السبراط . واسكلافية ، حتى اسردها دون
عناء . بينما قاومت قلعة البلوط في ملحمة مروعة في ١٠ يولييه ٩٤٠ م /
١ شوال ٣٢٨ هـ . اما قلعة بلاتنو فقاومت ولم تستسلم (١١٥) .

وقاوم الجرجسيون مقاومة ايائس ، وفي نوفمبر ٩٤٠ م / صفر ٣٢٩ هـ .
نجحوا في عميه ليليه معاهدة من ذلك الحصار عن قلعة البلوط ، بعد أن
طردوا رجال حليل واسولوا على حياتهم (١١٦) . وحلال تلك الأحداث
الدامية مات سالم بن راشد في هذه السنة في قصره بالخالصة ، بينما صربت
المجاعة المدينة (بلرم) وكذلك البوادي ، «حتى أكل الوالدون أولادهم» (١١٧) .
وفي شهر مارس ٩٤١ م / جمادى الآخرة ٣٢٩ هـ سقطت قلعة ابلاطنو
(بلاطينة) ، ونعما تشديد الحصار على حرجنت التي ضربتها المجاعة ،
كما ضربت غيرها من القلاع والبوادي التي خلت من أهلها ، الى أن انتهى
الأمر بسقوطها في ٢٠ نوفمبر ٩٤٢ م / ٢٣ صفر ٣٣١ هـ (١١٨) .

ونتيجة للمجاعة وطول الحصار ، وما ترتب عليها من تفجر العداوة
والحقده ، سار كثير من أهل جرجنت الى بلاد الروم ، بل وتنصر كثير منهم .
أما الباقون الذين طلبوا الأمان فبعد أن استجاب لهم حليل - وطلب منهم
التزول من القلعة غدر بهم وحملهم الى المدينة (بلرم) ، كما بعث منهم
سببا كثيرا الى أفريقية . هذا ، وتبين الرواية ان خليل بن اسحق حمل
وزر كل ذلك راضيا فخورا (١١٩) .

(١١٥) المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبودج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٢٩ .

(١١٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١١٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١١٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث النص

على أنها سقطت في سنة ٣٢٩ هـ .

(١١٩) انظر المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث الاشارة

الى انه غدر ايضا بأهل حرجنت الذين سجنهم معه الى افريقية حيث حملهم في مركب
وأمر بقتله فماتوا في لجة البحر غرقا ، وانظر ابن عداري ج ١ ص ٢١٥ - حيث الاشارة الى
أن ما قده حليل بن اسحق بأهل صقلية مما لم يعمده أحد قبله ولا بعده من المسلمين ، الى
حادث الخبارة بظلمه في محالسه عندما عاد الى افريقية ، حيث كان يستقل ما قيل من أنه قتل =

وإلى جانب هجره الصغيين من انوار اسير جاوا الى بلاد الروم ،
وما كانت غوم به بيرطة من ارسالي النجداث والمؤن بنوار ، مما دمر
علاه (ص ٢٦٠) ، تشير النصوص البيزنطية الى ان بعض فواد اروم
في كلابريا (قلورية) ، استفاد من الموقف الضعيف للصقليين بسبب
الضعف راجع ، وباع بهم القمح والاطعمة بأسعار عالية ، وكان قد اشترعا
من الكلابريين بأسعار رخيصة ، وان انكشف امره كى نتيجة طبيعته
لرقابة الامبراطورية الخارمة على حكام الولايات . فنقد انهم القائد المدب
باكسب العاصح وغير المشروع ، ولم يكتب بعمره ، عقوبة لجرمه فقط ،
بل وبمصادرة جميع املاكه (١٢٠) . والمهم بعد كل ذلك هو أنه نتيجة لتلك
الثورات اتى ألت بصقلية ، ضعف العرب الموجودون في كلابريا ، وأصبحوا
تحت رحمة اليونان . أما عن الخليفة العاطمي في أفريقية فكان لا يستطيع
المطالبة بإعادة الفارين من الجربة ، الذين كان ايونانيون قد أسروهم
وحملوهم الى القسطنطينية . هذا ، كما ان الضريبة السنوية التي كانت
تدفعها المدن الكلابرية قبل وفاة المهدي ، أصبحت بطبيعة الحال غير ذات
موضوع (١٢١) .

نهاية مهمة خليل بن اسحق :

والذي يفهم من الرواية الخاصة بنهاية مهمة خليل بن اسحق في
صقلية ، ان القائد العاطمي الذي أعرق الثورة الصقلية في الدم والجوع ،
رأى أنه أدى ما هو مطلوب منه عندما استسلمت القلاع الصافية ، وعادت
البلاد الإسلامية الى طاعته . فقرر العودة الى أفريقية . ورغم ذلك فلا بأس
من أن تكون عودة خليل الى المهدي قد تسببت بناء على تعليمات من الخليفة
القائم ، الذي كان ولا شك قد عرف بما تم من الظلم والجور في حق
المكودين من ثوار صقلية ، من جانب تابعه الذي بالغ في اخلاصه في الخدمة
الى تجاوز الحدود المتعارف عليها ، خاصة وأن والي الجربة سالم بن راشد

من الصقليين . بن مليون (على الأكثر) أو مائة ألف (على الأقل) فكان يقول (لا والله
إذا أكثر ، سيما كان البعض يقول له . « يا أماه الساس لك من قتل نفس واحدة ما يكفك » .
هذا ، مع الإشارة الى خدمته المهدية في أعمال الحيايات ومحاسبة الدواوين والأعمال ، واب المهدي
يسمى به الأمر الى أن كرهه وأقصه ، وأنه لولا أنه أبو القاسم لأهلكه .

(١٢٠) حاي (J Gay) إيطاليا الخمسة والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢٦٢ .

(١٢١) حاي (J Gay) إيطاليا المروية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٣ .

كان في عري ، فكان من المقبول أن يحل خيل محبة أو دأى ديوان المهدي
«يايه» تسمى هذا المصعب .

ولاية ابن عطف :

ومكذا ، وفي تلك الظروف الشاذة ، كان علي خليل بن اسحق أن
يفادر صقلية الى افريقية في ١٠ سبتمبر (سبتمبر) ٩٤٣ م / ٦ محرم
سنة ٣٣٢هـ (١٢٢) ، بعد أن ترك علي بلرم متولين ، أحدهما . ابن الكوفي
والآخر ابن عطف (١٢٣) . والذي يفهم من رواية ابن الأثير أن الإمارة كانت
لابن عطف أصلاً (١٢٤) ، بمعنى أن ابن الكوفي كان مساعداً له أو نائباً
يمكن أن يقوم مكانه إذا حدث له حدث في تلك الظروف الصعبة . حيث
« كثر السرقة والأذى ، وصار القوي يأكل الضعيف » (١٢٥) ، إلا إذا كان
ابن الكوفي هو عامل الخواص ، كما حرت العادة من فصل الاداة السياسية
عن الادارة المالية التي كان لها عاملها المستقل .

والهم ان الحوليات الصقلية لا تقدم شيئاً عن أحوال الجزيرة في الفترة

(١٢٦) وذلك تبعاً لتأريخ صقلية الحول الذي يتبع تأريخ بدء الخليفة (مخطوط كمبودج)
المكتبة الصقلية ج ١ ص ١٧٣ ، مع أن الرواية العاطية التي ينقلها ابن الأثير تعدد ذلك
الى الجهة الذي لا يعد كثيراً عن المحرم سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١ . ولما كانت الرواية
محمل أعمال خليل أحماً في ٤ (أربع) سنوات أو ٥ (خمس) ، ما بين ٣٢٥هـ /
٩٣٧م و ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١م ، دون أي تحديدات زمنية أخرى ، فإنا فصلنا تحديدات
حوليات التاريخ العالمي في المكتبة الصقلية لأماري ، مخطوط كمبودج ، التي تنصف بالدقة
من حيث تحديد اسم اليوم وتاريخه والسنة العامة بالسنة لتأريخ العالم والتي تبدأ سنة
٣٣٥ ، تاريخ دخول المسلمين صقلية ، سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م ، وتنتهي في أكتوبر ٧٤٣ حينما
رأى صليبيون الى الجزيرة (أكتوبر ٩٦٥ م / صفر ربيع ٣٦٥هـ) ، على عهد بني أمي الحسين
والكنيس ، سنة وفاة المسيح . وذلك على طول ١٣٨ سنة ، تحدث فيها تواريخ الأحداث التي
تفرد بها قوم كثير من الأهلان ، تحديدات مدعشة وإن احدثت بعض أسماء الأعلام أو بعض
الكلمات الاصطلاحية الى نوع من الانصاح أو الشرح . ولا بصرفنا في هذا إلا أن السنة ١٣٨
شمسية تقابلها ١٥٣ هجرية ، تقارب ١٢ سنة - والمعروض أن الفارق لا يتجاوز خمس سنوات
فقط ، وهو الأمر الذي يتطلب المراجعة ، وأن لم يقلل من قيمة التأريخ الدقيق حوليات تاريخ
العالم الذي كان يستعمله مستعمرة صقلية ، كما نرى .

(١٢٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١٢٤) الكامل ، ج ٨ ص ٤٧١ - أحداث سنة ٣٣٦هـ .

(١٢٥) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ .

ما بين سرول خليل بن اسحق ابن المهدية ، ونعيم حسن بن علي بن أبي
الحسين اميرا لصفله ، سنة ٣٣٦ هـ / ٤٧ - ٩٤٨ م ، وهي الفترة التي تهازل
٦ (ست) سنوات ، والتي يمكن تفسير حوائثها الموضوعي بانسفال الدولة
العاطمية ما بين ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م و ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م بنورة ابي يزيد الرناني ،
والتي غلبت أحداثها على كل ما سواها (١٢٦) . ولا شك ان الثورة الزنانية
في افريقية كانت لها ردود فعل سلبية في صقلية ، على المستوى الخارجي ،
من حيث تحس موقف القلاع البيزنطية والأراضي الخاصة للمفود الرومي
في الجزيرة بعض تحررها من الصعوط الاسلامية وبالسالى من دفع ما كان
معروضا عليها من مال الهدنة (١٢٧) . وعلى المستوى الداخلي من حيث
ضعف الولي ابي عطف الذي اتصح منذ البداية ، مما سبقت الاشارة اليه ،
والذي راد مع الثورة الرنانية بحيث عجز عن فرض سيطرته على العصبية
القوية في الجزيرة . ففي أواخر سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م كان بنو الطبري ،
من أعيان الجماعة بصقلية ، بفصل أتباعهم الكثيرين . ومن كان يميل اليهم
من أهل العاصمة بلرم ، يمكنهم تحدى ابن عطف ، كما فعلوا يوم الاحفال
بعيد الفطر (أول شوال / ٢٥ ابريل) من نفس السنة ، حيث تمكنوا من
قتل عدد من رجاله ، واضطروه الى الهرب من مقره الرسمي في العاصمة
الى الحصن ، تاركاً لهم أعلامه وطبوله التي انصرفوا بها الى ديارهم (١٢٨) .

ولاية حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي :

وعندما بلغ الخبر الى الخليفة المنصور ، رأى أن يستبدل بابن عطف
رجلاً على مستوى مسئولية قيادة صقلية بقضايها الاستراتيجية الخارجية
ومشاكلها الداخلية من سياسية وعرقية ومذهبية . ولا شك أن المنصور
كان موفقاً في اختيار حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ، الذي كان له
بالإضافة الى حرب الثائر الرناني أبي يزيد ، والتي كان على دراية بأحوال

(١٢٦) لما كانت بداية ثورة ابي يزيد في سنة ٣٣٢ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٣ - ٩٤٤ م تنفق مع
تاريخ سرول خليل بن اسحق من صقلية الى افريقية حسب حولة تاريخ العالم الصقلية ، فان
ذلك التوافق يمكن ان يرجح سرول خليل سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م بدلا من آخر سنة ٣٢٩ هـ ،
كما عند ابن الأثير ، إذ يكون انقطاع أخبار صقلية عند بداية الثورة الرنانية ، وليس قبلها
سنتين شاعرتين ، دوقما تفسير .

(١٢٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧١ .

(١٢٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧١ .

صفقية . فوالده على بن أبي الحسين هو عامل جرجنت الأسبق ، الذي قتله الجرجسيون عندما دخلوا في مواجهتهم مع حليل ابن اسحق سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م . مما سقت الإشارة إليه . والحسن هو صاحب الفضل في اصلاح أحوال الجزيرة وضبطها ، بل وتكوين أسرة أميرية رفعت من هبة صفقية ، ومن شأن الدولة الناطمية كواحدة من قوى المتوسط البحرية الكبرى ، رغم الصعوبات التي واجهته في بداية امارته من العصبية القوية ، وعلى رأسها بنو الطبري .

ردع بنى الطبري الصفقيين في بلرم :

فعندما حضر الحسن الى الجزيرة ، ونزل بمراكبه في مرسى مدينة مارر ، لم يلتفت اليه أحد . وفي الليل أتته جماعة من المغاربة والكتاميين ليعتدوا له عن عدم مجيئهم اليه بهارا خشية على بن الطبري وأخويه من الصفقيين . وكان ابن الطبري قد سار الى أفريقية مع بعض أنصاره ، مثل : محمد بن عبدون . ومحمد بن جنا ، للسعي لدى المنصور لكي يعفيهم من ولاية حسن بن علي ، مع وصاية أبنائهم بمنعه من مفارقة مراكبه أو دخول البلد الى أن تصلهم أوامره . وعندما أتاه بعض أصحاب ابن الطبري ، رأى أن يخادعهم ثم أنه أسرع السير الى الخالصة وبلرم حيث أتاه رجال الدولة من أصحاب السوادين ، ومن أهل البلد ممن يرجون الأمن والعافية ، الأمر الذي اضطر بنى الطبري الى الخروج اليه والتظاهر بالترحيب به ، وهم يضربون له القدر ، ويحاولون إثارة أهل البلد على عبيده . وبقي الحسن خائفا متوحشا من خيانتهم الى أن أتته كتب المنصور بعرفه بالقبض على زعماء المتخالفين ، من : علي بن الطبري وأعوانه ، ويطلب منه القبض على من بقي لديه منهم ، الأمر الذي نفذه حسن بن علي بالحيلة والخداع عندما دعا اسماعيل بن الطبري وجماعته الى بستانه ثم قبض عليهم ، وأرسل بهم عقوبة المعسدين في الأرض فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ، كما صادر أموالهم ، الأمر الذي حقق له تأييد أهل البلاد الذين اتفقوا حوله (١٢٩) .

(١٢٩) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ . وقارب المكتبة الصفقية ، مخطوط كسروج ج ١ ص ١٧٣ - حيث تحديده تاريخ ذلك يوم الميلاد الاثنين ٢٤ ديسمبر ٩٥٠ م / ١٠ رجب ٣٣٩ هـ .

الصراع ضد الروم :

وعسا حابه الروم بالجزيره وأحصروا له مال الهدنة المتأخر عندهم منذ ثلاث سنوات (١٣٠) . وكان ذلك نديرا باستئناف الصراع بين العاطميين والبيزنطيين من اجل الهيمنة على كلايريا ، وإثبات الوجود في جنوب ايطاليا ، وكان الأمر قد انتهى الى صالح البيزنطيين أثناء تلك الحروب الأهلية التي عرفتها صقلية على أواخر أيام سالم بن راشد ، وحملة حليل بن اسحق .

والظاهر أن البيزنطيين هم الذين بدأوا بالمبادرة بتقوية مركزهم في الجزيرة . وذلك عندما أرسلوا في البحر جيشا كبيرا الى صقلية بقيادة أحد البطارقة الذي كان عليه أن يسبق العمل مع « السردغوس » : قائد كلايريا ، وعائب الملك في جنوب ايطاليا ، فكان على الحرس أمير صقلية أن يعرف الخليفة المنصور بالحال ، ويطلب منه إرسال المعدد (١٣١) . وفي يوم الأربعاء ٢ يولييه ٩٥٢ م/ ٥ صفر ٣٤١ هـ ، وهو التاريخ الذي تحدده الحواشي الصقلية حسب تاريخ العالم ، وصل الأسطول العاطمي بقيادة الفتي مرج مولى المنصور ، الى بلرم محملا بـ ٧ (سبعة) آلاف فارس و٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمائة) راجل ، سوى أفراد البحرية من قوات خلافة . فعلم الأمير حسن بن علي بحشد قواته من الصقليين والأفريقيين . وبعد عشرة أيام ، أي في يوم السبت ٢٠ يولييه/ ١٥ صفر ، كثر الحرس يسير بهم في تشكيل برى بحري نحو مسينا ، من حيث عبر الى مدينة ريويه (Reggio) ، أول مدن قلورية عبر المضيق ، التي وجدت خالية من أهلها فتركت . وصاحت السرايا في أرض قلورية (كلايريا) ، ووصلت الى مدينة جراحة (Gerace) وضربت عليهم الحصار الذي انتهى بالصلح على دفع ضريبة مالية أخذها الحرس عندما عرف بقدم قوة رومية للنجدة ، وانصرف بعد أخذ رهائنهم ، ضمانا للوفاء بالمهد ودفع الصريبة (١٣٢) . واتجه حسن بن علي نحو الروم الذين فروا أمامه من غير حرب لكي يعنصموا بمدينة باري (باره) ، فسار نحو مدينة قسانه

(١٣٠) ابن الأثير . ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(١٣١) ابن الأثير . ج ٨ ص ٩٧٣ .

(١٣٢) ابن الأثير . ج ٨ ص ٤٧٤ ، وانظر أيضا من ٤٩٣ - ٤٩٤ (سنة ٣٤٠ هـ) -

حيث سم صاحب الأسطول فرج بدلا من فرج . كما في حواشي صقلية العالمية . المكتبة

الصقلية (كبرج) . ج ١ ص ١٧٤ .

(Cassano) عبر نهر كراتي (Crati) ، حيث اتخذ مفايلها مركزا للقيادة على أن يدير منه العمليات في المنطقة لمدة شهر انتهى بالصلح نظير دفع المال إلى أحده الحرس لكي يعود مع دخول الشتاء إلى مسيسي ، حيث تنسب الأسطول ، بينما عاد هو بقضاء الشتاء في بلرم (١٣٣) .

شهدت كلابريا يستعين بـإمبراطور الروم :

وكان من الطبيعي أن يطلب قائد كلابريا المعونة من الباسيليوس . إمبراطور المسطنطينية الذي سسير الأسطول بقيساده مكروحوهاريس (Macchoniarenes) يحمل جيشا كبيرا كبير العدد يقوده الطريق ملجان (مالكيوس . Malakenos) الذي كان عليه أن يصم إليه قوات قائد اللابريو ، اسردغوس « باسكالوس (Paschalios) (١٣٤) . وعندما وسبب أن المستور اخبار الحملة المنزلية إلى كلابريا أصدر أوامره أن يحسب من على بالعودة إلى هناك . وهو ما فعله الحرس عندما تحسنت الأحوال اللابرية . إذ عبر المجاز (المصيق) وسار نحو جراحة حيث التقت قواته في الطريق بالقوات الرومية الكلابرية بقيادة منجن (Malakenos) . وذلك يوم عرفة (١٠ من ذي الحجة) ٣٤٠هـ / ٩ مائة ٩٥٢م ، وانتهت المعركة بانتصار رائع للمسلمين ، قتل فيه البطريق ملجان ، وهرب باسكالوس (السردغوس) بصعوبة . كما غنموا عددهم وسلاحهم ودوابهم (١٣٥) ، كما فتحوا حصنين في المنطقة ، هما : « دمنسة » و « لظرة » وأخذوا منها سبيا كثيرا ، أرسل إلى أفريقية ، كما تقول الرواية الصقلية أن قائد الأسطول الرومي « أو محل » : « مكروحوهاريس » كان مكبلا بين الأسرى الذين أرسلوا إلى أفريقية حيث صلب (١٣٦) .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ . المكتبة الصقلية . ج ١ ص ١٧٤ - حث النمر (أي « بولك » كبرساج ، على أنه شتى سنة ٤٦٠ (الجديدة من تاريخ العالم) التي تقابل ٩٥٣ . سنة ٣٤١هـ - بينما توقيت هذه الأحداث عند ابن الأثير في سنتي ٣٣٩هـ و ٣٤٠هـ . انظر حاي (J. Gay) . إيطاليا الحديثة والإمبراطورية العثمانية . بالفرنسية . ص ٢٦٤ .

(١٣٤) انظر حاي (J. Gay) . إيطاليا الحديثة والإمبراطورية العثمانية . بالفرنسية . ص ٢٦٣ .
(١٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، وانظر أيضا ص ٤٩٤ (سنة ٣٤٠هـ) . وقار « د. د. » . حث التاريخ يقبل سنة ٩٥٤م / ٣٤٣هـ ج ١ ص ١٧٤ .
(١٣٦) المكتبة الصقلية . ج ١ ص ٢٧٤ .

الحسن يفرغ من الهدنة حتى الروم :

ومع بداية سنة ٢٤١ هـ / يولية ٩٥٢ م كان الحسن يفتصد جراحه مرة أخرى ، ويحصرها ، الأمر الذي دعا الامبراطور البيزنطي الى طلب الهدنة (١١١) . عن طريق مبعوث من لدنه هو جان بلاطوس (Platos) (١٣٨م) وفعلا تم الاتفاق على عقد هدنة وافق البيزنطيون فيها على السماح للحسن ببناء جامع في مدينة ريوج (Reggio) . فسار الحسن الى ريوج حيث بنى في وسطها مسجدا كبيرا له مثله في أحد أركانه . وكان من شروط الاتفاقية أن يحترم الروم المسجد فلا يدخله مقراسي ، ولا تمنع عمارة واقامة الصلاة فيه والأذان ، وان يكون ملجأ آمنا لأسارى المسلمين ، سواء كانوا مرتدين أو مقيمين على دينهم ، وهو ما وافق به البيزنطيون . وان كان الى حين . ثم عاد الحسن بعساكره الى صقلية حيث أقام الى وفاء المنصور في أواخر السنة (شوال ٣٤١ هـ / فبراير ٩٥٣ م) وحلوة المعز (١٣٩) ، فسار عنها الى أفريقية بعد أن استخلف على صقلية ابنه أبا الحسين أحمد ، واتصل بالمعز (١٤٠) .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر :

بعد موته احسن بن عيسى بن أبي الحسين اسكنى بن افرنجبسة ، واستحلوه لايمة ابي الحسين احمد على صقلية بمناسبة وفاء المنصور ، أقر المعز اماره احمد على صقلية خلفا لوالده ، وكأنه وافق من حيث المبدأ ، على أن تكون اماره الحرية وراثية في بنى أبي الحسين الكلبيين . والظاهر أن صقلية عرفت فترة من الهدوء والسكينة خلال السنوات الأولى لولاية أحمد بن الحسن ، الأمر الذي استتبعه استقرار الأوضاع في الأقاليم

(١٣٧) ابن الأثير ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث امر على ان قسطنطين ملك الروم أرسل اليه يطلب الهدنة . وعان ، الكتبة الصعبة ، مخطوط كمردج ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث يجعل الهدنة في سنة ٦٤٦٢ (٩٥٥ م / ٤٣ - ٤٤ هـ) ، ويجعل لمعاوض الروم الذي عقد الهدنة هو الراهب ابروئلس .

(١٣٨) جاي (J Gay) ايطاليا البحرية والامبراطورية البيزنطية (بالترجمة) ص ٢١٤ .

(١٣٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث تصف الرواية ان الحسن استمرط على الروم - ان أخرجوا حرا من المسجد هدمت كدائهم كلها صقلية واقريقية . وان الروم وهوا هذه الشروط ذلة وصغارا .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٤ .

الوافعة تحت السور المسمى في كلايريا وجنوب إيطاليا * ولا بد من ان يدور تحت سيجة طبيعيه أيضا لما كان يلاقيه البيزنطيون من المصاعب مع الامارات الايطاليه ، لدوقيه نابولي ، الحميمه انقليديه للمسلمين « السارازر » ، ومارقة كيو (Vesuvius) انومبارديه ، وبقيت اسي محالفت من اماري سالترو وآمالفي ، وكذلك من اجل قتال البيزنطيين ، الأمر الذي مضى من القسطنطينية ارسال حملة في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م بقيادة ماريانوس اجيوس (Marianos Agyros) الى اقليم الكامداني لتأكيد السطة البيزنطية في ولاياتها الايطالية هناك (١٤١) ، هذا ، كما كان المعر في تلك السنوات الأولى من خلافته يعمل على توطيد سلطانه بالقضاء على بقايا الثوار والعصاة ، بخاصة في منطقة جبل أوراس والراب ، وكذلك في منطقة زاهرت التي كان النفوذ الأموي الأندلسي يتطلع دائما الى الامتداد اليها .

تمهلات محمد بن الحسن في إيطاليا :

ولكنه مع بداية سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م كان المعر في موقف يسمح له بانتطلع الى امدده حربه دولته على اراضيها فيما وراء البحر في صقلية وكلايريا ، وهذا ما يؤكد قيام أول حملة على عهد أبي الحسين أحمد ، وإلى صقلية الأول للحليفة المعر الى بلاد الروم ، في جنوب إيطاليا * ففي يهيه سنة ٩٥٧ م / ٣٤٥ هـ ، أتى عمار بن علي بن أبي الحسين الكلسي (أحو حسن بن علي) بأسطول أفريقية ليشتي في بلرم ، حتى يبدأ الصائفة في كلايريا مبكرا في ربيع سنة ٩٥٨ م / ٣٤٧ هـ . ولكن ضابطا بيزنطيا ، برتبة قائد سفينة ، من الرتب الصغرة هي « ابروطوقاربوس : Protarebos » اسمه باسيل ، نزل في ريوم (Reggio) وهضم المسجد ثم هاجم بجرأة ، الشواطئ الصقلية ، واستولى على مدينة ترميني (Termini) (١٤٢) . وفي ذات سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عبر أبو الحسين أحمد مضيق مسينا الى كلايريا حيث التقى مع عمه عمار ، وسارا بقواتهما

(١٤١) لاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالعربية ، ص ٢١٦ - ٢٢٧ .
- تحت الإشارة أيضا الى انه كان على القائد البيزنطي أن يوجه قواته بعد ذلك ضد العرب (السارازر) في صقلية .
(١٤٢) انظر المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبريدج ، ج ١ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ - حيث تضمنت الرواية انه هاجم ميناء مازر حيث هزم الأمير حسن (أبو الحسين أحمد) ، وقتل جماعة من المسلمين ، وقرن حاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٧ .

اشتركة لبقاء قائد كلابريا (السردقوس) مريان ، الذى هرب من أمامهما ،
 وان كان قد نجح فى أحد مركب من مراكب المسلمين (١٢٣) . وهى السنة
 ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م قامت الصائغ بميامها المعنادة فى نابريا ، ولكن
 احصى بى موانيا فى رحلة العودة فى ٢٥ سبتمبر (سبتمبر) ١ / شعبان
 ٣٤٨ هـ ، حيث ثارت بها الرياح فاعطبت الأسطول ، الأمر الذى دعا الأمير
 حمد الى اثناء أسطول آخر فى نفس السنة (١٢٤) . وهى سنة ٣٤٩ هـ /
 ٩٦٠ م التالية لا تذكر الحوليات الصقلية من الأعمال الحربية سوى اخذ
 المسلمين لواحد من وجهاء الروم هو « افرينه » فى مقابل واحد من أعيان
 الافريقين أحده الروم أسيرا هو « ابن يهلوس » ، الذى وجهوا به الى
 القسطنطينية . ولا بأس أن تكون تلك المعلومات تهيدية للفساء الذى
 حدث فى السنة التالية (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) بين الروم والمسلمين فى
 مسمية حيث استعاد الروم « افرينه » ، ولا بأس أن المسلمون قد
 استعادوا ، بمرورهم « ابن يهلوس » ، وان لم ننص حويله كامبريدج
 الحقيقة على ذلك (١٢٥) .

نسر المذهب الفاطمى فى صقلية :

وفى نفس تلك السنة كان على الأمير أحمد أن يسجيب لما كان
 يروى اليه انحر من احياء المذهب الفاطمى ونشره فى بلاد الامبراطورية ،
 خاصة فى ذلك الوقت الذى كان يكتسب فيه رضا الساس عن طريق
 احتفالات الختان فى كل أرجاء الدولة ، وما صحبها من العطايا والهبات
 لصغار المظفرين وأولياء أمورهم الكبار ، الأمر الذى كان لصقلية فيه
 نصيبها المير من أحمال المال . هكذا كان على أمير صقلية ، بعد عقد
 العداء مع الروم الذى يعنى هو الآخر سياسة خارجية مبنية على الأخرى على
 التهادنة وحسن الجوار ، أن يذهب الى الحضرة المعزية بصحبة أعيان
 الصقليين ، ليعلنوا دخولهم فى مذهب أمير المؤمنين الذى أحسن

(١٢٣) المكسة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

(١٢٤) المكسة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ وقارن بجاي ، ايطاليا الحرة والامبراطورية
 النربية ، بالروسية ، ص ٢١٨ ، الذى لا يعرف ما ورد فى تلك الحولة الصقلية المرسدة
 بل يرجع الى المؤرخ البيزانى سكيليزس (Skylitzès) الذى يضع العاصمة خطأ فى السنة
 السابقة على أساس أنها شنتت سفن عماد واحد .

(١٢٥) المكسة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

وفادتهم (١٤٦) .

وإذا كانت حولية تاريخ صقلية ، حسب تاريخ الصالح (مخطوط كمبريدج) تكاد تكون المصدر الوحيد لأخبار الصراع بين المسلمين الروم في صقلية وكلايريا وجيوب إيطاليا مع ما كان يتخلل ذلك الصراع من اتفاقات هدنة وعلاقات سلمية ، وذلك خلال السنوات العشر السابقة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م - ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) فإن الحوليات العربية الإسلامية ، وعلى رأسها حوليات ابن الأثير تعود إلى المشاركة في التعريف بأحوال مسلمي صقلية والروم بعد تلك المفجوة الطويلة التي اعترتها .

الاستيلاء على قلعة طبرمين :

في شهر ديسمبر ٩٦٢ م / ذي القعدة ٣٥١ هـ ، نجح الأمير أحمد ابن الحسن بن الاستيلاء على قلعة « طبرمين » الجديدة ، بعد ٧٠ (سبعين) سنة من استيلاء الأغابة على مدينة طبرمين العتيقة ، سنة ٢٨٩ هـ / ٩٢ م ، حيث امتنع الامبراطور وقتل من لبس الناج في القسطنطينية لمدة سبعة أيام حسادا ، وهو يقول . « لا يلبس الناج محزون » (١٤٧) . وكان الأمير أحمد قد جيش عساكره من الصقليين والأفريقيين ، وضرب الحصار على القلعة المنيعة في مايو ٩٦٢ م / ربيع الثاني ٣٥١ هـ ، وقطع الماء عنها حتى اضطر الممطر أهلها ، خلال الحصر الذي استمر سبعة أشهر ونصف الشهر ، إلى طلب الصلح على أن يكونوا رقيقا للمسلمين ، وتكون أموالهم أيضا ملكا (فيئا) لهم ، نظير الحفاظ على أرواحهم . وهكذا تحولت طبرمين الجديدة التي سكنها المسلمون ، إلى المعزية ، تيمنا بلقب الخليفة (١٤٨) .

(١٤٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ - حيث النص على أن أمير صقلية صهر حسن بدلا من أبي الحسن أحمد .

(١٤٧) مصر للمؤلف تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(١٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٤٣ ، المكتبة الصقلية ج ١ ص ١٧٥ ، ونظير حادي (J. Gaby) إيطاليا العنوة والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث النص على أن حرب وان صقلية كان احتصار المنطقة الحولية جنوب ميسني وتحويل المدن المسيحية التي تدمع غريبة إلى مدينة جديدة . والعمل على نشر الإسلام في كل البلاد عن طريق زرع مسنوعات إسلامية . كما حدث في طبرمين التي صودرت أملاك المسيحيين فيها ، وحول اسمها إلى أمرية .

فتح رمطة : انتصارات لامعة على الروم :

وبعد أحد طرمين سير الأمير أحمد ابن عمه حسين بن تمار على راس فراته في رجب سنة ٣٥١ هـ / أغسطس ٩٦٢ م ، إلى مدينته رمطة التي حارب عليها الحصار . ولكن موقف المحاصرين في رمطة اختلف تماما عن موقف أجدادهم الذين استسلموا في طرمين أمام غائنه المملش ، حيث قدر لرمطة أن تصمد إلى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م .

فلقد راسل الرمطيون الباسيليوس (الامبراطور) نقفور فوكاس ، فارس انبهم من القسطنطينية في البحر ، جيشا عظيما ، يعتبر أعظم ما نزل بالجزيرة من عسكر الروم ، اد جاوز الأربعين ألف مقاتل (١٤٩) ، وضم اليهم الأرمن وجنود الحسدات معاونين ، من الروس والبولصيين (Pauliciens) والراقيين . وكانت القيادة للخصي ، الطريق نقياس (Nicetas) ، وإلى جانبه ماتويل ، ابن أخى الامبراطور ، قائدا لفرقة الخيالة (١٥٠) . وهما سار الأمير أحمد بن الحسن بنفسه إلى الخليفة المعز (في شهر أغسطس / رمضان) (١٥١) ، يطلب منه العساكر ، كما شرع هو في اصلاح الأسطول ، وبناء المراكب الحديدية في دار الصناعة . وحشد المعز الرجال ومعظمهم من السريين ، وسيرهم إلى الأمير أحمد بقيادة والده الحسن بن علي . فكان وصولهم إلى صقلية في رمضان ٣٥٢ هـ / سبتمبر ٩٦٣ م . وكان علي الحسن أن يشتي برجاله في بلرم ، ولكنه لم يقدر له الحياة إلى أن تبدأ الصائفة ، فمات بعد شهرين في نوفمبر / دي القعدة من نفس السنة (١٥٢) ، فلم يكن له حظ المشاركة في انتصارات ومطة البرية ووقعة المجاز البحرية . أما الروم فكان وصولهم على المراكب في شهر شوال التالي / أكتوبر ٩٦٣ م ، قرب مسيني ، من حيث بدأوا المسيرة نحو رمطة . وهنا قرر حسن بن عمار أن يقسم رجاله إلى قسمين ، أحدهما يبقى على حصار رمطة لمنع قواتها من الخروج والاتصال بالروم حتى لا يحصر المسلمون بينهم ، على أن يسرع هو بالقسم الآخر للقاء البيزنطيين قبل أن يصلوا إلى رمطة .

(١٤٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٦ .

(١٥٠) حاي ، إيطاليا الحرة والامبراطورية البيزنطية ، بالمرسة ص ٢٩٠ .

(١٥١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٥٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٦ .

وكانت ملحمه عظيمه بين المسلمين واثروم أبي فيها. الطرفان أشد
البلاء ، سواء امام رمطة ام في مراجبه جيش الإسطنطينيه الذي كادت تكون
له الغلبة بفصل انكره ، وحسن السبيح . وحين، لم يجد ابن عمار له
خلاصا الا في انتخاب من قواد الجيش اعظم ، وعلى راسهم مانويل ،
صاحب الحياة الذي كان يقود بنفسه الهجمات المؤثرة في المسلمين ، فكان
صدقا واصحا لابن عمار ورجاله الذين تنبهوا الى عدم تأثير سلاحهم في
ثيابه القوية الثقيله ، فركزوا الرمي على فرسه حتى قتلوه ، وبذلك تمكنوا
من مانويل فقتلوه ، كما قتلوا جماعة من قواده المساعدين . وعندئذ انهرم
الروم أفبح هزيمة « الى حد ان الجماعة الرئيسية منهم راحت لدهشتهم
ضحيه السقوط في جرف عظيم صار مقبرة جماعية لهم حيث قتلوا فيه
بعضهم بعضا . وتبع المسلمون المهزمين في كل مكان ، وهم يغفلون ويسبون
حتى « غموا من السلاح والخيول ، وصنوف الأموال ما لا يحصى » (١٥٣) . وكان
القائد البطريق نيقيتاس بن الأسرى الذين بعث بهم الى أفريقية (١٥٤) .

وكان من الطبيعي أن تسقط رمطة اثر ذلك ، بعد أن ضعفت قلوب
رجالها مع خفة الاقوات عندهم ، الأمر الذي دعاهم الى اخراج من في المدينة
من الضعفاء ، فلم يبق فيها الا المقاتلة . ومع ذلك قسم تؤخذ المدينة الشديدة
المراس الا ليلا ، عندما فاجأها رجال ابن عمار الذين تقسموا تحب جرح الفلام
وصعدوا على أسوارها بالسلاسل ، ليأخذوها عنوة ويستبيحوا لأنفسهم
ما كان فيها من رجال وسبي وأموال .

وكما حدث في طبرمين تركت جماعة من المسلمين ليسكنوا في رمطة
من أجل اعمارها ، حتى لا يعود اليها النصارى والروم ، كما كان يحدث
من قبل ، الأمر الذي اعتبره آماري ، في مسلمي صقلية وتابعه في ذلك
جاي ، في ايطاليا والامبراطورية البيزنطية ، محاولة من حالب أحمد بن
الحسن بن علي بن ابي الحسن الكلبي ، أمير صقلية وقتئذ ، لإزاحة البقية
المأقية من المسيحيين من الجزيرة ، ودرع مستعمرات اسلامية مكانها ، في
سبيل نشر الاسلام في كل أرجاء صقلية . وهو الأمر المقبول بالنسبة
لسياسة الخليفة المصن الدينية التي لم تكن تهدف الى شر الاسلام بشكل
عام في أنحاء الدولة ، بل وعلى المذهب القاطمي ، مذهب الدولة الرسمي ،

١٥٣٥ من الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٧ .

١٥٤٤ جاي ، ايطاليا الحرة والامبراطورية البيزنطية . ص ٢٩١

وهو ما حاوله في صقلية الأمير أحمد ، مما سبقت الإشارة إليه ، استنادا
أن حوليات صقلية حسب تاريخ العالم .

وفيه المجاز البحرية ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م :

هذا ، كما حقق المسلمون نصرا بحريا رائعا على المهزمين من الروم
في البحر ، صار بمثابة درة ثانية ترصع اكنيسل اعاد الذي تجميل به
الأمير أحمد في رمطة ، والذي رفع من شأن أسرة بني الحسين بن علي
الصقليين بين كل حكام الطوائف الذين عرختهم دوفه الاسلام في حوض
البحر المتوسط بل وفي تاريخ الاسلام البحري .

فقد تجمع التاجون من جيش مانويل ، وأخذوا معهم في مراكبهم
من وجدوه من روم صقلية وجزيرة ريوم المواجهة لسيبي ، كنوع من التحصن
في البحر بعيدا عن متناول أيدي المسلمين في البر . كما ينص
ابن الأثير (١٥٥) ، انظارا لما يقرره قوادهم بشأن الرحيل أو معاودة الكرة
مع المسلمين .

وهنا وجد الأمير أحمد إلا مجال للانتظار أو التوقع ، فأعد عساكره
ورتل بهم في المراكب هو الآخر ، وزحف لقتال الروم في الماء . ودارت
معركة بحرية شديدة أظهر خلالها المسلمون الصقليون كفاءتهم العالية في
الحرب البحرية ، إذ نزلت جماعات القنطاسين منهم لتقب مراكب الروم التي
غرق الكثير منها . كما قتل الكثيرون من رجالها . وعندئذ وجسد الروم
إلا مناص لهم من الانسحاب سريعا في مراكبهم ، وهم لا يملكون على شيء ،
وبذلك تمت عليهم الهزيمة البحرية التي تعرف في الحوليات الصقلية العربية
باسم « وقعة المجاز » .

وهكذا كان على المدن الرومية في صقلية أن تطلب الهدنة من جديد ،
في سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، فعقدت لهم نظير دفع الأموال المقررة (١٥٦) .

(١٥٥) الكامل ، ج ٨ ص ٥٥٨ - حيث النص : « وركبوا مراكبهم يحفظون نفوسهم » ،
وقار حاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث الإشارة إلى أن
الأسطول الروم لما إلى ريوم ولكن العرب تمعه وشتوه .

(١٥٦) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٨ ، وقارن المكتبة الصقلية (مخطوط كمبريدج) ،
ج ١ ص ١٧٦ - حيث ينتهي المخطوط برول مانويل (بحيشه) في يوم الاثنين من شهر
آب ٦٤٧٣ التي تماد ٩٦٥ م/ ذي الحجة ٣٥٤ هـ .

ثمّما عن سواحل كلابريا وجنوب إيطاليا فقد أوضحت منذ ذلك الحين هدفها لغارات جماعات عربية كانت ترعم المدن على دفع الفدية الثقيلة (١٥٧) .

محاولة اعفاء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية :

ومما يؤسف له انه بانقطاع الحوليات الصقلية المنتظمة حسب تاريخ العالم ، سنة ٩٦٤م / ٣٥٤هـ ، تنقطع أخبار صقلية لمدة خمس سنوات . فلا تظهر في حوليات ابن الأثير ، أكثر الحوليات الصقلية انتظاما بعد . وأكثر توثيقا ، الا في سنة ٣٥٩هـ / ٣٦٩ - ٣٧٠م ، وذلك بمناسبة الاضطراب الذي ألم بالجزيرة ، عندما فكر الخليفة المعز ، وهو يعد العدة للرحيل الى مصر ، في اعفاء بنى الحسن بن علي الكلبيين من حكم صقلية ، خشية استقلالهم بها اذا ما خلا لهم الجو بعد رحيله ، تماما كما فعل مع جعفر بن علي بن الأندلسي ، صاحب المسيبة عندما خاف من طموحه قاهره . وقدم عليه زيري بن مناد الصنهاجي ، والدبلكين الذي آلت اليه قيادة أفريقية بعد رحيله - فاكسب عداوة ابن الأندلسي الذي انضم الى صفوف الأعداء المتحالفين مع عبد الرحمن الناصر ، خليفة الأندلس الأموي (أنظر فيما يأتي ص ٢٨٠) .

والمهم أنه في سنة ٣٥٩هـ / ١٩٧٠م ، عزل المعز أبا الحسن أحمد بن الحسن بعد ١٦ (ستة عشر) عاما من حكم الجزيرة ، وأرسل يستدعيه من صقلية الى أفريقية مع كل أعضاء الأسرة الكلبية ، ومواليهم ، وخدمهم ، ومن له صلة بهم (١٥٨) . ولكي يخفف من وقع الحدث على بنى أبي الحسن وأتباعهم الذين خدموا الأسرة الفاطمية في أفريقية ، وقت الشدائد والمحن والتدين رفعوا من شأن المعز نفسه حربيا وديپلوماسيا في إيطاليا وصقلية ، بالنسبة للمخصصوم البيزنطيين ، حتى على عهد تقفور فوكاس ، المحارب الجسور ، الذي طلب الهدنة ودفع الفدية (١٥٩) ؛ والذي

(١٥٧) حاي (J. Gav) إيطاليا الحديثة ، ص ٢٩١ .

(١٥٨) أحمد (عزيز) صقلية الإسلامية ، بالاحتيرية ، ص ٣١ .

(١٥٩) بينما كانت قواته تنتزع المدن الإسلامية في شمال الشام والجزيرة ، وتقلب على المسلمين في كريت (اقريطش) حتى قال فيه ابن الأثير ، الذي ظهر متشائما في تقييمه للشاكلي المسلمين التاريخ الكرى - كما يفعل بمناسبة غزو مسكن خان للمشرق الإسلامي - وان كان هنا بمناسبة مقتل تقفور بتدبير من امراته زوجة الملك السابق وأم عياله ، ورحمة المسلسر حنة عطية ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام ومصر ، والجزيرة ، ودمار بكر . شغل الجميع من مانع - الكامل ج ٨ ص ٦٠٦ - ٦٠٧ (أحداث سنة ٣٥٩هـ) .

ذهل سفيره عندما رأى المعز فى المنصورة ، فتصوره الها يكاد يرقى قو السماء (١٦٠) ، لكل ذلك رأى المعز أن يكون بديل الأمير أحمد هو أحد موالى أسرة بنى الحسن الكلبيين ، وهو يعيش مولى الحسن نفسه (١٦١) ، لعل فى ذلك عزاء لهم .

والذى يظهر من رواية ابن الأثير أن الأمير يعيش المولى حاول أن ينظم العمل فى دار الصناعة (صناعة السفين) ببلرم ، حرفة أهل الجزيرة المحاربين البحريين بالامتياز ، فجمع القبائل للعمل هناك ، ولكن الأمر انتهى بالنزاع بين موالى كتامة الذين كانوا خبراء فى صناعة المراكب ، تبع للأقدمية على الأقل ، حسبما نظن ، وبين غيرهم من موالى القبائل الأخرى ، فتقاتلوا فيما بينهم . ولما كانت نهاية القتال غير عادلة ، إذ كانت تحسائر موالى الكتامين أكثر من قتلى منافسيهم موالى أهل ناحية سرقوسة ، فإن الشر استشرى فى الجزيرة وتمكنت العداوة بين الكتامين - عصبية الدولة الرئيسية - وبين منافسيهم . وترتب على عجز يعيش عن اصلاح ذات البين بين الخصوم ، أن انتشر الفساد ، ووقع الظلم بالعامه من الناس ، وخاصة بأهل المراعى والنصارى من سكان القلاع ، أصحاب العهد والأمان .

أقارار بنى الحسن الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية :

وهكذا كان على المعز أن يعيد النظر فى أمر تولية يعيش إمارة صقلية ، فعزل وعين مكانه أبا القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين ، ولكن بالنيابة عن أخيه أحمد (١٦٢) . وكان ولاية هذا الأخير ، لم تنقطع ، لا باستعمال يعيش مولى الأسرة الكلبيه ولا باستعمال أبى القاسم ، حيث يفهم من وظيفة العامل أنه صاحب الخراج أو الجباية ، الى بجانب الأمير صاحب الحرب والإدارة . وأتى هذا التغيير المنطقي بما كان يرجى منه ، إذ فرح أهل صقلية بوصول أبى القاسم بن الحسن اليهم ، وزال الشر من بينهم واتفقوا على طاعته (١٦٣) .

(١٦٠) على عكس ما رآه فيها بعد فى القاهرة ، ملكا من الملوك - اتعاظ الخلفاء - من

(١٦١) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٩٠ ، وانظر أحمد (عزيز) صقلية الاسلامة . بالانجليزية ، ص ٣١ .

(١٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٩٠ .

(١٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٩٠ .

وبعد وفاة الأمير أحمد بعد أشهر قليلة ، أقر المعز أبا القاسم في
إبولاية ، وبذلك يكون المعز اعترف بالأمر الواقع الذي يعنى الحكم الوريثي
لصقلية في أسرة بنى ابي الحسين الكلبيين (١٦٤) .

أحوال الأقاليم الشرقية في كل من طرابلس وبرقة واجدانية قبل رحيل المعز الى مصر :

باستقرار الأمور في صقلية داخليا وخارجيا يكون المعز قد اطمأن
على أملاكه فيما وراء البحار في صقلية وكلايريا ، كما سبق له الاطمئنان
على أراضيه المغربية بمسد سلطانه على المغرب الأقصى ، أو بلاد الغرب ،
حسب المصطلح الأندلسي ، باستثناء سببة على المجاز الى الأندلس ، كما
كانت أحوال الأراضى الشرقية في طرابلس وبرقة مطمئنة تماما منذ الثورة
الزناتية التى كانت لها آثارها الايجابية هناك ، حيث ازدهرت كل من
الولايتين اللتين كانتا ملجأ لمن آذتهم الحرب الزناتية في أفريقية ، والذين
قاموا بنشاطاتهم العمرانية هناك ، كما اعتمدت الدولة على موانئهما ،
وخاصة طرابلس التى مثلت عمقا للدولة لا تطاله أيدي الثوار في أفريقية .

والحقيقة أن الأقاليم الشرقية في طرابلس وبرقة كانت دائما موضع
اهتمام الأئمة طالما كانت أمينهم هي فتح مصر . وهكذا اهم القائم
- قبل الثورة الزناتية من غير شك - بمدينة اجدانية فجعلها بجامع حسن
البناء كان له مئذنة مشمسة بديعة الشكل (١٦٥) . وبعد الاضطراب الذى
عرفته منطقة طرابلس سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م عند وفاة المهدي حيث كانت
ثورة ابن طالوت القرشي (أنظر فيما سبق ص ١٦٥) لا تذكر الحوليات
التاريخية - شيئا خلال حكم القائم والمنصور بخلاف ان طرابلس كانت
أقرب مأوى للجائنين الفارين من جحيم الثورة الزناتية ، وخاصة من أهل
المهدية ، كما حدث سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م (أنظر فيما سبق
ص ١٨٢) . وعلى عهد المعز كانت كل من طرابلس وبرقة موضع اهتمام
المسئولين الأمر الذى ترتب عليه تمتعهما بالرفه والرخاء . ففي سنة ٣٤٥ هـ
/ ٩٥٥ - ٩٥٦م ، قام ولى طرابلس أبو الفتح زيان الصقلى بتجديده سور
المدينة (١٦٦) . كما ازدهرت طرابلس نتيجة لتوثق علاقاتها بصقلية ، منذ

(١٦٤) انظر أحمد (عزيز) صقلية الاسلامية (بالانجليزية) ، ص ٣١ .

(١٦٥) الاستبصار ، ص ١٤٤ .

(١٦٦) الصيغاني ، الرحلة ، ص ١٧٢ .

الثورة الزناتية حتى أصبحت على عهد المعز منافسة لسوسبة والمهدية .
حيث آلت ولايتها الى نصير الخازن ، أمين الأموال والسلاح ، الذي كان
يستخلفه المعز بالمهدية (١٦٧) .

طرابلس قاعدة للأسطول الصقلي :

ومنا يمدنا كتاب سيرة الاستاذ جودر بمعلومات مفيدة عما كان
يعوم به الطرابلسيون من أصحاب مراكب الشحن الكبيرة من نعل ما كان
يرسل من الشعر الى صقلية ، معونة للغزاة (١٦٨) . كما نفهم ايضا ان
طرابلس كانت على اواخر أيام المعز قاعدة لأسطول صقلية . حيث كان
يأتى اليها بنو الحسن ولاة الجريزة فى المراكب بأموال صقلية ومغانم الروم .
فينفق منها بصير الخادم الوالى على صيانة الأسطول ورواتب عسكره ويرسل
بذلك بيانا الى الخليفة ، وبما تبقى لديه من المال . ولا شك أن أموال
طرابلس هذه كانت من الكثرة بحيث أن المعز كان يرجو أن تعوضه .
بعض نفقات حملة جوهر الضخمة الى مصر (١٦٩) .

برقة حاضرة مزدهرة :

اما برقة فكانت لها أهميتها الاستراتيجية الكبيرة ، برياً وبحرياً ،
بالسبب لفتح مصر بخاصة . ففي سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م عندما قارت فصبه
كريت (اقریطش) التى كان يفتحها نفقور فوكاس على المسلمين ، كان المعز
يخطط لاختاذ بعض مراسيها (طبرقة ٩) قاعدة لرسو الأسطولين المصرى
والفاملى ، تأمياً لاحتمال اتخاذ اجراءات مضادة لأعمال البيزنطيين فى
كريت (أنظر ما سبق ص ٣٤١) . ومنذ سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م كان العمل
هناك يقوم على قدم وساق فى بناء المنازل والقصور ، كما على طول الطريق
من أفريقية الى حدود مصر ، تمهيداً لمسير حملة الفتح (أنظر فيما سبق ،
ص ٢٥٢) .

(١٦٧) سيرة جودر ، ص ٨٨ .

(١٦٨) سيرة جودر ، ص ٨٧ - ٨٨ وانظر للمؤلف موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين
فى المغرب ونقلتهم الى مصر - مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، المجلد ١ - ١٩٥٨ ص ٢٣٤
- حيث شكوى منزلى البحر من ابن راسيم الاطرابلسى من حيث حياته فى ذلك التمهيد .
(١٦٩) سيرة جودر ، ص ١٧١ ، وانظر للمؤلف موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب بالجامعة
الليبية ، مجلد ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

هذا ، كما يفهم أن برقة كانت تعيش وقتئذ فترة من الازدهار والرفاهية . فهذا ما يستشف من كثرة موال وانيها ، فتح ابن ناشب وعريص سخائه . فهو عندما يطلب منه جودر عشرة جمال يصاعف الهدية الى عشرين جملا . وهو في سبيل الحفاظ على وجاهه - يمرض على المعز أن يعفيه من الترحيل لجوهر وتقيل يده (أو حافر فرسه) عندما يمر به في طريقه الى مصر ، نظير تقديمه ١٠٠ (مائة) ألف دينار (١٧٠) .

وبذلك تكون الأقاليم الشرقية من الدولة الفاطمية في دورها العربي ، قد تمتعت بالرخاء نتيجة للاستقرار الذي عرفته زمن الثورة الزناتية ، ولاهتمام المعز بعد ذلك بفتح مصر ، وتوجيه سياسته تبعا لذلك وجهة شرقية .

الرحيل الى مصر - ٢١ شوال ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م :

الاعداد للموكب الخلائي :

هكذا كانت الظروف مواتية لكي تدق ساعة الرحيل الى مصر ، في أعقاب جوهر ، بعد ٣ (ثلاث) سنوات كانت لازمة للثبوت من استقرار فتح مصر ، وضمان تهدئة الأوضاع في أفريقية وبلاد المغرب . ففي يوم ٢١ شوال سنة ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م خرج المعز من المنصورة الى قرية سردانية القريبة من القيروان (١٧١) ، والتي اتخذها مقرا مؤقتا للاعداد للموكب الخلافي في تحركه نحو المشرق ، وانجاز ما كان قد تبقى من الأعمال السياسية والإدارية الخاصة بأوضاع المغرب وتراثيبه . ففي سردانية لحق به رجال حاشيته وعماله ، وأهل بيته وجميع ما كان في قصره من أمتعة وأموال . وفيما يتعلق بالأموال تقول الرواية انه كان لدى المعز من الدنانير المكسبة بعد ما أنفقه على حملة جوهر ما بلغت جملته ٢٤ مليون دينار (أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٠) ، ما سمح بسبكها وجعلها كهيئة الطواحين ، التي حملت كل طاحونتين منها على جمل (١٧٢) .

(١٧٠) سيرة حوذر - ص ٩٥ ، ابن خلكان ، ترجمة جوهر ، ج ١ ص ٣٧٧ . وانظر لمؤلف ، موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١٧١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، ابن خلكان ، ترجمة المعز ، اتماظ الحفا ، نشر الشيال ، ص ١٤٤ .

(١٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، وللقاوة مع ما أتفق على حرب ابن مزند ، انظر ص ٢١ - حيث بلغت أكثر من ١٢ مليون دينار .

ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية :

أفريقية :

والحقيقة أنه رغم ما تقوله الرواية من أن المعز ، خلال اقامته تلك في سردانية ، اتخذ القرارات الخاصة بترتيب شئون الحكم والادارة في بلاد المغرب وصقلية ، فالمعروف انه كان قد حزم امره بالنسبة لذلك قبل الرحيل بوقت كاف ، ولا بأس أن يكون ذلك قد تم قبل ذلك بسنوات من حيث الأمر الواقع على الأقل ، ان لم يكن من الناحية القانونية - وهو الأمر المنطقي ، خاصة وان المعز لم ير افراد من يفوضه للسياحة عنه في افريقية بالسلطة وحده في كل انبلاد ، بل ولا أن تكون له كل السلطات ، فهو يحيطه بعدد من الولاة في اطراف الدولة ، كما يضع الى جانبه عددا من العمال في حضرة القيروان ، مركز الحكومة - فزيري بن مباد وابنه بلكن يوسف كانا قد تقدما في الخطوة لدى المعز على صاحب المسلية جعفر بن علي ابن الأندلسي ، الأمر الذي أدى الى غضب هذا الأخير ، بل وإلى انضمامه الى صف أمراء الرناتية ، حلفاء عبد الرحمن الناصر ، الذين تألبوا على زيري بن مناد وقتلوه ، الأمر الذي افتخر به جعفر ، تقربا الى الناصر (انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤-٢٥٥) ، ترتب على ذلك أن عهد المعز بولاية أفريقية الى بلكني أميرا ، وإلى جانبه القاضي ، وصاحب الخراج وصاحب الخبز (البريد) عمالا تابعين للخلافة (١٧٣) -

ولا بأس ان الأموال هي التي كانت تهم المعز أكثر من غيرها ، وذلك أنه جعل لها ٣ (ثلاثة) عمال الى جانب يوسف بلكن ، أولهم : زيادة الله

(١٧٣) انظر ابن حلكان ، ترجمة المعز ، انماط الحنفا ، ص ١٤٤ - حيث الإشارة الى أن جعفر بن علي طلب ما يشبه الاستقلال عن الخلافة نظرا « لبعد ما سبى مصر والمغرب » ، الأمر الذي أغضب المعز ، سيما تحفظ بلكن عندما عرض عليه المعز الاستخلاف ، وانه الذي طلب أن يكون عمال الخلافة الى جانبه وأن يقوم هو بين أيديهم لمواجة العصاة . ومن الواضح ان الرواية موضوعه فيما بعد ، وأنها تعبر عن الحالة الراهنة وقتذاك ، مما يعبر عن الصعوبات التي اتحد بها المعز لقاء أمريقية تحت سلطانه . وعن مشكلة النيابة في أفريقية هذه ، انظر محمد البلاوي ، حول نيابة محتومة للأمير العاطي عبد الله بن المعز في أفريقية في الربيع ١٠٩٤ م ، دوائر (كرايس) تونس ، المجلد ٢٤ ، العدد ١ ، ٢ لسنة ١٩٧٤ ، بالفرنسية ، ص ٩ وما بعدها - حيث فكر المعز - بعد التفكير في جعفر بن علي ، وجود بلكن - في اداة الله عند الله ، والسند لذلك ، قصيدة لابن حانيء يقول فيها :
لما شددت عند الله عروته
أعززت منه مصون الأسر لم يدلل

ابن الخديم ، على الجبائية ، وهو رئيسهم كما يستشف من النص ، والآخرون على الحراج ، وهما عبد الجبار الخراساني ، وحسين بن خلف الموصلي (١٧٤م) . وإذا كانت الرواية تنص على أن المعز أمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري ،

فهذا لا يمنع من تبعيتهم أو تبعية رئيسهم ، ابن الخديم على الأقل ، المباشرة للمعز . فهذا ما يفهم من سياق الرواية التي تنص على أن المعز كان يعرف سلفاً أن الأمر سينتهي باستقلال بلكين ، وهي الفكرة الرئيسية التي جعلته لا يفوض بلكين في حكم كل أملاكه في الشمال الأفريقي ، وما وراء البحار في صقلية وجنوب إيطاليا .

طرابلس :

فلقد أخرج المعز طرابلس وما يتبعها ، من : سرت وإحدانية ، من إمارة بلكين ، وكون منها إمارة جديدة عهد بها إلى أحد قواد كسامة هو : عبد الله بن يخلف الذي كان أثيراً لديه (١٧٥) ، الأمر الذي كان يعني استرضاء قبائل كتامة ، أنصار الدولة السابقين الذين اعتز بهم المعز وعمل على إعادة الثقة فيهم ، عن طريق غمران ما كانوا قد وقعوا فيه من الرلل أيام المهدي ، وأيام القائل عندما انضم بعضهم إلى الإعداء ، على أساس أنه خطأ في الاجتهاد ، قد لا يعاقب المرء عليه أن لم يشأ (انظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٤٥) .

وإذا كانت الرواية لا تضع ولاية برقة ضمن الولاية الكتامية الشرقية ، التي تكاد تعادل البلاد الليبية الحالية ، باستثناء برقة ، فإن ذلك يعني أن المعز أخذ بالتنظيم الإداري القديم ، من حيث كانت برقة من أعمال مصر .

صقلية :

وكذلك فعل المعز بصقلية التي كان قد أقر فيها أسرة بني أبي الحسين الكلبيين ، منذ إعادة أبي القاسم بن الحسن ، نائباً عن أخيه أحمد ، سنة ٣٥٩م / ٩٧٠م ، فأعاد تشييته مستمرا في ولايته إلى سنة ٣٧٢م /

(١٧٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - ٦٢١ ، وقارن القريري ، اتحاد المسما ، ص ١٤٢ .

(١٧٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، وانظر الطاهر أحمد الزوي ، تاريخ الفتح العربي

في ليبيا ، ص ١٧٣ .

٩٨٢م - بعد وفاة أحمد قبل قليل من سير المعز الى مصر (١٧٦) .

وبذلك يكون المعز قد أقام نوعا من التوازن بين قوايه في أملاكه المغربية ، بتقسيمها الى ثلاث ولايات منفصلة ، في إفريقية وطرابلس ، وصقلية . ورغم ذلك فقد كان يلكين هو الممثل الحقيقي للدولة الفاطمية في أملاكها الغربية ، وهذا ما يفسر كيف ضمت ولاية طرابلس الكتامية اليه بعد فترة وجيزة . أما ولاية بنى الحسن الكلبين في صقلية فقد واصلت أبقادها في الجزيرة ولكن الى حين .

الرحلة الى مصر :

والمهم أنه بعد أن اطمأن المعز الى ترتيب أمور دولته في المغرب ، واستكمل تجهيزاته الأمر الذي تطبأ إقامة شهرين في سردانبة ، خرج يوم ٢٠ من ذى الحجة ٣٦١هـ / ٣ أكتوبر ٩٧٢م (١٧٧) متجها نحو مصر في موكبه الفخم ، تتقدمه توابيت آبائه ، كناية عن الرحيل دون التفكير في العودة ، ويحيط به حراسه ورجال حاشيته ، ويصحبه يوسف يلكين حتى قابس ، حيث أدى تحية الوداع بما يليق ببيده الامام من التعظيم ، من تقبيل اليد والرجل على ما نظن ، ان لم يكن تقبيل حافر الفرس كذلك .

أصول الحكم في إفريقية ، وآخر وصايا المعز :

وكان آخر ما أوصى به المعز نائبه الصنهاجى يلكين ، هو : ألا يرفع السيف عن البربر وألا يرفع الجباية عن أهل البادية وأن يفعل مع أهل الحاضرة خيرا ، ولا يول أحدا من احوته أو بنى عمه (١٧٨) . كما أنزله

(١٧٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - حيث التفت معاورا على أن الولاية كانت للحسن من على أول أفراد الأسرة الذى كان قد مات معايدا أثناء ولاية ابنه أحمد (سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) (ما سبق ص ٢٧٢) . وانظر حسن ابراهيم وطه شرف ، المعز لدين الله ، ص ٦٣ ، وانظر لمؤلف مرقع ليبيا ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، العدد ١ ص ٢٣٨ ، حيث الإشارة الى مريد من المعلومات في مشيل اماري ، تاريخ المسلمين في صقلية Sicily Storia dei Musulmanidi ص ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٧٥ - عن بداية الحسن بن علي ، ص ٢٧٩ - عن أسرته بنى الحسن في صقلية .

(١٧٧) انظر اتمات الحنا ، ص ٩٤٤ ، وقرن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ - حيث يقول ان الإقامة في سردانبة استمرت ٤ (أربعة) أشهر ولكن دون تحديد التواريخ .

(١٧٨) التويرى ، ص ٣١١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٥ ، ابن الخطيب ، اعمسال الاعلام ، تحقيق مختار العادى والكتانى ، ج ٣ ص ٦٥ . وانظر فيما بعد ص ٣٢٥ .

المعروان ، وسماء يوسف وكناء أبا الفتوح ، ولقبه سيف الدولة (١٧٩) .

وهذه الوصية ، ان جاز أن تكون موضوعاً ، مثل قصة تسح بلكنين عن الولاية أو زعمه فيها ، فهي تبين على كل حال المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تتبنى عليها سياسة أية حكومة مغربية في ذلك الحين . والمبدأ الأول يعني أن البربر أهل اضطراب لا يرضون بالخضوع لسلطان الدولة ، فيجب مراقبتهم والضرب على أيدي العصاة منهم . والمبدأ الثاني يعني أن ولاء سكان البوادي لا يتأكد إلا بخضوعهم للنظام العام بالأمر الذي لا يتأتى إلا بدفعهم المنتظم لما هو مقرر عليهم لبببب المال . والمبدأ الثالث يعني أن أهل الحضرم هم عصب الدولة الحقيقي ، ويعنى حيويتها ومصدر ثروتها ، فالواجب إذن أن يحسن الأمير اليهم . أما عن المبدأ الرابع الخاص بتحذير بلكنين من أقاربه ، فالوضع فيه واضح ، إذ هو يعبر عما حدث فيما بعد من الاختلاف بين أبناء بلكنين وبين أبناء عمومتهم الحماديين ، أصحاب القلعة ، الذين استقلوا عن دولة القيروان والمهدية .

وقى طرابلس سباء بعض رجال المعز أن يهاجروا إلى المشرق ، فهربوا إلى جبال نفوسة ، واعتصموا بالمنطقة الإباضية الخارجة على الدولة أبداً ، وفشلت كل الجهود التي بذلت في سبيل استرجاعهم (١٨٠) . وتابع الموكب سيره عبر مدن سرت وأجدابية ، والمعز يزل للاقامة في بعض المواضع ، ويجد السبر في مواضع أخرى ، إلى أن وصل إلى برقة في ١٤ جمادى الأولى ٣٦٢هـ / ٢٠ فبراير ٩٧٣م ، حيث نزل بالقصر خارج المدينة (١٨١) في موضع يعرف بـ « مياسر » (سيرة جوذر ، ص ١٤٧) .

وفاة محمد بن هانيء الأندلسي :

وقى برقة فقد المعز شاعره محمد بن هانيء الأندلسي الذي طالما غالى في مديح المعز . ولقد قيل أنه مات إثر ليلة بيضاء سهراً ، قضاهما حمراء عريضة وسكراً ، حتى فقد وعيه فبات عرياناً في برد ذلك الوقت من الشتاء ، فمات . هذا ، ان لم يكن قد قتل على أيدي رفقاء السوء في تلك الليلة ، الذين

(١٧٩) مسج الأعشى ، ج ٥ ص ١٢٤ .

(١٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ .

(١٨١) المقرئزي ، اتعاظ المتفا ، ص ١٨٦ .

عربدوا عليه بعد أن سكروا (١٨٢) . هذا ، ولو أن ابن الأثير ينص على أنه اغتيل ، وأن لم يعرف من قتله ، حيث رأى علقى على جانب البحر في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هـ / أواخر إبريل ٩٧٢ م ، وأن فهم من روايته التي يورد فيها أشاره الغالية في مديح المعز ، أن ذلك كان السبب في اغتياله (١٨٣) . بل وأكثر من هذا ما نسب إلى ابن هانيء ، مما نسب المؤرخون في مديح المهدي الغالي ، مثل :

حل بركة . المسنيح حل بها آدم ونوح

... الخ (١٨٤)

وفي بركة توفي أيضا عم المعز : يوسف بن القاسم ، كما توفي مولاه جودر الصقلي الذي دفن بجامع القصر هناك (سيرة جودر ، ص ١٤٧) .

ومن بركة سار المعز إلى الاسكندرية فوصلها في أواخر شعبان / أوائل يونيو ٩٧٣ م ، حيث استقبل بالمشافة والترحاب من أهل مصر وأعيانهم ، ثم سار ليدخل القاهرة في ٥ رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ١٠ يونيو ٩٧٣ م . وبذلك تختم الدورة المغربية من تاريخ الدولة الفاطمية ، ليبدأ عصر النياحة الفاطمية في المغرب ، وهو العصر الريزي الصنهاجي ، فاتحة عصور الدول المغربية حقيقة أي البربرية لحما ودما .

(١٨٢) انظر ابن خلكان ، ترجمه محمد بن هانيء ، ج ٤ ص ٤٢٢ .

(١٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦١ - حيث قوله :

ما شئت لا ما شئت ، بإتدار ، ما حكم مات الواحد القهار وقوله .

أديهما في حيث دار لهما ، راحت حول ركابه حيرلا الشطرة الأولى في البيت الثاني في ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦١ ، بقصة ما بين القوسين ، والتكلمة من ديوان ابن هانيء مما أوردتها التحق في أعمال الاعلام لاس الخطيب ج ٣ ص ٢٥٦ . وقارن الغتيل العتب لأحمد الثائب الأنصاري ، طرابلس ، ص ١٠١ - حيث بينا الشعر ، كالآتي .

فكانما أنت اتسى محمد وكأنا أصدرك الأنصار

ما شئت لا ما شئت الأند ، فاجكم مات الواحد القهار

(١٨٤) انظر فيما سبق ، ص ١٢٧ وهـ ١٤٩ ، وأن نص ابن الأثير على أن المنصبي

لا بن هانيء مؤولون مقالته تلك (ج ٨ ص ٦٢٢) .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب

الزيريون خلفاء الفاطميين في إفريقيا

تمهيد :

برحيل المعسر إلى القاهرة ومصر يبدأ عهد جديد في بلاد إفريقيا والمغرب ، يمكن أن يعتبر نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الإفريقي في عصوره الإسلامية ، هو العصر العربي في مقابل ما يسمى بالدولة العربية في المشرق ، وبداية بفترة جديدة من ذلك التاريخ ، وهي ، العصر البربري ، في مقابل العصر الفارسي في المشرق ، والمقصود بسمة العروبة في تلك الدورة من تاريخ المغرب في المرحله الأولى ، ليس العرق ولا حتى اللغة - رغم ما بها من تأثير عميق في حياة المجتمع وتاريخه - بل الأثر الشرقي بعامة ، اوائد من مصر حيث مقر الخلافة الفاطمية ، وفي العراق حيث الخلافة العباسية ، بل ومما وراء ذلك في فارس وإيران ، من حيث وفدت تأثيرات عرقية وثقافية جديدة ، بل وفي أبعد من ذلك حيث بدأت في المغرب طلائع التأثيرات التركية الوافدة أصلا من أواسط آسيا ، من : عرقية وثقافية أيضا ، وهي المؤثرات التي ظهرت في المغرب مع بداية العصر الفاطمي ، والتي تدل عليها تسمية دعاء المذهب الإسماعيلي الفاطمي بـ « المشاركة » والمذهب الشيعي بمذهب « التشريق » ، فكان السمة الشرقية بعامة ، من : عربية وفارسية وتركية ، قد حلت محل العربية ، عرقا ولغة وعادات وتقاليد ، الأمر الذي يتفق مع مسار الأحداث التاريخية ، وتطور الأحوال الاجتماعية والحضارية ، وفي مقابل ذلك تمثلت سمة العصر البربري الجديد ، من تاريخ المغرب الإسلامي ، في قيام دول مغربية لحما ودما ، حيث قامت أسر بربرية حاكمة بدلا من الأسر الشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، مما عرفت البلاد من قبل ، من : المروانية الأموية في قرطبة ، والأدريسية العلوية في فاس ، والرسنمية الفارسية أصلا في تاهرت والأغلبية العربية السيمية في القيروان ، بصرف النظر عن الأسر البربرية المحلية ، من بني مدرار في سجلماسة ، وبني عظام في سبتة ،

وبنى صالح في تكور ، وكذلك الامارات اقبيلية الصغيرة ، ذات الطابع المحلي ، في عمارة ، وبرغواطة ، ومغراوة ، وجراوة ولوانه وغيرها ، في مقابل شعوب رناتة وصنهاجة ومصمودة .

وهنا تحسب الإشارة الى ان دورات التاريخ الافندلسي كان لها نفس مسار الدورات المغربية ، من حيث مشاركة البربر للمغرب ولاهلى البلاد من مؤندين ومستعربة ووافدين من الماليك الصقالية ، في أمور اسيااسة والحرب والادارة . وكانت مشاركة البربر برداد مع ارياد قوة القبائل البربرية وخاصة صنهاجة افرقية الذين كان لهم دورهم الايجايي في الاندلس ، ابتداء من عصر الدولة العامرية على وجه الخصوص . فكان ببربر دورهم في سقوط الدولة الاموية ، مثلما كان لصنهاجة الزيريين دورهم في منطقتهم عرناطة ، الامر الذي مهد لدور أكبر لهم في عصر ملوك الطوائف ، قبل أن تمتد الهيمنة الصنهاجية على كل البلاد مع قيام دولة الموحدين المرابطين .

وإذا كان المعسر عندما سار الى مصر ، تقدمه فوايت آباءه بمعنى عدم التفكير بهائيا في العودة الى تلك البلاد التي امتحنت فيها الأسرة الشريفة حتى أشرفت على الهلاك أو كادت ، فإن تلك العطية بين المشرق والمغرب ، بما تشكته من رفض المذهب الشيعي في أقريةية ، بعد قليل ، لم تكن قاطعة . حقيقة ان اعلان السنة ، كما كان الحال عند اعلان المسيح من قبل ، قد صاحبه اضطهاد الطرف الآخر ، مما عرفه عند بعض الباحثين بـ « الأزمة الفاطمية » (١) ، ولكن الروابط لم تنقطع بين المشرق والمغرب ، ان على المستوى الشعبي حيث استمر انتقال النساس من التجار والحجاج والعلماء ، أو على المستوى الرسمي ، حيث كانت السفارات والبعثات الأميرية تروح وتعي ما بين القاهرة والقيروان بالهدايا وسجلات الولاية والعهد أو خطابات البيعة .

وما يستحق الانتباه أكثر من ذلك أن ما قام به الفاطميون في مصر ، عندما أطلقوا قبائل الهلالية على بلاد القيروان ، في تلك العملية الثائرة من نوابهم الزيريين ، كانت له تأثيراته الجانبية ، كما يقال ، على المستويات الاقتصادية والديموغرافية العرقية . فبينما يصر الكتاب على ما أثاره عرب

(١) ح ١ مارسه ، بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، بالفرنسية ، مارس ١٩٤٦ .

الهلالية من التدمير والتخريب في افريقية والقيروان ، الأمر الذي أدى الى قلب الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد رأسا على عقب ، تمثل أهم نتائج تعريب الهجرة الهلالية على المدى البعيد في عملية تعريب البلاد على المستوى العرقي واللغوي ، بالشكل النهائي الذي آلت اليه حديثا ، والذي يظهر في تعريب كثير من قبائل البربر الذين رفعت أنسابهم الى الأجداد العربية العريقة ، كما فعلت زناتة بانسابها الى القيسية ، أو صنهاجة بانسابها الى الحميرية اليمنية .

هكذا ظهرت الدولة الصنهاجية البربرية في بلاد القيروان وأفريقية بمظهر الدولة العربية حقا ، من حيث اتخاذ العربية لغة رسمية للدولة ، وعناية الأمراء بها في بلاطهم ، حيث استقبلوا العلماء والشعراء ، واستمعوا لمدايحهم وأجادروهم ، بل من حيث عناية بعضهم بالشعر والأدب - حسبما سمحت الظروف -

وهنا نحب الإشارة الى نظرية ابن خلدون التي تقول بأن الطابع الديني في الدولة الإسلامية يتناسب طرديا مع صيغتها العربية ، ونرى أنه لا بأس أن يكون ابن خلدون قد استنبط نظريته هذه من دراسته لتاريخ دول المغرب البربرية (٢) ، وأولها دولة الزييريين الصنهاجية ، حيث لا تشغل الأمور الدينية فيها حيزا من التاريخ يذكر بالمقارنة مع العصر الفاطمي السابق أو حتى الأغلبى العباسي الأسبق ، باستثناء تلك الفترة على التشيع مما حدث على عهد الأمير الرابع ، وهو المعز بن باديس ، والتي يمكن أرجاعها الى أسباب سياسية ، هدفها الخروج على سلطان القاهرة أصلا . وهنا لما أن نضيف خاصية أخرى مرتبطة بالعروبة في تاريخ الدول المغربية البربرية ، وننتلخص في التناسب الطردى أيضا بين العروبة والتحضر ، حيث يتسع البون بين دول عصرنا البربري هذا ، ودول الأسر العربية المشرقية السابقة عليها ، بما فيها عصر أمراء دمشق الأسبق ، رغم ما ينسببه الكتاب الى بعضهم من أعمال الظلم والجور ، وخاصة بالنسبة لأهل البلاد من البربر ممن كان يطبق عليهم قانون الأخماس الحربي ، دون رعاية . فمن الأمور المستغربة ما ينسب الى بعض أمراء الزييريين من الغلظة والقسوة التي مارسوها مع كبار رجال دولتهم ، مما بلغ أحيانا الى حد القتل بيدى الأمير

(٢) الأندلس ، ص ١٣٢ ، فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة المصحية

- حيث الإشارة الى لتونة والموحدين -

دون محاكمة ، وبو صورية ، أو الى حد التمثيل ببعض الثوار حتى آكل
أكبادهم مشوية ، وكذلك لحوهم ، الامر الذي لا تبرره الأغراض السياسية
التي استهدفت ترهيب الثوار أو لفت نظر رجال الخلافة الى التوقف عن
اثارة المساعب لأمير القيروان (٣) .

وفي مقابل دولة صنهاجة القيروان وأمريقية ، وهي في أوج تمدنها ،
حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م ، كيانت دولة المشرقيين
الصنهاجية ، وهي دولة لمتونة ومسوفة المرابطية في صحراوات المغرب
الأقصى ، دولة بربرية تصدق فيها مقولة ابن خلدون بالعلاقة الطردية بين
العروبة والصيغة الدينية الاسلامية ، وبالتالي بينها وبين درجة التمدن
والحصارة . فدولة المشرقيين المرابطية كانت في بداية أمرها بدوية سادجة
حتى عهد يطلها يوسف بن تاشفين الذي كان على درجة من البساطة والتشلف
تناسب مع قلة معرفته باللغة العربية حتى أنه كان يستعمل الترجمان .
هذا ، ولو أن الدولة المرابطية سرعان ما تنحمت بحضارة الأندلس ، بل انه
فقدت أسباب وجودها وسط ذلك الترف

وتبعاً لسنة التطور والارتقاء ، وتحت تأثير الحضارة العربية الأندلسية
بدأت وريثة الدولة المرابطية وهي دولة الموحدين ، وهي أكثر رقياً وتحضراً .
فعلى المستوى اللغوى كان ابن تومرت منظر الدعوة ومرشد الدولة يجيد
العربية والبربرية ، ويكتب تأليفه في العقيدة والمرشدة بها جميعاً ، ويشتمل
مذهبه أعلى ما وصل اليه من آراء المتكلمين ونظريات الشيعة ، في محاولة
توفيقية رائعة بين المذاهب الاسلامية . وعن طريق الأندلس غرباً وبلاد
القيروان شرقاً وقعت الدولة الموحدية تحت تأثير قطبي العروبة في المغرب
الاسلامى ، الى جانب تقلقل العرب الهلالية في أقصى المغرب وحتى الأندلس ،
وبذلك بلغت الحضارة المغربية الأندلسية أوج ازدهارها . وإذا كانت
الدولة الموحدية قد ضايعت في غمبار الرغبة العارمة في الجهاد ، وغواية
المتع بمباهج الحياة ، فإن حرب الاسترداد ، وما ترتب عليها من طرد عرب

(٣) أنظر فيما سبق ص ٤١ - ولا ندرى ان كان هذا الامر قد يتطلب منا مراجعة
بعض ما كنا نطه قصصاً أسطورياً من وضع خصوم البربر ، ما تناول بعض غرائب العادات
عند بعض القبائل من الرخص في العلاقات الجنسية الخاصة بأكرام الأسياف الى غيره من أعمال
الشرور . ما يوجد في كتب الجغرافيسا ، وكتب المعانيب ، وما يلخصه ياقوت في معجم
البلدان في مادة بربر .

الأندلس ، كان له أثره . في تحضير المغرب من أقصاه إلى أدناه ، وصبغه بحضارة الأندلس حتى في أعماق بوابه ، وقنن جباله دون تفرقة ما بين عربيا وبربرها .

وهكذا تمت انذنة في تاريخ المغرب في حقبة الاسلاميه من عصر السيادة العربية الواقعة الى عصر السيادة البربرية المحلية ، تماما ، كما حدث في تاريخ الاسلام في المشرق حيث كانت النقلة من العصر العربي الى العصر الفارسي مبكرة منذ سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وما صاحب ذلك من ازدياد نفوذ العنصر الفارسي بقياس الأسر الوزارية من آل برمك وآل سهل وغيرهم ، سواء كانوا في خدمة الخلافة أو في خدمة الأمراء المتغلبين أو السلاطين والمهم فيما يتعلق بالمغرب أن يلاحظ الأندلس هي التي قامت بدور فارس في مجال الحكم والحضارة ، حيث أمدت المغرب بما كان يحتاجه من رجال الحكم والادارة من أصحاب الدواوين والكتاب الوزراء . الى جانب المهرة من العمال والتقنيين ، صناع الحضارة . وعن هذا الطريق تمت السمنة الحضارية في عصر الحكم الوطني ، مصاحبة للنهضة السياسية ، وكانت خطوات البداية مع حكم الزييريين ودولة صنهاجة ، بعد أن كانت فترة التمهيد الفاطمية ، في حقيقة أمرها ، دولة كنامية .

صنهاجة أفريقية :

المواطن والقبائل (انظر شكل ٥ ص ٢٩٠) :

ومن المهم في حركة النهضة القومية المغربية هذه أنها بدأت في كنف قبائل صنهاجة ، من حيث أنها تعتبر الجذم البرنسي في شجرة أنساب البربر . والبرانس من قبائل البربر هم أهل الأرياف والحضر ، في مقابل قبائل زناتة أشهر ممثلي الجذم البتري من البربر الذي يمثل أهل الصحاري والبادية (انظر ح ١ ص ٨٦) . وأهل الحضر أقدر على فهم الاقتصاد المدني ، وبالتالي أكثرهم قدرة على إقامة الدول من أهل البادية . وهذا ما يفسر نجاح الدعوة الفاطمية في كتامة ، واستمرار دولتها في صنهاجة من بني زيير . وعلى هذا الأساس يمكن تفسير قياس دولة الملثمين الصحراويين ، من حيث أصولهم الصنهاجية البرنسية الحضرية ، ومثل هذا يقال عن قبائل المصامدة (ومفردها مصودة) الحضرية في منطقة السوس من المغرب الأقصى ، من حيث إقامتها لأعظم دول المغرب قاطبة ، وهي دولة الموحدين .



بلاد القبايل : كتامة (شرقا)
صنهاجة (شمالا) و (غربا)
(شكل ٥)

البلاد :

وبلاد صنهاجة في القرن الرابع الهجري / ١٠ م تعادل من بلاد المغرب الأوسط ، المنطقة المعروفة في المصطلح الفرنسي ، بـ « القبائل الكبرى » ، مقابل إقليم قبائل كتامة المعروف بـ « القبائل الصغرى » ، والذي يبدأ من منطقة قسنطينة شمالا ، وما يليها جنوبا يشرق الى تخوم بجاية ويونه (عناجة) (٤) . وتحدد بلاد صنهاجة ، حيث بنيت مدينتهم أشهر بمعرفة زيري بن مناد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، في جوار قبائل رواوة التي تعبر من بطون كتامة (٥) ، وزناتة ، بالمنطقة الداخلية من المغرب الأوسط ، الواقعة غرب بلاد كتامة ، والممتدة جنوب الخط الوهمي الممتد ما بين مدينتي بجاية والجزائر ، والتي تقع في جنوبها مدينة المسيلة ، حيث قبائل عحساسة

(٤) أهم مدن كتامة هي : ايكجان وسطيف وبغااية وبقاوس وبنزمره وتحت (سكست) ومثيلة ، وجيجل وسكيدة والقل وقسطية ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ ، وقارن اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٣٦ - ٣٨ .
(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ ، ١٥١ .

الصنهاجية ، وزناتة باقليم الزاب والحضنة ، والتي تقطن المنطقة جنوب.
الحط الرهوى الممتد بين المسيلة ووهران ، وتمتد من شلف الى المحيط
الأطلسي(٦) . وأهم مدن صنهاجة هي : الجزائر (جزائر بنى مزغناي)
ومليانة (المشرفة على سهول نهر شلف) ، والمدينة (جنوب غرب الجزائر) ،
وهي المدن التي بنساها بلكين بناء على أوامر والده زيري (الاعلام
لابن الخطيب ، ص ٦٣ - ٦٤) ثم المسيلة وسوق حمزة (البويرة) - وذلك
قبل بناء القلعة وبجاية(٧) .

القبائل :

أما عن قبائل صنهاجة فان النطق الصحيح لاسم جدها الأسطوري
هو : زناج (زناج : زناق) . ورغم ما ينص عليه ابن خلدون من أنها
كانت تمثل أكثر أهل الغرب (المغرب) على أيامه حتى قال كثير من الناس
أنهم ثلث أمة البربر(٨) ، وأن قروهم تصل الى ٧٠ (سيعين) بطنا ، فلم
يكن لها كبير شأن على أوائس أيام الدولة الفاطمية ، حيث لا ذكر أثناء
الثورة الرناية ، على عهد القائم ، الا لقبيلة صنهاجة وحدها ، بقيادة مناد
وابنه زيري ، دون اشارة الى تقرعاتها القبيلة ، ولا الى كونها اتحاد
قبائل ، كما هو الحال بالنسبة لكنامة(٩) . أما عن ولايتهم لعل بن أبي طالب ،
وولاية مغراوة (أو زناتة) لعثمان بن عفان ، فابن خلدون لا يعرف سببها
ولا أصلها (العبر ج ٦ ح ١٥٢) ، وان كان من الواضح أن قصة اصطاع
تلك الولاية يعود الى الأمر التاريخي الواقع ، من مساندة صنهاجة للفاطميين
صد الزناتيين الذين انضموا الى المعسكر الأموي في الأندلس ، وذلك في
محاولة لتأصيل تلك التحالفات الطارئة في القرن الرابع الهجري/ ١٠ م ،
على أسس تاريخية تقليدية ، وهو ما يصرح به ابن خلدون بعد ذلك(١٠) .

أما عن صنهاجة أفريقية فيتمثلون في بني ملكان بن كرت الذين تمتد
مواطنهم ما بين المسيلة ومليانة ، مرورا بسوق حمزة والجزائر والمدينة .

(٦) انظر ج ١ ص ٩٢ - شكل ٣ - في توزيع قبائل البربر .

(٧) اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٤٠ .

(٨) العبر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٩) والحقيقة انه رغم ما يقول ابن خلدون من كثرة بطون صنهاجة فانه لا يستطيع الا أن
يعدد بعضا من مشاهير رجالهم في الدولة الاسلامية كأفراد وليس كقبائل أو جماعات ، مثل :
العناق ورمون الذي تار بأفريقية على أيام السفاح ، وعبد الله بن سكرديد ، وعباد بن صادق
من قواد حماد بن بسكين ، ج ٦ ص ١٥٣ - ١٥٣ .

(١٠) السر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

وإذا كان ابن خلدون يصر على كثرة بطونهم ، مشى : أسرة وبنو مرزغنة (الذين نسبت إليهم الجزائر) ثم بطوية وبنو يعرب (العبر ج ٦ ص ١٥٣) الذين يوضعون ضمن الزناتية في مواضع أخرى ، فإنه يسهي إلى أن أكثرهم على أيام الأغابية هم بنو مناد ، وكان الأمر يتعق وقتئذ بعشيرة ما أو قبيلة محسودة ، لا ترقى إلى مستوى الشعب - هم بنو مناد الذين تصخمت أعدادهم مع تضخم سلطانهم ، حتى كان قصر الأمير منهم يحوى من النساء الألف امرأة وأكثر من المحارم أى الثلاثى لا يجوز له (انظر فيما بعد ، ص ٣٥٧ وه ٨٩) أو من القرابة القريبة التى لا تتعدى الدرجة الثالثة كالحال والعلم ، فى مقابل ابنة الأخت وابنة الأخ (١٠ م) .

بنو مناد :

وهكذا يكون بنو مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر (١١) هم أهم ممثلى صنهاجة أفريقية فى أواخر القرن الثالث الهجرى وأوائل الرابع ، ولا نبتدأ الشهرة لصنهاجة إلا على أيام زيرى الذى جاء مناصرا للمنصور فى حرب أبى يزيد ، فى قومه ومن انضم إليه من حشود البربر ، وأبلى فى ذلك خير البلاء ، كما كان له فضل بناء أشهر مراكز صنهاجة الحضرية ، وأهم منجزاتها العمرانية من بناء : مدن أشير ، والجزائر (العاصمة الآن) ومليانة بالعندوة الشرقية بوادى شلف ، ومدينة المدية (حيث مستقر أهم بطون صنهاجة) ، وهى المدن التى أصبحت من أعظم مدائن المغرب الأوسط على أيام الزيريين (١٢) . وتتركس شهرة الأسرة الزيرية بتعيين بلكين بن زيرى نائبا للمعز فى حكم أفريقية سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م .

الأسرة الزيرية :

بلكين بن زيرى بن مناد ملكا مؤصلا :

بتعيين بلكين نائبا للمعز فى حكم أفريقية أصبح الزعيم الصنهاجى

(١٠) مكرر (انظر الموبرى ، ص ٣١٧ - حيث النص على رواية ابن حرم التى تقول ان بلكين كان له فى موضع ألف امرأة لا يحل له تسكاح واحدة منهم ، كلهم من أمهات اخوته وأخواته ، ومن الرجال مثل هذا العدد . هذا ، كما كان لبلكين ، قبل أن يستخلفه المعز ، قصور تشتمل على ٤٠٠ حارية ، فيقال ان البشوات تواترت عليه فى يوم واحد بولادة ١٧ ولدا . وانظر فيما بعد ص ٣٥٧ وه ٨٩ .

(١١) العبر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٢) العبر ، ج ٦ ص ١٥٤ .

الذى أعطاه الخليفة العباسي اسما عربيا اسلاميا هو « يوسف » ، وكنية عسكرية هي « ابو الفتوح » ولقبها ملكيا مدنيا هو « ناصر الدولة » (دولة الخلافة) ، اول شخصية بربريه (مغربية اصلية) نصل الى رتبة الملوكيه بطريقة شرعية ، عن غير طريق الغلبة والأمر أن واقع .

وكون بلكين اسرة ملكيه توارثت اسما ابنا عن اب ، واستفحل الملك فيها فانخذت القصور العمخمة وغص بلاطها برجال الدولة وأصناف الحرير والجواري ، ولبس الأمراء عمام التيجان المذهبه ودفنوا أمواتهم في أكفان السبعين ثوبا وريادة ، وقبروهم في توابيت عود البخور الهندي الثمين . وهكذا لم يكن من الغريب أن يصطنع لهم اكتاب ممن عملوا في خدمتهم بل ومن غيرهم ، النسب المناسب الذي يرقى بهم الى الأرومة العربية النقية ، من حمير : ملوك اليمن العدامي ورموز الحصار .

فبيما ينص بعض التسابة على أن جد بلكين هو مناد بن منقوش بن صهاج الأصغر (١٣) ، ينقل النويري عن الأمير الصنهاجي عز الدين بن عبد العزيز بن شداد سببا لبلكين ترتفع سلسله الى أكثر من ٤٠ (أربعين) جدا حتى يعرب بن قحطان ، منهم ٢٥ (خمسة وعشرون) يصل بهم الى حمير بن سبأ . والرواية هنا موثقة بالشمع على نسق أيام العرب القديمة (١٤) .

مناد :

أما عن جد مناد بن منقوش فكان زعيما شديدا القوة . كثير المال والبنين . وهو كريم مضياف له مسجد يلجأ اليه طالبوا القرى والحماية من الوافدين والغرباء وعابري السبيل . والى واحد من هؤلاء يرجع الفصل في توقع مناد الملك في سلالته . وذلك أن الرجل الغريب الشأن الذي جاء يتمس العون من مناد بعد أن تعرض لنهب اللصوص ، كان يحسن قراءة الطالع ، ولكن في كنف الشاة التي تقدم له على مائدة الضيافة . وعن هذا الطريق تنبأ الرجل بملك المغرب جميعه لواحد من أبناء مناد . واستطاع أن يدرك أنه زيري والد بلكين ، رغم انه كان ما زال جنينا في بطن أمه ، وذلك بعد أن استعرض أبناء مناد الذين قدموا اليه ، ولم يجد طالع السعد في

(١٣) ابن خلدون . ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٤) النويري تحقيق أبو شيف . ص ٣٠٠ .

جباهم (١٥) .

زيرى :

وحكما نجعل الرواية المتقبية من زيرى والد بلكن ، الانيسان الذى حبه الطيعة بمقومات الكمال - فالى جانب الجمال ، كان راجع العقل سد طفولته يسبق سنه بعشر سنوات ، فكانه بلغ سن الرشد وهو فى العاشرة من عمره . وفى شبابه المبكر هذا ظهرت عليه مخايل اتجاهات قيادية رديعة ، فيما كان يقوم به مع أقرانه من ألعاب الشباب ورياضاته ، كما انصف بانكرم ، اول خصال الزعامة ، فكان يستضيف اصحابه الصغار ويقدم لهم الطعام ، مكفيا بخدمهم . ومن ألعاب الطفولة البريئة ، ورياضة « العسكر والصوص » ، تطورت جماعة الفتيات الأحداث الى عصاية مسلحة . سرية على مفاجأة الحصوم (١٦) ، وهنا تنتقل الرواية المتقبية القصصية الى ارض الحقيقة والواقع .

ولاسه زيرى وبناء أشير :

عندما يبلغ زيرى بن مناد طور الشباب يرأس جماعه من بني عمه ومن شجعان القبيلة ، كانت صناعتهما شن الغارات على قبائل زناتة المنافسة . واعدة بالمعائم والسلب . وخلال أعمال الشطارة والفنوة هذه ، تكرست زعامة زيرى بفصل غريته وبطيفه مناد المساواة بينه وبين الآخرين عنسده تقسيم المعائم . وعن هذا الطريق آلت اليه زعامة صهاجة ، ووقع على عاتقه التهوض بعبد الصراع مع زناتة ، حيث ظهر تفوقه عليهم بما كان يشنه من الغارات التى يبيتهم فيها ، ليلا فى أرض مغيلة ، كما زادت قوته وعدده وعتاده بما كان يفتح من خيل جبل تيطرى ، التى زادت من عدد الفرسان بين أصحابه (١٦ م) . وعندما تسامع الناس بأخبار تلك النجاحات التى كان يحققها زيرى ، وفد اليه كل من هفت نفسه الى اتخاذ العسكرية صاعة له ، تحت قيادة زيرى الذى كان على استعداد لأن يضع سيفه وسيوف أصحابه فى

(١٥) التيرى ، ص ٣٠٢ - وانظر ابن علبون ، التذكار ، ط - طرابلس ، ص ٢٣ - حيث تحولت الى عم الحدان الذى كان يعربه المعز لدين الله الذى دعا زيرى الى تقديم سبه المثرة اليه ولكنه لم يجد العلامة فى أى منهم فطلب المائر ، وهو بلكن الذى كان اصغرهم سنا واحقرهم شيئا مرشد المعز فيه العلامة ، وفوض اليه من حيث واستخلفه .

(١٦) التيرى ، ص ٣٠٣ .

(١٦ مكرر) انظر التيرى ، ص ٣٠٩ - حيث الإشارة الى ان زيرى رزق من الاولاد ما يزمه على المائة كلهم ايجاد كاد ان يكتم بهم فى حروبه - رحمه الله .

خدمة من يدفع له الأجر ، ويظله بالحماية . فكانت تلك وسيلته في لفظ نظر الخلافة الفاطمية اليه ، على عهد القائم ثاني الأئمة ، حوالي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ، عندما اتخذت قبيلة صنهاجة شكل الجماعة المنظمة تحت قيادته ، وذلك ببناء مدينه أشير (١٧) . وهنسا نلاحظ أن ابن خلكان يصر على أن زيري ، جد للعز بن بارس ، هو أول من ملك من بينهم ، وأنه الذي بنى مدينه أشير ، وحصنها أيام خروج أبي يزيد (١٨) . فكان بناء أشير عنده ، واتخاذها مقرا لزيري يعتبر بمثابة تأسيس لكيان صنهاجي خاص . به سمة ما يعرف بالحكم الذاتي ان لم يرق الى مستوى الدولة السامة النمو ، التي تستطيع أن تدافع عن حدودها ، وأن تكون لهسا علاقاتها الخارجية الخاصة بها .

بناء أشير : ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م :

والحقيقة ان أول اشارة بشأن الصلة بين زيري وبين القائم الفاطمي تظهر بمتاسبة بناء مدينة أشير . فبعد اختيار زيري للموقع الفسيح ، الذي تندوق فيه عيان عدبتان بالمساء الصالح للاستهلاك اليومي والريادة ، في قمة الجبل العالي الذي يرتفع الى ١٤٠٠ متر ، من حيث يشرف على سهول التل العربية ومنطقة القبائل الشرفية ، على مسافة حوالي ١٠٠ (مائة) كم جنوب شرق الجزائر العاصمة « جزائر بني مزغاي » (١٩) (انظر شكل ٦ ص ٢٩٥) ، وكان عليه أن يبدأ البناء سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م بالاستعانة بالبائين والتجارين الذين أتى بهم من المدن القريبة من سوق حمزة (البويرة) والمسينه وطبقة ، كما استعان بالخليفة القائم بأمر الله أيضا ، الذي بعث اليه بأشهر عرفاء العمارة في أفريقية ، كما أمدّه بمواد البناء التي لا تتور في المنطقة ، من الحديد وغيره (٢٠) ، الأمر الذي يعني أن زيري في ذلك الوقت المبكر من سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م كان على علاقة وثيقة بالخلافة الفاطمية في المهديّة . هذا ، كما أنه لا بأس أن يكون القائم هو الذي أوحى الى زيري

(١٧) انظر الزيري ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان . تحقيق احسان عباس ، ج ٢ ص ٢٤٣ . وقارن البكري . ص ٦٠ - حيث الصر على أن الذي بنى سورها هو بلجس بن زيري سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

(١٩) انظر اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢٠) البكري ، ص ٣٠٤ . وانظر البكري ، ص ٦٠ - حيث التأكيد على انها من .

زيري . ومن حصة مرصعها الذي يحسه ١٠ رجال فقط .

بأنخذ مديسه في ذلك الموقع الاستراتيجي الذي يمكن الدفاع عنه ضد العارات المحتملة من قبل قبائل زناتة التي كانت تسرح ، مستطيلة في المنطقة وتجول ، منذ أيام الأغالبة ، الأمر الذي دعا القائم الى القول بأن حاضرة العرب خير من مجاورة البربر (٢١) .



موقع أشير
(شكل ٦)

وبعد أن تم البناء كان على زيري أن ينقل وجوه عواصم المنطقة ، في :

(٢١) الزيري ، ص ٣٠٤ وقارن اس اللاتير ، ج ٨ ص ٦٦٤ - حيث الص على ساء زيري لاسير وسكانها هو وأصحابه ، وان كان التاريخ خطأ من كتابته في شكل ٦٢٢ ص / بدلا من ٣٤ ص ٩٣٦ ، مع الاشارة الى سرور القاسم لأن صياحة أصبح بين الدلا: وبين رمانة . مع في النواصة التسمية على أن تكون دولة حدود ، وقارن اسماعيل العربي ، دولة من حماد ص ٣٠٣ ص - حيث الاشارة الى شك الكتاب في أن يكون زيري هو ثاني أشير ، والسجسك راية نال زيري وليس الخلفة هو الذي ساجا ، استنادا الى شعر عبد الملك بن عيشون الذي يبحر فيه زيري قائلا :

يا أيها السائل من جربا وعن مد لي السكفر اشير
اسبها المظنون زيرها فلمسه الله على زيري
(وأظهر المكري ، ص ٦١ - حيث النقل عن محمد بن يوسف الوراق) .

طلبه والمسيلة وسوق حمرة الى أشير^(١٢) ، ربما ليضمن ولاهم عن طريق وضعهم للرصاص تحت اشرافه ، الأمر الذي ما كان ليتم الا بالتنسيق مع ديوان الخلافة ، وهو ما يمدن ان يكون قرينة ترجح احتمال ان يكون بساء اشير قد تم بعد موافقة الخلافة العاطمية ، ان لم يكن يتوجيه منها .

ولم تلبث المدينة التي بسيت لأهداف استراتيجية دفاعية ضد غارات زناتة المحتملة في المنطقة ، من حيث أنها كانت حصينة لا تطال من شرقيها ، وأنه يمكن ان يحميها عشرة رجال بفضل علوها ووعورة الطريق اليها ، أن امتلات بالوافدين عليها من العلماء وانفقاء والتجار الذين تسامعوا بها^(١٣) . وبفضل استقرار الامن والطمانينة ، الأمر الذي نحقق بفضل ردع الرنانية عن منايقة أهل البادية ، انصرف هؤلاء الى الحرث والزراعة ، فعم الخير والرخاء في المدينة . ومع مرور الوقت كانت أشير تزداد حضرا ، فبعد أن كان اماليا ينحاضون في الأسواق بالمقايضة ، بالبعر والبقر والشاة ، ضرب ريرى السكة من الذهب والفضة ، كما زاد في روائب العسكر ، الأمر الذي أدى الى كثرة الدراهم والدراهم ، وبالتالي رواج التبادل التجاري^(١٤) . ولا بأس أن يكون ذلك قد تم بموافقة الفاطميين^(١٥) ، من حيث أن سك المقود يعسر من شعارات السيادة ، فكان زيرى كان فعلا أول ملوك الصنهاجيين ، كما يقول ابن خلكان^(١٦) ، وهو ما يبرر تسمية دولة بواب المساطميين بالقبروان والمهدية ، ضد المؤرخين بالدولة الزيرية ، بدلا من الدولة البلكنية او اليوسيفية .

زيرى بن حماد والصراع ضد زناتة :

وهنا لا بأس من قبول الرواية التي تقول ان صيانة منطقة الأرياف المحيطة بأشير ضد اعتداءات قبائل زناتة وعمليات الردع التي كان يقوم بها زيرى أدت الى تمكن العداءه بين صنهاجة وزناتة (النويرى ، ص ٣٠٥) . ولما كان زيرى يشعر بالاطمئنان الى سلامة مقرر الجديد في أشير ، ففسد رأى ان يطبق ذلك المبدأ الحربى الذى يرى أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم ، وبناء على ذلك قرر متابعة خصومه الزناتية ، فى عملية ردع ، الى

(٢٢) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٣) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٤) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٥) أنظر إسماعيل العربى ، دولة بني حماد ، ص ٥٥ .

(٢٦) الوفيات ، زيرى ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

عثر دارهم المغرب . وهنا تنفرد الرواية المحلية التي يقلها اثوري عن عز الدين بن شداد سليل الأمير تميم بن المعز بنسجيل استجازات حربية ضد حلفاء الأمويين في الأندلس ، مثل موسى بن أبي العافية أو قبائل برغواطية وغمارة المعروفة بانحرافاتهما المذهبية . ومن المهم الإشارة الى أن تلك الأحداث قد تأخذ طابعا منقبيا لا يؤيده ما هو معروف لنا من أحداث تاريخ الفترة . فالى جانب عدم توثيقها بالتواريخ المناسبة فانها تتضارب أحيانا مع وقائع تلك الأحداث من حيث المضمون أيضا .

وهكذا يسبب الى زيري انه عهد بأشير الى اخيه ماكسن ، وخرج الى المغرب بحومدية جراوة ، حيث موسى بن أبي العافية الذي كان يليها بعهد عبد الرحمن الناصر الأموي . وهنا تأخذ الرواية شكلا منقبيا عندما تنص بيساطة على أن الرعيم الكناسي خرج الى لقاء زيري بهدية وعدد من الجوارى ، وأنه اعتذر عن دخوله في طاعة الأمويين مبرا ذلك بالرغبة في إرهاب الزناتية . كما يقدم في نفس الوقت فروض الطاعة والتبعية للزعيم الصنهاجي مبرا ذلك بالحكمة التي تقول بخسارة الصفقة التي تنتهي بعبادة الجار القريب نظير صداقة البعيد ، حيث قال : « وسيف قريب منى أمنع من سيف بعيد » ، الأمر الذي أدى الى أن يقربه زيري منه ويدنيه (٢٧) .

التوجه الى جهاد برغواطية :

وتتأكد الصيغة المنقبية عندما يوجه موسى بن أبي العافية الزعيم الصنهاجي بصفته ممثل الخليفة الفاطمي الى جهاد رددة قبائل غمارة ، في بلاد الريف حيث ظهر متنبئهم المعروف بـ « حاميم : ح م » . وبنساء على ذلك تتحول حملة الردع ضد زناتة الى حرب جهادية ضد الخارجين على الاسلام الصحيح ، من الزنادقة ، فوقع بغمارة ، ويقبض على متنبئهم ، ويحمله الى أشير ، حيث يفتى علماءها بقتله - الأمر الذي لا يتفق مع ما هو معروف من أن قتل حاميم كان في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م أثناء حروبه مع مصمودة الساحل أو مع جيوش الناصر الأموي (٢٨) .

(٢٧) اثوري ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢٨) اثوري ، ص ٣٠٦ وهـ ١٥ - عن نهاية حاميم ، وقارن ابن الاثير ، ج ٨ ص ٦٢٤ . وان وصح ذلك خطأ سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م حيث ينقل القصة الزيرية لابن شداد كمقدمة لمهد بلقين .

المعونة في حرب أبي يزيد :

أما عن الحدث التالي فيتمثل في المعونة التي قدمها زيरी بن منسار للخليفة القائم أثناء حصار أبي يزيد الزناني النكاري للمهدية ، سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، بعد عشر سنوات من بناء أشير ، وفيها معلومات تفصيلية عن تلك المعونة التي تكونت من : ألف حمل حنطة ، مسج ١٠٠ فارس من صنعهاجه و ٥٠٠ من عبيد زيरी من السودان . هذا ، كما تنص الرواية على أن القائم رد على ذلك بهدية بديعة من الكساء والحيل والسروج المحلاة (٢٩) .

هجوم الزنانية على أشير :

وعندما ناسى الحرب ضد زنانية تكون في شكل عملية ردع مضادة ، موجهة الى زيरी وقاعدته أشير . فقد نزل الزناني بقيادة : كمات بن مديني ، وخرج اليه زيرى ، ولكن الحرب طالت سجالا ، ولم يقدر لها أن تحسم الا على يد ابن زيرى الصغير ، كباب الذي لم يكن قد نمرس بالحرب بعد . فسدون اذن من والده زيرى ، خرج كباب وتمكن من القائد الزناني كمات فضربه بالسيف ضربة رائعة قتلت الدرع والعاق وأسقطت ذراع كمات الى الأرض وكأنه ثمرة تسقط من شجرة ، فنبعه سقوط الزعيم الزناني الذي حر صريعا . وهكذا استحق كباب بن زيرى أن يخلد اسمه الذي أعطى لباب المدينة الذي دخل منه وخرج ، فهو « باب كباب » . أما عن الأسرى الذين وقعوا بين يدي كباب فقد أمر زيرى بضرب رقابهم وصلب رؤوس فوادهم (٣٠) . وأخيرا يأتي القضاء على تائر بجمل أوراس ، اسمه سعيد بن يوسف ، ولكن على يدي بلكين الذي أرسله زيرى اليه ، وذلك على عهد الخليفة المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) وكان سعيد الذي التقى به بلكين في غربي باغية ، بفحص غزالة ، قد حشد جموعا من قبائل هوارا وغيرهم ، ولكنهم لم يستطيعوا مواجهة قوات بلكين التي هزمتهم وقتلت سعيدا وجماعة من رؤساء جندهم الذين أرسلت رؤسهم الى المنصور ، الذي كافاه على ذلك بتولية تاهرت وأعمالها وكذلك باغاية .

تقييم عهد زيرى :

وتعتبر رواية ابن شداد الزمري التي ينقلها النويري بحذفها أو

(٢٩) النويري ، ص ٣٠٦ .

(٣٠) الزمري ، ص ٣٠٧ .

يكاد ، ان هذه الانجازات الحربية الرائعة هي المقدمة الطبيعية لمقتل زيرى
اذ انها اثارته حسد القبائل ضده ، فجمعت له الجموع ، وكان مقتله سنة
٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م على أيدي منافسيه : جعفر بن علي بن الأندلس وحلفائه
الزناقية ، وعلى رأسهم محمد بن الحارث بن خزر ، مما سبق ذكره (ص ٢٥٥) .
أما عن تقييم عهد زيرى الذي استمر لمدة ٢٦ سنة فتلخصه الرواية الزيرية
في : حسن السيرة في الرعية والتجار ، وان اعتمد سياسة الشدة على
البربر ، كما كاد اعتماده في حروبه يكون على أبنائه الفرسان الأجداد كلهم -
حيث رزق من الأولاد ما يريد على المسائة (٣١) -

وهكذا اعتبر زيرى وكأنه أول ملوك صنهاجة الذين حملوا اسمه ، فهم
الزيريون ، وذلك تأصيلا للملك ابنه بلكين أول نواب الفاطميين في أفريقية ،
وتقنيننا لاستقلالهم ، وانفرادهم بحكم البلاد .

السياسة الداخلية في حكومة القيروان ، من : بلكين الى المعز بن بارس

(٣٦٢ - ٤٠٦ هـ / ٩٧٢ - ١٠١٥ م)

افريقيا الزيرية نيابة فاطمية :

توزيع الاختصاصات بين الأمير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة :

كما اقتطع الخليفة المعز من مملكته الافريقية منطقة طرابلس وما يتبعها من سرت واجنادية وكذلك صقلية وما يتبعها في قلورية (كلايريا) وجوب إيطاليا ، بهدف الحد من نفوذ نائبه بالقيروان ، فانه رأى أيضا ألا يركز السلطات أيضا بين يدي ذلك النائب عن طريق فصل الشئون المالية والادارية في افريقية عن نظر الوالى الأمير ، حيث يتبع عمالها خليفة القاهرة بشكل مباشر . ومع أن السجلات الرسمية لا تشير الى طبيعة ذلك النظام الخاص بتوزيع السلطات ، وكذلك الأمر بالنسبة للأدبيات التاريخية التي لا تعالجه كموضوع خاص ، فانه يمكن الاسترشاد بالوقائع التاريخية فى محاولة لتحديد طبيعة ذلك النظام بشكل نسبي على كل حال .

الادارة المالية :

فالمعروف ان الخليفة المعز عندما استخلف بلكين واستعد للخروج الى المشرق أمر الكتاب أن يكتبوا الى العمال وولاة الأشغال بطاعته ، بصفته الأمير صاحب الكلمة العليا فى افريقية والمغرب كله (٣٣) . وذلك من حيث انجاب الأمن والسكينة على الأقل ، وتقرير حالات الحرب والسلام مع الجيران أو الأعداء ، وذلك انه الى جانب بلكين ولى المعز أيضا : أبا نصر زيادة الله بن عبد الله ابن القديم ، من أسرة بنى القديم ، الذين خدموا فى ديوان الخراج الأغلبى ثم الفاطمى على أيام المهدي (انظر فيما سبق، ص ٦٥ ، ص ٢٢١) نظر الدواوين بسائر الكور ، بمعنى الشئون الادارية بعامة والمالية منها بصفة خاصة . وفى ذلك تقول الرواية ان المعز قال ليوسف (بلكين) عند وداعه : انى تركت زيادة الله بن القديم عوقا لك على جميع الاموال بافريقية ، فكان المقصود

بالدواوين هي الادارة المالية على وجه الخصوص (٣٣) . ولا شك ان المعز استوحى هذا النظام من تراتيب الفتوح الاسلامية الاولى على عهد عمر - اصل النظم الاسلامية - حيث روى الفصل بين امور الادارة والحرب وبين شئون المال ، فجعلت الاولى للامير والثانية للعامل ، وذلك قبل فصل السلطة القضائية عن الوالى (الامير) والمهد بها الى القاضى الذى اختص بها . وهذا ما حدث فى افريقية فعلا ، تطبيقا لمبدأ فصل السلطات الذى عرف فى البلاد المفتوحة على عهد عمر . والذى مارسته الخلافة فى العهدين الاموى والعباسى ، والذى طبقتة الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، فى نظمها المعروفة (٣٤) .

ولما كان من الواضح أن تعليمات المعز هذه كانت عامة غير محددة ، بل ان كثيرا منها كان يتم شفويا ، ربما بقصد الحد من سلطات جميع الأطراف المعنية ، وليس الامير الصنهاجى وحده ، فانها كانت فضفاضة تسمح للوالى الامير بتجاوز حدود اختصاصاته السياسية الى شئون الادارة والمال . فهذا ما يفهم من النصوص التى تشير الى انه عندما عاد يوسف ولكن من وداع المعز فى ١١ ربيع سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ ، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد ، كما سار فى البلاد يباشر الأعمال . ويطيّب قلوب الناس (٣٥) . فكانت ولكن كان يرى ان تراتيب المعز الادارية والمالية تشكل عائقا يمنعه من ممارسته لسلطاته السياسية . هذا ، كما ان تلك

(٣٣) انظر التويرى ، ص ٣١١ .

(٣٤) انظر اتعاظ الخفا للمقرئى ، ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ . حيث تعيين أبى العباس أحمد بن العوام قاضيا للقضاء واعطاه سجلا باختصاصاته ، وهى القضاء والضلة والخطابة يحضرته والمكف فيما وراء القاهرة الخزينة ومصر وأعمالها ، والاسكندرية ، والخرميين ، بورقة ، والمغرب ، وصقلية مع الاشراف على دور الصرب بهذه الاعمال . هذا ، وان ورد نص آخر فى اتعاظ الخفا (ج ١ ص ٢٤٧) يقرر أن الخليفة العزيز حين ولاية القضاء الى مائه بالقرون مذ . أيام ولكن الذى كتب اليه يشاوره فيما يولى القضاء ، فكتب اليه « قد رددت الأمر اليك ، فقل من شئت » .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ . وقانون ابن خلكان (ولكن) ج ١ ص ٢٨٦ . حيث النص على انه عندما استخلف المعز يوسف ولكن يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٣٦١ هـ / ٦ أكتوبر ٩٧٢م وأمر الناس السمع والطاعة له ، خرجت العمال وحياة الأموال باسمه ، وقارن التويرى ، ص ٣١١ - حيث النص على انه عندما عاد ولكن من وداع المعز الى المنصورية فى ١١ ربيع الاول سنة ٣٦٢ هـ . ونزل بقصر السلطان . وأخرج العمال وجباة الأموال الى سائر البلاد ، فكانه مارس السلطتين ، الادارة المالية ، والادارة السياسية .

الثرانيب الهلامية (غير الحديدية) كانت تسمح للتقنيين من عمال الدواوير الادارية والمالية بممارسته انواع من النشاط السياسى الذى يعتبر من اختصاص الوالى الأمير .

انصراف مع عامل الخلافة ، رئيس الادارة المالية : ابن القديم :

كان من بين من عينهم بلكين من عمال المدن (أو ولايتها) فى ربيع الاربع سنة ٣٦٢هـ / ديسمبر ٩٧٢م عامل المنصورية (صبرة) واقبروان جعفر بن ثمرت الذى استقر فى العاصمة بحاميه السكيره المكونه من اعرسان (٣٦) ، الى جانب ابن القديم رئيس الادارة المالية التابع للخلافه مباشرة فى القاهرة . والظاهر انه رغم فصل السلطات ، كان هناك دعوى حمى بين العامل قائد الحامية بالقيروان (ابن ثمرت) وبين العامل مدير الادارة المالية (ابن القديم) ، وذلك ان نجاية الأموال كثيرا ما كانت تتطلب قوة حربية ، كما كانت صيانته الأموال فى بيت المال تتطلب ، سواء كانت فى العصر أو فى مكانه الخاص ، نوعا من الحراسة المسلحة . وهكذا عندما نرى والى القيروان وصبرة (المنصورية) جعفر بن ثمرت ، كتب ابن القديم بذلك الى بلكين ، يطلب منه أن يرسل اليه بدلا منه ليعاونه على أمور البلد (٣٧) . وهنا وقع اختيار بلكين لشغل المنصب السياسى العسكرى ، على تقسى

مخصص فى الشؤون الادارية والمالية - مثل ابن القديم - هو عبد الله بن محمد الكاتب ، الأغلبى أصلا ، والذى شب فى اقليم نفراوة ، فنشأ عالما بالعربية والبربرية ، والذى سقت له الخدمة ، كاتبا (أى وديرا) لدى كل من بلكين ووالده زيرى ، من قبل . والرواية تنص على ان عبد الله الكاتب قبل المنصب بعد تمنع شديد ، تحت التهديد والوعيد . ولا بأس أن يكون ذلك صحيحا على أساس أن الرجل ما كان يود أن يزاحم زميلا له ، وهو فى منصب ليس فى تخصصه ، الا اذا كانت الرواية تقصد المداواة على تدبير خطط له مسبقا لخلق ابن القديم تابع الخلافة فى القاهرة (٣٨) . وهنا تصر

(٣٦) المويرى ، ص ٣١٢ .

(٣٧) المويرى ، ص ٣١٢ .

(٣٨) المويرى ، ص ٣١٢ - حيث النص على استعفاء عبد الله الكاتب من قبل المنصب كعاقبة للقيروان وصبرة مرة بعد أخرى ، وانه لم يقبل الا مرغما تحت تهديد بلكين ورجال الامره البربرية له بالقتل . وانظر التماسط الحسا ، ج ١ ص ٢٢٢ - حيث النص على ان ابن القديم الذى يكتب اسمه فى الشكل د ابن الاديم ، (ربما حسب النطق الدارج) بدلا من ابن القديم ، هو صاحب خراج المعز بالمغرب .

الرواية على أن ابن القديم استقبل رميله عبد الله الكاتب خارج القيروان ، وأن ،رجلين أعربا عن الاحترام المتبادل إذ نرجل كل منهما . ورغم ما نعرفه سرديته من أن لهما صارت واحدة ، فقد كن من الطبيعي أن ينهي الأمر بخلاف الذي يوصف في الرواية الريرية المحلية التي ينقلها النويري «بالقصة العظيمة» (ص ٣١٣) بمعنى الحرب الأهلية الشديدة ، وهو ما يوصفه ابن الأثير الذي يقول أنه كان لكل من الرجلين طائفة من الأعوان انتظموا في شبه تشكيل عسكري ، ودخلوا في حروب ، عدة دفعات (الكامل ج ٨ ، ص ٦٢٢) ، وانتهت تلك الحروب بغلبة عبد الله الكاتب تابع الأمير ، في ربيع الأول سنة ٣٦٤ هـ / نوفمبر ٩٧٤ م ، وبها انتهى ابن القديم ، تابع الخلافة نهاية تعسة في السجن ، أدباً معتقلاً في حبس بلقيش في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٦٦ هـ / ٦ يناير ٩٧٧ م بعد حوالى سنتين من استقلال عبد الله الكاتب وحده بالأمر ، من : سياسية عسكرية وإدارية مالية فكانه الوزير نائب الأمير بالتفويض (٣٩) . ورغم ما تقوله رواية المقرئ من غضب الخليفة المعز عندما بلغه نفاً قبض يوسف بن زيري خليفة على المغرب ، على « ابن القديم » صاحب خراجه بالمغرب ، وتهديد يوسف بالعودة إلى المغرب لاستئصال آل مناد ، بل صنهاجة ، ورغم ما يقول إسماعيل بن إسباط ، رسول المغرب ، من ارتعاد بلقين وانتفاخه ، وامتناله لأمر رد ابن القديم إلى النظر في الحراج ، بعد قراءة السجل سرا مع كاتبه وترجمانه ، وقوله « تفعل والله » ، بل وكتابه يرد « ابن الأديم » إلى نظره ، فقد كان كل ذلك مداراة لا طائل وراءها (٤٠) .

أصداء التخلص من ابن القديم : محاولة إثارة كرامة أنصار الخلافة :

كان من الطبيعي ألا يمر التخلص من ابن القديم ، عامل الخلافة للشئون

(٣٩) أظن النويري ، ص ٣١٣ ، وأن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ - حيث النص - أن يوسف بنكين كان مائلاً مع عبد الله لصحة قديمة بينهما - الأمر الذي يمكن أن يفهم منه أن عبد الله الكاتب شغل المنصب باسم الخلافة الفاطمية - وأن كانت في فترة بالية . ودار ابن عماري ، ج ١ ص ٢٣٠ حيث وفاة ابن القديم في محن عبد الله الكاتب .

(٤٠) انعطاف الحقا ، ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . ويؤيد تشكك بلقين بعزل عامل الخلافة ، مناسه ، ما يقوله ابن إسباط بعد ذلك من سرور بلقين بئياً وفاة المعز إذ ضرب درسه وحركه فائزاً واقعده . وهو يهر رمحه ويصيح : أبليكين ! أمليج ! (اسم أمه) أرمري ! أعود ، وقوله للسعر مرة ، « سمعت مصر من المغرب » وقد صار المغرب والله في أيدينا إلى دهر طويل » .

طلبه ، دون أن يكون له أصدقاء مرعجه بالنسبة ليوسف بلكين . وفي سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م التي قبض فيها على ابن القديم رهن الاعتقال ، قام بحركة ماضية لخصه عبد الله الكاتب على يد واحد من أنصار ابن القديم . وبالنسبة من أنصار الخلافة الفاطمية ، من حيث أن حركته تطورت بعد ذلك إلى ثورة عارمة في بلاد كتامة ، أنصار الفاطميين وأصحاب دولتهم .

بوذة خلف بن خير :

بدأت الحركة في أرض بني هراش ، حيث اعتصم واحد من أفراد القبيلة هو : خلف بن خير الذي كان مساعدا لابن القديم^(٤١) ، بقلعة منيعة هناك ، والتف حوله عدد كبير من سائر قبائل البربر ، كما خرج إليه كل من خالف مع ابن القديم^(٤٢) ، وذلك على التخوم الأفريقية لبلاد الزاب أو لجبل أوراس على ما نظن ، استنادا إلى أن القلعة الثائرة كانت في مجال ولاية عبد الله الكاتب بصفتها وإلى القيروان ، حيث أرسل إلى بلكين يحبره أن أفريقية استوت كلها ولا خوف إلا ممن اجتمعوا مع ابن خير في تلك القلعة . وهنا سار يوسف بلكين إلى المنطقة ولم يستغرق استيلاؤه على القلعة أكثر من ٤ أيام أنهاها بالانتقام من الثوار جزافيا بالأسراف في القتل حتى جمع ٧ (سبعة) آلاف من رؤوسهم ، بعث بها لتشهر في القيروان قبل أن يرسلها إلى مصر^(٤٣) ، ليس لتشهر فقط ، بل للانداز أيضا ، كما نطش . هذا ، كما طبقت عقوبة التقى على كثير ممن نجوا من المذبحة ، كما أخذت كل أفتعتهم كغنيمة^(٤٤) .

وإذا هذه الأعمال الانتقامية التي تعبر عن المرارة والحقد بالنسبة للمتعاظفين مع عمال الخلافة ، وأي خلف بن خير الذي نجح في الإفلات من القلعة أن يتجه إلى بلاد كتامة^(٤٥) على أمل أن يتم الكشف عن حقيقة الصراع كمواجهة صريحة بين الخلافة الفاطمية ونائبها الزيري في أفريقية . ولكنه بمجرد أن وجه بلكين التحذير الشديد ببراءة الدعة ممن يأوى الثائر أو يناصره تحفظ الكتاميون على خلف مع ابنه وخصه من بني عمه ، وأتوا بهم

(٤١) ابن الأثير . ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٤٢) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٣) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٤) أنظر النويري ، ص ٣١٣ ، وحاتم ابن الأثير . ج ٨ ص ٦٢٣ - حيث الإشارة

(٤٥) النويري ، ص ٣١٣ ، وحاتم ابن الأثير . ج ٨ ص ٦٢٣ .

على حرب خلف فقط من القلعة .

الى بلكن فكافأهم على ذلك ثم انه بعث بخلف وقرأيته الى عبد الله الكاتب
الذى شهر بهم وصلبيهم احياء قبل أن يضرب رقابهم ، ويبعث برؤسهم الى
مصر (٤٦) . علامة ائذار مبطل ونحذير على ما نظن .

وهناك تفصيلات تدل على ضخامة تلك الحركة المناهضة للامير الزيرى
الاول باسم الخلافة وتعبير في نفس الوقت عن عجز قيادتها الممثلة في خلف
ابن حير وقدراته . ومن ذلك انه كان يوجد تحت امره خلف الآلاف من العبيد
المنتظمين في تشكيل حرس محارب ، وقعوا كثرمة ناضجة بين يدي بلكن .
وشدة اعجابه بهم احمار منهم ٤ آلاف « شح بقتلهم » ، وأراد أن يجعلهم
ضمن عبيده . ولكنه تخلص منهم جميعا في ساعة واحدة ، عندما بدت
الحياة من واحد منهم . ولكي يعفى بلكن على جرائم النورة في مهدها ، رأى
أن يندر أهل باغاية النى . كانت نائرة منذ ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٣ م (ابن الأثير
ج ٨ ص ٦٤٢) . ائذارا نهائيا ، بصفتها موطن كتامة بالامتيار ، فأرسل اليهم
وفدا من عشرة رجال من أهل القيروان يحذروهم من مغبة الثورة ، ويطلبون
منهم تسليم قلعتهم والا لقوا مثل مصر قلعة خلف ، فنزلوا على حكمهم ،
وخرجوا من المدينة التى أخرج بلكن أسسواوها وتركها مفتوحة
كضواحيها (٤٧) .

تحسين العلاقة مع الخلافة :

واستعادة ولاية طرابلس وضمها الى افريقية :

- وهكذا قضى يوسف بلكن بعنف وقسوة على بواذر أول حركة عصيان.
يشتم منها مشاركة عمال الخلافة في القيروان أو أنصارها في كتامة ، لكي يعود
الى افريقية حيث أناه تبا وفاة الخليفة المعز لدين الله (فى ١١ ربيع الثانى
٣٦٥ هـ / ١٨ ديسمبر ٩٧٥ م) ، وخلافة ابنه نزار العزيز بالله . الأمر الذى
اعتبره نهاية للتبعية لمصر ، وبداية لاستقلاله بالثغر (٤٨) .

ومن الواضح ان بلكن كان قد ازداد قوة بما حققه من نجاحات ضده

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٤٣ ، التويرى ، ص ٣١٣ .

(٤٧) التويرى ، ص ٣١٤ - حيث ضرب العبد ابن عم بلكن فلما منه أنه بلكن نفسه .

فقتله .

(٤٨) أنظر قاسم ، ص ٣٠٤ وهـ ٤٠ .

خصوصه ، سواء في أفريقية أو في كسامة ، كما ازداد ثقة بالنفس ، وكفايه
معى معالجة الأمور ، فهو يحافظ على علاقات الود مع الخلافة بالقاهرة ، وهو
يمجرد أن يأتيه ببا ولاية العرير في القاهرة يسارع في جمادى الثاني
سنة ٣٦٥ هـ / فبراير ٩٧٦ م برسالة هدية - مع تجديد البيعة من غير
شك - ويخرج من رقادة يشييعها (٤٩) . وإذا كانت الخلافة لم تقر مسأله
عزل ابن القديم ، عامل المعز على الخراج ، فالظاهر أنها كانت قد قبلت الأمر
الواقع ، من ولاية عبد الله بن محمد الكاتب كخلف له في القيروان ، بمعنى
عامل إفريقية وكاتب للأمير أو وزير . والقريضة على ذلك هو ما قام به
عبد الله بن محمد في نفس السنة ٣٦٥ هـ / ٧٥ - ٩٧٦ م ، عندما صدرت
اليه الأوامر من بلكين ، بإقامة الأسطول بالمهدية وحشد رجاله من التربة
والبحريين ، وإن كان الأمر انتهى بفشل تلك التعبئة البحرية التي كرهها
الناس عند اضطراب الرجال فهربوا من المراكب بعد أن نهبوها (أنظر فيما
يعد ص ٣٢٨) . ودليل آخر هو ما قام به عبد الله الكاتب ، من جمع تبرعات
أحبارية من أعيان البلاد وأعلامها من الفقهاء والعلماء ، بلغ مقدارها ٤٠٠ ألف
دينار ، أرسلها إلى ديوان الخلافة بالقاهرة (٥٠) ، بهدف اكتساب رضا
المستولين هناك عنه ، وإضفاء الشرعية على منصبه كعامل لأفريقية ، تابع
للخلافة ، وهو ما تدل الأحداث التالية على أنه حصل عليها فعلا . ففي السنة
التالية ، ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م كان يوسف بلكين يستطيع أن يكسب إلى الخليفة
العزير يسأله أن يضم إلى عمله «أفريقية» ولاية طرابلس الشرقية وما ينضاف
إليها من أعمال سرت واجدانية ، وهو ما استجاب له ديوان القاهرة (٥١) .

اخوة بلكين يلجأون إلى القاهرة :

ورغم ما تضيفه الرواية التي يقدمها ابن الأثير من أن يوسف بلكين
استخدم عماله هناك ، وعظم أمره حينئذ ، وأمن من ناحية العزيز ، واستبد
بالمملك (٥٢) ، فإن تحسن العلاقات مع القاهرة كان يسمح لبعض أخوة بلكين

(٤٩) ابن عسار ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٥٠) ابن عسار ، ج ١ ص ٣٣٠ .

(٥١) البويري ، ص ٣١٤ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٦ - حيث النص على رحيل
إلى المعز عليها وهو عبد الله بن يخلف الكاسي ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حيث
تجس الرواية ذلك ضمن أحداث سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م مع ولاية العزيز للخلافة والقرار يوسف
بلكين على ولاية إفريقية كأنها منحة من الخلافة دون أن يسأله بلكين .

(٥٢) الكامل ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

مثل . كباب ومغنين ، ابا زيرى من اهرب سنة ٣٦٩هـ / ٧٩ - ٩٨٠م من قصر بلكين حيث كانا محبوسين ، والالتجاء الى القاهرة مسجيرين بالخليعة ، فيكرمهما العرير ويستضيفهما الى السنة التالية لكي يصرفهما الى بلكين مع أمره بالعمو عنها فلا يكون أمامه إلا السمع والطلاعة (٥٣) .

عبد الله الكاتب يؤلف حرساً من العبيد السود :

هذا ، ولو انه عندما وصلت رسالة من ديوان الخلافة بالقاهرة في سنة ٣٧١هـ / ٨١ - ٩٨٢م ، وقتما كان يحارب الزنانية في المغرب ، تطلب من يوسف بلكين أن « ينحير ألف فارس من اخوته الأبطال بصنهاجة » ، منهم : حبوس وماكسن وراوى وحمامه » ، بنو زيرى ويرساهم الى القاهرة ، رد بلكين مستعفياً من ذلك بسبب « تغلب بنى أمية على الغرب ، وان الدعاء لهم على المناير ، وانه يحاربهم بهم مع التهديد المطلق بـ « برك الغرب والمسير معهم الى الخليفة » (٥٤) . كما كانت العلاقة بين الخليفة وناثبه فى القيروان تسمح ، بعد لعبد الله الكاتب أن يظهر ، خلال خمس سنوات من تكوين حرسه السودانى الكبير ، أى فى سنة ٣٧٣هـ / ٨٣ - ٩٨٤م ، وهى السنة التى توفى فيها أبو الفنوح يوسف بلكين وكأنه أمير متوج . فلقد أحاط نفسه بأعداد ضخمة من العبيد السودان الذين اشتراهم مباشرة من أسواق النخاسة أو الذين مرضهم على من كان تحت امرته من الموظفين فى عمالة الخراج وغيرهم ، حيث فرض على كل واحد منهم أن يقدموا له ما بين عبد واحد وثلاثين عبداً ، كحد أقصى حتى اجتمع له الألوف منهم (٥٥) .

عبد الله الكاتب مركز قوة يغشى أمره فى القيروان :

وهكذا بينما كان بلكين يقضى وقته فى حرب الثوار فى المغرب الأقصى ، ومجاهدة الرنادقة كان عبد الله الكاتب يمارس ترف الانتقال من القيروان الى المهدية ، مركزه الصيفى حسب عاداته كل عام ، مستخلفاً مساعديه : جعفر بن حبيب على المنصورية وبرهون على القيروان ، بينما كان المنصور وفى عهد بلكين ، تتلقى من أشير نساء وفاة والده ، الذى أودى به مرض.

(٥٣) اس عدارى ، ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وقرن اعماظ الختماء - ج ١ ص ٢٥٣ -

(٥٤) اس عدارى ، ج ١ ص ٢٣٨ ، وأقطر سما يأتى ، ص ٢٤٥ -

(٥٥) اس عدارى ، ج ١ ص ٢٤٨ -

اثولنج (القولون) ، وهو في طريق العودة من سجلماسه ، بعد أن أكد سلطانه في المغرب الأقصى ، وذلك في موضع واركسلان (وارجلان) من صحراء المغرب الاوسط ، يوم الاحد ٢٣ ذى الحجة ٢٧٣ هـ / ٢٦ مايو ٩٨٤م (٥٦) .

وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يكون أول رد فعل لذلك عند المنصور بن بلكين هو التفكير في القبض على عبد الله الكاتب ، أثناء وجوده بالمهدية - تخلصا من عبء موالاته . ووقعت المهمة على عاتق أخيه يطوفت الذي خرج من أشير مسرعا نحو القيروان حيث فاجأ نائبى عبد الله ، وجعفر ابن حبيب وبرهون ، قبل فجر الثلاثاء ١٥ محرم ٣٧٤ هـ / ٩٨٥م ، وكان أول ما فعله يطوفت هو التأكد من سلامة بيت المال الذي كان مقفلا ، وسلامة ما كان فيه من الخزائن المتعلقة ، ثم انه أحد الماتيج وصرق على أصحابه من المال والسلاح ، وخرج بهم لينتفض على عبد الله وهو في طريقه من المهدية نحو القيروان ، ونهب متاعه ، واعتقاله بالمنصورية . والظاهر ان المنصور نسه الى انه لم يكن من حسن السياسة التعجيل بالتخلص من رجل الخلافة ، والى افريقية ، فراجع عن تنفيذ مخططة ، وأمر باطلاق سراح الكاتب ، فورير ، مع ايقافه عن العمل لبعض الوقت ، فل أن يعيد اليه كل صلاحياته . مع الاعتذار له باستنكار ما فعله أخوه به (٥٧) . ولكنه عندما أتى وفد افريقيه من مشايخ القيروان والقصصاء وكبار حاة الخراج ، وعلى رأسهم عبد الله الكاتب ، ممثل الخلافة ، من أجل أداء واجب العزاء ، رأى المنصور بعد أن أحسن استقبالهم ، وأمر عبد الله الكاتب باعطائهم ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، أن يعمر لهم أو لصمد الله خاصة ، عن حقيقة تقديره لطبيعة حكم الرييين في افريقية وتقييمه لطبيعة العلاقة بين القاهرة والمنصورية . ففي خطابه التوديعي لهم قال : « ان أبى وحدى أخذنا الناس بالسيف قهرا ، وأنا لا أخذ الا بالاحسان ، وما أنا في هذا الملك ممن بولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لأنى ورثته عن آيائى وأحدادى ، وورثوه عن آبائهم وأحدادهم خير » ، أو كلاما

(٥٦) الزيرى ، ص ٣١٤ - حيث ، لخص على أنه ربما عاش أيضا من حنة (أو شره) ، خرجت في يده ومات بها ، ان الأثير ، ج ٩ ص ٢٤ ، ان عدارى ، ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
حيث لخص عن أنه توفي في موضع « واركسلو » يوم الاحد ٢١ ذى الحجة وليس ٢٣ ذى الحجة .

هذا معناه (٥٨) . وإذا كان نص ابن الأثير لا يشير إلى وراثة الزيريين للملكهم عن طريق الحميريين ، ملوك العرب القدماء ، فإنه يعقب على النص قائلا : « يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب » ، بقصد التقليل بالتالي من شأن سجل العهد بالولاية الذي كان يأتي من القاهرة (٥٩) .

المنصور يصحب عبد الله الكاتب إلى آشير :

والظاهر أن المنصور قرأ القول بالعمل ، وإن فضل سياسة الخطوة خطوة ، كما يقال ، في سبيل تحقيق ما كان يراه من حق في الاستقلال . فلقد ترك آشير وذهب إلى رقادة التي وصلها يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ٣٧٤هـ / ١٧ ديسمبر ٩٨٤م ، لكي يقيم هناك لمدة أكثر من ٥ (خمسة) أشهر إلى ٢٧ دى الحجة / ٢٢ مائة ٩٨٤م ، وهو يصطحب معه إلى آشير عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . وعند قدوم المنصور خرج عبد الله الكاتب مع وجوه أهل العاصمة لاستقباله ، فوعدهم خيرا . وخلال إقامته أتاه عمال البلاد بالهدايا مما تصفه الرواية « بما لا يحيط به الوصف » ، الأمر الذي دعا المنصور إلى التفكير بدوره في تقديم هديه حليلة إلى الخليفة بالقاهرة ، بلغت قيمتها حسبما تباليغ الرواية من غير شك مليون دينار (٦٠) .

ومن الواضح أن استصحاب المنصور لعبد الله الكاتب معه إلى آشير يمس حرمانه من ذلك الاستقلال الذي كانت تهيئه له فرصة وجوده في القيروان كممثل شرعي للمخالفة بالقاهرة . مع امكانية السيطرة على ابنه يوسف نائمه في القيروان ، بعد أن يجد نفسه مجردا من سنده ، جواز والده .

(٥٨) ابن عساري ج ١ ص ٢٤٠ ، وقارن البويري ، ص ٣١٧ - حيث بعض الاختلاف الشكلي في الرواية ذات الأصل الواحد .

(٥٩) الكامل ، ج ٩ ص ٣٤ .

(٦٠) البويري ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ابن عساري ، ج ١ ص ٢٤٠ - حيث النص على أن الهدية سارت مع درواش من مصر إلى مصر ، وأن قبلة ما فيها من الأمتعة والدواب والطرف ألف ألف دينار عينا .

يوسف بن عبد الله يساعد الداعي أبا الفهم *

هكذا ، ولو أن يوسف بن عبد الله الكاتب كان يستطيع في سنة ٣٧٦ هـ / ٨٦ - ٩٨٧ م أن يقدم ، بموافقة والده ، خدماته المزدوجة لكل من الخليفة بالقاهرة ، والأمير المنصور بأشهر ، رغم ما في ذلك من التناقض . فهو يساعد الداعي أبا الفهم حسن بن نصر الحراساني الذي وفد من القاهرة ، على الذهاب الى كنامة بهدف إثارة قبائلهم ، في محاولة من الخليفة العزيز بالله لاسترجاع إفريقية من المنصور ، حينما تقول رواية ابن الأثير (٦١) ، عن طريق امداده بالخيول والمال . ونجح أبو الفهم فعلا في إثارة كنامة الذين اجتمعوا اليه لحساب الخلافة ، ومكنوه من جمع العساكر واجداد البنود بن وضرب إسكّة ، أحد شعارات السيادة ، حتى صار حطرا على دولة المنصور (٦٢) ، الأمر الذي سيحفزه الأمير الريزي بوريه اسكاتب عامل الخلافة .

حدث هذا بينما كان يوسف في نفس الوقت يلبي مطالب المنصور من حيث البدء (في سنة ٣٧٦ هـ) في بناء قصره الكبير الذي كان قد طلب بنيه سنة ٣٧٥ هـ / ٨٥ - ٩٨٦ م وذلك بالمنصورية ووفق عليه من مال الخراج ١٠٠ ألف دينار (٦٣) . ولم يستغرق البناء طويلا إذ نزل المنصور قصره الجديد هذا ، عندما أتى من أشبر الى إفريقية في ١٥ محرم سنة ٣٧٧ هـ / ١٨ مائة ٩٨٧ م التاليه - بينما نزل عبد الله الكاتب وكبار القواد حوله ، في بعض المباني ، وربما في الخيام واسراقات أيضا .

عبد الله الكاتب داعيا للدعاة :

وإذا كانت النصوص لا تشير الى موقف الخلافة من زحزحة عامل إفريقية التابع لها من مقره بالقيروان ، واتخاذ كاتبا للأمير بأشهر ، فانه مما يلعت النظر أن تصل الى المنصورية في ذلك الوقت ، كتب الخلافة تخبر المنصور بترقية عبد الله الكاتب الى مرتبة الداعي ، مع الأمر باتخاذ الاجراءات المناسبة لتنفيذ القرار . ويتضح من النص أن مرتبة الداعي كانت موقعا ساميا في

(٦١) الكامل ، ج ٩ ص ٥٥٢ . أحداث سنة ٣٧٧ .

(٦٢) ابن عذاري ، ج ٩ ص ٢٤١ . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(٦٣) ابن عذاري ، ج ٩ ص ٢٤١ ، وقارن الويري ، ص ٣١٨ - حيث يتصاعف المبلغ

بكثير من المبالغة الى ٨٠٠ ألف دينار .

سلم الوظائف الخلافية ، وبالتالي في المملكة الزيرية ، بفضل صنيته الدبية
اننى يدح فى احتصاصها أخذ البيعة للخليفة من الأمير وأفراد أسرته ،
وهو ما حدث فى الموضع المعروف بـ « قصر الحجر » من قصر السلطان
والذى مرش خصيصا للمناسبة بأمر المنصور ، فى يوم الاثنين ٧ من جبادر
الآخر / ٥ أكتوبر ٩٨٧م (٦٤) .

وتقول الرواية انه لما تم لعبد الله أخذ تلك البيعة ظهرت عليه بوادر
اليدوء والراحة ، اد مسح على رأسه ، وقال : « الآن قد حصلت من العمل ،
وأست على شعري وبشري » ، وان كان السورى يعلق على ذلك قائلا :
« وما علم ان دت سبب هلاكه » (٦٥) . ولا بأس أن يكون فى ذلك إشارة
أيضا الى مصير اداعى الآخر : « أبى اعهم الحرسانى » الذى كان يبر
كنامه وقتئذ بدبير من يوسف بن عبد الله الكاتب ، وبموافقة والده عبد الله
فى السنة سبقة ٢٧٦هـ / ٨٦ - ٩٨٧م ، مما سبقت اليه الإشارة
(ص ٣١١) .

التخلص من اسكاتب داعى الدعاة :

والهم ان عبد الله الكاتب ، بوصونه الى منصب الداعى ، بلغ ما
يلعبه قرابة المنصور ورجال دولته ، فلقد بلغت به الامة والاعتزاز بالنفس
الى حد انه لا يدارى أحدا من أبناء زيرى ، عمومه الامير ، الأمر الذى اثار
عليه الاحتاد حتى من اقاربه المقربين له ، مثل : ابن حاليه حسن الذى قدح
فيه ، واتهمه بمكاتبه وزير الخلافة « ابن كلس » وانه السبب فى خروج
اداعى أبى اعهم واثارته لكنامه ، فى محاولة للغدر بالمنصور . ويصرف
انتظر عن صحة الاتهام أو اصطناعه ، فقد كان من الطبيعى أن يخشى الامير
مراحمه رجل الدولة الكبير ، صاحب الصلة القوية بالقاهرة ، من حيث كان
يجتمع ما بين عمالة أفريقية ، وهى الوطيفة الخلافية ورقاسة الكناية وديوان
الحاتم بمعنى وزارة الأمير الزيرى ، فطلب منه أن يعتزل عمل أفريقية ، وهو
ما رفضه رجل الدولة العنيد ، معلنا لصاحبه : « الفتلة ولا العزله » .
فكان عبد الله الكاتب قرر مصيره التمس بنفسه ، حيث مات قتيلا بطعنات
الرماح من قبس الأمير المنصور وأخيه عبد الله وهو واقف يغطى وجهه
بأكنامه ، ويقول : « على ملة الله ورسوله » ، كما لقي ابنه يوسف نفس

(٦٤) الزيرى ، ص ٣١٩ .

(٦٥) الزيرى ، ص ٣١٩ .

المصير صائحا مذعورا ، على يد المنصور وعمه ماكسن بن زيري ، وذلك يوم
الاحد ١١ رجب سنة ٣٧٧هـ / ٨ نوفمبر ٩٨٧م *

وحفظت القضية التي أصبحت غير ذات موضوع ، عنده جيء بقاضي
القيروان والشيوخ وأعدوا ان المسألة لا تتعلق بخيانته في المال أو مساس
بالشرف ، بل قضية من قضايا السيادة والسياسة ، حيث خشي الأمير على
نفسه فتخلص من غريمه - وهو التبرير المقبول - فدعوا له بطول العمر
وانصروا . وبذلك انتهت قصة رجل الدولة الذي ارتفع عاليا لكي يسقط
من حائق ، ودفن هو وابنه يوسف بغير غسل ولا كفن ، مثل الشهداء
أو كبار المجرمين ، لا ندري (٦٦) .

ردود الفعل لقتل الداعي الكبير :

الحرس الأميري ينهب الضواحي :

ومن الأمور المستغربة انه عقب مقتل الوزير الكاتب ، مركز القوة
الكبير وابنه يوسف ، دار العسكر على الناس في القيروان ينهبونهم
ويسبونهم ، كما خرجوا الى الضواحي في وادي القصارين وباب تونس حيث
نهبوا ما كان هناك من أبواب القماش والنسيج ، مثلما عرجوا على الطرقات
يقطعونها ويأخذون أموال المسافرين وأمتعتهم ، الأمر الذي راح ضحيته كثير
ممن حاول الدفاع عن نفسه أو عن أمواله (٦٧) . فكان المسألة كانت من جانب

(٦٦) أنصر الويري ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ - حيث تأخذ المسألة شكل القدرية أو الحتمية
الباريحية ، عندما يسبب الى عبد الله الكاتب أنه كان يتمثل يوم مقتله بيت الشعر الذي
يقول :

ومن يامن الدنيا مثل قابض على الماء حاشته مروج الأصابع
وقارب ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٢ - حيث نفس الرواية وان أختلف بعض تفصيلاتها
مع تكرار تداولها بين الرواة والكتّاب ، فبدلاً من بيت الشعر الذي يمثل به عبد الويري
والذي يدعو الى عدم الثقة في الدنيا كان عبد الله عندما تذكر له المنصور يتمثل ببيت
شعر بشير اني تطوره الحساد الهدامين ، مهما قر عددهم ، بالنسبة للنسائي المأمونين مهما
كثروا ، وفيه .

أرى القاب بأن لا تقوم لهادم فكيف بيان حوله القاب هادم
كما كان عبد الله الكاتب ينتظر قبي ديوانه ويده حرة من القرآن يقرأ فيه ، وأنظر
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥١ - حيث الإشارة السريفة الى مقتل عبد الله الكاتب دون استطرادات
قصصية مثيرة .

(٦٧) الويري ، ص ٢٤٣ .

الدولة عملية ارحاب رسمية لأهل القروان ، حتى يقبلوا بالأمر الواقع . وبعد عبد الله ولي أعمال أفريقية ، من قبل أبي الفتح المنصور ، يوسف بن أبي محمد الذي كان عاملاً لمدينة قفصة ، فخرج لتقلد منصبه وهو يرتدي خلع المنصور ، وتقدمه البنود والطبول ، وذلك في يوم الخميس ٢٥ شعبان ٣٧٧هـ / ٢١ ديسمبر ٩٨٧م وكان مقره دار القائد جوهر (٦٨) .

توتر العلاقة مع الخلافة وانتفاضة كتامة مع أبي الفهم :

ولا شك أن أقدام المنصور بن بلكين على قتل عبد الله الكاتب كان يعنى تارم العلاقات بين القاهرة والقيروان ، بسبب ما أثاره الداعي أبو الفهم من الاضطراب في بلد كتامة ، بصفه داعياً من قبل العزيز بالله ، وهو ما اعتبره المنصور خطراً يهدد كيانه بشكل مباشر ، وهو ما أعلنه قاضي القيروان والمشايع عندما اقروا نصرته . وإظهار أن المنصور أراد أن يسوى المسألة عن طريق اجراء ما تستخدمه الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، فأرسل إلى العزيز بالله يعرفه بخطورة الداعي ، ولكن العزيز رد عليه برسالة مبعوثين ينهيانه عن التعرض لأبي الفهم وكتامة ، الأمر الذي أثار الأمير المنصور ، إلى حد أنه لم يكتف بأن يعزل المرجلين ، بل وللعزيز أيضاً (ما بعد ص ٣٣٢) .

وبعد أن أقام السفيران لديه طوال شهرى شعبان ورمضان في سنة ٣٧٧هـ / ديسمبر ويناير منعهما من المسير إلى كتامة ، وذلك أنه كان قد قرر أن يعالج مسألة الداعي بنفسه ، وأن يلحق أهل الخلافة درساً يمكن أن يكون حاسماً بالنسبة لتحديد العلاقات بين الطرفين . فلقد حشد المنصور عساكره ، وخرج بهم متشاقلاً نحو كتامة ، مصطحباً معه سفيري القاهرة « الدين كاتا مرودين بتعليمات من الخلافة لزيارة أبي الفهم » . فلم يدخل بلد كتامة إلا وقد دخلت سنة ٣٧٨هـ / إبريل ٩٨٨م . وعلى طول الطريق من صلة إلى سطيف ، انطلق رجال المنصور يخربون « القصور والمنازل » حتى استسلمت كتامة ، وسلمت أبا الفهم الذي عذب قبل أن يقتل ويمثل به بطريقة همجية قصد بها ألا تنبر الفرع في قلوب الكتامين - الذين نزل بهم الذل والهوان - فقط ، بل وأن تنبر التفرز والهلع في دوان الخلافة . فلقد عاد المنصور إلى أشير ، بعد اجراء عملية تطهير في كتامة راح ضحيتها عدد

(٦٣) التويرى . ص ٢٤٣ ، وكارن ابن عمارى ، ج ١ ص ٢٤٥ - حيث يوصف الرجل بالاشغال بالاكل والشرب وحب الورد .

من وجوه الدعاء . ومن هناك أعاد السعيرين الفاطميين إلى القاهرة لكي يعدل
استثوين هناك أنهم أتيا من عند « شياطين يأكلون لحوم البشر » (٦٩) .

رد بين الخلافة مع مبادل للمرسائل والهدايا :

وكان رد الخلافة لينا يهدف إلى استبدته والمصالحة ، إذ أرسل العرير
إلى المنصور يطيب قلبه . وأرسل إليه هدية ، ولم يذكر له أبا العهم (٧٠) .
أما عن ثورة كتامة في السنة التالية ٣٧٩هـ / ٨٩ - ٩٩٠م حيث ثار أبو الفرج
الذي ادعى أنه من أولاد القائم بن المهدي ، فليس فيها ما يشير إلى تدخل
ما من قبل الخلافة (٧١) . وبذلك أصبحت ولاية إفريقية عمالة خاضعة للوالي
الذي استقل بها دون الخلافة . وهكذا كان للمنصور أن يعزل يوسف بن
أبي محمد عن العمالة ، وأن يولي مكانه محمد بن أبي العرب الكاتب ، سنة
٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٩٣م . بينما كان العزيز بالله يرسل له سبجلا بولايه عيده
إلى ابنه أبي مناد باديس وهي المناسبة التي أشاعت السرور في نفس
المنصور . وكانت مناسبة لكي يتلقى الهبات مع الهدايا من مختلف
البلدان (٧٢) ، من الداخل والخارج . ففي نفس سنة ٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٩٣م
وصلت إلى المنصور هدية فيها زرافة من بلاد السودان (الأوسط - كما
نرى - حيث تشاد وما وراءها) (٧٣) . كما وصلت من مصر هدية أخرى مع

(٦٩) انظر البويري ، ص ٣٢١ - حيث الرواية التفصيلية التي تظهر في من الأثر .
ج ٩ ص ٥٢ - ٥٣ تحت عنوان معبر : عن سير المنصور لمحرب كتامة ، وقارن ابن عداري ،
ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ - حيث الرواية حسنة التلخيص أيضا . وانظر انماط الحقا ، ج ١
ص ٢٦٣ ، وفيما بعد ، ص ٣٢٣ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - حيث الإشارة إلى أن ثار الفرج عمل أكثر مما شك

أبو العهم .

(٧٢) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ - حيث يصح
ذلك في سنة ٣٨١هـ / ٩١ - ٩٩٣م ، ويصف المنزول بأنه صاحب ، طريقة نائب المنصور
في البلاد .

(٧٣) انظر عداري ، ج ١ ص ٢٤٦ - حيث النص على أن المنصور خرج لاستقبالها
وأبها دخلت بين يديه ، وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٧٨ - ٧٩ - حيث النص على أن
الهدايا وصلت بمناسبة شتان ولده باديس ، وإن هدية الزرافة أتت من قبل ابن أشطاب
مامله على رواية (باب السودان الأوسط أي تشاد حاليًا) ، إلى جانب هدية عامل شرابلس
التي حوت ٣٠٠ حمل من الخيل السودي والظائف المشرق .

جعفر بن حبيب ، سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ، فيها فيل عظيم (٧٤) ، بمعنى وجود علاقات طيبة أيضا ، وتبادل هدايا بين مصر والسودان النيل من حيث وفد هذا الفيل العظيم . وفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م كان المنصور يولى يوسف بن أبي محمد ، الذى يصفه ابن عذارى هنا بالقائد ، عاملا على مدينت مسيجة (٧٥) .

وبذلك حتم المنصور حكمه فى ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦م ، والعلاقة حسنة بينه وبين الخلافة ، حيث ولى ابنه باديس ، وهو متمتع عند سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، بشرعية ولاية العهد الخلافية من قبل العزيز بالله الذى قدر له أن يموت مع المنصور وفى نفس السنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ويخلفه ابنه الحاكم بأمر الله ، الأمر الذى كان يتطنب تجديد كل من العهد والبيعة .

والحقيقة ان باديس كان قد هبها هدية سيرها الى رقاده مع القائله جعفر بن حبيب فى ١٦ رمضان / ١٣ أكتوبر . ولما كان قد أرسل فى طلب القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر - ربما لحاجة الخلافة الى الاستعانة به فى القضاء ، كما سبق وأن طلب المعز أخوة بلكين ، أبناء زيرى ، مع فاروق أنه على عكس ما حدث فى المرة السابقة ، فان باديس كان حريصا هذه المرة على تلبية رغبة العزيز . ورغم أن حالة القاضى الصحية لم تكن تسمح له بالسفر فان الأوامر صدرت فى ٣ شى القعدة لرجال بحمله قسرا ، تحت اشراف عامل افريقية ، محمد بن أبى العرب ، فأخذ بشيابه المنزلية محمولا على بساطه ، وأهل بيته يتبعونه نحو رقادة حيث الهدية المسافرة الى مصر . والعساكر على باب أبى الربيع على أهبة الاستعداد للتدخل اذا ما حاول أهل القبروان الاحتجاج . ولم تلبث سحابة الغم التى غلبت على الناس أن تقشعت عندما أتت الأخبار بوفاة العزيز - فكانت وكأنها كرامة أكرم الله بها القاضى الذى عاد الى داره - بعد تأجيل مسير الهدية (٧٦) .

الشرىف الباهرى يأخذ البيعة على باديس وصنهاجة :

والهم ان سجل ولاية أبى مناد باديس مع تلقية ب «بصير الدواة»

(٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٧٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ .

وصل من القاهرة في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٣٨٧ هـ / ٦ أبريل ٩٩٧ م ، مع سجل ثان ب وفاة العزيز نزار ، وولاية الحاكم والجواب عن وفاة المنصور ، والعراء عن العرير وعن المنصور ، وذلك في معية الشريف الداعي : علي بن عبد الله العنوي المعروف بالباهري (٧٧) ، والذي كان حمل سجلا ثالثا بالبيعة على باديس وأهله من بني مباد لل خليفة الجديد الحاكم . ورغم ما نقله الرواية من أن وصول الداعي صادف عرضا عسكريا لرجال باديس من فرسان ورجاله ، كان باديس قد أعد في صفوف محتشدة امتدت من باب القصر بالمنصورة حتى باب قلشافة ، الأمر الذي لم يسبق للداعي أن رأى مثله ، فلا بأس أن يكون باديس قد انتهز الفرصة للقيام باستعراض قوة يمكن أن يتحدث به الداعي اثر عودته الى القاهرة .

والمهم ان باديس أحسن وفاده الشريف فأثرله بدار الأمير يوسف بحوار القصر الأمير ، وذلك استعدادا لعقد البيعة ، حيث جلس الأمير وأحضر له أبو مباد ، وسائر زعماء قبائل صنهاجة ثم استدعى الشريف الذي أخذ عليهم البيعة . ومن الواضح أن هذه كانت بيعة الخاصة التي بيعتها بيعة العامة ، حيث كان يجلس الشريف الباهري في الدار المخصصة له ، ويستقبل الوافدين الذين كان يأخذ بيعتهم ، من الصنهاجين وغيرهم . هذا ، كما أحاط باديس الشريف الداعي برعايته ، فوصفه بمبلغ كبير من المال ، وتحوت ثياب ، وبراديس بسروج محلاة - كن ذلك هدية خاصة له . أما عن هدية الخليفة الحاكم فقد جهزت لكي تتبعه بعد ذلك الى مصر (٧٨) . وجاءت هدية الخلافة المقابلة من مصر في السنة التالية (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) ، وكانت تحوى الأعلاق النفسية من الجواهر وغيرها ، وخرج نصير الدولة باديس لاستقبالها والدخول الى المنصورة ، وهي تتقدمه في موكب احتفالي كبير (٧٩) .

(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٤٨ ، وقارن البويرى ، ص ٢٢٤ - حيث نسب « البهري » بدلا من الباهري .

(٧٨) البويرى ، ص ٢٢٤ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ .

احوال الافاليم اشرفية في طرابلس وبرقة :

الخلافة تحاول استرجاع طرابلس :

وبكنه لم تكد تسبح فرصه للخلافة الفاطمية لاسترجاع ولاية طرابلس ، بعد فترة وجيزة ، الا واستهزئته . ففي سنة ٢٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، وببما كان باديس يعاني من انقسام بنى زيرى ، وخروج كثير من عمومة ابيه عليه ، اذ بالأمور سعمقد بثورة فلفل بن سعيد الرناى الذى تحالف مع بعضهم ، واتصل فائيه بطرابلس تموصلت بن بكار بالخليعة الحساكم فى القاهرة ، وعرض عليه تسليم مدينة طرابلس والالجهاء ابيه . فما كان من الخاتم الا ان أمر واليه على يرفه ، وهو القائد ياسر الصغلى بالمسير الى طرابلس وسلمها ، وهو ما حدث فعلا فى نفس السنة (٨٠) .

وفوجيء باديس بهذا الأمر ، واتصل بيانس يسأله ان كان معه عهد من الحاكم بالولاية ولما لم تقعه اجابة يانس المراوغة من أنه انما اتى الى طرابلس معينا ونجدة ، وان مثله لا يطلب منه عهد بولاية سير اليه حشما النقى به خارج طرابلس . وانتهى اللقاء بمقتل يانس واعتصام أصحابه داخل المدينة التى ضربت عليها قوات باديس الحصار (٨١) . واستجاب الحاكم لطلب المدد من رجاله وسير اليهم جيشا بقيسادة يحيى بن على بن الأندلسى ، وبصحبته القائد زيدان الصغلى متزفقا على الششئون الادارية والمالية للحملة (٨٢) . وتنازمت الأحوال عندما وجعت خزانة برقة التى كان عليها أن تمتد الحملة بالمال ، خاوية . فاضطرت الى الاعتصام هى الأخرى بأسوار طرابلس ، وذلك فى ٩ ربيع الأول سنة ٣٩٢ هـ / ٢٧ يناير ١٠٠٢ م

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارن القريزى ، العاظم الحما ، ج ٢ ص ٣٤ - حيث الإشارة الى وصاية مرحوان على الحاكم وتسييره لأمور دولة الحاكم على مستوى العلاقات الشخصية حيث يتخلص من يانس الصغلى لانه ثقل عليه ، وأمره بالمسير الى طرابلس لأن واليه لباديس وهو تموصلت بن بكار يرعب هو المسير الى مصر - مع خطأ فى تاريخ تسليم يانس طرابلس فى ١٥ جمادى سنة ٣٧٠ هـ / ٢٧ نوفمبر ٩٨٠ م بدلا من ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ وقارن ، العاظم الحما ، ج ٢ ص ٣٧ - حيث النص على ان مرجواو عقد لياس على ولاية طرابلس العرب وأأنه وصل اليها فى ١٥٠٠ فارس عندما مزم وقتل .

(٨٢) أنظر ابن عدارى ، ج ١ ص ٢٥٦ .

وقتما كان فلعول بن سعيد مسئوليا عليها منذ فترة وجيزة (٨٣) .

والهم ان رما المبادرة آل الى قفل الذي اراد انتهاز الفرصة واستغلال القوة العاطفية في محاولة جريئة لدخول افريقية تحت غطاء الشرعية الخلاوية ، ولكنه لم يقدر لذلك التحالف النجاح أمام قايس التي وصلوا اليها في السنة التالية (٣٩٣ هـ / ٢ - ١٠٠٣ م) ، ربما بسبب عدم الانسجام بين زيدان الصقلي وقفل ، وان كان السبب الواضح هو نقص المال الذي وقع عبء تديره على زيدان الصقلي ، وبالتالي التقصير في اعطاء الرجال الذين تبعد الكثير منهم ، حتى اضطر يحيى بن علي بن الأندلسي الى العودة بالبقية الباقية منهم الى مصر ، والتعرض لمخاطر مساءلة الحاكم وسخطه ، وان نجح في اقناعه بقبول عذره (٦٤) . وبذلك خلصت طرابلس الى قفل بن سعيد الذي استوطنها حتى وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م ، واستعادتها في نفس تلك السنة من أخيه وروا بمعرفة بأديس .

١٠ أبو ركوة والثورة الزناتية في برقة :

أما عما واجهه الحاكم من المتاعب في برقة بسبب ثورة أبي ركوة التي انتشرت فيما بين سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، حيث تم الاستيلاء على برقة بمساعدة عرب بني قره وبربر لواته وزناته ، وسنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٧ م ، حيث كان الدخول الى مصر في محاولة فاشلة ، اسدرج فيها الثائر الذي اتخذ النقب الخلفي « الناصر لدين الله » ، الى شرك أحكام نصبه له فوقع فيه مستجيبا الى الحديعة . بينما كان بأديس منشغلا بأحوال المغرب ، من : « انقسامات بني زيري ، وتدخلات العامين الأندلسيين » . فلقد رأس الثورة دعوى أموى أندلسي ، بدأ ، كما هي العادة في الثورات الاسلامية التي تبحث لها عن تبرير شرعي ، كأمير بالمعروف ، ونجح في جمع قبائل برقة حوله ، وخاصة الزناتية منها ، وعندما حقق النجاح على القوات التي بعثها الحاكم

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارب انطاخ انكما . ج ٢ ص ٥٢ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٦ - حيث النص على مسئولية زيدان الصقلي فيما حل بالمملكة من الفشل ، إذ يوصف بسوء العقل وضعف المدير ، الأمر الذي أدى الى اختلاف العسكر ، واستخفاف فلعول بن سعيد به بل واحتقاره .

(٨٤) ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٧٧ - حيث النص على سوء محاولة قفل واستيلائه على تحويل المصريين وعددهم الى جانب قلة المال ، وان الحاكم أراد قتل يحيى ثم انه عفا عنه .

الى بركة النى استولى عليها فى رجب سنة ٣٩٥ هـ/ابريل ١٠٠٥ م تداعى اليه الربر من كل صوب وحذب (٨٥) . وادا كانت الروية تشير الى أنه أغرى الربر بفتح مصر ، فلا بأس أن يكون القحط والسلاء ، وما تبعها من الوباء العظيم الذى ضرب أفريقية سنة ٣٩٥ هـ/٤ - ١٠٠٥ م (٨٦) ، من الأسباب التى شجعت على قيام الحركة فى بركة كمحاولة للهجرة الى مصر قبل أن تكون فتحة .

وهكذا كانت العلاقات تتأرجح بين الخلافة الفاطمية والسياسة الزيرية ما بين الصعود والهبوط تبعا للطروف ومعنى الأحوال ، خلال العقود الأربعة منذ انقال المعز الى مصر وحى خلافة الحاكم ، حيث بلغت حدا من التمدنى سمح باستخدام الانتهازية والغدر فى سبيل تحقيق مكاسب عابرة ، مثل : محاولة استعادة ولاية طرابلس ، بل والتعدى على أفريقية نفسها بحصار قابس بالتعاون مع الزناتية ، وهم الخلفاء المنقلبون دائما .

فلعل بن سعيد الزناتى فى طاعة القاهرة ، وملجأ لأبناء الكاب :

وفى اطار تقلب المواقف بين الأطراف المختلفة كان يحالف القسوات الفاطمية مع فلعل بن سعيد فى طرابلس بمثابة اعتراف من جانب القاهرة بشرعية وجود الزعيم الزناتى فى طرابلس ، فكأنها استردتها من الربريين الذين عهد بها اليهم فى أول خلافة العزيز ، وعهد بها الى فلعل سنة ٣٩٢ هـ/ ١٠٠٦ م ، على عهد الحاكم - الأمر الذى استمر الى سنة ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م . فهذا ما يفسر من جهة كيف أنه بعد وفاة عامل أفريقية محمد بن أبى العرب سنة ٣٩٦ هـ/١٠٠٥ م (٨٧) ، خلفه ابنه القاسم بن محمد بن أبى العرب ، الذى أقر العمل على ما كان عليه أيام والده فلم يغير مساعديه ، وذلك سنة ٣٩٧ هـ/١٠٠٦ م (٨٨) ، فكان عمالة أفريقية قد صارت هى الأخرى وراثية ، كما هو الحال بالنسبة للسياسة فى الولاية الزيرية ، بل وتحت الاشراف المباشر للخلافة فى القاهرة ، حسبما خطط لها منذ بدايتها وان كان صاحب تلك العمالة قد أصبح وزيرا للأمير الزيرى ، أكثر منه موطعا خلافا . فهذا

(٨٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٩٧ وما بعده

- وانظر اتباط الحنفا للزيرى ، ج ٢ ص ٦٠ - ٦١ .

(٨٦) التويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ .

(٨٧) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣٧٠ .

(٨٨) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣٧١ .

ما يمكن ان يستشف من أحداث سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م ، عندما ساءت العلاقة مع أبناء محمد بن أبي العرب فهربوا من المنصورية يريدون الالتجاء الى فلعل بن سعيد بطرابلس حيث كان مقيما بموافقة ضمنية من الخلافة ، مما سبقته الإشارة اليه (ص ٣١٩) ، الأمر الذي أثار ثائرة باديس الذي أصدر أوامره الى عامل قابس بقطع الطريق عليهم ، وأخذ منهم عليا ويوسف فقلهما وبعث برأسهما الى المنصورية في آخر المحرم / أكتوبر وان كان باديس قد عفا عن القائم ، صاحب العمالة ، عندما عاد اليه معتذرا (٨٩) .

أبناء ينال التركي يوجهون أنظارهم الى باديس :

وفي إطار هذا التقلب في العلاقات بين الأطراف المعنية - تشير النصوص الى أن بناء القائد ينال التركي ، والى برقة الذي قتل في سبيل استعادة طرابلس ، والذي كان قد كون أسرة لها مكانتها الاجتماعية والسياسية في طرابلس أثناء حكم فلعل بن سعيد ، ومنهم - عبد الله وشواش ومن كان في خدمتهم من الرجال ، كانوا مستعدين للانضمام الى حاش باديس سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م وهو في طريقه الى قنال الزناتية في طرابلس ، بعد وفاة فلعل ، إذ « عرفوه انهم لما علموا بخروجه أغلقوا أبواب طرابلس ومنعوا الزناتيين منها ، فسرعان ما ، ووصلهم وأحسن اليهم » . هذا ، ولو أن المسألة تظهر في شكل نسوية - حسب صفة شائعة ، كما يقال الآن - إذ أنه بعد دخول باديس طرابلس ، استجاب لطلب وروا أخى فلعول (فلعل) ومن معه من الزناتية ليس بطلبية الأمان فقط ، بل وبتمنيهم مبالا على إقليم نفزاوة المجاور ، شريطة الارتحال عن أعمال طرابلس (٩٠) .

وروا بن سعيد زعيما للزناتية في نفزاوة :

والحقيقة أنه إذا كان التقلب قد بلغ بوروا ومن معه من الزناتية الى حد محالفة باديس في السنة التالية ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م ، والفرار من نفزاوة ، فإن العلاقات مع الحاكم بأمر الله تعود الى مجاريها سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، حيث وصلت هدية جليلة من الحاكم ، بحرا عن طريق المهديّة ، الى باديس (نصير الدولة) والى ولي عهده ابنه المنصور ، فخرج الاثنان مع أهل القيروان لكي يعودوا بها من موضع قصر الماء ، في احتفال بديع تتقدمهم البهود

(٨٩) ابن عذاري - ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٣٧٦ .

(٩٠) الثوري ، ص ٣٢٩ .

والطبول . والمهم بشأن سفارة الحاكم هذه أنها كانت تحمل سجلا باصافه ولاية برقه وأعمالها الى ولاية باديس (٩١) ، فكان الخلافة ارادت أن يكون لها حدود مشتركة مع نيايتها الزيرية في أفريقية .

علاقات حسنة بين الحاكم وباديس :

تبادل السجلات والهدايا :

وازدادت الصلة بين الحاكم وباديس حتى كان الخليفة يطلع باديس على ما كان يشغله من قرارات مصيرية بالنسبة للخلافة الفاطمية دأبها ، من ذلك توليته العهد لابن عمه أبي القاسم عبد الرحمن بن الياس بن أبي عيسى بن المهدي ، الذي وصل سجل به الى باديس سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، فقرأ في جامع القيروان ، الأمر الذي تطلب اثبات اسمه في السواد ونقشه على السكة الى جانب اسم الحاكم ، رغم عدم رضا باديس عن فكرة تحويل ولاية العهد من الابن الى ابن العم (٩٢) . وهكذا كان عيسى باديس أن يبعث في السنة التالية ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م بهدية جليلة الى الحاكم ، كما ضمنها بديبلوماسية بارعة ، هدية أخرى من قبل أخته السيدة « أم ملال » الى السيدة (الست) أخت الخليفة الحاكم ، وقام بتشييعها بنفسه من المنصورة بالبنود والطبول . ورغم أن وجهة الهدية الخلافة التي عهد بها الى القائد يعلى بن فرج كانت المهدية من حيث يكون طريق البحر الى الاسكندرية والقاهرة ، فإنها راحت نهبا لعرب برقة ، عندما رست المركب هناك ولكن أو للراحة .

علاقة عرب بنى قره في برقة بالقاهرة :

وتنسب الرواية الى يعلى بن فرج التقصير في حفظ الهدية والعجز في الدفاع عنها بما كانت تحويه من الأفراس الأصيلة ، والسروج المحلاة وأحمال الخز والسمور والأقمشة السوسية المذهبة ، الى غير ذلك من فتيان الصقالبة والوصيفات ، فأسلمها جميعا لخطافها بنى قره ، من عرب برقة (٩٣) . ولا

(٩١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، وقارن انماط الحفا للمقرئى ، ج ٢ ص ٩٩ .
(٩٢) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٥ - وقارن انماط الحفا ج ٣ ص ١٠٠ .
(٩٣) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٥ - حيث الص على أنها حوت ٩٠٠

ندري ان كان قاطعوا الطريق هؤلاء يعرفون انهم يملكون ايديهم الى امتعه الخليفة ، اذ ربما تكون المسألة عندئذ نوعا من الشار أو الانتقام لما نزل بأهل برقة الذين ساندوا أبا ركة ، من العقاب عندما صاحوا مصر منذ أقل من عشر سنوات ، وهو الأمر الذي يرجحه تخلص الحاكم من ولاية برقة وعهده بحكمها الى ياديس قبل ذلك بقليل في سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م .

وكانت لفئة كريمة من الحاكم أن رد ، على الهدية المنهوية ، في نفس السنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، يهدية جليئة ، وصلت مع سفيرين من لدنه الى المنصورية . وتكونت الهدية الخلافية ، من : خلع سمية ، وسيف مكلل ، الى جانب سجل بولاية العهد للمنصور بن ياديس - الذي توفي بعد قبل - مع اعطائه لقب « عزيز الدولة » . واستقبل ياديس اسفارة والانعامات الخلافية بما يليق بها من التبجيل والترحيب والسرور . وبعد قراءة السجل من أعلى منبري المنصورية والقروان قبل ياديس التهاني من وجوه رجال الدولة الذين قدموا له الهدايا والأموال (٩٤) .

سجل ولاية العهد للمنصور بن ياديس والنزاع مع العم حماد :

وكان سجل الحاكم بولاية العهد للمنصور بن ياديس سببا في اثاره نراع بن ياديس وبين عمه حماد بن يوسف بلكن والي أشير ، وصاحب القلعة . وذلك أن ياديس أراد أن يؤكد ولاية العهد النظرية من قبل الخلافة للمنصور بأجراءات عملية ملموسة ، مما يؤكد الولاية للمنصور ، من الأعمال (الولايات) الهامة له لكي يقطعها لأعوانه وأتباعه الذين يعضدون ولائهم لعهد ثم ملكه عندما يرث والده . ورأى ياديس أن يجعل من ذلك فرصة لاختبار نوايا عمه حماد ، الذي كانت قد اتصلت به أمور عنه أنكرها ، وذلك عن طريق تنازله عن بعض اقطاعاته التي كان يديرها بعض أصحابه ، بحيث

درس ١٨ قصصا للسروج ١٨ حملا للأفضة والمنسوجات . و ٢٠ وصيفة و ١٠ من الصفاة . وقدر انماط المعاد ، ج ٢ ص ١١٠ .

(٩٤) البريري ، ص ٣٢٩ - حيث اسم السفيرين : عبد العزيز بن أبي كندبة ، وأبو القاسم بن حسين . اما عن المنصور بن ياديس ول العهد في هذا السجل فلم تقدر له الحياة الا توفى بعد فترة وحيزة لكي يحل محله أخوه الأصغر المعز بن ياديس . وقارن انماط المعاد ، ج ٢ ، ص ٩١٩ - حيث السفير الثاني أن حسن بدلا من حسين ، مع الإشارة الى اشتغال الهدية على خلع وسيف وتشريف المنصور بن نصير الدولة بولاية ما يتولاه أبوه في حياته وبعد وفاته مع لقب عزيز الدولة .

قدم ثولى العهد لكى تعطى لبعض أعوانه . ووقع اختيار باديس على مدن .
بيحس وقصر الأفرقي وقسنطينة ، وكانت بيد القسائد ابن زعل ، لكى
يشارل منها حماد ، فتعطى للقائد هاشم بن جعفر . وفى الوقت الذى أعد
فيه باديس كتابا إلى عمه حماد يأمره بتنفيذ رغبته تلك ، كان يدعو هاشم
ابن جعفر ليخلف عليه ، ويعطيه الطول والبستود ، ويطلب منه الخروج إلى
هذا العمل . كما كان يعهد إلى عمه إبراهيم الذى كان يشك فى تحييره إلى
أخيه حماد ، بعد مشاورات شكلية معه ، هدفها إعطاؤه الحرية فى اختيار
الفريق الذى يفضل الانضمام إليه . يحمل كتاب أخيه حماد ، على أن يعمل
على تسهيل المهمة بأقناع حماد بالاستجابة إلى طلب الأمير ، ابن أخيه (٩٥) .

والمهم أن إبراهيم خرج فى ١٩ شوال سنة ٤٠٥ هـ / ١٤ / ٤ / ١٠١٤ م
وبصحبه القائد هاشم بن جعفر الوالى المرشح للعمل المطلوب للمنصور ولى
العهد ، ولكنه عندما اقتربا من موضع حماد ، ترك إبراهيم رفيق سسفره
هاشما وحده ، على أمل اللقاء فيما بعد ، ولكنه لم يلبث أن ظهر مع أخيه
حماد ، وقد اجتمعت كل منهما على العصيان ، وتبدأ بين الطرفين حرب عريضة
تختلط فيها القسوة بالخداع ، والعدو بالولاء (٩٦) ، لكى سوت أمام القمامة
الحمدية حيث توفى باديس فجأة أثناء حصاره لحما فى ٣٠ من ذى القعدة
سنة ٤٠٦ هـ / ١١ مايو ١٠١٦ م ، مصابا بالذبحة (٩٧) .

(٩٥) أنظر السورى ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ - حيث الإشارة إلى تفصيلات يستدل منها على
أنه كان يمكن التأكد من نوايا حماد عن طريق اعتقال أخيه إبراهيم . كما أنه كان يمكن
السؤال بحد إبراهيم من بعض أقرانه وأمهاله ، مثل : طلبه مهلة ٢٠ يوما فقط للقيام بذلك
المهمة ، وخروجه بكل أمواله التى بلغت ٤٠٠ ألف دينار وجميع سرائه وذخائره ورجاله
وعبيده - كما تبالغ الرواية على ما نطق .

(٩٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ - حيث النص على أن باديس سبر
سيفا إلى قلعة حماد فخربرها ، ولكنه لم يأخذ مال أحد . ولكن عندما لجأت جماعة من
خند القلعة إلى باديس كان انتقام حماد وأشيء إبراهيم رهبا ، إذ دبح أبناءهم وهم على
صدور أمهاتهم . قتل بيده منهم ٦٠ طفلا ، ثم قتل الأمهات . كما أنه عسما وصل سعاد
إلى مدينة دكة تحس على أهلها وقتل منهم ٣٠٠ رجل . كما قتل فقه البلد وحمل جميع
ما فيها من طعام وملح ودخيرة إلى القلعة .

(٩٧) ابن خلكان (باديس) ، ج ١ ص ٢٦٥ - حيث النص على أن موته كان استقاما
رميا ولطفا بأهل طرابلس التى حلف أنه « لا يدخل منها حتى يسمع مدحا للبراعة » .
وذلك بفضل دعاء الوالى الصالح ، المزدب محرز ، الذى دعا قائلا : « يا رب اكفنا باديس » .
مهلك من ليله بالذبح - واقه أعلم ، وقارن الإعلام لابن الخطيب ، ص ٧٢ - حيث الوفاة
فى ٢٠ ذى القعدة / ١١ مايو ، بدلا من ٣٠ ذى القعدة ، وذلك لظننا من الله بعمه حماد المحاصر
فى قلعة ، سبب عقب قتالة تلتقت بشيخه ، بدلا من الذبحة . وهكذا حتى لسان الذى =

وعلى عهد المعز بن باديس رابع الأمراء تبدأ مرحلة جديدة في العلاقات بين الخلافة في القاهرة وبين النياحة في القيروان ، هي مرحلة القطيعة - على المستويين الديني والسياسي - وإذا كانت الروايات التاريخية تكاد تلقى بعقب تلك الأزمة على عاتق أمير القيروان الذي لم يكن قد شق عن الطرق بعد - فمن المقبول أن يكون للحليفة الحاكم دوره - وهو ما هو معروف عنه - في إثارة تلك الأزمة ، وكذلك من خلقه من الظاهر والمستنصر مما يأتى في موضعه .

مبادئ الحكم في العمالة الأفريقية وتطبيقاتها العملية :

أقرار الأمن :

المعروف أن الخليفة المعز لدين الله أوصى قائبه الصنهاجي ، القضاة بلكن بن زيري بن مناد ، بما ينبغي عليه أن يتبعه في حكم ولايته الأفريقية ، وأنه من بين وصاياه الكثيرة ركز على ثلاثة منها ، هي :

ألا يرفع السيف عن الربر ، وألا يرفع الجباية عن أهل البادية ، وأن يجعل بأهل الحاضرة خيرا ، وهي الوصايا التي تعتبر بمثابة مبادئ للحكم أو برنامجا للعمل السياسي ، ثم أنها صارت أربعة عندما أضيف إليها مبدأ خاص بالأسرة الزيرية نفسها ، أسرة بلكن ، ويتلخص في عدم إشراك أحد من أهل بيته في الحكم خشية أن يروا أنهم أولى منه بذلك (٩٨) .

والمقصود بالبربر الذين لا يرفع السيف عنهم ، هم قبائل زناتة ، أشهر ممثلي قبائل البربر بمعنى البدو الرجل ، أصحاب مضارب الخيام ، الذين لا يفهمون معنى الاقتصاد المدني فكأنهم المعصودون أيضا بالمبدأ الثاني الخاص بضرورة إخضاعهم إلى دفع الضرائب ، سواء عن الزراعة أو تربية

نحاطب معه رواية ابن الخطيب هذه ، أن يقول ، وهو يشرف على حوش ابن أحمد باديس وهي نخيل له حشا ، وتنصرف شايونه في حيرتات وأحسس نعتة . مثال هؤلاء تستخدم المدوك وتسدل بهم النعم ، وذلك مقارنه برحاله الذين أحسن إليهم فكان حزاؤه منهم الفرر وتكرار الحمل - وهو سي يردق .

(٩٨) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٥ - حيث تنص الوصية على ما يتعلق فقط بالصمت على الربر وإخضاع أهل البادية للضرائب ، وإبعاد أهل بيته الزيريين عن مهام الحكم . وقارن الغويري ، ص ٣٦١ - حيث النص على ٣ أشياء مع ذكر الأربعة جميعا - والنص هنا مضطرب لم يصح المحقق في تصحيحه وذلك أنه يذكر في الوصية الأولى « أهل البلاد » بدلا من أهل البادية ، وفي الثالثة « أبي مضر » بدلا من أهل الحضر أما الرابعة ففيها اخوتك بدلا من أهل بيتك .

مباشريه . فكدى الهدف من تلك السياسة هو . توطيئهم والعمل على
محوريتهم الى اهل حصر ومدن ، منهم فى ذلك مثل قبائل البرانس بمعنى
الحصر ، واهم مشيئهم فى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م الذى نحن بصدده .
وكذلك القرن الذى يليه (٥ هـ / ١١ م) ، هم : صهاجه أفريقيه ، قبيله
البريرين ، وكان المعصودين بالاحسان اليهم هم . صنهاجه ، عصب الدولة ،
ومن يعود بها من كنامة ، انصار الفاطميين الاوائل ، وكذلك من يحوم حولهم
من سائر اصناف البربر ، دون تفرقة بين بر وبراناس أو رباتيه وصهاجيه ،
طالما دخلوا فى الطاعة وأصبحوا ضمن الرعية المرعية .

اما عن المسألة الخاصة بالأسرة الحاكمة ، فاقصد منها ان يولى الأمير
عنايته بالأسرة لأهل بيته فلا يفعل عن التأكد من حسن سيرتهم ، وصدق
نواياهم فى خدمة الأمير ، وبالتالي فى خدمة الدولة ، وعدم اعطاء الفرصة
للطموحين منهم باشغال الفتنه ، أو محاولة اقتطاع امارات ،هم فى الأماليه
البعيدة عن مركز الدولة - وهو ما عانت منه الدولة البربرية منذ عهد الأمير
الثالث . باديس ، والذى انتهى على عهد الرابع منهم وهو المعمر بن باديس
بانقسام الدولة الى مملكتين ، احدهما فى القيروان والمهدية - وهى الدولة
الزيرية ، والأخرى فى القلعه وبجاية وهى الدولة الحمادية .

وهكذا يمكن تلخيص البرنامج السياسى الذى رسمه المعمر لنائبه بلكن
فى المبادئ الأربعة التالية :

١ - اتباع سياسة قوية ضد خصوم الدولة التقليديين من القبائل
الزناتية . حلفاء أعداء الفاطميين التقليديين أيضا . وهم : الأمويون فى
الأندلس ، بهدف اخضاعهم للدولة ، وتجنيدهم ضمن الرعية ، وهو
ما يتحقق بتطبيق المبدأ الثانى .

٢ - اجبار أهل البادية ، وهم الرناتية بشكل عام ، على دفع الضرائب
الواجبة عليهم لبيت المال (الخزانة العامة) ، بمعنى الرامهم بالعمل فى
الزراعة وتربية الحيوان ، الأمر الذى يحقق الرخاء وبالتالي الأمن فى البلاد ،
والذى يؤدى بالتالى الى تحويلهم الى رعية مستقرة ، مثل : أهل الريف
والحضر . عماد الدولة وقاعدة استقرارها ، من حيث هم جامعوا المال بمعنى
أنهم الأيدي صانعة الحضارة ، وهو ما يؤدى بالضرورة الى تطبيق المبدأ
الثالث .

٣ - لما كان أهل الحضر من زرايع وصناع وتجار وأصحاب أعمال

وذوى أملاك وخبرات ، هم رعية الدولة الحقيقين من حيث أنهم أدوات الانتاج ومصدر الأموال التى تسير دواليب أجهزة الحكومة المختلفة ، فمن الواجب رعايتهم والاحسان اليهم حتى يتحقق مقاصد أصول الحكم ، من : اقرار الأمن ، ونشر العدل ، وعلى الجملة توطيد اركان الرخاء للناس ، وتأكيد أسباب اسعادتهم - حسبما تقضى به قواعد السياسة المدنية .

٤ - لما كانت التجربة التى عرفتتها دولة الاسلام منذ العصر الأموى ، وما تفرع عنها من امارات نابعة أو دويلات متقلبة ، قد أكدت أن أوفق نظم الحكم هو النظام الوراثى الذى ينتقل فيه الحكم من الأب الى الابن ، وهو الأمر الذى يمثل أصل قوارت الامامة عند الفاطميين ، كان من الطبيعى أن تكون وصية المعز بأن ينصبه نائبه فى تطبيق نفس النظام فى أسرته اليوسفية ، دون بقية البيت الريرى - حتى يبقى على الروابط القوية بين الأسرتين ، ويمنع من تفتيت ولايته بعد الاستقلال الذى كان مقدر لها - وهو الأمر الذى يؤكد ما اوثاه المعز بعد قليل من رحيله الى مصر ، من ارسال ألف من الفرسان الصنهاجيين ، وعسلى رأسهم الأمراء أبناء زيرى ، وهو ما رفضه بلكين ، وبرره بحاجته اليهم فى حرب زناقة بالمغرب (انظر فيما سبق ، ص ٣٤٤) .

وهكذا يمكن اعتماد تلك المبادئ المستنبطة من واقع التاريخ الفاطمى فى المغرب ، كعناوين رئيسية لدراسة الدولة الصنهاجية - التى بدأها بنظام النيابة الامريقية وعلاقتها بالخلافة فى القاهرة - حسبما يلى :

اقرار الأمن فى أفريقية وأعمالها :

باعاية وناهرت :

عاد يوسف بلكين . بعد توديع المعز له ، الى المنصورية فى ١١ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ م ، واستقر فى القصر الأميرى ، وسط ترحيب أهل القبروان الذين أعلنوا فرحهم بالعهد الجديد ، واستبشروا به حمرا . وبمجرد خروج ولاية الأقاليم وحياة الضرائب الى أعمالهم فى مختلف البلدان ، « استقامت الأمور بحسن تدبيره » (٩٩) . والواضح من النصوص أن بلكين كان يعرف دوره كرجل دولة سياسى ، الى جانب كونه قائدا

عسكرياً . فهو ينتهي من ترتيب أمور المملكة في بلاد الزاب وجبل أوراس ، ذات الميول الانفصالية قبل أن يندج نحو بلاد المغرب حيث اعداء الدولة الرهانية ، فلا يستغرق الا فنوه وجيزة لا تتجاوز ٣ (ثلاثة) أشهر ، اذ خرج في شهر شعبان/مايه من القيروان للاطمئنان على سير الأمور في أقاليم الدولة اعرابية - وهو يعنى مصالح المعز التي تقضى باستخدام الشدة في موضعها واللين في موضعه . فعندما يصل الى مدينة باغاية . يولى فيها عاملاً من قبله ، ويأمره باستخدام اللطف في معاملتهم ، مما دعاهم الى اعلان الولاء والطاعة ، ولو أنهم لم يلبثوا أن ثاروا على العامل الجديد وتحصنوا بمدينة منهم ، مما دعا بلكن الى التفكير في العودة اليهم بعد أن اقتحم تاهرت النائرة ، لولا تهديد الزناتية لمدينة تلمسان (١٠٠) . والظاهر أن تلك الظروف كانت مؤاتية لكي نطل باغاية على عصيانها الى ما بعد القضاء على ثورة خلف بن خير في كتامة سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٥) حيث استسلم أهلها لبلكن ، ونزلوا على حكمه بالطرده من القلعة التي أخربها (١٠١) .

اضطراب رجال الأسطول :

ومن المهم الاشارة الى أن الاضطرابات لم تكن نشور في الأقاليم البعيدة عن مركز الحكم في القيروان فقط . مثل بلاد الزاب وجبل أوراس ، بل انها كانت تنسجر تلقائياً نتيجة لبعض الاحراءات التي كانت تسحبها الدولة ، مثل : حشد الرجال للعمل في الأسطول فيما يمكن أن يشبه بالسفينة . ففي شهر ذي الحجة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م أصدر بلكن أوامره الى نائبه عامل أفريقية : عبد الله بن محمد بن الكاتب باعداد أسطول - ربما لغزو يجرى لا يعرف المصادر بوجهته - مجهز بالرجال والسلاح . وهكذا خرج عبد الله ابن محمد الى المهديّة وأخذ في حشد البحريين من كل البلدان ، كما أمر بجميع الخلفين منهم ، سواء في القيروان أو في غيرها من المناطق ، ووضعهم في السجون التي امتلأت بهم ، انتظاراً لترحيلهم الى المهديّة ، الأمر الذي أثار القلق في النفوس بين الخاصة والعامة حتى أنهم امتنعوا من الخروج ولزموا بيوتهم . وفي ذلك تقول الرواية ان اعتكاف الناس في ديارهم بلغ الى حد أنه « اذا مات أحد عندهم لا يخرجوا الا النساء » (١٠٢) .

(١٠٠) التويرى ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(١٠١) التويرى ، ص ٣١٤ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٣ .

(١٠٢) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣٢٧ .

وفي أول المحرم من السنة التالية ٣٦٦ هـ/ ٣٠ أغسطس ٩٧٦ م ، كان الأسطول قد أعد لاستقبال البحريين من رجاله والافلاج الى وجهته ، ولكن الرياح لم تكن مواتية ، واستمر ركودها لفترة طالت الى أن نفذ الراد والماء في البحر . وعندما فقد الرجال صبرهم برلوا جميعا الى البر من نونية وبحرية ، ثم انهم هربوا بما نهبوا من المراكب ، من عدة وسلاح ، الى كل الجهات . وتطلب الأمر احراءات شديدة في ملاحقتهم ، فل وأنزل عقوبة القتل بمن طفر به منهم (١٠٣) .

ولا ندري ان كان لهذا الاضطراب الذي عرفته القيروان والمهدمة بسبب تعبئة الأسطول هذه ، صلة بذلك الصراع الذي كان قد فام بين ابن القديم ، عامل أفريقية السابق الذي كان معتقلا في سجن عبد الله بن محمد الكاتب وبين هذا الأخير ، في ذلك الوقت الذي نومي فيه ابن القديم (٣٦٦ هـ ٩٧٦ م) في سجنه هذا . فهذا الصراع هو الذي أدى الى ثورة قسائل كنامة ، أنصار الفاطميين ، الذين أثارهم خلف بن خباز ، أحد معاوين ابن القديم السابقين ، الأمر الذي تطلب أعمال ردع قاسية من جانب بلكين . بناء على نصائح عامل أفريقية عند الله الكاتب نفسه (انظر فيما سبق . ص ٣٠٥) .

واعتسارا من نهاية اضطراب تلك السنة ، وحتى وفاة بلكين بسنة ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م ، كانت أحوال أفريقية وما يتبعها من الأعمال هادئة ، الأمر الذي هيأ الظروف المناسبة للعمل على اقراء نفوذه في المغرب الأقصى ، حيث قضى نحبه في طريق العودة ، في وارجلان ، من المغرب الأوسط . يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة سنة ٣٧٣ هـ/ ٢٦ مايو ٩٨٤ م .

عهد المنصور (٣٧٣ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م)

نمت ولاية المنصور ، دون صعوبة ، وذلك ان بلكين كان قد اوصى القائد ، يا رعبل بن مسلم ، احد حواصنه من العبيد (السودان) ، بالعمل على تسهيل الامر على ولى العهد ، المنصور ، بالجلوس على العرش ، وهذا ما قام به ابو رعبل عندما اسرع بايلاع المنصور ، حيث كان يقيم فى اسير . بوفاة والده . فاسرع باععلان النب ، وجلس لتلقى العراء فى وعاء واهله وانهنثه بامارنه - دونما اعتراض او صعوبة من قبل عمومته ، ابناء ريرى او غيرهم ، ممن كانوا فى حاشيته باشير او فى صحبه بلكين فى حملته المغربية (١) .

اقرار السلطان الاميرى : محاولة اقضاء الكاتب فى القيروان :

وفىما يتعلق بالسياسة الداخلية كان اول اعمال المنصور سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م هو اقضاء ، عامل افريقية ، الكاتب او الوزير ، عن منصبه بمعرفة آخيه يطوفت بن بلكين ، ولكنه عدل عن ذلك ، سياسة ، لى يستقبل الرجل الذى تعرض للمصايقة الشديدة ، على رأس المهنيين من اهل افريقية ، مع الاعتذار عما بدر فى حقه من آخيه ، وان أكد للوفد ان ليس ممن يولى بكتاب ريعرل بكتاب (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٩) . وكان ذلك كان اعلانا من قبل الامير الزيرى بالاستقلال عن حليفه الفساهره الفاطمى . وهكذا لم يكن من الغريب أن يخرج أهل القيروان فى جموعهم الغفيرة وعلى رأسهم عبد الله الكاتب عندما يقدم عليهم المنصور يوم ١٩ من شهر رجب (٣٧٤ هـ / ١٦ ديسمبر ٩٨٤ م) ، ولم يكن من المستغرب بالنسبة للأمير الذى يريد أن يثبت أقدامه فى افريقية كحاكم مستقل أن يبين لتلك الجماهير أن من أهداف برنامجه السياسى : تحقيق الخير للجميع مع وعدهم بكل جميل (٢) . وخلال اقامته بالقيروان ، فى رقادة ، عمل على تأكيد الاحتفالات الفاطمية التى كان قد بدأها المعز فى المغرب ، من : الخروج

(١) الزيرى ، ص ٣٧ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٩ - حيث الاسم ، ابو زعل

ابن هشام (بدلا من ابن مسلم) ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٣٤ .

(٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ ، الزيرى ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

إلى المصلى يوم الفطر ، أول شوال في موكب مهيب ، حيث ركب على سرج مكمل بالدر والياقوت ، كان قد أعد له خصيصا لتلك المناسبة ، التي خرجت فيها إلى المصلى أعداد غفيرة من القيروانيين (٣) .

بعد ذلك لا نجد ذكرا لاقامة المنصور في قصور صبرة المنصورية بالقبروان . إلا في سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م حيث وصل يوم الاثنين ١٥ من المحرم ١٧ مايو وبصحبه عبد الله الكاتب الذي صار يقيم معه في أشير ، بينما ابنه يوسف (ابن عبد الله) كان ينوب عنه في القبروان (٤) ، وهي الاقامة التي تخلص فيها المنصور من وريره : عبد الله الكاتب بالقتل ، وجعل مكانه يوسف بن أبي محمد وإلى قصده ، الذي عهد إليه المنصور بمسألة أفريقية يوم الخميس ٢٥ شعبان سنة ٣٧٧ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٨٦ م ، فأعطاه شعارات الولاية ، من . الطمول والسود والحاج الأميرية ، كما أنزله في دار القائد جوهر (٥) .

في كتامة : ثورة أبي الفهم :

أما عن عصيان كامد في السنة التالية ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م الذي يظهر كعمل انتقامي من الخلافة بالقاهرة ضد نائبها انزيرى بالقبروان ، مما سبقت الإشارة إليه (ص ٣١٤) ، فقد بدأ عملية تأهيل مذهبي للكتامين ، أنصار الدعوة الفاطمية . وذلك انه وصل إلى القبروان سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م أحد الدعاة الحراسانيين ، وهو أبو الفهم حسن بن نصرويه ، وفدا من قبل الخليفة العزيز بالله . ولما كان عبد الله الكاتب في صحبة المنصور بأشير فإن الداعي نزل على ابنه ونائيه بالمنصورية ، يوسف ، الذي أحسن استقباله ، وأغدق عليه الأموال الكثيرة من الرواتب الجارية والهدايا .

ولكنه عندما طلب أبو الفهم من يوسف أن يذهب إلى بلاد كتامة لدعوتهم ، رأى أن يستشير والده فكتب إليه بالأم ، فما كان من عبد الله الكاتب إلا أن يطلب من ابنه أن يعطى المبعوث الفاطمي ما يشاء ، وأن يتركه

(٣) ابن عذري . ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤) النويري ، ص ٣١٩ . ابن عذري ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٥) النويري . ص ٣٤٠ - حيث استمرت ولاية يوسف بن أبي محمد إلى يوم الأحد

٢٣ ربيع الأول سنة ٣٨٢ هـ / ٣٠ مايو ٩٩٢ م عندما عزله المنصور ودعى مكانه ابنه عبد الله

محمد بن أبي العرب الكاتب . وأعطى فيها سبق . ص ٣١٥ .

يذهب حيث يشاء^(٦) . فكانما أراد أن ينخف من عبثه بأيسر السهل
دونما احراج ما ، بين الخلافة والامير .

وكان خروج أبى الفهم الى كتامة فى موكب رسمى مهيب ، يحيط به
الفرسان على السروج المحلاة ، وتقدمه صناديق (قنوت) الثياب الثمينة ،
وأكياس بدر الدراهم^(٧) . واستقبل الكتاميون داعى الخلافة بما يليق به من
التبجيل ، وقدموا له كل عون مادي ومعنوى الى أن انتهى به الأمر وكأنته
عامل مدشن ، فصار يجمع العساكر ويركب الخيل ، ويعمل البنود^(٨) ، بل
ويصك النقود حسب مقالة النويزى (ص ٣٢١) ، وحتى قيل أن عرض
الخلافة كان أن تميل كتامة الى أبى الفهم وترسل اليه جندا يقاتلون
المنصور ، ويأخذون أفريقية لما رأى قوته^(٩) .

الانتقام من ميلة :

وهكذا كان على المنصور أن يعرف الخلافة فى القاهرة بخطورة الوضع
الذى ترتب على وجود الداعى الخراسانى فى كتامة ، بل وأن يحذر من مغبة
ذلك ، الأمر الذى دعا الخلافة الى أن تبعت سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م التالية الى
المصورية سفيرين ، أحدهما كتامى يكنى بأبى العزم ، والآخر من عبيد
الخلافة واسمه محمد بن ميمون ، يطلبان من المنصور ألا يعرض للداعى أو
لجماعة كتامة ، على أن يلحقا بالكتاميين بعد ذلك . وأوضحت المداوالت بين
الطرفين معارض المواقف ، وانتهت بتبادل الشناتم بينهما^(١٠) . وكان على
القوة اذن أن تقرر مصير هذا الممازح فصنع المنصور السفيرين من الخروج الى
كتامة بعد أن أبقاهما لديه خلال شهرى شعبان ورمضان ، ثم صحبهما معه

(٦) النويزى ، ص ٣٢١ .

(٧) النويزى ، ص ٣٢١ .

(٨) النويزى ، ص ٣٢١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على أن
العرير أرسله يدعو كتامة لظاعته ، وأنه كثر معه رقاد الجيوش وعظم شأنه .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على إعلاظ كل طرف الدول للطرف
الأخر بما منهم الخليفة العزيز نفسه ، وقارن النويزى ص ٣٢١ - حيث نفس الرواية
وإن كانت أكثر تفصيلا حيث أسماء السفيرين مع تسمية التامى مهما مرة أخرى
ب « ابن الوراك » كما تأتي الإشارة الى أن معزنى العرير ماله هذا المنصور بأن يمدى
الكاسوس به الى العرير بحبل فى عنقه (ص ٣٢٢) .

فى حملته لتأديب كتامة ، بعد عيد الاصحى ، فى اواخر ذى الحجة (راجل ابريل ٩٨٨ م) ، وهو يسير متشاقلا حتى دخلت سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، قبل ان يصل الى مدينة ميله ، حيث أعلن عزمه على قتل أهلها . ولكن الأمير الصنهاجى الذى يظهر عنيفا قاسيا على كثير من الأحياء ، بمجر هو الآخر ياكيا عندما خرج له نساء ميله وطفالها باكين متضرعين ، الأمر الذى لم يمنع من قتل والى المدينة ، ونهب المساكن كل ما كان فيها ، مع هدم سورها ، ونفى أهلها بما حصد حمله من المغانق والسود - وان رفع كل ذلك بين يدي ماكس بن زيرى ، عم المنصور ، عندما اعرضهم فى الطريق (١١) .

تأديب كتامة والمثلة بالتأثر :

ومن ميله دخل المنصور الى بلد كتامة ، وهو يهدم المنصور والنازل والدور ، ويحرقها بالنار ، ويعير رسولى العريز بصعف كتامة . ويقول لهما : « هؤلاء الذين زعمنا أنهم يمضون بى بحمل فى عنقى الى مولاكما » (١٢) . وفى منطقة سطيف حيث مركز قيادة الثورة كانت النهاية بالنسبة لأبى الفهم وثورته حيث هرب الى قلعة حصينة هناك فى جبل وعمر ، لدى عشيرة بنى ابراهيم الذين سلموه الى المنصور (١٣) . وكانت نهاية الداعى الخلفى دروة مأساة ممجية مفجعة . فلقد افيد أبو الفهم الى حريم الأمير حيث صرب ضربا مبرحا حتى أشرف على الموت ، ثم ان المنصور أمر به فأخرج أمام الملأ وقد بقيت فيه حشاشة من الروح ، فتحره ، وشى بعله . وأخرجت كنده فشويت وأكملت ، « كما شرح عبيد المنصور من السودان - الذين ربما كانوا أصلا من آكله لحوم البشر - لحمه وأكلوه حتى لم يبق الا عظامه » ، وذلك فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ٣٧٨ هـ / ٢٣ ماية ٩٨٨ م (١٤) .

وبعد أن قام المنصور بعملية تطهير فى كتامة فقتل أعدادا من زعمائهم .

(١١) البويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٢) البويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث تقول الرواية ان بنى ابراهيم لم يسلموه ، وقالوا: هو ضيقنا ولا نسلمه ، ولكن أرسل أنت إليه فخذوه وخذى لا نسلمه ، فأرسل فأخذه .
(١٤) البويرى ، ص ٣٢٢ ، وقارن ابن عدارى ، حيث نفس الرواية ، ج ١ ص ٢٤٤ .
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث النص على ان الداعى قتل وسحق « وأكلت سمحاقه وعسر المنصور لحمه » .

منهم والى مينة ، حتى ذلوا ونزل بهم الهوان ، عهد بولاية بلد كنامة الى المائد أبى زعبل بن مسلم الذى فرق أولاده فى أعمالها ، ورحل عائدا الى أشير . ومن أشير وجه أبا العزم وابن ميمون ، سقى العزير ، الى مصر ، ليعرف المسئولين بما وقع للداعى الخلافى ، ويذيعا فى أرجاء القاهرة قولهما : « أتينا من عند شياطين يأكلون بنى آدم ، وليسوا من البشر فى شيء » (١٥) .

وبعد كسر شوكة كتامة عاد المنصور الى القيروان ليتتبع من كانت له علاقة بثورة كنامة فى منطقة العاصمة المنصورية ، فهدم دورهم (١٦) .

رد الفعل فى كتامة : ثورة أبى الفرج :

ورغم ما انزله المنصور بكتامة من الدل والهوان ، فقد كان ما رآه فى البلاد من القوة ما يسمح بالانتفاضة فى السنة التالية ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م حيث قام رجل اسمه أبو الفرج ، ادعى انه من أولاد الامراء بالمهديه وانتسب الى القائم بن المهدي (١٧) ، الأمر الذى قد يفسر وصفه بالدعى ونسبه الى اليهود ، حسب مقالة المشككين فى صححة النسب الفاطمى . والمهم ان استجابة كتامة لدعوة أبى الفرج كانت نقائيا ، اد احتشد الكثيرون حوله مما دعا الى اتخاذ الطبول والبندود كعسكر شرعى ، الأمر الذى يؤكد اتخاذ السكة ، كما فعل أبو الفهم الحراسانى (١٨) ، والزحف لقتال الوالى أبى زعبل . وبعد أن دارت الحرب سجلا بينهما ما بين ميلة وسطيف ، رأى أبو زعبل أن يكتب بذلك الى المنصور . وعندما سار المنصور لحرب الثوار فى بلدهم ، لم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، اذ هزمهم « وقتل من كتامة مقتلة عظيمة » . وينتهى أمر الثائر بأن سلمه بعض خدمه الى أبى زعبل الذى بعث به الى المنصور ، الذى قتله شر قتلة ، وشحن بلد كتامة بالعمل والعساكر (١٩) ، ثم انه عاد الى أشير (٢٠) .

(١٥) العزيرى ، ص ٣٢٢ .

(١٦) ابن عدلى ، ج ١ ص ٢٤٤ ، وانظر فيما سقى ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٧) النويرى ، ص ٣٢٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧ .

(١٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

(١٩) النويرى ، ص ٣٢٣ .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

طاعه سعيد بن خزدون الزناني والعهد له بطبنة :

وفي أشير أتى الى المنصور في نفس السنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، سعيد ابن خزدون الزناني معلنا الدخول في طاعته ، فاحسن المنصور استيعاله وقربه من نفسه حتى توثقت العلاقة بينهما ، بعهد المنصور اليه بولاية طبنة أي بلاد الزاب ، كما وثق الروابط بينهما بالمصاهرة . فزوج ابنه ببعض بنات سعيد بن خزدون (٢١) . ومن الواضح أن سعيد بن خزدون أناب عن نفسه بعض أعموانه في طبنة سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م لكي يرجع الى أهله حيث بقي هناك الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، ثم انه عاد الى ولايته طبنة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م ، ومنها قصد المنصور زائرا ولكنه اعتل وتوفي في أول رجب / ٢ سبتمبر ، من نفس السنة . وعندئذ قدم ابنه قلعل بن سعيد على المنصور لكي يخلف والده على ولاية طبنة (٢٢) . وبذلك يكون المنصور قد نجح من عبء حكم ولاياته الغربية بطريقة مباشرة ، بمعنى توجيه اهتمامه الى قلب المملكة ، ولاية أفريقية وبلاد القيروان . فإلهم هنا هو أن القيروان بدأت نحل محل أشير كمقر رسمي للأمير ، وهي المسألة التي نعى الغناء الكبان المسئل في العمالة الأفريقية ، وبالتالي وحدة المملكة الزيرية بعد أن كانت شبه إمارة متحدة ، حسب تخطيط المعز لدين الله .

عامل أفريقية تابعاً للأمير :

وهكذا كان المنصور هو الذي يعهد بولاية حراج القيروان سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م الى محمد بن عبد القاهر بن خلف ، وذلك بعد وفاة المرصدي صاحب الحراج هناك (ابن عذاري ج ١ ص ٢٤٥) . وفي السنة التالية ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، كان المنصور يدخل قصره الجديد بالمنصورية وسط ترحيب أهل القيروان لكي يعزل « صاحب أفريقية ، نائبه في البلاد ، يوسف

(٢١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ - حيث يجعل ابن الأثير لهذا التحالف الدبلوماسي الزناني سبباً عارفاً ، هو أن المنصور كان يسأل سعيداً عن تقديره لكرمه بالنسبة له فرد سعيد بأنه أكثر كرمًا من الأمير المنصور من حيث أنه يقدم له نفسه في مقابل المال ، ونفسه أمر بطبيعة الحال . ويضيف ابن الأثير الى ذلك انه عندما لام المنصور من أهله ، قال : كان أبي وحدي يستمتع بهم (الزنانية) بالسيف ، وأما أنا فمن رماحهم يرمحهم فكمس . حتى تكون مودتهم طمعاً واحساناً (ج ٩ ص ٦٨) . وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٥ - حيث النص على أن المنصور زوج ابنته لوردو بن سعيد . (٢٢) ابن عذاري ، ج ٩ ص ٦٨ (سنة ٣٨١ هـ) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٢ هـ) - حيث دمجتا الروايتين لتشكل احداً كما يقتضي السياق .

ابن أبي محمد ، ، محب الحياة الناعمة ، وعاشق الورد ، لكي يستعمل بدلا منه على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبي العرب (٢٢) . ومنذ سنة ٢٨٢ هـ / ٩٩٢ م كانت الاحوال مستمرة في إفريقية وبلاد القيروان ، فلا ذكر لأعمال شعب أو اضطراب ، بل احتفالات ومظاهر رخاء ، من ظهور ولي العهد أبي مناد باديس ، ووصول سجل عهده من القاهرة ، وهدايا بلد السودان والهدية التي أعطيت لفعل (٢٤) ، والاحتفال بوصول ولي العهد من المغرب وأشير ، بعد أول رحلاته هناك ، ووصول هندية من مصر فيها فيل عظيم (٢٥) ، كما تذكر وفاة الأمير عبد الله بن يوسف بلكين ، وتولية القائد يوسف بن أبي محمد ، صاحب أفريقية السابق ، على مدينة متيجة ، ووصول سفارة من مصر باقتصار قوات الخلافة في حلب من بلاد الشام (٢٦) ، إلى أن تأتي وفاة المنصور في ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦ هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦ م ، خارج صبرة المنصورية ، حيث دفن في قصره ، ثم ولاية ابنه أبي مناد باديس الذي كان صبيا في الثانية عشرة (١٢) من عمره (٢٧) .

باديس ما بين خلافة الحاكم في مصر وولاية عمه حماد في أشير :

يعتبر عهد باديس من المراحل الهامة في تاريخ الدولة الزييرية ، وذلك من وجهين : أولهما يتعلق بالخلافة حيث عاصره الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذي ارتقى العرش في نفس السنة ، والحاكم ما هو معروف عنه من الاغراق في التطرف ، إلى حدود ما يعرف الآن باللامعقول ، مما كان يسمح بأن فصل العلاقة بينهما إلى ذروة التوتر . والثوجه الثاني هو استعمال عمه حماد بن بلكين واليا لأشير ، الأمر الذي يعتبر من العلامات البارزة بالنسبة للدولة الزييرية بأفريقية والقيروان ، لما ترتب عليه من انقسامها إلى مملكتين ، أحدهما في القيروان والمهدية ، والأخرى يستقل بها في القلعة وبجاية أبناء حماد .

والحقيقة أن ملك باديس الصبى الصغير كان يمكن أن يكون موضع

(٢٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ . - جيب -
بين عزل يوسف واتهام أحد عهده المنصور ، المعروف بالبوهمي واسمه ناشقة في المال .
(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٢٨٢ هـ) .
(٢٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٢٨٤ هـ) .
(٢٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ (سنة ٤٨٥ هـ) .
(٢٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

شك منذ البداية بسبب ما يندأ من محاولة بعض العهد من جانب بني ريري
أعصام أبيه ، لولا الموقف الصلب الذي أظهره حرس باديس من العبيد
«السود» وكذلك عبيد أبيه . وساعد على تأكيد ولاية باديس وصول عمه
يطوفت (أبي بيشاش) وإلى تاهرت والمغرب ، لعزاء باديس في والده المنصور ،
والتهنئة بولايته للعرش ، وذلك في أواخر شهر شعبان/أغسطس (٢٨) .
وأغلب الظن أن باديس خرج عندئذ إلى سردانية لتلقي التعزية في والده ،
والتهنئة بولايته (٢٩) . وتأكدت شرعية ولاية باديس في ربيع الثاني
من السنة التالية (٢٨٧ هـ / أبريل ٩٩٧ م) ، عندما أتى سجل الخليفة
الحاكم من القاهرة بولايته وتلقيه بـ « حصر الدولة » (٣٠) . وببيعة
باديس ، وجماعة بني مناد ، للخليفة الحاكم تكون امارة باديس بن المنصور
قد تكرست تماما (٣١) .

هذا ، ولا ندري ان كان هناك مجال لذكر خروج ذلك الرجل الصنهاجي
المسمى خليفة بن مبارك ، قريبا كان الرجل مريضا نفسيا ، اذ اكتفى
بالتشهير به ثم بسجنه تحقيرا لشأنه (٣٢) .

سمات الدولة البربرية أيام باديس :

ما بين الامارة وعمالة الخراج :

اما عن تولية باديس مدينة أشير ، قاعدة صنهاجة ، لعمه حماد فقد
تم في شهر صفر من سنة ٣٨٧ هـ / فبراير ٩٩٧ م ، حيث خرج حماد الى
عمله بأشير مزودا بالخيول والسلاح والعتد (٣٣) . واذا كانت رواية ابن عذارى
ترد ذلك بالقول عن حماد انه اتسعت عمالته وكثرت عساكره وعظم
شأنه (٣٤) ، اشارة الى ما سوف يحدث فيما بعد من تحول حماد في أشير
الى مركز قوة يخشى خطره من قبل باديس ، مثل أن يكون له دولته المستقلة ،

-
- (٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .
(٣٠) التومري ، ص ٣٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩
ص ١٢٧ .
(٣١) انظر البويري ، ص ٣٢٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .
(٣٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .
(٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ ، البويري ، ص ٣٢٤ .
(٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ ، التومري ، ص ٣٢٤ .

لما حدث على عهد المعز بن باديس ، فإن العهد بأشير إلى عمه حماد يعني
سارل الأسره عن عهدها ، ورثه مؤسسها الأول زيري بن مباد ، فكان
باديس ورجال دونه قد قبلوا السخلى عن أرض الوطن لنعم وبينه ، وكان
احماديي ، أصبحوا ممثلى دولة صنهاجه الناضجة في المغرب ، بينما تحولت
سلالة المنصور ممثلة في باديس ومن جاء بعنده ، إلى افارقة القيروانيين ،
أقرب إلى جماعه الأعلى منهم إلى الفاطميين السدين كانوا هم أنفسهم نوايا
لهم ، الأمر الذى يعسر القطيعة المنتظرة ، ويخاصسه على المستوى الدينى
والمذهبي .

والخلاصة هي ان بقاء باديس في القيروان والمهيدية يعنى أنه حل مكان
دامل اريعيه صاحب الخراج ، الذى كان نائبا للمعز لدين الله من وجهه
الطر النسطيمية ، وذلك في مقابل حماد ، صاحب اشير ، الذى حل محل
الأمير القائد ، صاحب السلطة العليا في الولاية - الأمر الذى يفسر واقع
الحال فيه بواتر من الأعمال التى أدت إلى تكريس انقسام الدولة إلى مملكتين
زيرية وحمادية ، لكل منهما عاصمتها ، وكنابها ووزارها ودواوينها
المختلفة ، إلى جانب جيوشها وأساطيلها الخاصة وسياساتها المميزة ،
وعلاقتها الدولية التابعة من خصوصية مصالحها . وهكذا كان حماد في
بداية أمره في أشير ، القائد صاحب الحروب الخارجية ، بخاصة في بلاد
المغرب ، فهو « المشير » أو « مارشال » أقرشييه ، حسب المصطلح
الحديث (٣٥) .

فعندما يصدر باديس أوامره سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م إلى كاتبه محمد بن
أبى العرب بالمسير نجدة إلى عمه يطوفت بتاهرت ، يعرج ابن أبى العرب على
أشير ، معدن صنهاجة ، لكي يصبح حمادا بعساكره إلى هناك (٣٦) . وفي
سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م كان حماد يبعث برسلة إلى ابن أخيه الأمير باديس
يخبره بأعماله الحربية ضد عمه ماكسن بن زيري ، عم والد باديس ، وضد
أبنائه وقتلهم (٣٧) . وبذلك تحوّل الأمير الصنهاجي ممثلا في باديس - إلى

(٣٥) أنظر الإعلام لابن الخطيب ، ص ٨٥ - كيف وصف حماد بأنه « كان فريد دمه
وفحل قومه ، ملكا كبيرا وشجاعا ثباتا ، ودائمة حياء » .
(٣٦) التويرى ، ص ٣٤ ، ابن عدارى ، ج ١ ص ٤٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ .
(٣٧) التويرى ، ص ٣٢٨ - حيث النص على قتل ماكسن وأبنائه - محمد بن باديس
وحذارة .

- حلك يملك نظريا ولا يمارس عمليا . حيث يقوم بواجبه بمختلف الأعمال .
- محب ، الحرب على وريره الكاسب ، عامل افرريقيه ، وعمه اغايد ، عامل أرض
الوطن الاصلية - اسير . وعندما يموت محمد بن ابي العرب سنة ٣٩٦ هـ /
١٠٠٥ م ، يعهد باديس بوطيعنه السامية ، الى ابنه القاسم ، وهكذا الأمر
بالتنسبة لسائر الوظائف كالتقضاء مثلا أو وظيفته المظالم التي كان الأمير
يعتمد على صاحبها في اقرار الأمن الى جانب تحقيق العدالة . وذلك لذلك
صاحب المظالم محمد بن عبد الله (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) الذي
عرف بوظائفه الشديدة على أهل الفساد ، من : الضرب والقتل وقطع الأيدي
والأرجل دون رحمة أو شفقة (٣٨) .

- انتفاضة كتامية :

ومن الأمور المستغربة حقا ، تلك الثورات الصغيرة التي تظهر في
شكل أعمال فردية غير مبررة من جانب أصحابها مثل تلك الثورة التي قام
بها سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م أمر بالمعروف يشتغل بالتعليم ، فدعا لنفسه ،
ولكنه قبض عليه وحمل الى القيروان حيث شمر به ثم قتل مع واحد من
كبار أصحابه . ومن المهم الإشارة الى ما تقوله الرواية من أنه وجد مع هذا
الثائر خريطة فيها أن أمره يظهر في كتامة (٣٩) ، فكان دعوة ذلك الأمر
بالمعروف كان المقصود منها التمهيد لثورة كبيرة في بلاد كتامة ، الأمر الذي
قد يشير علامات استفهام عن موقف محتمل للخلافة أو بعض أعوانها من تلك
الثورة .

- نهاية باديس وهو يحاصر عمه حماد بالقلعة :

وإذا كان باديس قد تخفف في حروبه ، وخاصة تلك التي كانت ضد
بنى زيري الصنهاجيين ، اعتمادا على عمه حماد ، فإنه سيضطرب في النهاية
الى قيادة عسكره ضد عمه حماد ، بعد أن فشل في اقتداعه بالتنازل عن بعض
اقطاعه لولي عهد المملكة ، المنصور بن باديس الذي توفي بعد قليل أثناء
حصار باديس لقلعة حماد . فكان ذلك مما عجل بوفاة باديس فجأة ، هو
الآخر أثناء الحصار على ما نظن - وذلك ليلة الأربعاء ٣٠ من ذي القعدة سنة
٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م ، وولي بعده ابنه الصبي الصغير المعز بن باديس

(٣٨) ابن عذري ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣٩) ابن عذري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ .

وان أعلنت ولاية عمه كرامت مؤقتا بمدينة المحمدية (المسيلة) (٤) . التي كانت معتبرة من حواضر الزاب الهامة ، حيث كان ذلك الاجراء يقيم فيها نوعا من التوازن مع نفوذ عم أبيه حماد بن بلكين .

الصراع ضد الرناتية :

منذ قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية واصطناعها اكتناميين أنصارا ، كان من الطبيعي أن يصبح الرناتية في البلاد وفي الأقاليم المجاورة - سواء في الزاب أو اوراس أو اجريد ، وحتى في وادي شلف وبلسمان من المغرب الأوسط - خصوما طبيعيين للدولة ، من حيث كونهم من بربر البر الرحل ، عكس اكتناميين البرانس الحضر ، وهذا ما يفسر ثورة رباته اعظمى تحت قيادة أبي يزيد النكاري ، صاحب الحمار ، وظل الحال على هذا المنوال على عهد الزيريين اصسهاجيين الذين كان لهم دورهم في انقضاء على تلك الثورة الرناتية ، عندما قدموا العون الى القائم ثم المنصور . ومن المهم الإشارة الى أن ذلك الصراع بين الفاطميين والرناتية كان قد تطور منذ البداية الى صراع تاريخي بين الفاطميين في المهدية وبين الأمويين في قرطبة ، من حيث أظلت دولة الأندلس الأموية كل خصوم الفاطميين في أفريقية والمغرب بحمايتها ، منذ بداية عصر الهيمنة الأندلسية بوصول عبد الرحمن بن محمد الى سدة الامارة في قرطبة ثم اتحاده الملقب بالخلافي ، الساصر لدين الله ، كمنافس شرعي للفاطميين العلويين من آل البيت الشرفاء .

وبالقضاء على ثورة أبي يزيد النكاري انكسرت شوكة الرناتية في أفريقية فانزاحت أعداد كبيرة من قبائلهم نحو الغرب الى المغرب الأوسط والأقصى ، وهو الأمر الذي واصله جوهري سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م على عهد المعز ثم صنهاجة بعده على يد زيري الذي راح سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ضحية تحالف الرناتية ضده (أقظر فيما سبق ، ص ٢٥٤ ، ٣٠٠) ، فكان عليهم أن يدفعوا ثمن ذلك غالبا على يدى ابنه بلكين الذي طاردهم في المغرب الأقصى حتى سبته ، الأمر الذي الزعجت له حكومة قرطبة فأستغفرت جبرشها وأساطيلها ، كما حاولت استرضاءه بوقوفها ضد من قتل والده ، في الوقت الذي تنبه فيه بلكين الى أن قتال سبته لا يتحقق الا بموازنة الأساطيل البحرية (ص ٣٤٣) .

(٤) التبري ، ص ٢٣٤ . وانظر فيما بعد ، ص ٢٨٠ - حيث كان المميز ومشتد المهدية من حيث انتقل الى المنصور .

وبعضل بجاح بلكين في حربه لزنانة في المغرب الأقصى على أواخر أيام
العز لدين الله في إفريقية ، اطمأن المعز الى اختياره نائباً عنه في حكم البلاد .
بعد ان اوصاه بالا يرفع السيف عن البربر يعني عن زناته ، فدن استخدم
الوحشة بينه وبين زنانة كان أيضا من الأسباب التي جعلت المعز لدين الله
يؤمن تغلب بلكين على البلاد ، كما يقول ابن الأثير (٤١) - فكان المعز وهو
يطلب من نائبه ألا يرفع السيف عن البربر كان يقصد ، في نفس الوقت ،
أن يكون ذلك دعماً لمبدأ توازن القوى الذي أراد اقامته في المغرب حتى
لا ترجح كفة فريق على الآخرين .

والظاهر أن البقية الباقية من الزناتية كانوا قد استكانوا لسلطات
الدولة داخل إفريقية ، كما كان المقيمون منهم على الأطراف قد ضعفوا عن
مواجهة بلكين في بداية حكمه منذ أواخر سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ، ولمدة ٥
(خمس) سنوات حتى سنة ٣٦٧ هـ / ١٩٧٧ م باستثناء اوهامسات
خفيفة .

الزناتية فيما بين باغايه وتلمسان :

ففي بداية حكم بلكين عندما ثار أهل مدينة باغايه وهزموا عامله
وأخرجوه من المدينة ، كما ردوا الحملة التي سيرها اليهم ، كان التاهرتيون ،
في المغرب الاوسط يستهرون افرصة ليطردوا بدورهم عامل بلكين هناك .
وهكذا اضطر يوسف بلكين الى أن يوجه نشاطه من باغايه الى أجل الانتقام
سها الى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م بعد القضاء على ثورة خلف بن خير صاحب
ابن القديم ، الى ناهرت التي كاد يوقع بأهلها ويخرب أسوارها ، لولا أن
أنه الخبر بنزول زنانة على تلمسان (٤٢) . ومن الواضح أن مثل هذه
الاضطرابات التي قام بها أهل تلك المدن كان للزناتية بد في تحريكها .
فرغم هروب الزناتية في منطقة تلمسان أمام بلكين فإن التلمسانيين أغلقوا
أبواب مدينتهم دونه ، الأمر الذي تطلب حصار المدينة لبعض الوقت ، قبل
أن ينزلوا على حكمه . ورغم العقو عن أهل تلمسان فإن بلكين نقلهم الى
مدينة أشير ، في قلب المنطقة الصنهاجية ، حيث بنوا بالقرب منها مدينة
أطلقوا عليها اسم تلمسان « الجديدة » (٤٣) .

(٤١) الكس ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

الزناينة ينهون الأسيرة المندرية في سجلماسة :

ويسود نوع من الهدنة بين الصنهاجيين والزناينة الى سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، وهو تاريخ ابن عداري الذي أحسن تأنيه ، حيث يشتمل الصراع بين الطائفتين في المغرب الأقصى ، بمعنى صراع الصغار تحت مظلة الكبار ، من الأمويين في الأندلس والفاطميين في مصر (٤٤) .

وهنا كانت زناينة هي البائدة يا شعاع يران الفنية ، إذ جمع حزرون ابن فلفل (شعول) بن خرو الرناثي (المندري) قوة كبيرة من قومه وسار الى سجلماسة ليخضعها باسم الخلافة الأموية في الأندلس ، ومحمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) . وتم اللقاء بين حزرون بن فلفل وبين صاحب سجلماسة : أبي محمد المعتز ، خارج المدينة في ٢٥ رمضان ٣٦٧ هـ ٧ مايو ٩٧٨ م ، وانتهى القتال الشديدي بمقتل المعتز ، وسقوط سجلماسة بين يدي حزرون بن فلفل الذي أخذ منها الكثير من العدد والأموال . وأما هنا هو أن حزرون بعث برأس المعتز الى الأندلس (٤٥) ، اعسلانا بالمعمادة الأموية على مدينة صحراوات المغرب العصبوي ، التي تعتبر من حداثسلي السودان الغربي وانوابه ، واعرافا بدخول زناينة في طاعة المؤيد هشام ، الذي اعلى عرش قرطبة في السنة السابقة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) ، تحت اشراف الحاجب محمد بن أبي عامر ، الذي سيتخذ لقب المنصور اعتبارا من سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م (٤٦) . وذلك ينهي ملك بني مدرار بسجلماسة ،

(٤٤) ونحن هنا مرجع سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، حسب تاريخ ابن عداري . وذلك من بين لروايات ذات الأصل الصنهاجي الحق ، حيث نجح ابن عداري في حيلاته القيمة في ترتيب الأعمال الحربية التي قام بها فكيف في المغرب الأقصى ضد الزناينة ثم كرسا رميا متسللا بشكل متحول ، ينتهي نهاية بركة سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م ، لاثير تلك الأعمال احمالا ، اعتسارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م ، وكذلك الأمر بالنسبة لسويدي الذي يحصلها اعتبارا من سنة ٣٦٩ هـ / ٩٨٩ م ، حسبما فعل ابن خلدون (ج ٧ ص ١٩ ، ٢٨) وحتى سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م .

(٤٥) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حيث سرد أعمال ملكي الأجرة ، دفعة واحدة في بلاد المغرب الأقصى ، اعتبارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م وذلك بعد أن أقر المعز ملكي في ولاية اريضة . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ٩٣٢ - حيث وضع ذلك في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وإن أحمل الأحداث كلها دفعة واحدة الى سنة ٣٧٣ هـ مثل ابن الأثير .

(٤٦) أنظر ابن عداري ، ج ٢ ص ٢٥٣ (عن خلافة هشام الصغير) وص ٢٧٩ د عن تسمي ابن أبي عامر بالمنصور ، والدعاء له على المنابر .

ويعظم شأن رثائه ويشهد ملكهم بسجلهمه (٤٧) .

حملة بلكين الأخيرة بالمغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة وسبتة :

أما عن رد الفعل فدون في السنة استايه ٣٦٨ هـ / ٩٨٨ م حيث خرج بلكين في حملة ردع ضد الزنانية في المغرب الأقصى (٤٨) . وبهذا يوسف بلكين بالتوجه بقوة الصخمة بحر فاس التي سنولى عليها ، ثم انه أتبع ذلك بطرد زنانة من سجلماسة واستعادها ثم الاستيلاء على كل بلاد الهبط ، ما بين قصر كتامة وساحل البحر المحيط . وبذلك يكون بلكين قد نجح في طرد عمال بني امية الأندلسيين من جميع البلاد (٤٩) . واستمرت مطاردة زنانة الى سبتة آخر ملاجئ الأمويين المحصنة في المغرب الأقصى ، والتي قرر الزعيم الصنهاجي محاصرتها ولسكنه بعد أن عاين منعة المدينة المحاطة بسياج من الجبسال العالية كالأسوار ، والغابات المتشابكة التي لا تسلك ، والمفروحة على البحر من جهة الأندلس لتلقى إمدادات الطعام والسلاح ، رأى استحالة فتحها دون أسطول بحري كبير (٥٠) . ودعم حصانة سبتة الأسطورية هذه ، فإن الرواية النقبية تجعل من الزعيم الصنهاجي بلكين ، شخصية غير عادية ، فكانت مجرد اطلالته على المدينة في سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م من أعلى الجبال تثير الرعب في قلوب أهل المدينة ، من زناتية لاجئين وغيرهم ، فيغلقون أبوابهم كما كان حصاره للمدينة يثير الشقاق في قلب محمد بن أبي عامر وهو في قصره بقرطبة ، اذ يحاول استرضاء

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ .

(٤٨) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث يحصل خروج بلكين الى سبتة سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ثم قوله بعد ذلك برحيله الى المغرب سنة ٣٦٨ هـ (في ٢٥ شعبان) ، نحو فاس وسجلماسة ، وهو التاريخ الذي رجعتاه على تاريخ التبريزي . ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ٦٢٢ - حيث يحصل خروج الزنانية الى سجلماسة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م .

(٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ ، التبريزي ، ص ٢١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٦٦ ، التبريزي ، ص ٣١٥ - حيث الصر على معانيته الحال الشامخة والشماعى العامة التي بطبت الأمر قطعها وحرقها لفتح طريق تسلكه المعسكر الى الموضع الذي يمكن منه الاشراف عليها ، وأنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث الوصول الى سبتة وحصارها ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٩ حيث أطل عليهم بلكين من جبل نطاون ، فرأى ما لا قبل له به فارتحل ، واشغل نفسه بقتال برغراطة الى أن هلك عنصرية من الغرب سنة ٣٧٢ هـ .

بلكين ، فيرسس اليه راس عدوه ، قاتل أبيه وهو جعفر بن علي بن الاندلسي .
وكان ابن عامر قد سخط عليه وقتله سنة ٢٦٧ هـ / ٩٧٧ م (٥١) .

وهكذا رجع يوسف بلكين عن سبنة التي بقيت وحدها . دون كل
بلاد المغرب بين أيدي الأمويين بالاندلس والمنصور بن أبي عامر ، خارج
سلطانه ، ومضى نحو مدينة البصرة ، وهو يسوق أمامه قبائل رتانة الهاربة
منه الى الرمال والصحاري (٥٢) . ومن البصرة عرج على أصيلا - غرب
طنجة (٥٣) - التي كانت لقبائل لواتة وكنامة وهوارة ، والتي كانت حاضمة
للأدارسة من بني محمد منذ سنة ٢٢٦ هـ / ٩٣٧ م (٥٤) ، فكان مصيرها
نفس مصير البصرة - على ما يظن - ثم انه واصل المسير غربا الى تلمسان ،
بند قبائل برغواطة ، المعروفة بانحرافاتها المذهبية والزندقية ، وذلك على
عهد ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار الذي « جعلوه نبيا ، وشرع لهم
شريعة ، فاتبعوه فضل وأضلهم » (٥٥) .

حرب برغواطة ومحاولة القضاء على زندقته :

وكانت الحرب الدينية في بلاد برغواطة شرسة لا توصف وان انتهت
بظفر بلكين بعيسى بن أبي الأنصار ، وهزيمة عساكره الذين قتلوا قتلا
خريعا . أما عن السبي الذي أخذ من سائهم وأبنائهم والذي أرسل الى
أفريقية ، فقد استقبله عامل الولاية : عبد الله الكاتب مع أهل القيروان
والمنصورية (٥٦) ، يوم السبت ٨ ربيع الأول ٣٧١ هـ / ١٢ سبتمبر

(٥١) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث مقتل علي بن جعفر ٢٦٧ هـ / ٩٧٧ م .
درج ٢ ص ٢٧٩ - حيث النص على أن المنصور در قتل جعفر بن علي عندما أسكره وبعث
وراءه من قته ، وانه بعث بالراس التي كانت محبوسة في غيران في القصر أو مدعونة في بعض
حوالطه ، سنة ٢٧٢ هـ / ٩٨٢ م ، أي في آخر مراحل الحملة البلنكية بالمغرب ، ابن الأثير ،
ج ٨ ص ٦٦٦ ، الفويري ، ص ٣١٥ .

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، الفويري ، ص ٣١٠ - حيث النص على انها هدمت
وبعثت حتى صارت كأن لم تكن بالأمس ، فلم تكن بصرة بالمغرب الى الآن ، وذكر رسمها .
(٥٣) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(٥٤) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٥ .

(٥٥) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٢٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، الفويري ،

ص ٣١٥ .

(٥٦) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٧ .

٩٨١ م (٥٧) ، وقالوا فيه : « انه لم يدخل اليهم من السبي منه قط » (٥٨) . ولا بأس ان يكون الهدف من كثرة السبي من الذراري هو تأهيلهم دينيا ومذهبيا ولغويا (عربيا) حتى يمكن فيما بعد استخدامهم كعمال مخصين للامارة الصنهاجية والخلافة الفاطمية ، أو فيما يمكن أن يعيد في زيادة الروابط بين البرعواطين ، أهل نامسا ، وبين أهل أفريقية ، والقيروان من صنهاجيين وغيرهم .

واستمر بلكين في حملته العسكرية القوية ، وهو يؤكد سلطانه في فاس ، العاصمة وسجلماة وبلاد الهبط والبصرة وتامسنا طوال ما يناهز الخمس سنوات ، ٣٦٨ / ٩٧٨ - ٦٧٣ هـ / ٩٨٣ م (٥٩) . وخلال تلك الفترة التي ملك فيها أبو الفتوح يوسف بلكين كل بلاد المغرب ، كانت السجلات والرسائل الرسمية ترد عليه من مصر ، فتصله على البريد الى فاس أو غيرها ثم ترجع الى عامل افريقية فتقرأ بعد مدة من تاريخها (٦٠) . وكانت الرسالة التي وجهتها الخلافة الى بلكين تطلب منه ارسال ألف فارس من بينهم أبناء زيري الى القاهرة ، ضمن السجلات التي مرت بالمغرب الأقصى قبل أن تعود الى مستقرها في القيروان سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م . وحق وقتئذ للأمير الصنهاجي أن يحسب الخلافة من المغرب يتغلب بنى أمية على المغرب ، وأن الدعاء لهم على المنابر ، وأنه يحاربهم بأخوته بنى زيري ، والا ترك المغرب وسار معهم الى الخليفة (٦١) .

نهاية بلكين واسترجاع الزناتية فاس وسجلماة :

والظاهر ان جهاد برعواطة ، ومحاولة تأهيلهم دينيا حسب تعاليم الاسلام الصحيح استغرقت كثيرا من الوقت . وذلك أن المصوص تشير الى أن وفاة يوسف بلكين كانت في أواخر سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م عند قفوله

(٥٧) ابن عسري ، ج ١ ص ٢٣٨ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، التويري ، ص ٣١٦ ، قارن ابن عسري ، ج ١

ص ٢٣٧ .

(٥٩) ابن عسري ، ج ١ ص ٢٣٧ - حيث النص على أنه ملكها ، وأهل ستة مائة

حائزون ، وزمالة مشردون ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، والتويري ، ص ٣١٦ - حيث

المدة من ٣٦٩ الى ٣٧٣ .

(٦٠) ابن عسري ، ج ١ ص ٢٣٧ .

(٦١) ابن عسري ، ج ١ ص ٢٣٨ .

من شمال برغواطه حيث عرج على سجلماسة ، ومنه انجبه مخرقا الصب نحو المغرب الاوسط . وفي الطريق وصلته انباء رجوع الرناتيه بقيت حررون بن فعل الى سجلماسة ، وطردهم عامله واستيلاهم عليها ، كما فاس تعرضت هي الأخرى لغزو زيري بن عطية الرناوي (المغراوي) بالعودة الى المغرب ، ولكنه مات في موضع وارجلان من مرض القولنج ، الاحد ٢٣ ذي الحجة ٣٧٣هـ / ٢٨ مائة ٩٨٤م (٦٢) .

وهكذا وقع على عاتق الأمير منصور مهمة استسقاء كل من مد فاس وسجلماسة من ايدي الرناتيه ، وكان على أخيه يطوفت ، بصوته تاهرت والمغرب ، أن يقوم بالتنفيذ ، عندما يصدر له الأمر بذلك - ما حدث في سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٣م .

زيري بن عطية يدافع عن فاس أمام يطوفت :

وفعلا خرج يطوفت بالعساكر والعند الى بلاد المغرب ، وانجبه ص فاس وسجلماسة ولكن التجربة الحربية أثبتت ان والي تاهرت والمغرب الصنهاجي لم يكن ندا لزيري بن عطية (المغراوي) المتغلب على فاس اد لم يكده الجيش الصنهاجي يقرب من فاس حتى عاجله زيري الملك بالقرطاس ، بهجوم كاسح انتهى بهزيمة شنيعة ليطوفت ورجاله الى تتبعهم الرناويون بالقتل والأسر ، حتى تمت عليهم الهزيمة الساحقة تاهرت دفعة واحدة . وهكذا عاد يطوفت الى ولايته وقد ترك قاتدين كبار قواده بين يدي خصومه . أحدهما هو ابن عامل الذي قتل ، والآخر ابن شعبان الذي شهر به مسمرا على الباب الرئيسي بفاس (٦٣) . وبعد النصر المؤزر تمت زيري بن عطية قدمه في ولايته (٦٤) ، وبدأت دولة زيري في فاس .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤ ، الزيري ، ص ٣١٦ ، ص ٣١٨ - حيث النص ان رعاية ملك تلك البلاد بعد موت ملكها ، وقارن ابن عداري ، ج ١ ص ٢٢٩ - السراج ٢٠ ذي الحجة / بدلا من ٢٣ منه ، وص ٢٤١ - حيث النص على ان الرناوية استمر على كل من سجلماسة وفاس بعد وفاة ملكها ، وانظر فيما سبق ص ٣٠٨ .

(٦٣) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٤١ ، وقارن الزيري ، ص ٣١٨ ، وابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦ .

(٦٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٥ - ١٨٦ - يذكر ان الخليفة العزيز بعث من مصر ، الحسن بن كيون الادريسي لاسترجاع ملكه بالمغرب

الغشيل في مواجهة زناتة :

وعلى عكس ما يصف ابن عذارى المنصور به ، من . الصرامة والكرم (١٢) ، وعلى عكس ما أظهره المنصور من العنف والفسوة التي لا تعرف التسعة والرحمة مع كاتبه الوزير عبد الله بن محمد الكاتب (ما سبق ، ص ٣١٢) أو ما أظهره من الهمجية والوحشية مع داعي الخلافة ابنائهم في كنائس أبي الفهم الخراساني ، الذي أكل العبيد وصنهاجة أيضا لحمه فلم يبقوا الا على عظمه (ما سبق ، ص ٣٣٣) ، فقد انصح خدام هذه المظاهر الكاذبة ، اد كان الرجل ضعيفا ، من ذلك النوع من الرجال الذي لا يتحمل مواجهة الصعاب . فهو يتحسس عندما يصله خبر هزيمة أخيه بطونف ، ويخرج من قصور المنصور يوم الأربعاء ١٣ من ذي الحجة سنة ٣٧٤هـ / ٨ مائة ٩٨٦م ، يرسم التوجه الى الغرب ، ويصحب معه وزيره عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . ولكن المنصور لا يلبث أن يغير رأيه فيبقى في أشير ، ويوجه منها أخاه الآخر عبد الله على رأس جيش الى تاهرت ، نجدة لأخيه يطوقت (٦٦) . ولكن الغشيل يكتمل تماما بوصول يطوقت الى أشير ، ويصاب المنصور بما يشبه عقدة الزناتية « فلم يتعرض بعدها لشيء من بلد زناتة » (٦٧) .

طبنة ولاية زناتية بالورثة : أسرة سعيد بن خزون :

وهكذا لا تشير النصوص الى صراعات صنهاجية زناتية ، الأمر الذي يعني عدم الاعتداء أو حسن الجوار لمدة خمس سنوات ، الى أن يأتي الزعيم

وان المنصور بن أبي عامر بنت طوبه قريبه ابا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب باستفلاح سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ومن معه من الزناتية ، ملجأوا الحسن الى الطاعن . وبعد عودة استفلاح عقد المنصور على المغرب للوزير حسن بن أحمد بن عبد الواد السلمي ، وأثناء سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م وعندما استقل ربري برئاسة معاوية بعد موت أخيه معالي بن عطة سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م بقي الوزير الحسن بن أحمد الى أن قتل سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م فعقد له المنصور فاستقبل ملكه حتى غلب على ثلمسان فملكها من يد أبي انبار الصنهاجي ، وبسك بالفتح الى المنصور فجدد له العهد . وربري بن عطية (الترطاس) هو ثاني مدينة وحدة سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م حيث أرب بها عساكره ، والتخدا حاضرة له بسبب موقعها المتوسط في بلاد المغرب - قبل أن يقسم ما سته وبين المنصور كما يأتي (ص ٣٦٣) .

(٦٥) البسان ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(٦٦) التويري ، ص ٣٦٨ .

(٦٧) التويري ، ج ١ ص ٣٦٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ .

الرباني سعيد بن خرون ، الذي كان والده قد استولى على سيجلمسه ،
وفى على الاسره المندزاريه فيها سنه ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م (ما سبق ، ص ٣٢٢)
طالباً المدحول في طاعه المنصور ، انقضى احسن استقباله وقرية من نفسه
حتى استعمله على مدينة طبرية - عاصمة الزاب والعريقه - بل انه اشد ذلك
المقارب بالمصاهرة - فزوج ابنه ببعض بنات سعيد (٦٨) .

وهكذا يكون المنصور قد تخلف من عمه ولاية الزاب ووالده باعده
بها الى الزعيم الرباني ، الذي كان يمكنه ان يستخلف عليها بنفس اعوانه
لسكن يسير الى اهله في المغرب ، حيث يمسكت لديهم الى سنة ٣٨١ هـ /
٩٩١ م ، عندما عاد الى ولايته ثم قام بزيارة للمنصورية حيث انزله المنصور
بقصره ، وأجرى عليه التمايزات الواسعة . ولو ان سعيد بن خرون لم يلزم
بأعلن ومات في الحضرة الأفريقية ، في أول رجب سنة ٣٨٢ هـ / ٢ سبتمبر
٣٩٢ م ، فاحتفل المنصور في تجهيزه حتى أنه كفه بس ٧٠ ثوباً . وبعد
فترة وجيزة وصل الى المنصور فلعل بن سعيد فأعقد عليه الهدايا التمجيد ،
ثم انه رده الى مدينة طبرية أميراً عليها ، فكان ولاية طبرية كانت مهملة لتكون
وراثية في آل خرون الزناتية (٦٩) .

أما ما يذكره إبي عذاري في حولياته سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م من وصول
ولي عهد المنصور ، وهو الأمير أبو عناد باديس من أول حركة له من حبه
الغرب فلا يذكر عن موضوعاً شيئاً ، وان كان أبوه قد خرج لاستقباله مع
أهل القيروان ، الأمر الذي يعني تدشين ولي العهد كقائد معتمد (٧٠) .
ولو كانت الحركة عبارة عن أول زيارة لأشهر - مهد الوطن الصنهاجي

(٦٨) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ ، حيث الاشارة الى ان دولة سعيد بن
خرون نشأت تحت نظريته عقوية عندما قام الجبل بين الرحلين حول الحدود وأدبها أيام
من الآخر ، فقال ابن خرون المعتز بنفسه انه أكرم من نادر من حيث انه يسمى له به .
فيما الأمير يقدم له المال ، والنفس أعز من المال . كما هناك رواية اخرى يقول ٩١
عندما لام المنصور بعض أهله لما كان يصعد بالزناني الذي هو بمثابة عدوه . قال : « كان
أبي وحدي يستعصاه بالسيف ، وأما أنا فمن رماني برمح ومنه أكسى حتى تكون مودتها
شعاً واحتاراً ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث النص على ان المنصور زوج ابنه
من ودد بن سعيد .

(٦٩) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٤٦ .

(٧٠) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٤٧ .

سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، بصحبة الجدة يملان (٧١) .

هزيمة قاحشة لقواد صنهاجة الكبار على يدى زيرى بن عطية أول عهد باديس :

وعلى عهد أبى مناد باديس الذى خلف والده المنصور الذى توفى يوم
الخميس ٣ ربيع الأول ٣٨٦ هـ / ٢٧ مارس ٩٩٦ م ، يعود الصراع من جديد
مع الزناتية على المستويين الخارجى فى تاهرت ، ضد زيرى بن عطية ،
والداخلى ضد قمل بن سعيد فى الزاب وفى طرابلس .

فى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م قام صاحب فاس وما ولاها من بلاد الغرب ،
وهو زيرى بن عطية الزناتى (المغراوى) بالزحف فجأة على تاهرت ، حيث
كان يليها للمنصور عمه يطوفت بن بلكين الذى كتب اليه يطلب المدد .
وصدرت الأوامر من قبل المنصور الى وزيره الكاتب محمد بن أبى العرب
بالخروج بالعساكر نجدة ليطوفت فى تاهرت . وخرج ابن أبى العرب من
المنصورية فى ١٥ صفر / ٦ فبراير نحو أشير حيث كان عليه أن يسير فى
صحبة واليه حماد بن بلكين وعسكره نحو تاهرت . وهناك اجتمع مجلس
الحرب فى أول جمادى الأول / ٢٠ ابريل برئاسة القواد الثلاثة : يطوفت
والى تاهرت ، وحماد والى أشير ، وابن أبى العرب عامل إفريقية ، على بعد
مرحلتين من موقع القرطاس : زيرى بن عطية ، فى موضع يعرف
بـ « آسمار » (٧٢) (أنظر شكل ٧ ص ٣٥٠) .

والذى يعهم من النصوص ان القوة الرئيسية فى الجانب الصنهاجى
كانت قوة أشير ، قلب الوطن الصنهاجى ، وعلى رأسها حماد بن بلكين ،
قائد الدولة أو مشيرها (المارشال) وان أكثر عسكره ، وخاصة الوتلكاتيين
منهم ، كانوا يكرهونه لاساءته اليهم على يدى غلامه خلف الحميرى الذى

(٧١) ادريس (هادى - ووجيه) ، بلاد المغرب (المرير) الشرقية على عهد الزيريين ،
بالفرنسة ، ج ١ ص ٧٣ ، هـ ١٦٧ - حيث الإشارة الى المؤنس لامين أبى دينار وان البنيان
لامى عذارى يهمل الكلام من عهد باديس . والحقيقة ان ابن عذارى أسس فقط رحلة الذهاب
سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، وذلك يكون الفضل لابى أبى دينار فى الاحتفاظ لنا بتلك المعلومة
الطريفة (المؤنس لامين أبى دينار ، ص ٧٩) .
(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٥٢ ، المويرى ، ص ٣٢٥
- حيث اسم الموقع آسمان -

أولاً تأليف مع طلبة والجامعة وكمية

(v) β

سأهمهم الحسب . وفى هذه الظروف غير المواتية تم اللقاء بين العسكرين وكان من الطبيعى ان يتهزم العسكر الصنهاجى أمام الزناتية ، رغم الحرب الشديدة التى دارت بين الطرفين ، ورغم محاولات عامل أفريقية ، محمد بن أبى ، عرب ، التى لم تنجح فى رد المتهمين من الوثلكانيين ، الأمر الذى أدى الى هزيمة الجيوش الثلاثة هزيمة تامة ، وصلت الى أشير . وكان ذلك يعنى صياح كل محلات القواد الصنهاجية بما فيها من عدد وأموال وعناد كما قتل الكثير منهم أثناء الهزيمة المروعة ، وأسر الكثير أيضا وذلك فى يوم السبت ٤ جمادى الأولى سنة ٣٨٩هـ / ٢٢ ابريل ٩٩٩م .

وظهر ريرى بن عطية بمظهر رجل الدولة الأريب ، فقد اکتفى باحتواء ما كان فى العسكر الصنهاجى ، وعامل الأسرى معاملة كريمة . وعندما وصل الى تاهرت أحسن الى أهلها ووعدهم الجميل ثم انه تعضل على الأسرى فأطلقهم ، فرجعوا الى أشير (٧٣) .

باديس يقود الصراع ضد الزناتية فى قلب أفريقية وفى المغرب :

وكما حدث فى بداية عهد المنصور عندما انهزمت القوات الصنهاجية أمام رجال حررون فى سجلماسة ، وزيرى (المغراوى) فى فاس ، بقى القواد المنهزمون الثلاثة فى أشير ، دون أن يحركوا ساكنا ، كما بقى ريرى ابن عطية على تاهرت . وعندما وصل ببا الهزيمة الى المنصورية فى ٢٠ جمادى الأولى / ٨مايه ، أخذ المنصور يتجهز لمواصلة الضال . وكان خروجه للقاء زيرى بن عطية يوم السبت ٢ جمادى الثانية / ٢١مايه ، على طريق بلاد الزاب . وعندما اقترب من طينة ، عمالة فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتى ، بعث فى طلبه ، ولكن فلفل - الذى كان على صلة بزناتية فاس - توجس خيفة ، وأرسل اليه يعشدر عن الحضور ، بل ويطلب منه أن يكتب له سجلا جديدا بولاية طينة . ورغم احابة المنصور بطلب تجديد العهد بالولاية ، ورحيله بعيدا عن المنطقة ، فالظاهر أن حمى العصبية الزناتية كانت قد نالت من فلفل ، فرأى أن ينضم الى جانب أهله وعشيرته بشكل مكشوف ، وأن ينقل الصراع - وان كان بشكل انتهازى - الى قلب الأملاك الصنهاجية فى بلاد افريقية . فهذا ما يفسر كيف انقلب فلفل الزناتى ،

(٧٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٥٦ ، البربرى ،

ص ٣٢٥ - حيث اسم الصنهاجيين المحالفين « الوثلكانيين » الذى رجحنا عليه قراءة ابن عذارى

« الوثلكانيين » .

ما بين عشية وضحاها ، الى بدوى جلف ، لا يعهم معنى الاقتصاد المدني . فاحد ينشر الحواب والدمار فى المنطقة من : طبقة الى تمحس وبأغاية التى . حاصرها وأفسسد جهاتها ، بينما كان نصير الدولة ياديس . متماديا فى سيره ، لا يلتفت اليه - عن غير قصد كما نظن - حتى وصل الى مدينة أشير (٧٤) .

وعندما وصل ياديس الى المسيلة رحل زيرى بن عطية عن تاهرت فقرر منابعتها ، ولكنه عندما عرف انه متجه نحو مدينته فاس ، اكفى بذلك ورأى العودة الى تاهرت . ومنها سار الى أشير وبصحبه عمه يطوفت الذى . آلت اليه ولاية أشير مع تاهرت ، فاستخلف ابنه أيوب على تاهرت مع حامية من ٤ (أربعة) آلاف فارس . وفى أشير عرف ياديس بصا فعله فلقل بن . سعيد من الافساد فى بلاد الزاب ، فسير اليه جيشا مع عدد من كبار قواده . منهم : أبو زعبل ، وجعفر بن حبيب ، ومحمد بن حسن ، ثم خرج هو فى اثرهم للملاحقة الزناتى المخرب ، وبصحبه عم أبيه أبو النهار بن زيرى . وكان وصوله الى المسيلة فى أواخر أيام رمضان فعيد بها الفطر (٧٥) .

ياديس يحقق انتصارا كبيرا على فلغل بن سعيد الزناتى :

وخلال رحلة العودة ، التى بدأها ياديس ثالث أيام الفطر (٣ شوال / ١٧ سبتمبر) الى مقره بالمنصورية يلعبه فى بلرمة الأنباء السيئة عن انتصار فلغل بن سعيد على العسكر الذى كان سيرهم ، وانه قتل ابا زعبل وأسر ابنه حميد ومثل به ، ثم قتله ، بل ان الزناتى أخذته العزة بالاثم فتبادى الى القيروان . وهنا عرج ياديس على بأغاية التى وصلها فى ١٩ شوال / ٣ أكتوبر ، وعرف ما عاناه أهلها من شدة حصر فلغل لهم الذى استمر ٤٥ يوما ، فكان قراوه بمتابعة فلغل بعد أن أقام بها بقية الشهر ، اذ كاف وحيله عنها فى غرة ذى القعدة / ١٤ أكتوبر الى مرماجنة (٧٦) .

(٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، النويرى ، ص ٣٣٦ .

(٧٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

النويرى ، ص ٣٢٦ - حيث الإشارة الى ان ياديس كان مصرا على صحة أعيان انه أولاد زيرى معه ، وكافوا قد طلبوا البقاء مع يطوفت ، ولكنهم انتحلوا له الأعداد حتى سمح لهم بالبقاء على ان يلحقوا به فيما بعد ، ولكنهم نكثوا وحاولوا القبض على بطوفت الذى نجح من الحرب معهم ، وعلق بالأمير ياديس بالمسيلة ثم صحبه الى امريقة .

(٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، النويرى ، ص ١٢٧ .

وعندما صار باديس الى بنى سعيد كان ذلك ايذانا ببداية المعركة. الفاصلة مع قلقل بن سعيد انذى زحف اليه يوم ٦ ذى القعدة (٣٨٩ هـ / ١٩ أكتوبر ٩٩٩ م) . ومن الواضح أن باديس لم يتعجل اللقاء اد ننص. الرواية على أنه . ثم يلقه ولم يلتفت اليه ، الأمر الذى دعا الزناتى أيضا الى التروى وعدم الاندفاع فى المخامرة . هكذا ، لم يتم اللقاء الا يوم الاثنين ١٠ من ذى القعدة / ٢٣ أكتوبر ، فى ساحة تعرف بوادى أعسلان . وفى مقابل قوات باديس التى حوت صنهاجة والعبيد (السودان) كان يجمع حول قلقل من أصناف البربر ما لا يحصى من زناتة ، « وكل من فى نفسه حقد على باديس وأهل بيته » . أما عن القتال فيوصف بأنه حرب عظيمة لم يسمع بمثلها صبر فيها العريقان ، وثبتت صنهاجة بين يدى باديس ، وانتهت بانتصار باديس وصنهاجة وانهرم البربر وزناتة الى جبل « الحناش » حيث اتبعنهم صنهاجة والعبيد ، ولكتهم عندما وجدوا تصادى ولفل فى الهزيمة وجعوا عنه ، وعادوا الى محلته ، ونهبوا ما كان فيها . أما عن نتائج المعركة فقد أسفرت عن خسارة كبيرة فى الجانب الزناتى حيث قتل منهم ٩ (تسعة) آلاف رجل (٧٧) .

وأرسل بصير الدولة باديس بكتاب الفتح الى القيروان ليقرأ من أعلى منبر جامع عقبة (٧٨) ، وعاد باديس الى قصوره بالمنصورية ، وسط احتفال القيروانيين الذين كانوا يخافون من غارة يقوم بها قلقل على مدينتهم (٧٩) .

(٧٧) ينظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ - حيث النص على ٧ آلاف قتل من زناتة ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ - حيث ٩ آلاف قتل من ربيعة (زناتة) سوى من قتل من البربر ، السويرى ، ص ٣٢٧ - حيث قتل من زناتة ٩ آلاف رجل سوى البربر . (٧٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٥١ .

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ . وانظر أبوزج الرماد لابن رشيق ، ص ٢٩٤ - حيث النص على أن الشاعر على بن هبة الله اللحى ، المعروف بـ « العميلة » ، صنع فى سيدنا بصير الدولة (باديس) قصيدة ذكر فيها وقته وزيارته (سد ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) ، مع ذكر مواضع القتال والوقائع وانهرام النوم ، د حاطب محمد بن أبى العرب ، الوزير القائد قائلا :

ولما طوى وبنى عسل	فلماش به رؤية الأسر
دعاه الله بصير الامام	وما فوق ذا امرى معسر
فأصحكت منهم ضباع الملا	وزلزلتهم الطلح والأسار

(الططلس - الذئاب) .

تحالف أبناء زيري مع فلفل الزناتى الذى لجأ الى طرابلس :

ومع دخول سنة ٣٩٠ هـ / ديسمبر ٩٩٩ - يناير ١٠٠٠ م ، وصلت الأنباء الى باديس بنحالف عمومة أبيه مع الناصر الزناتى ، فخرج من طلبهم بصحبة أبى البهار منهم ، الذى كان اعتذر عن قصبتهم هذه ، الى مصر الافريقية . وهنا افترق الطرفان فاتحه بنو زيري نحو العرب باستثناء ماكس بن زيري الذى بقى مع فلفل الذى توغل الى الرمال هاربا ، الأمر الذى دعا نصير الدولة باديس الى الرجوع الى حضرته بالمصورية . وهما ، تبعا لتكنيك العر والكر الذى يعرفه أهل الصحراء ، رجع فلفل الى منطقة طرابلس ، التى كانت قد بدأت تملل ، مما سبقت الإشارة اليه (ما سبق) ، ص ٣١٨) .

ويمكن أن يستشف من سير العمليات الحربية فى افريقية وفى العرب انه كان هناك نوع من التخطيط المشترك بين الزناتية ، وان كان من الممكن أن يكون قد تم تلقائيا على المستوى الفردى دور اعداد مسبق . فبينما كان فلفل بن سعيد يثير الاضطراب فى طرابلس ، فى شرق الدولة ، كان صاحب فاس فى المغرب الأقصى ، وهو زيري بن عطية الزناتى يتجاسر على التقدم نحو أشب ، قلب الوطن الصنهاجى . وهكذا كان على نصير الدولة باديس أن يخرج من المصورية فى شهر رجب سنة ٣٩٠ هـ / يونية سنة ١٠٠٠ م الى رقادة استعدادا للتوجه الى القرطاس : زيري بن عطية ، ولكنه عندما جاء الخبر بوحييل زيري الى الغرب ، كان على باديس أن يرجع بدوره الى المصورية (٨٠) .

أسرة زناتية بمدينة طرابلس (انظر شكل ٨ ص ٤٤٥) :

فلفل بن سعيد أميرا :

والحقيقة ان الظروف كانت مواتية لكى يستقر فلفل بن سعيد فى مدينة طرابلس ، وأن يكون فيها ما يمكن أن يشبه بأسرة وراثية حاكمية .

(٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، السورى ، ص ٣٢٨ - حيث الإشارة الى ان حرب فلفل الى الرمال اثر مطاوعه باديس له كان فى سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، وبالتالى عودة فلفل الى طرابلس حيث قبله أهلها أحر قبول ، فدخلها واستوطنها .

فبصت على زمام الامور طوال عشر سنوات الى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ،
عندما توفي فلعل وحفنه احوه ورو بن سعيد .

وفي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م كان « تموصلت بن بكار » نائب باديس
في مدينة طرابلس الذي أساء السيرة وجمع الأموال الطائلة ، بكتاب
الحليفة الحاكم بأمر الله يطلب منه أن يسلم اليه مدينة طرابلس على أن يقبله
لاجئا لديه بالقاهرة ، ويتم ذلك على يدي والي برقة الفاطمي : القائد يانس
الصقلبي . وعندئذ تتوتر العلاقات بين القاهرة والقيروان عندما لا يقبل
باديس مررات يانس الصقلبي لأخذه طرابلس ، ويحاصره في المدينة ،
الأمر الذي يتطلب من الخلافة ارسال تجنيد الى يانس بقيادة يحيى بن علي
ابن الأندلسي الذي ينتهي به الحال الى التحالف مع فلعل الذي كان اسنهر
الفرصة سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، ودخل طرابلس بمساعدة فتوح بن علي
وجماعة أهل المدينة ، واستوطنها من ذلك الحين (٨١) .

محاولة التمدد في افريقية وولاية نلزاوة :

والطاهر انه كان هناك نوع من التنسيق بين فلعل وبين ماكس
ابن زيري ، فبيما كان فلعل يسيطر على طرابلس ويستوطنها سنة ٣٩١ هـ /
١٠٠١ م ، كان ماكس حليعه ، يحاول الاستيلاء على آشير حيث كان حماد
ابن (أخيه) بانكي ، ونسهي الحرب الشديدة بين الزيريين بمقتل ماكسن
وأولاده في ٣ رمضان / ٢٧ يولييه . ومما يسرعى انتباه المؤرخين من
غرائب الصدف . « وفاة زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس والغرب كله ،
بعد تسعة أيام من مقتل ماكسن وأولاده أي في ١٢ رمضان / ٨
أغسطس (٨٢) » .

ومن المهم ما قام به فلعل بن سعيد من الاستيلاء على بعض ولاية
افريقية نفسها ، عندما قام بمؤازرة يحيى بن علي بمحاصرة فابس التي
كان على ولايتها عطية بن جعفر ، وهي المحاولة التي انتهت بالفشل والسود

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، انصار
الدين ، ص ٣٤ ، ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ٩٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ،
التويري ، ص ٣٢٨ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٧ ، ص ١٧٩ .

الى طرابلس في ٢٤ رجب سنة ٣٩٣هـ / ١٥ سبتمبر سنة ٩٩٣م (٨٣) .
 واستقر فلفل في طرابلس الى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، حيث توفي وحلفه
 عليها أخوه ورو الذي آلت اليه رعايته زنانة . وأثناء تلك الفترة كان
 فلفل قد يأس من معاونته خلافة القاهرة ، فبعث بطاعته الى المهدي محمد
 ابن عبد الجبار بمرطبه ، وأوفد اليه رسالة في الصريح والمديد . وهو الأمر
 المستعرب - وهلك فلفل قبل رجوعهم (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) (٨٤) . ولكنه
 عندما سار باديس الى طرابلس لحرب زنانة هناك ، فارقوا المدينة التي فر
 أهلها ، وملكها باديس . وانتهى الأمر على كل حال بالتسوية عندما راس
 ورو باديس ودخل في طاعته على أن يستخدمهم كعمال له ، وأعطاهم نفزاود
 وقسطنطينية ، في نظير الرحيل عن أعمال طرابلس . كما دخل أيضا خزرون
 ابن سعيد ، أخو ورو ، في طاعة باديس ، وكان معه ٧٠ (سبعون) فارسا ،
 فأعطاه ولاية بعض المدن ، فخرج اليها بالبندود والطبول (٨٥) . ولو ان هذا
 لم يمنع من تجديد النزاع على طرابلس التي كان ورو يحاصرها سنة ٤٠٣هـ /
 ١٠١٢م بينما كان أخوه خرون يحاول أن يمنعه من ذلك (٨٦) .

وخلال تلك الفترة وفيما بين سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م و٣٩٧هـ /
 ٦ - ١٠٠٧م كانت قبائل زنانة في اقليم برقة تتحالف مع عرب بني قوه
 ضد حكومة القاهرة الفاطمية ، تحت قيادة الثائر أبي ركة الذي حاول
 اقتحام مصر نفسها ، رجا بسبب المجاعة التي اجتاحت المغرب سنة ٣٩٥هـ /
 ٤ - ١٠٠٥م على وجه الخصوص (أنظر فيما سبق ، ص ٣١٩) .

هسكدا ظل باديس يعاني من فتن زنانة ما بين داخل بلاده من طرابلس
 الى طبة وأشير وخارجها من تاهرت الى فاس وسجلماسة ، الى أن ينسحب
 الأمر بوفاته سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، وهو يعاني من فتنه عمه حماد الذي
 كان محاصرا في قلعته (٨٧) .

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١١٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
 - ص ٢٥٦ .

(٨٤) أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤١ .

(٨٥) ابن عذاري ، ط بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ .

(٨٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٨٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

وفى شوال من هذا العام / مارس كانت وفاة ورو بن سعيد ،
واختلفت كلمة الزنانيين بالاختلاف بين حليته بن ورو وابن عمه خروون .
وبذلك اوقع الله الشتمات بينهم حسب مقالة ابن عذارى (٨٨) .

الانقسامات في الأسرة والزيرية :

رغم ان تاريخ الأسرة الزيرية الحقيقي لا يرتفع الى أكثر من جده بسكين
وهو مناد ، بصرف النظر عن سلسلة الاجداد الاسطورية التي ترتفع الى
ما يريد عن أربعين جدا ، معظمهم لهم أسماء عربية (ما سبق ، ص ٢٩٣) ،
فان الأسرة ما لبثت الا قليلا حتى تفضحت بفصل سياسة تعدد الزوجات ،
واخذ الحريم الذي كان يحوى مئات الجواري (النويرى ، ص ٣١٧) بين
سوداوات من العبيد ، وبيضاوات من الصقالبة المماليك ، حتى كان الأمر
منهم يبشر بالعشرة اولاد وأكثر في المرة الواحدة (النويرى ، ص ٣١٧) .
وهكذا تكاثرت الأسرة حتى كان يكون في قصر الأمير أحيانا ما يناهز الألف
امراة من دوات المحارم اللاتي لا يجزن له شرعا ، من : الأخوات الطبيعيات
أو في الرضاعة والحالات والعمات (٨٩) .

وهكذا ظهر ما يمكن أن يشبه ما نسميه حاليا بالانفجار السكاني ،
وان كان في الأسرة الزيرية الصنهاجية ، منذ وقت بكر ، الأمر الذي أدى
الى ضيق الوطر الأصلي ، في منطقة أشير عن استيعابهم ، فخرجوا يطلبون
« أرض الله الواسعة » ، في المغرب الأقصى بعيدا عن حكومة القيروان
المركزية في افريقيه ، وعن حكمه القسامرة الخلافية في مصر ، حيث كانت
الأبواب الشرقية موصدة أمام الخارجين عن السلطة ، في القيروان وفي
القاهرة ، الأمر الذي دعاهم الى خرق كل ما تعارضت عليه الجماعة من
الأصول والقواعد أو التقاليد والأعراف ، من : شراء صداقة العبيد على
حساب الأقربين ، أو الارتقاء في أحضان الأعداء التقديدين ، أنفه من مدارة
الأصدقاء التاريخيين ، مما أدى بهم الى التوغل بعيدا في قلب الأندلس من

(٨٨) السار ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٨٣ .

(٨٩) النويرى ، ص ٣١٧ ، وقارن الاعلام لاس الخطيب ، ص ٦٨ - حيث الاشارة الى
ان روى بن ريرى الذي لحق بالأندلس ، ثم عاد الى افريقية بعد وفاة نديس بن المنصور ،
كان له في الدوا أريد من ألف امرأة لا تحل له مهن واحدة - كنهن من نسل اخوته ،
وكذلك مثل هذا العدد من الرجال من نسل اخوته ، وهو ما يعتبره ابن حزم - خطأ - من
ضرائب الدهر .

أجل الجهاد أو طلب الملك ، وهو الأمر الذى تنبأ به المعز لدين الله فى وصيته - المزعومة ، على ما نظن الى بلكين - التى حذره فيها من بولية . حد من إبناء عمومته أو من أهل بيته - وهى الوصية التى تعتبر ببساطة من واقع الأحداث ، وإن كانت بعض أفكار ما تمثله حتميات التاريخ .

وهنا لا بد من الإشارة أيضا الى أن الخلافات التى كانت تقوم بين الأمير وبين أفراد أسرته لم تكن دائما لأسباب سياسية . فذلك كان يتربها الطموحون عادة ، وهم فئة نادرة ، ولأسباب قد تتعلق بدرجة القرابة من المؤسسين الأول للأسرة أو الأمير الممارس للسلطة أو ولى العهد المخبى أو بالأحقية فى المشاركة فى الحكم عن طريق ولاية بعض الأقاليم أو محاولة الاستقلال ببعض الولايات . ولكنه الى جانب ذلك كثيرا ما كانت تثار الوحشة بين الأمير وأهل بيته لأسباب شخصية ، مما يتمثل فى سوء المعاملة والطمع فى ممتلكات الغير أو أموالهم ، أو حتى فى بعض أفراد أسرهم . ولئن هذه الأسباب ، مما يتعلق بمحاولة القوى الاستبداد بالضعيف ظهر ذلك النوع من القضاء العالى الذى عرف فى دولة الاسلام باسم « المطالم » ، وهو القضاء الذى كان يرأسه الأمير أو من يوب عنه من كبار رجال الدولة ، والذى كان يفصل فى المنازعات التى يكون أحد أطرافها بعض أفراد الأسرة الحاكمة أو بعض كبار رجال الدولة أو مراكز القوى فيها .

الانشقاق الأول :

هروب أخوى بلكين الى القاهرة :

وفيما يتعلق بالأسرة الزيرية ظهر أول انشقاق بين الأمير وبعض أفرادها على عهد يوسف بلكين ، وذلك سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ، أى بعد سبع سنوات من ملكه . وفى ذلك الوقت كان بلكين ، يحتفظ بأثنين من أخوته فى قصره بالمنصورية ، وهما : كباب - الذى أظهر مروحية مبكرة عندما نجح فى رد هجوم الزناتية على أشير ، وهو لم يبلغ الحلم بعد حتى أنه كان ممنوعا من الخروج من المدينة ، الأمر الذى استحق عليه أن يطلق اسمه على باب أشير الذى خرج منه وعاد مظفرا ، فصار « باب كباب » (٩٠) - والآخر مغنين ، ابنا زيرى . والرواية لا تعرف بأسباب غضب الأمير على

(٩٠) أنظر فيما سبق ، ص ٢٩٩ - هذا ان لم يكن بدء القصة سجما لمويا منى على لفظى كتاب الزيرية وباب العربية .

أخويه ، بل كان من الممكن الا يعرف فصصهما هذه التي لم تتفجر الا بسبب هروبهما من القصر ، واستجائهما مباشرة الى جوار الخلافة بالقاهرة . وقصه الهرب هذه طريفة ، وان كانت دارجه فى بلاد الاسلام حيث لم تختلف ثياب الرجال كثيرا عن ثياب النساء . فلقد « لبسا ثياب النساء ، وحرجا حتى نسوة لن قد دخلن اليهما لزارتهما ، فوجدا الخيل والسلاح ، فركبا ، ومصيا الى مصر » . ولقد احنى الخليفة العزيز بالأميرين الصسياجيين . وأبقاهما فى كنفه الى نهايه ذلك العام . وفى السنة التالية ٣٧٠هـ / صرفهما العزيز الى بلكين أخيهما مع الأمر بالعفو عنهما (٩١) .

أولاد زيرى بن مناد والعلاقات مع الأندلس :

اما على عهد المنصور بن بلكين فقد ظهرت الانشقاقات بشكل واضح فى الأسرة الحاكمة وذلك على المستوى الداخلى ثم انها اتسعت مع مرور الوقت لى ترتبط بالسياسة الخارجية ، وليكون لها دورها السلبي فى العلاقات مع الأمويين بالأندلس ومن ترتبط بهم من أمراء الغرب من الرناتية أو الحسين الأدارسة .

فعلى عهد المنصور ازداد نفوذ عبد الله بن محمد الكاتب - رغم كراهية المنصور له منذ بداية ولايته (سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) ، حيث مرض الكاتب لاساءة متعمدة من جانبه ، على يدى أخيه يطوقت بن بلكين (كما سبق ، ص ٣٠٩) . فلقد صارت أمور الدولة كلها بين يديه من : « جمع المسال وترتيب الأحوال » ، حتى انه لثقته بنفسه « كان لا يدارى أحدا من أولاد زيرى ، ولا أكابر الدولة » (٩٢) . وكان ذلك يثير بغاضه حقد الأمراء عليه ، الأمر الذى أدى الى وشايتهم به والظعن عليه (٩٣) . ومن ثم انتهى بمقتله سنة ٣٣٧هـ / ٩٨٧م على يدى المنصور وأخيه عبد الله ، كما قتل ابنه يوسف على أيدي المنصور أيضا وعمه ماكسن بن زيرى (٩٤) .

(٩١) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٩٢) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٢ . قارن البريرى ، ص ١٩ - حيث النص على انه بلغ ما لم يبلغه قرابة المنصور وأهل دولته .

(٩٣) البريرى ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٩٤) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وأظن فيما سبق ، ص ٣١٢ .

الجهاد في جليقية :

ومن انهم الاشارة هنا الى أن الأمراء الصغار من أبناء زيري كانوا مصطربين منذ اواخر عهد أخيهام الأمير بلكين لا يضير ذلك أن كان ماكس في سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م يقف الى جانب ابن أخيه المنصور ، وبشاركه في القضاء على منافسهم رجل الدولة ووزيرها الكاتب عبد الله بن محمد ، وفي الحقيقة ان ماكسن ، على العكس من ذلك ، كان يشارك في بداية عهد المنصور في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، أخويه زاوي وجلاله ، أولاد زيري ، وأخوة بلكين الصغار ، في الخروج على دوله ابن أخيهام المنصور ، بطريق غير مباشر ، عبر الصراع مع ابن أخيهام الآخر : حماد بن بلكين العامل على مدينة أشير ، فكانهم كانوا لا يقرون بالسيادة له وحده ، على معر الأسرة ، وموطن صنهاجة الأول (٩٥) . والمهم أن الصراع من أجل الوطن الأصلي انتهى بين أبناء زيري وأبناء أخيهام بلكين بغلبة حماد وطردهم من البلاد فاتجهوا الى الغرب نحو طنجة ، من حيث عبروا الى محمد بن أبي عامر (المنصور) بقرطبة ، الذي أحسن استقبالهم ، « وأجرى عليهم الوظائف » . ومن المهم أيضا أن الأمراء بني زيري لم يطلبوا من منصور قرطبة العون ضد ابن أخيهام منصور القيروان ، بل سألوه الجهاد في الأندلس ، وبأن أمم اعتزازهم بأنفسهم أن رفضوا أن يشاركهم أحد من أهل الأندلس في جهادهم هذا أو غيرهم ، باستثناء بني جلدتهم الصنهاجيين ، ومواليهم ومن يتبعهم من العبيد . وكانت حملتهم في أرض جليقية عبارة عن غارة من تلك التي تعرفها جماعات البندو ، مما يسمى بحرب الامكانات الخفيفة بمعنى حرب العصابات التي تعتمد المفاجأة ، وقطع الطريق والأشجار ، ونصب الكمائن ، وبيان المهارات الفردية ، والتي يكون هدفها النهائي العودة بالمغانم والسبي ، بعد نشر الفزع والهلوع (٩٦) .

(٩٥) انظر ابن الأثير ، حيث النص على تبرير الخلاف بينهم بأنه قامت حروب مع أخيهام حماد (الصحيح ابن أخيهام) على بلاد بينهم .

(٩٦) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢ - حيث سألهم (ابن أبي عامر) عن سبب انتقامهم ، فأجروا له : انما احتراك على غيرك . . للجهاد في سبيل الله . فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياما - ثم دخلوا عليه وسألوه ما وعدهم به من العزو ، فقال : انظروا ما أردتم من الجند معكم ، فقالوا : ما يدخل معك سلاح العدو الا الدين معنا من بني عمنا وصهاجة ومواليها فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال ، وبعث معهم دليلا .

ورغم ما تقوله الرواية من أن غارة جليقية التي قام بها الصنهاجيون من بنى زيري حمست الأندلسيين ونشطتهم للغزو معهم مرة أخرى في ليون ، حيث أظهر جلاله بن زيري (الصنهاجي) مهارة فردية عظيمة في القتال عندما تفادى ضربة القومس (الكونت : Comes) قبال عنها ووجه إليه ضربة أبانت عاتقه ، وهي الغارة التي انتهت بالعودة بسبي عظيم ، نبأ الخ الرواية من غير شك ، عندما تجعله ٣٠ (ثلاثين) ألفاً (١٧) . فالمعروف ان تلك الغارات غير المدروسة التي كانت تهدف الى تخريب بلاد العدو واضعاف معنوياته ، كانت تأتي بسبب بساطتها وعفويتها وعدم استمراريتها بنتائج عكسية . فقد كانت تثير العدو وتنهيه الى تقوية دفاعاته ثم قيامه بغارات ثأرية ، وأعمال ودع مستمرة كانت تثبط من همم المسلمين ، وتخرّب بلادهم الحدودية وتجعلها أرضاً « بغير صاحب » (ro man's land) ، كما يقال في المصطلح الحربي ، مما أدى مع مرور الوقت اما الى تمعية أهلها الى العدو أو حلاتهم عنها وضجها . بل وما هو أخطر من ذلك ، فان استخدام ابن أبي عامر للبربر بكثرة في جيوشهم أدى الى تفاقم أزمة الخلافة الأموية على المستويين السياسي والاقتصادي ، وبالتالي الى انهيارها بانتهيار الدولة العامرية ، وافتقار البلاد لوحديتها بترققها . بين عرب وبربر وماليك صفالية .

وهنا يكون أهم انجاز حققه بنو زيري الصنهاجيون في الأندلس هو اقتطاع مملكة لهم في غرناطة بعضل نشاط زاوي بن زيري الذي يسميه ابن خلدون : « ملت الفتنة بالأندلس » . اعتباراً من سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، الأمر الذي أدى الى قيام أسرة بنى حبوس بن ماكسن الصنهاجي في البيرة وغرناطة ، وهي التي انتهت على يد يوسف بن تاشفين (١٨) .

عصيان أبي البهار بن زيري :

ولا ندرى ان كان اضطراب بنى زيري اللاحثين الى الأندلس كان له تأثيره على من بقي منهم في كتف بنى أخيهم بلكين في افريقية والمغرب الأوسط . ففي سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م عقب اضطراب بلاد كتامة بسبب

(١٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣ .

(١٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ وما بعدها .

إدعى ابن القيم (٧٧ - ٢٧٨ هـ) م تابعه . بنى الفرج سنة ٢٧٦ هـ ر ٩٨٩ م ، وهي السنة التي صالح فيها سعيد بن حزون الأمير المنصور ، ونال منه ولاية طيبة ، ثار على المنصور عمه أبو البهار ، وإلى تاهرت والمغرب ، لأسباب لا يوضحها ابن الأثير ، في روايته الغامضة التي تقول : « نشأ جرى عليه من المنصور لم يحمله لمزة نفسه » (٩٩) . وعندما سار المنصور إليه بعساكره ، ترك أبو البهار تاهرت ومعه أهله وأصحابه وانجه نحو العرب . وهكذا دخلت عساكر المنصور تاهرت فانتهبوها ، وقتلوا كثيرا من أهلها قبل أن يطلبوا الأمان ، حسبما تقول رواية ابن الأثير وابن عذارى (١٠٠) ، فكانهم كانوا مساندين للثورة ، بينما تقول رواية ابن خلدون إن أهل تاهرت أمدوا المنصور ، بمعنى أنهم ساعدوه (١٠١) ، وهو الأمر المقبول من حيث أنه لا بأس أن يكون نصرف العسكر العدائي بالنسبة لمدينة مفتوحة أمرا عاديا بالنسبة لهم ، سواء كانت صديقة أم عدوة . بمعنى عدم السيطرة على الجنود في جيوش ذلك الوقت ، أن لم تكن تلك سياسة معتمدة لترضية العساكر ، فكانها مكافأة أشبه بما يعرف بالخوافز في أيامنا هذه .

وسبع المنصور عمه فيما وراء تاهرت إلى مسافة ١٧ (سبع عشرة) مرحلة ، إلى أن أدهق عسكره ، قرع أدرجه نحو أشير ، بعد أن عهد بولاية تاهرت إلى أخيه يطوفت (١٠٢) .

التحالف مع زيري بن عطية :

أما عن أبي البهار فانه قصص الزعيم الزناتى زيري بن عطية ، القرطاس ، الذي رحب به وأدخله في خدمته ، فكان رجاله يغربون على أطراف بلاد المنصور . ومن قاس راسل أبو البهار المنصور بن أبي عامر بقرطبة ، وعرض عليه الدخول في طاعته على أن يبقى في كنف زيري بن عطية . ووافق المنصور بن أبي عامر شريطة أن يبعث أبو البهار ابنه رهينة إلى قرطبة ، وهذا ما فعله أبو البهار بولدين من أبنائه غرق أولهما عندما

(٩٩) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، وفارن بن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث يتكفى بذكر الخلاف دون إشارة إلى سببه .

(١٠٠) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، السان ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(١٠١) المعر ، ج ٦ ص ١٥٧ .

(١٠٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ .

عطية المركب الذي توجه به ، بصحبة ميمون بن الداية ، كاتب أبي البهار ، بينما وصل الثاني سالما ، وأقام في كنف أبي عامر (١٠٣) . وهكذا تم تحالف أبي البهار بن زيري الصنهاجي وزيري بن عطية المعراوي ، برعاية المنصور بن أبي عامر ، ضد المنصور بن بلكين ، وبدأ العمل . حوياً سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ضد الأراضي الزيرية المتاخمة لماس ، حيث أوقعوا برجال المنصور ، واستولوا عليها (١٠٤) . وبقي أبو البهار في خدمة زيري بن عطية ، صاحب فاس ، تحت راية المنصور بن أبي عامر الى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م حينما قرر العودة تائباً ، توبة الابن الضال ، الى بلده وأهله وعشيرته . فلقد بدأ أبو البهار اتصالاته من أجل العودة بابن أخيه يطوفت والى تاهرت ، الذي كتب بدوره ، في نفس الوقت ، سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م الى المنصور بذلك ، فطلب منه أن يبعث به اليه . وكان وصول أبي البهار الى المنصورية ليلة الاثنين ١٥ شعبان / ٦ أكتوبر ٩٩٣ م ، حيث أحسن المنصور استقباله وأغدق عليه الأموال والهدايا ، من الكسي والفرش والجواري (١٠٥) .

أما عن زيري بن عطية ، القرطاس ، الذي كان قد وثق علاقته بالمنصور بن أبي عامر في نفس سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، حيث قام ابن عطية - بعد أن ترك ابنه المعرف في تلمسان - بزيارة ابن أبي عامر ، واستمرت العلاقة وطيدة بينهما الى أن فسدت سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، مع بداية عهد باديس بن المنصور ، وقامت الحروب بينهما (١٠٦) . وشارك في تلك الحروب

-
- (١٠٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ط . بيروت . ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
 (١٠٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، وقارن القرطاس ، ص ١٠٣ - حيث النص على ان ابن أبي عامر عقد لاس البهار على تلمسان ونس وهران وشب وشمال ، وحال نفريش والمهدية ، وكثير من بلاد الرب ، وذلك اعتباراً من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م . وكانت الأمير مستقرة سيم الى شهرين فقط قبل عودة أبي البهار الى اوربقة . حيث كان المنصور العاصري قد بعث اليه معبده وهدية وخلعة و٤٠ ألف دينار .
 (١٠٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، الذي يحسن ذلك من أحداث سنة ٣٨١ هـ / ٩٧١ . وقارن القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ - حيث يحال الأحداث عن أبي البهار .
 (١٠٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وانظر القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٤ - حيث استقر ملك زيري بن عطية في فاس اعتباراً من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م تحت راية ابن أبي عامر بقرطبة ، ثم انه عهد اليه بعد عودة أبي البهار الى الطريقة بدمج بلاده ، فحصل زيري من تلمسان مقراً لابنه المعز . وكان محي زيري بن عطية أن يرور قرطبة ما بين حين وآخر ،

قائد ابن أبي عامر - اتفى واضح ، وابنه سيد ، ملك المظفر ، واسهت بهريجة
ريري واستصال رجانه ، ونجته سحبا بالجراح . وبذلك ابسب ملك
المظفر عبد الملك سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م على المغرب الأوسط ما بين تلمسان
وتاهرت ، وفي المغرب الأقصى ، ومد سلطاته الى سجلماسة ، وصارت فاس
هي قاعدة البلاد حيث استقر بعد إقامة المظفر فيها ، فتاه واضح ثم عبد الله
ابن أبي عامر ، أخو المنصور (١٠٧) .

الخلاف بين أولاد زيري وباديس :

عند وفاة المنصور بن بلقين سنة ٣٨٦ هـ / ٩٨٦ م ، لم يكن أولاد

كما حدث سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، حيث عهد بعدوتي فاس الى عبد الرحمن بن عبد الكريم
أس ثنية (بالاندلس) وعلى بن محمد بن قشوس (بالقرويين) . ورغم الترحيب الكبير
بزيري في قرطبة ، ووصله بلبث الوزير ، فانه رجع ساحطاً الى بلاده لا يريد الا الامارة
دون الوزارة ، وأن تكون طجة القاعدة الاندلسية ، ملكاً له . وكان عليه أن يسترجع حدود
الاندلس من ابن حلدته الغرني ، يدعو بن يعلى بعد أن قتله أثر حروب طويلة سنة ٣٨٣ هـ /
٩٩٣ م . وظلت علاقة زيري من عطية حاضرة تان أبي عامر ، في الوقت الذي كان يؤكد
سلطانه فيه بالمغرب ، وخاصة بعد بناء مدينة وحدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واتحادها قاعدة
للكه ، الى أن فقد تماماً ما سبه وبين المنصور الطامري سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م . من حيث
كار ربري يترب فقط بأمامة هشام المؤيد ، دون حجابة الطامري ، وقيام الحروب بينهما .
(١٠٧) ابن عساري ، ج ١ ص ٢٥٢ ، قارن ابن حلدون ، ج ٧ ص ٢٨ وما بعدها ،
صحيح الأعشى للقلقشندي ، ج ٥ ص ١٨٦ - حيث الاشارة الى فساد ما بين المنصور
(ابن أبي عامر) وزيري ، وعقد المنصور للولاء واضح على المغرب وحرب زفانة . واتساعه
ناتج عبد الملك المظفر ، وانهازم زيري وجرحه وفراره الى فاس التي امتنع عليه أهلها
وطاقه بالصحرى تم عودته الى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط حيث فتح تاهرت وتلمسان ،
واقام الدعوة فيها لهشام المؤيد والمنصور من بعده .

وأبظر القرطاس ، ص ١٠٥ - ١٠٧ - حيث بحث المنصور قائده واضحاً الفتى الذي
أقام بطنجة يستكمل استعداداته للقتال ، ولكن المعركة انتهت بهزيمة واضح الى طنجة ،
فكان على المنصور ابن أبي عامر أن يمدد نائبه عبد الملك الذي حقق النصر في معركة وادي
منى من أحوار طنجة ، اثر غزو أحد غلمائه السود ، وطمنه سكين في رقته . وهكذا
استحق عبد الملك لقب المظفر عندما انهى محاولة تجمع قلول زيري بالقرب من مدينة
مكناسة ، في ١٥ رمضان ٣٨٧ هـ / ٢١ سبتمبر ٩٩٧ م . وكان عز زيري أن يقبض على
الصحرى بعد أن أغلقت فاس أبوابها في وجهه . وبذلك أصبحت فاس من أملاك قرطبة
حيث توالى عليها بعد المظفر ، عيسى بن سيد صاحب الشرطة . ثم انتهى أخيراً سنة
٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م بشا كان زدي بن عطية بحوس فساداً ثم قلب الديار الصنهاجة ، ثم
تاهت وتلمسان والمسيلة الى أن خلفه ابنه المعلى سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠١ م .

زيرى قد اطمأنوا بعد الى وضعهم فى الدولة ، اد حاولوا الخلاف ومنع الولاية من ولّى عهد المنصور الشاب الصغير أبى مناد باديس ، بمعنى أنهم لم يكونوا قد قبلوا بعد انفراد الفرع البلكىنى بالملك ، دون سائر أنساء زيرى ، لولا موقف الحرس الأميرى من الممالك السودان (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٠) . ولكنه على عهد باديس يظهر الانشقاق الزيرى بشكل أوضح ، بل ونجح الفرع الحمادى من أولاد بلكىن فى اقتطاع امارة خاصة بهم فى اقليم القلعة الغربى ، منذ عهد باديس بولاية أشير الى عمه حماد سنة ٥٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، ويتكرس ذلك الأمر بثورة حماد قبيل وفاة باديس سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، وولاية المعز بن باديس ، فيستكمل شكله القانونى (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٩ وما بعد ، ص ٤٠٩) .

وكانت الشرارة التى اشعلت انفتحة بين الأسرة الزيرية من أولاد زيرى (الأعمام) وأولاد بلكىن (أبناء الأخ) هى الحرب التى اقدلعت بين زيرى ابن عطية ، صاحب فاس وتابع المنصور بن أبى عامر ، حاجب قرطبة ووزيرها الأول ، وبين باديس بن المنصور سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ، فكانها كانت فرصة مواتية تكي تعود الأمور الى أوضاعها المناسبة ، حيث يصم خصوم الأمير الصنهاجى (باديس) من أبناء الأسرة الى ماصريهم الأمويين الأندلسيين . واذا كانت الهزيمة المريعة التى لحقت بالجيوش الصنهاجية على أسدى قوات زيرى الرنانية قد وجدت تبررها على أساس سخط رجال حماد عليه ، فلا تدرى ان كان لأنساء زيرى - من - راوى وجلاله وماكسن ، مصر خدم بعضهم فى الأندلس كمجاهدين بموافقة ابن أبى عامر ، أو كمساعدين لزيرى بن عطية ، كما فعل أبو البهار ، تأثيرهم فى مسار تلك الأحداث ، بعد أن ظهرت مواقفهم الثابتة بين الطرفين المتنازعين على سيادة المغرب من أبناء الاخوة ، ممثلى الفاطميين ، وزناتة الغرب أتباع الأمويين .

والهم أن أبناء زيرى أظهروا ما كانوا يضمرونه لباديس من الحقد بعد ما طرد ابن عطية بعيدا عن تاهرت التى أعطيت ولايتها الى يطوقت ، كما أعطيت له ولاية أشير التى استقر فيها ، بينما استخلف ابنه على تاهرت . فعندما سار باديس لمواجهة قلقل بن سعيد بن خرزون الذى كان يهدد بلاد الزاب وأوراس (انظر فيما سبق ، ص ٣٥١) تشبث أعمام أبيه ، أولاد زيرى - باستثناء أبى البهار منهم - بالبقاء مع يطوقت فى أشير ، كأعوان له . وعندما اعترض باديس على ذلك وتشبث بضرورة مصصاحتهم له ، وعدوه بالحقاق به بعد أن قضوا أمورا كانت لهم بأشير . وهكذا سار

باديس نحو المسيلة حيث عيد الفطر . وأثناء صلاة العيد ، وصلت الأحبار
إلى أبي البهار بعصيان أحوته أولاد زيرى ، فى أشير وهم : زاوى وماكس
بوغنبي ، إذ قاروا بيطوط ، وببضسوا عليه واحدوا ماله ، بل وكادوا
يقتلونه لولا أن نجح فى الاحتيال عليهم ، وانجاة بنفسه ، والعودة إلى
باديس .

وخاف أبو البهار ، الذى كان على صلة بأخوته ، أن ينهم بالمشاركة
فى تلك المؤامرة فهرب فى التو واللحظة بأهله وبنيه ، ولم يدرك عندما طلب
ولحق بأخوته بأشير (١٠٨) . وفى أشير قرر أولاد زيرى التحالف مع فلفل
ابن سعيد الزناتى ، الشائر على باديس فى قلب ولاية إفريقية ، بدلاً من
الذهاب إلى العرب البعيدة وفاس . ولكنه عندما سار باديس فى أوائل
سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، ومعه أبو البهار الذى اعتذر عما بدر من أخوته ،
مقبل باديس عنده ، لحرب فلفل - بعد الهزيمة التى ألحقها به آخر السنة
الماضية - فخرج من المنصورية إلى رقادة ثم قصر الإفريقى ، خاف عمومته
أولاد زيرى ، فنقضوا حلفهم مع فلفل ، وساروا نحو الغرب ، باستثناء
ماكسن بن زيرى وابنه محسن ، الأمر الذى دعا باديس إلى العودة إلى
حضرته ، المنصورية (١٠٩) .

مقتل ماكسن بن زيرى وبنيه :

وبينما كان فلفل يزيد اشتعال الفتنة القائمة فى طرابلس ضد
باديس باسم الخلافة الفاطمية ، محاولاً الصيد فى الماء العكر ، كما يقال ،
كان ماكسن بن زيرى عم والد باديس يسير سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م إلى أشير
فى محاولة لاسترجاع وطن الوالد من بين يدي حماد الذى ربما كان معاونا
للأخيه بيطوط هناك ، إن لم يكن قد استعاد ولايتها مرة أخرى ، بعد فقدانها
أثر هزيمة سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م . والمهم أن تلك الحرب الضروس بين
ماكسن وابن أخيه حماد انتهت بكارثة بالنسبة لماكسن الذى قتل هو
و (ثلاثة) من أبنائه ، هم : محسن وباديس وحباسة - وهى الكارثة

(١٠٨) التويرى ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ - حيث الإشارة إلى اللقاء كن من بطوط وأبي البهار
فى طريقهما ما بين أشير والمسيلة . وإن أبا البهار حطب لبطوط أنه لم يعاود أحوته على
الغلاى ، ولكنه يهرب خوفاً على نفسه . ابن عذارى ج ١ ص ٢٥٦ . ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٣
- قارن ابن خلطون ج ٦ ص ١٥٧ ، ١٧٩ .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٢ . التويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ .

الذى اعتبرها الكتاب نذير شؤم على حليف أبناء زيرى ، السابق ، صاحب فاس ، الذى مات بعد ٩ (تسعة) أيام فقط ، فى ١٢ من رمضان / ٢٧ أغسطس (٩٩٩) (١١٠) .

زراوى (بن زيرى) فى الأندلس من جديد :

أما عن بقية أولاد زيرى الذين اتجهوا نحو الغرب ، للدخول فى خدمة المنصور بن أبى عامر تحت راية الأمويين ، فالمعروف أن راوى مهم لمع فى سنة ٣٩١ هـ / ٩٩٩ م بجبل شنوق من منطقة مليانة ، من حيث عبر مع ولاده وأولاد أخيه (ماكسن ؟) وحاشيته ، الى الشاطئ الأندلسى . وهناك نزلوا على المنصور بن أبى عامر الذى أحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم ، وجعلهم أعوانا لنفسه ، اذ نظمهم فى طيقات البربر الذين اصطنعهم لخدمة فى القوات الأندلسية بدلا من العساكر الأموية النظامية ، وقبائل العرب من المتطوعة . وعن هذا الطريق قويت شوكة صنهاجة فى الأندلس ، فأصبحوا عصبية الدولة العامرية على أيامه وأيام ولديه . المظفر عبد الملك ، والناصر عبد الرحمن (شنجويله) ثم كان زراوى شأنه فى فتنة قرطبة التى رفعت الحسين سليمان ممثل البربر الى عرش الخلافة .

وعند استباحة قرطبة كان هم زراوى هو البحث عن رأس والده . زيرى بن مناد « المنصوب بجدران قرطبة ، فأزاله الى قومه ليدفن فى جدته » (١١١) .

(١١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٢ ، الزيرى ، ص ٢٢٨ - حيث وصول الخبر فى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٠ م ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣٦٤ .

(١١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ - حيث وصف زراوى بأنه « ملث » تلك الوقائع ومحشى حروبها ، بمعنى عالجها وتجاوزها ، قيل قليل من عودته الى اديقية سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م بعد غلب دام ٢٢ سنة . وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٥٧ - حيث النصر على اسبلاء زارى على غرناطة ثم عن له أن قدم على المعز بن باديس (ما بعد ، ص ٤٠٦) واستخلف ابنه على غرناطة ، فأساء السيرة فملكوا ابن عمه جويس بن هاجسن ، وعظم سلطانه الى أن تولى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، وملك بعده ابنه باديس بن جويس الذى تلقى بالمظفر ، والذي مصر غرناطة واختطف قصبته وشيد قصورها وحسن أسوارها سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر المراتلون بالمغرب . وحده عبد الله بن بلكين هو الذى جعله ابن تاشفين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م .

الصراع بين باديس وعمه حماد :

أما عن اضطراب الخلافت بين الريريين ، فكان ذلك الذي حدث بين باديس بن منصور وبين عمه حماد بين بنكين ، من حيث هو صراع بين آل بنكين ، ومن حيث ما انتهت اليه من تقسيم الدولة الى مملكتين . والأمر هنا لا يتوقف على الحقوق المشروعة لآل بنكين في المشاركة في حكم الدولة « ابوسيفيه البنكينية » ، بصفتهم حماد من السلالة الحاكمة ، بقدر ما يتوقف على شخصية حماد نفسه . فمنذ بداية عهد باديس بن المنصور (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) حل حماد بن بنكين محل يطوفت أخيه ، صاحب أشير والوطن الصنهاجي ، وأصبح قائد الدولة أو مشيرها « المارشال » الذي يعهد اليه بقيادة الجيوش ضد زناينة الغرب - بصرف النظر عن مكانه من القيادة أو من النصر والهزيمة (أنظر فيما سبق ، ص ٣٤٩) ، والذي يقاتل حلفاء زناينة الداخل من عموته أولاد زيري ، بل ويقتل ماكسن منهم ، وكذلك أولاده الثلاثة (ص ٣٦٦) . وهو في النهاية لا يستجيب لمطالب باديس بالتنازل لولي العهد عن بعض أقطاعه ليرقع من شأن ولاية العهد ، ويكثر من أتباعها الأقوياء ، فكانه في حقيقة الأمر يرفض ولاية العهد بطريق التسلسل من الأب الى الابن ، ويعضل عليها حق الأسن وحق الأقوى ، على الأقل في وراثة وتوريث أقطاعه في أرض صنهاجة الوطن ، بأشير (١١٢) .

وفي ذلك وقف الى جانبه أخوه ابراهيم ، فكان على حد السيف أن يقرر مصير الدولة ، ولئن تكون اليه العليا فيها . وبدأت حرب قدرة استمات فيها حماد وأخوه ابراهيم ، ولجأ الى أساليب مجبوجة من أعمال القتل

(١١٢) أنظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٩ وما بعدها - حيث الاشارة الى ان باديس انهمس عمه حماد الى الرناينة المخالفين ، وحمل له تسلك كل ما يمشه ، وأعفاء من الرسول الى أمريقية بعد ، وكل شروط كثيرة تشطط فيها حماد لكبره وحرصه مدمري دولة باديس على الاستراحة منه . وأنظر ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ . حيث تتلخص صفات حماد ، في أنه حري ، معادع ، حكيم جيد ، كريم قس . ورغم انه قرأ الفقه صبيا في القبروان ، فهو طاعية لا يتورع عن القاء عمه «ماكسن» حيا الى الكلاب . وإذا كان ادريس لا يحب التشكيك فيما كان يظهره حماد من التقوى ، أو رميه بالفسق ، قلنا أن تسابل ، هنا ، عما اذا كان حماد محلصا فيما دعا اليه سياسة حروجه على باديس ، من مخالفة دعوة باديس (الفاطمية) ، وقتل الراضية ، وأظهار التسلط ، والعرضي من الشجب ، وند طاعة العميديين حمدة ، ومراجعة دعوة آل الناس ، وذلك في سنة ٤٠٥هـ ، حسبا يمس أن حدود (ج ٦ ص ١٧١) .

والنهب والتخريب (ص ٣٢٤ و٩٧) ، وتحمل فيها حماد هزائم قاسية دون أن تكسر له شوكة . وفي النهاية لم ينقذه من الحصار الأخير الذي أحكم حوله في القلعة (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) إلا وفاة باديس فجأة بإذبحته ، وهي السكتة القلبية . فكان من حقه أن يكنسب حق وراثة ولايته أشير منسذ بداية عهد حفيد أخيه : المعز بن باديس .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية :

لم يكن من الغريب أن يكون من أهم وصايا المعز لدين الله لنائبه يوسف بلكن التركيز على المسألة المالية وجباية الضرائب ، الأمر الذي يعنى الاهتمام بالأحوال الاقتصادية ، ركيزة الدولة المتحضرة ، وأصل الحضارة ، كما تقضى العلاقة السببية بين المال والحضارة ، من حيث أن الحضارة تبع لكفى والثروة ، ومن حيث أن الدولة هي السوق التي تنفق فيها أسباب الحضارة ، من المطالب فوق الحاجة ، أى الكمالية ، كما نفى بذلك نظرية ابن خلدون (١١٣) . وكما تقضى به أيضا السياسة المدنية مما يأتى ملخصا فى الدائرة الثمانية التى يسميها ابن خلدون بالدائرة الحكيمة الفلسفية الالهية ، والتى تقرر : أن الملك راع يعضده الجيش ، وأن الجيش أعوان يشدهم المال ، وأن المال رزق تجمعه الرعية ، التى يستعبد لها العدل الذى يحيا به العالم (١١٤) .

وهكذا ، فكما قامت السياسة المالية بدورها فى حياة الدولة الفاطمية فى المغرب ، من حيث تجميع المال من مظانه المختلفة ، وخاصة الضرائبية ، الأمر الذى لا يتحقق بدون تشجيع الزراعة والحرف والصناعات والتجارة حتى تفتنى الرعية ، وبالتالي يكثر المال الذى تحتاجه الدولة للنفقة على الدواوين الادارية ، والجيش والأساطيل الحربية التى تحقق الأمن ، وعن طريقها ينتشر بالنال العدل ، الذى هو أساس الملك وبه يحيا العالم .

بناء على ذلك لم يكن غريبا أن يوصى المعز نائليه بلكن ، بعدم رفع الجباية عن أهل البادية ، والعمل بأهل الحضارة خيرا ، من حيث تحصيل

(١١٣) مقدمة ، فصل التدرج العمرانى ، (من البداية الى الحضارة) ، الفصل الثالث ،

١٥٠ ، ص ١٤٤ .

(١١٤) مقدمة ، تحقيق على عهد الواحد ، ج ١ ص ٤١٦ ، وأطرو كتاب سر الأسرار

محقق على عهد الرحمن بدوى ، ط ١ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٢٦ وشكل ص ١٢٧ .

الجباية من أهل البادية بانتظام ، بمعنى دفعهم الى العمل في زراعة الأراضي واحياؤها ، وبالتالي دفع ضريبة الخراج المطلوبة منها ، وتلك العملية تعنى في ثناياها تحضير أهل البادية ، ورفع مستواهم الحياتي والعمرائي .
أما الإحسان لأهل الحاضرة فهو معاملتهم بالحسنى وعدم التجنى عليهم في أخذ الضرائب ، تشجيعا لهم على مواصلة العمل وزيادة الانتاج ، وبالتالي زيادة الثروة القومية ، دعامة الحضرة ، وارتفاع مستوى المعيشة .

الادارة المالية تابعة للخلافة :

وهكذا فصل المعسر الادارة المالية للولاية الافريقية عن الامارة ، وجعلها تابعة له مباشرة ، بتعيين ابن القديم عوناً لبلكين على جميع الأموال بأفريقية^(١١٥) كما ان بنكين ، بدوره ، عندما نسلم رمام ادمور في ولايته ، بدأ باخراج العمال وجباة الأموال الى سائر البلدان^(١١٦) . وكأنه بدأ بخرقه أوامر المعسر التي نقض بالعصل بين الولاية بمعنى السلطة السياسية والادارية ، والعماله بمعنى السلطة المالية ، بقصد تجميعها جميعا بين يديه ، الأمر الذي يفسر كيف أنه تخلص من ابن القديم ، عن طريق كاتبتهم الأسبق عند الله بن محمد الكاتب ، ولو أن المسألة انتهت بسيطرة هذا الأخير على الشئون المالية ، والظهور بمظهر صاحب الخراج المستقل ، التابع للخلافة وليس لأمير القيروان^(١١٧) .

تبرعات اجبارية يجمعها العامل باسم الخلافة :

وهذا ما يفسر كيف كان عبد الله محمد الكاتب يستطيع في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، أن يفرض على المقتدرين من أعيان الناس بأفريقية والقيروان ، الدين بلغ عددهم ٦٠٠ رجل ، اتاوة معينة بحد أقصى قدره ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، مع استثناء رجال الدين من الفقهاء والصلحاء ورجال العلم والأدب ، من هذا الغرم ، الى جانب رجال الدولة من أولياء السلطان .
فكان تلك الاتاوة وقعت على التجار والأغنياء من أصحاب الأراضي الزراعية ، والعقارات أو المتيسرين من أصحاب الحرف والصناعات ، وهي الطبقات العاملة أو المنتجة ، دون غيرهم . وإلهم ان عبد الله بن محمد الكاتب جمع من منطقة القيروان وحدها ، أكثر من ٤٠٠ (أربعمائة) ألف دينار .

(١١٥) البويري ، ص ٣٦١ ، ما سبق ، ص ٣١٠ ، وانظر ما سبق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(١١٦) البويري ، ص ٣٦٢ ، وما سبق ، ص ٣١١ ، وانظر ما سبق ، ص ٣٠٢ .

(١١٧) ما سبق ، ص ٣٠٤ .

ومن الواضح أن جباية تلك الأثارة لم تتم بسهولة ، بل استوجب إجراءات قمعية ضد بعض المطالبين بالدفع ، الأمر الذي كان له أصداء سيئة في نفوس الناس الذين جأروا بالشكوى حتى وصلت أسماع المستولين في ديوان الخلافة بالقاهرة ، الذي أصدر أوامره إلى أبي الفتوح يوسف بلكين « برفع الغرم عن الناس » فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوال (يوتيه) .

وفي سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م التالية ، كان عبد الله الكاتب ، عامل إفريقية ، يبعث ، بموافقة بلكين ، بتلك الأموال التي وضعت في صرر ، حسبما جمعت ، اد وصنع على كل صرة اسم صاحبها ، إلى الخليفة العزيز بمصر ، وكان صدورها من القيروان في ٢٥ من جمادى الثاني / ٢٣ أكتوبر . والأمر المستغرب هو أن ديوان الخلافة بالقاهرة رد بعض تلك الضرر إلى أصحابها (١١٨) . ولا يأس أن كان هؤلاء من المحظوظين ، من بين الذين جأروا بالشكوى من تلك الغرامة أو المظلمة .

والحقيقة أن الخلافة كانت تعمل على تحسين صورتها في أعين الناس ، فكانت تحاول علاج مثل هذه الأعمال عن طريق العطاء أحيانا دون الأخذ . وكانت مناسبة خروج نقود جديدة من دار السكة بالقاهرة مناسبة جيدة يمكن استغلالها بإرسال مجموعات من تلك القطع الجديدة لكي تفرق على الناس . فهذا ما حدث بمناسبة ولاية العزيز للخلافة سنة ٣٦٥هـ / أواخر ٩٧٥م حيث ضربت دنانير ذهبية جديدة تحمل اسمه ، وأرسل بعضها إلى المغرب وإفريقية وقرقت على الناس (١١٩) .

زيادة الخزائن :

والظاهر أن نشاط عبد الله الكاتب ، ومن كان تحت إدارته من الجباة كان يؤدي إلى نتائج المرجوة من زيادة الأموال في الخزائن العامة . فهذا ما يفهم مما قام به سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، وهي السنة الأخيرة من عهد يوسف بلكين ، حيث قام عبد الله الكاتب بعمل خزانة جديدة من الحديد مملأها بالأموال ، إضافة إلى خزانة خشبية ، امتلأت هي الأخرى (١٢٠) .

(١١٨) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(١١٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(١٢٠) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣٨ .

ولا بأس أن تكون خزانة الحديد مخصصة لصرر الأموال الذهبية من الدنانير ، وأن تكون الحشبية للورق من الدراهم الفضية ، والفلوس النحاسية . واغلب الظن أنه كان من مهام بيت المال تزويد الصيارفة في الأسواق بما كان يلزمهم من قطع النقود الصغيرة من فضة ونحاسية عند الحاجة ، وخاصة في مناسبات الأعياد والمواسم (١٢١) .

ولا شك أن اتخاذ بيوت مال (خراوات) حديدية ، كان يثير خيال الطمعين في أموال الدولة ، وكذلك خوف المسئولين وشكهم فيما يمكن أن يكون لتلك الأموال من اعراض قد تؤدي إلى انحراف المسئولين عن جانيها ، فصلا عن حفظها ، من عمال الجباية أو بيت المال .

محطة أولية لعبد الله الكاتب :

وهكذا كان أول عمل يقوم به المنصور عندما بلغه نبأ ولايته بوصول خبر وفاة يوسف بنكيس والده ، هو أن يتأكد من أمانة عبد الله الكاتب - الذي ربما دارت حوله شائعات عن استبداده بالأموال من قبل الحساد والتكارهين له - عن طريق التأكد من سلامة بيوت الأموال ، وكذلك خراوات السلاح بكل من المهدية والمصورية ، وصحة بيانات حفظها ، عن طريق التفتيش المباشر ، والحد المباشر ، الأمر الذي كلف أخاه يطوفت القيام به ، وإن كان بطريقة فجة وأسلوب مهين بالنسبة لرجل الدولة ، صاحب عمالة أريقية ، المسئول أمام ديوان الخلافة مباشرة ، حسبما تم رسمه بمعرفة الخليفة المعز لدين الله - وهو ما اعتقد عنه المنصور عندما تبين له أمانة الكاتب الوزير ، ونظافة يديه (١٢٢) ، وإن كانت المسألة أكبر من أن تكون موضوع محاسبة الأمير الوالي الذي تجب طاعته لصاحب الحراج العامل ، إذ كانت أشبه ببداية لتصفية حسابات بين قرينين ، بمعنى تابعين للخلافة بالقاهرة ، مما سبقت الإشارة إليه ، وإن كانت التفرقة واضحة بين الأمير الوالي والعامل صاحب الحراج .

واللهم أن التفوق كان للأمير الوالي الذي كان يستطيع التصرف في

(١٢١) انظر الزيرى ، ص ٣٢١ - بمناسبة خروج الداعي أبي القهم إلى كتامة في مركب من يديه تجوت الشباب ، وبنر الدراهم (أى أكياس الدراهم الفضة) .
(١٢٢) انظر ابن عسار ، ج ١ ص ٢٣٩ - حيث النص على أن يطوفت نظر إلى الخزانة معلقة وإلى بيت المال مقفلة ، فانه المفتوح وفتح بيت المال والسلاح .

الأموال ، وإن كان بطريقة غير مباشرة عبر العامل ، صاحب الخراج ، فعندما حضر وفد إفريقية إلى أشير لتهنئة المنصور ، برئاسة عبد الله الكاتب كان المنصور يستطيع أن يأمر عبد الله الكاتب ، بصفته صاحب بيت المال بإعطاء الوفد ١٠ (عشرة) آلاف دينار كمكافأة ضيافة وبدل انتقال .

هدايا وقصور للأمير :

أما عندما ذهب المنصور ، بعد ذلك إلى قصور رقدة في نفس سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م فقد انتهالت عليه هدايا العمال وعاطاياهم ، كما اتجه عبد الله الكاتب بالهدايا الجبيلة التي لا يحيط بها الوصف (١٢٣) . وفي السنة التالية ٣٧٥هـ / ٩٨٥م كان يوسف بن عبد الله الكاتب يتفقد أوامر المنصور بعمل أبواب حديد جديدة للقيروان وبناء قصر كبير له بالمصورية (١٢٤) ، بلغت النفقة فيه ٨٠٠ (ثمانمائة) ألف دينار ، كما نبأ الخرواية النويري . على ما نظن (١٢٥) . وحول هذا القصر ، وقصر آخر مجاور به كان قد بناه شمعون الصقلي صاحب المظلة ، أقيم سور محقق عليهما عرست حوله الأشجار من كل جهة (١٢٦) .

صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير :

والحقيقة أن موقف عامل الخراج ، صاحب بيت المال ، كان دقيقا من حيث ما هو مفروض عليه من ترضيه كل من أمير القيروان وخليفه القاهرة . فعند وصول الداعي أبي الفهم الخراساني إلى القيروان في طريقه إلى كنانة يشعر عبد الله بالخرج ، ويحجب على تساؤل ابنه يوسف عما إذا كان يسمح له بالخروج إلى بند كنانة بأن يقدم له التسهيلات اللازمة من المال والمتاع للخروج إلى أي جهة يريد . وبناء على ذلك يخرج الداعي في هوكب مهيب ، على أفراس بسروج محلاة ، وبين يديه نخوت ثياب وبدر دراهم حسب مبالغة الرواية على ما نظن (١٢٧) . وإذا كانت هناك إشارات في التصوص إلى أن

(١٢٣) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤٠ النويري ، ص ٣١٨ .

(١٢٤) ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤١ .

(١٢٥) النويري ، ص ٣١٨ ، وقاؤه ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث البصر على

أن مدافع الاعاق على القصر في سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م قبل تمامه ١٠٠ (مائة) ألف دينار .

(١٢٦) النويري ، ص ٣١٩ .

(١٢٧) أنظر النويري ، ص ٣٢١ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث البصر على

مسئولية يوسف بن عبد الله الكاتب الذي أعطاه الخيل والمال فتوجه إلى كنانة .

ثورة أبي الفهم في كتامة كانت من الأسباب التي أدت إلى قتل عبد الله الكاتب على يدي المنتصور ، فإن المشهور أكثر من ذلك هو أن إدارته للأموال ، واستبداده بها كانت السبب الرئيسي في التخلص منه ، فهذا ما يفهم أيضا مما نسب إليه من قوله يتلك المناسبة ، « ما قتلت عبد الله على مال ولا على شيء أغنته » (١٢٨) .

والأمر المستغرب أن التخلص من الرجل الذي كان يستبد بإدارة أموال الدولة ، والذي كان يخشى الحساد والهدامين حتى سقط وهو يتمثل بهذا البيت :

أرى ألف بان لا يقوم لهادم فكيف بيان حونه ألف هادم ،
كان مناسبة للقيام بعملية تمت في شكل مكافأة لحرس الأميري الذي دار ينهب أموال الناس ويسلبهم ، من مسافرين على الطرق ، وتجار الأقمشة والنسيج خاصة ، وذلك فيما بين وادي القصارين وباب تونس من القيروان (١٢٩) ، مكان البيت المتمثل به قد صار حقيقة من مبادئ الاقتصاد ، وأصول العمران .

يوسف بن أبي محمد عاملا والبوني مساعدا :

اسلوب خاص في الجباية :

أما عن صاحب الإدارة المالية بعد عبد الله الكاتب ، وهو يوسف بن أبي محمد ، فكان من تسييج مختلف تماما عن سلفه ، فهو وديع محب للعافية والحياة الناعمة ، مولع بالطعام والشراب اللين ، خصوصا في فصل الربيع عندما تتحسن الأحوال الجوية ، ويطبخ الورد الذي أغرم به فكان يجلس وينام فيه حتى سمي بـ « شيخ الورد » ، وهو لكل ذلك يتيب عنه تابعيه من العمال في القيام بمهمة جمع الأموال ، بينما هو مستغرق في طعاه وشرابه في ربيع الورد ، حيث تكون جودته من أجل لتصيل الضرائب .

وكان نائب يوسف بن أبي محمد الأول في الجباية هو : أبو الحسن

(١٢٨) البويري ، ص ٣٢٠ ، وأنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وممسا سبق ، ص ٣١٣ .

(١٢٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٤ ، وما سبق ص ٢١٣ - ٢١٥ .

البوسى ، نسبة الى بونة ، وهى عناية الحالية ، كما كان الرقيق (ابراهيم) الكاتب مؤرخ افريقية والديروان ، الذى يأخذ عنه ابن الاثير ، وينقله البويرى نقلا ، من المساعدين الذين يجوبون البلاد فى دورة جمع أموال الخراج هذه .
والى جانب الخراج الذى كان يدفع للبيورنى ومساعديه ، كان ليوسف نصيبه الخاص من الهدايا التى يقبضها أصداقؤه المصاحبون له ، وكذلك أفراد عسكره .
والى جانب راتب يوسف بصفته صاحب الخراج كانت له نفقته اليومية الجارية التى كانت تنقسم الى نفقته الخاصة والذين يصحبونه ، والتى كانت تكلف البونى من مال الخراج مبلغ ٥ (خمسة) آلاف درهم ، الى جانب نفقات المطبخ والفساكة التى كانت تكلف ٥ (خمسة) آلاف درهم مثلها ، مما يعنى أن مجمل نفقات يوسف بن أبى محمد أثناء موسم الجماية كانت تبلغ ١٠ (عشرة) آلاف درهم يوميا (١٣٠) .

وكان من الطبيعى أن ينهج يوسف سياسة مالية تتفق مع منهجه هذه فى الحياة الناعمة ، وان كانت فى نفس الوقت تطبيقا لوصايا المعز لدين الله لنائبه بلكين فى مجال السياسة المالية والاقتصادية ، مما يقضى بعدم رفع الجماية عن أهل البادية والنوصية بأهل الحاضرة خيرا . وتلخص رواية ابن عذارى تلك السياسة المالية التى طبقها يوسف بأن أهل الحاضرة كانوا معه فى أمن وعافية ، بينما كان أهل البادية فى « عذاب وعرامة » (١٣١) .

الموقف الضرائبى فى بلاد كتامة :

وإذا كانت الرواية تقول ان يوسف بن أبى محمد كان يخرج فى كل سنة فيدور على كور افريقية ويجبى الأموال ويأخذ الهدايا من كل البلاد (١٣٢) ، فالمعروف أن بلاد كتامة كانت مستثناة من دفع الضرائب على أساس انها بلاد « الانتصار » . ولكنه بعد ثورة أبى الفرج التى أعقبت ثورة أبى القههم الحراسانى الداعى الفاطمى شجعنها المصور بالعساكر والعمال جباة الضرائب - بعد أن كان لا يدخلها عامل قط - فجبروا أموالها وضيقوا على أهلها (١٣٣) . هذا ، ولو أننا لا نعرف ان كان دوران يوسف على كور

(١٣٠) البويرى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ . وانظر فيما سبق ، ص ٣١٤ .

افريقية خلال السنين النالتين ، أى حتى عزله سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م كان يشمل بند كتاعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وهذا لا يعنى أن عامل خراج أفريقية كان مستبدا بالادارة المالية دون الأمير . ففي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، عندما توفى المرصدى ، صاحب خراج القروان ، رأى المنصور (أبو الفتح) أن يعهد بتلك الوظيفة بعده الى رجلين معا ، هما : محمد بن عبد القاهر بن خلف ، وسلامة ابن عيسى ، اللذين كان عليهما الاجتماع معا فى ديوان خراج المنصورية (١٣٤) ، كنوع من الاحتياط فى التدقيق والرقابة .

محنة البونى : مساعد الخراج :

والظاهر ان تلك الرقابة أدت فى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، الى تغيير الادارة المالية ، بل اتخاذ اجراءات قمعية عنيفة ضد المسئولين عنها . فقام المنصور بالقبض على أبى الحسن البونى نائب يوسف بن أبى محمد ، والمسئول عن الجباية ، والنفقة الجارية ببذخ يوميا على رئيسه يوسف ، وكان ذلك بتهمة الخيانة فى الأموال . ولقد تعرض البونى تظير ذلك الى غرامة - تعادل المبلغ المتهم باختلاسه ، على ما ظن - ولما عجز عن السداد ، كانت عقوبته الذبح ، كالشاة . أما عن يوسف بن أبى محمد ، صاحب افريقية ، ونائب المنصور فى البلاد ، فإنه عزل ، واستعمل بدلا منه أبو عبد الله محمد بن الى العرب الكاتب (١٣٥) ، ولو ان المنصور عاد الى استعمال يوسف مرة أخرى فى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ولكن فى وظيفة ثانوية هى عمالة مدينة متيجة (١٣٦) ، ولو أن ذلك يمكن أن يعنى نوعا من توارث الوظائف العامة مما عرف فى النظم الاسلامية .

ومن المهم الإشارة هنا الى ما تقوله الرواية تيريرا للعقوبة المشعة التى نزلت بالبونى ، من أن المنصور كان يظن أن عنده مالا ، كآى عبد من عبيده يقدمه اليه عندما يطلبه (١٣٧) ، فكان الفقر أو عدم وجود المال عند واحد من خدام الأمير أو أهل دولته تعنى اهانة أو عيبا فى الدولة أو الأمير

(١٣٤) ابن عسارى . ج ٢ ص ٢٤٥ .

(١٣٥) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٣٦) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(١٣٧) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

يستحق صاحبه عليه العقوبة العظمى . والحقيقة ان هذا يعنى أيضا أن خزانة الأمير كانت حاوية ، وإن حاجته الى المزيد من الأموال التي كان يضيع الكثير منها قبل الوصول الى الخزانة العامة ، اما ضخمة العدر أو فى النفقة البادحة على العمال ، أو بسبب الاعفاءات الأميرية كذلك الذى حدث سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، عندما « ترك للمصور البيقايا للرعايا » بمعنى الاعفاء من المتأخرات الضريبة التي كانت أموالا جلية عجز أصحابها عن الوفاء بها (١٣٨) . وهو ما يعنى التخفيف من الطبقات الكادحة على كل حال .

نفقات البلاط :

ولما كانت نفقات البلاط هي الأخرى غاية فى البذخ والتبذير ، وخاصة فى المناسبات المختلفة من فرحية وحزنية ، وكذلك النفقات الجارية على الأعوان ، من : الهدايا وأعمال المال ، وتواييت العود (العطر) الخاصة بالدفن ، وعشرات الأنسواب الثمينة المخصصة للدفن ، مما كان يرهق الميزانية ، ويدفع الى اتخاذ اجراءات كريمة ضد أصحاب الأموال ، من : المصادرات وأعمال النهب والسلب مما كانت تصدر به ، أوامر الأمير أو مما يسمح به تفاضيه عن عدم انتظام العسكر ، أحيانا أو أعمال الابتزاز فى شكل هدايا ، مما سبقت الإشارة اليه على عهد المصور خاصة . وهو الذى وصفت أيامه بانها « كانت أحسن الأيام (١٣٩) » .

أما عن عهد باديس فلا نعرف من أمر الادارة المالية شيئا فى النصوص ، وإن استمر المال عصبا للحرب والمؤامرات السياسية . فكما كانت أموال سجناسية وعددها هدفا لحزرون بن فغل الزناني ، عندما دخلها على عهد بلسكين سنة ٣٦٥هـ / ٧٥٤م (١٤٠) ، كذلك كانت أموال أشير هدفا لأعمام أبيه (أولاد زيرى) عندما أعلنوا العصيان ، وقبضوا على عمه بطونيت ابن بلسكين ، فأخذوا ماله (١٤١) . وكذلك كان للمال دور فى محاولة

(١٣٨) ابن الأثير ، ج ٦ ص ١٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ ، وأظن فيما سبق ص ٣١٦ عن هدية المصور الى العزيز التي بلغت مليون دينار . وص ٣٣٢ عن الهدايا والأموال التي حرج بها أبو الفهم الى كسامة ، ص ٣١٧ وص ٣٧٣ . عن الأموال الجلية التي وصلها المصور للشريف الداعي .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٦٦٥ .

(١٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٦٦٥ .

كرامت بن المنصور في منافسة ابن أخيه المعز في الولاية سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م
عندما حاول شراء الجنود بالمال ، فأعطاهم ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وإن
لم يقيض لمؤامره تلك التجاح (١٤٢) .

وهكذا تظهر أهمية السياسة المالية بالنسبة للمرحلة الأولى من
تاريخ الدولة الزيرية بأفريقية ، وإن ظهرت أهمية المسائل المالية
والاقتصادية بشكل أكثر وضوحا في المراحل التالية ، حيث يستفحل الملك
الزيري على عهد المعز بن باديس في القيروان ثم في المهدية ، وكذلك الحال
بالنسبة للحماة بن في القلعة ثم في بجاية .

الفصل الرابع

المعز بن باديس

(٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٢ م)

يعتبر عهد المعز بن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزييرية ، بل في تاريخ المغرب الاسلامي ، من حيث انه كان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان وأفريقية التي استمرت زهاء قرن ونصف قرن ، ساد فيها المذهب الاسماعيلي الفاطمي على حساب كل من المذهب المالكي الذي كان له السيادة على المستوى الشعبي بفضل كبار المالكية من تلاميذ امام دار الهجرة من أنفلسيين كحبي بن يحيى ، ومغاربة كسحنون وابنه محمد ، والمذهب الحنفي ، مذهب الخلافة العباسية الرسمي ، الذي انتشر بفضل رجال الدولة من أصحاب الوظائف الدينية الكبيرة ، كالقضاء والفنوى وامامة المساجد الكبيرة في المدن ذات المنابر . فمن طريق قطع العلاقة بين القيروان والقاهرة على عهد المعز بن باديس وعلان الخطبة على المنابر باسم الخلافة العباسية ، عادت السنة الى أفريقية ، وانتهت أزمة التشيع ومعاناة مشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية ، وان بدأت فترة معاناة الشيعة الذين دفعوا بدورهم ثمن تشيعهم غاليا .

هذا ، فضلا عن استفحال الملك الزييري على عهد المعز حيث بلغت حضارة القيروان دروة عصورها الذهبية بفض الأموال الطائلة التي كانت ترد الى بيت المال من مظائنها الكثيرة ، من الزراعة والحرف المهنية والتجارة ، وان كانت موارد صقلية قد انقطعت عن المهدية بينما استنزفت الهدايا الموجهة الى القاهرة نصيبا لا بأس به من خزانة بيت المال . هذا ، وان ثم يشب عن الذهن أن انقلاب الأوضاع الاقتصادية في أفريقية الزييرية على أيدي العرب الهلالية ، ربما أعطت صورة مبالغ فيها بعض الشيء ، عن تضخم الحضارة القيروانية في العهد الزييري ، واستفحال الملك على عهد المعز بن باديس - قبضدها تتميز الأشياء ، كما يقال .

المعز قاصرا تحت وصاية العمة ، السيدة : أم ملال :

ولى المنصر الامارة وله من العمر حوالى ٨ (ثمانى) سنوات (١) ، وكانت الشخصية القوية فى قصر الامارة بالمهدية وقتئذ . هى السيدة أم ملال ، احببت بدريس التى تعملت بالعرش فى احيائها المتوفى ، وكذلك الهنئة بولاية ابن احيائها الصغير (السورى ، ص ٣٣٥) ، فكان ذلك اعتراجا منهم بوصايتها على المعز (٢) ، تماما كما حدث فى القاهرة قبل ذلك بحوالى عشر سنوات حينما توفى الخليفة العاطمى العزيز ، وعهد بالخلافة الى ابنه الشاب القاصر ، الحاكم بأمر الله فوضع تحت وصاية أخته الأسن منه ، وهى السيدة : ست الكل سلطانة ، التى أشارت اليها أصبح الاتهام عندما اختفى الحاكم ذات ليلة ، وهو يجوب بعض دروب جبل المقطم بالقاهرة (٣) .

وهكذا مارست السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير الذى انتقل من المهدية الى المنصورة يوم ١٥ المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٤ يونيه سنة ١٠١٦ م ، الى أن يشب عن الطوق ، خلال سبع سنوات ، كانت طوالها من غير شك ، موضع كل تقدير ورعاية من جانب المعز ورجال دولته . وهى عندما اعتلت سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م لعدة أيام قبل وفاتها ، كان المعز يعودها كل يوم ويسمح لرجال دولته وعبيده بريارتها (٤) . وهى عندما ماتت ليلة الخميس آخر رجب (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ١٨ أكتوبر ، دفنت فى احتفال مهيب ، يلى بمقام الوصية الرفيع . فلقد صلى على جنازتها بالبنود والمطلوب ، والعماريات ، والسيدتان الجليلتان : الوالدة والأخت (أم الحلز) بحال من الشريف لهذه الجنازة لم ير للملك ولا لسوقه مثلها (٥) .

(١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ - ربيع وعمره ٨ سنوات و٦ أشهر ، ابن عذارى - ج ٢ ص ٢٩٥ - ولى عمره ٨ سنوات أو سبعا ، ابن حلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - ربيع وعمره ٨ (ثمانى) سنين .

(٢) انظر المؤرخ لابن أبى ديسار ، ص ٨١ - حيث النص على أن جدته كانت تهاجر الأمور وتصرف الأحوال من رأيها ..

(٣) انظر امثال النما ، ج ٢ ص ١١٥ حيث كان مقده فى ٢٨ شوال سنة ٤١١ هـ ، وحيث الاشارة الى ان ست الكل كانت امرأة حارمة ، وانها ربما تحلصت منه عندما زماها ذات مرة بالقصور .

(٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٣ .

(٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٣ . الأمر الذى يؤكد ما هو معروف من مكانة المرأة السامية فى المجتمع العربى (المغربى) عامة والمجتمع الصنهاجى منه خاصة ، وانظر المؤرخ لابن أبى دينا ، ص ٨٣ - حيث النص على أنها دفنت بالمهدية ، وان المعز

الأحوال الداخلية :

اضطراب الصامة بالقيروان :

ولما كانت السيدة أم ملال هي المسئولة عن تدبير أمور المعسر في بدايه ولايته . فلا بد من ملاحظتها من تلك الانتفاضة الشعبية التي عرفت بمطقة القيروان سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، والتي قامت ضد عامل الخراج - وربما صاحب السوق أو المحتسب وقتئذ - أبي البهار خنوف الذي سنؤول اليه الكتابه أو الوزارة للأمير المعز بن باديس سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، بعد قتل وزيره محمد بن الحسن ، في السنة السابقة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م . فلقد اجتمعت عامة القيروان من أهل السوق على أبي البهار لشدة عليهم ، ربما تشدده في فرض أو جباية ما يجب عليهم من الضرائب ، والجأوه الى الفرار نحو المنصورة حيث تبعوه الى داره هناك ونهبوها . وعندما سار اليه ابن أخيه فيمن كان لديه من الأعوان والعساكر ، نجدة ، نجح العامة في البطش به ، بل وقتله والتمثيل به ، وكذلك قتل كل من كان معه من الرجال . وتمادى العامة في اضطرابهم الى حد زحفهم على المنصورة وهدم دورها - كما نبأ الخرواية (٦) - ومن الواضح أن ثورة أهل السوق بالقيروان احتجاجاً على التعسف في الجباية ، كانت تعنى ثورة على الدولة بمعنى مباركة المسئولين لتلك السياسة المالية المتشددة ، وعلى رأسهم

أمر ببيع ٥٠ نقاة و ١٠٠ رأس من الشتر و ١٠٠ شاة ، فتهبها الناس ، وصرق في مائتها على النساء ١٠ آلاف دينار . وهذا لا بأس من الإشارة الى الاحتفال الكبير الذي شمت به روعة نصير الدولة (باديس) والدة المعز ، سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م ، ومن الواضح أنها السيدة الوالدة أم المعز ، حيث كفت تحت اشراف السيدة أم ملال كما تقضى سلامة الحسن - كما حسنته ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، ووضعت في تابوت من العود الهندى الثمين ، مرصع بالجوهر الثمين ومسايرة من ذهب بلغت قيمتها ٢٠٠٠ (ألف) دينار - أنظر ابن عداوى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٦) ابن عداوى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وقارن ادريس (هـ - ر) ، الريزون بالفرنسية ، ص ١٤٨ - حيث الرصد بين هذه الثورة الشعبية وبين رد فعل السنة ضد الشيعة (المشايخ) الذين قتلوا تحت اشراف ولى القيروان ، الفقيه أبا على بن حنون الذى كان يتمر العامة من السنة ضد الشيعة ، فكان الهجوم على المنصورة وهب أسواقها كان حرجها من السنة ضد المعز بن باديس . وهذا لا بأس به لولا أنه لا يتفق مع ما هو دارج من وثوق المعز مع السنة ضد الشيعة ، مما يأتى حالاً ، ولولا الاعتماد على كتب سير المشايخ لصحاح الكرامات والخوارق . وهذا لا يسمع أن تكون الاسطوانات المنحصة قد استغلت لأغراض سياسية واقتصادية .

الوصية ، السيدة أم ملال ، فهذا ما يستشعر مما سوف يفدقه الأخير المعسر على أبي النهار خلوف من الاحسان وريادة الرتبة الى الوزارة في نفس السنة التي توفيت فيها عنه ، السيدة أم ملال (ما بعد ص ٤٠٣) .

مناهضة التشيع والعودة الى السنة :

أما أهم ما ينسب الى المعز بن باديس من العودة الى السنة وتبعية الشيعة والقضاء عليهم ، فاذا صحح ما يقال من أنه افتتح ملكه بتلك السياسة منذ سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ (٧) ، فانه يكون للسيدة أم ملال بصيبيها الذي لا ينكر في تلك السياسة . حقيقة ان بعض الروايات تنسب تلك السياسة اصلا الى الوزير العالم والفقيه الزاهد أبي الحسن ابن أبي الرجال الذي وقع على عاققه تأديب المعز طفلا وتحريضه على حب السنة ومذهب مالك بن أنس (٨) . ولكن ذلك ما كان يمكن أن يتم الا تحت رعاية السيدة / الصلة واشرافها . ومثل ذلك يصح بالنسبة للروايات الدارجة التي تنسب الى المعز بن باديس أنه كان منذ بداية ملكه سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، « منحرفا عن مذهب الرافضة ، متحلا للسنة ، أعلن بمذهبه أول ولايته ولعن الرافضة ، والشيعة لا يعلمون ذلك ، وقتل من وجد منهم » (٩) . فليس من المقبول أن يتخذ طفل صغير قرارات حاسمة بشأن دينية خطيرة ، يترتب عليها الموت أو الحياة لكثير من الناس . والحقيقة أن أكثر الروايات الخاصة بهذه المسألة تأخذ شكلا قصصيا متقنيا مصطنعا ، إذ تذكر أن المعز خرج في بعض الأعياد الى المصلى وهو غلام ، فكبابه فرسه ، فقال « أبو بكر وعمر » ، فكادت

(٧) انظر ابن عسار ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث النص على ان « أول ما افتتح به شأنه قتل الرافضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد » وانظر القلقشندي . ج ٥ ص ١٢٤ - حيث النص على أنه كان منحرفا عن الرضى والتشيع ، متحلا للسنة ، وأعلن بذلك في أول ولايته .

(٨) ابن عسار ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٥ - حيث ابن أبي الرجال بدلا من أبي الرجال التي أحدها « انظر ادريس (ماهي - روسيه) ، الزيربوي ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٤٦ . - حيث القراءة « ابن أبي الرجال » والشاذي هو يحيى ، الحياة الأدبية على عهد الزيربوي ، بالفرنسية ، ص ١٣٣ - حيث القراءة « ابن أبي الرجال » .

(٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - هذا ، مع الإشارة الى قتل العمدة أيضا ، وإن كان ذلك بمثابة ثورة العامة بالشيعة بعد كهوة الفرس المشهورة وقول المعز . « أبو بكر وعمر » . وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ - حيث النص على أن المعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب مالك ، وإن اتبع ذلك بالقول وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة . انظر صبح الأثر ، ج ٥ ص ٩٢٤ .

الشيعة التي في عسكره أن تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة ، إذ قتلهم واندفعوا يقتلون الشيعة في كل مكان (١٠) . وتنجور تلك الرواية في شكل آخر عندما تقول إن المعز ركب يوما فصر بجماعة من الرافضة الذين يسبون أبا بكر وعمر ، فقال : رضى الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى من القيروان ، وهو حي الشيعة ، فقتلوا منهم . والرواية هنا تبرر العمل بشهوة العسكر في النهب وطمعهم ، وبإغراء عامل القيروان لهم وتحريضه لأسباب شخصية بحنة (١١) ، الأمر الذي يضعف من صحة تلك الرواية . أما ما تقوله الرواية المحمية التي يقدمها النويري ، والتي تشير إلى أن المعز ين ياديس ركب في يوم السبت ١٦ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٥ يولية ١٠١٦ م ، ومر بجماعة فسأل عنهم ، فقيل : رفضة ، والذين قبلهم سنة ، فقال : « وأى شيء الرفضة والسنة » (١٢) . فكانه لم يكن يعرف شيئا أصلا عن الشيعة ولا عن السنة ، وهو الأمر المقبول من حيث أن الأمير المعز الصغير لم يكن قد تم خضانه إلا في أواخر سنة ٤٠٧ هـ / مايو ١٠١٧ م (١٣) . ولكنه عندما عرف أن الرافضة يسبون أبا بكر وعمر قال : « رضى الله عن أبي بكر وعمر » ، فانصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى ، حيي الشيعة إلى القيروان ، حيث « وقع القتل فيهم فصادت شهوة العسكر وأتباعهم ، طمعا في النهب ، وانبسطت أيدي العامة فيهم » (١٤) .

مسئولية الأمير : طفلا قاصرا :

ومن الواضح أن الرواية الأولى ، عند ابن عذارى ، متعقبة تنسب إلى

(١٠) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٥ - حيث النص على قتل ٢٣ ألف شيعي دفعة واحدة في موضع قريب من القيروان عرفت لذلك باسم « بركة الدم » ، كما قيل . وصاح بهم في ذلك الوقت سائح الموت فقتلوا في سائر ذريفة ، كما تقول الرواية وحكى في قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز في منامه ، وتأريخ ذلك وغيره علينا من ذكره . والمعز عند ذلك الوقت ما زال يعمل فكره في قطع الدعوة إلى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٩٤ - حيث الإشارة إلى أن عامل القيروان كان يعمرى على السبب والنهب لأنه كان قد عزل بعد أن أصحح أمور البلد ، فأراد إفساده قبل تركه . فكان الشيعة ضحية ذلك إذ قتل منهم خلق كثيرا ، وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم .

(١٢) النويري ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١٣) النويري ، ص ٢٣٨ - حيث النص على أنه خشي يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة ٤٠٧ هـ /

٢٠ مايو ١٠٢٧ م .

(١٤) النويري ، ص ٢٣٦ -

الغلام الصغير علما بأصول التشيع والسنة المالكية ، وتجعل من مقاتل الشيعة نسيجة طبيعية للترصية عن أبي بكر وعمر من قبل الأمير المحب للسنة والمالكية ، وكانها خطة مدبرة من قبل . أما الروايتين التاليتين ، عند ابن الأثير والنويري ، فهما من أصل واحد ان لم تكونا رواية محلية واحدة قد أصابها بعض التغيير مع التواتر والنقل ، وهما أكثر قبولاً من حيث الواقع والمنطق . فالأمير الصغير لا يعرف أصلاً معنى الشيعة أو السنة . وكذلك الأمر بالنسبة لتحديد وقت الموكب بشهر المحرم بدلاً من يوم صلاة العيد في أول شوال أو في ١٠ من ذي الحجة . فالمحرم هو موسم مقتلى الحسين في عاشوراء الذي يحتفل به الشيعة ذلك الاحتفال الحزين الذي يعدون فيه أنفسهم بصنوف اللطم ، ندماً وتوبة على التقاعس في تجدة السبط ، الأمر الذي كانت له ردود فعل مضادة من جانب أهل السنة ، مما كان يؤدي عادة إلى الفتنة ، وذهاب الضحايا في هذا الجانب أو ذاك .

من كل ما تقدم نخلص إلى أن قصة نشأة المعز بن باديس على حبه السنة والمالكية وكرهية التشيع وتنبعه للشيعة منذ ولادته صغيراً ، منذ سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، غير ذات موضوع ، وأنه إذا كان ثمة اهتمامات دينية متاهضة للتشيع فإنها تكون مرتبطة بأهداف سياسية معينة من جانب المسؤولين عن الدولة ، من الوصية أم ملال ، والوزير أبي الحسن بن أبي الرجال أو محمد بن حسن ، الذي وصل فيما بعد إلى الوزارة ، والذي بدأ تسليط الأضواء عليه اعتباراً من سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، بحيث كان عاملاً على طرابلس ثم انتقل إلى ولاية أمور المعز وجيوشه (١٥) .

أول اهتمام بالأمور الدينية :

والمهم في هذه المسألة أن تكون تلك هي المرة الأولى في تاريخ الدولة الزيرية التي تحظى فيها الأمور الدينية باهتمام خاص يجعلها في المرتبة الأولى من شئون الدولة ، بمعنى أنها أخذت طابعاً عربياً مميزاً ، على أساس نظرية ابن خلدون التي تقر نوعاً من العلاقة الطردية بين عروبة الدولة واهتمامها بشئون الدين الإسلامي .

فالحقيقة أن اهتمام أمراء الزيريين بأمور السنة ضد التشيع بدأ موازياً مع التوجه نحو الاستقلال السياسي عن خلافة القاهرة الشيعية . فعلى

عهد المنصور الذى قال لوفد القيروان سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م كلمته المشهورة :
 « ٠٠٠٠ وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ٠٠٠٠ » ، بمعنى
 الاستقلالية عن خليفه القاهرة (ما سبق، ص ٣٠٩-٣١٠) ، رفع اليه ان عبدا من
 عبيده (السودان) قذف بعض الصحابة فأمر بقتله وصلب جثته ، بينما
 قطعت رأسه وطيف بها فى القيروان تشهيرا ، مع المناداة عليها بسبب
 العقوبة (١٦) ، ردعا للمخالفين وتحذيرا خاصا للشيعة . هذا ، ولو ان
 المنصور كان يجلس بعد ذلك ، فى سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م مع اهل بيته -
 حسب أوامر القاهرة ليعطى العهد على التمسك بالمنصب الفاطمى لعبد الله
 الكاتب لأوزير ، بمناسبة تعيينه داعيا للدعاة (ما سبق ، ص ٣١١) ، وإذا
 كانت النصوص لا تشير الى شيء من قبول سنية لدى باديس بن المنصور
 والد المعز ، فان الإشارة الى سنية الوزير أبى الحس بن أبى الرجال .
 وميله الى المالكية وتحريضه للأمير الصغير على الأخذ بها والابتعاد عن الرفض
 بمعنى التشيع ، يعنى أن السنة كانت قد بدأت تتسلل الى قلب البلاط
 الزيرى نفسه ، تماما ، كما حدث فى القاهرة حيث بدأت اتجاهات سنية
 لدى بعض الوزراء الذين اهتم بعضهم ببناء المدارس لاهل السنة ، كما حدث
 فى الاسكندرية - فيما بعد - من بناء ابن السلار مدرسة الطرطوشى ،
 أقدم مدارس المالكية فى مصر .

أما ما حدث على عهد باديس ، والد المعز ، من قبل العم حماد عندما
 خرج عن الطاعة سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م ، وقتل الرافضة ، وأظهر السنة ،
 وراجع دعوة آل العباس ، فكان لأهداف سياسية ، ليس الا (١٧) .

وهكذا من يكن من الغريب أن يتبلور الاتجاه السنى على أوائل عهد
 المعز بن باديس بتشجيع من المسئولين من رجال الدولة ، وهذا ما ترجحه
 الرواية التى تقول : ان والى القيروان المعزول هو الذى كان يحرض أهل
 السوق فى القيروان ضد الشيعة . أما عن الظروف التى أدت الى انفجار
 الموقف ضد الشيعة فالأرجح أن يكون ذلك قد حدث بمناسبة الاحتفال
 بيوم عشوراء الذى كانت له ردود فعل تؤدى الى الصراع بين طائفتى السنة
 والشيعة ، كما كان يحدث فى بغداد بين حى الكرخ حيث الشيعة على الضفة
 الغربية لنجلة وحى الرصافة حيث السنة على الضفة الشرقية للنهر . وكان

(١٦) ابن عذارى ح ١ ص ٢٤٠ .

(١٧) الطرطوشى حدود ، ح ٦ ص ١٧١ - وما سبق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

• الصراع بين الطائفتين يصل الى حد الحرب بينهما . ولكن الذي يثير الانتباه
 هنا هو ان الشيعة في القيروان واقريقية كانوا اقلية مستضعفة ، الا ان
 الذي يعني ان التشيع كان قد تقلص بشدة خلال نصف قرن أو أقل منذ
 نقلة المعز الى القاهرة . ولا بأس أن يكون التشيع قد ضعف في البلاد
 منذ ثورة الخوارج النكارية بقيادة أبي يزيد الذي تحالف مع علماء القيروان
 لفترة من الوقت (ما سبق ، ص ١٧٨) ، الى جانب الدعاية السننية القوية
 من قبل الأمويين بالاندلس وأنصارهم من زعماء البربر في افريقية ، ضد
 التشيع الذي وسم بأشجع النعوت والأوصاف (ما سبق ، ص ٣٥ - ٣٦) ،
 وذلك رغم جهود المعسر الفاطمي النشطة في نشر المذهب ، وخاصة بين
 السكتاميين الذين ظلوا هدف الدعاة المبعوثين من القاهرة على أيام التياجه
 الزيرية (ما سبق ، ص ٣٣١ وما بعدها) والتمسك بتعاليمه (١٨) .

• مهاجمة حي الشيعة في درب المعلى يوم عاشوراء :

هكذا تكون الثورة بالشيعة المستضعفين في القيروان واقريقية ،
 قد وقعت انتهازا لصغر الأمير ، وبمناسبة شهر المحرم والاحتفال بعاشوراء .
 ولا بأس أن يكون ذلك قد بدأ بمهاجمة درب المعلى ، الحي الشيعي في القيروان ،
 حيث قتل الرافضة ونهبت دورهم ، وسرعان ما انتشرت أعمال العنف ضدهم
 على طول المدينة وعرضها ، كما راح كثير من الناس ضحية الشبهه في
 مذهبهم (١٩) ، حيث قتل خلق كثير منهم . واستمرت مذبحة الشيعة لمدة
 طويلة ، ففي يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ٤٠٧ هـ / ١٧ أكتوبر ١٠١٦ م
 احتسب حوالي ١٥٠٠ نفس منهم يشار محمد بن عبد الرحمن حيث حوصروا
 وتعرض من كان يخرج منهم لشراء قوته للقتل تحت ادعاء أنه ظهرت لهم
 كتب حوت « الكفر والتعطيل للشريعة ، وإباحة المحارم » ، وعندما ضاق
 بهم الحال أخرجوا الى قصر السلطان بالمنصورية حيث تحصنوا هناك خلال
 الفترة من أواخر جمادى الأولى الى جمادى الثانية (٢٠) .

وفي المهديّة هوجم الشيعة أيضا ، وعندما اسبوا بالمسجد الجامع
 قتلوا هناك دون اعتبار لحرمه المكان (٢١) .

(١٨) انظر فيما سبق ، ج ٢١ ، ٢٢ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ عن نشاط المعز ص ٢١٤ وما بعدها
 عن نشاط الدعاة الفاطميين .

(١٩) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ .

(٢٠) البربري ، ص ٣٣٥ ، ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ابن الأمير ، ج ٩ ص ٣٣٦ .

موقف ترقب ومهادنة في القاهرة :

ورغم ما لحق بالشيعية من الأذى ، وموقف أمير القيروان السلبى ، على الأقل ، فإن العلاقات مع القاهرة ظلت على ما هى عليه من حيث الشكل . وفى آخر ذى الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ٢٩ مائة ١٠١٧ م ، وصلت جلع الحاكم الى المعز بن باديس ، مع لقب شرف الدولة ، « ولم يذكر ما كان منه الى الشيعة من القتل والاحراق » ، كما يقول ابن الأثير (٢٢) .

هذا ، كما تصل هدية أخرى من الحاكم سنة ٤١١ هـ / ١٠١٩ م . بصحبة أبى القاسم بن اليزيد ، الى شرف الدولة أبى تميم المعز ، تحوى : سيفاً مكنالاً ينفيس الجوهر وخلعة من ثياب الخليفة وكان دخولها الى قصور المنصورية فى ٢٤ من صفر / ٢٠ مائة . ولحق بتلك الهدية سحر حاكمى حملة محمد بن عبد العزيز ، ومعه ١٥ علماً منسوجة بالذهب والخلع التى طيف بها فى القيروان . ومع خلافة الظاهر قسم من لدنه رسول ووصل المنصورية فى ٢٦ جمادى / ١٧ أغسطس ، معه تشريف جليل لأبى تميم المعز وهدية من أفراس مسرجة ، وخلعة ومنجوقان قد نسجا بالذهب (٢٣) .

محاولة الهجرة الى صقلية :

والظاهر ان مذابح الشيعة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، اثارت خواطر القوم الذين استشعروا ضعفهم ودقة موقفهم فى افريقية ، فقررت جماعة منهم المسير خفية الى صقلية . وفى سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م كانت جماعة منهم ، مكونة من ٢٠٠ (مائتى) فارس بعائلاتهم من النساء والأطفال قد قررت الخروج من البلاد الى صقلية عن طريق المهدية . ولكنهم عندما وصلوا الى قرية كامل راحوا ضحية تآمر أهل الموضع عليهم ، اذ فاجأوهم ليلاً وهم نيام ، وقتلواهم . وبلغت شناعة الأمر الى حد الاعتداء على الشابات الجميلات من النساء ، بل وقتلن بعد فضحهن (٢٤) .

(٢٢) الكامل ، ج ٩ ص ٢٥٨ ، وقارن التويرى ، ص ٣٣٨ - حيث التاريخ ٣٠ ذى الحجة ، ابن عسارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٢٨٨ - حيث سجل الحاكم بقب شرف الدولة أواخر سنة ٤٠٧ هـ .

(٢٣) انماط الخفا للمقرئى ، ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢٤) ابن عسارى ، ص : بيروت ، ج ١ ص ٢٨٨ .

التقيسة :

وكان من الطبيعي ان نضع مثل هذه المأساة حدا لمعاناة الشيعة في أفريقيه الزيرية لفترة طويلة من الوقت ، وذلك اننا لا نجد في الحوليات المغربية ذكرا لنعرصهم مثل هذه المناعب لمدة ١٥ (خمسة عشر) عاما . الأمر الذى يعنى ان البقية الباقية منهم اما ان يكونوا قد دخلوا في اسنة تقية او تسربوا خارج البلاد حقيقة او الى بعض الاماكن المعروفة . فتمثل ذلك ما حدث سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م . عندما احتشدت جماعات من الشيعة وساروا الى أعمال نفضة من بلاد الجريد (قسطنطينية) حيث يتركز الشيعة - حسبما ينص البكرى (ص ٧٥) - واستولوا على بعض بلادها واستقروا هناك . ولكنه ما كاد الخبر يصل الى مسامع المعز بن باديس حتى وجه اليهم العساكر لتدور حرب غير متوازنة بين الجند المحترف والمتعساء الذين كان عليهم ان يموتوا دفاعا عن الشرف وعن النفس ، حتى آخر رجل منهم (٢٥) .

حسم العلاقات بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقىروان :

وتسكت الحوليات الافريقية مرة اخرى عن الإشارة الى الصراع ضد الشيعة الى ان نثير موضوع حسم العلاقات الهشة بين الخلافة فى القاهرة والنيابة فى القىروان والمهدية ، وقطعها بشكر نهائى . والروايات نعرض لهذا الموضوع تحت عدد من العناوين المتباينة ، متدرجة فى التوقيت على مدى ٨ (ثمانية) او ٩ (تسعة) أعوام ، ما بين سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وسنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ تحت العناوين التالية :

- ١ - الدعوة للقائم (العباسى) سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م .
- ٢ - قطع أسماء الفساطميين من الطراز والرايات سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م - مع مبايعة القائم والدعوة له .
- ٣ - قطع الدعوة الفاطمية سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وتبديل السكة فى السنة التى تليها ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م .
- ٤ - لسر السواد (شعار خلافة بغداد) سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م .
- ٥ - زحف العرب الهلالية الى المغرب (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) - ويشمل أيضا الدعوة للقائم مرة أخرى ، وهو يساعد من غير شك ، فى تجديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان .

اختلاف الروايات :

هكذا تأتي الدعوة للعباسيين في بغداد في حواشي ابن الأثير سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، تحت عنوان ، طاعة المعز بأفريقية للقائم بأمر الله ، حيث الإشارة إلى الخطبة للخليفة القائم ، وورود الخلع مع سجل التقليد ببلاد أفريقية وجميع ما يفتحه للقائم من بلاد المغرب - كما أرسلت رموز الأمانة من قبل ديوان بغداد ، وتمثل في سيف (مرصع) وفرس (بسرج محلي) وأعلام (مطررة مدصبة) ، وذلك عن طريق القسطنطينية - احتاراً من أن تؤخذ في الطريق البري من مصر إلى القيروان - وكان وصول الأعلام يوم جمعة - دون تحديد السنة - في وقت الصلاة ، فدخل بها إلى الجامع والخطيب وقتئذ ، في الخطبة الثانية ، أي قبيل النزول من أعلى المنبر ، ومع ذلك لم يفته الإشارة إلى الحدث الهام ، فقال عنها (أي الأعلام) : « هذا لواء الحمد يجمعكم ، وهذا معز الدين يسمعكم ، وأستغفر الله لي ولكم » . ومنذ ذلك الوقت قطعت الخطبة للمعويين ، كما يقول ابن الأثير ، وأحرقت أعلامهم (٢٦) .

وتأتي بعد ذلك رواية لابن خلدون تدعم رواية ابن الأثير السابقة ، ننص على أن المعز بن باديس عندما حلق على اليازوري وانحرف عنه « حلف ليتقضى طاعتهم ، وليحولن الدعوه إلى بني عباس ، وأنه قطع أسماءهم من الطراز والرايات ، وبأيع القائم ودعا له سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، وأنه وصله بعد ذلك أبو الفضل البغدادي ، مبعوث الخليفة العباسي ، وحظي بالتقليد والخلع ، وقرأ كتابه بجامع القيروان (٢٧) - ومن الواضح أن وصول رموز الخلافة عن طريق القسطنطينية استغرق وقتاً طويلاً فكان في سنة ٤٣٧ هـ /

(٢٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢١ - ٥٢٢ - حيث أيراد بصوص من كتاب ديوان بغداد وفي أوله ، « من عند الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى الملك الأوحى ، إية الإسلام ، وشرف الإمام ، وعمدة الأنام ، ناصر دين الله ، فاهر أعداء الله ، ومؤيد سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أي تميم المعز بن باديس بن المصور ، ولي أمير المؤمنين ولاية جميع العرب ، وما افتتحه سيوف أمير المؤمنين وهو طوبل ، وقدرن الويرى ، ص ٣٤١ - حيث نفس النص وإن كان شيء من الاستعاضة أو الإحلال الطيفية مما يرجع أصلاً إلى التحقيق ، وقدرن اتعاظ الخلعاً للمعريزي ، ج ٢ ص ١٩٠ ، حيث النص باقتصاب على قطع الخطبة سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م .

(٢٧) المعز ، ج ٦ ص ١٣ - ١٤ .

١٠٤٥ م هـ ، كما يقضى بذلك منطق الأشياء وسلامة الحس (٢٨) .

أما ابن عدارى فيجعل فطسح الخطبة لصاحب مصر سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، حيث صاحبها احراق بنوده . وفى ذلك يقدم روايه ابن شرف التى تنص على أن المعز بن باديس أمر وقتئذ ، بالدعوة على متابر أفريقية للعباس بن عيسى المطلب ، ويقطع دعوة الشيعة العبيديين . فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة ، وليقية العشرة (رضه) (٢٩) .

الاتصال ببغداد ونوع العصيان المدني بالقىروان :

ومع ان رواية انعاظ الحنفا (ج ٢ ص ٢١٦) تقدم سنه ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م كتاريخ قطع الدعاء للمستنصر . فانها نضيف ان عهد بغداد أرسل بصحبة أبى الفضل بن عبد الواحد التميمي ، وأنه قرىء بجامع القىروان الذى شرت فيه الرايات السود ، مع النص على هدم دار (الدعوة) الاسماعيلية بالقىروان . أما عن مقدمات القطيعة التمهيدية فيفهم منها أنه كان هناك نوع من المقاومة الشعبية ، مما يسمى بالعصيان المدني من قبل أهل القىروان ، وذلك فيما يتعلق بمقاطعة صلاة الجمعة حيث عمد ملوك صنهاجة أن تكون الخطبة باسم خلفاء الفاطميين ، وأن هذه المقاطعة كانت تزداد حدة مع مرور الوقت الى أن انتهى الأمر بأن قطع أهل القىروان صلاة الجمعة - التى تعطلت دهرًا - الى أن رأى المعز قطع دعوتهم فكان لذلك سرور عظيم بالقىروان (٣٠) .

(٢٨) قارن انعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٤ - حيث يضع المقرئى ذلك فى سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ورسول الخلافة هنا هو أبو غالب الشيزرى الذى قص عليه من بلاد الروم وأرسل الى المستنصر ليزى فى القاهرة مجرساً على حمل قبل أن يحرق العهد واللواء والهدية من حجرة بين القصرين . هذا ، وتؤكد رواية أخرى (ج ٢ ص ٢٢٢) فى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، تحت عنوان محضر القدرج من سبب الخلفاء المصريين ، نفس سبب ذلك بما عمل مع الرسول المرسل الى المعز بن باديس الذى شهر به بالقاهرة على حمل مملوك والكتاب فى علقه ثم أحرقت الخلع والتقليد وأعيد الرسول الى ملك الروم . سبب الهدية المعقودة بين القاهرة والقسطنطينية ، والتى كان قد بقي منها سنتان .

(٢٩) ابن عدارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٣٠) ابن عدارى ، ج ١ ص ٢٧٧ - حيث النص على أن بعض القىروانيين كان إذا بلغ المسجد ظهر الجمعة ، قال سرا : اللهم أشهد .. ثم ينصرف يصلى ظهراً أو رماً ، وإن الخالد مناهى « حتى لم يحضر الجمعة من أهل القىروان أحد ، فتعطلت الجمعة دهرًا » ، ابن عدارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٠ .

عن الفاطميين :

ويضيف ابن شرف الى ذلك ان الأمر لم يقف عند استبدال الخطبة العباسية بالفاطمية ، بل ان الأمر تجاوز حلق العبيدين الفواطم الى النصريح بلعنهم من اعلى المتابر ، وذلك في خطبة عيد الأضحى - ١٠ ذو الحجة - ٤٤٠ هـ / ١٦ ماية ١٠٤٩ م (٣١) ، كما كان يفعل الأمويون أصحاب الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ، واتباعهم من أمراء الرناتيين من : مكناسيين ومغراويين او من الحسينيين الأدارسة ، مما سبقت الاشارة اليه (٣٢) فكان الصنهاجيين قد تبادلوا المواقف مع الرناتية ، وان كان ذلك لحسابهم الخاص ، بعد سقوط الدولة الأموية العاصرية ، وقيام نظام ملوك الطوائف الذي هيا الفرصة لكي يسيطروا أبناء صنهاجة الصحراء المغربية الكبرى سلطانهم على الأندلس ، فكاننا الآن على عتبات العصر الصنهاجي الكبير في كل المغرب والأندلس .

أحراق البنود وتبديل النقود والدعاء خليفة بغداد :

أما عن ابن خلدون فهو يخصص الأوضاع الجديدة بين القاهرة والقروان بعد أعمال العنف والغفل ضد الشيعة بشكل عام ، والدعاء منهم ، بقوله : « وامنعوا لذللك حلماة الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم أبو القاسم الجرجرائي محذرا ، حتى أظلم الجو بينه وبينهم الى أن انقطع الدعاء لهم سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على عهد المستنصر من خلفائهم ، وأحرق بنوده ، ومحا اسمه من الطرز والسكة ، ودعا للقائم ابن القادر (٣٣) » .

(٣١) ابن عذاري ، ط . بيروت - ج ١ ص ٤٠١ - حيث النص على قول الخطيب في لعنهم . و اللهم آلمن الصفة الكفار ، المارقين المعاص ، أعداء الدين . . المخالفين لأمرك . . المسمين غير سبيلك والمندلين لكفالك . . اللهم ون سيدنا أبا سيم المفسر بن ناديس بن المنصور القائم لدينك ، والناصر لسنة نبيك والواقع لدواء أوليائك يقول - مصدقا لكفالك . . مدوما بلن غير الدين ، وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين - يا أيها الكافرون لا أعده ما تصون . . (٣٢) ما سبق ، ص ٣٥ ويضيف ابن شرف ان الأمر اوداد عدة في الجمعة التالية - ١٧ ذي الحجة اد أبلغ الخليل بسبهم على منبر القروان ناشع من هه السب - ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٠١ .

(٣٣) المعر ج ٦ ص ٦٥٩ - حيث الإشارة أيضا الى أن خطاب القائم وكتاب عهده للمعر وضمن نسخة دامتة أي انفصل من عهد الواحد التميمي ، قرماه المستنصر خليفة العبيديين بالمعرب سمي خلال الدين كانوا مع الجماعة ، وهم رباح وزعة والاتبج وذلك بمشاركة من ومرتد أبي محمد الحسن بن علي اليازوري .

وتأتى رواية دخول العرب الهلالية الى أفريقية سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م
فى حوليات ابن الأثير ، لتؤكد فى المقدمات والأسباب ان سنة ٤٤٠ هـ /
١٠٤٨ م هى السنة التى خطب فيها المعز بن باديس للفائى بأمر الله
العباسى ، وبالتالى التى قطع فيها خطبة المستنصر العلوى (٣٤) .

وهكذا تتسلسل المقاومة الشعبية للمذهب الاسماعيلى الفاطمى ، منذ
بداية عهد المعز بن باديس فى سنتى ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م و ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م
باشراف رجال الدولة المسئولين من : الوصية أم ملال عمه المعز الى الوزير
ابن ابي الرجال ، وعامل الحراج أبى اليهار ، والوزير محمد بن الحسن ومن
كان تحت امرتهم من : والى القيروان أو قواد العسكر الذين كان يستهويهم
المذهب والسلب بصرف النظر عن الدوافع أو الأسباب - وتلك مرحلة أولى .

مسئولية المعز شابا راشدا :

أما المرحلة الثانية هى التى تنسب الى المعز شابا راشدا يقدر
مسئوليته ويقيم نتائج أفعاله ، وتبدأ بأحداث الشيعة فى نقطة سنة
٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، والمعز فى الخامسة والعشرين ، وقد تفرس بأعمال
الحكم ، وتنتهى بالقطيعة مع الخلافة بالقاهرة سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، وهو
فى عنوان السابعة والثلاثين من عمره ، مما يذكر بعنفوان صلاح الدين فى
مثل تلك السن عندما قاد رجاله ليحقق نصره العالمى فى حطين - بعد أن
قصى من قبل على الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، مع فارق الظروف والأحوال .

والحقيقة أن تحديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان بسنة
٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، حسبما سبق عرضه يستدعى وقفة قصيرة ، من حيث
وجود رواية أخرى تحدد ذلك بسنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وإن كان ذلك
يأتى عرضا فى ثانيا الأعداد لهجرة الهلالية الى المغرب . والحقيقة انه يمكن
التوفيق بين التاريخين دونما تعارض ، وذلك اذا أخذنا سنة ٤٣٥ هـ /
١٠٤٣ م على أنها سنة القطيعة ، من حيث اجابة خلافة بغداد لمسعى
القيروان للدخول فى طاعتها بدلا من طاعة القاهرة ، وهو الأمر الذى كان
يتم فى السر خفية من وراء ظهر خلافة القاهرة ، بطبيعة الحال . والدليل

(٣٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ - حيث يضيف انه عندما كتب المستنصر الى المعز
بهدده ، أغلظ المعز فى الجواب ، وكان ما كان من تدبير الوزير الباروى من الإصلاح بينه
والعائل العربية وإطلاقها نحو افريقية .

على ذلك هو نجشتم عناء ارسال شسعارات الامارة الى المعز بن باديس عن طريق القسطنطينية (ما سبق ، ص ٣٨٩) .

وهكذا تكون فترة الخمس سنوات من ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م الى ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، قد انقضت في محاولات من جانب خلافة القاهرة في رد الأمير الصنهاجي عن انحرافه نحو القاهرة ، الأمر الذي تأكد فشله تماما سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م فكانت القطيعة النهائية التي انتهت بلعن حلفاء الفاطميين في عيد الأضحى من سنة ٤٤٠ هـ / ١٦ مايه ١٠٤٩ م . وفي سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م التالية ، بدلت السكة عن أسماء الخلفاء الفاطميين من بنى عبيد ، وذلك في شهر شعبان / ديسمبر ١٠٤٩ - يناير ١٠٥٠ م .

وهكذا ألغيت الدنانير والدراهم التي كانت تحمل أسماء خلفاء الفاطميين ، وسبكت الدنانير التي كانت في بيت المال ، وكانت أموالا عظيمة . وخرحت الدنانير الجديدة تحمل على أحد وجهيها الآلة التي تقول : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين . وفي الوجه الآخر حملت الشهادة : لا اله الا الله محمد رسول الله .

والهم أن الغاء الدنانير الفساطمية لم يكن له تأثير على الأسواق في القيروان أو غيرها من المدن الإفريقية ، وذلك أن دار السكة ضربت كميات كبيرة منها ، كفت الطلب في الأسواق وزادت (٣٥) .

وهذه المرحلة الثالثة انتهت بالقطيعة النهائية التي يرمز اليها باتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين في جمادى الآخرة سنة ٤٤٣ هـ / أكتوبر ١٠٥١ م (٣٦) . وبذلك انفرجت الأزمة الفساطمية على مستنواها الديني والمذهبي ، حيث تبلور الشخصية الخاصة لبلاد المغرب تحت مظلة السنية

(٣٥) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(٣٦) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ - حيث النص على أمر المعز باحضار عدد من الصياغين واعطائهم ثيابا نضاً من فندق الكتان لكي تصبغ سواداً وبعد ذلك أعطيت للخباطين لتقطع أثوابا برقها على العقباء والنقضاة والخطباء والمؤذنين الذين اجتمعوا لديه في قصره ، لكي يكتسوا بذلك السواد . وهكذا كان الخطيب يصعد منبر القيروان في الثياب السوداء شعار الخلافة العباسية ويدعو للخليفة القائم بأمر الله . كما دعا منه لسلطان المعز بالولاء أبي الطاهر تسم ولي العهد .

المالكية ، وعلى اكتناف العصبية الصنهاجية . في كل من : فريقية سوسية وبلاد الغرب المراكشية الفاسية .

من هذا العرض للأحوال الدينية وما قام من النزاع بين المهدية واقاهرة على عهد المعز بن باديس بفضل توجه الدولة الصنهاجية حكومة وشعبا ضد المذهب الاسماعيلي الفاطمي ، والعمل على احياء المذهب المالكي الذي أعلن انتصاره بعد فترة من التنازع اشبه بما يسميه ابن خلدون بالمطالبة ، مما يتعلق بالصراع بين نظامي حكم أحدهما قديم متهاك ، والآخر جديد متماسك ، الأمر الذي لا تتضح معالمه الا بالفناء النظري على الجوانب الأخرى من المشكلة ، مما يتمثل في بقية الأحوال الداخلية في الدولة الصنهاجية .

اقرار الآمن ومواجهة الفتن الداخلية :

إذا كانت مطاردة الشيعة وما ترتب عليها من ردود فعل انية او مستقبلية قد تعتبر علامة ناشرة في عصر المعز بن باديس الذي يعتبره ابن خلدون عصر استنفحال الحضارة الزيرية . بل الافريقية ، فان الحقيقة قد تكون مختلفة بعض الشيء . فلقد عرف عهد المعز الى جانب مشكلة التسعة عددا من المشاكل المشابهة التي عكرت صفو الأمن والسلام وقتئذ ، كما سببت المتاعب للأمير وأسأته الى نظام الحكم والادارة ، مثل الفتن الطائفية التي شاركت فيها جماعات زناتة وكنانة ، بل وصنهاجة ، مثل تلكاته ، والفتن الاقليمية والمحلية بين بعض المدن وغيرها أو بين اهل المدينة الواحدة ، كما في الزاب وجربة وتونس .

النزاعات العرقية من زناتة وغيرها :

على عكس ما كان يظن من أن المشكلة الزناتية كانت قد هانت في بلاد أفريقية منذ القضاء على الثورة الكارية لأبي يزيد ، بل وانها كانت قد انتهت تماما بعد أعمال زيري وبلكين ضد زناتة التي أخرجت ، ليس من أفريقية وحدها ، بل ومن المغرب الأوسط مما سبقت الإشارة اليه (ص ٣٣٠) ، فالحقيقة أنه كانت قد بقيت للمشكلة الزناتية ذيول باقية من أسلوب حياة الزناتية ، بصفتهم قبائل رعوية لا تعرف مفهوم الوطن بمعناه الجغرافي السياسي ، من حيث أن المهم لديهم هو الحرية السيامية ، وعدم الخضوع لسلطان الدولة ، وبالتالي التنقل من أرض الى أخرى ، حسبما

تتحكم الظروف وتقضى الأحوال . وهكذا نفاجأ بظهور الرناتية وحفائهم من قبائل البربر (البنريه) ما بين الفينسة والأحرى ، بل انهم ربما حددوا العاصمة القيروان نفسها ، وسكن الى حين . وذلك ان كس لقضاء المعز بالرناتية كانت تنتهى دائما لصالح المعز وعساكره ، بمعنى أن بقاياهم كانوا قد ضعفوا حقا ، فلم يعودوا يشكلون تهديدا خطيرا للدولة الصنهاجية .

وهكذا يجعل ابن خلدون موضوع الصراع بين المعز وزناتة فيقول : « كانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها ، كما هو مذكور » (٣٧) . وباستعراض الحوليات الرناتية الصنهاجية قبيل عهد المعز نجد أن والده باديس حاول استرضاء بنى خزرون وأقطعهم طينة (ما سبق ، ص ٣٤٧-٣٤٨) وأكرمهم حتى صار إكرامه لهم مضرب الأمثال ، ودليلا على ضخامة ملك بنى زيرى بأفريقية والقيروان ، إذ أعطى باديس بن المنصور لفلقول بن سعيد الزناتى ٣٠ حملا من المسال و ٨٠ تحتا من الثياب (٣٨) . ورغم ذلك فقد كانت العلاقة متارجحة دائما ما بين الوثام والخصام بين باديس وسعيد ابن خزرون ، بمعنى أن عدم الثقة كان هو الأصل في العلاقة بين الطرفين على كل حال . وهكذا قضى باديس سنواته الأخيرة في صراع مع بنى خزرون الرناتية فيما بين بلاد الزاب في غرب أفريقية وما بين طرابلس في شرق البلاد ، حيث أناروا الاضطراب في اقليمها ، وغلبوا عليه مع محاولة الاسعانة بتأييد الخلافة الفاطمية في القاهرة ، (ما سبق ، ص ٣٥٥) .

مهاجمة دواب المعز فى قابس :

والمهم أن أول ذكر لأعمال عدائية من جانب الرناتية على عهده المعز تقع فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ، ويظهر فى شكل نحد شخصى للمعز ، وإن كان بشكل غير مباشر . إذ أغارت زناتة أفريقية على دواب للمعز بن باديس فى منطقة قابس ، بهدف أخذها ، لولا نقطة الولي هناك الذى حرج لهم وفاتهم ، ونجح فى هزيمتهم (٣٩) . وهذا يعنى أن العارة أتت من قبسل زناتة المستقرين فى شرق المملكة ، فى إقليم نزاوة الذى استقروا فيه عندما أعطاهم باديس إياها بدلا من طرابلس (ما سبق ، ص ٣٥٦) ، وبعد حوالى

(٣٧) السر ، ج ٦ ص ١٥٩ .

(٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث يقول بن مسعود بدلا من سعيد .

(٣٩) ان الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٢ .

٤ (الزيج) سرب سرب فيابل رسته في اقليم فراره وما يتحصنه في بلاد قسطنطينية ، وهي بلاد الجريدة ، اد نفصول ارواية انهم خرجوا (اي عصوا) هناك سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، فقطعوا الطريق وافسدوا البلاد ، وكان علي المعز بن باديس أن يواجه اضطرابهم هذا بما يناسبه من الأعمال العسكرية المعاصرة ، قبل فرارهم في بحار الرمال التي اعتادوا عليها ، فسير اليهم جيشا ، جريدة ، وامرهم أن يجدوا السير ويأخذوا العصاة على حين غرة ، قبل أن يصلهم خير قدومه اليهم . وهذا ما حدث فعسلا اذ انتهت المهاجاة بقتل كثير من الرناتية حيث قطعت رؤوس ٥٠٠ (خمسمائة) رجل منهم ، وضعت في أعناق الخيل وكانها أعلاق نفيسة ، وسيرت الى المعز الذي استقبلها باحتفال كانت له أصداؤه القوية في منطقة الفيوان (٤٠) .

مهاجمة المنصورية :

ورغم محاولات المهدنة ما بين المعز ورناته ، بل وكذلك بيته وبينه كتابة ، حيث انتهت المراسلات بينهم بالصلح والدخول في الطاعة سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، على أن يكون من حق الرناتية خفارة الطريق وحفظها في نظير اعطائهم مواطن آمنة لهم ، واجراء الأموال المسحقة لهم بطير قيامهم بأعمال الحراسة (٤١) . فالظاهر أن تلك المهاجاة وذلك التمثيل الذي نزل بقنلى الزناتية في تلك الوقعة المهاجاة جعلت رعاء رناته يعدون بدورهم مفاجاة مدهشة للمعز ، وذلك أنهم قرروا في ثورتهم التالية سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م أن يكون هدفهم هذه المرة هو حضرة المنصورية ، حيث المعز نفسه « طمعا في الملك » ، كما يقول ابن عذارى (٤٢) ، أي قلب نظام الحكم ، كما يقال الآن ، والاستيلاء على السلطة . وهنا كان على المعز شخصيا أن يواجه الخطر فجمع العساكر وسار بهم نحو التجمعات الرناتية المتربصة به . وتم اللقاء في موضع يعرف بـ « حمديس الصابون » وانتهى القسال الشديد بهزيمة زناتة الذين قتل منهم العدد الكثير ، وأسروا مثلهم . بينما فر الباقيون الى الغرب ، وعاد المعز ظافرا غانما الى المنصورية (٤٣) . والذي يشير الانتباه هو تصعيد الزناتية لمستوى الصراع مع المعز بحيث كان هدفهم في سنة

(٤٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٠ .

(٤١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٧٧ .

(٤٢) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٣) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٧ .

٤٢٧ هـ / ٣٥ - ١٠٣٦ م هو الحضرة المتصورية التي زحفوا عليها مرة أخرى ، كما نجحوا في التفوق على قوات المعز التي خرجت للقائهم ، وبهرموها في موضع يعرف « بالجمعة » قرب القيروان (٤٤) ، ولو أن المعز بجح في تقويم الموقف بعد قتال شديد صبرت فيه صنهاجة ، وبهرمت زناتة هزيمة قبيحة ، وقتل منهم عدد كبير ، وأسر عدد كبير (٤٥) . وفي السنة التالية ٤٢٨ هـ / ٣٦ - ١٠٣٧ م خرج إليهم المعز بنفسه مرة أخرى ، ولم يكتف بكسرهم وهزيمتهم (٤٦) بل أنه تنبعهم إلى مساكنهم في البلاد فخر بها ، كما هدم قصورهم أو حصونهم (٤٧) . واستمرت أعمال القمع التي قام بها المعز ضد الثوار في السنة التالية ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث سير عساكره إلى بلاد الزاب حيث فتح موضع « قورس » وقتل من توار البربر هناك خلقا كثيرا ، كما فتح مواضع من بلاد زناتة ، واستولى على قلعة « كردوم » من حصونهم القوية (٤٨) .

وفي سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م زحف المعز إلى زناتة بجيحات طرابلس ولكنهم خرجوا إليه وهزموه هزيمة متكررة ، انتهت بمقتل عبد الله ابن حماد وسبب الأميرة أخت المعز « أم العار » التي أطلقت وردت إلى أخيها الأمير بعد حين (٤٩) .

أما عن الحملة التي سيرها المعز في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ضد زناتة فكانت بقيادة ولي العهد الأمير نزار الذي حقق النصر على الزناتية ، وعاد متوحا بأكيل الغار (٥٠) . وفي نفس السنة (٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م) كانت قوات المعز توقع بالثوار من قبائل لوانة (البترية البدوية أيضا مثل زناتة)

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٦) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٥٣ .

(٤٨) ابن عذاري ، ص ٣٤٠ .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ . هذا ويشير الرواية إلى أنهم هزموا المعز مرة ثانية

عندما أراد الثار فرحهم إليهم ، وإن أبحث له الكرة عليهم فليس لهم وأدعوا لسيطانه .

(٥٠) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - حيث النص على أنه عند قهره أشدهم

إلى شرق قصيده التي أولها :

بالسهم والاقبال والنسكين

طلعت من الغربى شمس الدين

هزيمة موجعة ، وتقتل عددا منهم ، وتغنم من أموالهم (٥٦) . ومن كانت
أرواية لا تحدد الموضع الذي أنزلت به تلك العقوبة بلوثة ، فمن الواضح
أن يكون ذلك في الأقاليم الشرقية ما بين برف وعضاوة .

اضطراب قبائل تلكانة الصنهاجية :

والغريب أيضا أن بعض قبائل صنهاجة كانت مضطربة هي الأخرى ،
الأمر الذي كان يسبب المنساعب للدولة الزييرية ، من : الهزائم في الحرب
والاضطرابات الداخلية أوقات السلم . والمثل لذلك قبائل تلكانة التي كانت
السبب في هزيمة جيوش المنصور أمام قوات زيري بن عطية الزناتى
المغراوى ، صاحب فاس (ما سبق ، ص ٣٤٩) . ففي سنة ٤٣٩ هـ /
١٠٤٧ م ، قامت حرب طائفية بين جماعات من قبائل تلكانة ، طالت واشتدت
بما فيه الكفاية إلى حد قتل الكثيرين منهم (٥٧) .

الاضطرابات الاقليمية :

والى جانب النزاعات القبلية عرف عهد المعز بن باديس الاضطرابات
الاقليمية ، كما في الزاب وجربة ، وبين المدن كما بين القيروان وسوسة أو
بين أهل المدينة الواحدة ، كمسا في كل من القيروان ونونس ، الى جانب
ما كان يقوم به بعض عمال الدولة وكبار الموظفين فيها ، وخاصة من العاملين
في الجباية وديوان الخراج أو غيرهم حتى من الأمرين بالمعروف ، من أعمال
كانت تثير ردود فعل عنيفة من قبل الأمير ، ومن عساكر الحرس ، أو ما كان
يشير خواطر العامة ويؤدى بالتالى الى الفتنة .

فعيما يتعلق بالاضطرابات الاقليمية في بعض المناطق التي عرفت
بميوها الفردية أو الانفصالية ، نطلب الأمر من المعز تسيير العساكر الى
بلاد الزاب سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث تم فتح حصن قورس ،
وقتل خلق كثير من البربر ، الأمر الذي ربما كانت له علاقة بثورة رباتة في
ذلك الوقت (٥٨) . وفي سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م دخل بعض قواد

(٥٦) ابن عذارى ، ط ١ : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - وبمأساة ورود جبر الايتاغ بلواته ،
صبرت الطبول ، كما أشهد ابن شرف قصيدته التي يقول فيها :

باليس والسبعه عسوه بالمفسر مرقى السورد عاسم السسدر

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤٢ .

(٥٨) النويرى ، ص ٣٤٠ .

المعز بن ناديس جزيرة جربة ، المعروفة بميولها الانعزالية ومذاهبها الانفصالية ، وقتل رجالها ، وأسر مقدمهم ابن كلده ، وصلبه : عقوبة قطع الطريق والافساد في الأرض ، فضلا عن سوء اعتقادهم^(٥٤) ، حيث كانوا من الإباضية النكارية ، مذهب أبي يزيد صاحب الحمار . والظاهر انه لنفس هذه الأسباب كانت جزيرة جربة في السنة التالية ٤٣١ هـ / ٣٩ - ١٠٤٠ م ، هدفا مغارة بحرية من قبل جيوش مالقة ، كما تقول رواية ابن عذارى ، التي فتحتها وانتصمت من أهلها قتل الكثيرين منهم^(٥٥) .

أما عن الفتن في المدن فتشير الحوليات الافريقية الى الفتنة اسي قامت في القيروان سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بين الأجناد وبين العصابة من أهل القيروان ، والتي أدت الى قتال دام بين الطرفين وانتهت بهاية حرية بالنسبة لأهل العاصمة ، اذ قتل من عامتهم ٢٠٠ (مائتي) رجل^(٥٦) . وعن الخلاف الذي وقع بين أهل تونس وأدى الى تنازعهم فيما بينهم سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، فقد تطلب تدخل مباشر من المعز نفسه الذي نجح في تسكين الفتنة بفضل الاصلاح بينهم^(٥٧) . وفيما يتعلق بالفتنة التي كانت قائمة بين أهل القيروان وأهل مدينة سوسة ، ميناء القيروان فانها انتهت بالصلح بين أهل المدينتين التوأمتين سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م . والظاهر أن سعاية أهل الخير بين الطرفين انتهت باقرار الحق للسوسيين على أهل القيروان ، وذلك أنه كان على القيروانيين أن يقيموا الدعوات الكريمة للسوسيين وكانت تنتهي بغسل الأيدي بماء الورد ، ومسحها بمباديل الشرب الرقيقة زيادة في التكريم^(٥٨) .

ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف :

والى جانب ذلك هناك ذكر لما يمكن أن يكون محاولة لاثارة الفتنة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي المسألة الشبيهة بما كان يقوم به دعاة الفاطميين قبل ذلك لحساب خلفاء القاهرة وخاصة في بلاد كتامة ، مثلما فعل أبو الفهم وأبو الفرج (ما سبق ، ص ٣٣١ ، ٣٣٤) مع الفارق

(٥٤) التويرى ، ص ٣٤١ .

(٥٥) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٧ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٥٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٦ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ .

في الامكانيات وبالتالي في الهدف ، ولو أنه يمكن ان يفهم من بعضيات
احدث انه كانت هناك سه عسلافة بين الامر بالمعروف هنا وبين خلافة
القاهرة . ففي شهر رجب سنة ٤٢٢ هـ / نوفمبر ١٠٥٠ م كان أحد الوعاظ
القيروانيين ، وهو ابو عبد الله بن عبد الصمد ، الذي عرف بأنه فقيه
زاهد ، يعطرد من مدينته القيروان ، تحت الحراسة المشددة نحو مدينة قابس
انظارا للثافة التجارية الخارجة من القيروان الى مصر لتحما الى هناك .
هذا ، وصدرت الأوامر الصارمة الى عامل قابس بعزل الرجل ، فمنع الاتصال
به ، كما حرم من مغادرة موضع اعتقاله .

أما عن الأسباب التي أثارت كل هذه الاحتياطات وتلك الضجة حول
أبي عبد الله بن عبد الصمد الواعظ ، فإنه كان يشد الناس الى حلقسات
وعظه بسبب حدة لسانه ، الامر الذي استدعى تحذير المعز بن باديس له .
والظاهر أن الرجل في وعظه لم يكن يتعرض لموضوعات سياسية تثير
الحكومة ، بل كانت موضوعاته تتعلق بأمور خاصة بالهد والتصوف ، مما
يتعلق بموضوعات الفيض والحلول الالهية او ما شابه ذلك ، وهي الموضوعات
التي أثارت من كان يجتمع حوله من فقراء القيروان ، أي عبادها وصلاحها ،
الذين استبشعوا مقالاته ، « فرفعوا رقايعهم الى المعز بذلك » ، فأتخذ قراره
بالفي عن البلد ، بعد أن كان قد أذره وأعذره .

ولكن الذي حدث هو أن الرجل المتصوف الصالح لم يقدر له الوصول
الى مصر حيث قتل وهو في القسافة ، في الطريق . وهنا لم يسكت
عبد الصمد والد أبي عبد الله الذي كان يمارس وظيفة الوعظ التي أخذها
ابنه عنه ، بجامعة القساطر (مصر) ، وأشار بأصابع الاتهام الى أمير
القيروان ، وقرر أن ينتقم منه انتقاما يفيق مع بشاعة الجريمة التي ارتكبت
في حق فلذة كبده ، عن طريق استخدام أقصى ما يمكن من وسائل الاعلام
في ذلك الزمان . فقام الرجل في الترو واللعظة بالمسير الى مكة ، فكان يطوف
بالكعبة خلال الموسم ، وهو يصيح « يارب المعز ، عليك به يارب » .

وهنا تكون المناسبة لتفسير سبب خراب ملك المعز بن باديس بدعاء
ذلك الرجل بل والتأكيد على أنه « لم يشك أحد في احابة « دعوته » (٥٩) ،
فكان حكومة المعز التي توصف بضخامة ملكها وترفها وبذخها ، كانت

المضعف من أن تلقنه أمام دهمسة مظلوم ، فما بالك بدعاء كل الكرهين للنظام ، من مظلومين وغير مظلومين ، لاسباب حقيقية أو لمسأرب شخصية .

٤٠ بين الأمير والوزير ورجال الدولة :

من أهم ما يميز حكمه المعز بن باديس هو طول عهده الذي امتد رهاء نصف قرن (٤٨ سنة : ٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٥ م) ، مما يسمح بالمقارنة مع بعض أمراء الاسلام القريبى العهد به ، مثل عبد الرحمن الناصر بالاندلس (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، والمستنصر الفاطمى بالقاهرة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) .

تكوين أسرة اميرية :

حقيقة أن المعز ولى الملك وهو غلام صغير فى الثامنة ، الأمر الذى يمثل نوعا من القصور فى أسلوب الحكم ، إلا أنه فى نفس الوقت كان فرصة للتدريب العملى ، وتطبيق ما كان يمكن أن يتلقنه من نظريات الحكم وفلسفة السياسة المدنية . ولما كان أول ما يجذب الاهتمام فى ذلك العصر ، أن يكون الأمير أسرة تتوارث الملك ، فلأن ذلك الأمر كان يمنع الاختلاف بين أفراد العائلة الكبيرة من : الأعمام الصغار والاخوة الطموحين وأبنائهم انكبار - وهذا يمكن تفسير وصول زاوى بن زيرى ، عم والد المعز الأكبر من الأندلس سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، والمقاوة التى قوبل بها من قبل المعز (ما سبق ، ص ٣٦٧ وهـ ١١١ ، وص ٤٠٦) ، بأن ذلك يعنى تأييدا لاماره المعز وسندا لا يستهان به .

٤١ زواج المعز بن باديس :

وهكذا كان على الأمير الصغير أن يتأهل للزواج ، بدأ بخنانه الذى حدث فى أواخر ذى الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م (النويرى ، ص ٣٣٨) . أما عن زواجه الذى مر عليه ابن عذارى سريعا ، رغم المبالغة فى وصفه بأنه « ما تهيأ قط لأحد من ملوك الاسلام ، اكتفاء بما شرحه الرقيق فى كتابه ، فقد كان فى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م » . ويذكر لابن أبى دينسار ، رغم تأخره ، أنه أشار الى الوليمة التى صنعها المعز بالمناسبة ، والتى « لم يكن مثلها لأحد فى بلاد المغرب » مع تقديم تفصيلات طريفة عن الاستعدادات

الخاصة بالعرس الكبير (٦٠) . وهكذا بدأت الأسرة المعزية الياديسيه في الريادة ، اعتبارا من شهر صفر سنة ٤١٥ هـ / ابريل ١٠٦٤ م . حيث ولد له ابنه كباب ، بينما كان مولد ابنه الثاني نزار في ١٠ من المحرم ٤١٧ هـ / ١ مارس ١٠٢٦ م (٦١) .

ممارسة السلطات المطلقة : نكية الوزير :

والظاهر ان المعز عندما أدرك سن الحلم وهو في شبابه المبكر ، في الرابعة عشرة من عمره ، كان قد بدأ يمارس سلطانه المطلقة . بل ويظهر اتجاهات استبدادية منطرفة . ففي ربيع الآخر سنة ٤١٢ هـ / ١٠ يولييه ١٠٢٢ م قتل وزيره وصاحب جيشه ، ابا عبد الله محمد بن الحسن بعد ٧ (سبع) سنين قضاها الرجل في الخدمة مسبقا بأمور الدولة ، أي منذ بداية عهد المعز . اما عن تبرير التخلص من الوزير قتلا ، فيرجع ، كما تقول الرواية الى انقائه كل دخل الدولة في وجوهها المعروفة ، بمعنى الموازنة بين الدخل والمخرج تماما ، دون ادخار أموال قد يستفيد منها عند الحاجة (٦٢) . وهو ما يعني أن الرجل كان مستقلا بالادارة المالية كما كان الحال بالنسبة لمشاهير سابقيه ، من : ابن القديم على عهد ياكين ، الى عبد الله بن محمد الكاتب أيام المنصور ، الى محمد بن أبي العرب على عهد ياديس ، مع عدم الاخلال بطبيعة الحال بحق الأمير في الرقابة على أعماله .

واذا كانت بقية الرواية تضيف الى ذلك طمعه في المال لكثرة

(٦٠) المؤرخ ، ص ٨٣ - حيث انتهى على البقيع فوق العرس بسحب القباب خارج المدينة ، وشر ما هيا من الأثاث والثياب ، وحملوا المهر على ١٠ نعال ، على كل بغل ١٠ آلاف دينار ، وحس من آلاف الملاص ما لا يوصف . ولقد اتهم عدائي الحظ ما حمل للعروسة فكان يريد من مليون (ألف ألف) دينار .

(٦١) النويري ، ص ٣٤٠ ، وانظر ابن عذاري ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - حيث النص على وفاة نزار بن الحسن بن ياديس سنة ٤٣٨ هـ وعمره ٣١ سنة وأشهر ٠ وفي تلك السنة ولى ولده الآخر ابا التماس (العهد) وكناه العريس طغ ، وهو ابن ٨ أشهر ، وقوى بعد ذلك وهو ابن سنة و ٣ أشهر - انظر ابن عذاري ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ ، وأخيرا كانت ولاية العهد سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م لولد أبي الظاهر نجم - خلفه - ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٦٢) النويري ، ص ٣٣٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٧ - حيث يمكن أن يفهم من النص ان الرجل غدر في المال ، حيث قبل ان ابا عبد الله محمد بن الحسن أقام سبيح سنين لم يحل من الأموال شيئا (الى القصر) بل ينجوها ويرفعها عليه .

اتباعه ، بمعنى أنه ، صديق مركز قوة ، وأنه أخيراً مالا من الذخيرة لم يرد
عوضه ، حتى صاقت الدولة وانسحبت أحواله . وكثرت آيبيه التي لا تصلح
إلا للملوك ، كما نرى يرسل الكابر رجال الدولة بمصر فيناديهم ويهادونه ،
من أن وصل إليه سحلي حص من الحسلافة ، فضايق منه المعمر (٦٣) ، فإن
الإنهام الأخطر الذي يواجهه له الرواية هو أنه كان معنرا بأحبه الذي كانت
له ولاية طرابلس ، حيث أعداء الدولة الزناتية الذين كان يمكنه الاعتماد
على مساعدتهم . فبما على ذلك تقول الرواية أن الوزير أبا عبد الله محمد
ابن الحسن شعر بقوة وبدأ يزاحم الأمير في سلطانه ، حيث صار يذكر
اسمه إلى جانب اسم المعز في مخاطباته ، الأمر الذي ثقل على المعز وجعله
يفكر في التخلص من الوزير ، حيث دس عليه بعض حواصه لخدمة لديه
وتعريفه بنماصيل أحواله ، وانتهى بقتله ، في ٧ ربيع الآخر ٤١٣ هـ / ١٠
يوليه ١٠٢٢ م مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على أمواله وممتلكاته ،
وكذلك الأمر بالنسبة لرجال العاملين معه في الإدارة المالية (٦٤) ، فكانها
قصة الرشيد وجعفر البرمكي ، قد وضع لها « سيناريو » جديد يناسبها .

وفي سبيل تبرير غدر الأمير بالوزير تقدم الحولية التاريخية قصة
خيالية مفادها أن الوزير كان على دراية بما ينتظره من مصير مشئوم ، فكان
المسألة تتعلق بشيء مما عرفه القاطميون من علم الحداث . وذلك عندما رأى
أبو عبد الله محمد بن الحسن في منامه عبد الله بن محمد الكاتب وزير
المصور وباديس ، فحذره من مغبة عمله ونصحه بتقوى الله في الناس
كافة ، مع أبيات من الشعر تعبر عن قصر الحياة وعدم الاعتزاز بالدنيا ،
الأمر الذي انزعج له الرجل فأنشده من نومه مذعورا ، فلم ينقض على ذلك
غير شهرين حتى كان مصرع الوزير على يد الأمير (٦٥) .

عصيان أخى الوزير ، تحالفا مع زناتة في طرابلس :

والهم أنه عندما بلغ الخبر إلى أخى الوزير في طرابلس تحالف مع

(٦٣) التويرى ، ص ٣٣٦ - ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٦٤) التويرى ، ص ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٦٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ . حيث يعرض عددا من أدبات الشعر يقول الثالث

« والأربع منها على لسان عبد الله بن محمد الكاتب » .

وأعظم أسوة لكى لاس

فلا تفتقر بالدماسم واقعه

مكت ولم اعلم شيولا وعرضاً

فان أوان اسرك قد تقضى

(ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٨)

رماتة في المنطقة ضد المعز . بل وأدخلهم مدينة طرابلس نفسها ، فقتلوا من كان فيها من العسكر المعري والصنهاجي واستولوا على المدينة . وكان انتقام المعز شديدا أنه أمر بالقبض على أولاد الوزير إلى جانب عدد من أقربائهم فحبسهم ، ولكنه أمام احتجاج نساء المسؤولين في طرابلس انلأى استغثن بالمعز بن باديس ، اضطر إلى قتلهم بعد أيام من الاعتقال (٦٦) .

أما عن الذي خلفه إيا عبد الله بن الحسن في إندواره فهو أبو القاسم ابن محمد بن أبي العرب ، وصرف إليه النظر في سائر المريقية ، هي حفل رسمي قلده فيه سيفه ، وأخرجه في موكب تقدمه الأطباء والنود (٦٧) . ولكنه لم يقدر للقاسم أن يستمتع بمنصبه الكبير طويلا . وذلك أن المعز فوض في ٢٥ جمادى من السنة الثانية (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ١٦ سبتمبر ١٠٢٣ م ، جباية الأموال وولاية العمال والنظر في العساكر وسد ثر الأشغال إلى أبي البهار بن خلوف (ما سبق ، ص ٣٨١) ، الذي استخدم الحزم والحسم حتى تحسب الأمور ، وضبطت الأطراف والنفور ، واستقام التدبير حتى « رأى الأمير شرف الدولة (المعز) من حزمه وكفايته ما لم يقم به غيره » (٦٨) .

سياسة حازمة تجعل من الوزير أبي البهار مركز قوة يخشى أمره :

ولا بأس أن تكون سياسته الحزم والحسم التي انتهجها أبو البهار بن خلوف ، والتي تشير إليها رواية ابن عذاري قد أصبحت سياسة معتمدة من المعز ، وأنها التي تفسر سلسلة التوسعات والمصادرات التي تشير إليها الحوليات المعزية البادية في ابن عذاري ، والتي صارت جزءا من السياسة المالية ، منذ التخلص عن الوزير أبي عبد الله محمد بن الحسن سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٣ م . ففي سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م كتب محمد بن محمود بن السكاك ، الذي كان يتولى « أشغال أم المعز » ، وعن هذا الطريق استولى على دولته (٦٩) ، الأمر الذي يذكر بالطريقة التي استولى بها محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور ، على دولة الحكم المستنصر بعد ما دخل في خدمة زوجته السيدة

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٨ ، وانظر البربري ص ٣٤٠ - حيث النص على أنه بعد أن أمر المعز بالقصر على جميع بني محمد حبسهم لفترة من الوقت قبل أن يتقدم الجميع للقتل .
(٦٧) البربري ، ص ٣٤٠ .

(٦٨) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٣ .

(٦٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٧ .

أم هشام المؤيد ! أما عن نكبة والى نقطة ، وهو جوشن بن حميد الصنهاجي .
سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ، فقد دلت بسبب مطابقتها بأموال كثيرة أنهم
باحتمجانها لنفسه ، وكان عليه أن يتحمل الكثير من العسباب والهوان ، في
سبيل إجباره على الاقرار بما اتهم به (٧٠) . هذا ، كما اتهم قاضي قفصة
أحمد بن حجاج هو الآخر ، في مبلغ ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، ولكن الرجل
الذي كان (متصاونا) يخشى أن تحدث كرامته ، يادر بدفع المبلغ المطلوب ،
وحفظ نفسه (٧١) . وكذلك كان الحال بالنسبة للقائد عباد بن مروان سنة
٤٤١ هـ / ١٠٣٩ م ، وهو أحد الخاصة ، وكان يحمل لقب سيف الدولة فقد
تأسست نكبته على أساس اتهامه بالخيانة في الأموال ، وذلك انه دفع الى
أعدائه مع الأمر باستخراج أمواله ، كما قبض على من دخل في خدمته من
العمال ، من اجل المساعدة على ذلك . وأخيرا القى الرجل في سرداب من
نوع السحن المطبق المظلم وفي حيا مات (٧٢) ، وذلك قبيل الوقت الذي
بدأت تنور فيه مشكلة العرب الهلالية .

الامير وأفراد الأسرة ، لحاكمه :

هكذا ، كان اضطراب الاجهزة الادارية يمثل مادة اضافية لاثارة
الخواطر وافتقار بين رجال الدولة وعمالها ، بل وبين دوى الاملاك وأصحاب
الأموال من عامة الناس ، من التجار وغيرهم ، ولزيادة أسباب الاضطراب
الأخرى من نزاعات ترفية ومذهبية ، وصراعات محلية وعائلية . ومن بين
الصراعات العائلية كان للعلاقات الحسنة أو السيئة بين الامير او الفرع المالك
من العائلة الزيرية الذي يمثلها في بني المنصور بن يلكين ، وبين غيرها
من الفروع الاقدم ، كبنى زيرى أو الأحمد كبنى حماد ، أثرها الخطير على
استقرار الأمن والهدوء .

وفيما يتعلق بعهد المعز بن باديس أمكن التغلب على ما صادفه من
عقبات في سبيل ارتقاء العرش قبل الطامعين فيه من أفراد الأسرة الزيرية ،
دون صعوبات كبيرة ، حيث أمكن التخلص بسهولة من كرامت بن المنصور

(٧٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٤٠٣ .

كسافس على الاماره . على يدى كل من الطرفين المتصارعين وقتئذ . وهما حرب حماد بن بلكين المعارض ، وحزب المعز بن باديس ولي العهد الشيعى . وان كان ذلك قد تم عن غير قصد من جانب كل من العرفين (ما سبق . ص ٣٧٧-٣٧٨) فلقد اقتضت السياسة ، من حرب المعز الحماطة على شبه كرامت ابن جانه . فعند المعز له اضافة الى ما كان يملكه وقتئذ من ولاية اشير . على عمال المغرب كلها ، فى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م (٧٣) وهى نفس السنة (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) تحسن موقف الاسيرة بالنسبة للمعز عندما رتب له رأوى من ريرى من الاساس . شيخاً سبجلا ، بعد ٣٣ (اثنين وعشر) سنة قضاه فى الاساس سجاهدا للعدو . ومتميرا للهيبة الثنية هناك . ومشاركاً فى اقامه بطسام الطوائف بالعمل على اسبلاء الصنهاجيين على غرداية ، فاسبقه المعز فى المنصورية بما يبين بشخصه من اجلال وتكريم . الامر الذى اعترى تمكينا لمركز المعز وتأييدا له (ما سبق ، ص ٤٠١) فى مراحلة حماد بن بلكين ، عم والد المعز الذى بقيت مشكلته تستظل حلا .

الصراع ضد حماد بن بلكين :

بعد وفاة باديس والد المعز ، وهو يحاصر عمه حماد بن بلكين فى قلعه . وانصراف عسكر باديس الى افريقية نزل حماد على اشرف حيث ابن اخيه كرامت بن المنصور ، الذى كان عليه الدفاع عنها ، بناء على نصيحه ابقاصى ، وبجح بعد هزيمة كرامت فى اخراجه ، بعد ان ارضاه بمبلغ من المال فى المحرم ٤٠٧ هـ / يولييه ١٠١٦ م . الى المعز بافريقية (٧٤) . وكان على المسئولين بالمنصورية أن يعدوا العدة لمواجهة بحدى حماد ، الامر الذى استغرق أكثر من العام ، حيث كان خروج المعز من المنصورية الى رقادة على رأس العساكر فى يوم الخميس ٢٣ من صفر ٤٠٨ هـ / ٢٢ يولييه ١٠١٧ م ، حيث اشرف على الرجال ، وفرق فيهم الأموال ، قبل المسير على رأسهم يوم ٤ ربيع الأول / أوج أغسطس ، فى الوقت الذى بدأت تاتيه

(٧٣) انويرى ، ص ٣٣٩ .

(١٤) اس الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ . وما سبق . ص ٤٠٥ . وذات انويرى ص ٣٣٧ حيث الإشارة الى ان جند كرامت السلكتيين كانوا سبب الهزيمة ان تدروا بكرامت وانصراف اس اسل مع الإشارة الى أن حماد طالب التذكير والصنهاجيين بعد ذلك بما سار القسم من امرا كرامت . مع الاشارة ان قوات حماد بلغت ١٥٠٠ رجل . بينما بلغت قوات كرامت ٧٠٠٠ رجل . اما المفرد التى قدمها حماد الى كرامت فقد بلغت ٣٠٠٠ دينار فقط .

جماعات من عسكر حماد نطلب المدحول في خدمته ، وكذلك من كناسة (٧٥) ، بعد أن هزقت عنه تلكانة وبعض صنهاجة من اعوان كرامت في السنة السابقة (٧٦) - ولكنه على عكس ما كان يأمله الممن فنتيجة لذلك ، من ضعف حماد وأخيه ابراهيم وقرب حضورهما ، أتت الأنبياء تبين أنهما يستعملان الخديعة والقدر في الايقاع بالمخالعين من أتباع المعز ورجاله - من ذلك ما فعله ابراهيم من التفرير بأيوب ابن يطوقت عامل باغاية ، عندما كان يحاصر مدينته ، اذ عانيه وذكره بأنهم اخوة وإن ما حدث من الخلف بينهم إنما كان بقضاء الله وقدره ، وطلب اليه أن يرسل معه من يأخذ العهد على حماد بالطاعة ، حسب رغبة هذا الأخير ، ثم انه عذر برسولي أيوب ، وهما : حمادة أحي أيوب ، وجبوس بن الفاسم بن حمادة ، فأساء اليهما ، وأرسلهما الى القاعة في ثياب رثة مثقلين بالحديد - حيث حماد الذي قتل تأيعهما : نورين ، علام أيوب (٧٧) .

المعز ينزل الهزيمة بجماد :

وعندئذ لم يكن أمام المعز الا المسير بالعساكر الى حماد ، حيث أنزل به هزيمة مريرة في آخر ربيع الأول ٤٠٨ هـ / ٢٦ أغسطس ١٠١٧ م ، قتل فيها حمادة أصحابه ، كما وقع ابراهيم أسيرا ، بينما نجح حماد في الفرار وقد أصابه جراح وشرق عنه أصحابه . واطر ذلك أضاف المعز الى أعمال كرامت بن المنصور ولاية المغرب (٧٨) ، بينما عاد المعز الى قصره في آخر

(٧٥) البويرى ، ص ٣٢٨ .

(٧٦) البويرى ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - حيث كان قد طالبهم بأموال كرامت التي لديها فامتعوا عليه وتمرقوا .

(٧٧) البويرى ، ص ٣٢٨ - حيث النص على أن حمادة وجبوس أدرا في قارة (مظلة) السلام ، وان الذي جردهما من ثيابهما والى عليهما ملابس رثة ، هو : دكتور بن أبي جلا . أما من تبرير حماد لقتل نورين العلام فيتلخص في قوله له : « هذان ابنا عمي ، وأنت لما جاء بك . أردت أن تتحدث » . قال لي حماد ، وقتت لجماد » .

(٧٨) البويرى ، ص ٣٣٩ ، اس الأخير ، ج ٩ ص ٢٥٨ - حيث النص على مسيرة المعز من تديس في ٢٢ صفر ٤٠٨ هـ ، وهو تاريخ خروج الى رقادة عبد البويرى الذي يقدم لك تاريخ الوقعة (آخر ربيع) ، كما يشير الى جراح حماد ، وقارب ابن جلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث كان حماد قد دخل المسيلة وأشير وحاصر باغاية ، أما عن حملة المعز فقد فكت الحصار عن باغاية كما كانت سطفت آخر مطاف المعز ، وكذلك قصر الطين ، قبل القبول الى حضرة .

جمادى الأولى ٤٠٨ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٠١٧ م ، حيث أطلق سراح عمه ابراهيم وأحسن اليه (٧٩) .

الصلح بين حماد والمعز :

وعندما طلب حماد الصلح ، وتيقن المعز من حسن قواياه ، قبل منا ما عرضه ، من سعى أخيه ابراهيم في الصلح ، وارسال ابنه القائد رهينة الى المنصوريه ، ووافق على الصلح . وفعلا وصل القائد بن حماد الى المنصورية في ١٥ شعبان ٤٠٨ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٠١٧ م ، فأحسن المعز استقباله وعهد اليه بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمة وبليمة وسوق حمزة ، وأعطاه شعارات الولاية من البنود والطبول وصرفه الى أبيه حماد بالقلعة ، في ٤ رمضان / ٢٤ يناير ١٠١٨ م . وبذلك يكون حماد قد دخل في طاعة المعز شكلا على الأقل ، حيث كان ابنا القائد يتردد الى المعز ما بين الحين والآخر (٨٠) . وتؤكد الوقائع بالمصاهرة حيث زوج المعز أخته بعيد الله بن حماد (٨١) .

وانت تمام الاتفاق بين المعز وبين حماد وابنه القائد سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م وانعقاد الصلح ، فان المعز كان يستطيع أن يبعث رسالة الى قبائل البربر وغيرهم ممن كانوا غير ملتزمين بالطاعة ، ويرجعون الى الهسدو والسكينة ، مع ردع المفسدين منهم بالحرب والقتل ، الأمر الذي أدى الى سيادة الأمن والسلام بين سائر القبائل (٨٢) . وهكذا حق لابن خلدون أن يقرر : ان الحرب رفعت أوزارها من يوحى واقتسموا المظلة ، والتحموا بالأصهار ، والفرق ملك صنهاجة الى دولتين : دولة المنصور بن بلكين بالقيروان ودولة حماد بن بلكين بالقلعة (٨٣) . وبذلك يكون وضع حماد

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - حيث خلع عليه وأعطاه الأموال والدواب .
(٨٠) السويري ، ص ٣٣٩ ، وقارب ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث لخص في حاجة الى لخصه ان المعز وصل القائد بن حماد بعمل المسيلة وطبنة وارباب وأشير وناعرت وما يفتح من بلاد المغرب لكي يكرر مره أخرى أنه عقد للقائد (بن محمد بدلا من حماد) على : طبنة والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ، كما انقلب بهديه صرخة وأظهر ابن عسكاري ط . بيروت ج ١ ص ٣٨٨ بحث الاشارة في حوليات ٤٠٨ هـ الى حروب عظيمة بين عسكر شرف الدولة (المعز بن باديس) وعسكر حماد .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٣) المعز ، ج ٦ ص ١٥٨ .

وبينه فد استنقر ، الى جانب الامر الواقع من الناحية القانونية أيضا ، يعد اقل من سسين من وفاة باديس أمام أسوار القلعة . وهكذا عندما يتوفى حماد . بعد حوالي ٩ (تسع) سنوات . في ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م فإن المعسر يستقبل النبأ بما يستحقه من التأثير والأسى اللائق لما يربط بينهما من صلة القرابة - بصرف النظر عن انها من الدرجة الخامسة - والمصاهرة ، ويكتب بالتمغزية الى ابنه القائد ، اذ المهم انه : عظم على المعسر موه ، كما يقول ابن الأثير ، لصالح الامر بينهما ، ولأن الأمور استعانت للمعسر من بعده ، وأذن أولاد عمه حماد بالطاعة (٨٤) .

عودة النزاع واعتبار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م

سنة الفصل بين الدولتين البلعينيةتين :

وبطبيعة الحال لم يمنع اقرار السلم بين المصورية وبين القلعة من قيام النزاع بين الأسرتين القرينتين ، تماما كما يحدث بين الدول المتخاررة ، بل والمباعدة أيضا . وهكذا نجد في الحوليات سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م أن المعسر يخرج بجيوشه الى قلعة حماد ويضرب عليها حصارا طويلا لمدة سسين مساليتين ، ضيق عليها أثناءها . مع تبرير تلك الأعمال العدائية ضد الحماديين ، برحوتهم الى العراق ، وهو المصطلح الذي يعنى العصيان او الخروج عن الطاعة (٨٥) ، وهو ما لا تمدنا المصادر بشئ ما عن موضوعه ، رغم اهتمام ابن الأثير بذلك وتخصيص عنوان مميز له (٨٦) ، الأمر الذي قد يعنى مجرد توجهاً شخصية أو مزاحية من جانب الطرفين أو أحدهما .

هذا ، ولو أنه يفهم من نص ابن خلدون ان نهاية صراع سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م كانت في عبر صالح المعز ان لم تكن وخيمة بالنسبة له ، من حيث أن عودة المعز الى افريقية لم تنبعها محاولة أخرى للدخول في صراع

(٨٤) الكامل ، ج ٩ ص ٣٥٥ ، وقارن التويرى ، ص ٣٤٠ - حيث النص على ان وفاة حماد كانت في صفر ٤١٩ هـ / مارس ١٠٢٨ م . وان المعسر كتب الى ولده القائد بالتمغزية . وقارن الاعلام لابن الشليل ، ص ٧٥ وهـ ٢ - حيث النص على موت حماد بموضع تارمرت ، الذي لمعه تارمالت على بعد ٨٠ كم ، جنوب شرق بحاية .

(٨٥) التويرى ، ص ٣٤٦ . ابن عدي ش : مبروت ج ١ ص ٣٩٧ - حيث النص على ان المعسر أخق بختق حماد (المتوفى) وهو يعصد ابنه القائد .

(٨٦) الكامل ، ج ٩ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ - حيث النص بوسدح على خلاف أولاد حماد ، وعودتهم الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه .

مع الشاديين ، فكان سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م هي سنة الفصل بين الدولتين
البلطيين . وليس سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م ، حسما يصح على ذلك ابن حلدون
ففسه .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس :

لم كانت قوة الدولة تتمثل في قوة اقتصادها بمعنى عناها وكثرة
الأموال فيها ، من حيث ان المال هو مادة الحياة بالنسبة للدولة وقيمه
مجموعها ، إذ على قدر ما يجمعه الناس من المال يكون مستوى المعاش ،
وعلى حسب ريادة هذا المال ونقصانه تكون ريادة المستوى الحضارى
او بنديه ، وبالتالي ضخامة الملك أو تعاقبه . وما لا بأس من الإشارة الى
تقييم ابن حلدون لعهد المعز بن باديس ، حيث يقول : « واستمر ملك
المعز بأفريقية والقيروان وكان أضخم ملك عرفه البربر بأفريقية » وأترقه
وأبذحه » . وفى ذلك يعرض لما ينقله الرقيق « من أحوالهم فى الولائم
والهدايا والجنائز والأعطيات ، ما يشهد بذلك » ، مثل : ما ذكر من « أن عطية
صنبل عامل بأغاية مائة حمل من المال ، وأن بعض توابيت الكبراء منهم
كان العود الهندى بمسامير الذهب » (٨٧) .

ومثل هذا الكرم والعطاء كان يحذب الشعراء الى بلاط المعز بن باديس
الذى زها بشاعرى القيروان الشهيرين ، ابن رشيق وابن شرف الى حائب
غيرهما ممن يرخر بمادج من أشعارهم أسودج ابن رشيق ، وما وصلنا من
أشعار ابن شرف الذى كان يكسب القصيدة فى غير مسودة كأنه يحفظها ثم
يقوم فيشدها (الأنموذج ، ص ٣٤٠) ولا شك ان بلاط المعز بشعرائه
بهؤلاء هو الذى كان يعطى سمة عروبة الدولة ، التى بدأت بربرية حتى كان
يلكن يسير بكتابه وترجمانه (ما سبق ، ص ٣٠٤) ومن شعراء المعز الذين
تفنوا بعروبة دولة المعز ، ابن الحازن الذى يقول فيه .

وله ذؤابة حمير وسساؤها وسننام يعرب الرميع العسالى
ويحمر من قحطال أعى دروة يعيا محاولها وليس بآل (٨٨)

(٨٧) المر ، ج ٦ ص ٦٥٨ . وانظر فيما سبق هامش ص ٢٨١ وما ٥ .

(٨٨) أسودج الرمان لابن رشيق ، تحفنى المطوى ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٨٦ - وص

ابن رشيق وابن شرف ، أنظر فيما بعد ص ٤٢٧ والهامش ٤٠ .

من مثل هذا الوصف لبعض المظاهر الحصارية في الدولة ، زيرية وغيره ، يخرج ابن حديدون بالعلاقة السببية بين ضخامة الحصار وكثرة المال ، نماعا كما هو الحال بين ضخامة الدولة وكثرة المال ، من حيث ان الدولة هي السوق التي تنفق فيه أسباب الحصار . وربما كانت أهم الأمتة لذلك هي الدولة المدطية هي الاحتفالات الشعبية التي كان يشارك فيها الجمهور بكل طبقاته . ومن أشهرها حفلات الختان التي أقامها المعز في كل البلاد من أقصى الصحروث الجنوبية الى صقاية شمالا ، وهي الاحتفالات التي أصبحت تقليدية في كثير من دول الاسلام والتي ورثتها دولة صنهاجة الزيرية تركه أبوية . ومن الطريف هنا ان المعز ختن وهو أمير صغير في ذى الحجة من سنة ٤٠٧ هـ / مائة ١٠١٦ م ، « وخنن معه من أبناء الضعفاء عدة كثيرة وأعطوا الكساء والنفقة » (الويري ، ص ٣٣٨) ، الأمر الذي كان يتطلب الكثير من المال (٨٩) .

الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية :

وإذا كانت الاحتفالات تتطلب الأموال ، وكذلك الحال بالنسبة للحرب التي تعتبر المال عصبها ، كما يمكن أن نعتبر هي الأخرى مورد المال فلا بأس من الإشارة هنا الى عودة زاوي بن زيري من جريرة الأسدي سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م بعد إقامة طويلة هناك ، حيث « وصل وعنه من الأموال والعدد والجواهر شيء كثير لا يحصى » (٩٠) ، وان نطلب الأمر من المعز الذي سلم عليه راجلا ان « نوبت به الفصور » . والحقيقة ان الهدايا أيا كانت تمثل بندا هاما من مصادر النفقة والدخل أيضا ، وكانت الهدايا الداخلية تأتي في المناسبات المختلفة ، بينما كانت أهم مظان الهدايا الخارجية هي الخلافة بالقاهرة ، وملوك السودان فيما وراء الصحراء ، وملوك الروم الذي كانت العلاقة به تتراوح ما بين السلم والصدقة ، والحرب والعداوة . وأهم الهدايا الواردة من السودان تتمثل في : الرقيق الأسود ، والحيوانات الوحشية الغريبة الأشكال والألوان (٩١) . أما ما يذكر من هدايا الروم الجيدة فهو الديباج الفاخر (٩٢) . وكانت استقبالات الوافدين على الأمير من

(٨٩) هنا لا بأس من الإشارة الى ما فعله المعز لدين الله الفاطمي بمناسبة هذا التفسد الذي كان له الفصل في شره ، ما سبق ، ص ٢٤٢ .

(٩٠) من الأمير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٩١) اس عذاري ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م .

(٩٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م .

السفراء ، و كبار رجال الدولة أو الزعماء تتطلب اقامه المراكب وتقديم الهدايا من الاموال والحف والدواب ، سواء كانوا من الاصحاء أو ممن يراد اكتسابهم أو حتى شراء ذممهم . والمثل لذلك ما حدث سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، بعد أسر ابراهيم بن يلكين أخى حماد وشريكه فى الثورة على المعسر ، من اطلاق ابراهيم ، بل والخلع عليه واعطائه الهدايا من الاموال والدواب (٩٣) . هذا ، ولو ان الدولة كانت عندما يضيق بها الحال تلجأ الى المصادرة فكب انورير المسئول الاول عن الخرابه العامه ، أو كبار مساعديه فى ديوان الجباية والخراج ، كما حدث للورير محمد بن الحسن الذى قتل بأمر المعسر سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، لأنه جنى الاموال مدة ٧ (سبع) سنين ولم يرفع منها شيئاً ، كما ظهرت عليه ثروه طائلة فأخذ يبنى البيوت التى لا تليق الا بالملوك ، الأمر الذى شكك فى امانته ، وان حيف من سطوته عندما أصبح مركز قوة كما يقال الآن (ما سبق ، ص ٤٠١) . وكما نكب سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م محمد بن محمد بن السكاك المنولى لأشغال السيدة أم المعز ، وبذلك استولى على الدولة بمعنى أنه أصبح مركز قوة (ما سبق ، ص ٤٠٤) ، وكذلك الحال بالنسبة للقائد سيف الملك ، عباد بن مروان ، والذى نكب واستخرجت أمواله سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م (ما سبق ، ص ٤٠٥) .

دخل الدولة :

ومما يؤسف له أننا لا نعرف الا النزر اليسير عن دخل الدولة ، الذى يتمثل فى الضرائب المختلفة ، وضرب السكه ، ولا عن نفقاتها باستثناء اشارات عابرة فى بعض الحوليات . والمثل لذلك ما يورده ابن خلدون من أن « أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس ، على عهد المعسر ، كان يبلغ ٥٠ (خمسين) ألف قفيز (٩٤) » . وإذا كانت كتب الجغرافيا يمكن أن تقدم معلومات مفيدة فى هذا الصدد ، مما يتعلق بالثروات الزراعية والمعدنية فى المملكة الزيرية مع اشارات الى ما كان يجبى منها من ضرائب الخراج ، فإن المعلومة التى كثيرا ما تنقل بالنواتر ، دونما تحقيق زمنى أو تمحيص قد

(٩٣) ابن الأثير ج ٩ ص ٨ - ٢٥٩ .

(٩٤) المعسر ، ج ٦ ص ١٥٩ - والمتصوره بذلك صرية (خراج) اقرئت الذى كان مشاة

الحصول الذى فى المنطقة التى سميت بالساحل لسودها بالنسبة لتقدم من الصحراء .

وكأنها ساحل البحر من كثرة شجر الزيتون .

توقيع الباحث في الخطأ ، عندما يأخذ رواية كاتب معاصر ، تكون في حقيقة الأمر منقولة من عصر سابق . وهكذا يمكن الاستفادة بشئ من الحرص من مسالك البكرى الى جانب نزهة الادريسي وعجائب الاستبصار ، وربما رحلة المتجاني وجغرافية ابن سعيد .

الثروات الزراعية :

ففيما يتعلق بالثروات الزراعية بوصف أشير بأنه ليس في تلك الأقطار أحسن منها ، حيث تحيط بها الجبال الشامخة ، وتوفر المياه في العيون (٩٥) . ويوصف جبل ميله بأقح أخصب حبال افرقية على الطريق المؤدى الى قلعة أبى طويل التي عرفت باسم قلعة حماد (٩٦) . ومدينة جيجل حيث جبل كتامة الكثير الخصب كان يحمل منها الفواكه والرب الى بجاية (٩٧) . وبجاية كان يدور بها البحر من ٣ (ثلاث) جهات : شرق وغرب وجنوب ، فكانت مرسى دوليا تأتيه المراكب بالخير والمتاجر من اليمن والهند والصين ، وهي مظلة على فحصر خصيب قد أحاطت به الجبال ، دورة حوالى ١٠ أميال ، ولها نهر كبير على نحو الميلى ، بها المياه الكثيرة التى تدور عليها النواعير ، كما اشتهر بها جبل ميسون بمياهه السائحة وبساتينه وكثرة القردة فيه (٩٨) . وكذلك الحال بالنسبة لقلعة حماد ، الكثيرة المياه والتي كان قصرها المغم يشرف على نهر كبير (٩٩) .

اما عن مليانة القرية من أشير فكان لها مياه سائحة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه ، ويشق نهر شلف فعوصها (١٠٠) . واشتهرت منطقة قلعة دلول ، على بعد يومين من مستغانم ، وعلى البحر قرب مصب نهر شلف ، بجودة أقطانها (١٠١) . والحقيقة ان منطقة وادى شلف من المغرب الأوسط حيث مدينة تاهرت كانت غنية بمدنها التى اشتهرت بأنها أسواق ، مثل .

(٩٥) الاستبصار ، ص ١٧٠ .

(٩٦) البكرى ، ص ٨٢ . الاستبصار ، ص ١٢٦ .

(٩٧) الاستبصار ، ص ١٢٨ .

(٩٨) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٩٩) الاستبصار ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) الاستبصار ، ص ١٧١ ، وقارن البكرى ، ص ٦٩ .

(١٠١) البكرى ، ص ٦٩ .

سوق حمرة وسوق ماكسن اللتين كانتا لصينهاجة (١٠٢) ، وسوق ابراهيم القريبة من تنس (١٠٣) . ولقد اشتهرت تاهرت بجودة جميع الثمار فيها ، وبأسواقها العامرة (١٠٤) ، بينما اشتهر فحصر زيدور ، من مدينة أرشيجول بكثرة القمح (١٠٥) ، وكان بنكور أجود أنواع الخشب من العرعر والأرز (١٠٦) .

الثروات المعدنية :

وإذ كان من المعروف أن بلاد الاسلام كانت قليلة الثروات المعدنية . فإن بعض بلاد افريقية والمغرب الأوسط اشتهرت بمعادنها ، والمثل لذلك مرماجنة ، ومجانة التي عرفت بسحابة المعدن (١٠٧) ، وحريرة جربة الكثيرة الذهب (١٠٨) ، ومرسى سببية حيث معادن النحاس (١٠٩) .

المكاييل والموازين والنقود :

ومما يدل على عنى بلاد افريقية والمغرب الأوسط وخاصة المنسجات الزراعية ، وحدات قياس الكيل والميران عندهم كانت تعوق جرما متيلانها في البلاد الاخرى . ويظهر ذلك في بلد تكور من ساحل تلمسان ، حيث كيل الصلحة عندهم ٢٥ مدا ، والرطل ٢٢ ذوقيه ، والقبطار ١٠٠ رطل - ربحا أريد من غيرهم . أما عملتهم الدارجة فكانت الدراهم التي يتبدلها الناس عددا بلا وزن (١١) . أما عن السكة ، فلا شك انها كانت من موارد بيت المال ، لئلا ، الأمر الذي يتضح من عملية تبديل السكة الفاطمية سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، ورفع أسماء خلفاء القاهرة منها ، حيث سبكت الدنانير الفاطمية وكانت أموالا عظيمة ، كما ضربت دراهم جديدة بدون أسماء العبيديين ، الأمر الذي لم يؤثر على مستوى التعامل في أسواق القيروان ، كما يظهر من

-
- (١٠٢) البكري ، ص ٦٥
 - (١٠٣) البكري ، ص ٦٢
 - (١٠٤) البكري ، ص ٦٨
 - (١٠٥) الاستبصار ، ص ١٣٤
 - (١٠٦) البكري ، ص ٩٠
 - (١٠٧) البكري ، ص ١٤٥
 - (١٠٨) البكري ، ص ٨٥
 - (١٠٩) البكري ، ص ٨٢
 - (١١٠) البكري ، ص ٩١

نص ابن عدارى (١١٩) .

ومن صيدا يقال عن تاهرت حيث كان المد عندهم ب $\frac{5}{4}$ اقفرة قرطبيه ، وفنطار ايريت بفنطار وثش - الا للمجلوب من العلف وغيره ، فقد كان فنطار عمل - اما نرطل الملح عندهم فهو ٥ (خمسة) ارطال (١١٢) ، الامر الذى يعنى الحصب والرحاء ، أو ارتفاع مستوى المعيشه ، كما يقال فى المصطلح الدارج الآن .

الكوارث الطبيعية :

والى جانب عوامل الازدهار الاقتصادى والحضارى هذه ، كانت هناك عوامل معوقة من : الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة ، مما كانت له آثاره السلبية فى الظروف الاقتصادية والأحوال الاجتماعية . فالمتتبع لحوليات ابن عدارى يلاحظ بعض السنوات العجاف التى مرت بالبلاد على عهد المعز ابن باديس ، كذلك الغلاء الذى أصاب افريقية سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ، والذى صاحبته حروب كثيرة ، بمعنى فتن محلية فى مختلف الأقاليم (١١٣) . ففي سنة ٤١١ هـ / ٢٠ - ١٠٢١ م جاءت سحابة شديدة الرعد فأمرت بردا كقطع الحجارة ، لم ير أهل افريقية مثله الكبيره وكثرته ، ووفعت منه صاعقتان ، دون أضرار مادية أو خسائر بشرية (١١٤) . أما عن سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م فقد تميزت بأنها كانت سنة خصب ورخاء وأمان ، وكذلك سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١١٣٩ م (١١٥) . بينما كانت سنة ٤٢٥ هـ / ٣ - ١٠٣٤ م ، سنة جدي ومجاعة (١١٦) . أما عن سنة ٤٣٧ هـ / ٤٥ - ١٠٤٦ م ، فقد اشتدت فيها الرياح العاصفة فتمرت كل ما مرت به من شجر (١١٧) .

(١١١) م سبق ، ص ٣٩١ وما يأتى ص ٤١٦ - وقارن ادريس (عادى روجيه) بلاد البربر الشرقية تحت حكم الزيريين بالمغربية ، ج ١ ص ١٩٠ - حيث مكان الصرب اسديس صصرة (المنصورية) دلة القرون والعهدية .

(١١٢) النكرى ، ص ٦٨ .

(١١٣) النمان ، ص : بيروت ج ١ ص ٢٨٨ .

(١١٤) ابن عدارى ، ط . بيروت ج ١ ص ٣٨٩ .

(١١٥) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٦ .

(١١٦) البيان ط : بيروت ، ص ٣٩٦ .

(١١٧) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٨ .

أشهر الأعمال العمرانية :

أما عن أشهر الأعمال العمرانية التي نمت على عهد المعز ، فيذكر بناء مصلى العيد بالمصورية سنة ٤٤١هـ / ٤٩ - ١٠٥٠ (١١٨) . وفي السنة التالية حيث لعن العاطميون على منابر أفريقية ، أحسدت بالمناسبة بعض الإصلاحات النقدية من صرب دينار سمي بالتجاري (١١٩) ، ربما لكي يحل في الأسواق محل الدينار العاطمي الذي ألغي . هذا ولو أن ابن شرف (القيرواني) يعرفنا بتبديل السكة في شهر شعبان من تلك السنة (٤٤١هـ) . ديسمبر ٤٩ - ١١٥١ ، حيث نقش على وجه الدينار : « ومن يبنغ غير الاسلام ديناً قلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » . وفي الوجه الثاني . « لا اله الا الله محمد رسول الله » . والمهم أن دار السكة تلافحت حدوث أزمة نقدية عند إلغاء العملة الفاطمية وسك الجديدة . إذ ضربت أعداداً كثيرة من الدينار الجديد بفضل سك ما كان موجوداً في بيت المال من الدينار الفاطمية القديمة . وبذلك انقطعت أسماء خلفاء العاطميين من النفود ، كما قطعت أسماءهم أيضاً من الرايات والبنود (١٢٠) .

الاحتفال بولاية العهد لتميم :

وفي السنة التالية ، ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ، كانت الاحتمالات بمناسبة بولية العهد للأمير تميم بن المعز ، وكانت مناسبة الدعاء للمعز وللامير تميم أبي الطاهر ولي عهده فرصة للدعاء بأن يحفظه الله من كفر معدي بن الظاهر ، صاحب مصر ، وهو المستنصر بالله (١٢١) . ولا شك أن تجديد السكة ولعن المستنصر خليفة القاهرة من أعلى منبر القيروان كان يزيد من الأزمة الفاطمية بأفريقية ، على مستوياتها السياسية والاقتصادية لما بين المجالين من تأثيرات ايجابية وسلبية ، وذلك في الوقت الذي كانت تتعرض فيه البلاد للموجات الأولى من الهجرة الهلالية .

(١١٨) ابن عسار ، ج ١ ط ١ ، بيروت ، ص ٤٠٢ .

(١١٩) ابن عسار ، ط ١ ، بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(١٢٠) ابن عسار ، ط ١ ، بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ - حيث النص على أن أول سكة

عسرية ضربت في أفريقية ، في نفس الوقت الذي رسمت أسماءهم على الرايات والسود ، كان في سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، يجمعونها استمرت مدة ١٤٥ عاماً عندما قطعت في سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م . وانظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٧٣ . حيث النص على إزالة أسماء العاطميين من السكة سنة ٤٤١هـ / ٩٤٩م ، ونقش الآية « ومن يبنغ غير الاسلام ديناً قلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » . آل عمران سورة ٣ آية ٨٥ .

(١٢١) ابن عسار ، ط ١ ، بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب

الهجرة :

الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب ، بكل ما كان لها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية أو حضارية على الجيلة ، إنما بدأت نتيجة للقطيعة الدينية السياسية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين نوابها الرييين في القيروان ، وذلك ابتداء من سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م . حيث كان الاتصال بخلافة بغداد العباسية لأول مرة - كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية ، الأمر الذي بلغ مداه سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م عندما انطلقت قبائل بني هلال مع قبائل بني سليم من صحراء صعيد مصر الشرقية ، عبر الشيل نحو المغرب (ما سبق ، ص ٣٩٣) . وهي الرحلة التي عرف في القصة الشعبية باسم « التغريبة » الهلالية .

وأصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وبعض تحوم نجد^(١) . فهي قبائل بدوية ، رعوية ، تنسب الى عرب الشمال العدنانية التي تعيش عيشة فقيرة مضطربة ، تضطرها في بعض الأحيان الى اجتراف العارة على الجيران أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج ، وعلى مكة أثناء الموسم^(٢) . وهو ما شاركه فيه القرامطة أكثر من مرة خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، وأشهرها تلك التي استولى فيها القرامطة على الحجر الأسود سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (ما سبق ، ص ٢٠٨) - والمهم

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث الاشارة الى محلاتهم من بعد الحجاز بعد - حيث كان الهلالية في حين خروجهم قربا من الطائف ، بينما كان بنو سليم مما يلي المدينة - الأمر الذي دعا القصة الشعبية التي تناولت تغريبة الهلالية أن تجعل بدايتها من الحجاز بدلا من لصعيد ، بل ومع امير مكة الشريف الذي أصبح سيروا لهم عندما تروج شائعاتهم الجيلة « الجازية » ، التكاملة ، واشترك بذلك في قصة حب عظيم من ذلك النوع الذي يشد الروح ويست الجسد - سيما جسدها شعراؤهم - انظر فيما سبق ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث نوافهم أثناء رحلة الشتاء والصيف بأطراف العراق والشام واضربهم على الصواحي وامسكوا السادة ، والعلم على الرماح (النصارى) مع الاشارة الى عارة بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة . وأيام الريادة بالمدينة ، والى تحيز بنو سليم مع الكثير من قبائل ديمية أن عامر الى القرامطة عند ظهورهم .

أن الفاطميين بعد ما استقروا في مصر ودخلوا في صراع مع القرامطة في بلاد الشام توجهوا في ابعاد القبائل الهلالية الى صحراء مصر الشرقية على سميت بلاد الصعيد ، حيث فرضوا عليهم نوعا من الإقامة الجبرية (٣) ، في تلك المنطقة التي عاشت فيها من قبل عرب ربيعة الذين كانوا يعملون في مناجم (معادن) الذهب والرمرد (٤) ، حيث نطن أن أسلافهم العرب انوا الى تلك المنطقة عبورا للبحر الأحمر منذ ما قبل الاسلام (٥) .

التعريف بالهلالية ما بين الحقيقة والخيال :

ولقد اجتهد ابن خلدون في التعريف برعاء الهلالية وقبائله ، منطقيا أثر ابن الأثير ، وصنفهم حسب الشرف ، ونسبا لأصالة العروق مع المقابلة بين فائلهم على أيامه في القرن الثامن الهجري / ١٤ م . وتلك القبائل تشمل الهلالية وغيرهم من القبائل . وكانت أهم جماعات هلال (بن عامر) في محلاتهم بصعيد مصر ، وقبائله هي : جشم والأبج وريغة ورياح وريجة وعدى (٦) . أما عن أهم زعمائهم الذين دخلوا بهم أفريقية حسبما نغنى بهم شعراؤهم ، من : حسى بن سرحان ، أشرفهم ، وهو أخو الجازية ، بطلنة قصة التغريبة الهلالية الشعبية التي رفعت من ذكره من حيث أنه زوجها

(٣) ابن عسارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حد وان كان ابن خلدون يربط ذلك الى عبدة الله المهدى ، بدلا من المعر لدين الله ، كما يكتبون فاقول بأنه بعد انشاعهم من العرب من بني هلال وبني مسلم فأنزلهم بالصعيد ، وحى الدعوة الشرقية .

(٤) الاستصار ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٥) انظر للمؤلف تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ص ١٩٧٥ ، ص ٢٦٠ وما بعده . والخريطة رقم ١٣ ص ٢٦٩ - عن ابن خلدون ، هذا ولا نأى أن يكون الهلالية أو بعضهم من الأتلى ، قد دخلوا صحراء الصعيد الشرقية عن هذا الطريق ، حيث لا يوضح التصوص الطريقة التي دخلوا بها مصر من بلاد الشام على أيدي الفاطميين ، الأمر الذى يفتح الباب واسعا أمام هذا الاحتمال .

(٦) المعر ، ج ٦ ص ١٤ - تحت « الأثير » بدلا من الأبيج ، وحيث النص بعد ذلك على أن شعوبهم الهلالية ، كما تقدم ابن خلدون ، هم ريغة - ورياح - وريجة وقرة ، التي يضيفها هنا ، مع الإشارة الى أنه ربما أضيفت إليها عدى الذين لم يعب على أحبارهم من حيث انه ليس لهم حي معروف على أيامه ويرى أنهم ربما دثروا . ومثل هذا يقوله من ريعة أيضا ان مدى أنهم ربما كانوا الملقب على أيامه . وقاوان ابن عسارى ، ط . بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث النص على نطون عامر من صعيدة ، من ريغة وعدى والأبج ورياح وغيرهم .

لنشرىف هاشم صاحب مكة^(٧) ، وأخوه بدر بن سرحان ، ثم فصل بن
ناقص ، ثالثهم ، وهم من : دريد الأنبج . ثم يأتي ثلاثة آخر من بني عطية
من كروه . وهم : ماضي بن مقرب ، وبنوه بن خرة ، وسلامة بن ررو .
وعلى بني ثور يأتي : ديساب بن عسام ، وحده ، وكذلك الأمر بالسيسة
مؤنس بن يحيى المرداسي الرياحي ، من بني صهر ، من بني مرداس^(٨) .

والى جانب الهلالية هناك ذكر لإبطال مرجع أصولهم الى عرب اليمن
القمصانية ، مثل زيد بن ريدان الذي يسب الى الصحاك ، ومليحان بن عباس
الذي يسب الى حمير ، ومثل . ريد العجاج بن فاضل الذي قيل انه مات
بالحجار في بدايه التغريبية ، قبيل السخول الى المريفية^(٩) .

ويمكن القول ان ثلاثة من بين هؤلاء أنسادة المشايخ ، رعاء الهلالية ،
لهم ذكر يفوق غيرهم ، بفضل خصائصهم التي صارت مغاني لشعراء قبائلهم ،
وهم : حسن بن سرحان أولهم ، ومؤنس بن يحيى سابعهم ثم ريد بن عامر ،
آخرهم ، والذي تقول فيه رواية ابن خلدون انه كان رائدهم في دخول أفريقيا
ويسمونه لهذا السبب « أبا محيبر »^(١٠) .

تهجيرهم من الصعيد ما بين الجرجاني واليازوري :

والهم ان قبائل الهلالية هذه عاشت في صحراء الصعيد الشرقية .
تحت رقابة الدولة ، فهذا ما يعهم من النص الذي يقول انه كان « لا يسمح
لها بالرحيل ولا بإجازة النيل »^(١١) . وهذا تنور مشكلة خاصة بشخصية

(٧) انظر المر ، ج ٦ ص ١٨ .

(٨) العبر ، ج ٦ ص ١٦ - حيث موسى بن النص بدلا من مؤنس ، وكذلك النص على
انه من نسل مرداس من رباح لا مرداس بن سليم ، مع التحقير من الخط في هذا .

(٩) هذا كما يرد ذكر لكثير من العروق غير الهلالية ، مثل : زيارة وأنجع من بطون
غصان ، وحشم بن معاوية بن بكر بن عورن ، وسلول بن مرة بن صمصمة بن معاوية ،
والمقل من بطون اليمنية ، وعمرة بن أسد بن ربيعة بن ترار ، وسو ثور بن معاوية بن
عبادة . . . بن صمصمة ، وعدو بن عمر بن قيس بن عيلان ، وطروود بن ميم بن قيس .
ولكن المهم هنا هو ان جميع هؤلاء ، رغم اختلافاتهم العرقية ، كانوا يدرجون في هلال بني
الأنجب الذين كانت لهم الرياسة ، فكان الهلالية أو الأنجب اتحاد سياسي من جماعات من القبائل
المختلفة يحمل اسم اقواها وأعلىها على المستوى السياسي والعسكري - العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(١٠) المر ، ج ٦ ص ١٦ .

(١١) ابن عتاري ، ط : بيروت ج ٦ ص ٤٢٥ .

الوزير الذي دبر عبورهم النيل وموجيهم نحو المغرب . فردد ما هو دارج من ان الذي فعل ذلك هو الوزير اليازوري (ابو محمد الحسن بن علي) . العسطيني أصلاً ، والذي أراد ان يجدد شباب الوزارة العاطمية ، وبالتالي هببها ، بالنسبة لثواب الخلافة سواء في الشام او في المغرب ، افرقيته ونهى الأمر الى عكس ما أراد ، اد حث عليه جمال بن صالح ، صاحب حلب ، والمعز بن باديس صاحب افرقية ، واهرفوا عنه (١٢) . فان هناك روايات أخرى تنسب ذلك الى الوزير أبي القاسم الجرجرائي ، استناداً الى ان الفطيمة مع العاطميين ، والدعوة الى العباسيين وقعت سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، على أيام وراثته ، وهو الأمر الصحيح ، الذي ينص عليه ابن خلدون (١٣) . واخليفة انه اذا كان ابن خلدون قد نقض ذلك بعد ، على أساس أن الجرجرائي كان قد توفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م وحل محله في الوزارة اليازوري الذي جلب المغرب بن باديس بسببه : « لبنقض طاعتهم ، وليحثوا الدعوة الى بني عباس » ، كما « قطع أسمائهم من الطراز والرايات ونابغ القائم (العباسي) ودعا له سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، عندما وصله أبو الفضل السعدي ، وحطى بالتقليد الذي قرى بهجامع القيروان ، وبالحلج (١٤) ، بينما كان بدء الهجرة الهلالية سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، والتي تليها ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م (انظر فيما سبق ، ص ٣٨٨) ، فالصحيح ، اعتماداً على دراسته تفصيلات ابن خلدون ، أن الدعوة للعباسيين بدأت سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، وأن الحلج والرايات ، شعارات الامارة الافريقية العباسية وصلت عن طريق بيزطة سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م . في الوقت الذي استمرت فيه المداواة بين الطرفين الى أن تمت القطيعة النهائية ، وانقاذ اللون الأسود شعار العباسيين سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م (١٥) . وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين اللتين تنسبان سبب القطيعة الى كل من الجرجرائي واليازوري ، من حيث الدعوة للعباسيين وقطع الخطبة للفاطميين سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، أيام وزارة الجرجرائي ، قبل وفاته سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م ، وهنا لا بأس أن يكون التفكير في اطلاق العرب على

(١٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢ .

(١٣) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٩ .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(١٥) ما سبق ، ص ٣٩٣ ، انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث النصر بعد قبل التسليم . والمادة شعار الاسلام ، على اعضاء الظاهر عن مصر من ذلك وأنه المستقر من بعده ، واعتذار مصر بالعامه ، الأمر الذي قبل منه فاسر على اقامة الدعوى والمهادنة . ومكانة وزيرها الجرجرائي - وهو ما تراه نوعاً من المداواة وليس عودة الطاعة .

صنهاجة من رايه ، وان لم يتم التنفيذ الا فيما بعد - اثر فشل سياسة
المدارة بمعنى المداورة - على يدى اليازورى (١٦) . ويرجع ذلك الافتراض
أن قصة ثار اليازورى ، لما لحق به من الاهانة ، نعتبر تبريرا شخصيا غير
مفتع بالنسبة لاحداث خطيرة ، قررت مصير كثير من الدول والشعوب فى
بلاد المغرب ومصر والشام لازمان طويلة (١٧) .

اليازورى يشير على المستنصر باصطناع العرب

والعهد لهم بولاية أفريقية :

والهم هو أن الوزير اليازورى أشار ، فى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على
الخليفة المستنصر بالله باصطناع العرب عن طريق تقريب مشايخهم ، والعهد
لهم بولاية أفريقية بدلا من أمراء الفروان الزيريين الخارجين عليهم ، وتم الأمر
بتقليدهم أمرها - بنطق شفقوى على ما يظن - ولم يكن فى الأمر مغامرة
اذ كانت العملية محسوبة بطريقة لا تقبل الخطأ . وذلك أنه اذا صحت الفكرة
التي تخيلها الوزير ، وظفر الهلالية بالمعز بن باديس وعصبيته صنهاجة ،
« كانوا (العرب) أولياء للدعوة وعمالا ، وارتفع عدواهم » الذى كان يعاني
منه أهل الصعيد ، وبالتالي ما كان يسبب لسهولة من القلق ، « وان كانت
الأخرى فلها ما بعدها » (١٨) . وفى السنة التالية ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م كان

(١٦) وفى ذلك يقول بعض الروايات أن المعز الذى كان يتدبر الشعر والأدب ، أراد
أن يوقع بين المجرانيين ، على أساس أنه صاحب الدعوة إلى الانشقاق منه ، ربي الخليفة
المستنصر ، وذلك باستميج دود اسمرج ، فارس إلى بيتا من الشعر يقول :

وفيك صاحبت قوما لا حلاق لهم
لولا ما كنت أدري أنهم خلقتوا

وثكن المكيد لم يغيب عن المجراني الذى قال .
ألا يحسون من صنى بربرى جعري يحب أن يعرض شيخا عرب عراقي (المونس ،
ص ٨٤ ، وقدر الذكر لأن غلنون ، ص ٢٧) .
(١٧) أنظر اليازورى ، ص ٣٤٢ - حيث الص على أن المستنصر كتب إلى المعز بن باديس
يوغنه ويهدده عندما خطب للقائم العباسي ، وأنه عندما استنصر اليازورى لقبه بـ « سب
الوزراء وعاسى القصة » وداعى الدعوة . الأمر الذى لم يقنه المعز بن باديس فاستمع
من مخاطبته بما كان يحاطب به الوزراء ، قلله ، ودرن انماط أسلما ، ح ٢ ص ١١٢ - حيث
صدوره السجل الخلافي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م واردة اليازورى مع لقب سيد الوزراء واحانة
سلوك الأطراف على مكائده . لا معز الدولة ابن باديس الذى قصر فى المكائبة حتى أن الوزير
« سمدى » لما التقى من الأخوة وكيل ابن باديس بمصر ، وعتب عنده .
(١٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

رسول البيازورى مكين الدولة أبو على الحسن بن على ، أحمد أمراء الدولة (انعاظ الحنقا ، ج ٢ ص ٢١٥) يدور بأمر المستنصر ، على احياء الهلالية ليتأكد من تنفيذ الخطة ، حسبما رسمت ، فيبدأ باصلاح ذات البين بين زغبة ورياح ، ويجزل العطاء لامرائهم ويخصص لكل رجل من العامة بعيرا ودينارا ، مع السماح لهم بعبور النيل من ضفته الشرقية الى الغربية ، مع الاذن بالمسير الى المغرب الذى أعطى لهم بدلا من المعز بن باديس ، المتهم بالعصيان والخروج على أمير المؤمنين ، مع ملك كل ما يستطيعون فتحه من البلاد هناك مع الوعد بالمسدد (١٩) .

نجاح الرحلة الى برقة ، وتقسيم البلاد بين سليم شرقا ، وهلال غربا :

وحققت الرحلة بالنسبة للهلالية نجاحا كبيرا ، اذ سرعان ما وصلوا الى برقة ، التى استوطنوها اعتبارا من سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، حيث وجدوا بلادا طيبة كثيرة المرعى خالية من الأهل ، بسبب هجرة ازناتية منها امام ضغط صنهاجة (٢٠) . والمهم ان ذلك النجاح الذى حققه الهلالية فى برقة - بمساعدة اخوانهم من بقايا عرب الفتوح الذين كانوا هناك - حسنتهم ، فكتبوا الى اخوانهم شرقى النيل يرغبونهم فى البلاد . وكانت فرصة استغلتها السلطات الفاطمية هناك ، فبعد أن كانوا يدعون لكل رجل يعبر النيل الى الغرب دينارا ، صاروا يأخذون منهم ضريبة مقدارها

(١٩) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ ، أحداث سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، وقسارن بن عدلى ، ج ٢ ص ٦١ ، ج ٤ ص ٤١٧ - حيث النص على انه جاز سهم خلق عظيم . . . لعنه الله لا يحتاجون الى وصية ، والويرى ، ص ٢٤٢ - حيث النص على ان البيازورى دس الى ربة ورياح ووصلهم بصيلات سنية ، وأصلح بين الفتنين سعد بن حروب . وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على ان الوزير الفاطمى قال لهم : « قد أعطاكم المغرب وملك المعز بن ملكين (باديس بن المنصور بن ملكين) الصنهاجى ، المعز الأبق . فلا تفتقروا . هذا ، كما تنفق الروايات على ان البيازورى كتب الى المعز بن باديس بالقيروان « اما بعد فقد أنقذنا اليكم جيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث النص على ان رباته كانوا أهل برقة ، وان المعز بن باديس هو الذى أياهم ، واليهود بذلك هم الزيريدى مدرك القيروان وليس المعز وحده ، منذ بداية أمرهم مع الاشارة الى أن العرب عاشوا فى أطراف البلاد . وقارن الويرى ، ص ٢٤٢ - حيث نفس الرواية ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أنهم نزلوا برقة وانتصروا أمصارها واستباحوها ، المقريزى ، انعاظ الحنقا ، ج ٢ ص ٢٦٥ - حيث ملكوه برقة .

ديناريين ، فاستعادوا ما كان أخذ منهم أضسعاها ، كما تقول رواية ابن خلدون (٢١) . ومع زيادة اعداد المهاجرين مع مرور الوقت ، كان من الطبيعي أن تزداد اعمال الفساد وانحريب . وفي ذلك يقول الرواية : انهم حاربوا المدينة (ي برقه . المرج حاليا) وأجدابيه وسرت ، حيث أقامت قبائل لهب من سليم وحلافها من : رواجه وباصرة وعمرة (٢٢) . والظاهر أن فكرة الثمر والفساد التي علفت على الكتاب بلسبة لاعمال الهلالية في بلاد القيروان ، هي اولى املت فكرة انهم لم يدخلوا البلاد حسب خطة موضوعة بل نتيجة للفرقة التي جعلت من نصيب قبائل سليم . القسم الشرقي من البلاد ، واهلال القسم الغربي منها (٢٣) . بينما الصحيح أن الهلالية كانوا الطرف الأقوى في حلف القبائل العربية ، ولهذا كان لهم فضل التقدم نحو الغرب يتبعهم الآخرون ممن ساروا في اثرهم من سليم وغيرهم ، وهم الذين كان القسم الشرقي من البلاد من نصيبهم . وهكذا وصفت الرواية قبائل هلال التي اندفعت غربا مكتسحة برقة وطرابلس قبل أفريقية التي وصلتها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، وهي : دياب وعوف وزغبة ، وكأنها الجراد المنشتر (٢٤) .

مؤسس بن يحيى الرياحى أول الرواد :

وهنا نقول رواية ابن خلدون ان أول من وصل اليهم ، أى الى أفريقية . هو مؤسس بن يحيى أمير رياح الذى تصفه رواية ابن عذارى بأنه كان سيدا فى قومه ، شجاعا عاقلا (٢٥) ، وان المعز بن باديس حاول أن يكتسبه الى بجانبه ، فلم يكتف باستمالته والاحسان اليه ، بل انه حالفه بالمصاهرة ، فزوجه إحدى بناته ، بل وذهبت الظنون بعيدا بالمعز الى حد أنه فكر فى

(٢١) العبر ، ج ٦ ص ١٤ . ص ١٥ (عن نقدا عرب الفتوح) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ . وفاروق اعطاه الحفا ، ج ٢ ص ٢١٨ - حيث يجعل القفر يرى تقسيم البلاد حسب خطة الخليفة المستنصر الذى جعل لمؤسس القيروان واحة ، ولزغبة طرابلس وقابس ، وللمحسن بن مسرة ولاية قسنطينة -

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤١٧ - حيث الاسم الذى أخذنا به - مؤسس بن يحيى الرياحى ، وان قدومه كان بعد أيام مضت من الإقامة بتاحية برقة ، وهو الأمر المتقول . وفاروق ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الاسم موسى (دلا من مؤسس) بن يحيى (الصبرى) .

الاستفادة من الهلالية في تقوية مركزه في مواجهه مناقسيه من أينما
عمومته ، بنى حماد أصحاب القلعة ، ففاوض مؤنس بن يحيى في استدعاء
العرب الذين اتوا ، وكانهم الجراد المنتشر ، كما تقول رواية ابن خلدون ،
« وأظهروا الفساد في الأرض ، وبادوا بشعار الخليفة المستنصر
الفاطمي » (٢٦) .

عرب برقة الى جانب المعز ضد المستنصر :

والظاهرة أن العلاقة بين عرب برقة الذين كانوا قد استوطنوا البلاد
من قبل والهلالية لم تكن قد استقرت بعد ، فبينما تعاطف البعض منهم مع
القادمين الجدد من بنى جلدتهم وراؤا أن يشاركوهم في المغامرة ، رأى آخرون
أن مصالحهم تقتضى الوقوف الى جانب أمير القيروان ، حليفهم وحاميهم .
وهكذا فبينما كان الهلالية يصلون الى تخوم أفريقية سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ،
كان زعيم عرب برقة وهو : الأمير جبارة بن مختار ، يعلن السمع والطاعة
للمعز بن باديس ، وكذلك اخوانه وأهل برقة ، وانهم أحرقوا المسابر التي
كان يدعى عليها للعبودية ، كما أحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ولعنوهم على
مسابريهم ، ودعوا للقائم العباسي (٢٧) .

ولما كان شيوخهم على أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، هو مختار بن
القاسم ، فإنه يكون والد جبارة بن مختار ، زعيم برقة الموالي للمعز بن
باديس (٢٨) . أما أثناء الهجرة الهلالية فكان من شيوخ هلالية برقة : ماضي
ابن مقرب (٢٩) الذي ذاع صيته في القصة الشعبية كالزوج الثاني الذي

(٢٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - ١٥ ، غارن ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٦٧ -
حيث النص على أن مؤنسا عقد في ركب من ابرناسة بن عمه « لم يعيدوا نعمة ولا طالعوا
حاصره » ، كما انتهوا الى قرية تتدوا هذه القيروان ويهبوها من حينها » .

(٢٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٩٦ .

(٢٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧ - حيث الإشارة الى مشاركة مختار بن القاسم في
الوقوف ضد العسكر الفاطمي لدى أرسله الحاكم بقيادة يعقوب بن الأسدي الى طرابلس ،
وأمر الذي بعصر كيف انتقم منهم الحاكم سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م عندما أعطاهم الأمان ثم قتل
وعدمهم عندما وصلوا الى الاسكندرية ، مع الإشارة الى انسدادهم على عهد باديس بن المنصور
حيث اعتزصوا هديته الى مصر .

(٢٩) النير ، ج ٦ ص ١٨ .

أعقب الشريف على « الجازية » (٣٠) .

وابن خلدون يرى ان عرب برقة هؤلاء . من المواليين لأمير القيروان ، وهم في الحقيقة من طلائع العرب الذين دخلوا الى البلاد منذ أيام الحاكم بأمر الله ، بل وهم الذين شادكوا في ثورة أبي ركونة ، في محساولته عزو مصر ، وأنهم أيضا هلالية ، وإن انتسبوا الى عبد مناف بن هلال ، حسبما ذكر شعراؤهم (الشعبيون) (٣١) . هذا ولو انه عندما جدد الجدد سيقف الرواد الأوائل من بقايا عرب الفتوح الى جانب الهلالية ، يسي جلدتهم ، ضد خصومهم من المغاربة البربر (٣٢) .

المعز بين اللامبالاة بالعرب وادخالهم في خدمته :

والهم أن المعز بن باديس استقبل انباء افساد عرب الهلالية في بلاده بشيء من اللامبالاة ، اذ تقول الرواية انه عندما بلغه عيشتهم في برقة سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، « استحقق أمرهم » (٣٣) . وهو عندما لم يستمع الى نصيحة مؤنس بن يحيى الرياحي بعدم الاستعانة بمنى عمه رباح من الهلالية لكي يحلوا في خدمته محل احبائه صنهاجة الذين كان كارها لهم محسا للاستبدال بهم ، فسر افساد الهلالية بأنه متناورة من جانب مؤنس قام بها ليبدل على صحة قوله ونصححه ، وانه يائس استحق سخطه (٣٤) .

وهكذا يتذبذب الصراع الشعبي الكبير ما بين مستواه العام والمستوى الشخصي الذي يريده له القصص الشعبي ، فتشتد نكابة مؤنس ، عندما

(٣٠) العمر ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن من مزاعمهم أن الجارية لما صارت ابن أفريقية وقاربت الشريف بن هاشم حلفه عليها منهم .

(٣١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧ - حيث يقول أحد شعرائهم .

يا رب جبر خلق من دافع الفلألا إلا الليل احجار ما لا يحبرها

وحص بها قره صاف وعشها دوما لا رباد السوادي تنيرها

وبذلك ذكر تسبهم في صاف حيث يعلق ابن خلدون على ذلك بقوله : وليس في هلال

صاف ، هكذا مفردا ، اسما هو عند صاف ، والله تعالى أعلم .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٣٣) التويري ، ص ٣٤٣ .

(٣٤) ابن عبادي ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ - حيث النص على أن الأمر عظم

على الملأ ، فقال : انما فعل مؤنس هذا ليصح قوله ، كما أنه اتخذ اجراءات عنيفة ضد مؤنس

في القيروان ، من ثقب اولاده وعياله ، والتم على داره حتى يعلم ما يكون من أمره .

يباغه خبر ما فعله المعز بأهله ، ويعظم بلاؤه (٣٥) . ورغم محاولة المعز (السلطان) تقويم الموقف عن طريق وساطة بعض العهلاء الذين أخرجهم إلى مؤنس والعرب ، بمكاتبات وشروط ووصايا ، ورغم ما قام به تميم ولي العهد (ولد السلطان) ، من الاتراج عن عيالات العرب ، وأخذ اليهود والمواثيق عليهم بالرجوع إلى الطاعة ، فقد انتهى الأمر بالعسداء المكتشف حيث انقلب العرب على المعز ، وانتشر سادهم بكل جهه ومكان (٣٦) ، إلى أن انتهى الأمر بمحاصرتهم لقيروان .

حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ :

وحول محاصرة القيروان تدور قصة شعبية هلالية طريفة تنسب إلى الزعيم مؤنس بن يحيى الرياحي أنه عندما أظهر له أتباعه الرغبة في الوصول إلى القيروان ، قال لهم : ان الأمر لا يحقق دفعة واحدة ، ودلل لهم على ذلك بطريقة عملية مقنعة ، « فأخذ بساطا فبسطه ، ثم قال لهم : من يدخل البساط من غير أن يحشى عليه ، فقالوا لا نقدر على ذلك ، فقال هكذا القيروان ، خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ » . فقالوا : انك لتشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولا نقطع أمرا دونك (٣٧) . ونتيجة للأعمال العدوانية ، ما بين افساد العرب وانتقام المعز بن باديس هلك الصواحي والقري (٣٨) ، وكان لابد من عسدد من المارك الحاسمة لتقرير لمن تكون السيادة في النهاية - وهي النتيجة المقدره سلفا لصالح الأشداء من المحاربين العرب بطبيعة الحال .

ملحقات الصراع :

تقييم الموقف :

والحقيقة أنه رغم ما توحي به الروايات المتأخرة نسبيا لابن الأثير وابن عذاري والتويري وابن خلدون - ما بين القرن الـ ٧ - ٩ هـ / ١٣ - ١٥ م -

(٣٥) ابن عذاري ، ج ١ : بيروت ج ١ ص ٤١٨ - حيث يقول مؤنس : قدمت له النصيحة بحاق بي الأمر ، وحيث يصبح أشد اصرارا من القول بسبب عليه سموات القيروان .
(٣٦) ابن عذاري ، ج ١ : بيروت ج ١ ص ٤١٨ .
(٣٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ ، وفازن التويري ، ص ٣٤٥ - حيث قصة البساط خاصة بمنع بلاد المغرب جيش قل فتح القيروان - فكانها ما يعرف الآن بسياسة الخطوة خطوة .
(٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

ومن يأمي بعدهم ، من ان الامر لم يتطلب من العرب الهلالية الا معركة واحدة لهزيمة المعز واغتنامه على اقربوه ارييري في القيسروان ، فان طبيعة حرب يهودية ، منها كانت ايام العرب اقدمية . لم تكن تعرف المعارك الحاسمة او الفاصلة ، وهو الامر الذي تقضى به طبيعة الاشياء ، من حيث اصول حرب الكو وانحر ، مما يسمى في ايامنا هذه بحرب الامكانيات البسيطة . وادا كانت احداث الصراع بين الهلالية والمعز قد وضعت دعة واحدة تحت عنوان انتصار العرب على المعز او هزيمة العرب للمعز بن باديس ، كما عند ابن عذارى واثويرى . وضمن احداث سنة واحدة . هي سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م . فان رواية ابن الاثير التي تصورها تحت عنوان دخول العرب الى افريقية سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، تسلسل الاحداث في عدد من المعارك التي وقعت بين المعز والهلالية ، مثل : يوم السيون او الاضحى او جيمران ، وان كان ينفصلها التحديدات التي تمكن من ترتيبها رمي بالاستعانة بالتواريخ المتناثرة هنا وهناك ، سواء عند ابن الاثير او ابن عذارى الذي يأخذ بنفس الرواية ، وكذلك عند ابن خلدون الذي يقدم في الموضوع معلومات مبهرة .

ما بين القوتين المتصارعتين :

مبالغات ابن رشيق وابن شرف في محنة القيروان :

رغم وصف المعاصرين ، وخاصة من شعراء القيروان ، هزيمة جسد المعز بن باديس الصنهاجيين أمام عرب الهلالية الوافدين من صحراء مصر الشرقية بـ « الداهية العظمى ، والمصيبة الكبرى » (٣٩) ، فهناك من القرائن ما يدل على أن الأمر لم يكن كذلك ، وان هناك ثمة صالفة من جانب المتففين من أهل البلاد وخاصة الأدياء والشعراء منهم . ويحاصه ابن رشيق وابن شرف ، في البكاء على اطلال القيروان (٤٠) . حقيقة ان الكتاب يسالغون في

(٣٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٩ .

(٤٠) عن قسم عملهما الأدبي والتاريخي انظر الشاذلي بو يحيى طباعة الأدمية في افريقية على عهد الزهرين ، بالبرسة ، رسالة دكتوراه ، طبع تونس ١٩٧٢ ، ص ١٠٤ وما بعدها ، عن ابن رستم القيرواني الاردي السبي (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ / ١٠٠١ - ١٠٦٤ م) الذي سمعه ابن الرحال في زيارته لمصر واسمعه في القيروان ، وكانت عروسته لكي يصبح مدبر البلاط ، حيث دخل في صالفة مع ابن شرف ترميه كأن يحرق للمعز ان شملوه ، وسمعا ترك المعز القروان الى المهديفة معه ابن رشيق الى هناك وبعد وناه القبر =

بروف الحصاراة الإفريقية إلى عهد امر بن باديس . حيث كان موكب الأمير يثير الضجة والصخب في العاصمة بمسا يتقدمه من الحيوانات السودانية الغريبة ، والسباع المخيفة . ولكن الإعجاب بالموكب المثير كان ينتهي أحيانا بتعجز مشاعر الهلع ثم الحزن والأسف . إذا ما قدر لواحد من تلك السباع مثلا ، أن يغلب من أسار صاحبه ، لكي يتطلق الناس أمامه مذهولين فرعا ، ليقتل بعضهم على بعض ، وتصور الأعداد الكثيرة منهم ، كما حدث في موكب سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، أي قريب الوقت الذي كان خطر العرب ينهدد القيروان (٤١) . وكذلك الأمر بالنسبة لحصارة القيروان الريفية التي تمثلت في كثرة الأقواب التي يكمن فيها الواحد من أفراد الأسرة الحاكمة وغلاء ثمنها ، أو نابوت العود الهندي الثمين بمسامير الذهب الذي يدفن فيه ، أو أحمال المال التي كانت تعطى لمن يستحق أو لا يستحق من قبل الأمير أو كبار رجال الدولة من الولاة (٤٢) ، الأمر الذي يتجاوز الترف إلى البطر

(٢٥٣ هـ / ١٠٦١ م) هاجر إلى صقلية ، وعاش في كتب أمثالها الكليبيين . وإذا كان يذكر له نبوغه في الخبريات الوصفية والقطع الشعرية الصغيرة ، فإنه سياسي كارثة القيروان المنحصر ، في قصيدته الحزبية ، وأن كانت بركة غنائية - على كل حال - وفيما يتعلق بابن رشيق مؤرخا ، يخرج الباحث بأنه لا يرى ذلك وأن كتاب « ميراث الاعتدال » المنسوب إليه متوسط عند ابن خلدون ، وهو في الحقيقة ليس له . من المؤلم أندلسي يحمل نفس الاسم (ابن رشيق) ، وذلك استنادا إلى رواية ابن الخطيب . وأنظر نفس المرجع ، ص ١١٦ وما يتعلق بها عن ابن شرف (٣٩٠ - ٤٦٠ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٧ م) = أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد (فهو أحد المسح رجال الأدب والشعراء وعلماء أفريقية في القرن ٥ م / ١١) أحد ضمن من أحد عنهم عن أبي عمرو القاسي ، شيخ القيروان الشهير صاحب الفصل في اكتشاف فقيه المرابطيين الشهير ، عبد الله بن ياسين . ومن المهم هنا أن كل أعمال المسز بن باديس تظهر في شعر ابن شرف بصفتها شاعر البلاط مثل ابن رشيق ، إلى سنة ٤٤٧ هـ / ٥ - ١٠٥٦ م ، حيث رحل ابن شرف لفترة قصيرة إلى المهدي في كتب الأمير تميم بن المعسر ، قبل أن يسير إلى صقلية لدى الأمير منكود . ثم إلى الأندلس لدى السعديين أمراء انصليبية - حيث مات - وموضوع حراب القيروان مثير في شعر ابن شرف ، وفي تاريخه أيضا ، حيث أكمل تاريخ الرقيق في حواريته ، هذا ، كما أكمل ابنه حفر تلك الحواريات ومن بعده تاريخ ابن عذارى ، ذلك العمل .

وأنظر لاسودج لابن رشيق ، تحقيق المطوي ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٣٤٠ - حيث ابن شرفه وفيه يقول ابن رشيق : « وكان بيننا قبل أن يجذبا (سيدنا المعز) إلى محل حرمه ، ويشركنا في سائح بعضه مكانات ومحاوالت » ص ٤٣٩ - عن صاحب الكتاب ، حسن بن رشيق ، حيث أنه من مولى الأرد ، ولد بالمحمدية (المسيلة) سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، وقدم الحضرة سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٥ م ، وامتدح سيدنا - وأنظر فيما سبق ص ٤٩٠ .

(٤١) ابن عذارى ، ط ، بيروت ج ١ ص ٢٠٢ .

(٤٢) المعز ، ج ٦ ص ١٥٨ .

والسعة ، والكرم الى الاسراف والتفريط ، وهو ما يعنى بلوغ الذروة فى مسار الحضارة ، وبدء الانحدار فوق السطح الى الخضم ، بمعنى افتقار الخشونة على المستوى العسكري ، وعدم القدرة على مطاولة الخصوم ، خصوصا اذا كانوا من نبط الهلالية الذين « لم يعهدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة » . . . والذين كانوا كلما انتهوا الى فريه تنادوا : هذه القبروان ، وبهبوها من حينها ، مما سبقت الاشارة اليه (ص ٤٢٤ و ٢٦٦) - والحقيقة أن الدولة البربرية كانت منذ حين ، قد فقدت ثقها فى عسكريها الصنهاجى ، عندما بدأ الأمراء منذ عهد المنصور وباديس ، فى جمع العبيد السودان ليكونوا الحرس الأميرى الخاص ، الذى أصبح وحده موضع الثقة ، وبالتالي نواة القوات النظامية (٤٣) .

المتاوشات الأولية ، والحشد للمعركة :

بدأت المتاوشات عندما سرح المعز الى الهلالية قوة من رجاله الصنهاجيين ، ولكن العرب نجحوا فى الايقاع بهم ، فأخذته العرة بالكبر ، وأشاط به الغضب ، فأمر بالقبض على أخى مؤسس وخرج معسكرا بظاهر القبروان ، وهو يحشد الرجال ويستنفر القبائل الموالية ، من زبادة وغيرها ، كما بعث بالصريح الى ابن عمه . القائد بن حماد ، صاحب القعدة . واستجاب العائد فأرسل الى المعز كسبة من ألف فارس ، كما لبى فداه الزعيم الزناتى المنتصر بن خرون المقرائى ، والسذى كان فى بادىء الأمر متاوئا للسعى ، على رأس ألف فارس من قومه . هذا ، كما انضم الى معسكر المعز أعداد من الأتباع والأولياء والحشم ، ومن قى اياهم من يقسايا عرب الفصح والزناتية ، وغيرهم من جماعات البربر ، حتى اجتمع له حوالى الثلاثين ألف رجل . أما عن المعسكر الهلالى فقد حوى جماعات من قبائل : رياح وزغبة وعدى ، الذين أقبلوا من جهة قابس مرورا بجبل حيدران ، فى نحو ٣ (ثلاثة) آلاف رجل ، تحت قيادة مؤسس بن يحيى الرياحى (٤٤) .

(٤٢) ما سبق ص ٣٠٨ - حيث كان نواب اقرية من كتاب أو الوراء ساقين الى اقتناء

العبيد .

(٤٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث موسى بدلا من مؤسس ، وادى حرور بدلا من ابن - جزرون . وعاس بدلا من قابس ، وقارن ابن الاخير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث عدد قوات المعز ٣٠ ألف فارس ومثلها رجالة - والمويرى ، ص ٣٤٦ - حيث المنصور بدلا من المنتصر .

الفتنة :

معركة يوم العيون :

وتسمى رحب المعز الى مدينة درية بى عدل ، حيث كان النصارى فى منتصف النهار فى مقلعه ، وغار واودية احسارها المعز (٤٥) ، هال العرب منظر عساكر المعز وعبيده المدججين بالاسلح والمندثرين بثقل النصارى . ولكن مؤسس بن يحيى نجح فى تهديده روعهم ، ورفع معوياتهم فقررنا الثبات فى مواجهه الخشود الزيرية ، كما أن مؤنسا عرهم بمواطر الضعف عند الخصوم المنقلين بالعناد واشرب من الكراغندات والمغافر ، اد طلب منهم الطعن فى العيون - تماما ، كما فعل عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فى حرب النوبة بجنوب مصر - . الأمر الذى أدى الى اطلاق اسم « يوم العيون » على تلك المعركة . ولكنه ما كادت المعركة تبدأ حتى ظهرت علامات الفشل فى المعسكر الصنهاجى ، حيث بدأ عرب الفتح بالنحيز جانبنا ، قبل أن ينضموا الى جانب الهلالية ، للعصبية القديمة بينهم . وهما لم يكن من المستغرب أن يخون الزناتية بدورهم ، بل والصنهاجيون فيفرون من ميدان القتال (٤٦) ، تاركين المعز وسط المخلصين له من عبيده . وفى ذلك تقول الرواية أن صهاجة كانت تحقد على المعز اعتماده على العبيد دون عصبية الصنهاجية ، وأنهم لهذا السبب اتفقوا على الانسحاب أمام العدو حتى يشبوا للمعز خطر الاعتماد على العبيد ، وأنهم كافوا على ثقة من تفويض الموقف بعد ذلك (٤٧) .

وعلى عكس ما حسب الصنهاجيون ثبت المعز فى موضع القلب مع عبيده السودان حتى قتل الكثير ، بينما لم يتمكن الصنهاجيون من العودة الى ميدان المعركة اذ منعهم العرب من ذلك ، فتمت الهزيمة على المعز الذى انسحب فى بعض خاصته نحو القيروان .

وكان النصر مؤزرا بالنسبة للعرب ، كما كانت الهزيمة قاسية بالنسبة لصنهاجة . فلقد انتهب العرب جميع ما كان بالمحلة من المال والمتاع

(٤٥) ابن خلدون ، ط - بيروت ج ١ ص ٤١٩ - والى يؤخذ على الرواية هنا انها بحجم معلومات حروب المطاولة فى معركة واحدة ، وصى : معركة يوم الامضى التى تانى كنانى لقاء بين الطرفين -

(٤٦) العبر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ .

وانذخيره والحيل والعسطايط والرايات (٤٩) . واستناداً الى رواية ابن الأثير
استى أحداً بها ، وهى التى تظهر عند السورى ، كما يؤيدها ابن خلدون ،
رى كيف تحولت الرواية المنسوبة الى ابن شرف ، عند ابن عدارى ، منجهة
بحو المبالغه فى أعداد الجيوش المنحدره ، وهو الامر الذى نهىوا ابيه
المعوس ، فالثلاثون ألفاً أصبحت ثمانين ، والثلاثة الاف صارت مئى الجانب
ايهاى ثلاثين ألفاً . هذا ، كما نبأنا رواية ابن عدارى - المتأثرة أصلاً
ابن شرف - عندما تصح معلومات يوم العيون هذا ، فى موضع يوم الأضحى
او يوم حيدران ، وهما اللقاءان الثانى والثالث بين الطرفين المتحاربين ، كما
سنرى ، فتجعل من بين ما حازه العرب فى مصارب المعر ، الذهب والعصه
الى جانب اكثر من ١٠ (عشرة) آلاف خباء ، و ١٥ (خمسة عشر) ألف
جمل ، وعدد لا يحصى من البغال ، « فما حلف لأحد من الجند عقال فما
فوقه » . هذا ، كما نجعل الرواية تلك المعركة فاصلة من حيث كان انتصار
العرب نهائياً ، إذ : « جعل كل من سبق الى قرية يسمى نفسه لهم ،
ويؤمنهم ويمطيههم قلعنوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعدم عسيره من
سبقة » (٤٩) .

معركة عيد الأضحى :

وحسب ترتيب ابن الأثير الذى أخذنا به - كما عند السورى - فإن
معركة يوم الأضحى المحددة التاريخ بالأيام ، كانت بمثابة ثار لعزيزية يوم
العيون . فقلقد أراد المعز بن باديس أن يأخذ العرب على حين غرة ، فدبر

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث النص على أن بعض الشعراء قال فى تلك المعركة :
وان اس باديس لأفضل مناد ولكن لعسرى ما لديه رجال
ثلاثون ألفاً منهم غلبتهم ثلاثة آلاف ان ذا الحجال
وقدر السورى ، ص ٣٤٦ - حيث الكلمة الأخيرة من الشطرة الشابة من البيت الثانى :
لنكالى دلا من لجال ، واس عدارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٠ - حيث بيتا الشعر المسونان
الى : على ابن زرق ، من قصيدة له ، والأول منهما مختلف ، اد هما كالأتى .
لقد زاد وهنسا من أمم دجال وابدى المطايا بالرميل عجان
لثلاثون ألفاً منهم غلبتهم ثلاثون ألفاً ان ذا الحجال
« فارتد ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث يورد ٣ أبيات خاصة بالمعركة ، أولها هو البيت
الأول عند السورى : « لقد زاد وهنسا ٠٠٠ » أما الآخران فهما الواردة عند ابن الأثير مع
اختلاف بعض الكلمات ، فى البيت الثالث ، مثل : « قد هزمتهم » دلا من شيعتهم فى الشطرة
الأولى ، وذلك صلال دلا من وذاك صلال فى الشطرة الشابة .
(٤٩) البيان ط . بيروت ج ١ ص ٤٢٠ . وانظر فيما بعد ص ٤٣٥ .

أن تكون المفاجأة لهم يوم النحر ، أى يوم عيد الأضحى ، فى العاشر من ذى الحجة من السنة نفسها ٤٤٣ هـ / ٣ ابريل ١٠٥٢ م ك ، والقوم مشغولون بصلاة العيد ، والاعداد للنحر ، وموائد الضحية الغنية باللحم والشريد .
هكذا جمع المعز فى صباح ذلك اليوم ٢٧ (سبعة وعشرين) ألف فارس ، وسار بهم جريدة أى حملة سريعة تصل الى هدفها قبل أن يصله خبرها .
ونجحت الخطة من حيث التوقيت اذ هجم جيش المعز على العرب ، وهم فى صلاة العيد ، ولكن العرب ، وهم الفرسان بحكم النشأة ، أسرعوا الى دكوب خيولهم ، وحملوا على القوات الصنهاجية التى لم تحتل الصدمة فانهزمت « وقتل منهم عالم كثير » (٥٠) .

وهنا لا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى عن معركة يوم الأضحى ، حيث يقول انه بعد عودة المهزمين الى القيروان بات الناس هناك ليلتين وقد خيم عليهم كابوس من الخوف والرعب من مفاجأة خيل العرب ، التى كانت تسرح حول القيروان فى كل جهة ومكان ، والناس يرونهم عيانا بيانا . وبعد ثلاثة أيام عندما استرد المعز أنفاسه المقطوعة حاول أن يقوم بتظاهرة ترفع من معنويات الناس وترد اليهم بعض شجاعتهم المفقودة ، فقام فى اليوم السابع لعيد ، ١٦ ذى الحجة / ١٩ ابريل ١٠٥٢ م بالخروج بجنوده ، كما خرج معه العامة من أهل القيروان ، ولكنه لم يجرؤ على أن يتعدى بهم موضع المصل خارج المدينة . وهنا رأى أن يستخدم خطة ما يعرف فى الحروب باسم « الأرض المحترقة » ، نكاية فى العدو ، فأمر كافة الناس بالانهاب المزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة (المتصورة) . ورغم سرور المسلمين ، كما تقول الرواية ، كناية عن أن العرب الهلالية شيعية فاطمية خارجين على الاسلام - بما حسبه رزقا لهم ، فانهم سرعان ما أصيبوا بخيبة الأمل ، اذ كان مصيرها القساد واكل البيهائم (٥١) .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ ، التويرى ، ص ٣٤٦ ، وقارن ابن عذارى ، بيروت .
ص ٤١٩ - حيث تظهر معركة عيد الأضحى وكأنها معركة يوم العيون ، فهو يصفها بالداهمة العظمى والمصيبة الكبرى ، حيث كانت الهزيمة على المعز الذى صبر بين عبيده الدين فدوه ، بينما انهم ساد وصهاغة وغيرهم وذلك كانت عودة المعز الى قصره بالمنصورة فى ثالث يوم العيد ، اذ كانت المعركة فى اليوم الثانى من العيد ، ولا بأس ان يكون الثانى بالنسبة الى المعركة والثالث بالنسبة لها ، أى بالنسبة للهزيمة . هذا ، كما تنالغ رواية ابن عذارى المنصورة الى ابن شرف فى اعداد العسكر من الجانبين ، فهم ٨٠ ألفا فى معسكر المعز و ٣٠ ألفا فى جانب الهلالية .

(٥١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ٩ ص ٤٢١ .

بناء سور القيروان وصبرة :

وعندما ظهر العرب في اليوم التالي ، ١٧ دى الحجة / ٩ إبريل ، على يوم ١ أيلول من القيروان كان على المعسكر ان يخرج لتفقد صواحي المدينة . وصاد الاجراءات المناسبة لتحصينها . وفعلا صدرت الاوامر ببناء سور القيروان وصبرة انتهى تمت في السنة الثالثة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م (٥٢) . وزيادة في حصانه الاسوار امر الناس بالاحتفال في البناء ، فأخذ كثير منهم في بناء دورهم (٥٣) . وكان من الطبيعي بعد أن اطمأن المعسكر الى حصانة القيروان وصبرة وخاصة أن العرب من الهلالية أو غيرهم كانوا لا يعرفون في حروبهم الا الكر والفر . وليست لهم خبرة بحرب الحصون واقحام الموانع أن يحاول استغلال هذه الميزة التي كانت له وتوجيه ضربة وادعه الى العرب ، تردهم بعيدا عن بلاد القيروان .

يوم حيدران والمركة الحاسمة :

وهكذا حدث الزلزال الثالث ، في منطقة جبل حيدران ، على ٣ أيام من القيروان ، والذي يمكن أن يعتبر الواقعة الفاصلة في تاريخ حرب المطاولة هذه - حسب اصطلاح ابن خلدون - التي وضعت نهاية حزيمة لمدينة القيروان كعاصمة لبلاد افريقية التونسية ، منذ انشائها قبل أربعة قرون ، كما قررت مصير المغرب الى حد كبير .

وحسبما يستشف من الأحداث توضع موقعة جبل حيدران في السنة الثمانية ليوم الأضحى أي سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، حيث جمع المعز بن باديس أعدادا كبيرة من فرسان صنهاجة وزناتة ، وخرج على رأسهم قاصدا منازل انعرب في هرية الهلالية ، جنوب جبل حيدران . ورغم أن العرب لم يزدوا على ٧ (سبعة) آلاف فارس ، فان قوات القيروان المهتكة جسمانيا ومعويا ، لم تكن لتستطيع الصمود أمام حملات العرب الساحقة ، فانهزمت صنهاجة ، كما انهزمت زناتة ، رغم ثبات المعسكر في عبيده ، ذلك الثبات العظيم الذي لم يسمع بمثله ، والذي انتهى على كل حال بهزيمة هو الآخر ، وعودته الى قصوره بالمصورية . ورغم ما تقوله الرواية من أن هزيمة صنهاجة انتهت

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - حيث النص خطا على سور « رويلة » والقيروان مثلا

من صبرة والقيروان .

(٥٣) ابن خلدون ، ط ١ ، بيروت ج ١ ص ٤٦١ .

بأن « ولى كل رجل منهم الى منزله » ، فان خسارة صنهاجة فى رجالها كانت قاذحة هذه المرة ، اذ انه عندما احصى من قتل منهم ، كانوا ٣٣٠٠ (ثلاثة آلاف وثلاثمائة) رجل - ولا بأس أن تقصد ابروايه من ذمت العدد الكبير جميع من قتل فى موقعة حيدران ، من صنهاجة وزناته والعبيد الاميرية ، وغيرهم (٥٥) ، الامر الذى يعنى ضربة قاضية للصنهاجيين ، وبالتالي لدولة آل بلكين الزيريين فى القيروان .

حصار القيروان ، والاجراءات التحفظية :

بمجرد وصول نبا هزيمة جبل حيدران الى القيروان بدأ حصارها فى الفرار منها الى تونس ، فى نفس السنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (٥٦) ، كما تم تنفيذ ما كان المعز بن باديس قد اتخذه من اجراءات وقائية لما ينظره من ضغوط العرب على القيروان والمنصورية ، بعد بناء الأسوار . من ذلك أنه أمر بانتقال اعمامه من اهل صبرة وسوقتها الى القيروان ، وبخدو الخواصيت كلها بصبرة ، كما امر جميع الصنهاجيين الموجودين بالقيروان وغيرهم من العسكر بالانتقال الى صبرة ، والبرول فى حوانيتها وأسواقها . فكأنه دون ما بين المدينتين فجبل القيروان ، كما كانت من قبل ، مدينة العمامة ، وصبره المنصورية وهى مدينة صبرة الملكية ، مدينة العسكر دون غيرهم (٥٦) - ربما ليأمن من عائلة العمامة اذا ما اضطربوا عند قدوم العرب الى القيروان ، وهو الامر الموقوع .

الاستفاعة العامة بالقيروان :

وفعلا لم يلبث عرب زغبة ورباح ، المنصرون فى حيدران ، أن وصلوا الى القيروان واحاطوا بها (٥٧) ، فى الوقت الذى كانت قد ساءت فيه العلاقات نوعا ما بين عامة أهل القيروان الذين تركوا أسواقهم وحوانيتهم ، فى صبرة المنصورية ، بين أيدي عسكر صنهاجة ، وعبيد المعز الذين نزلوا بها ، فمدوا أيديهم الى خشب الخواصيت وسقائفها واقلمعوها ، فخربت العمارة المظيية فى ساعة واحدة (٥٨) . واذا كان المعز قد أصدر أوامره للعسكر

(٥٤) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - ٥٦٩ ، الوهرى ، ص ٣٤٦ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

"بعلم الخروج على سورد صمد (٥٩) ملاقيا لاحتكاك لا تعرف عفاه مع العرب ، فان العامة كانوا مستعدين لمواجهة الأخطار . بعدما وصل العرب الى مصل القيروان في السنة التالية لوقعه حيدران ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، خرج اليهم أهل ضاحيتي وقادة وصمرة المنصورية ، في حرب غير متكافئة ، انتهت بقتل خلق كثير من أهل الضاحيتين ، الأمر الذي أدى الى تدخل المعسر لرفع الحرب بين الفريقين (٦٠) *"

ورغم انسحاب العرب من الضواحي التي كانوا قد اقتحموها ، فان المعسر سمح لهم بدخول القيروان : فحسبا لعودتهم مرة أخرى ، لكي يقوموا بما كانوا في حاجة اليه من بيع وشراء (٦١) . وكان من الطبيعي ان يكون بدخول العرب الى القيروان واحتكاكهم بعامة اهل القيروان ، نتائج اسلبية ، اذ أدى التنازع بين واحد من أهل السوق مع رجل من العرب الى الحرب بين الفريقين ، وكانت الغلبة في الصراع للعرب بطبيعة الحال (٦٢) .

وبانكسار انفاضات العامة من أهل القيروان أمام حملات فرسان العرب بعد هزيمة الجيوش النظامية من الحرس الأميري الأسود ، والمتطوعين من صنهاجة ورمانة ، انتهى الأمر بانفتاح القيروان أمام الهلالية وسيطرتهم تماما على نخومها ، حتى صار «كل من سبق منهم الى قرية يسمى نفسه لهم» ، ويؤمّنهم ، ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعلم غيره من سبقه (٦٣) .

(٥٩) ابن عساري ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢٢ .

(٦٠) البويري ، ص ٣٤٦ .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، البويري ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، البويري ، ص ٣٤٧ ، وقاري ابن عساري ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢٣ - حيث الإشارة الى رقعة باب تونس بالقيروان بن العامة الذين خرجوا بالعتي والسلاح . ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام حملة فرسان العرب عليهم ، إذ تساقطوا على وجوههم وجرحهم ، كما سطحوهم من حد أدان الأجر الى هذا اسباب (باب تونس) . وتحتوي رواية ابن شرف صورة صادقة لأعمال العرب في حي باب تونس حيث لم يتركوا على حي ولا مت حرفة توازية ، وبعد انصراف العرب خرج الناس لرفع الغلي ، فكانت اسوانج وانسب لكل جهة وزقاق ، كما كانت حراج المصايير الفسحة تحت الألباد وتديب القلوب والإحساس ، وكذلك مناظر النسيات اللامع سودن وجوههم ووجوه رؤوسهم على آمالهم "واجرهم .. فكان يوما لم ير الناس مثله في منائر الأمصار بما مضى من الإحصار " (٦٣) ابن عساري ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢٠ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٤٣١ .

الاحاطة بالقبروان :

وهكذا انتهى الأمر باحاطة زغبة ورياح بالقبروان ، ونزول مؤنس ابن يحيى امرداسى الرياحى ، قريبا من ساحة البلد بينما فر قراية المعز ابن باديس من آل زيرى . وبذلك اقتسمت العرب من زغبة ورياح بلاد قسطنطينية لهما جميعا ، بينما انفردت زغبة بمنطقة طرابلس ، واحد مؤنس ابن يحيى منطقة باجة وما بينها (٦٤) . ومع استمرار تقاطر العرب من صعيد مصر كان عليهم أن يعيدوا تقسيم البلاد مرة أخرى ، فكان لبى سليم الأقاليم من طرابلس وما دونها ، وكان للهلالية من : المعقل وجشم وقره والأثبيج والحلط وسفيان ، من : مدينة تونس الى المغرب . وبذلك « نصرم الملك من المعر » ، وغلب عائذ بن أبى الغيث على مدينتي تونس وسليها ، وملك أبو مسعود من شيوخهم ، مدينة سوسة صلحا ، وعمل المعسر على خلاص نفسه مصاهرة بسانه الثلاثة اللاتى روجهن بابيه . فارس بن أبى الغيث وأخيه عائذ ، والفضل بن أبى على المرادى (٦٥) .

النقلة الى المهديّة :

ومنذ ذلك الوقت (٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م) تأكد المعز بن باديس من نهاية مملكته في القبروان الى طوقها العرب وأحكموا حصارها ، وبدأ يفكر في النقلة الى المهديّة فكان في الأمر عودة الى الوحشة مع أهل القبروان أيام المهدي أو أثناء الثورة الرنانية على عهد القائم . وهكذا أشار المعسر على الرعية بالانتقال الى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وأقام هو بالقبروان والناس ينتقلون الى المهديّة الى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م (٦٦) .

وفي نفس هذا الوقت كان الهلالية يسمعون سياسة الفرع الحمادى من الزيريين في القلعة بطابعهم . ففي سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م توفى القائد بن حماد ، وتولى ابنه محسن الذى خشي منافسة عمومته فقتل الكثيرين منهم ، ولكن بلسكين بن محمد ، من بني عمومته ، نجح في التخلص منه بمعونة العرب ، ودخل القلعة في ربيع الأول سنة ٤٤٧ هـ / ماية يونيه ١٠٥٥ م ،

(٦٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٦٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - ١٦ .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

وأصبح الأمير الحمادي الرابع (٦٧) . وبذلك يكون الهلالية قد تقدموا الى قسنطينة ، وأصبح لهم السيد العليا في كل البلاد ، وخاصة في الأقاليم الداخلية ، حيث شرعوا في هدم الحصون والقصور ، وقطع الشمار وبخريب الأنهار (٦٨) .

وكخطوة تمهيدية للانتقال الى المهديّة سار ولى العهد ، تميم بن المعسر ابن باديس . الى ولايته بالمهديّة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م (٦٩) ، وكان أبوه قد ولّاه إياها سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (٧٠) . وكانت تلك الولاية بالنسبة للمعسر ، قد بدت بما يفتق مع مقولة « ان المصائب لا تأتي فرادى » ، إذ لم تلبث أن قامت الفتنة بين عبيد تميم الذين انضم اليهم عامة اهل وروينة ومن كان بها من رجال الأسطول ، وبين عبيد المعز الذين كانوا هالك ، وكانت الدائرة على عبيد المعز الذين قتل الكثير منهم . وعندما حاول الباقون منهم الخروج من المهديّة الى القيروان حيث سيدهم المعز ، أغرى تميم بهم العرب في المنظمة ، فقتلوا منهم جمعا غفيرا ، الأمر الذي يثير نوعا من الشك حول سلامة العلاقة بين المعز وولى عهده ، الوالى على المهديّة (٧١) وهو ما يظهر كصدى لروايات النسي نصّ بشيء من الإلحاح على تلقى تميم والده المعز بما يليق به من الاحترام والتبجيل ، ومشييه بين يديه من مياش الى القصر ، على طول مسافة نصف فرسخ (٧٢) ، وذلك عندما انتقل المعز الى المهديّة في شعبان سنة ٤٤٩ هـ / أكتوبر ١٠٥٧ م ، بعد أن أصحح أحوال أهل القيروان ، بمساعدة أصهاره العرب الذين تبعوه ، حراسة بالعبيد السودان ومعهم ابنه المنصور ، الى منطقة الساحل من حيث ركب البحر الى المهديّة (٧٣) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠١ ، النويرى ، ص ٣٤٣ - حيث النص على أنه قتل ٢٤ من عجمته . وأنه استمدى ابن عمه سكين بن محمد وأمر رجلا من العرب أن يقتلوه ، ولكنهم أسبروا ملكين بالهبة إذ كانوا من أوليائه ، بل وقتلوا الأمير محسن .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

(٦٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - ولز أن نص ابن الأثير يقول أنه أقام بها مد ولها ، الأمر الذي يمسى أنه ربما كان في زيارة لوالده بالقيروان أو أنه كان قد استمدى سبب الوحشة بينهما .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦١٧ - حيث النص على أن هذه المرة كانت سبب قتل تميم من قتل من عبيد أبيه لما ملك .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٧ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ وقارن المقرئى ، انماط الحما ، ص ٢١٧ - حيث =

نهب القيروان وسيادة البدو من بربر وعرب على المنطقة :

وكان لخروج المعز من القيروان ردود فعل سيئة هناك ، ففي الشهر التالي ، رمضان ٤٤٩هـ / أكتوبر ١٠٥٧م نهب العرب القيروان (٧٤) . هذا ولم يكن العرب بافساد القيروان بل انهم تابعوا المعز نحو المهدي ، فزلو حولها وضيقوا عليها بمنع المرافق واعساد السابلة (٧٥) .

وباضطراب افريقية الزيرية ، خرب عمرانها وفسدت سابلتها ، بعد أن آلت السيادة على أطرافها وضواحيها الى قبائل البربر البترية (البدوية من : ريانة وبني يعرب ومغراوة وبني مائد وبني تلومان (٧٦) . فبعد كسب صنهاجة دخل الهلالية في صراع طويل مع الرناتية ، أهل البادية مثاهم وغلبوهم على أطراف البلاد . وهنا نجد أن الصراع مع الرناتية هو الذي يمثل سدة تغريبة بني هلال الشعبية وحماتها ، وذلك عندما التحموا بصاحب تونس الرناتي ، من أعقاب محمد بن خرز ، ووزيره الشسيه « أبي سعدى حليفة اليفرنى » ، بطل الملحمة ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة ، كما يقول ابن خلدون (٧٧) .

ومن المهم هنا الإشارة الى أن بنى حماد أصحاب القلعة ، سارو على نفس السياسة التي انتهجها أبناء عمومتهم أصحاب القيروان من قبل فحاولوا امتصاص قوى العرب الحربية بادخالهم في خدمتهم . وهكذا كان بلكين بن محمد ، يخرج سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، ومعه جماعات من الأنيج وعدي لحرب زناتة ، التي انتهت بكسرهم وقتل أعداد كثيرة منهم (٧٨) .

النص على أن المرر ركب البحر الى المهدي سنة ٤٤٩هـ ، وإن قال قبل ذلك (ص ٢١٥) أنه خرج الى المهدي متحيا في روى امرأة عسما أشرف على التلب . ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، التويرى ، ص ٣٤٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على أنهم جاءوا وحربوا المناي ، وعاقوا في محاسنها ، وطمسوا من الحسن والرواق معالها ، واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها ، وشعلوا بالنبيت واسهب سائر حريمها ، وتعرف أهلها في الأقطار فعمت الرربة وانتشر البلاء .

(٧٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على أن ذلك كان داب العرب ورقانة حتى جلبوا صنهاجة وعبرهم من البربر وأساروهم عبيدا وحكما بياحة بحاصة .

(٧٧) المعبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، التويرى ، ص ٣٤٧ .

تبشير عصر الطوائف :

وأدت غلبة العرب على الدولتين الزيريتين في القيروان والمهدية وفي القلعة وبجاية ، إلى قيسام نوع من عصر ملوك الطوائف كذلك الذي عرفته الأندلس بعد سقوط المرwanيين والعامريين بقرطبة . وفي سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩ م كانت سفاقس تحت حكم أفروم البرعواطي الذي تلقب بمصور ، ولكنه قتل بمعرفة برعواطي آخر ، هو : حمو بن مليل الذي ملك سفاقس مكانه (٧٩) . وفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، نشور فتنة في تقيوس من بلاد الجريد بين أهل البلدة وبين العرب الذين دخلوا المدينة منسرفة فقتل رجل منهم آخر من أهل البلد اثر نقاش سياسي في أحوال البلاد اتخذ فيه التقيوسي موقفا مؤيدا لسياسة المعز بن باديس ضد العرب ، فثار هؤلاء الآخرون بأهل البلدة الذين دفعوا ثما باهظا لتعصيبهم لأميرهم . اذ قتل العرب منهم ٢٥٠ (مائتين وخمسين) رجلا (٨٠) . وفي هذه السنة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) انهزمت هوارة أمام العرب في الحرب التي ثارت بين الطرفين وقتل فيها الكثير من الهواريين (٨١) .

وفاة المعز :

وفي نفس تلك السنة الأخيرة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) توفي المعز بن باديس مريضا بضعف الكبد ، بعد ملك دام ٤٧ (سبعة وأربعين) عاما ، وبذلك يختم العصر الذهبي للزيريين في القيروان لكي يبدأ عصر جديد ، ليس في افرقية وحدها ، بل في بلاد المغرب جميعا ، هو عصر ملوك الطوائف الذي ينتهي بقيام دولة المرابطين ، فكأنه مقدمة طبيعة لها ، الأمر الذي يتطلب رسم خريطة كعمل تمهيدى لدراسة إعادة توحيد المغرب تحت رايات صنهاجة المرابطين من الملتصين .

(٧٩) النويري ، ص ٢٤٧ .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب
حوالي منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م

ملوك الطوائف فى أفريقية :

تعتبر معركة حيدران ، ونقلة المعز الى المهديّة سنة ٤٤٩هـ / ٩٥٧م ، نقطة تحول هامه فى تاريخ أفريقية التوفسيّة ، من حيث تحول دولة القيروان الزيرية الى دولة بحرية توجه أنظارها نحو صقلية وجنوب إيطاليا ، تماما كما كان الحال بالنسبة لدولة بى العمومة الحصاديين الذين تركوا بدورهم مركز حكمهم فى القلعة ، اثر مريّة سببية سنة ٤٥٧هـ / ١١م ، الى مدينة بحسابة الحرية التى أصبح دار ملكهم ، أوامر الذى يعنى توجههم ، هم الآخرين ، وجهة بحرية بعد أن استولى الهلالية على دواخل البلاد البرية ، فكان الممتلكات الفاطمية انتهت فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م الى ثلاث دويلات ، هى : الزيرية فى المهديّة ، والحمادية فى بجاية ، والدولة اكلبية فى صقلية .

والمهم فى هذه الدويلات أنها ممالك مركبة عرقيا من البربر والعرب فى افريقية . ومن البربر والصغليين المولدين فى جزيرة صقلية ، الأمر الذى كان له أثره - الى جانب الانقسام المذهبى الى سنية وشيعية - أثره فى تصدع الوحدة الوطنية فى تلك الدويلات ما بين العروق المختلفة ، وقيام نوع من النظام الاقطاعى فى الحكم ، حيث استقلت كثير من المدن أو الأسر الحاكمة ، فيما يمكن أن يشبه بنظام الطوائف الذى عرفته ، وقتئذ . من الأندلس وأسرها الحاكمة .

دولة المهديّة الزيرية

وعلاقتها بالدولة الحمادية فى القلعة والدولة الكلبية فى بلرم :

بعد وفاة المعز بن باديس سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، خلفه فى المهديّة

ابنه نعيم الذي كان له من العمر ٢٧ سنة (١) ، والذي تصفه رواية النويري الصنهاجية أصلا ، بأنه : شهم ، شجاع ، كريم ، حليم (٢) ، وهي الصفات المطلوبة في الأمير ، الى جانب أنه كان حسن الشعر ، بمعنى أن الأسرة الصنهاجية على عهده كانت قد تعربت تماما ، حتى أصبح الأمير شاعرا ، وبذلك لم يعد من المستغرب أن تسبب الى أعرق الأرومات العربية ، ملوك حمير ، معدن العروبة في اليمن .

وإذا كان الكتاب قد اتفقوا على أن عهد المعز بن باديس هو العصر الذهبي للدولة الصنهاجية ، من حيث وصولها الى الذروة على المستوى الحضاري ، في الثروة والأثاث والرياش ، وكثرة الجند النظامي من العبيد السودان من الحرس الأميري ، وعلى المستوى السياسي من حيث التطلع الى الاستقلال ، وقطع الصلة بخلافة القاهرة الفاطمية ، فإن الكثيرين منهم يجعلون من نعيم ابنه قرينا له ، رغم ما هو متعارف عليه من أن مملكة المهديّة ، في عصرها الثاني هذا ، تعتبر بداية لعصر الاضمحلال بالنسبة للأسرة الزيرية .

والحقيقة أن تميما ظهر منافسا لوالده المعز منذ بداية الأزمة الهلالية . ولا بأس أن يكون تعيينه حاكما للمهديّة ، اعتبارا من سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، نوعا من الاقصاء بعيدا عن المتصورية ، حيث مقام المعز ومركز الحكومة . والقرينة على ذلك ما حدث من صدام بين العبيد المعزية والعبيد التميمية ، ممن كانت لهم مهام وسلطات الشرطة في المهديّة ، الأمر

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث مولده في ١٥ رجب سنة ٤٢٢ هـ / ٩ يولييه ١٠٣٦ م ، وقارن ابن عذاري ، ط . بيروت ج ١ ص ٤٢٨ - حيث شهر رجب فقط . وإن والده تبرزه ابن سبعين ، وركب والعساكر وراه ، وطاف القبروان والمفصورية ، وأنه ولي المهديّة سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وعمره ٢٣ سنة .

(٢) أنظر النويري ، ص ٣٦١ ، وفي التفصيلات (ص ٦١ - ٣٦٢) ، حيث النص في أخباره في رعيته وثقافته عبيهم ، انه اشترى سفينة بثمان مائة ، ولما عرف ان صاحبها ذهب عقله لذلك ، بعثها اليه في الكسوة وأواني الفضة والطيب ، وأنه عندما ردها الرجل إليه اشتهر وأمره بالعودة بكل ما حملة الى داره . وفي ذلك تسترس الرواية في القول أنه كان التميم في البلاد أصحاب أخبار يطالبونه بأخبار الناس ، ولكنه هت بدلا من الاشارة الى الرغبة في حفظ الأمن وسلامة الدولة ، يركز فقط على ان الهدف من الاستخبارات هو تحقيق العدل بين الناس وكف الظلم ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث النص على انه سلك طريقة حسن السيرة ، ومحة أهل العلم .

الذى انتهى باحراج العبيد المعزية الى المنصورية والقيروان فى حالة سينة (ما سبق ، ص ٤٣٧) ، فكان تميما كان قد أصبح أميراً منافساً فى العاصمة الفاطمية العريقة .

الموقف من الهلالية :

والحقيقة انه كان لمييم موقف متميز عن موقف والده المعز من العرب الهلالية ، فبينما طهر المعز غير مبال بهم محتقرا لشأنهم ، قبل الغش فى استخدام السياسة ازاءهم ، عن طريق محاولة ادخالهم فى الخدمة كطرف محايد بالنسبة للصنهاجية والزناينة ، طرفى الصراع وقتئذ فى افريقية والمغرب ، مثلهم فى ذلك مثل الحرس الأسود من العبيد السودان ، ثم الهريسة العسكرية عند المواجهة ، ظهر تميم بمظهر السياسى الداهية ، الذى يمكنه التصرف فى مثل تلك الظروف الصعبة عن طريق المناورة والمداورة ، مستخدما مبدأ « فرق تسد » ، الذى أصبح من مبادئ السياسة المعتمدة منذ أيام الرومان .

فهو عندما عرف أن أقوى التحالفات بين القبائل الهلالية المصارعة فيما بينها من أجل الهيمنة ، هو حلف عدى ورياح ، عمل على أن يصعدهما جميعاً عن طريق التفرقة وبث الخلاف بينهما . وساعد تميماً على ذلك تمكنه من العربية ، واحسانه لصناعة الشعر ، الأمر الذى جعله لا يظهر بمظهر الدخيل فيما ينشعب بين الجماعتين من نزاع ، بل بمظهر صاحب المصلحة الأصل الذى يحرص على التقاليد العربية العريقة ، وإن كان طرفاً ثالثاً . فهو يثير العداء فى نفوس الرياحيين ، وهى القبيلة الأقوى ، لتأخذ بنار قبيلتها من بنى عدى ، ورفض التسوية السلمية المهينة التى اتفق عليها . وكانت وسيلته التى لا تقاوم عند العرب ، هى الشعر .

وفعلاً نجحت أبيات الشعر فى قيام الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر بهزيمة بنى عدى ، وخراجهم من افريقية (٣) ، وإن كان ذلك فى وقت

(٣) التويرى ، ص ٣٦١ - حيث امر على أبياته من الشعر ، منها :
 متى كانت دسائلكم طش
 أم مكم تشاو مستقر
 أعادكم ثم سألتم ان دش
 بما كانت أوائلكم تدل
 وسمم من طلات الشارح
 كان امر مكم معجل
 فمعاً حوة المقتول فقتلوا أميراً من بنى عدى فقامت الحرب بينهم ، حتى أخرجوا بنى عدى من افريقية ، وبلغ فيهم تسمم ما يريد - إذ كان يروج بالشعر الحروب بين العرب فبلغ سبانه ما لم يبلغ سبانه .

متأخر سببها ، سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م (٤) .

طواقف أفريقية ما بين العرب والبربر البادية :

ولم يكن هذا يعنى ان نميم بن المعسر كان مسيطرا على الأحداث التي أخذت في أفريقية شكل التغيير الجذري نحو التفتت ، تماما ، كما حدث في الأندلس اثر سقوط الخلافة المرابية هناك ، الأمر الذي كانت له أصداؤه في المغرب ، تماما ، كما كان لرحيل الفاطميين الى مصر ردود فعله القوية في أفريقية ، الأمر الذي تأكد بقطع العلاقات ، وانطلاق الهجرة العربية نحو حدود مصر الغربية وأفريقية .

طرابلس ، مملكة زناتية :

والحقيقة ان الاتجاهات الانفصالية كانت قد وجدت أرضا صالحة لبذر بذورها في الأقاليم الشرقية ، قبل الهجرة الهلالية ، منذ أن استقر بنو خزرون في طرابلس على عهد باديس بن المنصور ، والد المعسر ، وذلك بتحرير من الخلافة بالقاهرة ، التي رأت أن تستعيد سلطانها على الأقاليم المتاخمة لحودها الغربية ، حيث أثبتت التجارب أنه من الخطورة بمكان ، ترك تلك المناطق عرضة لأهواء المغامرين من بربر وعرب ، سواء من بنى خزرون المرابية في طرابلس وما يتبعها من تغزاوة حيث كونوا أسرة وراثية ، أو من بنى قرة العرب وغيرهم ممن تحالفوا مع أبي ركة في برقة ، ونهياً لهم تهديد النظام الفاطمي في قلب مصر (ما سبق ، ص ٣٥٤) .

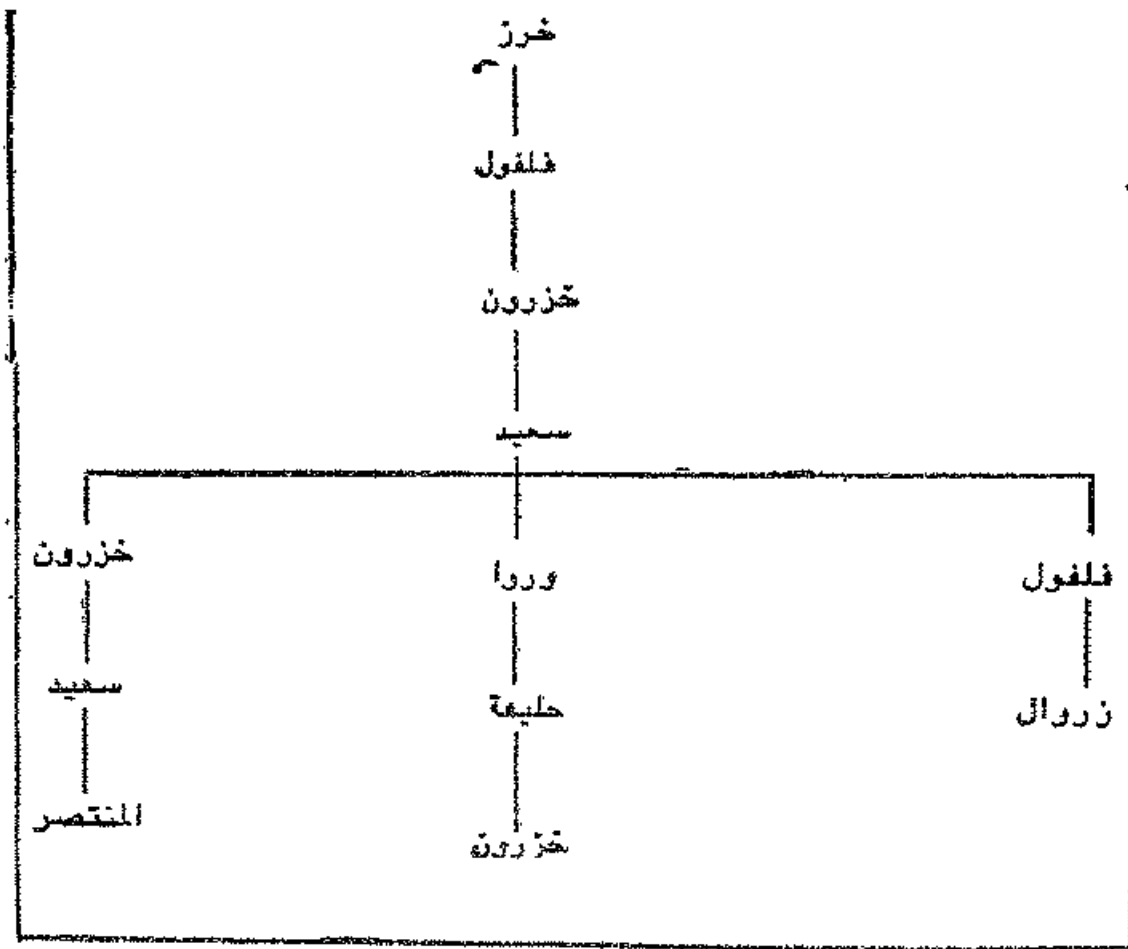
فلقول بن سعيد وأخوه وروا :

فعلى أيام باديس نجح فلقول بن سعيد الزناتى في التغلب على طرابلس ، فملكها سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، واستوطنها بمساعدة أهلها ، وبتسامح من الخلافة في القاهرة ، الى وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م (٥) . وآلت

(٤) ابن عدى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص « وأخرج عدى من أفريقية أمام رياح » .

(٥) هذا ، ولو انه عندما طلب المساعدة واستبطا المعونة القوية من القاهرة ، اعين بحليفة الأندلس أثناء الغمة ، وهو المهدي محمد بن عبد الجبار قرطبة ، ولكنه مات قبل وصول حواف قرطبة . وانظر فيما سبق ، ص . والنائب الامصارى ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ط ٠ الفرجاني ، ص ١٠٨ .

بنی خزرون بنظر ایلس



شکل رقم ۲ - شجرة نمسید بنی خزون بطرابلس
عن ابن خلدون، ج ۷، ص ۴۴

رئاسة زنادة بعد فلهول الى أخيه وروا بن سعيد ، الذي لم يستطع مواجهة باديس عندما زحف الى طرابلس واستردها ، ونزل في قصر فلهول .
وهنا رأى وروا ان السياسة تقضى باستخدام الإدارة قسالة باديس الأمان ،
وتم الصبح بوساطة محمد بن حسن الذي ستؤول اليه ولاية طرابلس قبل
الوراره ، وعهد بولاية نغراوه الى وروا ، لما عهد بمسقطيليه من بلاد الجريد
الى السيم بن كنون (٦) .

ولما لم يطل الوفاق الا الى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م . الثانية ، عندما
اعلن وروا النصيان ولحق بجبال دمر ، الامر الذي ترتب عليه ان سيم السيم
نغراوه الى عمله ، وان انفصل حررون بن سعيد عن أخيه وروا ، وسار الى
الأمير باديس بالقيروان سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، ففصله وولاه عمل أخيه
وروا ، كما ولي بني محلية منهم على قمصه ، وبذلك صار مطفي الجنوب
جميعا ، في نغراوه والجريد ، لزقاته ، وهما رجس وروا من حديد ، يريد
العودة الى طرابلس ، فقامت بينه وبين عاملها محمد بن حسن حروب شديدة
انهزم فيها وروا ، وقتل الكثير من قومه ، كما لاقى فيها والي طرابلس الكثير
من العناء ، الأمر الذي دعا باديس الى الطلب من حررون نحي وروا ومن
قريتهم السيم وغيره من أمراء الجريد الرناقية ، المشاركة في حرب وروا ،
ولكن ذلك انتهى بانضمام الرناقية ، جماعة بعد أخرى الى وروا من : السيم
الى حررون ، وذلك في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، حيث نصبوا الحرب على
طرابلس من جديد ، مما دعا باديس الى اتخاذ اجراءات حربية قاسية ضد
الرناقية ، اذ قتل من كان لديه من رهنهم ، كما ضاعت معهم طائفة أخرى
كانت قد وصلت مع مقاتل بن سعيد أخي وروا تطلب الدخول في الطاعة
صد وروا . ولكنه بعد انتصار باديس على عمه حماد سنة ٤٠٥ هـ /
١٠١٤ م ، بعث وروا يطلب الدخول في الطاعة ، ولكن المية عاجلته ،
كما عاجلت باديس في السنة التالية (٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م) (٧) .

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٦ - ٤٩ ، حيث قسطنطين المتطرفة على البحر من ارض
القائل المصري ، سلا من قسطنطين القريبة من نغراوه ، وقارن المائب الانصارى ، المهمل
العتب في احبار طرابلس العرب ، ص ١٠٩ .

(٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن ما سبق (ص ٣٥٧) ، حيث أخذنا بوفاة وروا
سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، حسب رواية ابو عسارى ، وقارن المهمل المائب الانصارى .
ص ١١٠ .

خليفة بن ورو :

ونتيجة لوفده وروا انقسم الزناتية فباع بعضهم ابيه خليفة ، وباع
غيرهم اخاه خزرون بن سعيد . والظاهر أنه كان لعامل طرابلس محمد بن
حسن دوره في اثارة تلك الفتنة التي انتهت بتفوق خليفة على عمه خزرون ،
فألت اليه بالرعاية . وهكذا ولي المعز بن باديس أواخر سنة ٤٠٦ هـ /
١٠١٦ م ، والزناتية منتفضين عليه في « قيطونهم » (أى مصابوهم) بقيادة
خليفة بن ورو ، بينما كان أخوه حماد بن ورو يغير على أعمال طرابلس
وقابس ، ويواصل النهب الى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، حينما انهر فرسه
عصيان عبد الله بن حسن ، عامل طرابلس الذي أمكنه من المدينة ، انقاما
لمقتل أخيه الوزير محمد بن حسن (٨) . وقتل خليفة بن ورو الحسامية
الصنهاجية التي كانت داخل طرابلس ، وركل في قصر عبد الله بن محمد ،
بعد أن أخرجته عنه واستصفى أمواله وحريمه . وبذلك انفصل ملك خليفة
وقومه بني خزرون الزناتية بطرابلس . وحصل خليفة بن ورو على شرعية
ولايته بقبول الخليفة الظاهر بن الحاكم بالقاهرة ، ثم دخوله في الطاعة
سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وضمان أمن الطريق ، وخفارة التجار .

وعندئذ رأى خليفة ان الحكمة تقضي بتحسين علاقته بالمعز بن باديس
أيضا ، فأرسل اليه أخاه حماد بهدية تقبلها وكافأه عليها (٩) .

لكنه لما كان الأصل في العلاقات بين الصنهاجيين والزناتية أنها غير
مستقرة ، كان من الطبيعي أن يقوم المعز ، سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ،
بالزحف لقتال زناتة بجهات طرابلس ، ولكن اللقاء انتهى بكارثة للمعز ،
قتل فيها قريبه عبد الله بن حماد ، ووقعت السيدة أم العلو بنت باديس ،
أخت المعز ، سبية بين أيديهم ، ولو أنهم متوا عليها بعد حين فأطلقوها الى
أخيها (ما سبق ، ص ٣٩٧) .

(٨) ما سبق ، ص ٤٠٢ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن المسهل العبد ،
ص ١١٠ - ١١١ .

(٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - حيث ينتهي ما نقله ابن خلدون من الرقيق ، فتبعه
سبا أحد من ابن حماد وغيره . وقارن المسهل العبد ، ص ١١٢ ، وانظر ابن خلدون ، التذكار
فمن ملك طرابلس ، وما كان بها من الأخبار ، ص ١٩٦٧ ، ص ٢٤ - حيث
النص على أنه في أثناء إغارة الفاطمي : « استولى على طرابلس سو خزرون الزناتيون ، ووقعت
سنتهم وبني الصنهاجيين حروب كثيرة ، » من راجعاً فليراجع تاريخ الرقيق فإن فيه غرائب
وعجائب - ولا بدري ان كان كتاب الرقيق كان موحدا بين بني ابن خلدون أم أنه يكتم على
اللسان غيره .

المنتصر بن خزرون :

ولما كان خزرون بن سعيد ، لما عليه ابن أخيه وروا على إمارة قومه ، قد سار الى مصر وعاش في كنف الخلافة حيث شأ بسوءه ، ومنهم المنتصر بن خزرون وأخوه سعيد ، فانه نتيجة لما وقع بمصر من الاضطرابات بين الترك والمغاربة لحق المنتصر وسعيد بواحي طرابلس ، وانتهى الامر بولايه سعيد لطرابلس المدينة الى ان هلك بها سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م (١٠) . وعندما قدم خزرون بن خليفة من القيطون (المصارب الرناتيه) الى ولايتها ، مكنه منها رئيس الشورى ، وبايع له ، وبها يومئذ من الفقهاء : أبو الحسن ابن المنتصر ، المشتهر بعلم الفرائض ، فقام بها الى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ، حيثما قام عليه المنتصر بن خزرون ، أخوه سعيد ، وملك طرابلس ، واتصفت بها إمارته .

والهم أن المنتصر بن خزرون زحف مع عرب بني عدي الى بلاد بني حماد - في تاريخ غير محدد - ونزل بالمسييلة وأشير ، ولكنه لما خرج لهم الناصر بن علناس ، فر المنتصر الى الصحراء - ومع الحاج المنتصر وعرب عدي على البلاد بالغارات والافساد ، اضطر الناصر الى استخدام الحيلة لتخلص من المنتصر فاتفق معه على الصلح على أن يوليه بلاد الزاب وريغة ، ولكنه أوعر الى رئيس بسكرة وقتئذ ، وهو عمرو بن سندی أن يخلصه منه ، فقتله غيلة في الستينيات ، أي بعد سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م (١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - حيث الإشارة الى انه التجاسي ينصر على أن سعيد ابن خزرون قتل على أيدي عرب زغبة الهلالية سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، ويرى ابن خلدون ان هذا الخبر مشكك من حيث أن زغبة من العرب الهلالية لما جازوا الى افريقية من مصر بعد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة ٤٢٩ هـ إلا ان كان تقدم بعضهم احيانهم الى افريقية من قبل ذلك ، مثل بني قرة الدين قدموا مع يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي ، ولا ان ذلك لم يتقلد لحد .

(١١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - ٤٤ - حيث النص على انه لا يحصره اسم من ولّى طرابلس بعد المنتصر ، مع الإشارة الى احتلال أحوال صنهاجة حيث كانوا في تلك الأعمال في سنة ٤٤٠ هـ / ١١٤٥ م عندما وجه رزجر الصقل أسطولاً لحصار طرابلس ، في وقت شدة واحتلال أحوال ، وقارن المهمل العذب - ص ١٢٧ - ١٢٨ - حيث عدل المؤلف سنة ٤٣٠ هـ التي اسمى لها حكم خزرون بن خليفة وولّى فيها المنتصر الى سنة ٤٥٠ هـ حتى تنسجم مع الأخبار التالية الخاصة بزحف المنتصر على بلاد القلعة حيث الناصر بن علناس ، ونهاية المنتصر سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ، ولا ندري ان كان مثل هذه المسألة مستقبل المعر بن باديس .

التوائف في مدن الساحل :

ومع مجيء العرب على عهد المعز بن باديس ، وما أثاروه من الغرضي السياسية والاقتصادية في البلاد ، كان من الطبيعي أن يستشري داء الانفصال ليشمل المدن الرئيسية في كل أفريقية^(١٢) ، وخاصة مدن الساحل ، من : صفاقس وسوسة ، شمال وجنوب العاصمة المهدية ، إلى تونس في أقصى الشمال ، وقابس في أقصى الجنوب ، حيث قامت أسر مستقلة توارثت الحكم . ولم تسلم القيروان من مهانة الطائفة تلك ، إلى حد أنها كانت عرضة للبيع والشراء عن طريق وساطة العرب الهلالية ، كما كانت أشبه بأرض لا صاحب لها يمكن أن تستبيحها جيوش الحمادين ، مما تأتي الإشارة إليه (ص ٤٥٢ وص ٤٦٠ وهـ ٤٦ ، ص ٤٦٢) . وبذلك يكون تميم قد ورث من المعز والده ، مملكة ممزقة الأوصال بفضل المنتزعين فيها من الثوار ، الذين يصور ابن خلدون خريطتهم ، أيام المعز ، كالآتي :

— صفاقس : ملكها محمو بن مليل البرغواطى ، قائدها ، اعتبارا من سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

— سوسة : صارت آحرا إلى ولاية الناصر بن علناس بن حماد ، صاحب القلعة ، وولى عليها عبد الحق بن خراسان فاستبد بها ، واستقرت في ملكه وملك بنيه .

— قابس . تغلب عليها موسى بن يحيى ، وصار عاملها : المعز بن محمد الصنهاجى إلى ولايتها ، ومن بعده أخوه إبراهيم .

وهكذا يكون قد « اثنتا ملك آل باديس ، وانقسم في الثوار »^(١٣) .

والى طرابلس المنتصر بن حرون ، وأهداه هدية المال الكبيرة التي كانت قد وصلت إليه من أكاسيها ، بعد أن سررها أعمامه ، وندها ، الأمر الذى عسر من علامات منتهى الجود . انظر ما سبق ، ص . وقارت ابن غلبون ، التذكار ، ص ٢٢ سواء نزل اسم المنتصر في شكل المنتصر .

(١٢) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ . حيث نص على أن « أصحاب البلاد ضموا بسب العرب ، وزالت الهيبة » .

(١٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ . حيث النص الأخير « الثالث ملك آل بدرى » بدلا من « الثالث ملك آل باديس » ، كما تذكر في تحارهم بعد مهلك المرسة ٥٤ (٢) . والله اعلم .

الصراع مع صاحب صفاقس :

ومن بين هؤلاء القواد الذين طمعوا بسبب العرب وزوال الهيبة ، كان حمو بن مليل البرعواطي ، صاحب صفاقس ، أشدهم طمعا واكثرهم طموحا . فبمجرد ملك تميم ، استعان حمو بطائفة من العرب ، من الأتيح وعدى وسار بهم في السنة التالية ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م نحو المهدية ، بأصد حصارها ، أو بقصد املاء شروطه على تميم ، ان لم يكن بغرض اقتراع الملك منه . وانهم ان تمسوا خرج للقاء حمو بعسكر من عبده السودان ، على ما نطن ، الى جانب طائفة من العرب الذين كانوا في خدمته ، من : زغبة ورياح ، فكان الهلاية أصبحوا قاسما مشتركا بين جميع المتنافسين .

وتم اللقاء في موضع « سلقطة » ، في منتصف الطريق ما بين المهدية وصفاقس . ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من أن الحرب الشديدة التي دارت بين الطرفين في تلك السنة (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) انتهت بهزيمة ساحقة لحمو وأصحابه ، إذ « أخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ، بينما نجا هو بنفسه الى مدينته ، وعاد تميم الى المهدية مظفرا (١٤) ، فان تميم لم يستطع أن يحسم مسألة خلاف حمو ، إذ استمرت الحرب بينهما سجالا ، بين كروفر ، على طريقة حروب البادية ، كما يفهم من التراث الأدبي الخاص بالموضوع ، مما اعتنى المتأخرون بجمعه (١٥) .

(١٤) انظر ابن الأثير ج ١ ص ١٥ - بمناسبة ولاية تميم ، ص ٢٩ - حيث تفصيلات حول سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، وقارن نفس الرواية في الويرى ، ص ٣٤٨ - حيث النص على ان العرب الذين استعان بهم حمو ، من : الأتيح وعدى ، وهو ما تمتدده رواية ابن الأثير ، وحيث الإشارة أيضا الى استيلاء حمو في طريقه الى المهدية ، على المرل المعروف بـ قشتيل ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ - حيث الإشارة الى غلبة العرب ، وأنه كان يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض ، وان العرب انقسمت على كل من حمو و تميم .

(١٥) انظر ابن خلدون ، التكملة ، ص ٣٤ وما بعدها - حيث الإشارة الى كتاب حمو بن مليل وهو المظفر بن علي الذي عرف بأنه « بلغ شهوور بالبلغة » ، والذي قال في انصارهم متعلا يقول أمي الغلب المتني

وان كان أعجبكم عاصكم فعودوا الى مصر في القفال
فان المسام الخصب الذي قتلتم به في يد القتال

وهما تختلط السياسة والحرب بالأدب والشعر (ص ٣٥) . فتتميم يكتب الى حمو ناثر رقعة كانت له عليه « كتاب آيأس الطاف » ، وراحه في الجواب مظهر ، متعلا يقول =

وهكذا تشير حوليات ابن عذارى في السنة التالية ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م إلى جولة من الحرب بين حمو وبين تميم ، لها نفس مواضع الجولة الأولى دون ذكر مواضع القنصال ، الأمر الذي يعنى أنها تكرار لنفس جولة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، حيث « ولت طائفة حمو أدبارها ، فأخذتها السصيف وتولتها الخنوف » ، ولكن دون ذكر أنها وضعت خطأ في السنة التالية (١٦) .

سوسة :

وبعد هذا النصر ، قصد تميم مدينة سوسة ، في نفس السنة : ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، ونجح في استعادتها من أهلها المخالفين عليه ، دون إشارة إلى قتال ، الأمر الذي يفسر كيف أنه عفا عنهم ، وحقق دماءهم (١٧) .

القبروان وتونس :

أما عن القبروان فقد كان يقيم بهب ، وألبا منذ أيام المعز ، قائد بن ميمون الصنهاجي ، وكان له إلى جانبها مدينة تونس ، وذلك لمدة ٣ (ثلاث) سنوات ، أي إلى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، إلى أن غلبته عليها قبائل هواره ، فخرج عنها إلى المهدية . ولكن تيمم نجح في رده إليها حيث أقام بها إلى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م (١٨) .

الحرب بين الناصر بن علناس و تميم بن المعز و أتباعهما من العرب

سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م :

سألت العلاقات بين تميم وابن عمه الناصر ، بسبب تدخل هذا الأخير

عبد الله بن محمد المطار :

لا تظن أمرا أعصيه سب لم اتقى ذلك السب
مسالم الصبر من الخقد ولو أكثر الود ولم يبد الغضب
كربد السار يعنى حرما كالم يه ولو دال اللهب
(ص ٣٦)

(١٦) البان ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٨ .

(١٧) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٩ ، النويري ، ص ٣٤٩ ، قارب ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٨ - حيث النص على أنهم كانوا نائقوا على أبيه غضا عنهم ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث انتاج سوسة .

(١٨) ابن الأثير ، ج ١ ص ٥٠ ، النويري ، ص ٣٥٥ .

فى شئون أفريقية عن طريق المتغلبين على مدنها من انقواد ، وخاصة حمو
فى صفاقس ، وابن خراسان فى تونس ثم العرب فى القيروان الذين اغبروا
مدينة عقبه سلمه حيه يمكن أن نباع او نشترى لمن يدفع اتمس . ولم يكن
من الغريب اذن ، أن تقوم تلك الحرب المعجبية بين اطراف اسراع من الاقارب
الصنهاجيين ، ومن الهلاليين المنقسمين على المعسكرين جميعا ، بين أبناء
العم الأعداء .

ونرجع الرواية المحلية التى ينقلها ابن الاثير ، ومن بعده النويرى ،
أسباب السراع بين صاحب القلعة : الناصر بن علناس وبين نميم بن المعز
صاحب المهدية ، الى بدايات السراع الاولى بين حماد بن بلكين وبين ابن أحيه
باديس ، والذي ورثه أبناء كل من الطرفين (١٩) ، فكان كلا منهما كان يرى
أحقه فى الملك والتمسك بالوحدة الصنهاجية التى لا يجب أن تنجز .
وهذا ما يفسر عدم حضور الحماديين فى أشعر والقلعة لسلطان صاحب
المصورية والمهدية ، قبل مجيء الهلالية ، وهو ما يفسر أيضا تدخل الناصر
ابن علناس فى شئون المعز ونميم منذ صياح القيروان ، وهو السبب المباشر
الذى أدى الى الحرب بين الطرفين على عهد باديس ، مع الاستعانة بالعرب .

وفى تفصيلات هذه الجزئية يظهر أن الطرف البادى بالتجنى هو
الناصر بن علناس ، وهو الطرف الأقوى اقتصاديا أى ماديا ، وبالتالى
سياسيا وعسكريا . فنتيجة لانتقال المعز من القيروان الى المهدية ، وتخریب
العرب للبلاد ، انقل كثير من أهلها الى بلاد بنى حماد المبيعة بجبالها
الوعرة ، فعمرت بلادهم ، وكثرت أموالهم ، الأمر الذى كان يتير الحقد
والأسى لدى بنى باديس (٢٠) . والظاهر أن الناصر بن علناس عندما شعر
بقوته النسبية ، أخذ يفكر فى إعادة الوحدة الى الدولة الزيرية ، وضم بلاد
أفريقية والقيروان الى الوطن الصنهاجي وأشير (٢١) . وهكذا كانت الأخبار

(١٩) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٤٤ ، النويرى ، ص ٣٤٩ .

(٢٠) أنظر النويرى ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - ٤٥ - حيث
النص على دخول حماد فى طاعة المعز ، ولكن القائد بن حماد كان يصبر العذر وخلق طاعة
المعز ، ولم يكن يسعه من ذلك الا العجز . عندما رأى ما نال المعز من العرب خلق الطاعة
واستبد بالبلاد ، وتبعه فى ذلك ولد الحسن . ومن بعده ابن عمه بلكين ثم الناصر ، وكان
مهم متحصن بالقلعة دار ملكهم .

(٢١) أنظر الاستبصار ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - حيث النص على أن صاحب القلعة كان =

تتري الى تميم « ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه ٠٠٠ وانه عزم على المسير اسيه بالمهدية حصاره ٠٠٠ وانه اتصل ببعض صنهاجة وزناته وبني ملال ، ليعينوه على ذلك » (٢٢) .

وهنا رأى تميم ان يستخدم أسلوب الكيد والوقعة ، وذلك بان يشير خلفاء واصهاره الرياحيين على الناصر ، فأرسل الى أمراء بني رياح فأحصرهم ، وقال لهم : « ان المهدية في البحر ، يحصوها في البر أبراج عليها ٤٠ (أربعون) رجلا ، وان الناصر يحشد اليهم » . فوافقوه شريطة ان يقدم لهم المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح والرمح والسيوف والدروع والدرق ، فجمعوا قوتهم ، وتحالفوا على حرب الناصر . ص ٤٤ ، كما أنهم أرسلوا الى حلفاء الناصر من العرب الهلالية يقبحون مساعدتهم له ، فأجابوهم الى طلبهم ، ووعدوهم بالانهزام عند أول حملة عليهم ، على أن يعودوا ضد أصحاب الناصر ، وذلك نظير ثلث (١/٣) الغنمة . وفيما يتعلق بمن كان في معسكر الناصر من الزناتية ، فان تميما راسل زعيمهم الذي ربما كان من ولد المعز بن زيري (اشرافتي المخراوي) ، واتفق معه بنحو ذلك ، فوعده أن ينهزموا بقوتهم (٢٣) .

معركة سيبيية :

وهكذا بدأ كل من الطرفين يحشد قواته لانتظارا للمعركة الحاسمة ،

اشد شوكة من صاحب القبرون وأكثر جيشا - ص ٤٤ ، وإن كان صاحب الاستبصار يرى أن صاحب القنعة خرج مصيرا لأن عمه ، صاحب المهدية ضد العرب .

(٢٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، التويري ، ص ٣٥٠ .

(٢٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، قاور المويري ، ص ٣٥٠ - حيث اقتصر على ان تمنا

أعطى أمراء الرياحية ، لكن واحد منهم ألف دينار وألف درع وألف ربح ٠٠٠٠ ، كما أنهم أرسلوا شيخين منهم الى بني ملال يطلبون منهم الصلح بالناصر ، فوافقوا على ذلك لأن كان قد اتفق مع زناتة لأخراجهم من أفريقية ٠٠٠ ، كما أرسل الى زناتة بنحو من ذلك . ومما حوقصا من الآثار (ج ١٠ ص ٤٤ ، ٤٦) ثم ابن خلدون بشكل أوضح (ج ٦ ص ١٩) من أشكال تاريخي من تلك الاشكالات التي يسه عليها صاحب المعر كثيرا ، وذلك أيضا حملا للرعي المراتي ، هو المعز بن زيري الزناتي (في الكامن) والمعز بن زيري صاحب فاس المخراوي (في المعز) ، وهو قطعيا ليس المعز بن زيري من عطية أمير فاس والمغرب ، وصاحب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر - الذي توفي سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م . أما صاحب فاس سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م فكان معتصر بن حماد الذي انتهى على أيدي المرابطين سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م .

فاحتوى معسكر الناصر بن علناس ، الى جانب فوائده النظامية من العبيد السردان - كما نرى - جماعات من «المغاربية» (البربر) ، وصنهاجة ، وريانة ، الى جانب الحلفاء العرب الهلالية ، من عدى والاثبج (٢٤) ، بينما احتوى معسكر نسم قبائل الهلالية ، من : رياح وزغبة وسليم (٢٥) .

والمعروف عن تاريخ الموقعة انها تمت في سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، دون تحديد الشهر أو اليوم ، كما جرت العادة ، ولا بأس أن يكون الجهل بالتاريخ الدقيق للموقعة متربنا على نتيجةها التي كانت لصالح العرب الهلالية الذين لم يكونوا يهتمون بالتدوين ، اكتفاء بتسجيل معاصر النصر شمسوا (٢٦) . أما عن موقع المعركة فكان بالقرب من قرية سبيبة ، القريبة من الأربس التي برلتها حشود الناصر (٢٧) ، وهي على بعد مرحلة - أي مسيرة يوم - من القيروان . وسبيبة على الطريق المؤدى من القيروان الى قلعة أبي طويل ، وهي قلعة حصاد ، مما يلي الصحراء ، وهي من المدن التي خربتها العرب عند دخولهم أفريقية (٢٨) .

وفيما يتعلق بالمعركة ذات النتائج الخطيرة بالنسبة لتاريخ الصراع العربي الصنهاجي ، وكانت سريمة وحاسمة ، حسبما أبرمه تميم بن المعز (٢٩) - فسمرد حملة عرب رياح ومن معهم من زغبة وسليم ، حلفاء تميم ، على حلفاء الناصر ، من عرب الاثبج وعدى « انهزمت الطائفتان » غدرا ، هزيمة

(٢٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ . وقارن الزيري ، ص ٣٤٩ ، ابن عذاري ، ط ٠ بيروت ، ص ٤٢٩ - حيث النص على « عند كثير من صنهاجة وريانة وعدى والاثبج ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن الناصر حشد لمظاهرهم ، وجمع زبانة وكان معهم المصر بن زيري صاحب فاس من مغاوة .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - حيث النص خطأ على أنه كان معهم المعز بن زيري الرافقي على مدينة سبتة ، بينما الصحيح أن يكون الشخص تميم بن المعز بن باديس ، وأن تكون المدينة سبتة . وقارن الزيري ، ص ٤٩ (نفس الرواية) ، ابن عذاري ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ - حيث رياح وزغبة وسليم فقط .

(٢٦) قارن مارك الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٥٥٧ - حيث تعسر ما قام به العرب من تحريب مناطق طبة والنسييلة - بمبالغة كتاب العرب لأنهم كتبوا لدولة بربرية بينما العرب ليس لهم دولة ، ولم يهتموا بالدعاية السياسية .

(٢٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ .

(٢٨) الاستبصار ، ص ١٦١ وما .

(٢٩) ابن عذاري ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .

لا رجعة فيها ، وتبعته في الهزيمة عساكر الناصر (٣٠) من العبيد السودان وصنهاجة ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للزناتية . والمهم أن المعركة التي لم تستغرق وقتا ما ، حسما تصفها النصوص ، انجلت عن خسائر فادحة في المعسكر الناصري . إذ لم يسلم الناصر بن علناس الا في ١٠ (عشرة) أفراس فقط ، بينما قتل أخوه القاسم بن علناس ، الذي ضحى بنفسه في سبيل ممكة أخيه (٣١) . أما من بقي من فتي صنهاجة وزناتة في أرض المعركة فكانوا ٢٤ (أربع وعشرين) ألف رجل . أما عن المعائن التي شملت كل ما كان في المعسكر من رجال وسلاح ودواب وغيرها فقد آلت جميعها الى العرب الذي اقتسموها فيما بينهم ، باستثناء الألوية والطبول وخيم الناصر التي بعثوا بها الى تميم ، قعر عليه أن يأخذها ، فردها وهو يقول : « يفسح بي أن أخذ سلب ابن عمي » ، الأمر الذي رضى به العرب (٣٢) .

نتائج هزيمة سببية :

بطويق القلعة :

انهزم الناصر بن علناس ، وتجا الى مسطينة وعرب رياح في اثره يطاردونه الى أن لحق بالقلعة وتحصن بأسوارها . فطوقوا القلعة وخرّبوا أطرافها وسفّروا زروعها ، وعاثوا فيما حوالها من البلدان فأفسدوها ، كما خربوا منطقتي طيبة والمسييلة ، فتركوا ما فيها من القرى والضيايع قاعا صعبا ، أقهر من بلاد الجب ، كما يقول ابن خلدون ، بشيء من المبالغة ، وأوحش من خوف البعير (٣٣) .

(٣٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ .

(٣١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، التويري ، ص ٥١ وقارن الاستيصار ، ص ١٢٩ - حيث اخبر عن أن أحماد ، الذي كان أسن منه ، طلب أن يعطيه تاجه والراية لئلا يتم في الجيش وإن يحرق نفسه حتى يبقى للناس ، وحيث المصمود بالتاج هو عمادة الشرب المدمة التي سم على قالب ساس عتاتي تاجا . وكانت العمادة الواحدة منها تساوي الب ٥٠٠ دينار وال ٦٠ دينار وأزيد .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، التويري ، ص ٢٥١ - حيث النص على هزيمة الناصر وقتل الكثير من أمهاته وبنات أمهاته ومصاربه ، وقتل أخيه القاسم بن علناس ، وإن عذارى ، ج ٩ ص ٢٨٩ - حيث انهزم المعسكر ومهر القيد الى أن وصلت دماح العرب اليه ، ومات من القيد حتى عظم عدوه بأنفسهم . أما عن المعائن في معسكر السلطان فتمت الدهب والفضة والأمتعة والأساسات والأثاث والخلف والكراع ما لا يحصى عنده الا الله . فالأحسة ١٠ آلاف ، والجمال ١٥ ألفا ، ١٠٠٠ ، فما خلى لاحد من العدد فقال فما قوته .

(٣٣) البير ، ج ٦ ص ١٩ .

وازاء ضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس ، بعد أن منكوا الصواحي ، وقعدوا للولاة بالمراسد ، وأخذوا منهم الاتاوات ، اضطرو الناس الى هجر سكنى القلعة ، واحتط بالساحل مدينة بجاية ، وأعددها لنزله ، وجعلها قاعدة للكله (٣٤) ، وهى التى عرفت أول الأمر باسم التاصرية ، ثم باسم المتصورية نسبة الى ابيه المتصور (٣٥) .

بناء مدينة بجاية :

هذا ، ولو أن الرواية المحلية تقدم سببا مختلفا لبناء بجاية ، وان كان بمساسبة الوساطة فى الصلح بين تميم بن المعز وبين الناصر بن علناس ، عندما وحد مستشاروهما ان المصلحة تقضى بذلك خضاظا على الدولتين الصنهاجيين مما يتهددهما من خطر الهلالية الخارجى ، الأمر الذى لا يحتمل مريدا من التهديد الداخلى من قبل اليريرين أنفسهم .

ظروف اختيار المكان :

فرغم ما تقوله الروايات من أن انتصار العرب الراحية ومن كان معهم من بنى عسى فى وقعة سببية سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، كان بتدبير تميم ابن المعز فان نفس الرواه يقولون ان انتصار العرب أهم تميم ، وأنه أصابه لذلك حزن شديد . وعندما عرف الناصر بن علناس ذلك أرسل اليه وزيره أبا بكر بن أبى الصنوح ، الذى كان يجب الاتفاق بينهما ، بل ويهوى دولة تميم ، حتى أنه كان يعرض الناصر على الاتفاق فى سبيل اخراج العرب من البلاد . وعندما قبل تميم فكرة الصلح أرسل بدوره وزيره محمد بن البليغ رسولا الى الناصر ، على أساس أنه رحل غريب لا يرجو مصلحة شخصية من تلك الوساطة . ولما كان ابن البليغ قد اتخذ طريق الساحل من المهدية ، ونزل فى موضع بجاية من حيث كان عليه أن يسلك طريق الوادى نحو القلعة حيث القلعة ، فانه أعجب بالموضع الذى كانت تتطنه جماعة « دعية من البربر » يعرفون ببجاية ، ورأى ان ذلك المكان يصلح

(٣٤) العبر ، ج ٦ ص ٢٠ ، وأظن الاستنصار ، ص ١٢٩ - حيث المر على أنه لما نجا (الناصر) الى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب ، وصيقوا عليه ببلاده ، فكان يصامهم حتى صاق درعا بهم ، وكان لا يقدروا على التصرف فى بلاده ، فطلب موصفا يبنى فيه مدينة ، ولا يلحقه فيها العرب ، فدل على موضع بجاية ، وكان مرسى ، فنامها .

(٣٥) الاستنصار ، ص ٤ ص ١٢٨ .

أن يكون مرسى ومدينة ، وأشار على الناصر بذلك ، على أن تكون دار ملكه التي تقربه من المهدية ، بل وحذره من مخامرة وزيره أبي بكر بن القشوح الذي كان على اتصال بتميم . وفى مقابل ذلك عرفه بعورات تميم وأغراه به ، وعرض عليه أن يدخل فى خدمته فى أقرب فرصة مواتية .



الطريق ما بين القلعة وبجاية

(شكل ٩)

وقبل أن يعود ابن البليغ الى المهدية كان قد زار موضع بجاية مع الناصر ، وأراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية ، الأمر الذى أسره الناصر حتى أنه أمر من ساعته بالبناء (٣٦) .

(٣٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ - ٤٧ - حيث الإشارة بعد ذلك الى انكشاف أمر ابن السمع لدى تميم الذى أوقع به غشقه وعرق نجشته ، وقارن الوبرى ، ص ٣٥٦ وما بعدها - حيث النص هل أن ابن البليغ استسك بالشرى العبرى دون جدوى ، وقارن معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ص ٦٢ .

اهمية الموقع :

اما عن اهمية موقع مدينته بجاية فتتمثل في توسطها بين عدد من عواصم المغرب الاوسط ، فبيها وبين جريدة بني مرعناى (الجزائر العاصمة) مسافة ٤ ايام ، وبينها وبين ميله ٣ ايام (٣٧) ، وهى على ٤ ايام من قلعه بني حماد (قلعه ابي طويل من قبل) بفصل طريق الوادى القبلى ، المؤدى اليها رعم ما فيه من عقاب وأوعار (الاستبصار ، ص ١٢٩) (انظر شكل رقم ٩ ، ص ٤٥٧) . وهكذا تكون المدينة قد جمعت بين مزايا المياه البحرية التى تركب منه اسعى وتسافر الى جميع الجهات (٢٨) ، كما تميرت بريا بارنياطتها بالعواصم المحيطة بها . وبحر يحيط بها من ثلاث جهات ، فى الشرق والغرب والجنوب ، ومع ذلك فلها طريق صيق الى جهة الغرب ، كان يسمى المضيق ، وذلك على ضفة النهر المعروف بالوادى الكبير ، الذى يقرب منها بسحو المئين أو اقل ، وهو أسهل الطرق المؤدية اليها (٣٩) . وبفضل حصانة الموقع لم يكن للعرب اليها سبيل ، الأمر الذى شجع أهل أفريقية على الهجرة اليها ، وأدى الى ازدهار العمران وزيادته فيها . وهكذا كان لا يدخل اليها العرب الا من يبعث السلطان فى طلبه ، عيذلها أفراد وفرسان دون عسكر . « فبقى صاحب بجاية فى ملك شامخ ، وعز بادح ، يضاهى فى ملكه صاحب مصر - أى الخليفة (٤٠) » .

التخطيط والبناء :

أما عن تخطيط المدينة والقصور الأميرية تقع فى انف الجبل الداخلى فى البحر ، فهى فى أحسن موضع حيث قصور ملوك صنهاجة ، ولهذا السبب عرف بالملوثة ، كما يظهر . ويصف صاحب الاستبصار تلك القصور الحمادية بأنه لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ، فعيها طاقات مشرقة على البحر ، عليها شبابيك الحديد ، والأبواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقرصة المنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها الى أسفلها ، قد نقشت أحسن نقش ، وأنزلت بالذهب واللازورد . وقد كتبت فيها

(٣٧) معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣٨) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣٩) الاستبصار ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤٠) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور المحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأنعمها سرها وجمالاً (٤١) .

ودما يؤسف له أنه لم يصلنا شيء من قصور بجاية هذه ، كما هو الحال بالسبب للقصور الريرية كما كشفت عنه استقيينات الأثرية في قلعة بنى حماد حيث كان قصر البحر ببوانكه وصحونه وقاعانه أو قصر المار الشاهق الارتفاع بقاعته المربعة ، ودرجه الدائري ، وقنابه العسائية وتصميماته العمودية ، ومشكواته الشاهقة . وبناء على ذلك يرجع الباحثون الى ما بقي من نماذج القصور الصقلية التي أنشئت في العهد المورمدي ، مثل : قصر العزيزة والقبه في بلرم ، في محاولاتهم المرهقة لاستكشاف السمات العامة للعمارة الفاطمية المغربية (٤٢) .

التطور :

أما عن منطقة بجاية فهي غنية بزراعتها وكثرة قواكهها . فهي مطلة على فحوص قد أحاطت به جبال تسقيه الأنهار والعيون ، وأكثره بساتين . أما عن نهرها الكبير ، فعليه الكثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من الأنهر ، وله منتزه عظيم (٤٣) . وهكذا داعت شهرة المدينة ، وأصبحت مرسى عظيما تحط فيه سفن الروم من الشام ومن غيرها ، وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها (٤٤) . وبذلك كثر أموال بجاية وانتعشت الأحوال الاقتصادية في بلاد القبائل ، ورسخ ملك سلاطين بنى حماد ، واستفحلت الحضارة الصنهاجية في دورتها الحمادية الثانية .

تميم بن المعز بن باديس ،

والصراع مع أمراء المتغلبين في المدن الافريقية :

بعد هزيمة الناصر بن علناس أمام العرب في سببية سنة ٤٥٧هـ /

(٤١) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٢) انظر للمؤلف ، المعاصره والفنون في دولة الاسلام الاسكندرية ١٩٨٦ .

ص ٢٨٥ .

(٤٣) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٤) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

١٠٦٥م ، اطمأن تميم بعض الشيء من جانب بنى عمه أصحاب القلعة ، وأصبح لديه من الوقت ، ومن الجهد ما يصرفه في إعادة الوحدة الى بلاد أفريقية ، ولو على حساب المتغلبين من حلفاء بجاية حيث استقر الناصر بن علناس .

في القيروان وتونس :

كان المعز بن باديس قد عهد بولاية كل من القيروان وتونس الى : قائد بن ميمون الصنهاجي الذي اقام بالقيروان ، وانااب عن نفسه في مدينة تونس : عبد الحق بن خراسان ، على ما يظهر . وعندما غلبته قبيلته هواره على القيروان رده تميم حيث بقي في ولايته الى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م (ما سبق ، ص ٤٥١) ، حيث أظهر الخلاف ، ورأى أن يجرب الاستقلال ، ينحريض نائبه ابن خراسان في تونس ، من حيث أنه التحم الى طاعة الناصر بن علناس ، راعى ابن خراسان . وهنا سير تميم عسكريا كثيفا نحو القيروان وتركها قائد الصنهاجي ، وسار الى الناصر بن علناس . وهكذا دخل عسكر المهدي الى القيروان ، واكتفوا منها بهدم دور القائد ، قبل أن يوجهوا أنظارهم نحو تونس ، اذ الحقيقة ان القيروان كانت واقعة في دائرة نفوذ العرب الراحية وحلفائهم من أعوان تميم .

وفي تونس ضربوا الحصار على ابن خراسان الذي نجح في الدفاع عن مدينته ومواجهة قوات المهدي لمدة ١٤ شهرا ، انتهت بالاتفاق على أن يغير ابن خراسان تبعيته ، فيدخل في طاعة تميم بدلا من الناصر بن علناس (٤٥) . وبعد أن اقام قائد بن ميمون الصنهاجي في كنف الناصر بن علناس بالقلعة لمدة سنتين ، رجع الى أفريقية وسيطا لحمو بن مليل ، صاحب صفاقس لكي يبتاع له القيروان من : مهنى بن علي أمير زغبة . وكان ثمن تلك الوساطة أن عهد اليه حمو من جديد بولاية القيروان ، فعاد قائد اليها ، وبني سمورها وحصنها ، تحت اسم تميم وبصره (٤٦) .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ ، التويري ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ابن عذاري ، ط .
ج ١ ص ٤٢٩ - عن حصار تونس فقط ، اس خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .
(٤٦) انظر التويري ، ص ٢٥٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ - حيث راسل قائد امراء العرب من سحاية واشترى منهم إعادة القيروان ، فلما أجابوه عاد اليها ، ابن خلدون ، ج ١ ص ١٦ - حيث تعديه شخصية الزعيم الزغبى الذي داح القيروان ، أما التواريخ فمتهمة .

وهكذا تكون العلاقة قد بغيت فائرة بين الناصر بن علناس وتميم
ابن المعز بن باديس ، منذ وقعة سيبية ، ان لم تكن عدائية بشكل سافر .
فالناصر وهو في قاعدة ملكه في القلعة وبجاية كان يهيمن بشكل أو بآخر
على المتغلبين على مكن أفريقية الرئيسية ، من القيروان الى تونس وصفاقس .
فكان الضغائن كانت كامنة مع الأحقاد في موسى أبناء العم الأعداء ، من
الحمايين والباديسيين ، تماما كما يتفقد الجمر تحت الرماد ، الأمر الذي
ترتب عليه أن الصلح بين تميم والناصر بن علناس الذي تأكد بالمصاهرة
لم يتم حقيقة الا في سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما بعد ، ص ٤٦٣) .

غارة ثائرة للناصر بن علناس بأفريقية :

وهكذا كان الناصر بن علناس ، بعد سنتين ، يقوم بهجمات عسكرية
سافرة في بلاد تميم . فهو في سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م يقوم بمعاونة حلفائه
من عرب الأتبع بغارة كبرى يخترق فيها بلاد أفريقية . بدأ بمدينة الأريس
الاستراتيجية الهامة ، على بعد يوم من القيروان ، ويضيق عليها الحصار حتى
يفسحها ، ويعطي أهلها الأمان ، وأن عاقب عاملها ابن مكران بالقتل (٤٧) ،
وانتهاء بالوصول الى القيروان التي دخلها مع حلفائه العرب (٤٨) ، ولو أنه
لم يجرؤ على البقاء طويلا في المنطقة ، حيث عاد مسرعا من القيروان الى قلعته
خوها من جموع العرب الراحية وأحلافهم الزغبية (٤٩) . وذلك في الوقت
الذي كانت بلاد المغرب الأقصى وصحراواتها تموج بحركة المرابطين من
المشمين . ففي السنة التالية ، ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م . كان أمير لتونة يمسس
بالقرب ، ويدخل في طاعته قبائل المصامدة وبلاد درعة وسجلماسة ، بعد
أن تغلب على زناتة المستوطنين هناك (٥٠) ، في الوقت الذي كان العمل في
بناء العاصمة المرابطية الجديدة مراكش ، يقوم على قدم وساق بمعرفة الزعيم
اللمتوني أبي بكر بن عمر (٥١) . فكان حركة الانقاذ قد بدأت تتبلور في
المغرب الأقصى .

-
- (٤٧) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .
 - (٤٨) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .
 - (٤٩) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .
 - (٥٠) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .
 - (٥١) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .

شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط

دنا بين الصنهاجيين والهلاليه :

وهكذا يسير سيناريو الاضطراب في أفريقية والمغرب الأوسط سائرا بنفس الايقاع البطيء ، ما بين غارات ثارية وغارات مضادة ، لا ندري ان كان هدفها محاولة إعادة الوحدة للبلاد تحت هذه الرايات أو تلك ، أم هدفها تكريس التفتت والانفصال ، بقصد أو بغير قصد آ

ففي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م كان أسطول الهندية يطلق بأوامر من تميم بن المعز لافساد المراكب الشرقية التي وصلت الى ميناء صفاقس (٥٢) بقصد اضعاف حمص بن مليل الذي نشط في البحث عن موارد جديدة في الشرق ، بعد أن ربط مصيره بصاحب بجاية في الغرب .

خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح :

وبينما كان الصراع فيما بين الصنهاجيين ينعف كلا الطرفين . الحسادى والباديسى ، كان العرب الهلالية ، بدورهم ، يتصارعون فيما بينهم في سبيل الهيمنة على البلاد . ففي جانب عرب تميم في أفريقية قام الصراع شرسا بين رياح وزغبة ، وانتهى في سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م بغلبة رياح وطرد زغبة من أفريقية (٥٣) ، الأمر الذي تطلب من الرياحيين مساومة الناصر بن علناس لشراء مدينة القيروان (٥٤) التي كانت وقتئذ في حيازة زغبة . والظاهر ان الفراغ الذي تركته زغبة في أفريقية تطلب نزوح قبائل عربية جديدة من برقة ، نزحت حول القيروان ، سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م ، الأمر الذي يعنى ان زغبة انضغطت نحو الغرب عبر بلاد بني حماد حيث كانت على علاقة جيدة بها ، وهو ما كان يسمح من قبل للزعيم الزعبي : مهدي بن علي ببيع القيروان لاتباع الناصر بن علناس (ما سبق ، ص ٤٥٢ ، ٤٦٠) .

(٥٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٩٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، قارن ابن عداري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ - حيث التاريخ بين ٤٦٦هـ / ١٠٧٢م - ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م .

(٥٣) ابن عداري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

(٥٤) ابن عداري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

الصلح بين تميم بن القز والناصر بن علناس :

وكان من سوء حظ عرب برقة ان كانت سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م التي اعقبت محيبتهم الى افريقية ، سنة « مجاعة عظيمة ووباء عظيم ، مات فيه من الناس خلق كثير ، ولا بأس ان كانت لسنة الجذب تلك آثارها في اشتعال الفتنة التي كانت هامة بين الأميرين الزيريين ، المنافسين في بجاية والمهدية ، والتي لا نعرف موضوعها أو أسبابها . ولكن المهم أن الرحلين استمعا الى صوت العقل ، وتأكدا من عقم الصراع فيما بينهما ، وانتهيا الى تحييد سلوك طريق المصالحة التي عقداها بينهما هذه المرة ، سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ، وتأكد ذلك الصلح بالمصاهرة ، فقام تميم بعقد زواج الناصر من ابنته : السيدة بلارة ، وتجهيزها اليه برا من المهدية الى بجاية (٥٥) .

استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية :

وفي نفس سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ، عندما استقرت العلاقات بين المهدية وبجاية ، كان تميم يستخدم ابيه واليا على مدينة طرابلس الغرب (٥٦) ، بمعنى العناية بتأمين الحدود الشرقية . مثلما تأمنت الحدود الغربية . ولما كان الطريق الى طرابلس يمر بغابس ، كان من الطبيعي أن يعمل تميم على اعادتها الى الطاعة ، وهذا ما حاوله سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، حيث كان بها ماضي بن محمد الصنهاجي الذي وليها بعد أخيه ابراهيم (٥٧) . وان لم يكن يعمل مباشر ، وذلك أنه اكتفى بأن يضيق بالساكنين على أهلها ، ويعيث بهم في بساطتها الكثيفة ، التي كانت تعرف لذلك باسم الغصابة ، فأفسدها (٥٨) .

وكان من الطبيعي أن يؤدي فشل تميم في القيام بعملية عسكرية مباشرة ضد قابس الى طمع المتغلبين من عرب وبربر ، ممن استشعروا ضعف

(٥٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ - حيث النص على ان تميم أصبحها من الخلى والجهاز ما لا يعد ، بينما رد المهر القدي دفعه الناصر . وملكه ٣٠ ألف دينار . فلم يأخذ منها الا ديناراً واحداً فقط . وقارن ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ ، ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢١ ، ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ،

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث النص على أنه حاصرهما ثم أخرج منها .

الأمر تمسيم ، وطمعوا في منازل دار ملكه بالمهدية بمديها ، فصلا عن القروان ، فلعل وعسى أن تنجح التجربة . ففي سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، قام الزعيم العربي ملك بن علوي الصحري بحشد جموعه ، وسار إلى المهدية يصرب عليها ، حصار ، وبنى ساء من الرجل بالأمير تمسيم الذي نجح في دفعه بعيدا عن أسوار المهدية . وهذا قرر زعيم العرب الهلاليه أن يجرب حظه مرة أخرى مع القروان ، التي كانت تشبه بمديته مصوحه ، ونجح فعلا في دخولها . وهذا استعرض تمسيم لل فواه ، ووجد إليه بعضا من العظيمة التي صربت عليه الحصار ، فلما رأى أنه لا طاقة له بمواجهة قوات تمسيم خرج عنها وبركها ، فأسولى عليها عسكر تمسيم ، وبذلك تكون القروان قد عادت إلى ملكه مرة أخرى (٥٩) .

والظاهر أن نجاح تمسيم في تجربة قواته أمام العرب ، رفعت في معويات قواده ، ومن حماس رجائه ، وذلك أنه في جولته الحربية التالية التي تذكر له سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٩٦ م ، تمكن من القيام بحمله مزدوجة أو بعثتين عسكريتين دوة واحدة ، ضد كل من مدينتي قابس وسفاس ، الأمر الذي أثار انتباه الكتاب فقصوا على الحدث وكأنه معجزة تاريخية تذكر للأمير الريري ابن المعز وحفيد باديس (١٠) .

أساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهدية وزويلة

صفحة ٤٨٠ - ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ - ١٠٨٩ م :

الأسباب :

ومن الأمور المثيرة للانتباه أيضا ، أنه وسط دوامات الاضطرابات الداخلية والصراعات الطائفية التي كانت تموج بها البلاد ، تفاجأ مدينة المهدية ، في السنة التالية ، بعد ما دبره لها العرب سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، بمفاجأة بحرية أشد هولا من كل ما سبق ، وذلك عندما داهمتها أساطيل كل من جنوة وبيزا سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وهو الأمر الذي يمكن أن يثير

(٥٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٣٢ ، البويري ، ص ٣٥٦ ، ابن عدي ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .
(٦٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٩ - حيث النص على أنه حصر المدينتين في وقت واحد . وورق عليها العساكر ابن عدي ، ط . بيروت ، ج ٦ ص ٤٣١ - حيث النص على أنه حاصر المدينتين في زمن واحد « مما لم يسمع بمثله » .

يُبدل أيضا ، حول أسباب ذلك الغزو ودواعيه ! حقيقة يمكن القول أنه
أسفاله المعز بن باديس من القيروان إلى المهديّة غيرت الدّوية الريريّة وجهها
، بحر البحر فأصبحت دولة بحريّة ، بعد أن فقدت الدّواحل التي علب عليها
الزّلازل ، وانها بعملها هذا أثارت مخاوف القوى البحريّة في المتوسط ،
ومشد . وهذا ما يقول به ابن الأثير فعلا ، عندما يذكر ابتداء الحادثة بذكر
سببها ، فيقول عن تميم انه « أكثر غزو بلادهم (الروم) في البحر
» حربها وشنت أهلها » ، وهي الرواية التي تحسن الظن بالأمير تميم وبدولته
التي لم تفقد الدّواحل فقط ، بل فقدت السواحل أيضا ، حيث قام المتغلبون
من كل من تونس وسوسة وصفاقس وقابس . فكان دولة تميم في المهديّة
كانت في الحقيقة معرضة للغزو البحري ، بغير عمق استراتيجي كما يقال
الآن .

والظاهر ان مقالة ابن الأثير مجرد استنتاج عقلي تقضى به سلامة الحس
واصول المنطق ، لولا أن الوقت كان بعيدا عن ذلك الذي قامت فيه الأساطيل
الاشابيه بفتح صقلية ، وبحصار الروم أيضا في جنوب إيطاليا ، وكذلك
الأمر بالنسبة لأساطيل المهديّة الفاطميّة التي كانت تقوم بالغزو بعيدا حتى
حنوة دون التوقف في صقلية . فمنذ انتقال الخلافة الفاطميّة إلى القاهرة
أصبح كل ذلك من ذكريات الماضي ، حتى فقد البحارة في سواحل أفريقية
حبهم لمهنتهم ، وتطلبت تعبئتهم للأسطول أيام بلكن ، وضسهم في
السيجون ، الأمر الذي انتهى باضطرابهم وفرارهم من مراكزهم بعد أن نهبوا
(ما سبق ، ص ٣٢٨) . وهكذا يقف ابن الأثير وحده بفكرة الغزو والجهاد
البحري الذي كان يقوم به تميم بن المعز بن باديس ، لا يشاركه فيها أحد ،
وان كان ذلك لا يمنع من قيام نشاطات جهادية خاصة في البحر يقوم بها
أفراد أو جماعات ممن اتخذوا « القرصة » والبحر حرفة وطنية ، وهو الأمر
المفهوم وان لم نملك له دليلا فيما بين أيدينا من المولىات البحرية .

وهكذا ، وعلى عكس ابن الأثير يتوسع ابن عذارى في أسباب الغزو
البحري الخارجي للمهديّة ، فيصنفها بعد « قدر الله تعالى » إلى الأسباب
الآتية :

- عيبة عسكر السلطان عن المهديّة - في مهمات داخلية أخرى .
- مفاجأة الروم - التي تعنى عدم وجود اعدادات بحرية كالأندلس المبكر ،
- كما يقال الآن ، فضلا عن الدفاعات البحرية الذاتية ، من طبيعية
- واضطاعية .

- خلو كافة الناس من الأسلحة والعدد .
- قصر الأسوار ونهبها .
- تكذيب تميم بخبرهم . - الأمر الذي يعنى ان الصراخ البحرى مع العدو لم يكن ضمن موضوعات تفكيره .
- سوء تدبير عبد الله بن مسعود ، مولى امر الدولة فى مسنده مخالفه قائد الأسطول فى الخروج اليهم للقائهم فى الماء . وسعيهم من النزول الى البر - بمعنى عدم مساعده المسئولين السياسيين فى الدولة ، وكذلك الفنين المسئولين عن الأسطول . فى كفاءة القوات البحرية . وقتئذ ، فى مواجهه الأساطيل المعديه .

ومثل هذا كان رأى شهود العيان ممن سجلوا الحدث شعرا وبشكل موجز ، كما فعل أبو الحسن الحداد ، فى قصيدته التى يقول فى بعض أبياتها :

عرا حمانا العدو فى عدد هم السدى لمة أو الف
حباءوا على غرة الى نهر قد خيلوا فى الحروب ما عرفوا

هكذا لم يكن الهجوم البحرى الكبير على المهدية من قبل جند ورسا مجرد رد فعل لأعمال عدوانية من قبل الاسباطل الأتريفة . بل كانت مجرد استعراض للقوة وكسب للنفوذ السياسى والاهميارات البحرية والاقتصادية وذلك فى اطار عملية الانطلاق التى عرفتها أوروبا العربية اعتبارا من القرن الحادى عشر الميلادى / هـ ، فى مقابل عملية التوسع والابكماش التى عرفتها دولة الاسلام ، وخاصة فى جنوب ايطاليا وصقلية وأفريضة التونسية بعد رحيل الفاطميين .

الحملة :

والمهم أن القوات البحرية المهاجمة التى حوت ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قطعة بحرية (٦١) ، شارك فيها البشانيون (أهل بيزا) والجنويون ، وغيرهم فى

(٦١) ٤٠٠ قطعة عتد ابن الأثير والسويدى ٣٠٠ عتد ابن عدارى وابن عديون ، وابن الخطيب .

تكل ناجية (التكامل ، ج ١٠ ص ١٦٥) ، وأهل أمالفي في حروب إيطاليا ،
وسوات كبيرة من قتل البابوية (٦٢) ، وتطلب الأمر ٤ (اربع) سنوات
لإعداد هذا الأسطول حتى يصبح جاهزا للحملة . ولما كانت الروايات
تختلف في تحديد تاريخ الحملة ، ما بين سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م وسنة ٤٨١ هـ /
١٠٨٨ م ، فلا بأس ان يكون التاريخان صحيحين ، من حيث بدء الهجوم
سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، واستغراق العمليات الحربية والاحتلال ثم المفاوضات
من أجل الصلح بقية السنة حتى دخول سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م .

التجمع في جزيرة قوصرة :

أما عن خطوات الحملة فقد بدأ تجمع المراكب المهاجمة في جزيرة قوصرة ،
وهي بتلاريا Pantelaria الواقعة شمال تونس ، وكانت ٤٠٠ قطعة
حسب رواية ابن الأثير ، الأكثر تفصيلا ، فأسرع أهل قوصرة بالكتابة إلى
المهدية بالبريد الطائر ، بواسطة الحمام الزاجل (٦٣) . وهذا تشير أصح
الانتهام إلى تمهيم بالتقصير في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة خطر
الغزو . فتقول رواية أنه رفض أن يصدق تحذير أهل قوصرة (٦٤) ، واعتبره

(٦٢) أرشميئالد لويس ، العوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، الترجمة
العربية ، ص ٣٧١ ، وأنظر اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ١٧٦ وما بعدها - حيث
موضوع علاقة الناصر بن علناس بالبابا جريجوري التاسع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) ، حيث
تم تبادل الرسائل بينهما . ووصلتنا منها الرسالة الخاصة برد البابا على رسالة الناصر
سنة ١٠٧٧ م / ٤٧٠ هـ ، والتي بشرها دوماً لا ترى ، في معاهدات السلام والتجارة في
المصر الوسيط ، والتي قام بدرستها ش . كورتوا Ch. Courtois وحاول أن يجعل لتلك
العلاقة التي أقامها الناصر مع البابا جريجوري التاسع ، الذي تلقى الأمر الحمادي بـ ملك
موريتانيا وولاية سطيف الأمازيقية ، أهدافا سياسية موجهة ضد قرانته البربريين الذين كانوا
يؤيدون المسلمين في صقلية ضد الغزاة النورمنديين حتى سنة ١٠٧٨ م ، وهو ما يرحطه
المؤلف على أساس ان رسالة البابا لا تحوى أية إشارة إلى موضوعات سياسية . ورغم تقسم
هذه العلاقة الخاصة بين الناصر وجريجوري نحوى أكثر من عشر سنوات على حملة المهدي
والهم ان ما يرفعه المؤلف يمكن أن يكون مقبولا ههنا من حيث ان البابوية كانت تتدخل ضد
البربريين مايندا النورمنديين ضد المسلمين في صقلية . وما يمكن ان يكون قرينة لذلك
هو هجوم بيرا قبل ذلك على بدم عاصمة صقلية الاسلامية سنة ١٠٦٣ م - الأمر الذي أزعج
مدن أقاليم كيبايا إلى كانت على صلات تجارية وثيقة مع العرب وخاصة ساليرنو (أرشميئالد
لويس ، الترجمة ، ص ٣٧١) .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، الزهرى ، ص ٣٥٦ - حدث النص على أنهم أتوا

كلهم إلى جزيرة قوصرة وأحرقوا وبهوا وأحرقوا .

(٦٤) ابن تيمار ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ .

بمثابة بلاغ كاذب ، الهدف منه ازعاج السلطات ، كما يقال في المصطلح الحديث . ومما يؤسف له أننا لا نعرف أسباب هذا الموقف السلبي من قبل الأمير تميم ، ولا بأس أن يكون قد تصور أنها مجرد عارة مألوفة على تلك الجزيرة المتعزلة في البحر لا تستحق أن يعرض بسببها أسطول له للخطر والحقيقة ان الرواية تحاول تبرير موقف تميم هذا ، من حيث أنه أراد يسير مقدم الأسطول : عثمان بن سعيد المعروف بالمهر ، ليمنع العدو البحر من النزول الى البر ، لولا نصيحة الوزير : عبد الله بن منكود للأمير بالامتناع بذلك ، نكابة في عنده قائد البحرية الذي كان يؤله ، من غير شك ، أن يقف موقف المتفرج (٦٥) .

وهكذا وقفت المهديّة موقف المدينة المفتوحة بالنسبة لأساطيل العدو البحري الكثيرة ، من حيث ان أسطول المهديّة ليس ندا لها ، ومن حيث عيار القوات البرية النظامية التي كانت في مهمات قتالية ضد ثوار الداخل أما عن موقف قوات الداخل من قبائل البربر والعرب فلا ذكر لها (٦٦) وهكذا نزل العدو الى البر في أعداد هائلة ، إذ بلغ عدد مقاتليه ٣٠ (ثلاثين ألفاً) (٦٧) ، وهو رقم مقبول على أساس متوسط ١٠٠ (مائة) رجل لكل سفينة ، علماً بأن السفن الكبيرة من نوع الشوانى كانت تحمل أكثر من هذا العدد . وطلع الغزاة الى البر دون مقاومة ، ونهبوا وأحرقوا ما صادفهم على طول الطريق الى أن دخلوا مدينة العامة زويلة التي نهبوها هي الأخرى وقتلوا الناس فيها وأحرقوهم بالنار ، حسبما تباليغ الرواية على ما نظن (٦٨) ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، وهي أصل رواية ابن خلدون وابن الخطيب من أن المغبرين دخلوا كلا من المهديّة وزويلة (٦٩) ، فمن الواضح أن رواية

(٦٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ - حيث النص على سوء تدبير عبد الله بن منكود متولى أمور الدولة (الوزير) في قصده محاولة قتل الأسطول في الخروج اليهم للقائهم في الماء ومنعهم من النزول الى البر .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٢٥٦ .

(٦٧) حسب رواية ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، وحسب رواية ابن خلدون ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ . وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - الذي لا يصح على عدد المقاتلة في الأساطيل الفرنجية ، وإن كان يقدم الرقم ٣٠ ألفا كقيمة الملح الذي توافى الصلح على أن يدفعه لهم تميم ، وهو الأمر الذي يستحق الملاحظة ، كما يأتي .

(٦٨) انظر ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ١٣٩ - حيث كسوف الشمس كسوف كلياً ، كناية عما قاسته المدينة في المحنة الصعبة .

(٦٩) ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ ، العس ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ،

ابن الأثير الذى تعتبر مع روايته النويرة من اصل محلى واحد ، والتى تقول بدخول اعدو مدينته زويلة وحدها (٧٠) ، هى الأرجح من حيث ان المهدية كانت حسنة التحصين ، يسهل الدفاع عنها ، كما هو معروف ، حتى قال المسز بن باديس للعرب الرياحية - وهو يعرضهم على الناصر بن علناس ، ويعخوفهم منه - ان ٤٠ رجلا فقط يكفون للدفاع عنها (مسبق ، ص ٤٥٣) ، وهذا ما يفسر كيف كان تميم مطمئنا فى قصره بالمهدية أثناء غزو عساكر جنوة وبيزا للمدينة زويلة ، تماما ، كما كان الحال منذ حوالى ١٥٠ سنة ، عندما كان القائم مطمئنا الى ان تاجر زناتة ، أبا يزيد ، صاحب الحمار ، الذى كان يتخذ من باب المدينة الرئيسى هدفا لرشق رماحه ، لا بد وأن يتكص على عقبيه - الأمر الذى يطمئن الى الثقة فى علم الحداث .

الصلح :

هكذا كان تميم متأكدا من انسحاب الأساطيل الإيطالية ، ولكن بشئ من المال . وفعلنا انتهت مفاوضات الصلح بينه وبين المهاجمين على دفع ١٠٠ (مائة) ألف دينار (٧١) ، على أن يرد المهاجمون جميع ما أخذوه من السبي (٧٢) .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرة ، ص ٣٥٦ - حيث اسرى على ملك مدينة زويلة بقرب المهدية -

(٧١) ابن حلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ - حيث النص على أنه دفع فيها قواى الذهب والفضة . وقارن النويرة ، ص ٣٥٧ ، الذى يجمها ٨٠ ألفا ، بينما يص ابن الأثير على مبلغ ٣٠ ألف دينار . وهو الرقم المقبول للمبلغ المحتمل دفعه أى المتصور عند ، على ما يرى ، والذى يمكن أن يكون قد تحول الى ٣٠ ألف مقاتل عند الآخرين ، بدلا من ١٠٠ ألف مقاتل التى يمكن أن تكون قد تحولت الى دناير . هذا ، ولو أن ابن الأثير ، وهو يصبر أن مبلغ الـ ٣٠ ألف دينار مبلغا كبيرا ، يعلق على ذلك قائلا : « وكان تميم يسد المال الكثير فى الغرض الحقيقى » . بذلك للعرب لما استولوا على حصن قنطرة ١٢ ألف دينار ، فتبيل هذا سرى من المال ، فقال هو شرف فى الحال الأمر الذى يسمح بأن يكون قد دفع المبلغ الأكبر ، وهو الـ ١٠٠ ألف دينار ، وهو ما جعلنا نأخذ به على كل حال -

(٧٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - حيث النص على رد جميع ما حووه من السبي ، النويرة ، ص ٣٥٦ - حيث النص على « شرط أن يؤدوا جميع ما أخذوه من السبي ففعلوا ذلك ورجعوا جميعا » ، ابن حلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - لاستخلصها من أيديهم ورجعوا ، ابن الخطيب ، للإعلام ، ص ٧٨ - حيث النص على أنهم إقنعوا بذلك (أى الـ ١٠٠ ألف دينار) وأموال الناس وسانهم . والطاهر أن ابن الخطيب أراد أن يوازن قوله هذا فأنشأ =

قدوم بنسائر من ترك المشرق الى أفريقية :

الى جانب ما كانت نصايه بلاد أفريقية الزيرية من مشاكل البربر والعرب الهلالية ، بدأت البلاد تعرف بدورها العنصر التركي الذي عرفته بغداد وسامرا منذ خلافة المعتصم ، والذي عرفته بعد ذلك معظم بلاد المشرق الاسلامي ، اعتبارا من ما وراء النهر وخراسان ، مروا بفارس والديلم والعراق حتى الشام ومصر حيث عانت الخلافة العاطمية من مشاكل عساكرها المقسمين ما بين طوائف المغاربة ، وهم الحرس القديم ، والحرس السوداني الأسود من العبيد ، الى جانب الترك الذين أضحوا قطاعا هاما في الجيش . حيث عرفوا ايضا بالغز ، وبضمنهم الأرمن وأشهرهم بدر الجمالي (٧٧) .

شاهمك في طرابلس :

وتعبر قصة الترك في أفريقية سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، عندما ينذر رئيسهم شاهمك بولي العهد يحيى بن تميم ويقبض عليه . أما عن تاريخ دخول شاهمك الى المغرب فلا يحدده الكتاب بدقة ، ولا بأس أن يكون قبل فترة وجيزة من سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م .

وتقول الرواية ان شاهمك كان من أولاد بعض أمراء الأتراك بالمشرق ، وأغلب الظن أنه كان في خدمة الخلافة ببغداد اميرا لمائة فارس ، وأنه عندما حدثت الوحشة بينه وبين بعض رؤسائه خرج بجساعة فرسانه المائة الى مصر (٧٨) . عبر الشام ، كما فعل افندي التركي سابقا والذي كانت له صولات وجولات مع الحنة العاطمية هناك ، فس أن يستسلم للخليعة العزير الذي أحسن اليه وصمه الى بطانته (٧٩) . وفي مصر أحسن الوريير الأفضل ابن بدر الجمالي الى شاهمك وأكرم وفادته ، ولكنه عندما أخرج من مصر هرب وأصحابه نحو المغرب ، حيث وصلوا الى مدينته طرابلس ، في وقت كان أهل

(٧٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ اسولة العاطمية ، ط ٤ ، ١٩٨١ ، ص ٣٠١ - حيث يكون الجيش من عدة عناصر ، من العنزة والأتراك والأكراد والعزير وديلم والمسلمة والسودان ، وفي المسير معائل ، يسير العزير في المقدمة ويليهما العنزة ثم الأتراك والفارس ويطلق عليهم الشرقيين ويسمى المعزيرين والسودان ويطلق عليهم عند الثراء . وفي المصرايح ، ابن الترك والسودان ، انظر ص ١٨١ - بعد وفاة الخافط سنة ٥٤٤ هـ ١١٤٥ م .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، المعزير ص ٢٥٧ .

(٧٩) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٥٦ - ٦٦٦ (عن العنكة) ، وقرئ حسن ابراهيم حسن ، الدولة العاطمية ، ص ١٥٧ - ١٦٣ .

البلد ينسازعون مع واليهم ، فكانت فرصة لكي يدخلوه الى البلد لكي يصبح أميرها (٨٠) .

الترك في خدمة تميم والغدر بولي العهد يحيى :

وبطبيعة الحال لم يكن تميم ليرضى بان يترك عاصمته والاقاليم انشرفيه لبلادهم سقطت ثمره ناصبته ، وهي اسي كان يشرف بها ولده مفند بن تميم سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما سبق ، ص ٤٦٣) ، بين يدي معاصر عريب ولو كان من الترك - افضل جند الاسلام في كل العصور - هكذا ارسل تميم العساكر لكي يصربوا الحصار حول طرابلس ويفتحوها . ويعودوا بشاهمات وجمعة الابرار المدمرين - وعجب الأمير الصنهاجي الذي سم يعرف من المكر النظامي الا عبيده السود ، بحماسة العسكر التركي الذين جبلوا على الفروسية والطاعة مع النظام والبراعة في استخدام اسلحتهم ، وعبر عن سرخته الكبرى بهم عندما قال : الآن ولد لي ١٠٠ (مائة) ولد اسمع بهم لا يحطى لهم سهم (٨١) - ولكنه لما كان للعسكر الترك اسلحتهم الخاص في الخدمة ، لم يكن من الغريب ان ينتهي الأمر بينهم وبين تميم بالوحشة ، بحيث أخذ كل جانب حذره من الآخر .

واظهار أن ولي العهد يحيى بن تميم كان مفتونا بشخصية القائد التركي وفروسيه ، فسمح لنفسه بالخروج معه وبعض أصحابه في نزهة صيد موسم سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، وكانت فرصة انتهزها شاهمات ، فغدر بيحيى وقبض عليه وسار به في اتجاه صفاقس حيث حمو بن مليل البرعواطي الذي كان مخالفا لتميم ، مسجدا بمدينة ، بينما انسحب عسكر يحيى لكي يبلغوا الأمير الوالد (٨٢) . ورغم أن حمو أحسن استئصال ولي العهد فعظمه وقبل يده ومشى في ركابه ، الا أنه لم يلبث أن حافه على نفسه ، وخاصة بعسد أن قام تميم بتنحية يحيى عن ولاية العهد ، واقامة ابن ثار له ، هو المثنى ، مقامه . عندئذ كاتب صاحب صفاقس الأمير تميم يسأله عقد صفقة بينهما يتم فيها تبادل من كان لديه من الأتراك وأولادهم مقابل ابنه يحيى . ورغم تمنع تميم في أول الأمر الا أنه تم إبرام التبادل ،

(٨٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، التويرى ، ص ٣٥٨ ، ابن عدارى ، ص ٠ ، بيروت

ج ١ ص ٤٣٣ .

ورغم أن تميمًا حجب أبه يحيى لفترة من الوقت فانه عاد وأرجعه إلى ما كان عليه من ولاية العهد ورضى عنه (٨٣) .

حصار صفاقس :

واستقما مما فعله الأتراك الفراء من الغدر بيحيى كان على هذا الأخير أن يخرج ، بأمر والده ، على رأس قوة برية بحرية لحصار صفاقس . وتم حصر المدينة برا وبحرا ، وصيفوا على الأتراك بها لمدة طالت إلى شهرين . ورغم ما نقله رواية ابن الأثير من أن قوات المهديّة استولت على المدينة ، فإن خروج الترك من صفاقس إلى قابس يعنى أنه تم نوع من الصلح بشروط منها خروج الأتراك عنها (٨٤) .

خروج المثنى بن تميم إلى قابس وشغبه على والده وأخيه بالمهديّة :

ولم تسته ردود فعل حادثة غدر الأتراك بولي العهد الريرى ، وذلك أن مثنى بن تميم أظهر ضيقه بحلعه من ولاية العهد ، حسدا لأخيه يحيى ، حتى « نفل عنه ما غير قلب أبيه عليه » - وهذا رأى تميم أن من حسن السياسة إخراجهم من المهديّة ، فخرج بحرا بآله وماله ، وانجه إلى صفاقس ، حيث منعه عاملها من الدخول ، فاتجه إلى قابس حيث كان المتغلب عليها ، مكين ابن كامل الدهماني ، الذى سبق له استقبال جماعة الترك الفراء (٨٥) .

وفى قابس تراءى للمثنى أنه يمكنه العودة إلى المهديّة ، ليس كولى للعهد فقط ، بل كأمير أيضا ، وذلك بمساعدة الدهماني ، وبتهريض من شاعملك ومن معه من الغز ، طالما كان المثنى قد تكفل بالفتنة على الحملة مما كان لديه من المال . وسار المغامرون الثلاثة وأصحابهم برا إلى صفاقس ، وترلوا عليها . ولكنهم عندما عرفوا بخبر العسكر الذى كان تميم قد جرده اليهم ، رأوا انتهاز الفرصة والاتجاه إلى المهديّة ذاتها ، من طريق آخر . وفعلا ناصبوا المدينة البحرية القتال ، وهى الصعبة المنال بغير الأسطول ، وكان الذى يقود قتالهم هو ولي العهد يحيى بن تميم الذى « ظهروا منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير ، فلم ينبغ أولئك منه

(٨٣) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، التويرى ، ص ٣٥٨ ، ابن عدارى ، ط . بيروت ،

ج ١ ص ٤٣٣ .

(٨٤) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، التويرى ، ص ٣٥٨ .

(٨٥) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، التويرى ، ص ٣٥٨ .

عرضاً » . وهكذا عادت جماعة المخاضيين من حرب المهديّة حائسين . وقد نعد ما كان مع الثنتي من المسائل وغيره من الأشياء الشمية . الأمر الذي ترتب عليه أن « عظم امر يعيى ، وصار هو المشار اليه » (٨٦) .

استرداد قابس : ٤٨٩ هـ / ١٠٩٧ م :

وإذا كان انصر السابق لا يعرفنا بما كان من أمر الدهماني والثنتي وشاهمك بعد عودتهم من حصار المهديّة ، فانظأهر أنهم لم يتمكنوا من العودة إلى قابس التي كان قد سيطر أهلها على مقاليد الأمور فيها ، وأقاموا نوعاً من حكم الثوري بمعرفة أهل الحل والعقد من الفقهاء ، كذلك الذي عرفته سوسة وكذلك طرابلس من قبل (ما سبق ، ص ٤٥١) . فهذا ما يفهم من الحولية الخاصة بملك تميم لقابس سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ ، التالية .

فقد كان حكم قابس يرجع إلى شخص يعرف بـ . قاضي بن ابراهيم ابن يلمونة ، فلما مات في تلك السنة ، ولي أهلها عليهم : عمر بن المعز بن نادر ، أخا تميم ، الذي لا نعرف ظروف وجوده هناك ، وأغلب الظن أنه كان من فئة الساخطين من أفراد الأسرة البرية ، وإن ذلك ما دعا إلى القول بأنه كان « أساء السيرة ، عاصياً على تميم » (٨٧) . وهذا ما دعا إلى أن يسرع تميم بإرسال العساكر إلى قابس لإخراج أخيه عمر بن المعز ، قبل أن يعطيه فرصة اثبات حسن النية ، الأمر الذي أثار عجب المعز . وكان رد تميم عندما سئل : لماذا لم يفعل ذلك مع قاضي بن ابراهيم ؟ قوله : « لأن زواله كان سهلاً ، أما ابن المعز فلا » (٨٨) . فكان وصية المعز لدين الله لبليكين من أن لا يولي أحداً من قرابته ، كانت ما زالت مبدأ صحيحاً في أصول السياسة ونظم الحكم بالنسبة لكل من الأمير وولي العهد المحدثين . ويظهر من النصوص

(٨٦) ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٤٢ ، البويرى ، ص ٣٥٩ .

(٨٧) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارو البويرى ، ص ٣٥٩ - حيث الاسم ابن يلمونة بدلاً من يلمونة ، وحيث فلم يحسن السياسة ولا بهض شرط اللولاة ، بدلاً من أساء السيرة عاصياً على تميم ، ابن عدادى ، ص ٢٠٠ ، بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص على : فتح تميم مدينة قابس ، وأخرج منها عمر بن المعز أخاه ، وقد كان ولاية أهلها ، ابن حمدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٨٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارو البويرى ، ص ٣٥٩ - حيث النص على أنه قال عندما أخرج إليه العساكر ، لما كان فيها عبداً من صيدا كان زواله سهلاً عليهم ، وأما الآن فإن المعز المهديّة وإن المعز نقاس ، هذا لا يمكن السكوت عنه .

أن خروج عمر بن المعز أخى تميم من قابس كان من الأحداث التى يستحق
الإشادة بها من قبل الشعراء ، من حيث أنها تسر الأمير وتحقق رصاه .
فعى فتح قابس هذا قال ابن حطيب سوسة قصيدة ، منها :
ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت بحد سفك قابسا (٨٩)

ولا يغفل من ذلك ما تقسوله بعض الروايات من أن مكى بن كامل
الدهماني ، كان فى قابس سنة ٢٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، عندما كانت قوات تميم
تفتح صفاقس ، ونطرد منها حمو بن منيل لكى يلجأ الى الدهماني ، مما
يأتى ذكره .

بعد الاخير من حكم تميم :

واحققة أن الزمان كان قد بدأ يصحك فعلا للأمير تميم ، ونحن الآن
فى مصنع استسوات العشر الأخيرة من ملكه ، إذ كان قد استعاد من قبل .
عددا من مدن الساحل العاصية ، من : طرابلس الى صفاقس وسوسة وكذلك
بونس ، وإن كان ذلك بشكل عابر ، إذ سرعان ما كن يعود أصحاب تلك
المدن من المتعلبين أو كان أهل المدن أنفسهم يحنون الى العودة اليهم - وإذا
كان الحر قد حيم على البلاد بسبب المجاعة التى خربتها والعلاء ، سنة
٢٩١ هـ / ١٠٩٨ م القرية ، فإن فتوحا جديدة تمت فيها فى بلاد الساحل .
مثل فتح جزيرة جربة مقابيل قابس ، وجزيرة قرقنة ، مقابيل سوسة ،
ومدينة قوتس من جديدة (٩٠) . هذا ، كما تخففت البلاد أيضا من ثقل بعض
العرب الهسالية ، حيث كان خروج قبائل عدى من أفريقية أمام قبائل
رياح (٩١) . وإذا كانت الخلافة العاطمية فى القاهرة قد أصيبت بأحساق
عالمى عندما تعرضت فى السنة التالية (٢٩٢ هـ / ١٠٩٩ م) لكارثة سقوط
بيت المقدس بين أيدي الفرنج من الصليبيين (٩٢) ، تماما كما شاركت نائبها
فى أفريقية فى كارثة سقوط صقلية قبل ذلك بسنوات ، كان تميم ، رغم
ظروفه الصعبة يحاول التهوض مما تعرض له من كبوات .

(٨٩) بطرس الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، والنويرى ، ص ٣٥٩ .
(٩٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٧٩ ، والنويرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عسارى ، ط ٠ بيروت ،
ج ١ ص ٤٣٤ .
(٩١) ابن عسارى ط - بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .
(٩٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٨٢ .

فتح صفاقس : ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م :

وزراء ما تعرض له تميم من خطر حمو بن مليل ابرغواطى الذى كان قد أكد سلطانه فى صفاقس ، بل وارتفع بنظام حكمه عندما استعان بواحد من كبار وزراء المعر بن باديس السابقين ، الأمر الذى دعا تميما الى محاولة شراء ذلك الرجل ، دون جدوى ، قرر تميم تصفية النظام المخالف له فى صفاقس باستخدام كل من القوة والحيلة . فهو عندما يرسل قواه ، سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، لحصار صفاقس يأمر قائده بهدم ما حول المدينة ، وحرق الأشجار وقطعها باستثناء ما يعلق بالورير العنيد . وكان الهدف من ذلك هو إثارة الشك فى حسن نوايا الورير بالنسبة لحمو ، وهو ما حدث فعلا . فلقده انهم حمو وزيره بالتآمر مع تميم ، وأنزل به العقوبة العظمى ، جزاء الخيانة ، الأمر الذى ترتب عليه انحلال نظام الدولة . وهكذا سقطت صفاقس بين أيدي عسكر تميم ، وخرج حمو منها ، وقصد مكين بن كامل الدهماني الذى كان قد عاد الى ملك قابس ، فأحسن اليه ، وأنزله فى كتفه الى أن مات عنده (٩٣) .

السنوات الأخيرة من عهد تميم بن المعز :

وتوالى السنوات الأخيرة من حكم تميم بن المعز ، الطويل ، وهى تسرى دون أحداث هامة ، سوى وفاة المنصور الحمادى صاحب بجاية والقلعة سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م ، وإمارة ابنه باديس الذى لم يقدر له الحياة طويلا ، فعلى بعده أخوه العزيز بالله ، فى نفس السنة (٩٤) ، وفى نفس السنة تعرضت المهديّة لغارة من قبل « الرومانيين » تعيد ذكرى هجوم أسباطيل جنوه وبيزا وحلفائهم ، منذ ثمانى سنوات ، وإن كان بإمكانات أقل . وفى هذه المرة قام بالهجوم عدد من الشوانى ، وهى المراكب الكبيرة التى تحمل المعدات الثقيلة من الخيل وغيرها ، وبصحبته ٢٣ مراكبا معاونة . وتلخصت خططهم الحربية فى محاولة سد باب دار الصناعة لمسح الأسطول من الخروج للقائهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، وتمكن الأسطول من الخروج لهم وهزجنهم بعد قتل أعداد كبيرة من رجالهم (٩٥) .

(٩٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٩٨ ، الفويرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .
(٩٤) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ٦ ص ٤٣٤ ، الفويرى ، ص ٣٦٠ .
(٩٥) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .

وابيع تميم هذا النصر التاريخي في السنة التسالية (٤٩٩ هـ /
١١٠٦ م) ، بمحاولة الخصاع جريره جريئة انى عرفت بزعمها
الاستقلالية ، واعمالها العدوانية في البحر ، حسير اليها حملة برية بحرية
بقيادة ابي الحسن الفهرى ، ولكنه ازاء استعدادات الجريير للقاء ، رأى
الفهرى الاجندوى في حربهم ، فعاد ادراجة ، مكثها من الغنيمة بالاياب (٩٦) .

وقبل وفاته ، في ختام القرن الخامس الهجرى وبداية السادس ، سنة
٥٠١ هـ / ٦ - ١١٠٧ م ، تعرض تميم لهزة عنيفة من جانب عرب رياح
الهلالية ، وذلك ان احد بطونهم ، وهم جماعة الأخضر ، غدروا بمدينة باجة ،
وغلبوا عليها ، وملكوها بعد ان قتلوا كثيرا من الخلق فيها (٩٧) ، الامر الذى
يمكن ان يكون سببا في التعميل بوفاة الامير تميم ، كما يمكن ان يفهم من
رواية ابن خلدون (٩٨) . وذلك في الوقت الذى كان يوسف بن تاشفين
المرابطى ينهى حكمه في المغرب والأندلس ، بينما كان محمد بن تومرت ،
مهدى دولة الموحدين ومؤسسها ، يبدأ رحلته الشرقية من جبل هرة في
بلدة السوس الأقصى ، لطلب العلم ، أول الطريق الى تأليفه للمذهب التوحيد
الذى يعيبد الوحدة لسكن بلاد المغرب والأندلس ، الامر الذى يعتر من
المنعطفات الحاسمة في تاريخ المنطقة بما فيها جزر المتوسط وبضمنها صقلية
وجنوب إيطاليا .

(٩٦) ابن عدوى ، ص ٥٠ ، بيروت ، ج ٩ ، ص ٤٣٤ .

(٩٧) ابن عدوى ، ص ٥٠ ، بيروت ، ج ٩ ، ص ٤٣٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .

(٩٨) ابن عدوى ، ص ٥٠ ، بيروت ، ج ٩ ، ص ٤٣٥ ، حيث يسع العلة على باجة بقوله : وملك تميم اثر ذلك

سنة ٥٠١ هـ / ٧ - ١١٠٨ م .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيبري

عهد أبي القاسم :

سار المعز لدين الله الى مصر وقد ترك في صقلية أبا القاسم على بن الحسن بن أبي الحسين ، نيابة عن أخيه أحمد ، بعد فشل استبدال أسرة الكلابيين وتعيين مولاهم يعيش ، وذلك سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م . وبعد وفاة أحمد بعد أشهر قليلة ، ثبت أبو القاسم في الولاية ، وبذلك نأكد حكم الكلابيين وراثيا في الجزيرة ، تحت ولاية الخيفة في القاهرة .

جهاد الروم في مسينا وكلايريا ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م :

ولقد حقق أبو القاسم في الجزيرة ما كان يرجوه أهلها من الهدوء والسكينة ، حتى تمكن معهم من مواجهة الأعداء الروم الذين كانوا يهددون كلايريا ومضيق مسينا الاستراتيجي . وهكذا نسجل حوليات الجهاد في صقلية أن الأمير أبا القاسم سار في سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ، في عساكر المسلمين ، ومعه جماعة من الصالحين والعلماء ، الى مدينة مسيني التي كان يهددها العدو ، حيث نزل الروم ، وذلك في شهر رمضان / مارس ، فاهرموا هاربين في المراكب (١) . وكانت فرصة للأمير أبي القاسم لكي يعبر المضيق الى كلايريا ، وينتجح برجانه شمالا الى كسنته (Cosenza) ، في وادي كراتي (Crati) ويصرب عليها الحصار أياما الى أن طلب أهلها الأمان ، الذي تم نظير دفع مبلغ من المال . والظاهر أن أصحاب أبي القاسم من المجاهدين الصالحين والعلماء ، المتحمسين للجهاد من غير الجيش النظامي ، كان يمكنهم أن يقوموا بغارات لحسابهم الخاص في المنطقة . فهذا ما يمكن أن يكون تفسيرا لما يقوله ابن الأثير من أن أبا القاسم عندما رحل عن كسنته ، سار الى قلعة حلوا ، ففعل كذلك بها وبغيرها (٢) ، وهو ما يجد تفسيرا عند جاي (J. Gay) الذي يشير الى أن أبوليا (Apulia) لم تسلم

(١) ابن الأثير ح ٨ ص ٦٦٦ ، وقارن حى إيطاليا الجيوشة (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ - حيث الإشارة الى أن حملة البيروطين التابعة على مسينا ، ربما تمت بمعاونة مراكب سر في أول عهد باسيل الثاني .
(٢) الكامل ، ح ٨ ص ٦٦٧ .

هي الاخرى من هجمات العرب ، منذ الهجوم على طارنت سنة ٢٧ - ٩٢٩ ، كما ان رعيم احدى الجماعات الاسلامية المحاربة (من المرتقة (Contolthere)) ، واسمه اسماعيل ، لقي حنقه قرب بيتاتو (Bitato) عبر نيفه من باري (٣) .

والحنقه ان ابا القاسم كان قد أمر ابناءه أن يذهب بالأسطول الى ناحية بربوه (ابوليا ؟) ويبيت السرايا في جميع قلورية ، ففعل ذلك ، وغنم عنائهم لشجرة ، وقيل وسبى ، قبل أن يرجع الاخوان سوريا الى المدينة : الخالصة (بلرم) (٤) .

وفي السنة التالية ٣٦٦ هـ / ٧٦ - ٩٧٧ م ، كان أبو القاسم يأمر بعمارة رهنقه القريه من بلرم على الساحل الشمالى ، وكانت قد خربت من قبل . ثم انه بدأ في الاعداد للغزو من جديد ، فجمع الجيوش ، وعمر المصنفي حيث توقف أمام مدينة أغاثة (San'Agata) الصغيرة ، الواقعة على ساحل المضيق بالقرب من ريو (Reggio) ، فطلب أهلها الأمان ، فامنعهم نظير تسليم القلعة بكل ما فيها من سلاح وعتاد . ثم انه واصل الطريق الى مدينه طارنت (Otrante) فوجد ان أهلها قد فروا منها بعد أن أغلقوا أبوابها ، فصعد الرجال السور وفتحوا الأبواب ، ودخلها أبو القاسم الذي أمر بدمها ، فخربت وأحرقت . ومن هنا أرسل السرايا التي بلغت مدينة « أذرن » وغيرها ، بينما سار هو الى مدينة « عردلية » وشن عليها الحرب حتى عقد أهلها الصلح معه نظير دفع مال الفداء لكي يعود بعد تمام الحملة الى المدينة : الخالصة (بلرم) (٥) .

(٣) حاي ، إيطاليا الجنوبية . (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقارن حاي ، إيطاليا الجنوبية . (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ . حيث يصف الى ذلك انه خلال ذلك الوقت كانت هناك جماعات اسلامية أخرى جوش من وادي البراندانو (Brandano) وتاتي لمهاجمة حراسا (Gravina) وهي الكار احسن في قلب منطقة مورجي (Murgie) جنوب غرب ناوي . وان مدينتي مارب وارجه (Ofra) كانتا هدفا للهجوم الذي أوزع أهل المدينة الأخيرة (أوريه) فمركها لكي يحرقها العدو .

(٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ . وقارن حاي ، إيطاليا الجنوبية . (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ . حيث يصف انه ما بين ٩٧٨ و ٩٨٦ م / ٤٦٨ - ٤٧١ هـ ، كانت كلابريا وأبوليسا (Apulia) هدفا مستمرا للغارات الاسلامية ، وان حكومة بربطة على عهد اسميل الثاني كانت عاجزة وقتئذ ، حسب نووة بورداس سكليريس (Bordas Skleres) . الامر الذي كان يدفع المدن الايطالية الى تفضيل الدفاع عن نفسها ، =

استشهاد أبى القاسم أمام أوتو الثانى وولاية ابنه جابر :

وفى المحرم من سنة ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨١ م ، انتهى حكم أبى القاسم لصقلية اذ راح شهيدا فى ميدان الجهاد بإيطاليا . وفى شهر دى الفعدة من السنة السابقة ٣٧١ هـ / ابريل - مايو ٩٨٢ م ، تعرضت كلابريا لغارة عنيفة قام بها احد ملوك الفرنج الذى يدعى يردويل عند ابن الاثير ، وهو فى الحقيقة الامبراطور أوتو الثانى ، الذى ضرب الحصار على قلعه اسلاميه هناك وتمكن من أخذها ، بعد أن أنزل الهزيمة بسريين اسلاميين (٦) . وهنا خرج أبو القاسم عبر مضيق مسينا بعساكره ليطرد الفانجى الفرنجى من تلك القلعة ، ولكنه ما ان اقترب منها ، وعرف بقوة الفرنج وما فعلوه بالمسلمين هناك ، حتى تمككه الخوف ، فجبر عن اللقاء ، واستسمح كبار قواده فى الرحيل دون أن يعرضوا على ذلك . وعندما رأى رجال أسطول العدو الرومى رجوع المسلمين على أعقابهم أخطروا للملك الفرنجى بذلك ، وطلبوا منه اسهار الغرة فى المسلمين . وهنا جرد أوتو عسكره من أثقالهم ، وسار بهم جريمة فى اثر المسلمين فأدركوهم فى المحرم ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨٢ م . ونجح الفرنج فى اختراق قلب القوة الاسلامية التى اخل نظامها ، واتجهوا حيث للأعلام المحيطة بالأمير أبى القاسم ، وتمكنوا من الوصول اليه حيث ضربه . أحدهم « على أم رأسه » ضربة قاضية .

وإذا كان الخوف والجن قد أدى الى نهاية القائد الأمير فإن التصميم على العودة والظفر من جانب الذين كانوا قد فقدوا شجاعتهم من هول المفاجأة ، أنهت القتال الى صالح المسلمين الذين صمدوا فى اللقاء حتى هزموا الفرنج « أقبسح هزيمة) ، وقتلوا منهم نحو ٤ (أربعة) آلاف قتيل ، وأسروا عددا كبيرا من كبار قوادهم من البطارقة ، وغنموا كثيرا من أموالهم ، ولم يسوقفوا

وجدها - دون البيزنطيين - اذا لزم الأمر ، بل وان تدسج للمعمرين المسلمين نفس شراء انسحابهم . وان وصول الخطر الاسلامى الى الاراضى الرومادية هو الذى دفع الامبراطور أوتو الثانى الى التفكير فى حملته على حروب إيطاليا . وانظر ص ٣٢٨ - حيث اطلعت الى روما ، كيف يرى حاي انه كان هناك حلف بين العرب وبين البيزنطيين الذين كانوا يحبون الفرائب .

(٦) انظر ابن الاثير ، ج ٩ ص ١٢ - حيث القارة خطأ ، على صقلية ، وكذلك القلعة ومالطة . حطا ، وفارن ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة ، الترجمة ، ص ٣٠٧ - حيث الاشارة الى ان تلك الغارة كانت لأوتو الذى كان يرمع الاسبيلاء على كل الاراضى البيرنطية . الأمر الذى أدى الى نوع من التناوب بين الروم والمسلمين ضدهم .

عن صاحبهم الا بعد ان ادركهم الليل (٢) .

ومكثا فان على ويو الساسي ان يمر الى حيائه في رسائه (Rossana)، حيث كانت روحه الامبراطورة نيوفانو في صحبه . فعاد برئاله الى رومة (ليارديا) من حيث أتى (٨) .

وبعد مقتل «بني القاسم» قام ابنه جابر ، الذي كان بصحبته ، مقامه ، ورحل بالمسلمين على عجل ، دون توقف حتى لأحد المعادم من السلاح . «بعمر الخرائي» . وبذلك أنهى ابو القاسم ولايته التي استمرت أكثر من ١٢ (اثني عشر) سنة . مرضيا عنه من رعيته ، لما عرفوه فيه من العدل بهم ، والشعفة عليهم ، والاحسان اليهم . وولى بذله واحسانه قيل انه كان «عظيم السدرة» . لم يخلف ديناراً ولا درهما ولا عفاراً ، فانه كان قد رقت جميع أملاكه على المعراء وأبواب البر (٩) .

معالم بلرم على عهد أبي القاسم :

وحلال ولاية أبي القاسم زار ابن حوقل ، الجعافي والرحالة العراقي سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، جزيرة صقلية ، وقدم عليها معلومات تجمع ما بين الأهمية والطرافة . من : الفقر في بلد كان غنيا ، والتظاهر بالتدين مع تعير الضمائر وفساد المذاهب ، وكثرة الأربطة على السواحل مع الطمع في أموال الناس ، وفساد الأخلاق ، الى النهرب من الخدمة الجهادية بالدخول في سلك التعليم (١٠) .

فمن وجهة النظر الاقتصادية يصف ابن حوقل بلرم بأنها مدينة العائمة ذات الأسواق الكبيرة المتخصصة في أنواع المتاجر المختلفة (ص ١٤) ، والنص على ان ذلك كان في الماضي . أما المشاهد ، فقد استعالت جميع

(٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - ١٤ .

(٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - ١٤ . حيث النص على ان مستشار الملك اليهودي افتداه عسما . ورفق بربه اعاء . وقدم له مطبخ . وأعطى أرشيكال لويي ، ص ٣٠٧ . حيث كان هربت اربو على ظهر مركب برهلي التفتله عموا وحمله من كلابريا الى دلدو في إيطاليا ، حيث توفي مبروبا بفشل مشروعه الموسعي ، وذلك في ٩٨٣ م / ٧٢ هـ . ٣٧٣ هـ ، وقارن ماريسح كامريديج في المعبر الرسيد . ج ٣ فصل ٧ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٤ .

(١٠) صورة الأرض ، ط . بيروت ، ١٦٧٩ ، ص ١٢٢ .

أمورها من الخصب إلى الجلب ، بسبب بغصهم التجار الغرباء المجهزين . مع قوام مصاحبتهم بالجلالين ومقرهم وفاقهم إلى المسافرين ، لآيا جريرة ٠٠٠ وجميع ما تقع إليه الضرورات ٠٠٠ من سائر الطبقات مجلوب إلى بلدتهم ، باستثناء ما ينتجه جريرتهم ، من : القمح والصوف والشعير والخمر ، وشيء من القند والكتان (ص ١٢٤) .

أما عن التدين ، فمع كثرة المساجد والربط العديدة على ساحل البحر ، فهي مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق ٠٠٠ قد عملوا السجادات ، مصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات ٠٠٠ وأكثرهم يهودون (ص ١٥ - ١١٦) ، مع فساد المذاهب إلى حد أن « المشعشعون » يسمحون بالزواج من المسيحيات ، على أن يكون الأولاد مسلمين ، والبنات مسيحيات (ص ١٢٣) .

وفي التعليم والجهاد يغلب على البلد المعلمون والمكاتب ، ومع ذلك فإن كثرتهم تضطرد مع قلة مفعنتهم نفوذهم من الغزو ، ورغبهم عن الجهاد ، حيث كان سبق الرسم بإعفاء المعلمين قديما من الجهاد ، فعزع إلى التعليم البهلاء والجهلة (ص ١٢٠) .

وإذا كان ابن جبير يقدم لنا صورة بنية عن بلرم الوردندية التي زارها بعد حوالي قرنين من ابن حوقل ، من حيث جمال المخير والمنظر ، وبسائط البساتين ، وأسكنك الفسيحة والشوارع الواسعة ، والديارات المروقة البنيان ، والكنائس المصاغة فيها بالذهب والفضة الصبيان ، فإن الأحياء الإسلامية كانت ما زالت تحتفظ ببعض الملامع القديمة مما سجله ابن حوقل . فأكثر المساجد عامرة تقام فيها الصلاة بأذان مسموع ، والأسواق معمورة بالمسلمين ، وهم التجار فيها . والمساجد كثيرة لا تحصى ، وأكثرها محاضر لعلمي القرآن (١) .

أما عن ساء بلرم فزى النصرانيات فيها هو رى المسلمات ، فهن منتحصات ، متحشبات ، قد لسن ثياب الخريز المذهب ، والسحق اللحف الرائحة ، وانتقبن بالنقب المسورة ، وانعلن الأخفاف المنهدة ، وبرزى

(١) رحلة ابن حبير ، ط . ١٩٧٩ ، ص ٣٠٥ .

لكنائسهن حاملات جميع زينته المسلمين ، من : التحلى والتخضيب والنعطر^(١٢) .

وهكذا حافظ المسلمون الصقليون على سماتهم الحصرية المميزة التي جمعت ما بين متطلبات الدين والدنيا ، بعد قرنين من امتلاك النورمنديين للجزيرة . فالسوء المسلمات كن قدوة النورمنديات في الملبس والزينة ، والتجار المسلمون كانوا مهيمنين على أسواقهم ، والمساحد الكثيرة كانت مدارس تعليم القرآن -

جابر بن أبى القاسم أمرا :

وهكذا لم يكن من الغريب أن يصبح أبى القاسم ، فى رحلات جهاده ، جماعات الصالحين والعلماء ، مما سبقت اليه الإشارة ، فى آخر عزوانه فى كلايريا . أما عن جابر ابنه فان الخليفة الفاطمى العزيز بالله بالقاهرة أقره فى الامارة ، حسب اختيار أعيان العسكر ، ولكنه لما لم يكن يتمتع بمثل حسن سمعة والده ، الأمر الذى صار فى غير صالحه بدلا من أن يكون سنداً له ، فانه خلع بسرعة من قبل الصقليين ، وانتهى ضحية مؤامرة بلاط فى القاهرة ، بعد أن استدعاه ديوان الخلافة الى هناك^(١٣) .

أمراء عابرون يحبون العافية :

وخلف جابر ابن أخيه : جعفر بن محمد بن أبى القاسم على ، بأمر الخليفة العزيز سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م . ويذكر جعفر أنه اعتنى بأحوال الأرض من حيث تقويتها والعمل على تحسينها ، وأنه حظى باحترام الخاصة لعلمه ، وحب العامة لكرمه ، ولكنه لم يقدر له البقاء فى الولاية طويلا ، إذ توفى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٦م ، بعد ثلاث سنوات فقط . وأتى بعد جابر أخوه عبد الله بن محمد بن أبى القاسم على ، الذى توفى سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م ،

(١٢) رحلة اس حبير ، ط . بيروت ، ١٩٧٩ - ص ٣٠٧ . وانظر أيضا ص ٣٠٦ - عن كسمة الانطاكي حيث هي أعجب مصانع الدنيا المخرقة حذر بها الدخلة كلها ذهب ، وفيها ألواح الرخام الملون ٠٠٠ قد رصبت كلها بصوص الذهب وكللت بأسعار القصوى الخضر ، ونظم أعلاها بالشمسيات المذهبات من الزجاج التى تحفظ للأبصار ، وتحدث فى النفوس قمة - يستعبد وحالتنا الموحدة - بالله منها .

(١٣) أحمد عريير ، صقلية الاسلامية ، مالانجليزية ، ص ٣٦ - ٣٢ .

ولكنه ما يؤسف له أننا لا نعرف ماهية إنجازاته ، بعد ولايته التي طالت
إلى ٤ (أربع) سنوات وأكثر (١٤) .

ثقة الدولة يوسف بن عبد الله :

حكم قواعده ، العدل والجهاد والجود :

وولي بعد عبد الله ابنه يوسف ، وكان والده قد عينه كخلف له ، وافر
الخليعة العريز بالفساهرة تلك الولاية ، وأسم عليه بنقب «ثقة الدولة» (١٥) .
وفي تقييم عهد يوسف بن عبد الله ، يصح ابن عذارى على « كون الناس في
أيامه على أفضل ما يشتهون ، واستقامت الامور ، وأداح بلاد الروم ، وظهر
من كرمه وجوده ما هو معدوم من كثير من البلدان (١٦) » . وهكذا كان ليوسف
نشاطه الجهادي حيث قام ببعض الغارات على الأراضي البيزنطية في جنوب
إيطاليا . ففي سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م نجح في الاستيلاء على بلدة ماتيرا
(Matera) ، بعد مقاومة عنيدة (١٧) ، كما كان لثقافته الخاصة أثرها في
أدب تلك الفترة (١٨) . وما يؤسف له إصابة يوسف بن عبد الله في سنة
٣٨٨هـ / ٩٩٨م بالقالج (الشلل) ، فالت ولاية صقلية إلى ابنه جعفر (١٩) .

(١٤) أنظر رامبارد ، معجم الاسماء ، والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، تعريب
ركي حسن وحسن محمود ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٠٧ . عزيز أحمد ، صقلية الإسلامية ،
بلاطينية ، ص ٣٢ - حيث النص خطأ على أن وفاة عهد الله كانت في نفس سنة ولايته
٩٨٦م .

(١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ ، عزيز أحمد ، صقلية الإسلامية ، ص ٣٢ ، رامبارد ،
معجم الأسباب ، الترجمة ، ص ١٠٧ .

(١٦) البيان ، ج ١ ص ٢٤٥ ، وأنظر المؤرخ لابن أبي ديمار ، ص ٧٨ (سنة ٣٧٦هـ) .

(١٧) كما نجح القائد العربي أبو سعيد (Busito) في التحالف مع الأمير
الروماني سمارساجدوس (Smarsagdus) ، وأغراه مقتل أحد كبار الموظفين البيزنطيين في
مدينة أوريه ، نظير مساعدته على دخول مدينة ناري ، وهو ما لم يوفيه له -

(١٨) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، باليونانية ، ص ٣٦٨ ، عزيز أحمد ، صقلية الإسلامية ،
بلاطينية ، ص ٣٢ .

(١٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٤ (أحداث سنة ٤٨٤) ، وقاوس أقطاط الحفا ، ج ٢
ص ٩٩ - حيث النص في أحداث سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م ، على أنه في أواخر رجب - فبراير
فتح أبو الفتح يوسف بن عبد الله أبي الحسين ، أمير صقلية ، ليعتقل حاكمه الأسير فقام
بالأمير ابنه أبو محمد جعفر بن يوسف ، وكان بيده سجل الحاكم بولايته بعد أبيه .

جعفر بن يوسف أميرا ،

وبداية التفكك في الأسرة الكلية :

اردهر نظام الحكم في صقلية على عهد جعفر بن يوسف بن عبد الله ، من حيث ارفع شأن الأمير في برم والمخالصة (قصبة الحكم والادارة) ، فكانه منك متوج . فنقد أنعم الخليفة الحاكم بأمر الله على جعفر بلقبى « ناج الدولة » و « سيف الملة » (٢٠) ، كما أحاط جعفر نفسه برجال الدولة ، من الوزير والحاجب ، فكانه حاكم مستقل حتى أضفى عليه شعراء بلاطه في مدائحهم لقب الملك .

ولم يمنع الاهتمام بالبلاط وقطم الحكم ، من مواصلة الغزو في جنوب إيطاليا . ففي سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م ، أتى جيش كبير بقيادة القائد صامى لحصار مدينة باري ، بينما هاجمت المراكب العربية المدينة من جهة البحر ، ولدسمر ذلك الحصار من أوائل مايو حتى ٢٠ سبتمبر ، عندما جاء أسطول البندقية ، الذي أصبح بمثابة شرطى البحر الأدرياتي ، كما يقول جاي (٢١) . فنقد دخلت سمر البندقية ، التي أحسن الأهالي استقبالها بميناء المدينة ، كما انتشرت بعض قطعها في الضواحي . وخلال ثلاثة أيام دارت رحى حرب شديدة انتهت بانسحاب المسلمين ليلا . ولكن الأساطيل العربية ظلت نشطة في منطقة كلابريا . ففي سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م النقت المراكب العربية بمراكب الروم قرب ريو ، ولم ينقد المراكب البيزنطية الا تدخل سفن بيزا الى جانبها . وفي سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م كانت القوات الاسلامية تصعد في كلابريا الى وادي كراتي (Crati) ونجل كسنتة (Cosenza) مسيرة أخرى (٢٢) .

وخلال تلك الفترة كانت صقلية ملجأ للعساء من أهل أميرية عندما يحيم القحط والغلاء على البلاد ، مثلما حدث في سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م ، حيث وفد على الجزيرة كثير من أهل الحاضرة والبادية (٢٣) . هذا كما كانت صقلية على أواخر أيام جعفر ، محط أنظار العساء من الشيعة في القيروان

(٢٠) اعطى الحما ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٢١) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٢) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٣) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٥٧ .

والبلدية ، عندما تعرضوا لثورة العامة بهم اعتبارا من سنة ٤٠٩ هـ /
١٠١٨م (٢٤) .

ويكن مظاهر التقدم في البلاط الصقلي ، بل وعلم الأمير جعفر وثقافته
التي لم تكن ترتفع الى مستوى ثقافة والده على كل حال ، لم تكن له حجب
ما كان يصف به من الخمول والبخل والفسوة ، الأمر الذي كان له رد فعله
في نفوس أفراد الأسرة حيث بدأ الشقاق يدب بينهم ، معلنا بوادر
الاضمحلال .

ثورة علي بن يوسف واستيلاء جعفر :

في سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٥م قام احد احوة جعفر بالثورة عليه .
بمساعدة جماعة من البربر والعبيد السودان ، وذلك في اول شعبان /
٢٥ فبراير ، ولكن رجال جعفر نجحوا في القضاء على الثورة فشتتوا البربر
والعبيد ، وأخذوا عليا أسيرا في ٧ شعبان / ٣ مارس ، وهنا أم يرحمه أخوه
الأمير فقتله ، الأمر الذي زاد في آلام يوسف والدهما ، الذي كان ما زال
يعاني من الشلل (٢٥) .

وكان من نتائج ذلك أن فقد جعفر صوابه فانتهج سياسة تمسقية
متطرفة ، وذلك أنه نفى كل بربري بالجزيرة الى أفريقية ، كما نفى أوامره
بقتل كل طائفة العبيد من العسكر الأمري ، واستبدل بهم جنودا من
الصقلبيين البلديين . هذا ، كما انتهج جعفر سياسة عنيفة مع أهل بيته ،
فقهر أخوته واستطال عليهم ، الأمر الذي أضعف مركزه ، وأطمع فيه أهل
الجزيرة .

سياسة مالية متشددة تفجر الثورة ضد جعفر :

وهكذا وبينما كان جعفر يعمل على احكام قبضته على دواوين الإدارة .
ويعتنى بصفة خاصة بترتيب الشئون المالية ، مصدر التمويل الأول للحرارة
العامة ، وذلك بتطبيق نظام قاس على عماله في جباية ضريبة العشر التي

(٢٤) م عداري ، ج ١ ص ٢٦٩ ، وما سبق ، ص .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلام ،
بالانجليزية ، ص ٣٢ .

يسطرها على ما بعله الأرض من حب أو غيره ، ومطاردة المتخلفين عن الدفع ، دون رعاية لآعيان البلد من القواد والشيوخ أو أفراد الأسرة الحاكمة ، انفجرت الثورة بين أهل صقلية • ووجدى جعفر بالجميع ، كبارا وصغارا ، وقد حاصروه فى قصره ، فى الحى الحكومى من بلرم المعروف بالخالصة ، وصيقوا عليه حتى كادوا يأخذونه ، وذلك فى المحرم من سنة ٤١٠ هـ / مايو ١٠١٩ م • وهما كان هلى كبير الأسرة ، يوسف الوالد ، الذى كان معنوجا الخروج فى محفة الى الثوار ، فيثير أشمجا بهم بلطف حديثه ورفقه بهم ، حتى « بكوا رحمة له من مرضه ، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكحل » ، الأمر الذى وافقهم عليه (٢٦) •

ولما كان يوسف قد خاف على حياة ابنه جعفر من الثوار ، فإنه قرر تسييره الى مصر عن طريق البحر ، كما سار هو بعده الى هناك ، وكان معهما من المال الكثير ما قدر بمبلغ ٦٧٠٠٠ (ستمائة وسبعين ألف) دينار (٢٧) •

أحمد الأكحل بن يوسف ثقة الدولة ،

واليا لصقلية فى متعطف حاسم :

تعتبر ولاية أحمد الأكحل مرحلة فاصلة فى تاريخ صقلية الاسلامية ، من حيث كانت بداية النهاية ، ليس بالنسبة لأسرة بنى أبى الحسين الكلبين ، بل بالنسبة لبقاء الجزيرة اسلامية أم لا • وفى ذلك الوقت كانت السياسة البيزنطية تعمل على تقوية نفوذها فى روما ، كما كان الباسيليوس (ملك الروم) يفرى علاقته مع الامبراطور أوتو الثالث ، وذلك فى الوقت الذى تصادف فيه نزول النورمانيين لأول مرة فى منطقة أبوليا ، ١٠٠٩ - ١٠١٨ م / ٤٠٠ - ٤٠٩ هـ •

والحقيقة ان أحمد الأكحل بدأ ولايته بداية قوية ، رفعت من شأنه بين ولاية صقلية المجاهدين • وفى ذلك تقول رواية ابن الأثير أنه أخذ أمره

(٢٦) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٩٤ -
(٢٧) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٩٤ - حيث النص على أنه كان يوسف وقتئذ ١٣ ألف سحره سوى المال وغيرها ، وأنه مات فى مصر فقرا ، ليس له إلا دابة واحدة - أى لتركته الشخصى •

بالحرم والاجتهاد ، وجميع المقاتلة ، وبث السرايا في بلاد السكفر ، فكانوا يحرقون ويغصون ويسبون ، ويحربون البلاد ، وانه أطلعاه أيضا جميع فلاح صقلية انسى للمسلمين (٢٨) . ومع بول المورمان في أبوليا (Apulia) تغيرت موارد القوى ، ووفق القائد بارييل بوجوسير (Basile Bojaannes) الذي عهدت اليه الامبراطورية بسقويم الموقف في صقلية . في قيادة الصراع ينجح ضد الامبراطورية الجرمانية ، وفي تحسين مدينة ريو ضد العرب ، ثم التروك في مسينا ، وذلك في الفترة من ١٠١٨ - ١٠٢٨ م / ٤٠٩ - ٤١٩ هـ (٢٩) .

محاولة للمساعدة من المهدية لا يندر لها النجاح :

وأمام هذا التهديد البيزنطي في كلايريا ومسينا ، عرض المعز بن باديس المساعدة على الأمير الأحملي (أحمد بن يوسف) الذي لم يكن أمامه الا القبول . وفعلا جهز المعز في سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م ، أسطولاً كبيراً ، من ٢٠٠ قطعة ، حشد فيها المسكر النظامي والمطوعة من المجاهدين ، وسمره على شغل في قلب الشتاء (في كانون الثاني : يناير / ذي الحجة) ، ولكنه عندما قرب من جزيرة قوصرة (نينلاريا) في شمال تونس ، تعرض لرياح شديدة ونوء عظيم ، لم يفلح في مقاومته ، ففرقت أكثر المراكب ولم ينج منها الا اليسير (٣٠) .

نجاحات مبشرة في الصراع البحري ضد الروم :

وعندما بدأ القائد بوجونيز يلاقي المصاعب اعتباراً من بداية الغزوة المورمنية الثاقبة لأبوليا ، فيما بين ١٠٢٨ - ١٠٤٠ م / ٤١٩ - ٤٣٢ هـ ، وانهزمت الامدادات البحرية البيزنطية بحث قيادة الحصى أورستيس (Orestes) على أيدي القواب العربية قرب مدينة ريو ، كان من نتائج

(٢٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ - هذا ، كما كانت علامة الانحدار لهذه الخلافة بالمعنى ، حيث أرسل له الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م سحلاً بمعية ابن العاصم ابن روق المماليكي ، ومدة فيها مسات من النصر

(٢٩) حاي ، إيطاليا الجنوبية ٥٠٠ بالفرنسية ، ص ٤١٤ وما بعدها .

(٣٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٢ (سنة ٤١٦ هـ) - حيث النصر على ابن العاصم في تجهيزه الأسطول ما عرفه من خروج الروم الى صقلية في جميع كبر عسكرها ما كان للمسلمين بحرية قنطرة وشرعوا في بناء المساكن لمضطرون وصول مراكبهم مع ابن أدر الملك .

ذلك عوة الغارات العربية على عهد رومن ارجير (Roman Argyre) ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م / ٤١٩ - ٤٢٦ هـ ، وذلك بمعرفة الأساطيل الزيرية والكلمية المتعاونة فيما بينها ، في الاعارة على الأراضي البيروية في أبوليا وشمال كلابريا وحتى النيريا (Ellyria) ، عرب البحر الأيوية . بل ان الهجمات العربية امتدت شرقا الى جزيرة كورفو (حوالي ١٠٣٢ م / ٤٢٣ هـ) ، بل وحتى ساحل تراقيا .

والى ذلك الوقت كان البيزنطيون مستعدين للمفاوضة من أجل السلم . ولكنه اعتبارا من سنة ١٠٣٣ م / ٤٢٥ هـ كانت الغارات العربية قد توقعت على كلابريا وأبوليا (٣١) ، الأمر الذي يقصره اضطراب الأمور في صقلية ، وضعف الأمير الأكحل عن مواصلة نشاطاته الجهادية ضد الروم في إيطاليا برا أو بحرا ، وذلك عندما ساءت العلاقة بينه وبين أهل صقلية ، الأمر الذي أدى بالتالى الى سوء العلاقة بين المعز بن باديس والأكحل ، وقض الحلف الذى كان بينهما .

الأكحل وسياسة « فرق تسد » :

وهكذا حاول الأكحل أن يستخدم سياسة « فرق تسد » حتى يضمن لنفسه استمرار السيطرة على الجزيرة ، حيث حاول أن يضم البلدين الصقليين الى جانبه ضد الأفريقيين ، ولكنه لما واجه رفضهم بحجة ان الطائفتين أصهار صاروا شبيئا واحدا ، ضم الأفريقيين الذين استجابوا لنداته ووقفوا الى جانبه ، فبدأ سياسة محاباتهم على حساب الصقليين . فكان يأخذ ضريبة خراج الأرض من أهل صقلية ويعفى أراضي الأفريقيين منها ، الأمر الذى أدى الى شكواهم الى المعز بن باديس (٣٢) . فكانهم كانوا ما يزالون يرون ان أمير المهديّة هو الرئيس الشرعى لأمير صقلية ، قل خليفة القاهرة البعيد الدار .

وكانت فرصة طيبة انتهزتها بيزنطة - للمفاوض من موقف أقوى وبشروط أفضل - ففي سنة ١٠٣٤ م / ٤٢٥ هـ وصلت الى صقلية سفارة من قبل الامبراطور ميشيل الرابع ، على رأسها الضابط المفاوض جورج

(٣١) حاي ، إيطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٣ وما بعدها ، وقارن

تحرير أحمد ، صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٣ - ٣٣ رد ٧ عن حاي .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ .

بروبانا (G Probata) ماوضت من أجل السلم الذى عقد من أنسطس
١٠٣٥م / شوال ٤١٧هـ . وعاد المفاوض البيزنطى الى القسطنطينية
وبصحبته ابن الأكحل الذى حصل لوالده ، من الامبراطور ، على لقب القائد :
(ماجيسترانوس (Magistratos) ، فكان الأكحل هو الذى يندلج
للامبراطور ، كما يقول جاي (٣٣) .

تدخل المعز في شئون صقلية :

والمهم ان المعز استقبل في سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ، وفد أهل
صقلية اندى أنه شاكيا ، برئاسة من يدعى ب « أبى حفص » (أحمد عزيز ،
ص ٣٣) ، وعرض عليه أمر الدخول في طاعته تحت التهديد بتسليم البلاد
الى الروم ، مما يعنى انشعاقا خطيرا بين الأكحل والصقليين . واستجاب
المعز لنداء الصقليين فأرسل معهم عسكريا بقيادة ابيه عبد الله ، يقدر بحوالى
٦ (ستة) آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، سجع في دخول المدينة ،
يلرم ، وحصر الأكحل في المدينة الأميرية : الخالصة . واسهت الحرب بين
الطرفين بمقتل الأكحل ، وسط انقسام الصقليين على أنفسهم ، ازاء قيادتهم
الزيرية الجديدة . ثم قيامهم ضد الغرباء من أهل أفريقية ، فزحفوا اليهم
وقاتلوهم ، وقتلوا منهم حوالى ٨٠٠ (ثمانمائة) رجل ، واضطروهم الى
الرجوع الى مراكزهم ، والعودة الى بلادهم : أفريقية (٣٤) .

وكانت فرصة انتهزها البيزنطيون سنة ٣٧ - ١٠٣٨م / ٢٩ - ٤٣٠هـ
لكى يغزو مسينة بقوة كبيرة ، على رأسها القائد جورج منياكس (Georges
Maniakes) الذى كان قد ظهرت مواهبه في حرب الشمام فيما بين ١٠٣٠ -
١٠٣٤م / ٢١ - ٤٢٦هـ ، والذي لحقت به قوة من النصارى الصقليين
تقدر بـ ١٥ ألف رجل . ولكنه اذا كان منياكس قد حقق تصعوبة انتصارات
بطينة في منطقتي رمطة وأتنا ١٠٤١م / ٤٣٣هـ ، فقد كان استدعاء ميناكس
الى القسطنطينية مناسبة سهلت على العرب في صقلية استعادة الأقاليم التى

(٣٣) جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . ، بالفرنسية ، ص ٤٣٥ .

(٣٤) ابن الأثير ، ج ٩٠ ص ١٩٥ ، وأظفر جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . ، بالفرنسية ،
ص ٤٣٦ - حيث النص على ان الأكحل عندما اتهم أمام عبد الله بن المعز حيا الى قائد ايطاليا
قسطنطين أوبس (Constantin Opos) الذى حاول عمرد المحقق برحاله القليلين لقتال
الحش الأمازيقى سنة ١٠٢٧م / ٤٢٩هـ .

الى الجزيرة تحت امرته ، كان من الطبيعي أن يدخل ابن الثمنة فرد صراع مع ابن الخواس ، صاحب قصر يابنة ، سره الجزيرة ، وهو الطموح أيضا مثله ، وقرينه ، هذا ، ولو ان الرواية ترجع صراعهما الى أسباب عائلية خاصة بالمصاهرة التي كانت بينهما (٣٧) .

الصراع بين ابن الثمنة وابن الخواس ،

والتدخل النورمندي في الجزيرة :

وانتهز ابن الثمنة فرصة الحصار العائلي ، وسار نحو قصر ينة حيث حصر ابن الخواس ، ولكن الأخير كان أكثر من ندد لصهره ، فخرج اليه ووجه في هزيمته ، بل « وتبعه الى قرب مدينة قطانية ، وعاد يعد أن قتل من أصحابه فأكثر » (٣٨) . وهنا خرج ابن الثمنة عن صوابه ، وسولت له نفسه الانتصار بالكفار من الأفرنجة النورمنديين الذين كانوا قد استثمروا في كلابريا ، والذين كانوا يرتون بأبصارهم ، مع البابوية ، نحو صقلية ومن فيها من المسلمين (٣٩) . وسار ابن الثمنة فعلا الى رجار ملك النورمنديين ، وعرض عليه وعلى من معه من كبار قادته تملكهم الجزيرة ، وعندما سألوه عن مدى ما يمكن أن يواجههم من المقاومة ، عرفهم ان عسكر المسلمين مختلفون ، فضلا عن ان أكثرهم تابع له ، يسمع قوله .

وهكذا كان على النورمنديين المستقرين بكلابريا أن يسبروا مسح ابن الثمنة في شهر رجب سنة ٤٤٤هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٠٥٢م ، وهم مطمئنون الى بلاد المسلمين ، « فلم يلقوا من يدافعهم ، واستولوا على ما مروا به في طريقهم » . ولكنهم عندما قصدوا قصر يانة وحاصروها ، خرج اليهم

(٣٧) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - حيث النص على أنه نسخة لمشاده كلامية بين ابن الثمنة وروخته ، أخت ابن الخواس ، أثناء مجلس شرف وسكر ، أمر ابن الثمنة بقصدها ، وتركها لتتوت لولا أن أقدمها انها ابراهيم بالأطباء ، ورغم قولها عذر زوجها بسبب السكر ، فانها دبرت زيارة لانبيها ابن الخواس لكي تخبره بما ألم بها ، فحلف ألا يبيدها الى زوجها ابن الثمنة -

(٣٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ .

(٣٩) أنظر أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة ، الترجمة ، ص ٢٧٣ - حيث خطر الورمان بحوب إيطاليا من ترغصهم روبرت حاكم كارد ، وهو أخو روجر الذي وقع على عاتقه إقامة دولة نورماندية في كلابريا . قبل التطيح الى صقلية بتحريض من البابا سنة ١٠٥٩م / ٤٥١هـ .

ابن الحواس ، فلما مزمه النورمنديون عاد الى حصه ، فحلوا عنه ، وساروا في الجزيرة ، واستولوا على مواضع كثيرة ، من حيث هجرة جماعات من أهلها الى أفريقية ، وخاصة من العلماء والصالحين - ممن يحرصون على دينهم أولا - وقبل كل شيء (٤٠) . وهذا لم يمنع ما كان دارجا من قبل من هجرة البعض ، بتشكيل مضاد ، من أفريقية الى صقلية ، ففي هذا الوقت ، حيث كانت بلاد القيروان تعاني من افساد العرب الهلالية كان الشاعر ابن رشيق ، الذي كان في خدمة المعز الى جانب ابن شرف ، يركب البحر الى صقلية ، لكي يقيم في مدينة مازر ، في كتف أميرها ابن منكود الذي تدارس معه كتاب العمدة . وكانت وفاته بمسازر في أول ذي القعدة سنة ٤٥٦ هـ / ١٥ أكتوبر ١٠٦٤ م (٤١) .

قتل التدخل الزيري في صقلية وضياع الجزيرة :

وأمام ما داهم الجزيرة من خطر النورمنديين سار جماعة من الصقليين الى المعز بن باديس ، وعرفوه بالأحوال المضطربة عندهم بسبب الخلاف ما بين البلديين والأفريقيين ، الأمر الذي استغله الفرنج النورمنديون في الاستيلاء على كثير من أرض الجزيرة ، وطلبوا منه التدخل . وأسرع المعز واستجاب لنداء من جديده وأسرع وأعد أسطولا كبيرا شحنه بالرجال والعتاد على عجل ، ودفعه دفعا الى الافلاج الى صقلية ، الأمر الذي يعتبر مغامرة قد لا تحمد مغبتها بسبب دخول فصل الشتاء . ومعلا ما أن وصلت المراكب الى جزيرة قوصرة (بنتلاريا) ، شمال تونس ، حتى هاج عايتها البحر ، فغرق أكثرها ولم ينج منها الا اليسير - الأمر الذي يخشى معه أن تكون هي نفس حملة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م (ما سبق ، ص ٤٨٨ وهـ ٣٠) .

والهمم أنه اذا كانت رواية ابن الأثير تعلق على ذلك بقولها : « وكان ذهاب هذا الأسطول مما أضعف المعز ، وقوى عليه العرب حتى أخذوا منه البلاد » ، فما هو الحق من ذلك ما قررته الرواية بعدئذ من القول : فملك

(٤٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - ١٩٧ . هذا ، وهو ان المروفي في الحاشية الفرعية ٤٨ روجار لم يبدأ غزوه لصقلية الا في سنة ١٠٦١ م / ٤٥٣ هـ - أي بعد حوالي عشر سنوات - عندما عبر خليج ميسينا واستولى على مدينة ميسينا نفسها ، ووصله الى قصر يافا ، ولو انه رجع بعد ذلك الى إيطاليا ، انظر أوشبالد لويس ، القرى البحرية ، الترجمة ، ص ٢٧٤ ، وقارن ادريس (هـ . ر .) ، الزيريون بالفرنسية ، ص ١٧١ - حيث عرض كثير من الاحتمالات لتفسير ذلك الخلاف التاريخي .

(٤١) انظر النموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق ، تحقيق المطري ، تونس ،

حيث أن الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة ، لا يمنعون أحد ، واشتغل صاحب أفريقيا بما دهمه من العرب ، ومات المعر سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م (٤٣) .

وقد تم ميم من المعر بارسال الاسطول والعسكر الى الجزيرة ، بقيادة ولديه أيوب وعلى . وسار أيوب بالعسكر الى المدينة . بلرم ، بينما نزل على بالاسطول على جرجنت . ثم ان أيوب انتقل الى جرجنت حيث استضافه ابن الحواس في قصره ، وقدم اليه الهدايا الكثيرة . ولكن ابن الحواس لم يثبت أن يهشبه الفيرة عندما نجح أيوب في اكتساب محبة أهل جرجنت ، وانتهى الأمر بأن ساءت العلاقة بينهما حتى سار ابن الحواس لقتال أيوب الذي وقف الى جانبه الجرجنتيون . وأسفرت الحرب عن مقتل ابن الحواس بسهم طائش ، وبذلك آلت رئاسة جرجنت الى أيوب باختيار العسكر (٤٣) .

ولم يدم الوفاق طويلا بين الأميرين الزيريين وبين الصقليين ، إذ قامت الفتنة بين أهل المدينة : بلرم ، وعبيد ميم . وعندما راد الثغر بين الأفريقيين اجتمع أيوب مع أخيه على ، وقررا الرجوع في الاسطول الى أفريقيا . ودلت سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م ، وبصحبتهما عسدد من أعيان صقلية ومن القواد (٤٤) .

ولا بأس أن يكون من أسباب الخلاف بين المجاهدين الصقليين والعسكر الزيري ، عدم الوفاق الذي نقيته القوات الزيرية في مواجهتها للفرننج النورمانيين . ففي سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م ، لقيت القوات الزيرية هزيمة على أيدي النورمانيين في موقعه ميسندري (Miselmari) ، على مسافة ٩ أميال من شرق العاصمة بلرم . وبعد العودة الى أفريقيا يقف الزيريون مكتوفي الأيدي أمام استطالة النورمانيين على المسلمين الذين لم يبق بين أيديهم سوى مدينتي قصريانة وجرجنت . فهم يهاجمون سواحل إيطاليا الجنوبية ، في كلابريا حيث تعرضوا لمدينة نيكوتيرا لتخفيف العبء عن المجاهدين الصقليين ، كما قاموا بمحاولة نائية عند جرجنت سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م ، ولكن الملك روجر النورماني دفعهم بعيدا عن سواحل الجزيرة (٤٥) . ومن الواضح ان مثل هذا التدخل من جانب الزيريين كان من الأسباب التي دفعت الحنويين والبيسسانين الى مهاجمة زويلة والمهدية سنة ٤٨٠ هـ /

(٤٢) اس الأثر ، ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٤٣) اس الأثر ، ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٤٤) اس الأثر ، ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٤٥) أنظر في الدوري ، صقلية ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١٠٨٨م (٤٦) .

والمهم أن ترك الزيريين صسقلية كان يعنى تركها عسيمة مسجلة
للتورمنديين الذين لم يبق أمامهم ما يحول وأحدهم الجزيرة كلها . وهكذا
م يبق بين أيدي الصسقليين غير قصريانة وجرجست اللتين حصروهما
انورمنديون ، وضيقوا على المسلمين بها حتى جاعوا . فكان تسليم أهل
جرجست سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ، بينما صمد أهل قصريانة طوال ٣ (ثلاث)
سنوات صعبة حتى « أذعنوا الى التسليم سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م .

وبذلك ملك رجار التورمندي جميع الجزيرة واسكنها اردوم واهرج
مع المسلمين ، ولم يترك لأحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا . بمعنى
إبعادهم عن التصرف في المرافق العامة ، حذرا . ولقد سلك وفده وخليفته
رجار الثاني سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦ ، الذي أشاد به الادريسي ، طريق ملوك
المسلمين في أصول السياسة ونظم الحكم ، كما أكرم المسلمين وقربهم ،
واعتنى بالأسطول حتى فتح جرائر البحر وتطاول الى سواحل أفريقية .

وهكذا كان النصف الأول من القرن الخامس الهجري منقطعا في تاريخ
المغرب ، من حيث أضعف حروح العرب الى أفريقية الدولة الأيرانية داحيا .
فأعجزها عن السيطرة على كل أراضيها مما كان سببا في ظهور المتمنين
وخاصة في مدن الساحل ، الأمر الذي قيد حركة الأسطول الزيري خارجيا
في النصف الثاني من هذا القرن . مما أعطى الأسطول البيزنطي وأساطيل
الجمهورية الإيطالية الباهضة ، في حنوه وبرا حرية الحركة ، ليس في
جنوب إيطاليا وصقلية وحدها ، بل وفي المهدية نفسها ، الأمر الذي ترك
الصسقليين الممزقين فيما بينهم يواجهون وحدهم ، الخطر التورمندي ، تماما ،
كما ضعف ملوك الطوائف في الأندلس عن مواجاة الممالك المسيحية الشمالية
التي أختت تحسن عليهم حرب الاسترداد دون هوادة . الأمر الذي كان يندد
بحل عاجل للمشكلة الأندلسية لصالحهم . لولا عملية الانقاذ التي تمت على
أيدي جماعات البدو في صحراء المغرب الجنوبية ، من بربر صنهاجة
الملثمين ، الذين جددوا في المغرب والأندلس ما انقطع على أيدي بني حلدتهم:
صنهاجة أفريقية في بلاد القيروان وصقلية . مما يتطلب رسم خريطة لبلاد
المغرب في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / ١١ م ، تمكن من المقابلة
مع ما رسمناه لأفريقية وصقلية .

بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري/ ١١ م

أحمداديون همزة الوصل ما بين إفريقيه والمغرب :

رغم ما قام بين الربريين من بني ياديس في القيروان والمهدية وبين أبناء عمومتهم الحماديين في القلعة وبجاية من السافس في استعراض القوة ، بغية الحفاظ على الاستقلال ، ولو عن طريق التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر ، كما فعل الناصر بن عيسى في مسانده للقواد التوار في تونس وفي سوسة ، وفي حصار الأربس وقتل عاملها (١) ، وفي دخول القيروان (٢) ، وفيما كان يرد به المعز وتميم من إثارة العرب الهلالية على الناصر ، كما حدث في سبيبة (ما سبق ، ص ٤٥٤) ، وكما ظهر من الطرفين بمناسبة بناء بجاية (ما سبق ، ص ٤٥٦) ، فإن ذلك لم يكن يضير للود قضية بين الطرفين . فبمناسبة حلح المعز الطاعة لبني عبيد ، يقتدى به القائد ابن حسان ويدعو للعباسيين حتى وفاته سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م (٣) . وبمناسبة ولاية تميم يصله كتاب الناصر بن علناس بالنعزية والتهنئة (النويري ، ص ٣٤٨) ، وعندما يهزم الناصر أمام الهلالية يعز على تميم ذلك ، ويرفض أخذ سلبه (ما سبق ، ص ٤٥٥) ، بل ويكون ذلك حافزا على المصالحة ، رغم ما كان قد استقر في النفوس من الحقد والضغينة التي ظلت تقض المضاجع وتثير الشكوك .

والهم ان صاحب كل من دولتي المهدية والقلعة حمل تبعاته من هموم التركة الزيرية ، من مناعب الهلالية ، والقطيعة مع الخلافة الفاطمية ، الى جانب الهموم المستجدة مع الانفصال . فقد كان على دولة المهدية أن توجه أنظارها الى الأقاليم الشرقية وما قام بها من تمرد الزناتية وعملهم على الاستقلال ،

(١) ابن عسارى ، ط . بيروت ، ص ٤٢٩ - تحت حصار الناصر بن حماد سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٠٨ م مدينة الأربس ، وكان معه الأتيج من العرب ، وقتل عليها حتى اقتتحتها وأمس أهلها ، وقتل عاملها أبي مكرات .

(٢) ابن عسارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ - حيث وصل الناصر مع العرب الى القيروان ودخلها ، وعاد منها الى قلعتة خوفا من جموع العرب .

(٣) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٨٦ - ٨٧ .

كما نلن عبيها أن نواجه أعمال التشغب في اقاليمها الساحلية ، الأمر الذي شعل الاسطول الى حد كبير عن التأهب للمدن البحرية التي تعاطم بطهور أساطيل المدن الايطالية ، وخاصة جنوة وبيزة ، وشغل المهديّة عن مناصره أصحاب صقلية ، عندما كانت تواجه مسئولياتها التاريخية إزاء أصحاب المصلحة المباشرة من الصقليين ، أهل الجزيرة ، وهم يعانون محنة الاحتلال .

أما عما وورثه الحماديون من هموم المملكة الربرية فيتعلق بشئون المغرب ، وخاصة ، من أوسطه في تنسسان الى أقصاه في فاس - وادا لم تنهيا للحماديين ظروف التدخل في صقلية وما وراء البحار بشكل مباشر ، فإن الناصر بن علناس كانت له علاقات طيبة بالبابوية على عهد حريجورى السابع ، إذ تبادل معه الرسائل وإن كانت ظاهريا بشأن أمور دينية سلمية (ما سبق ، ص ٤٦٧) ، الأمر الذي كان يسمح للناصر بالقيام بالوساطة سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ، من أجل تخلص على بن مجاهد من الأسر الذي وقع فيه عندما انهزم والده مجاهد ، صاحب دانية ، في سرديسيا أمام البيزانيين (٦ م) ، الأمر الذي يقع في نطاق البلاد الحمادية نحو المغرب أيضا والأندلس ، والذي يجعل من الناصر بن علناس أكبر شخصية بين بنى حماد .

ناهرت وتلمسان ما بين أفريقية والمغرب :

لما كانت جغرافية بلاد المغرب بمعنى الشمال الأفريقي - دون مصر - تقضى بأن تنتهى بلاد أفريقية ، وهى بلاد القيروان في عز سلطانها على أيام الأغابة ، وكما ورثها الفاطميون ومن بعدهم الصنهاجيون بنو ربرى ، على تخوم مقاطعة قسنطينة وبلاد القبائل الصغرى ، من حيث تبدأ بلاد المغرب الأوسط بمعناها الجغرافي الاصطلاحي لتشمل بلاد أشير التي أصبحت بلاد بنى حماد ثم إقليم الشلف وناهرت ، وهو ما تقرره نصوصنا التاريخية الخاصة بالدولة الزيرية ، حيث كان خروج الأمير من القيروان الى أشير هو خروج الى الغرب ، ورجوعه من أشير الى المنصورية والمهديّة : عودة من الغرب (ما سبق ، ص ٣٣٦ ، ٣٤٨) ولكنه لما كانت حدود الدولة الحمادية الغربية تنتهى عند مدينة الجزائر ، جزائر بنى مرغنى ، بينما كانت ناهرت

(٣١ مكرر) انظر عصام سالم سيسالم ، التاريخ الاسلامي لجزر البليار ، بيروت ١٩٨٤ .

٢٠ ص ١٦٣ والهوامش .

الى عهد قريب معتبرة اصطلاحيا من أفريقية^(٤) ، قبل أن تخلفها تلمسان^(٥) ، كان من الطبيعي أن يكون هناك شد وجذب بين الحسادين أصحاب القلعة وبجاية وبين الزناتية أصحاب تاهرت وتلمسان ، وهو الأمر الدارج بالنسبة لمدن الحدود ، مثلما كانت طرابلس مجال شد وجذب بين مصر وأفريقية ، وكما كانت تاهرت ، وبخاصة تلمسان ، موضع نزاع بين دول المغرب الأوسط ودول المغرب الأقصى - وكان المغرب الأقصى وقتئذ بين أيدي الزناتية .

غنية زيري بن عطية (القرطاس) على فاس :

والحقيقة أن الصراع بين صنهاجة وبين رباتة ، من أجل السيطرة على تاهرت وفاس وسواحلها في أرشقول وتلمسان ، كان سجلا لفترة طويلة مد أيام الفاطميين وحتى استقلال بلقين ، وحيث شارك فيه الأمويون في الأندلس ، وانتهى بغلبة الزناتية من بني خزرون ، حيث استقل زيري بن عطية المخرأوي المعروف بالقرطاس ، واتحدت مع دار ملك له منذ ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، ودعا لهشام المؤيد خليفة قرطبة ، وخرج على المنصور بن أبي عامر (ما سبق ، ص ٣٦٣) ، كما نجح بنو خزرون في الاستقلال أيضا بطرابلس بمعرفة سعيد بن خرون ثم أخيه وروا من بعده ، وذلك بمعاونة الخلافة الفاطمية بالقاهرة (ما سبق ، ص ٤٤٤) - فكان الزناتية المخرأوية كانوا يخططون لتطويق الدولة الزيرية من مغربها الى مشرقها -

بناء وجنة :

والهم ان زيري بن عطية استقل بملك المغرب ، وبنى مدينة وحدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م ، واتخذها عاصمة لمملكته ، كما علب صنهاجة على تاهرت وتلمسان وما يتبعها ، وأقام فيها الدعوة لهشام المؤيد . وبعد وفاته سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، خلفه ابنه المعز بن زيري على أملاكه بمسايعة زناتة له في نفس السنة ، وتأكد ذلك بعد أن صالح عبد الملك المظفر بن المنصور بن

(٤) ابن حوقل ، ص ٩٣ - حيث تقرر تاهرت من كورة أفريقية عند المسح ، وهو ما يتفق مع واقعها على عهد الفاطميين والبربريين ، بينما كانت من القدم مفردة السمل والاسم والنواوين ، بينما هو عند الاستبصار (ص ١٧٨) من مدن المغرب الأوسط المشهورة وبها قاش الروس من مطيرة وزناتة ويحاطون من أفريقية بترقية الهلاللة ومن جهة المغرب بلاد مسرقة .

(٥) وتلمسان قاعدة المغرب الأوسط عند كل من الكرى (ص ٧٦) والاستبصار (ص ١٧٦) ، كما كانت دور ممكة رباتة ، يسما لا يحدد ابن حوقل كودتها (ص ٨٨) .

ابن عامر ، الذي عهد اليه سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م . بمدينة فاس ونسائير
اعمال المغرب ، مدب وبواديه ، بعد ان عزل واضحا مولاه عنها ، وصرفه الى
الأندلس .

بخي يعلى الزناتية في تلمسان

وملحمة أبي سعدى والهاللية :

وفيما يتعلق بتلمسان فقد آلت الى يعلى بن محمد الذي فزلها ، وصارت
ملكاً ، خالصة له ولعقبه من بعده ، حيث استوثق ملك بني يعلى بتلمسان
على عهد بني حماد الذين ضعموا عن دفاعهم (٦) . وعندما دخل الهاللية بلاد
العلمة ، استخلص الحماديون الأتبع منهم ورعية ، واستظهروا بهم في حرب
الزناتية بالمغرب الأوسط . وهكذا قامت بينهم وبين بني يعلى " أمراء
تلمسان ، الذين جمعوا من كان اليهم من بني واسين وبني مريين ، وبني
عبد الواد ، وتهادوا بالقيادة ضد الهاللية الى وزيرهم أبي سعدى خليفة
اليقربى . ووقع الحرب التي اظهر فيها الوزير أبو سعدى بطولات
مرموقة ، وذلك على عهد الأمير يحيى (ابن يعلى) ، وفي ميسادين حروبهم
التي اعتادوا عليها في أطراف بلاد الراب والمغرب الأوسط . وهنا يضمن
ابن خلدون على ان وزير يحيى وقائده حروبه أبا سعدى بن خيفة الزناتى
اليقربى ، كان كثيراً ما يخرج بالعساكر من تلمسان في نضاله لعرب
الأتبع وزغبة ، وأنه خلال بعض تلك الملاحم هلك هذا الوزير أبو سعدى ،
وذلك سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، الأمر الذي ترتب عايه عليه الهاللية على
جميع الضواحي بالزاب وأفريقية ، وانسحاب بني واسين ومن اليهم الى
صحراء المغرب الأوسط (٧) .

غارة حمادية على فاس :

وبعد ميلك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى ، ملك المرابطون أعمال
"المغرب الأقصى" . وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلى في عساكر لتونة
لحرب من بقي بتلمسان من مغراوة ، ومن لحق بهم من قل بني زيري ، فظفر
ببعل بن العباس بن يحيى الذي خرج اليه قائلهم وقتل ، بينما عاد مزدلى

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٧) المعبر ، ج ٦ ص ٤٥ - حيث لاسم الوزير أبو سعيد ، ص ٦١ - حيث الاسم

أبو سعدى .

الى المغرب (٨) . وقريب ذلك الوقت ، في سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، تشيد رواية ذات طابع قصصى ، لابن الخطيب ، الى ان يلكين بن محمد صاحب القلعة الحمادية ، قام بغارة جريئة على فاس جعلت يوسف بن تاشفين الذى كان يدوح بلاد المغرب ، وقبيل ، يكر راجعا الى الصحراء ، خوفا منه (٩) ، فكان زنانة المغرب الأوسط في تلمسان ، وكذلك في المغرب البعيد ، كانوا قد وقعوا - على كل حال - في منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، بين شقى رحى صنهاجة أفريقية الزيريين ، وبين صنهاجة صحراوات المغرب الأقصى ، من التلمسين المرابطين .

امارة فاس الزناتية :

بنو موسى بن أبى العافية :

عندما قامت الخلافة الفاطمية في القيروان سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، كانت الامامة الادريسية في فاس تعسانى من الضعف والفتن ، سواء في فاس أو في ساحل تلمسان والعدوة في سبتة وطنجة . وهكذا عجل وصول

(٨) العبر ، ج ٦ ص ٦٦ .

(٩) انظر ابن الخطيب ، الاعلام ، ص ٨٧ - ٨٨ - حيث النص على انه في مسفر سنة ٤٥٤ هـ / فبراير ١٠٦٢ م ، تحرك بلقش بن محمد بن حماد ثالث منى حماد ، بعد القائد بن حماد وابنه محسن - من القلعة لحرب زناتة وكان معه طهرد يوسف بن تاشفين ببلاد المصاعة ، فتحرك حتى نزل فاس ففتحها وحس بلاد المغرب ودوحها ، وأنه عندما بلغ يوسف بن تاشفين خبره كسر راجعا الى الصحراء خوفا منه الى ان قبض الله النصارى (ابن عباس) ، أحد بني عمه ففرق بين روجه والمسلمين - قتلا عن ابن بسلام في الصحيرة ، حيث يصف ملقن هذا بأنه أحد جبابرة الاسلام رجل كان لا يملأ يده الا من لبدة اسد غاية من سلف من جبابرة الارض . هذا ، كما انه كان يستطيع أن يقوم بالغارة على فاس ، وهو يقطع مجلس راحته وشرايه ، ليعود من الغزو مستأنفا مجلس نفسه ، فيشرب من نفس الكأس الذى تركه مختصوما . ولا بأس ان يكون المقصود بذلك غارة سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، على فاس الأمر الذى يشكك في صحة المصدر الأدبى . ولا شك ان القرابة بين الحماديين من نبي زيرى وبين التلمسين من رجال يوسف بن تاشفين ، من حيث العرق الصنهاجى الواحد ، قرينة على ما نذهب اليه من ريق النص . وقارن صبيح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث زحف صاحب القلعة يلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة ٤٥٤ هـ ، ودخوله على المرابطين في فاس ، التى تركها الفتوح ، واستمر من سفن أشراهم (من المرابطين) على الطاعة ، ووجه الى عمله ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٧ ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على ان يلكين (بن حماد) زحف الى المرس سنة ٤٥٤ هـ على عمادتهم في غزوه ، وأنه دخل فاس واستعمل من أكابرهم وأشراهم رجلا .

العاطميين إلى فاس منذ سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م ، بسرعته اضمحلال ملك الادارسة في تلك الاقاليم ، وساعده على أن يحل محلهم موسى بن أبي العافية رعيم قبيله مكناسة ، وأن يخلقه بنوه في سيادة المغرب وفاس تحت الرايات الاندلسية لعبد الرحمن الناصر ومن بعده هشام المؤيد والمصنور بن أبي عامر - ولكن موسى بن أبي العافية وبنوه لم يستطيعوا مطاولة بني حرر الزناتية الذين طاولوا صهاجه في السيطرة على المغرب ، وقتلوا ريرى بن مناد ، وخاصة عندما ظهر ريرى بن عطيه المغراوي ، الذي قرب المصنور العامري ، وحاول أن يحتويه ، لولا طموح ريرى الذي لا يحد .

هذا ، ولو أن بني موسى بن أبي العافية ظلت بهم مكانتهم في المغرب على كل حال . ففي مطلع القرن الخامس الهجري/١١ م ، كان اسماعيل بن البوري بن موسى بن أبي العافية يناصر حماد بن بلكين في حربه مع ابن أخيه باديس بن المصنور ، وهناك اسماعيل في تلك الحرب في معارك وادي شلف سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م (١٠) . بل وظل حفدة موسى بن أبي العافية حتى قيام المرابطين . ففي سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م كانت وفاة ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ، وولاية ابنه عبد الله (أبو عبد الرحمن) الذي توفي سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م ، وخلفه ابنه محمد الذي توفي سنة ٤٤٦ هـ/١٠٥٤ م ، وولى بعده ابنه القاسم . والقاسم بن محمد هو الذي زحف إلى المرابطين عندما غلبوا على أعمال المغرب .

فلقد زحف القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابراهيم ابن موسى بن أبي العافية إلى المرابطين بوادي صفرو ، بعد أن استدعى أهل فاس ، وطلب النجدة من زناتة ، بعد مهلك معتصر المغراوي سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م ، ونجح في هزيمة المرابطين . ولكن القاسم بن محمد لم يستطع الوقوف أمام يوسف بن تاشفين الذي هزمه مع من ناصره من جمع مكناسة وزناتة سنة ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م ، واقتحم فاس عنوة ، فكانت نهاية ملك مكناسة من المغرب ، متزامنة مع انقراض ملك مغراوة الزناتية (١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

بنو خزرج المغراويون وغلبة صاحب سلا :

أبي الكمال تميم اليفرنى على فاس :

والهمم بالسببة لبني حرر الرناينة أو المظفر عند الملك من المنصور تمكن من تدجين المعز بن زيرى بن عطية عندما حلف والده . وذلك اعتبارا من سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٢) ، حيث بكرست دولة زبانه في فاس . فبعد المعز بن زيرى بن عطية الذى توفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م منك ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية المغراوي . وقدم عليه الأمير تميم بن زيرى بن يعلى بن محمد اليفرنى صاحب شالة وزدلا وما اليها ، وهو من بني يدو بن يعلى ، ورجع اليه في قبائل يفرن الى فاس . وخرج الأمير حمامة الى لقائه في قبائل مغراوة ، وانتهى اللقاء في جمادى الثانية ٤٢٤ هـ / مايو ١٠٣٣ م ، بهزيمة حمامة الذى فر الى وحدة ، من أحواز تلمسان ، ذركا فاس لكي يدخلها تميم بن زيرى الذى نكنى بأبي الكمال (١٢) .

وعرف أبو الكمال بالثبوت في مدينه ، وان كان الغالب عليه الجهل ، حسبها تقول رواية ابن أبي رزق في القرطاس - فهو يوقع بيهود فاس موقعه عظيمة فيقتل منهم أكثر من ٦ (ستة) آلاف رجل ، ويأخذ أموالهم ، ويسبى نساءهم . هذا ، كما كان أبو الكمال مولعا بجهاد برغواطة ، فكان يغزوهم مرتين في كل سنة ، فيقتل ويسبى ، وظل على ذلك الى أن توفى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م (١٣) .

والهمم أن إقامة أبي الكمال في فاس طالت الى أكثر من خمس سنوات حيث تمكن حمامة من الذهاب الى تنس لحشد مغراوة ، وتمكن من طرد تميم من فاس الى مدينة شالة ، حيث بدأ فيها دولته الثانية اعتبارا من ذى الحجة

(١٢) العسر ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على ان حمامة ابن عم المعز بن زيرى وليس أمه ، كما يزعم بعض المؤرخين القرطاس ، ص ١٠٩ ، وقارن صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .
(١٣) القرطاس ، ص ١١٠ - حيث الإشارة الى ان الرجل المعاهد بلغ طمقة الأولياء أصحاب الكرامات ، وذلك انه عندما قبل ان يهزم سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م في حرب متروكة وحى ، به قدمه في قبر أبيه ، ابنى الكمال تميم ، سمعوا من قبره تكبرا عظيما وشهد ، فبشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء . وعندما وآه أحد قرابته في المنام وسأله عن ذلك التكبير والتسبح ، قال : ملائكة وكلمهم هذا . ويكون آجر ذلك في ، وقال وبم نلت ذلك . قال جهادى في الكثرة برغواطة ، وقاؤون ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على اكتساح تميم اليهود واسطلام نعمهم واستباحة حريمهم دون النص على العدد ٦ (ستة) آلاف .

سنة ٤٢٩ هـ / نوفمبر ١٠٣٨ م ، والتي انتهت بوفاة سنة ٤٤٦ هـ /
١٠٥٤ م .

والظاهر أن غزو اليفرنين في سلا لمدينة فاس على عهد حماسة شجع
القائد بن حماد على القيام في سنة ٤٣٠ هـ / ٣٠ - ١٠٣٦ م ، بغارة على
فاس انتهت بالصلح نتيجة لشراء القائد زعماء زقاتة (١٤) .

وبعد تميم أبي الكمال ولى ابنه حمساد الذي توفي سنة ٤٤٨ هـ /
١٠٥٦ م ، وولى ابنه يوسف الذي توفي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، فولى بعده
عنه محمد بن الأمير أبي الكمال تميم الذي هلك في حروب متونة حين غلبهم
على المغرب أجمع (١٥) .

دوناس بن حماسة : مخضر فاس :

أما حماسة (ابن المعز بن عطية المغراوي) فلم يبق طسويلا في ملك
فاس وأعمالها في المغرب ، إذ توفي سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م (١٦) ، وبعده
آلت إمارة فاس الى ابنه دوناس ، المعروف بأبي العطف ، مع جميع ما كان
بيد أبيه من المغرب .

وفي عهد دوناس بن حماسة ساد الأمن والدعة ، الأمر الذي أدى الى
انتشار الرخاء . وهكذا عظمت فاس على أيامه ، وعمرت وكثرت أرباضها ،
وصارت مقصد الناس والتجار من جميع البلاد . وكان لدوناس نشاطه في
عمران فاس ، فهو الذي أدار الأسوار حول الأرباض ، كما بنى المساجد
والحمامات والفنادق . وفي ذلك يقول ابن أبي زرع « لم يشغل دوناس من
يوم ولى الى أن توفي الا بالبناء والتشييد ، فهو صاحب الفضل في جعلها
« حاضرة المغرب » . وبذلك يكون دوناس من أصحاب الفضل في تحويل
دولة مغراوة الرناية الى دولة حضارة ومدنية .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ .

(١٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٩ .

(١٦) القرطاس ، ص ١١٠ - حيث الإشارة الى أن أما الكمال تميم بقى في فاس لاسبوت

ومرة أخرى الى الاختلاف في ذلك ما بين ٥ سنوات و ٧ سنوات . رقادن البير ، ج ٧ ص ٣٥ .
أدى يغلقه القلفندي في صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النصر على وفاة أبي الكمال
في شالة سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٢٨ م بدلا من سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م . كما في البير ، ج ٧
ص ٢١ .

المغراويون الأواخر في فاس :

صراع الاخوة بين الفتوح وعجيسة :

وكانت وفاة دوناس بفاس في شهر شوال سنة ٤٥٢ هـ / نوفمبر ١٠٦٠ (١٧) .

وآلت الدولة الى ولدي دوناس ، وهما : الفتوح وعجيسة . والحقبة
أن المسألة لا تتعلق بتقسيم الدولة بين الأخوين ، إذ كان الابن الأكبر ، وهو
الفتوح ، صاحب الأمر ، واتخذ عدوة الأندلس مقرا له ، وجعل أخاه الأصغر
عجيسة واليا على عدوة القرويين ، الأمر الذي يفهم منه أن مدينة الأندلس
كانت الأكبر وقتئذ ، بينما يصف ابن أبي زرع عجيسة بأنه الأصغر سنا ،
ولكنه شهم ، بمعنى طموح على ما نظن . فهذا ما يفسر كيف أنه لم يلبث
أن قام بشن الحرب على أخيه الفتوح ، وهو الأمر المقبول بالسبب لأصول
السياسة حسبما أقرها المعز لدين الله في وصيته لبلقين ، وهي الحكمة
المستفادة من واقع الأحداث الانسانية ، حسبما تقضى به نزعات النفس
البشرية .

والمهم أن الأخوين كانا مستعدين للصراع الموقع بينهما ، وأعدا له
عدته . فالفتوح ، الذي ينسب اليه باب الفتوح بسور فاس القبلي ، كان قد
بنى قصبة (أى قلعة) منيعة بعدوة الأندلس بالموضع المعروف هناك ،
بحجر الكذان الصلب . وفي المقابل بنى عجيسة أيضا قصبة مثلها بعدوة
القرويين ، في الموضع المعروف بـ « رأس عقبة الصعتر » ، حيث الحساب
الذي ينسب اليه هناك ، فهو باب عجيسة المشهور بباب الجيسة .

وفي العداء بين الأخوين ، يقول ابن أبي زرع أنها كثرت حتى كان
القتال بينهما يدور ليلا ونهارا (١٨) ، الأمر الذي أدى الى الخوف وغلاء
الأسعار وانتشار المجاعة ، الى أن تخلص الفتوح من أخيه عجيسة غدرا ،

(١٧) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على
وفاة دوناس سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

(١٨) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على أن
الولاية كانت لفتح وناظر عليه أخوه الأصغر عجيسة واستولى على عدوة القرويين . وأن باب
عجيسة هو باب الجيسة حيث حدث العين - وأن الفتوح طفر بعجيسة وقتله سنة ٤٥٣ هـ /
١٠٦٢ م .

سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، وكان كل ذلك مما سهل على لمتونة الاستيلاء على
أطراف البسلاد ، إلى أن ينزل على الفتوح عسكر لمتونة سنة ٤٥٥ هـ /
١٠٦٣ م ، ويستقر إلى السخلى عن فاس لابن عمه معصر بن حماد بن معصر
ابن المعز بن زيري بن عطية سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، الذى فقد فى حرب
سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ، فقام مقامه ابنه تميم (ابن معصر) ، آخر الزناتية
المغراويين فى فاس (١٩) .

إعادة سجلهاسة الزناتية :

نجح حردون بن فلقول الزناتى فى القضاء على الأسرة المدراية الحاكمة
فى سجلهاسة سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، وحكمها باسم هشام المؤيد ، خليفة
قرطب - ولم تنجح حملة بلكين بن زيري فى استعادتها الا بصفة عابرة ،
حيث مات دون ذلك سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م (ما سبق ، ص ٣٤٣ وما بعدها) ،
فان ذلك كله يعنى تكريس استقرار الزناتية فى تخوم الدولة الصنهاجية
الغربية ، إلى نهاية القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، ومطلع القرن الخامس
الهجرى / ١١ م ، تماما ، كما فعلوا فى الأطراف الشرقية لدولة القيروان
والنهدية باستمرارهم فى طرابلس ونفزاوة .

وبعد وفاة حردون خلفه ابنه وانودين بن خزرون فى حكم سجلهاسة
وأعمالها ، إلى أن غلب زيري مناد عليها ، ففقد حميد بن يصب المكاسى
عليها . ثم أن المظفر عبد الملك بن أبى عامر أعاد وانودين إلى ولاية سجلهاسة
بعد وفاة بلكين بن زيري (٣٧٣ هـ / ٩٨٣) نظير ضريبة سنوية يؤديها
إليه . وذلك قبل أن يستقل بها سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م . وعندما عهد
عبد الملك المظفر بولاية المغرب إلى المعز بن زيري بن عطية المغراوى سنة
٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، استثنى عليه ولاية سجلهاسة من حيث كانت ويمد
وانودين بن خزرون (٢٠) . وإذا كان المعز بن زيري قد نجح فى تحقيق

(١٩) انظر طاس ، ص ١١٣ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على اشغال
معصر بن حماد بحروب لمتونة ، وأنه كانت له عيبن الوقتة المشهورة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م
وأنه بعد خروجه من فاس إلى عمارة عباد وملكها وقتل العامل المرابطى زمن مع من لمتونة ،
ومثل بهم الحرق والصلب . ثم أنه زحف إلى محمد بن يوسف الكرتانى صاحب مكناسة وقد
كان دخل لى دعوته المرابطى فهزمه وقتله وبعث برأسه إلى سكوت البرغواضى صاحب سبتة . .
وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .

(٢٠) انظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٨ - حيث تحديد
سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م تاريخا لذلك العهد .

أمنه في ضم سجلماسة إلى املاكه في فاس وغيرها ، فإن ذلك كان قد حدث سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، في فترة اضطراب الدولة العمارية بالأندلس (٢١) .

ولكن وانودين حشد بنى يهرن ونهض بسنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م إلى المعز بن زيري بن عطية ، « فهزموه » ، ورجع إلى فاس في مل قومه ، وأقام على الاضطراب من أمره إلى أن هلك سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ « (٢٢) » . وهكذا استفحل ملك وانودين ، من حيث أضاف إلى سجلماسة بعض أعمال المغرب ، مثل : صفروى من أحواز فاس ، وقصور ملوية التي ولّى عليها من أهل بينه . وبعد وانودين ولّى ابنه مسعود ، وظل في الحكم إلى أن خرج عبد الله بن ياسين ، شيخ المرابطين ، فكانت نهاية مسعود بن وانودين بأيدي المرابطين ، سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وملكهم لسجلماسة التي دخلت في دولتهم من ذلك الحين (٢٣) .

سبينة وطنجة : مجاز العدة الأندلسية ، منطقة نفوذ بنى حمود الإدارية :

كانت منطقة غمارة أو جبال الريف من مناطق نفوذ الإدارة منذ وقت مبكر ، كما زادت أهميتها بالنسبة لهم منذ انقراض دولتهم في فاس واستقرارهم هناك ، ومع انهيار خلافة قرطبة منذ أوائل القرن الخامس الهجري / ١١ م ، حسن الإدارة من بنى حمود مركزهم ، ليس في العدة الأفريقية فقط ، بل وفي الأندلس أيضا ، حيث دخلوا بقيادة الأخوين : القاسم وعلي بن حمود في حملة أنصار المستعين ، وعن هذا الطريق آلت ولاية « الجزيرة الخضراء » من العدة الأندلسية إلى القاسم ، بينما رد المستعين ، بصفته ولي عهد خلافة قرطبة بتعيين المؤيد هشام ، على ولاية طنجة ، التي كانت لهم من قبل ، كما كانت ولايتها أمنية عزيزة على زيري

(٢١) الطرأس ، ص ١١٧ ، أحداث سنة ٤٠٣ هـ ، وذلك بمناسبة عرض ملحق للأحداث الخاصة بالدولة الزيرية في فاس ، دون سائر الأسباب أو الدلائل ، وهو ما نوصحه رواية ابن خلدون (العمر ، ج ٧ ص ٣٤) - حيث الإشارة إلى أن انظر أن أي عامل كان عهد للمعز بن زيري ولاية المغرب ما عدا كورة سجلماسة التي كانت لوانودين بن حرون ابن ملغول ، ولما ارتقى أمر الجماعة بالأندلس ... استحدث المعز بن زيري بن عطية الشعب على سجلماسة .

(٢٢) العمر ، ج ٧ ص ٣٤ .

(٢٣) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ . وقارن ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٢٤ - حيث تسجيل

المحدث في سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م .

ابن عطية المغراوي ، عندما عاد نافرا من حضرة المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، فرحل بطنجة ، وهو يقول : وقد « وضع يده على رأسه : الآن عمت أنك لي » (٢٤) .

خلافة علي بن حمود بقرطبة :

وعن طريق طنجة نجح علي بن حمود في الجوار الى قرطبة والحلافة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وعندما قتل في السنة الثانية (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) حل أخوه القاسم محله ، وتلقب بالأمون ، وإن عليه يحيى بن أخيه على الذي تلقب بالمعنى بالله ، على ملك قرطبة بعد ذلك سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م . وإذا كانت دولة بني حمود قد انقطعت بقرطبة بمقتل يحيى بن علي عندما كبا به فرسه ، فإن أحاه ادريس بن علي ثم له الأمر بمالقة ، وتلقب بالمتأيد بالله ، سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م . وكانت له سبتة وطنجة (٢٥) .

الحموديون بمالقة والمرية ومليلة :

وبعد ادريس القاسم بنو حمود الى فرعين ، أحدهما بقي بالاندلس في مالقة واحوارها ، وقام به ابنه محمد (ابن ادريس) الذي حط به بالخلافة وتلقب بالمستعلى . وبقي محمد بن ادريس في مالقة الى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، حينما انتقل الى المرية لما تغلب عليه أمر غرناطة الصنهاجي . بأدريس بن حبوس . وهنا كان على محمد (ابن ادريس) أن يلبي نداء أهل مليلة الذين استدعوه ، فسار اليهم ، وبولي أمر المدينة بمعاونة بني ورتندي ، وبسطة سلطانه على نواحيها (٢٦) .

(٢٤) الفريش ، ص ١٠٤ (عن طحة وزيري ، وأطر فيما سبق ، ص . رصح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧) عن بن حمود والأدارسة ، -
(٢٥) عن ملك بني حماد بالاندلس ، أطر ابن عداري ، ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها . حيث تفصلت الولاية مرة أو أكثر مع تحديد نواحيها ، وهي ١٢٦ و ١٤٣ و ١٥٤ و ١٨٨ عن ربيعة يحيى بن علي الذي آلت اليه شريش ومالقة والمرية وسبتة ثم ولاية ادريس بن علي وقدره صبح لأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧ .

(٢٦) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٩٩ . ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٩ ، وعن ناديس بن حبوس بن مالك الصنهاجي أمير غرناطة ، أطر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٥٧ - حيث النص على ولايته بعد أنه حبوس سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، وتلقب بالمظفر وأنه صاحب المقصر في مصبح غرناطة ، وهو الذي أحبط قصبتها ، وشيد قصورها وحسن أسوارها ، وأنه مات في سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر أمر المرابطي ، وإن حافه .

الحسن بن علي المستنصر بسببته :

أما الفرع الحمودي الآخر ، فقد قام بأمره البربر الذين بايعوا صاحب سببته حسن بن علي الذي تغلب بالمستنصر ، سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٣٩ م ، ومات مسموما سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م (٢٦ م) . والمهم أن ابن حزم الذي ينقله ابن عذاري ، يصر على أنه كان في سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ٤ (أربعة) خلفاء ، وهو ما يصعبه بالقضية التي لم ير مثلها ، أولهم خليفة قرطبة « المدعى هشام » ، وإلى جانبه ٣ (ثلاثة) خلفاء من أدارسة بني حمود ، وهم : محمد بن إدريس بمالقة ، ومحمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء ، وإدريس ابن يحيى بسببته (٢٧) . والمهم أن خلافة الجزيرة الخضراء الحمودية انتهت على عهد القاسم بن محمد بن القاسم الذي توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، في قلب عصر الطوائف بالأندلس (٢٨) ، قبيل تدخل المرابطين في الأندلس .

تغلب الخاجب سكوت بسببته :

وقريب هذا الوقت كان قد استقل بكل من سببته وطنجة أحد موالى بني حمود ، وهما الخاجب سكوت البرغواطي ، الذي خضعت له قبائل عمارة . وبعد استيلاء المرابطين على فاس ، ونهاية دولة مغراوة بها ، كان

عبد الله بن تكمي هو الذي قص عليه يوسف بن تاشفين ونجاة عن الإمارة عندما نزل غرناطة سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ، وعن نصر « دندلي » (بدون نور) سكان مليلة . انظر المكري ، ص ٨٨ . حيث النص على أن بني اليوزي بن موسى بن أبي الحساسة حددوها (مليلة) وأن عبد الرحمن الدمر عندما انتخبها سنة ٣٦٤ هـ / ٩٢٦ م بني سورما معقلا لموسى بن أبي العافية - وفي ذلك قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي :

ذات له قاهرت والأهله رسم يصب سياها المائلة

(٢٦ مكرر) انظر صبح الأشتى ، ج ٥ ص ٢٤٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٠٠ حيث النص على أنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م كان إدريس بن علي أخو حسن بن علي ومناوس ابنه يحيى في الإمامة يحور إلى مالقة حيث توفي مسموما ، وأنه في سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م خرج إدريس بن علي من سببته وبيع ، وسمى بالمالي ، وأنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م خلفه ابن عمه محمد بن إدريس (ص ٢١٦) ، الذي مات مسموما سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، بينما كان بالجزيرة الخضراء ، محمد بن القاسم بن حمود (ص ٢١٨) .

(٢٧) ابن عذاري ، ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٢٨) صبح الأشتى ، ج ٥ ص ٢٤٨ ، ومارن ابن عذاري ، ج ٣ ص ٢١٨ - حيث تعتبر الرواية أن جورج القاسم بن محمد بن القاسم من الجزيرة الخضراء علي يدي ابن عباد هو نهاية ذرية بني القاسم في الأندلس ، بعد إقامة دامت ٥٨ سنة ، وذلك أنه يضعها بعد ثعبانديس (بن حرس) صاحب غرناطة على مالقة ، وإخراج المستعني (محمد بن إدريس) منها سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م .

- على يوحنا بن تاشفين أن يسير الى بلاد غمارة للقاء سكوت والقضاء عليه في بعض المواقع . وجبئذ لما المر بين سكوت الذي اشتهر بلقب ضياء الدوة الى سبتة ، وبقي معتصما بها الى أن دخلها عليه المرابطون (٢٠) .

أغمات في سفوح جبال المصامدة (درن) ، وأواؤها المقرانيون :

كانت مدينة أغمات في منتصف القرن الخامس الهجري/ ١١ م كبرى مدن جبال درن الاطلسية . والى يفهم من وصف ابن حوقل في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ ١٠ م ، أن إقليم أغمات « رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير » ، وأن أغمات وقتئذ كانت وثيقة الصلة بمواصم المغرب الكبرى ، ومراكز العمرانية المعتبرة . فهي مرتبطة على وجه الخصوص بكل من فاس وسجلماسة ، بصحلات تجارية وطرق مواصلات عامرة بالمسافرين من التجار ، كما تتصل أغمات أيضا من ناحية المحيط بمنطقة السوس الأقصى ، التي توصف بأن « ليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها » .

أهمية أغمات على طرق التجارة :

وظلت المصالحات وثيقة بين أغمات وسجلماسة - باب تجارة السودان - في القرن الخامس الهجري/ ١١ م حيث كان طريق الشمال يأخذ اتجاهه من سجلماسة نحو أغمات ، التي يصفها البكري وقتئذ بأنها مدينتان : أغمات ايلان وأغمات بوزيكة (٣٠) . تحسب إلى بطون من بطون المصامدة سكانها ، وأغلب الظن أن وادي (نهر) وريكة أو بعض روافده ، كان يفصل بين المدينتين ، مثلما يفصل وادي فاس بين العدوتين . هذا ، كما كانت أغمات وثيقة الصلة أيضا بمدينة فاس ، حيث يمر الطريق بينهما بعدد من المراكز

(٢٩) انظر صبح الأمل ، ج ٥ ص ١٦٠ ، ٣٤٨ ، وقارن ابن عدي ، ج ٣ ص ٢٥٠ - حيث يعلب سمرجات المرغواطي (واهد سموت) الذي كان مولد ليحيى بن علي بن حمود علي زميله في نهاية سنة ، وهو مولد يحيى أيضا للمسي دزي الله ، وقتله والاستناد بحكم المدينة واتخاذ لقب المنصور . أما ابنه فليس المرغواطي سموت (سكوت) فقد اتخذ لقب الخاحب ، فكانه رئيس الوزراء فقط .

(٣٠) البكري ، ص ١٥٢-١٥٣ - حيث الملوك في أغمات نوع من السورى ، إذ يختار الرجل للحكم سنة واحدة ثم يترك الولاية لكي ينتخب أهل المدينة أمرا منهم . من نراص «اتفاق» ، عتسما ذكر محمد بن يوحنا الكبرواني (ت آخر القرن الرابع الهجري / ١٠ م) .

التجارية المردهره ، مثل : بلد رواءة الذي يجتمع فيه تجار فاس والبصره وسجلماسية ومعيه ، وأوزقور التي كان يسكنها ريصيه الاندلس . ووزيعة الأهله بكثرة المياه بها واشهر . ثم شيفي التي بها الاندلسيون (٣١) ومثل هذا يقال عن الطريق المؤدى من أعمات إلى السوس ، والذي يمر حسبما يصفه مؤمن بن يومر الهواري . كما عند الكرى . بمدينة عيسى . مدينة مضمودة الأهله العمران ، وبامرورب من حيث يكون السعود إلى جبل درن (جبل المصامدة الاطلسي) . ويمر الطريق ثمواصمغ تامرة لمرير مضمودة من الشيعة ، قبل الوصول إلى عاصمة السوس أيحلي . ونقيبتها ، وعلى بعد ٦ (ست) مراحل ، من حيث يكون الثرول من الجبل ، مدينة تامدلت ، التي توصف بأنها سهلية عليها سور طوب (٣٢) .

ورغم أهمية أغصانات كبله غنى ، ومركز تجارى هام له انصمالانف بالمراكز التجارية الكبرى في بلاد المغرب ، وخاصة فاس في الشمال ، وسجلماسية في صحراوات الجنوب ، فإن من المستغرب أن أحداثها وأعمال ملوكها لم تسترع الانتباه . وهكذا يشكو ابن خلدون ، رغم موسوعيته.

(٣١) البكرى ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ومارن كتاب الاستقصار ص ٢٠٧ - حيث النص على أن المسافة بين مدينتي أعمات (وريكة وهلالة) هي ٨ (ثمانية) أمال . والذي يفهم من هذا النص أنه يرجع إلى أواخر القرن السادس هـ / ١٢م ، بعد أكثر من مائة سنة من عصر البكرى ، هو أن مدينة وريكة هي المركز التجاري المردهر . إذ يسكنها الأعيان ويمر بها التجار على القديم ، لأنها كانت دار للمهر للصحران (بالصلح في طرق القوافل الكيرة) . وأقرب مراكز لأغصانات هو مرسى حورر تانة من بلدة رحاجه ، أحد مرسى سواحل المغرب على البحر المحيط . أما المسافة بين أعمات ومدينة عيسى فهي مرحلة . (٣٢) البكرى ، ص ١٦٠ - ١٦٣ ، وقارن الاستقصار ، ص ٢١١ - ٢١٢ - حيث النص على أن بلاد السوس الأقصى ، على عهد المؤلف في أواخر القرن السادس الهجري / ١٢م ، من كثرة وبلاد واسعة ، عامرة بكثرة الخيرات . وعلى نهر السوس تقع تارودانت التي توصف بأنها قرية كبيرة جدا ، وهي مركز زراعة قصب السكر . وإنتاج السكر الصخر وتصديره إلى بلاد المغرب والاندلس وإفريقية . وعلى مصب هذا الوادي رباط مقصود يأوى إليه الصالحون ، له موسم عظيم . أما عاصمة الترس مدينة أيحلي فهي وافر الخيرات ، كبيرة الثمر ، وهي مركز إنتاج للسكر مثل تارودانت ، بالإضافة إلى كونها مركز تمدن يسكن بها لحاس الذي يتجهز به إلى بلاد السودان . كما يصنع بها زيت الفرحان ، وهو شجر شبيه شجرة الكثرى ، وطعمه طيب شبه نطم القمح المقبو . وهذه الزيت يستخدم في الأغراض الطبية الخاصة بعلاج الكلى ودرار البول . أما مدينة تامدلت ، فهي على بعد ٦ (ست) مراحل من أيحلي . وأصل نهر تامدلت هو نهر درعة . ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة حيث تسكنها قسلة لمطة ، وهي آخر بلاد السوس .

المذهبة ، من عدم وقوفه على أسمائهم ، وإن كان يعرف أنهم آخر دولة بني زيري بفاس ، وبني يعلى بسلا وتادلا ، من المغراويين الرنانيين ، المجاورين للمصامدة في جبال درر والسوس ، ولبرغواطة في تلمست .

لقوط بن يوسف ، آخر أمراء أعمات المغراويين :

وأحر أمراء أعمات منهم ، هو لقوط بن يوسف بن علي الذي علمه المرابطون على أعمات سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ، فهرب إلى تادلا حيث قتل هناك فبمس قتلوا من بني يفرن . واطاهر أن الذي جعل الذكر للقوط هذا دون سابقه من أمراء أعمات ، أن أبا بكر بن عمر أمير المرابطين خلعه على زوجته زبيب بنت اسحق التي آلت بعد ذلك إلى يوسف بن تاشفين عندما نزل له عنها ابن عمه أبو بكر عندما ارتحل إلى الصحراء سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م . فلقد كان لزبيب الرياسة في أمر يوسف وسلطانه ، وهي صاحبة الفضل فيما أشسارت به على يوسف من استعراض فوته أمام أبي بكر ، عندما رجع من الصحراء « حتى تجاني عن منازعته ، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه » ، فهذا كن ما عرفه ابن خلدون الذي استقصى أخبار القبائل ، ما كبر منها وما صغر ، بدقة تنير الدهشة ، عن لقوط بن يوسف وقومه ، ليس إلا (٣٣) .

الصحراء الواعدة في المغرب الأقصى على تخوم السودان :

المرابطون وارهاسات الوحدة :

تلك كانت احوال المغرب الأقصى حوالي منتصف القرن الخامس هـ / ١١ م ، حيث كان الزنانية المغراوية فيما بين ناهرت ونلمسان وفاس . والادارسة الحسنيون وبرغواطة في سبنة والعدوة وبلاد الريف (عمارة) ، وبني يفرن في سلا وتادلا وأعمات ، وأخيرا كان بنو خزرون في سجلماسة ودرعة . والذي لا حظناه هو أن المرابطين من الصنهاجيين الملتزمين كانوا يدخلون حينئذ في أمور كل تلك البلاد بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين ، الأمر الذي يعني بداية نجاح الارهاسات الأولى في توحيد المغرب من أقصاه ، على شواطئ الأطلنطي إلى أدناه ، والقضاء على دويلات الطوائف المغربية حتى أفريقية .

(٣٣) أنظر محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون : تاريخهم السياسي ، الساهرة ،

امكانات الصحراء :

اما كيف ناهلت الصحراء ، وهي العنيدة ، بحكم الضرورة ، في مواردها البشرية والاقتصادية ، للقيام بعملية التوحيد الحضنية حقا - وإكفله أيضا ، فهذا ما نحاول أن نجد به تفسيراً ، ولما فيسبياً قدمه أسيدنا شعيرة في دراسته لعمرايطين ، ما يمكن أن يكون هادياً لنا ، مما سبقت الإشارة اليه في عرض المصادر (ص ٤٤) ، من أن أحوال الصحراء الافريقية في ذلك القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، لم تكن على حالها من الفقر ، كما هي عليه في أيامنا هذه . فقد كانت أشبه ما تكون « بشركات الطيران أو السبكك الحديدية » ذات الامكانات الضخمة ، من حيث نقل المسافرين من التجار وإرباب الأعمال بما يحملون من الأمتعة والمتاجر وأسباب الحصار ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وخاصة خسرات السودان من الذهب والبر والجلود والعاج والعبيد من أصناف السودان ، مما كان مطلوباً بالحاج في أسواق الشمال والشرق ، الأمر الذي يتطلب رسم خريطة سياسية اقتصادية لتلك الصحارى الواعدة ، تساعد على تصور العملية « المعجزة » التي قامت بها قبائل المثلثين ممن كانوا مقطعين في تلك المنطقة من العالم في نهاية الصحراء ، على مشارف السودان ، كأنها خارج المكان والزمان - كما كان ينصور الكثير من الناس .

صنهاجة الصحراء ومواطنهم :

فمن حيث الكثافة البشرية يفهم من ابن حوقل أن سكان الصحراء ، سواء من قبائل المثلثين الصنهاجية الحضرية أصلاً ، أو الزناتية البدوية ، كانت ويرة الأعداد . فالبربر في النصف الثاني من القرن الـ ١٠ م ، كما رأهم : لا يلحق عددهم بسبب توغلهم في البراري وتبديدهم في الصحارى . وإن أشهر المتوغلين في البراري هم صنهاجة منطقة أودغست . وهو يورد في ذلك رواية ملك جيمس صنهاجة وقتئذ : « تنبروتان بن أسغيشر ، بأنه كان يرد عليه في كل سنة ، خلال ملكه الذي طال الى ٢٠ سنة ، من لم يكن رآه أو سمع عنه من قبل » (٣٤) . أما عن القبائل المنقطعة بالصحراء ممن لم يروا حاضرة ، ولا عرفوا غسر البادية ، فمنهم : شريطة وسمطة وبنو مسوفة ، وكان لهم ملك تكبره صنهاجة وسائر أهلي تلك

الديار لأنهم يستلكن تلك الطريق (٣٥) . ومن القبائل التي يعدد منها ٨٩ ما بين قبيله وبص وفحسد ، يذكر الى جانب بني مسوفة . بني لوتونا (لمتونة) ولطة . و لمتونة عند البكري (ص ١٦٤) ، طواع رحالة هم الصحراء ، ومراحلهم فيها مسيرة شهرين في شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام ، وهم الى بلاد السودان أقرب - على نحو ١٠ مراحل (بنظر شكل ١٠ ، ص ٥١٤) . هذا غير صنهاجة المشكوك في صراحة سميتهم بسبب اختلاطهم بالسودان - حيث يقال انهم سودان بيض - فهم يسكنون جنوب الصحراء في بلاد تادمكة (٣٦) . وابن حوقل يختم تعداده المتير لقبائل الصحراء ، بقوله : « ولو قلت أني لم أصل الى علم كثير من قبائلهم لغات حقاً » ، كناية عن الكثرة التي لا يحيط بها الاستقصاء (٣٧) .

وخلف لمتونة ، بجوار البحر المحيط انتشرت قبائل جدالة (٣٨) . أما عن مسوفة فمساكنهم في الدواخل فيما بعد لمتونة ، وكانوا ينتشرون جنوباً على مشارف السودان في ايوالاني ، على أيام ابن بطوطة في القرن الثامن هـ / ١٤ م (٣٩) .

ثروات الصحراء المعدنية :

أما عن ثروات الصحراء فتتمثل في معادنها ، والماجها الحيواني الوفير . فما كان من المعادن ، يأتي الملح على رأس القائمة ، حيث كان يوجد في منطقتين ، هما : أوليل ، على سواحل البحر المحيط ، على سمت أودغست (٤٠) ، وفي موضع تانتال ، حيث كانت مناجم في الصحراء ، على بعد يومين من المجابة الكبرى ، الأمر الذي يعتبر من غرائب تلك

(٣٥) صورة الأرض ، ص ٩٨ .

(٣٦) صورة الأرض ، ص ١٠١ - حيث النص على أنهم مسوفون لاهاتهم من ولد

حام .

(٣٧) ابن حوقل ، ص ١٠٣ .

(٣٨) البكري ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، وقارن الاستصار ، ص ٢١٣ - حيث النص على

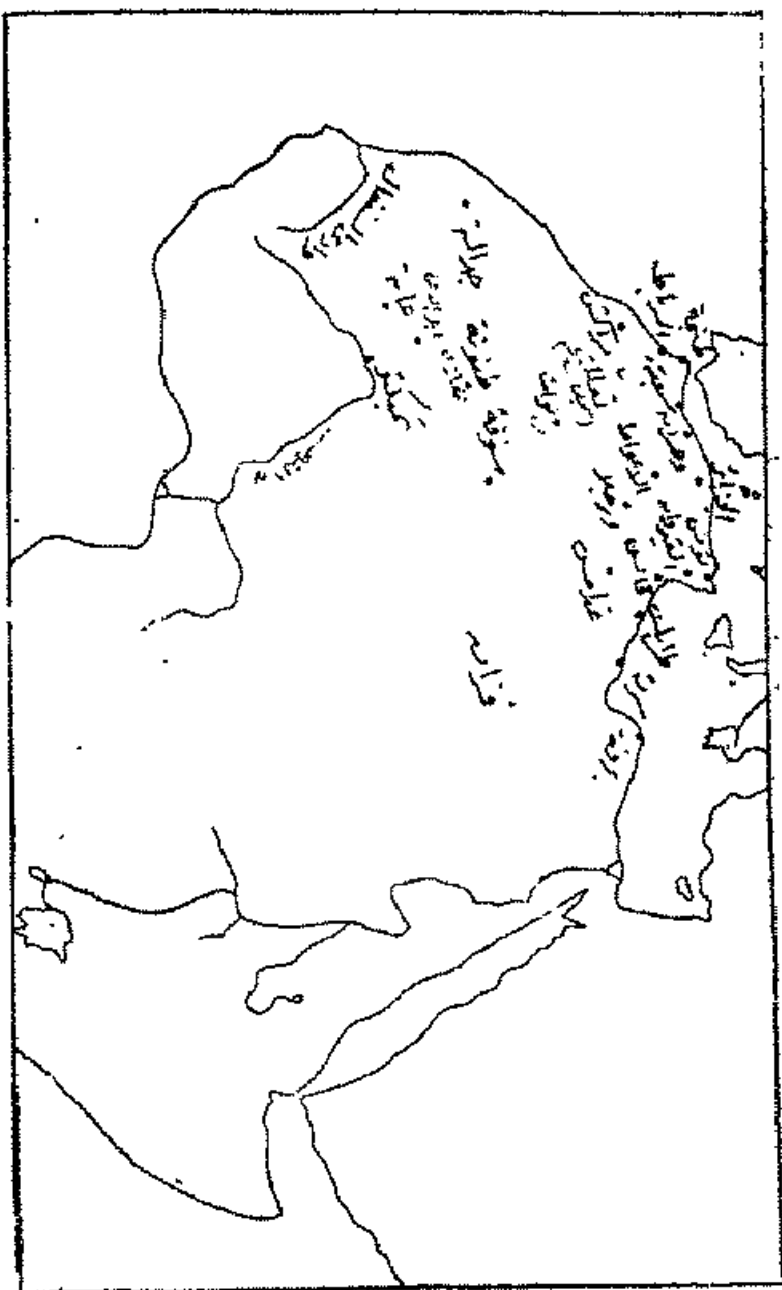
أن لمتونة رحالة لا يستقر بهم موضع .

(٣٩) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ ، ص ٧٧٤ - حيث الدليل الذي يكتريه أهل القاذلة

رحل مسوفي ، وحث العمل في مناجم الملح يقوم به عبدة مسوفة .

(٤٠) ابن حوقل ، ص ٦١ ، الاستصار ، ص ٢١٤ - حيث يوجد بجان جدالة في

أوليل .



(شكل ١٠) صغرات اللّين

الصحراء^(٤١) ، حيث كان يستخرج على أيام ابن بطوطة في قرية تنغازي جنوبا على بعد ٢٢ يوما من ايوا لاتن ، في شكل صفائح مصفوفة بعضها فوق بعض كأنها قد نحتت تحتنا^(٤٢) .

والى جانب الملح الذي كان يتجهز به التجار الى بلاد السودان ، يذكر العتبر الذي كان يوجد في لقايا بقرب البحر^(٤٣) ، وفي جزيرة أيونا بخاصة^(٤٤) . هذا ، الى جانب النحاس الذي كان يصنع في أيجلي عاصمة السوس ، ويتجهز به الى بلاد السودان^(٤٥) . أما عن جبل الحديد ، من حيث كان الدخول الى بلاد ثونة في الطريق الدولي الذي يبدأ من وادي درعة الى وادي ترخا في أول المعازة الصحراوية الى الطريق القديم المقترح في الجبال الحورية الصلدة ، فلا تعرف ان كان مستغلا لانتاج الحديد أم لا^(٤٦) .

الثروة الزراعية :

والى جانب بعض الثروات الزراعية الصحراوية او على حدود الصحراء ، مثل قصب السكر في وادي السوس ، وزيت البهرجان الذي يستخرج الكلي ويندر البول (الاستنبصار ، ص ٢١١ ، ٢١٢) ، وإلكمة الكثير في الصحراء (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، فان الثروة الزراعية للصحراء تمثلت في التمر ، وهو انتاج اقليم النخل عند ابن خلدون ، ويمثل حزاما ممتدا يكثر عرص الصحراء ، من تارودانت ، وسجلماسة ، وورجلة ، وبلاد الجريد (انظر ج ١ ص ٧٥) . فقسطنطينية عند ابن حوقل هي « معونة » أفريقية بتمورها (صورة الأرض ، ص ٩٢) . ولو أن تاهوت كانت قد تفسرت فضرب أهلها الفقر بنواتر الفتن ، ودوام القحط ، وكثرة القتل والموت (صورة الأرض ، ص ٩٣) ، وإيجلي ، عاصمة السوس ، كانت كثيرة التمر حتى ان ثمن الحمل منه كان أقل من كراء الدابة (الاستنبصار ، ص ٢١٢) . ومثل هذا يقال عن سجلماسة التي شبيهت في كثرة ثمرها الطيب بالبصرة ،

(٤١) البكري ، ص ١٧٠ ، الاستنبصار ، ص ٢١٤ .

(٤٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ .

(٤٣) ابن حوقل ، ص ٩٥ .

(٤٤) البكري ، ص ١٧٠ ، كما كان يحلب أيضا من أودغست لقرنها من المحيطين .

(٤٥) الاستنبصار ، ص ٢١٦ .

(٤٥) الاستنبصار ، ص ٢١٢ .

(٤٦) الاستنبصار ، ص ٢١٢ .

والتي كان وجود فيها أنواع ، مثل : الايران ، الذي لا نظير له (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، وكذلك الامر بالنسبة لدرعة القرية ، حيث كان عبيد مسوفة العاملون في منجم الملح يتغازى « يتعيشون على ما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة - الى جانب لحوم الجمال » (٤٧) .

الثروات الحيوانية :

أما الثروة الحقيقية للصحراء فتمثلت في الحيوانات الداجنة من الماشية ، من : الغنم والبقر والجمال ، الى جانب الحيوانات الوحشية ، كحيوان اللمط المعداد من البقر ، رغم قروبه المتشعبة كحيوان « الرنة » ، والذي يصنع من جده القوى الدردى اللمط الشهير ، وذلك جنوب بلاد السوس حيث مواطن قبائل لمطة ، وقاعدتها « نولى لمطة » (٤٨) - ولا ندرى ان كانت لمطة قد انتسبت الى حيوان اللمط حسبما تقضى نظرية الطوطمية . ولقد اشتهرت السلاحف البحرية المفرطة الحجم على طول ساحل المحيط حيث مساكن جدالة ، وكان يعيش على لحمها كثير من أهل المنطقة ، مثل : سكان جزيرة أيونا الشهيرة بعنبرها (٤٩) . وكذلك الامر بالنسبة لحيوان الفئك المطلوب لفرائه ، فقد كان كثيرا بالصحراء ، وكانت له شهرة الفيزيون : (Vison) ، أي أيامنا هذه ، حيث كانت تحمل جلوده الى جميع البلاد (٥٠) .

والحقيقة أن الثروة الحيوانية في واحات الصحراء وعلى أطرافها السودانية تمثلت في الغنم والبقر التي كانت تمد الناس باللحوم والألبان التي كونت جزءا أساسيا من طعامهم . فهي أودغست كانت البقر والغنم أرخص شيء حتى كان العشرة أكباش يدينار واحد (الاستبصار ، ص ٢١٥) . أما الابل والجمال فكانت ثروة اقتصادية ذات طابع سياسى من حيث كونها آلة عظمى من آلات الحرب وقتئذ ، ولهذا عرف الجمالة ، حسب تصنيف البدو حديثا ، باسم « الرعاة الكبار » أو « الجمالين الكبار » ، من حيث كان أصحاب المهارى منهم ، قرمانا غزاة (٥١) .

(٤٧) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ .

(٤٨) ابن حوقل ، ص ٩١ ، البكرى ، ص ١٧٥ ، الاستبصار ، ص ٢١٣ ، وقارن

ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٥ (عن البحر الوحشى) .

(٤٩) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥٠) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥١) أنظر فيما سبق من الكتاب ج ١ ص ٨٩ .

صناع الوحدة :

رعاة الابل : الجمالون الكبار :

ففى ثروة بلاد المغرب من الابل والغنم وماشية البقر ، يقول ابن حوقل :
« وعسهم من الجمال الكثيره فى براريهم وسكان صحارهم ، التى لا تدانيها
فى الكثرة ابل العرب » (٥٢) . وهكذا يمكن القول ان تقدير ثروة الرجل
ومقدار عزه ، بما كان يملكه من قطعان الابل والجمال ، حيث النص على أن
« المال فيهم من الماشية كثير عزيز » (صورة الأرض ، ص ٩٧) . وفى
أهمية قطعان الابل والجمال الاقتصادية السياسية كان لأخت تنبروتان ،
ملك صنهاجة المعاصر لابن حوقل ، والتي عرفت ببسارها ، ١٥ ألف
جمل (٥٣) . وهكذا ، كان الملك الصنهاجى يستطيع أن يصعد غارة
استهدفتهم ، عن طريق أمر رعاة أخته العنية باتارة الابل من الناحية التى
قدم منها العدو ، وانزالها نافرة من أعلى الشرف ، وحى مصوبة على الجيش
الغازى « فأتت على جميع من كان منهم مع ابلهم وسلاحهم ، دوسا لهم ،
ووطئا عليهم ، حتى استفاض جميع من يأودغست ومن يعد عنها من
أعدائهم ، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية بوجه من الوجوه » (٥٤) . وأغلب
الظن أن تنبروتان هذا ، هو الذى يعنيه صاحب الاستبصار عندما ينص
على أن صاحب أودغست فيما بين ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م و ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، كان
صنهاجيا يدين له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان ، وان امتداد
عمله كان مسيرة شهرين فى شهرين ، فى عمارة منصلة ، وأنه كان يعنه
فى أكثر من ١٠٠.٠٠٠ (مائة ألف) نجيب ، لقلة الخيل فى تلك البلاد (٥٥).
وهكذا كانت قوام الآلة الحربية المرابطية هى الجمال ، حيث كان اجتياحهم
للمدينة سيجلماسة على رئيسها مسعود بن وأنودين المغراوى بـ ٣٠ ألف
جمل (٥٦) ، وذلك سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٦) .

(٥٢) صورة الأرض ، ص ٩٥ .

(٥٣) ابن حوقل ، ص ٩٨ - حيث كان لها ١١٠ راع مع كل واحد منهم ١٥٠ جملا .

(٥٤) ابن حوقل ، ص ٩٩ - ٩٨ .

(٥٥) الاستبصار ، ص ٢١٦ ، وقارن ابن حوقل ، ص ٩٧ - حيث يقول ان تنبروتان

كان يلى أمر صنهاجة مدة عشرين سنة . ولا ندرى ان كان ثمة علامة بين العشرين سنة هنا
والعشرين ملكا من الاستبصار .

(٥٦) الكرى ، ص ١٦٧ .

البساطة والقوة سمة النقاء والرفعة :

ومن المهم أيضا أن جماعات الملثمين من لمتونة ومسوفة في صحراواتهم ، أنهم كانوا لا يعرفون البر ولا التسعير ولا الدقيق ، وإن أفواتهم كانت الابيان ، وفي بعض الأوقات اللحم ، السى كان يطحن قديدا ، ويصب عليه بقص النسمن أو اللبي ، ومع ذلك فقد كان فيهم من الجلد والقوة ، ما كيس لغيرهم . وفيهم من البسالة والجرأة والفروسية على الابن ، والحقه في الجرى والشدة ، والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله ، والهسداية فيه ، ما كان يثير دهشة الرحالة في بلادهم والوافدين . فقد كان للرجل منهم من القسوة ما يسمح بالركض مع فحل الحمل وهو نافر ، والقبض على كراعته ليطرب به الأرض ، ويحمره كما يحمر عنزا أو جديا(٥٧) ، فكان الصحراء الحسوية كانت قد جمعت ، حينئذ ، بين البساطة والقوة ، سمة النقاء والرفعة .

وبذلك تكمل خريطة المغرب حوالى منتصف القرن الخامس هـ / ١١ م ، بأحوال صحراوات المغرب الأقصى السياسية والاقتصادية . والخلاصة انه بينما كانت تنحل قوى فرسان صنهاجة الشيعة من بني زيرى فى أفريقيا والمغرب الأوسط ، وكذلك قوة الزناتية المغراويين فى المغرب الأقصى . ويتفرق ملكهم بين أمراء الطسوانف من عرب وبربر ، كان بنو جلدتهم الصنهاجيون السنة من الجمالة الملثمين ، من لمتونة ومسوفة وغيرهم فى صحراوات المغرب الأقصى ، يأخذون على عاتقهم عملية الانقاذ - مما ظهرت بشائره فى سجل ماسة وفاس وتلمسان وسبتة وأغمات - وذلك بالفضاء على العتنة والطائفية ، واعادة الوحدة الى البلاد تحت رايات دولتهم المرابطية - وهو ما نرجو معالجته فى الجزء الرابع من الكتاب ، بمشيئة الله .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعه ليس
المصورة ، بيروت ، ١٣٩٩/١٩٧٩ .
- ابن أبي ايشاد ، المزي في تاريخ افرقيسه
وتوس ، تحقيق محمد شمام ، تونس .
- ابن أبي ذؤيع ، لأيس المطلسر برور
القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينته
فاس ، ط - الرباط ، ١٩٧٣ .
- ابن بطوطة ، الرحلة ، تحقيق ، علي المنصر
الكندى ، بيروت ، ١٣٩٥/١٩٧٥ .
- ابن جبير ، الرحلة ، بيروت ، ١٣٩٩/١٩٧٩ .
- ابن حمادة (أبو عبد الله محمد اقصتهاجي) ،
أخبار ملوك بني عبد ، تحقيق : جلول
أحمد الندوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ .
- ابن حوقل ، مسوده الأرض ، ط بيروت
١٩٧٩ .
- ابن جيسان ، المتس - ج ٥ ، شر ب
شامنا - ف كوريمى - م - صبح
المعهد الآسيامي العرس لثقافة ، مدره
- ابن الخطيب ، الإعلام ، تحقيق مختار العيادى
وابراهيم الكتانى ، الرباط .
- ابن خلدون ، المعبر ، ط - بلاق المسورة في
بيروت ، ٧ أخبار - والمقدمة تحقيق
علي عبد الواحد .
- ابن خلكان ، وحيان الأعيان ، تحقيق احسان
عباس ، بيروت .
- ابن رشيق ، انظر حسن .
- ابن عذاري ، البيان المغرب ، نشره حسان
عباس ، بيروت في ع ٠ ح (نشرة كولام
ريوسسال) .
- ابن قلوبون ، لتسكار ، بصحيح الطساير
الراوى ، طرابلس ، ١٩٦٧ .
- أحمد الثاقب الأنصاري ، المتن العسبد في
تاريخ طرابلس الغرب ، طرابلس .
- أحسان الله طهري ، الاسماعيلية تاريخ
وعقائد ، الرياض ١٤٠٦/١٩٨٦ .
- أدام مثر ، الحضارة العربية في القرن الرابع
البحري ، ط - بيروت .
- أحمد (عزق) ، صقبة الاسلاميه ،
بالانجليزية ، أديره ، ١٩٧٥ .
- Ahmad, Aziz, History of Islamic
sicily.
- أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المسرب
والاندلس ، الاسكندرية .
- أدريس (هادى - ووجه) ، بلاد المسرب
(الربر) الشرفية على عهد اليريين ،
بالفرنسة ، باريس ، ١٩٦٢ .
- أدريس عماد الدين القرشى (الدامى) ، عيون
الأخبار ودون الآثار ، ج ٥ ، تحقيق
فرحات الدشراوى ، تونس ، ١٩٧٩ .
- أرشيبالد تويس ، القوى البحرية والتجارة في
حوض المتوسط ، اقترحه العربية
القاهرة .

حسن بن رشيق القيرواني ، جامع وحقوق :
محمد المطوي وشير الكوش ، تونس
١٩٨٦/١٤٠٦ .

الدرجين ، كتاب طبقات الشانغ بالمغرب ،
تحقيق وطبع ، ابراهيم طلال ، البلدة
١٩٧٤/١٣٩٤ (٢ ج) .

سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب
العربي ، ج ١ ، ج ٢ ، الاسكندرية ،
١٩٧٩ .

سعد زغلول عبد الحميد ، نثره حاسمة من
تاريخ المغرب ، مرقب ليبيا فيما بين قيام
الفاطميين في افريقيا ونقلهم الى مصر ،
مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ،
المجلد ١ ، ١٩٥٨ .

سعد زغلول عبد الحميد ، ابن سادون مؤرخا ،
بحث في مجلة عالم الفكر الكويتية ،
مجلد ١٤ ، عدد ٢ ، ١٩٨٣ .

سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في
دولة الاسلام ، لاسكندرية ١٩٨٦ .

سعد زغلول عبد الحميد ، علوم المغرب
القديم ، مجلة عالم الفكر الكويتية ،
المجلد ٨ ، العدد ١ ، ١٩٧٧ .

سليمان مصطفى فريس ، المهدية وصبره
المنصورية ، المجلة الآسيوية (بالفرنسية)
المجلد ٢٤٤ ، ١٩٥٦ .

سهيل زكار ، أحوال القرامطة في الاحساء
والشام واليمن والعراق ، دمشق ،
١٩٨٢/١٤٠٢ .

المسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب
العربي الكبير .

سيرة الأستاذ جوقر ، تحقيق محمسة كامل
حسي ، ومحمد عبد الهادي شعيرة ،
القاهرة ، ١٩٥٤ . والترجمة الرسمية
كانارد (Canard)

الكسندر ليريت ، المهدية ، بالعربية ،
١٩٦٨ .

أماري ، المكتبة العربية ، الصلحة ، لدرج ،
١٨٥٧ .
Amari, Biblioteca Arabo-sicula

البكري ، أبو محمد عبد الله المالك
والمالك ، نسخة معدة المصورة في ،
نشر دسلان (Deslane) الطائر
١٨٥٧ .

البلطادي ، الفرق بين العرب ، القاهرة .
التجاني ، الرحلة ص ١٠٠ ، تونس ، ١٩٢٧ .
جمال الدين الشيبان ، الوثائق العاطمية ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

جوتييه ، ماضي شمال افريقية ، الترون
الظلمة ، باريس ١٩٤٢ .
Gautier, Le passé de l'Afrique du
Nord.

جورج مارسيه ، بلاد البربر والشرق الاسلامي
في العصر الوسيط ، باريس ، ١٩٤٦ .
G. Margais, La Berberie et l'Orient
musulman au moyen-âge, Paris,
1946.

جول جاي ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية
البيزنطية ، باريس ، ١٩٠٤ .
Jules GAY, L'Italie Meridionale
et l'Empire Byzantin Paris, 1904.

جوليان ، تاريخ شمال افريقية ، الترجمة
العربية بمعرفة محمد مرالي الشحرور
سلامة ، تونس ١٩٧٨/١٣٩٨ .

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة العاطمية ،
القاهرة ١٩٨١ .

الحبيب الفقي ، التأويل : أسسه ومعانيه في
المذهب الاسماعيلي (القاضي السمان) ،
تونس .

حسن ابراهيم حسن ، المعز لدين الله .

المقى ، ابراهيم شيوخ ، محمد اليعلاوى ،
تونس ، ١٩٧٨ .

النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق أحمد فيظي ،
القاهرة .

النعمان ، تأويل الدعائم (تربية المؤمنين) ،
نشر محمد حسن الأعطى ، القاهرة ،
١٩٦٩ .

النويرى ، نهاية الادب ، تحقيق مصطفى
أبو ضيم ، الرباط .

بالوت ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ،
مصر ، ١٩٠٦ .

بالفرسية ، الخرائر ، ١٨٨٥ .
Motylinski, les Livres de la sect
abadite.

عيسى لقيال ، دور كلمة في تاريخ الخلافة
الفاطمية ، مدد تأسيسها الى منتصف
القرن العاشر هـ / ١١ م ، الخرائر ،
١٩٧٩ .

النعمان بن محمد (القاضي) ، كتاب انتاج
الدعوة ، تحقيق فريجات الدشراوى ،
تونس ، ١٩٧٥ .

النعمان بن محمد (القاضي النعمان) ، كتاب
الحجج والمسايرات ، تحقيق المهيبي

اسماء الأشخاص والقبائل والجماعات

الأثرال : ٤٤٨ ، ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣

الاثنا عشرية : ١٢٦

الاييج : ٤١٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ١٤ ، ٤٥٤ هـ ٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٩٩

ابن الاثني : ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٨ هـ ٧٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣

احمد (اخو ابي يزيد) : ٢٠٥

احمد بن ابراهيم بن محمد : ٢١٤ هـ ٥٤

احمد بن بكر الخلامي : ٢٤ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٦٦ ، ٢١٢ هـ ٨٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

احمد البليوي (النحاس) : ١٢٨ ، ١٣٠

احمد بهاء الدين : ١٧ هـ ٣٦

احمد بن حجاج : ٤٠٥

احمد بن الحسن بن ابي الحسن : ٤٧٨ ، ٤٨٧

احمد (ابو الحسن) بن الحسن : ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

(٢)

الائمة المساجد : ٢٤٥

الائمة العامة (السنة) : ١٤ ، ٤٠ ، ١٣٢

الائمة العاطفيون : ٢٤٧ ، ٢٤٩ هـ ٨٢

الاباضية : ١٤ هـ ١٧ (الراسلية) : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٨ هـ ١١٢ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ٢٨٣ ، ٣٦٩

ابو ابراهيم (الادارسة) : ٩٠ (من كرمه) ٣٣٣

ابراهيم بن احمد (الاغلب) : ١٣٧ هـ ١٧٢ ، ١٣٩ هـ ١٧٦ ، ١١١ هـ ١٨٠ ، ١٩٣ ، ١٤٥

ابراهيم (بن بلقين) : ٣٢٤ ، ٣٦٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٠٨

ابراهيم بن ابي سلاس : ١٧٦ هـ ٤٣

ابراهيم شيوخ : ٤٩

ابراهيم طلال : ٣٠

ابراهيم بن غازي : ١٣٠

ابراهيم بن غالب المزاتي : ٦١ ، ٨٢ ، ٩١

ابراهيم (ابو انيس) بن محمد الشيباني البفسنداني المعروف بالرياض : ٦١ ، ١٢٨

ابراهيم بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩ ، ٤٦٣

ابراهيم بن موسى بن ابي العافية : ٥٠١

ابراهيم بن يونس : (ابن الحساب) ١٣٩

١٠٤ ، ١٠٤ هـ ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ر
١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،
٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ،
٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ،
٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٩٨ -

أم المعز (بن ياديس) : ٤١٢ -

الانصار : ١٨٢ -

أبو الانصار بن عبد الله بن أبي عمير :
٣٠٩ ، ٣٢٦ -

أنوچود ابن الاخشيد : ٢٤٩ -

أوتو الثاني : ٤٨٠ ، ٤٨١ -

أوتو الثالث : ٤٨٧ -

أورستيز : ٤٨٨ -

أوسستاتيوس (القائد البيزنطي) : ١٥٠
١٦٧ هـ ١٥٤ -

أوسه (قبيلة) : ٧٠ -

الأولياء : ١٧ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١٣٢ -

أويل : ٥١٣ -

أيوب بن تميم بن المعز : ٤٩٤ -

أيوب بن خيران الزويل (قائد أبي يزيد) :
١٧٧ هـ ٤٦ -

أيوب بن أبي يزيد : ٥٣ ، ٨٤ هـ ٦٦ -

أيوب بن يطوكت : ٣٥٢ ، ٤٠٧ -

(ب)

اليسابوية : ٤٦٧ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٩٢ ،
٤٩٧ -

اسماعيل بن اسباط : ٣٠٤ -

اسماعيل بن البوري بن موسى بن أبو العافية :
٥٠٦ -

اسماعيل بن الطبري : ٦٥ -

اسماعيل (أبو أيوب) بن عبد الملك :
١٦٧ -

الاسماعيلية (والدهب) : ٣٧ ، ٣٩ ، ٧٠ ،
٨٤ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ -

أشجع : ٤١٩ هـ ٩ -

الأصويكون : ١٦ -

الأغلبية : ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٦١ ،
٦٣ ، ٦٨ هـ ٣٩ ، ٧٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ،
١٢١ هـ ١٣٧ ، ١٣٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ،
٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٨ ،
٤٩٧ -

أفتكين (التركي) : ٤٧١ -

أفريقية : ٢٥٦ -

أفروم البرغواطى : ٤٣٩ -

أفريقيون (الفارقة) : ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
٣٣٨ -

أفلح بن ناشب : ٢٥٢ ، ٢٧٩ -

أفلح بن هارون اللوس (القاضي) : ٦١ ،
٧٢ -

الأكراد : ٤٧١ هـ ٧٧ -

أمارى : ١٥٤ ، ٢٧٣ -

الامام المعصوم : ١٣٥ ، ١٣٦ -

الأمويون : ٣٤ ، ٣٥ هـ ٤٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
٥٤ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٦ -

- باديس بن المنصور : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠١ .
- آل باديس : ٤٤٩ .
- أهل البادية : ٢٨٢ .
- باديس (المنقصر) بن حبوس : ٣٦٧ هـ ، ١١١ ، ٥٠٨ .
- باديس بن مالك (بن زيري) : ٣٦٦ .
- باديس (أبو مناد) بن المنصور : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ هـ ، ٩٦ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ١٦٣ هـ ، ١٠٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٩ .
- بازيل بوجونيز : ٤٨٨ .
- باسكالوس (الرغوس) : ٢٦٧ .
- باسيل (الايروطوقاريوس) : ٢٦٩ .
- باسيل الثاني : ٤٧٩ هـ ، ١٠٥ .
- الباسيليوس (ملك الروم) : ٤٨٧ .
- البيتر : ٢٨٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٠ ، ٣٩٥ .
- ابن الجاوي القزويني الفهرى (أبو ابراهيم) : ٦٨ هـ ، ٢٩ .
- بجاية : ٤٤١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ هـ ، ٣٤ هـ ، ٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ هـ ، ٤٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ .
- البحرية : ٣٢٩ .
- آل البيت : ١٣٤ ، ١٤٠ ، ٢٤٥ .
- بندر الحماقي : ٤٧٩ .
- بندر بن سرحان : ٤١٩ ، ٥٠ .
- البدلاء (الأبدال) : ١٤٤ .
- برادية (من يقرون) : ١٩٠ .
- البيزاس (قبائل) : ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ .
- البيزاس : ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٢ هـ ، ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٤ هـ ، ٣٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ هـ ، ٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٨ .
- بردويل : ٤٨٠ .
- ابن البرذون : ١٢٥ هـ ، ١٤٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ هـ ، ١٦٦ ، ١٤٣ .
- بنو برزال : ١٠٦ هـ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .
- برعاضة : ٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٥٠٢ ، ٥١١ .
- برقة : ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
- آل برهك : ٢٨٩ .
- برهسون : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
- بروباتا (جودج) : ٤٩٠ .
- البطارقة : ٤٨٠ .
- أبو بطة : ٨١ ، ١٠٢ .
- ابن بطوطة : ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ .
- بطوطة (بلاد وقبيلة) : ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ٦٩٢ .

- بنوثة بن قرة : ٤١٩ .
- أبو اليهبار خلوف (كاتب ابن ياديس) :
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٤ .
- أبو اليهبار الصنهاجي : ٣٤٦ هـ ، ٦٤ ، ٣٥٢ ،
٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ هـ ، ١٠٤ ،
٣٦٥ ، ٣٦٦ .
- بورنداس سكليريس : ٤٧٩ هـ .
- البيوري بن موسى بن أبي الصافية : ١٦٧ ،
٢١٢ هـ ، ٤٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٣ .
- اليولصيون : ٢٧٣ .
- البوني (أبو الحسين) : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ .
- بنو بويه : ١٣٦ هـ ، ١٧١ .
- بيزنطة (الروم) : ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،
٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٤٢٠ ، ٤٧٩ ،
٤٨٤ هـ ، ١ هـ ، ٤٨١ ، ٦ ، ٤٨٤ ،
٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ،
٤٩١ ، ٤٩٥ .
- البيسانيون : ٤٩٤ .
- (ت)
- تاتشال : ٥١٣ .
- تاج العوكة ، سيف الله ، أنظر جعفر بن
يوسف بن عبد الله (بصقلية) .
- بنو تباذلت أنظر عبد الله بن خزيمة .
- التجاني : ٤١٣ ، ٤٤٨ هـ ، ١٠ .
- تسين (والي مصر) : ٧٧ .
- تلسكاته (وتلسكاتيون) : ٣٩٤ ، ٣٩٨ ،
٤٠٧ .
- بنو تفرمان : ٤٣٨ .
- بغلة (الغني) : ١٤١ .
- البغدادي أنظر أبو جعفر وإبراهيم (أبو أبيس)
وأبو الفضل .
- أبو بكر : ١٢٦ هـ ، ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٣٨٢ ،
٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
- بكر (أبو عبد الرحمن) بن حماد بن سببر
(الشاعر) .
- (الزناني) : ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢١٤ هـ ، ٥٤ ،
٥٦ .
- أبو بكر بن عمر (اللطوني) : ٤٦١ ،
٥١١ .
- أبو بكر بن عمر : ٤٢ ، ٤٨ .
- أبو بكر بن أبي الفتح : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
- أبو بكر بن القمودي (الفيلسوف) :
٦٢ .
- إبيكري : ١٣ هـ ، ١٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ،
١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٣٨٨ ، ٤١٣ ،
٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٣ .
- بلارة (بنت تميم) : ٤٦٣ .
- بلكين (يوسف بن زيري) : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ،
٤٠٢ ، ٤٣٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٩٩ ،
٥٠٤ ، ٥٠٥ .
- بلكين بن محمد : ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٣ هـ ، ٢٠ ،
٥٠٠ .

٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٤٠ ،

جملة (قبيلة) : ٨٢ -

(ج)

حاتم بن حمال المزاني : ٧٨ -

اهل الحاضرة : ٢٨٢ -

الحاضن : انظر ابو الحسن -

الحافظ : ٤٧١ هـ ٧٧ -

الحاكم بامر الله : ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،

٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٥٥ ، ٣٨٠ ،

٣٨٧ ، ٤٢٤ هـ ٤٨ ، ٤٢٥ -

حامد بن حمدان الهمداني : ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٠٥ -

حاميم (ابو محمد) بن من الله : ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٩٨ -

حماسة بن هاشم (زيري) : ٣٦٦ -

حماسة بن يوسف (القلوس) : ٧٤ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١١٨ -

حبوس بن زيري : ٣٠٨ -

حبوس بن القاسم بن حماسة : ٤٠٧ -

حبسو حبوس بن هاشم : ٣٦١ ، ٣٦٧ ،
١١١ هـ -

الحجازيون : ٤٧١ هـ ٧٧ -

الحجام : انظر حسن بن محمد بن القاسم -

ابن الحداد : انظر سعيد -

ابن خزم : ٥٠٨ -

الحسن (السبط) : ١٢٥ -

حسن ابراهيم حسن : ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٣ ،
٧٩ هـ -

جعفر بن محمد بن (الاندلسي) : ٥٣ ،
٢١٦ -

ابو جعفر بن خرون : ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ -

جعفر بن عبيد (ابو حمزة) : ٦٨ ، ١٠٦ ،
١٥٧ ، ١٥٦ -

جعفر بن علي (الحلاجي) : ٦١ ، ١٥٧ ،
١٦٤ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠٥ -

جعفر بن علي بن محمد بن (الاندلسي) :
١٦٨ ، ٢٨٧ ، ١٩١ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ،
٣٤٤ -

جعفر بن محمد (البغدادي) :
١٢٦ ، ١٩٦ -

ابو جعفر محمد بن احمد بن هارون البغدادي :
٦٢ ، ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٣٤ هـ ١٦٥ ،
١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ هـ ١٣٠ -

جعفر بن محمد بن ابي القاسم علي : ٤٨٣ -

جعفر بن منصور النعمان (ابن حوشب) :
٢٨ ، ٣١ ، ١٨٢ هـ ٥٩ ، ١٨٨ هـ ٦٧ ،
١٩٠ ، ١٩٦ -

جعفر بن يوسف بن عبد الله : ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،
٤٨٦ ، ٤٨٧ -

جلالة بن زيري : ٣٦٠ ، ٣٦٥ -

جمال الدين الشيباني : ٧ هـ ١ -

الجنويون : ٤٩٤ -

جسور : ٢٥ ، ٢٦٠ ، ٢٩ ، ٢٨٨ هـ ٧٥ ،
١٩٦ هـ ١٩٧ هـ ٧ ، ٢٠٠ هـ ١٧ -

٢٠٥ هـ ٢٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ -

جوشن بن حميد البغدادي : ٢٠٥ -

جوهر الصقلي : ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ -

٢٨٤ . ٢٨٣ . ٢٨٢ هـ ٢٨٤ هـ ٢٨٤ هـ ٢٨٤ هـ
 حسن بن قاسم اللواتي : ٢١٢ ، ٢١٧ هـ
 الحسن بن عاكس : ١٨٣ هـ ٢٢ هـ
 حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس (الحجامة) :
 ٩٠ ، ٩١ هـ ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ هـ
 حسن بن مفرج (الفقيه) : ١٣٤ هـ ١٦٦ هـ
 ابو الحسن بن المنصور : ٤٤٨ هـ
 حسن بن منصور (مقدم بني هراش) : ١٨٤ هـ ٦٦ هـ
 حسن بن نصر (الداعي) انظر ابو الفهم
 الحسين (السبط) : ١٢٥ ، ٢٨٤ هـ
 حسن بن خلف القوصي : ٢٨٦ هـ
 الحسين بن ذكويه (صاحب القشامة) :
 ٥٨ هـ ٣ هـ
 بشو ابي الحسن البجلي : ٢٦٨ ، ٢٧٧ هـ
 ٢٨١ هـ
 حسين بن عمار : ٢٧٤ ، ٢٧٣ هـ
 حسين « ابو جعفر » بن مهذب : ٢٢٣ هـ
 ابو حفص : ٤٩٠ هـ
 ابو حفص القلاسي : ١٦٩ هـ
 الحفصيون : ٤٩ هـ
 ابو خليفة (من جماعة المشايخ) : ٦٨ هـ
 حماد بن بسكين : ٢٩١ هـ ٩ هـ ٢٢٣ هـ
 ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ هـ
 ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ هـ ٢٦٥ هـ
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ هـ ٢٦٨ هـ ٢٦٨ هـ
 ٢٥٧ هـ ٢٥٨ هـ ٢٥٩ هـ ٢٥٩ هـ
 ٢٥٩ هـ ٢٥٩ هـ ٢٥٩ هـ ٢٥٩ هـ
 حماد بن تميم بن زيري : ٥٨٣ هـ

حسن بن احمد بن عبد الوهيد التلمي
 (الوزير) : ٢٤٦ هـ ٦٤ هـ
 ابو الحسن الحساد : ٤١ هـ ٤٦٦ هـ
 الحسن ابن احمد بن ابو خنيزر : ٦٢ هـ
 ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ هـ ١٤٧ هـ ١٨٩ هـ
 ١٤٨ هـ ١٩١ هـ ١٩٢ هـ ١٩٣ هـ ١٥٠ هـ
 ٢٦٠ هـ
 ابو الحسن بن ابي الفرج : ٢٨٨ هـ ٢٨٨ هـ
 ٢٩٢ هـ
 حسين بن سرحان : ٥٠ ، ٥١ ، ٥١٨ هـ
 ٤١٩ هـ
 الحسن الصمصام : ٤٩٩ هـ
 ابو الحسن قتيب بن اسماعيل (اخاص) :
 ٦١ هـ
 الحسن بن ابي العيش (الادريسي) : ٣٦ هـ
 ٣٧ ، ١١٠ هـ ١١١ هـ ١١٢ هـ
 ١١٣ هـ ١٢١ هـ ١٢٣ هـ
 الحسن بن علي (ابو علي سكين الملقب) :
 ٤٢٢ هـ
 حسن بن علي (بن ابي الحسن الكلب) :
 ١٧٧ هـ ٤٥ هـ ٤٦ هـ ٢٨٩ هـ ٢٥٩ هـ
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ هـ ٢٦٨ هـ ٢٦٨ هـ
 ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ هـ ٢٧٦ هـ ٢٧٨ هـ
 ٢٨٢ هـ
 الحسن بن علي المستنصر : ٥٠٨ هـ
 الحسن بن عيسى (بن ادريس) : ٢٨٤ هـ ٥٨٦ هـ
 ٢٢٦ هـ
 الحسن بن فرج بن حوشب انظر جعفر بن
 منصور اليمن
 ابو الحسن الفهري : ٤٧٧ هـ
 حسن بن القاسم (جنون) : ٢١٣ هـ ٥٣ هـ
 ٢١٤ هـ ٥٤ هـ ٢١٥ هـ ٢٨٧ هـ

راوى بن زبيري : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤١١ .

زبرقة (قبيلة) : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ .

ابن عبيد ذرع (صاحب الفرس) : ٨٨ ، ٨٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

زرباب : ١٤١ .

ابو زعبل بن مسلم (القائد) : ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ .

زغبة : ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ .

٢٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٩٩ .

ابو زكريا الوردجاني : ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٦١ .

رموز (ابو حجاج) البرغواني : ٢١٠ ، ٢٣٩ .

الزبانية : ٢٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ .

٦٥ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ .

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٠٩ ، ١١٣ .

١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

١٨١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ .

٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ .

٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ .

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ .

٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

٥١٢ ، ٥١٣ .

ابن رشد : ١٦ ، ٢٣ .

الرشيد : ٢٣٧ ، ٤٠٣ .

ابن رشيقي : ٤١٠ ، ٤٢٧ ، ٤٠ ، ٤٩٣ .

الرضي (عم عبد الله بن صالح) : ٨٤ ، ٦٠ .

الرياسة الكبار (الجمالون) : ٥١٦ .

الرفيق (القسرواني - ابراهيم) : ٤٦ ، ١٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٠ .

ابو ركوة : ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٥٦ ، ٤٢٥ ، ٤٤٤ .

الرفعي : ٨٤ ، ٦٠ .

الروس : ٢٧٢ .

الروم (بيزنطة) : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ١٠٩ .

١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

١٥٩ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ .

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

الرومانيون : ٤٧٦ .

رياح : ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ .

٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ .

٤٧٥ .

الرياح : انظر ابراهيم (ابو اليسر)
الشياني البغدادي .

ريحان ابن علي الكتامي : ٩٠ .

(ز)

ابو زكي نعيم بن مازك الاجال : ١٨ .

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ .

٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،
٥١١ ، ٥١٨ .

زبيري بن عطيسة الزناتي : ٣٤٦ م ٦٤ ،
٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٤٩٨ ،
٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

زيتب بنت اسحق : ٥١١ .

(س)

الساحل : ٩٤ ، ١٧٩ .

سالم بن راشد : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ .

ابن السماية : ٢٥٨ .

السبيعية : ٢٤٣ .

الست (ست الكل سلطنة اخت الخاكم) :
٣٢٢ ، ٣٨٠ .

سحنون : ١٣٣ ، ٣٧٩ .

السرذغوس (strategos) : ١٥٩ ، ٢٦٦ .

سفاعة الله بن هارون : ٨٤ م ٦٠ .

ابو سمعدى خليفة الزناتي (اليفرنى) :
١٣ م ١٠ (سمعدى) ، ٥٠ ، ٤٣٨ ،
٤٩٩ .

ابن سعدون : ٣٩ م ٤٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ .

ابن سعيد : ٤١٣ .

سعيد بن ادريس : ٨٤ م ٦٠ .

سعيد بن الحساد (الفقيسه) : ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٣ .

سعيد بن خزون الزناتي : ٣٣٥ ، ٣٤٧ ،
٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٤٨ م ٩٠ ،
٤٩٨ .

زساش (وائل طيرمين) : ٢٥٧ .

بنو زسالك (المقرانيون) .

زواقة : ٨٤ م ٦٠ ، ١١٣ ، ٥١٠ .

زواوة : ٢٩٠ ، ٢٠٨ .

زياد بن حلقون (المتطهب) : ١٣٩ .

زياد بن عامر : ٥٠ ، ٤١٩ .

زيادة الله (الاغلبى الاحمر) : ١٨ ، ١٧ ،
١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٦ .

زيادة الله بن عبد الله بن القسريم : ٢٨٠ .

٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ، ٤٠٢ .

زيان (ابو الفتح) الصقلي : ٢٧٧ .

زيد بن زيد : ٤١٩ .

زيدان (الفتى) : ١٦٦ ، ٢١٨ ، ٣١٩ .

زيد العجاج بن فاضل : ٥٠ ، ٤١٩ م ٩ .

زيري (ابن متاد) : ١٨٨ م ٧٧ ، ١٨٩ .

٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٢ .

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ .

٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ م ١١١ ، ٣٩٤ .

٤٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ .

الزيريون : ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ .

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ .

٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ .

٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ .

٣٨٤ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ .

٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ م

٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ،

٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

- ابو سميد موسى بن احمد (التقيف) :
١١٨ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٥٧
- بنو سعيد (ابن صالح بنكور) : ٨٦
- سعيد بن صالح الحميري : ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦
- سعيد بن يوسف : ٢٩٩
- سفيان : ٤٣٦
- سكن (الثائر اليرنسي بنكور) : ٨٤ هـ ، ٦٠
- سكوت البرغواطى (الحاجب) : ٥٠٨ ، ٥٠٩
- سكيليتزى : ١٥٤ هـ ، ٢١١
- ابن السلال : ٣٨٥
- سلامة بن رزق : ٥٠ ، ٤١٩
- سلامة بن عيسى : ٣٧٦
- سلمان الفارسي : ١٢٧ هـ ، ١٤٨
- ابن سلعة : ١٥٩
- سلول (بن مسرة) : ٤١٩ هـ ، ٩
- بنسو سليم : ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٤ هـ ، ٢٥
- سليمان (سولومون) : ١٩٤
- سليمان بن خيران الزويل : ١٧٦ هـ ، ٤٢
- سليمان بن كافي الجبل : ٧٧ ، ٨١
- سليمان المستعين : ٣٦٧
- سمعة : ٥١٢
- ستان بن ثابت بن قرة : ٦١ هـ ، ٧
- المسنة : ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥
- ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ هـ ، ٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٥١٨
- سمنار : ٦٠ ، ٧٩
- آل سهل : ٢٨٩
- سهيل بن نفيس (صاحب النقات) : ١٧٧ هـ ، ٤٨
- السودان : ٤٤ ، ١٣٥ هـ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢
- سيار بن عبد الوهاب : ١١٠
- ابن سيد بن الحنفى : انظر احمد
- (ش)
- الشافعية : ١٣٢ هـ ، ١٦٠ ، ١٣٣
- الشاعر الله : انظر محمد بن النعمان
- شاهمك : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤
- ابن شداد (الامير الصنهاجى) : ٥٠ هـ ، ٤٩
- بنو شداد (من يقرن) : ١٩٠
- شرطة : ٥١٢
- ابن شرف : ٤٠ هـ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ هـ ، ٤٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
- الشرفاء : ٢٤٣
- الشرىف الباهرى : انظر على بن عيسى الله
- الشرىف العلوى (رئيس الدعاء) : ١٣٦
- الشرىف الفهرى : ٤٥٨ هـ ، ٣٦
- الشرىف هاشم : ٥١ ، ٤١٧ هـ ، ١ ، ٤١٨ ، ٤٢٥

ابن شعبان (القائد) : ٢٤٦ .

التماخي : ٢٠ م ٣٧ .

شميع الصقلي : ٣٧٣ .

شواشي بن نبال : ٣٢١ .

شيخ الشايخ : انظر هارون بن يونس .

الشيعه : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٦٥ .

١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .

٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ .

٢٧٩ ، ٣٨٢ م ٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٢ .

٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨١ .

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ .

٥١٠ ، ٥١٨ .

الشيعه الزيدية : ١٤ م ١٧ .

(ص)

صابر القتي : ١٢٠ ، ١٥٨ .

صاحب الحمار : انظر أبو يزيد .

صائى (القائد الصقلي) : ٤٨٥ .

بنو صالح (بنكور) : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٦ .

١١٠ م ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ .

٢٨٥ .

صالح بن سعيد بن صالح الخهري : ٨٤ م .

٦٠ ، ٨٧ ، ٨٩ .

صالح بن طريف : ٣٤٠ .

صالح بن عيسى بن أسى الأنصار : ٣٤٤ .

الصديقى (القاضى) : ١٤٢ .

بنو صقر : ٤١٩ .

الصغرية : ١٠٨ م ١١٣ ، ١٦٩ ، ١٩٣ .

٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ .

الصقالبة (الماليك) : ٢٨٦ ، ٣٦١ .

صلاح الدين (الأيوبي) : ٣٩٢ .

صلاح بن حيوس : ٢١٦ .

الصليبيون : ٤٧٥ .

صندل (الفتى) : ١٦٧ .

صنهاجة : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤ .

م ٦٠ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢١٧ .

٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ .

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ .

٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ .

٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ .

٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ .

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ م ٢٠ .

٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ .

٤٤٨ م ٩ ، ٤٥٠ م ٦١ ، ٤٥٣ .

٤٥٣ ، ٤٥٤ م ٢٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ، ٤٩٥ .

٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ .

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

الصوفية : ٥٤ .

صولات بن جندة : ٧١ .

(ض)

الصديق (موسى) : انظر أبو سعيد .

(ط)

أبو طار : ٢٥٨ .

ابن طائون : ١٦٥ ، ٢٧٧ .

بنو الطبرى : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

طبريز (بن ملوك) : ٢٣٩ .

طريف (بن ملوك) : ٢٣٩ .

- عبد الله بن بلكين : ٣١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ .
- عبد الله بن بلكين (حامد حبوس بن هاجسن صاحب غرقاة) : ١٦٧ هـ ، ١١١ .
- عبد الله بن حماد : ٣٩٧ ، ٤٠٨ ، ٤٤٧ .
- عبد الله بن خزر : ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ هـ ، ١١٢ ، ٢١٦ .
- عبد الله بن زياد (الكاتب) : ١٧٧ هـ ، ٤٨ .
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ٤٣٠ .
- عبد الله بن سكرديد : ٢٩١ هـ ، ٩ .
- عبد الله بن سلمان : ١٣٩ ، ١٤٠ .
- عبد الله بن صالح : ٨٤ هـ ، ٦٠ .
- عبد الله بن أبي عامر : ٣٦٤ .
- أبو عبد الله بن عبد الصمد : ٤٠٠ .
- عبد الله بن محمد العطار : ٤٤٧ ، ٤٥١ هـ ، ١٥ .
- عبد الله بن محمد بن أبي القاسم : ٤٨٣ .
- عبد الله بن محمد السكاك : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
- عبد الله (بن العز لدين الله) : ٢٤٢ .
- عبد الله بن العز بن يادوس : ٤٩٠ .
- عبد الله بن مذكوت (مذكود) : ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ، ٦٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ .
- عبد الله بن ناسين : ١٠ هـ ، ٤٢ ، ٤٣ هـ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٦ .
- عبد الله بن يحيى بن اندريس : ١١١ ، ١١٢ هـ ، ١١٨ .
- عبد الله بن يخلف : ٢٨١ .
- عبد الله بن ليال : ٣٢١ .
- عبد المجيد بن المستنصر : ٤٠ هـ ، ٤٢ .
- عبد الملك بن مروان : ١٤٦ ، ٢٤٧ هـ ، ٨٠ .
- عبد الملك المظفر بن أبي عامر : ٣٦٤ هـ ، ١٠٧ ، ٣٦٧ ، ٤٩٨ .
- عبد مناف بن هلال : ٤٢٥ هـ ، ٣٠ .
- عبد النعم هاجد : ٧ هـ ، ١ .
- بنو عبد الواد : ٤٩ ، ٤٩٩ .
- عبدوس المؤذن : ١٣٤ هـ ، ١٦٧ .
- عبدون بن حباسة : ٦٢ .
- عبيد الله (المهدي) : ٩ هـ ، ٤ ، ١٠ هـ ، ٤ ، ١١ هـ ، ٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ هـ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ هـ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ هـ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ هـ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ هـ ، ١٢٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ هـ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٣٥ هـ ، ١٧٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ هـ ، ١٧٧ ، ١٤٠ هـ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ ، ١٨١ ، ١٤٦ هـ ، ١٨٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦ هـ ، ٥ .

علي بن هبة الله النخعي (العميلة الشاعر) :
٢٥٣ هـ ٧٩ .

علي بن أبي الفوارس : ١٤٦ .

علي بن لقمان : ١٠٢ .

علي بن مجاهد . ٤٩٧ .

علي بن محمد بن أبي العرب : ٣٢١ .

علي بن مصافة : ١١٣ .

علي بن يوسف : ٤٨٦ .

أبو عمار الأعمى : انظر أبو عبيدة .

ابن عمار (ابن أبي الحسين الكلبي) : انظر
الحسين .

عمار بن علي بن أبي الحسين الكلبي : ٢٦٩ .

عمار بن ياسر : ١٢٧ هـ ١٤٩ .

عمار : ١٢٦ هـ ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٢
ص ٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

عمار بن عبد العزيز : ٢٤٦ .

عمار بن لؤي بن تميم : ٤٧٤ هـ ٨٧ ، ٤٧٥ .

(أبو عمار) عمار بن أحمد بن عبد الله بن
أبي مجرل النخعي : ١٢٢ ، ١٢٣ .

عمار بن عمران : ٢٥٧ .

عمار بن حكان : ١٤٠ .

عمار بن أبي خازن بن أبي سالم : ١٢٣ هـ
١٣٩ .

عمارة (بن أسد) : ٤١٩ هـ .

عمرو (أبو الحكم) بن عبد الله بن أبي عامر
(عسقلانية) : ٣٤٦ هـ ٦٤ .

عمروس بن سندركان : ٤٤٨ .

عوفه : ٤٢٣ .

عقيل (بن المعز لدين الله) : ٢٤٢ .

العلاء بن مغيث : ٨٠ هـ .

أم العلو (بنت باديس) : ٢٨٠ ، ٢٩٧
٤٤٧ .

علي (ابن أبي طالب) : ٢٦ ، ٢٩ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ هـ ١٤٨ ، ١٢٩ ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٧٢ ، ١٨٩ هـ ٧٨
٢٩١ .

العقويون (العلوية) : ٨ هـ ٢ ، ٣٥
٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٤١
٢٨٥ .

علي بن أحمد بن أبي خنزير : ١٤٦ .

علي بن أحمد بن فرهب : ١٤٨ .

علي (أبو الحسن) ابن الإشبيلية : ٢٤٩ .

علي بن نصيم بن المعز : ٥٩٤ .

علي بن أبي الحسين : ٢٦٠ ، ٢٦٥ .

علي بن حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

علي بن حمدون (الأندلسي) : ٥٣ ، ١٠٦ ،
١٦٨ ، ١٨٤ هـ ٦٦ .

علي بن الحواسي : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

أبو علي بن حمدون (النعمان) : ٣٨٢ هـ ٦ .

علي بن رزي : ٤١ ، ٤٩ .

علي بن سلمان (الداعي) : ٨١ ، ١٠٤ .

علي بن سلمان بن كافي : ١٠٥ هـ ١٠٣ .

علي بن الطبري : ٣٦٥ .

علي بن عبد الله الهوي (الداعي) : ٢١٧ .

علي بن الواحد : ٤٨ .

علي بن عمر الهوي : ١٤٧ .

عيسى بن حاتم : ٢٦١ -
 عيسى بن داود السطاسي : ٢٦٩ ، ٢٦٠ -
 عيسى بن القاسم (جنون) : ٢٦٣ م ٥٣ ،
 ٢٦٥ م ٥٤ -
 عيسى بن أحمد الفاضل : ٢٦٥ م ٥٨ -
 عيسى بن مسكين (الناقور) : ١٢٩ -
 أبو العيش بن عيسى : ١٦٨ ، ١٦٩ -
 أبو العيش (أحمد) : ٢٦٣ م ٥٤ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ -
 العيون والحلائق (مجهول) : ٣٠ -
 (غ)
 الغز : ٧٧ م ٤٧٣ -
 غالب (مولی الناصر) : ٢٣٠ -
 أبو غالب الشيرازي (رسول بغداد) : ٣٩٠ م ٢٨ -
 أبو غلام (الكتاب) : ٨١ -
 الغزاة : ٢٧٨ -
 عمارة : ٨٤ م ٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ،
 ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ -
 (قد)
 فارس بن أبي الفيث : ٤٣٦ -
 الفاضل : انظر أبو العيش بن كنون : ٥٤ م ٢٦٤ -
 فاطمة (الزهراء) : ١٢٥ -
 الفاطميون : ١٠٠ -
 الفاطميون : ٧ م ٨٠ ، ٢ م ٢٨ ، ٣ م ٣٤ ،

٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
 ٣٠ م ٤٢ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ م ١٠٣ ،
 ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ م ١٢٧ ، ١٢٢ ،
 ١٢٣ ، ١٢٦ م ١٧١ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،
 ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨٨ ،
 ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ م ٩ ، ٥٩ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ م ٧٧ ، ٤٧٣ م
 ٧٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠١ ، ٥٠٢ -
 لروح بن النخيل : ٢١٧ -
 القنوج بن دوناس بن حمادة بن الغز بن عطية
 الكفراوى : ٥٠٤ ، ٥٠٥ -
 فتوح بن علي : ٣٥٥ -
 أبو الفتوح يوسف سيف الدولة : انظر بتكوين
 فرج بن عمير : ١١١ م ١١٦ -
 فرج (الفتي) : ٢٦٦ -
 أبو الفرج (الكتابي السني الفسطيني) :
 ٣١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٩٩ -
 ابن فرقان : ١٧٣ -
 أبو فريد : ٧٩ -
 فراره : ٤٢٩ م ٩ -
 فضل بن عبوس : ١٠٥ م ١٠٣ -

أبو القاسم بن عبد الواحد البغدادي : ٣٨٦
 هـ ٢٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ هـ ٣٢ ٢٢٠ -

أبو القاسم بن الحسين بن (الحمصلي) :
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ -

أبو القاسم بن حسين : ٣٢٢ هـ ٩٤ -

أفضل بن أبي علي المرادي : ٤٣٦ -

القاسم بن حمود : ٥٠٦ ٥٠٧ -

فضل بن ناهض : ٥٠ ٤٦٩ -

القاسم بن علفاس : ٤٥٥ ٤٥٦ هـ ٣٢ -

فضل بن أبي يزيد : ١٧٢ ، ١٨٨ هـ ٧٧

أبو القاسم علي بن الحسين بن أبي الحسين
 ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ٤٨٣ -

١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ هـ ٨٣ ١٩٢
 ٢٢٠ -

قاسم بن محمد بن طلحة : ٢١٢ -

فضل بن سعيد الزباني : ٣١٨ ، ٣١٩

القاسم بن محمد بن عبد الرحمن : ٥٠١ -

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ٣٢٨ -

أبو القاسم بن محمد بن أبي العرب : ٣٢٠
 ٣٢٩ ، ٤٠٤ -

٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ٣٥٣ -

٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ٤٤٤ -

٤٤٥ -

القاسم بن محمد بن القاسم : ٥٠٨ -

ابن فليس : ٣٢ -

أبو القاسم بن القاسم : ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨
 ١٢١ ، ١٢٨٠ ، ٢٨١ -

أبو العهم حسن بن بصريه الخراساني :
 ٤١ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ -

القاسم بن محمد كنون : ٢١٢ -

٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ٣٦٢ -
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ -

فيت : ٧ هـ ١ -

أبو القاسم (الناظم ابن المهدي) : ٢ ، ٢٢ ،

(ق)

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ،

٤٠ هـ ٤٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٣ ،

٧٤ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ،

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥٩ ،

١١١ ، ١٦٢ هـ ٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،

١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ هـ

٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ -

٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ هـ ١٧ -

٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،

٢٦٦ ، ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٣٦ ، ٢٦٩ -

أبو القاسم بن اليزيد : ٣٨٧ -

قاضي بن إبراهيم بن بلعثة : ٤٧٤ -

القائد بن حماد : ٤٥٣ هـ ٢٠ ، ٤٩٦ ، ٥٠٣ -

قائد بن ميمون الصنهاجي : ٤٥٦ ، ٤٦٠ -

القائد : انظر أبو القاسم -

القائد (بن حماد) : ٤٠٨ هـ ٨٠ ، ٤٠٩ -

٤٣٩ ، ٤٣٦ -

القائم العباسي (ابن القادر) : ٣٨٨ ، ٣٨٩

٣٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ -

القادر (الخليفة العباسي) : ١٣٦ هـ ١٨١ -

القاسم بن إبراهيم : ٣٦ -

أبو القاسم بن الحسن : ٢٥٦ ، ٢٨١ -

٧٣ - ٧٥ - ٨٠ - ٨٢ - ٩٣ - ١٠٠
 ١٠١ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٨
 ١٢١ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٥١ - ١٥٢
 ١٥٣ - ١٧٥ - ٧٧ - ١٧٨ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٢ - ١٩٤ - ٢٠٦
 ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٢٣ - ٢٢٢ - ٢٥٠
 ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٦٥
 ٢٧٦ - ٢٨١ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١
 ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣١١
 ٣١٢ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢٨
 ٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤
 ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٦١ - ٣٧٣
 ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٨٦ - ٣٩٤
 ٣٩٦ - ٣٩٩ - ٤٠٧

كرامت بن المنصور : ٣٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧

أبو كسة : ٢١١

الكلاعي (الحنفي) : ١٣٢

كلالة (من يفرق) : ١٩٠

الكلبيسون : ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٦

ابن كلثة (مقدم جربة) : ٣٩٩

كعات بن معدني : ٢٩٩

أبو الكمال : انظر تميم بن زيري بن يحيى بن محمد المريني

بنو كملان : ١٠٦ - ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 ٦١ - ١٨٨ هـ ٧٦ هـ ، ٧٧ هـ ، ١٩١
 ٢٠٦ ، ٢٣١

ابن الكواخي : ٢٦٣

(ل)

لاوه (الأسقف صقلية) : ١٥٧

لقوط بن يوسف بن علي (الخراوي) : ٥١١

لمايه : ٧٢٠ ، ١٠٥ ، ١٠٨ هـ ١١٢

المصطفي : ٤٠٩

مقدام (أعدام الصقليين) : ٢٠٣

مدين القديم : انظر أبو القاسم : زينة الله

مفرحاته : ٩ هـ ٣ ، ٢٤٠ ، ٣٧ ، ٤٠ هـ ٤٢

٥٨ هـ ٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣١ - ٢٠٨ ، ٢٤٩ ، ٤١٧ ، ٤١٨

بنو قرة : ٥٤٤ - ٥٤٨ هـ ١٠

ابن القملين : انظر محمد بن اسحق القرشي

بنو قرة : ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٥٦ ، ٤٢٥ هـ ٣١ ، ٤٣٦

ابن قهرهب : ٤٠ ، ١٢٠

قسنطين (السايح) : ٢٤١٠ هـ ٦٨ هـ ٦٩

القصور (قبله) : ١٠٨

القنقشلي : ٧

أبو قمع : ١١٥

ابن القمودي : انظر أبو بكر

القيسبة : ٢٨٧

قصر (الصقلي) : ٢٢٣ هـ ١٣٢

(ك)

كادو بن معارك الماوطني : ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩٠

كافور (أبو لاسك) : الاخشيبي : ٢٤٩ ، ٣٥٠

كتاب بن زيري : ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٨

كتاب بن المنز بن باديس : ٤٠٣

كبنون : ١٧٥

كسامة (الكتامون) : ١٩٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

٢٨ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤

٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

- متوفى : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠
- مالك (ابن أنس) : ١٤٥ ، ١٧٨ ، ٢٤٧ ، ٢٨٢ ، ٨٠
- المالكى (صاحب رياض الشفوس) : ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٣
- المالكية : ٥٢ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٨٥
- بنو مائدة : ٤٤٨ ، ٤٤٩
- مانويسل : ٢٦٣ ، ١٢٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
- المأوردى (القاضي صاحب الأحكام السلطانية) : ١٣٦ ، ١٧١
- المساوطينى : انظر كادر
- المتغلبون : ٢٤٨ ، ٢٤٩
- المتكلمون : ٢٨٨
- المنبجى : ٤٥١ ، ٣٥
- المثنى بن تميم : ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤
- مجاهد (صاحب دانية) : ٤٩٧
- الجوس : ٨٤ ، ٦٠
- محمسان بن عبد الله بن ثعلبة : ١٠٤ ، ١٠٣
- مخارب (أبو يوسف) الأزدي : ١٦٩
- محرز (الولي الصالح) : ١٢٤ ، ٩٧
- محسن بن النائل بن حماد : ٤٥٣ ، ٢٠
- محسن بن ماكسين : ٣٦٦
- محسن بن النائل بن حماد : ٤٣٦
- بنو محلبة : ٤٤٥
- متوفى : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠
- لهبسة (قبيلة) : ٢٠٧ ، ٨٢ ، ٤٧٩ ، ٥ ، ٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠
- لواءة : ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٦٧
- ليثوريو : ٥٢
- لين بول : ٧ ، ١
- ليفى بروفنسال : ٧ ، ١
- (٢)
- بشو ماكسين : ١١١ ، ١١٦
- ماجستراتوس : ٤٩٠
- مارسبه (جورج) : ٧ ، ١ ، ٥٢ ، ٩٣
- ماريانوس (اجروس) : ٢٦٩
- ماس لاترى : ٧ ، ١
- ماسبه (هنرى) : ١٥ ، ٢٢
- ماضى بن محمد الصنهاجى : ٤٦٣
- ماضى بن عسرب : ٥٠ ، ٥١ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٣٠
- ماطيف بن بعل : ١٩١
- ماكس فان يوسم : ٧ ، ١
- ماكسين بن زيرى : ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨
- ماكسين بن مناد (أخو زيرى) : ٢٨٩
- ماكنون (ماكنون أبو يوسف) بن حسيار
- الاجانى : ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣

- محمد بن عبد الرحمن (الامام الاندلسي) :
٨٤ م ٦٠ - ٣٨٦ م ١٠
- محمد (ابو الفقل) بن عبد السلام :
١٤١ م
- محمد بن عبد العزيز : ٣٨٧ م
- محمد بن عبد القادر بن خلف : ٣٤٥ م
- محمد بن عبد القاهر بن خلف : ٣٧٦ م
- محمد بن عبدون : ٣٦٥ م
- محمد بن عبد الله (صاحب المظالم) :
٣٣٩ م
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم (آخر بني موسى بن أبي العافية) : ٣١٢ م
- محمد بن عبد الله بن عيسى : ٢١٥ م ٥٤ م
- محمد بن عبد الله بن مسسره افريقي :
١٣٨ م ١٧٥ م
- محمد بن عبد الله بن هاشم (الفاضي) :
٣١٦ م
- محمد عبد الهادي شجرة : ٤٤ م ٤٦ م
٤٨ م ٤٧ م ٥١٣ م
- محمد بن أبي العرب (الكاتب) : ٣١٥ م
٣١٦ م ٣٢٠ م ٣٢١ م ٣٣٦ م ٣٣٨ م
- ٣٣٩ م ٣٤٩ م ٣٥١ م ٣٥٣ م ٣٧٩ م
٣٧٦ م ٤٠٢ م
- (محمد بن عمر) الكروزي (العاصي) :
١١٩ م ١٣٥ م ١٣٦ م ١٣٩ م ١٣٣ م
- ١٣٤ م ١٦٨ م ١٤٠ م ١٤٢ م ١٤٣ م
١٤٥ م ٢٤٥ م
- محمد بن عمران التفتي : ١١٩ م
- محمد بن الفتح (ابن واسوك) الشامي :
١٧٠ م ٢١٧ م ٢١٨ م ٢٢٨ م ٢٣٣ م
- ٢٣٥ م ٢٣٨ م ٦١ م
- محمد بن القاسم : ٥٠٨ م
- محمد كامل حسين : ٢٦ م ٣٦ م
- محمد بن الأمير أبي الكمال تميم : ٥٠٣ م
- محمد بن محمد بن سحنون : ١٤٥ م
- محمد بن محمود بن السكالك : ٤٠٤ م
٤١٢ م
- أبو محمد العتر : ٣٤٢ م
- محمد بن ميمون (من عبيد اخلافة) :
٣٢٢ م ٣٢٤ م
- محمد (أحمد) بن نصر (الباغاتي) :
٧٣ م ٧٤ م
- محمد بن هاني، الاندلسي : ١٢٨ م ١٤٩ م
١٣٦ م ١٥٢ م ٣٨٤ م
- محمد بن واسوك : ٣٣٦ م ٢٣٧ م ٦٠ م
٣٣٨ م
- محمد بن يميل (الكناس) : ٢٢٦ م
- محمد البعلوي : ٣٥ م ٣٥ م
- محمد بن يوسف الوراق : ٢٥٥ م
- مختار بن القاسم : ٤٢٤ م ٢٨ م
- مخلد بن كيداد : أنظر أبو يزيد
- أبو مخبير : أنظر رباد بن عامر (٤١٩)
- نوح بن دراز : ٩١ م ٢١٧ م ٢٢٨ م ٢٨٥ م
٣٤٢ م
- مدين بن موسى بن أبي العسافيه : ١١٤ م
١٢٣ م ١١٥ م ١٦٩ م ٢٧ م ٢١٢ م
- ٤٨ م ٢١٦ م ٣٣٣ م
- أبو مدين بن فروخ النهضي : ٨٠ م ١١٨ م
- أبو مدين كناوة النهضي : ٧٤ م
- مدين بن موسى بن أبي العافية : ٥٣ م

- الرابضون : ٧ ، ٧ هـ ١ ، ١٢ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ هـ ٤٦ هـ ٤٧ هـ ٢٨ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ٤٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٤٣٩ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ ، ٤٦١ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .
- مرداس (بطن) : ٤٦٩ هـ ٨ .
- مرقاؤا (القائد الكتاني) : ١٦٧ .
- بنو مروان (المروانيون) : ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٢ هـ ٦٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ هـ ٨٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ .
- مريان (السردعوس) : ٢٧٠ .
- بنو مريان : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٩٩ .
- مريشة : ١١٤ .
- مزحل : ٤٩٩ .
- مزانة : ٢٤ ، ١٠٦ .
- المزكية : ١٣٠ .
- مزرعة (من مكناسة) : ١٩٠ .
- بنو مزغنة : ٢٩٢ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧ .
- المستعربة : ٢٨٦ .
- المستعين (خليفة قرطبة) : ٥٠٦ .
- المستقر (الامام) : ٧٠ .
- المستنصر (الحكيم) : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٤٤ .
- المستنصر (الفاطمي) : ٧ هـ ١ ، ٢٦ ، ١٤٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٩٠ هـ ٢٣ ، ٣٩٣ هـ ٣٤ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ هـ ٢٣ ، ٤٢٤ .
- سرور الحادام : ٢٨ ، ١٩١ هـ ٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ .
- مسعود (القتي) : ١٥٦ .
- ابو مسعود (من شيوخ الهلالية) : ٤٣٦ .
- مسعود بن واثودين : ٥٠٦ ، ٥١٧ .
- المسعودي : ١١ ، ١١ هـ ٦ ، ١١ هـ ٧ .
- المسيلمون : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ ٧٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٦١ .
- ابو مسلم خراساني : ٦٣ .
- مسلم السجلماسي : انظر عثمان بن سعيد .
- مسودة : ٤٣ ، ٢٨٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٨ .
- السيح : ٢٨٤ .
- المشارقة : ١٣٠ ، ٨٥ ، ٢ .
- مصاللة بن حبوس الكتاني : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ هـ ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ .
- المصامدة (مصمودة) : ١٦٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٢٦١ ، ٤٧١ ، ٤٩٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ .
- المصريون : ٨٠ هـ .
- مصطفى غالب : ٢٦ .
- مصعب بن مازة : ١٠٧ هـ ١٠٨ .
- المسحالا : ٤١٩ .
- مطمسطة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ هـ ١١٢ .
- الطبيع (العباسي) : ٢٠٨ .

• المنذر الصعلبي : ٢٢٢ .

الظفر بن عبد الملك بن أبي غابر : ٢٥٤
 هـ ٢٢٠ ، ٥٠٥ .

الظفر بن علي (كاتب حمو بن مله) :
 هـ ٢٥١ .

• مساويه : ٨٨ .

معبود بن خزر (اخو محمد) : ١٨٨
 هـ ٧٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٧
 . ٢٣١

المعشر بن محمد بن سباروا (القدراري)
 . ٩١ ، ١٦٩ ، ٢١٧ .

المعزلة : ١٣٥ ، ١٤٢ .

• المعتصم : ٤٦١ .

• المعتصم بن صالح : ٨٤ هـ ٦ .

المعز بن باديس : ١٠ هـ ١٣
 ٤١ ، ٥٠ هـ ٤٩ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩٥ ، ٢٠١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨ ،
 ٣٣٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ هـ ١١١ ، ٣٧٨ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ هـ ٦ ،
 ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،
 ٣٨٩ هـ ٢٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،
 ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ،
 ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٠ هـ ١٦ ، ٤٢١ هـ ١٦ ، ٤٢٢ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ هـ ٣٤ ، ٤٢٦ ،
 ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ،
 ٤٤٩ هـ ٤٥٠ هـ ١١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٣ هـ ٢٠ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ،
 ٤٦٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ،
 ٤٩٤ ، ٤٩٦ .

ام المسر (ابن ناديس) : ٢٢٠ .

المعز بن ناديس الله (القاطمي) : ٩١ ،
 ٩٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٩٢ ،
 هـ ٧٥ ، ١٠١ ، ١٢٧ هـ ١٤٩ ،
 ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
 ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٨ هـ ٧٦ ، ١٩١ ،
 ١٩٦ هـ ٥ ، ١٩٧ هـ ٦ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 هـ ٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٧ هـ ٥٨ هـ ٥٩ هـ ٦٠ ، ٢٣٨ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ هـ ٧٩ هـ ٨٠ ،
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ،
 ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤ .

المعز بن زبيري بن عطية : ٣٦٣ ، ٤٥٣ ،
 ٤٥٤ هـ ٢٣ هـ ٢٤ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ،
 ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

• المعز بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩ .

• المعقل : ٤١٩ هـ ٩ ، ٤٣٦ .

• المفسم بن محمد (اللوس) : ١٠٥
 هـ ١٠٣ .

• ابو معلوم فجلون : ١٠١ .

• معلى بن محمد اللوس : ١٣١ .

• منصر بن حماد بن منصر ابن المعز بن زبيري

- ابن عطية : ٥٠١ ، ٥٠٥ .
- الغبارية : ٨٢ ، ١٣٧ ، ٢١٦ ، ٢٦٥ .
- ٤٤٨ ، ٤٧١ م ٧٧ .
- مفسر او (الخسراويون) : ٢١٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٤٣٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .
- ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .
- ٥١١ .
- مقنن بن زيري : ٣٠٨ ، ٣٥٨ .
- مقيلة (بلد) : ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩٤ .
- مقال بن عطية : ٣٤٦ = ٦٤ .
- المقتدر العباسي : ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .
- المستاد بن الأسود : ١٢٧ م ١٤٩ .
- مصدر بن سعد : ٢١٢ م ٤٨ .
- المعريزي : ١٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢٠٤ .
- مفلد بن قيس : ٤٧٢ .
- المكتفي (الخليفة العباسي) : ٨ م ٢ .
- ٢٤ .
- ابن مكران : ٤٦١ ، ٤٩٧ م ١ .
- مكرو جوهانييس : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
- مكذسية (قبائل) : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٠ .
- ٦٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ٢٠٩ .
- ٢١٢ ، ٢٩١ .
- مسكين بن كامل العبداني : ٤٧٣ ، ٤٧٤ .
- ٤٧٥ ، ٤٧٦ .
- أم حلال (الحب ناديس) : ٢٢٢ ، ٢٢٨ .
- ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .
- الملثمون : ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٤٣٩ .
- ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨ .
- ملجسان (هالكينوس) : ٢٦٧ .
- بنو ملكان بن كرت : ٢٩٢ .
- ملك بن علي الصنجري : ٢٦٤ ، ٤٧٠ .
- ملوسة (قبيلة) : ٨٢ .
- ملوك الطوائف : ٣٩١ .
- ملجسان بن عباس : ٤١٩ .
- مناد (ابن منقوش) : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٥٧ .
- المنافون : ٦٤ ، ٦٦ .
- المنتصر بن خردون الفراءى : ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ م ١١ .
- أبو المنتصر بن المعتز (بن واسول) : ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ م ٦١ .
- المنجمون : ٥٩ .
- المنصور (العباسي) : ٩٣ ، ٩٧ .
- المنصور (أبو قظاهر اسماعيل العاطفي) : ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ م ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ .
- ٥٢ م ١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ م ٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .
- ١٩٦ ، ١٩٧ م ٧ م ٩ ، ١٩٨ م ١١٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ م ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
- ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
- المنصور بن باديس : ٢٢١ ، ٢٢٣ م ٩٤ ، ١٢٤ ، ٢٣٩ .
- المنصور بن بلكن : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

مؤنس بن يحيى المردسي الرياحي : ٥٠ - ٥١
 هـ ٥٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ هـ ٣٤ ،
 ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ .

المؤيد بن عبد البديع بن صالح (صاحب
 تكوير) : ١١٤

الموالي : ٢٢ .

الموحسون : ٧ هـ ١ ، ٨ هـ ٢ ، ١٢
 ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٢١٠ ، ٢٨٨
 ٤٧٧ ، ٢٨٩ .

مورجى : ٤٧٩ هـ ٤ .

موزالون : ١٥٩ .

موسى بن أبى العافية (المكناسي) : ٣٧ ،
 ٣٨ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٨٨ هـ ٦٧ ، ٨٩ ،
 ٩٠ هـ ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ هـ ١١٥ ،
 ١١٦ هـ ١١١ ، ١١٦ ، ١١٢ ، ١١٣ هـ ١٢١ ،
 ١٢٢ هـ ١٢٣ ، ١١٥ ، ١٣٧ هـ ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٣
 ٢٦٨ ، ٥٠١ .

بنو موسى بن أبى العافية : ٥٠٦ .

موسى بن عبد الرحمن الوداني : ٧٦ .

موسى (أبو الأسود) بن عبد الرحمن
 ابن جندل « موسى القطان » : ١٣٩ .

موسى بن نصير : ١٣٩ ، ١٤١ .

موسى بن يحيى : ٥٠ ، ٤٤٩ .

الموصلي (اسحق) : ١٤١ .

بنو مولاب (من مكناسة) : ١٩٠ .

المولدون : ٢٨٦ .

المؤيد هشام : ٣٤٣ .

ميسرة المنعري : ٢٤٠ .

٣٢٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
 ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
 ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
 ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
 ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٢٩ .

متصور بن ستان : ٣٨ .

متصور بن عامر (عامل الميوان) :
 ١٧٧ هـ ٤٨ .

المنصور بن أبى عامر : أظفر محمد بن أبى
 عامر .

أبو منصور عيسى بن أبى الانصار : ٢٠٩
 ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ .

المنصور بن العز بن جاديس : ٤٢٧ .

المنصور بن الناصر بن علباسي : ٤٧٠
 ٤٧٦ .

منفذ بن موسى بن أبى العسافيه : ٣١٣
 هـ ٤٨ .

من الله بن الحسن بن أبى خنزير : ٨١ .

منهال بن موسى بن أبى العافية : ١٠٣ .

ابن أبى منهال (القاضي) : نصر اسحق .

منياكس (جورج) : ٤٩٠ .

منيب بن سلمان المكناسي (اداعي) :
 ١٣٦ .

المير بن محمد بن خزر : ١١٠ هـ ١١٤ .

المهاجرون : ١٨٢ .

المهدي : أظفر عبيد الله .

مهني بن علي : ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

المؤذنون : ٢٤٥ .

مؤمن بن يومر الهواري : ٥١٠ .

مؤنس (الحسام) : ٨٠ .

١٦٢ هـ : ١ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٦٣ ،
١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦
هـ : ٢٧ ، ٢٢٠٠ هـ : ٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

• نعيم بن كنون : ٤٤٥ .

• نفوسة : ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٨٣ .

• نفلور فوكساس : ٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
هـ : ١٥٩ .

• نقياس (البطريق) : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

• النسكار (الخسوارج) : ١٠٩ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٧٤ .

• نعت (من يعز) : ١٩٠ .

• أبو النصر أحمد بن صالح : ٧٦ .

• النوتية : ٣٢٩ .

• نوح : ٢٨٤ .

• النورمانديون : ٤٦٨ هـ : ٦٢ ، ٤٧١ هـ : ٧٥ ،
٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ .

• التوفلي : ٨٧ ، ٩٠ هـ : ٧٢ .

• التومان : ٢٢٨ .

• النويري : ٣٠ ، ٤٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ،
٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٢ ، ٣٧٣ ،
٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٤٦ ، ٤٣١ ،
٤٥٢ ، ٤٦٩ .

(هـ)

• أبو هارون الهوزي : ٧٢ .

• هارون بن يوسف الألباني (شيخ المشايخ) :
٦٥ ، ٦٦ ، ١٣٤ .

• هانسم بن جعفر : ٣٢٤ .

• هيسور (الفتى) : ٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ : ٦١ .

• هيشيل الرابع (الأميراطور) : ٤٨٩ .

• هيمون بن الفاية : ٣٦٣ .

• هيمون بن موسى : ٢٥٨ .

(ن)

• ابن ناجي : ١٣٣ .

• الناصر (عبد الرحمن) : ٥٠١ .

• الناصر بن علتاس : ١٣ هـ : ١٠ ، ٤٤٨ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ هـ : ١٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ،
٤٥٣ هـ : ٢٠ ، ٤٥٤ هـ : ٢٣ هـ : ٢٤ ،
٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ : ٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
هـ : ٣٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
٤٦٣ ، ٤٦٤ هـ : ٥٥ ، ٤٦٨ هـ : ٦٢ ،
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

• نافع بن الأزرق : ٣٣ .

• النبي : ٥٨ .

• نزار بن جمال المزاني : ٧٨ .

• نزار : أنظر الميرز (الفاطمي) بن المعز .

• نزار بن المعز بن باديس : ٣٩٧ ، ٤٠٢ .

• النصراني (المسيحيون) : ١٤٧ ، ١٥٢ .

• ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ .

• نصير (الخافز) : ٢٧٨ .

• أبو نظار الأسود : ٢٥٨ .

• النعمان (بن محمد القاضي) : ١١ هـ : ٦

١٣ ، ١٤ ، ١٧ هـ : ١٨ ، ١٩ .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

٣٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٨ .

١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٤٠ .

- واصح (القتي) : ٢٦٤ هـ ١٠٧ .
- واصل بن عطاء : ١٤ هـ ١٧ .
- وانودين بن حزون : ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
- اولئلكايون (التلكايون) : ٣٤٩ ، ٣٥١ .
- وجاج بن زلوى : ٤٥ .
- ينو وجصال : ٢١٠ .
- ينو ورتندى : ٥٠٨ .
- ورزينة : ١٦٧ .
- وروا بن حزون : ٤٩٨ .
- وروا بن سعيد : ٣٦٩ ، ٣٦١ ، ٣٥٥ .
- ٣٥٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ هـ ٦ .
- الوليد بن عبد الملك : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ابو الوهب بن عمر بن زائدة الشروى : ٦٨ هـ ٢٩ .
- الوهبة : ٣٤ .

(ي)

- اليقزورى (ابو محمد الحسن بن) : ١٠ هـ ٤ ، ١٣ هـ ١٠ ، ٥٠ ، ٣٨٩ .
- ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ هـ ١٦ ، ٤٢٢ هـ ١٩ .
- ياقوت (الحموى) : ٩٩ .
- يانس الصقلبي : ٣١٨ ، ٣٥٥ .
- يحيى بن ابراهيم : ٤٤ هـ ٤٦ .
- يحيى بن اندريس (الادريسي) : ٨٧ ، ٨٨ هـ ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ هـ ١١٨ .
- يحيى بن تميم : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .
- يحيى بن زكريا : ٨٤ هـ ٣ .

- ابن مذل : ١٣٥ هـ ١٤٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ .
- ١١٦ ، ١٤٢ .
- بنو صردش : ٣٠٥ .
- صرقه : ٩ هـ ٣ .
- هشام المؤيد (خليفة قرطبه) : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ .
- ام هشام المؤيد : ٤٠٥ .
- هشام (المديني) : ٥٠٨ .
- الهلالية (بنو هلال) : ١٢ ، ١٣ هـ ١٠ .
- ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .
- ٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٧ ، ٣٨٨ .
- ٣٩٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ هـ ١ ، ٤١٨ .
- ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
- ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ .
- ٤٣٣ (صرقه) ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ .
- ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .
- ٤٤٨ هـ ١٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ .
- ٤٥٣ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ .
- ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ .
- ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

• الهنيد : ٤٥٩ .

- هوارث : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
- ١٠٨ هـ ١١٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ هـ ٦١ .
- ١٨٤ ، ١٨٨ هـ ٧٦ ، ٢٣١ ، ٢٩٩ .
- ٢٤٤ ، ٤٢٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ .

(و)

- ابن واسول : ٢٢ هـ ٢٤ ، ٢٣ ، ٤٨ .
- واسول بن مموون (القتيح) : ٩١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩ .
- بنو واسين : ١٧٥ ، ١٦٠ .
- بنو واسين : ٤٩٩ .

- يعقوب بن علي (بن الأندلسي) : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ .
- ٤٤٨ هـ : ١٠ ، ٥٠٧ .
- يعقوب بن عمر بن تلاجاجين : ٤٥ ، ٤٦ .
- يعقوب بن الهادي (الفرطلي) : ١١٦ .
- يعقوب بن علي بن محمد : ٤٩٩ .
- يسكو بن علي بن محمد : ٢٣٢ .
- يغوث بن علي : ٥٠٢ .
- أبو يزيد الزناتي (مخلد - صاحب الحمام) :
- ١٠ هـ : ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٠ ، ٩٢ هـ : ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ هـ : ٤٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ هـ : ٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ هـ : ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ : ١٧ ، ٢٠١ هـ : ١٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٦٩ .
- يزيد بن أبي يزيد : ١٧٣ .
- يصل بن حبوس : ١١٠ ، ١١٣ .
- بنو يصلان : ٨٤ هـ : ٦٠ .
- بن يصلوس : ٢٧٠ .
- يظوف بن بلكين : ٣٠٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
- يوسف بن ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ .
- يعرب بن قعطان : ٢٩٣ .
- يعقوب بن اسحق (التميمي) : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ١٢٤ هـ : ١٤٠ .
- يعقوب بن كلس : ٢٣٧ ، ٢١٢ .
- يعلان (جلد باديس) : ٣٤٩ هـ : ٧١ .
- يعلى بن العباس بن يحيى : ٤٩٩ .
- يعلى بن فرح : ٢٢٢ .
- يعلى بن محمد (بن خزر) : ٢٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ : ٦٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٤٩٩ .
- يغوث بن علي : ٤٩٩ ، ٥١١ .
- يعيش (هولي الكلبين بصليته) : ٢٧٦ ، ٤٧٤ .
- يغوث بن يفر : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٤٣٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .
- الجميلة : ٢٨٧ .
- يشال التركي : ٣٢١ .
- اليهود : ٣٣٤ .
- يوسف بلكين بن زبيد : انظر بلكين .
- يوسف بن تاشفين : ٤٨ ، ٢٨٨ ، ٣٦١ ، ١٦٧ هـ : ١١١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١١ .
- يوسف بن حماد بن تميم بن زبيد : ٥٠٣ .
- يوسف بن عبد الله الكاتب : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ .
- يوسف بن عبد الله بن عبد بن أبي القاسم : ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

- | | |
|---|---|
| <p>٣٦٦ ، ٣٦١ ، ٣٤٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
 • ٣٧٦</p> <p>اليونان : انظر الروم •</p> <p>يونس (ابن ابي يزيد) : ١٨٨ م ٧٧ •</p> | <p>يوسف بن القسام (عم المعز) : ٢٨٤ -</p> <p>يوسف بن ميسرة الأزدي : ٢١٢ •</p> <p>يوسف بن محمد بن ابي العرب : ٣٢١ •</p> <p>يوسف بن ابي محمد : ٣١٤ ، ٣١٥ •</p> |
|---|---|

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ،
٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤٣٩ ،
٤٤١ ، ٤٩٧ ، ٣٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،
٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ،

ابوغة : ٢٩٢ -

أهل السند (الفجر) : ٢٤٣ هـ ٧٣ -

أوترنتوه : ١٥٨ هـ ٢١٨ -

أودنست : ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥١٧ -

أورية : ١٥٧ هـ ٢١٦ ، ٤٧٩ هـ ٤ -

أوزفور (مدينة) : ١١٣ ، ٥١٠ -

أوران (موضع) : ١٠٨ هـ ١١٢ -

أبجل (عاصمة السوس) : ٥١٠ ، ٥١٥ -

إيران : ٢٨٥ -

إيطاليا : ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦١ ، ٢٢٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ،
٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٣٠١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ،
٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ هـ ١ ، ٣ ، ٤ ،
٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ هـ ٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،
٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ -

أيكجان : ١٨ ، ١٩ ، ٦٤ ، ١١٨ هـ ١٢٩ ،
١٣١ ، ١٤٣ -

أبولانز : ٥١٣ ، ٥١٥ -

أبونا (جزيرة) : ٤٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ -

أبولية (حزر) : ٤٨٩ -

(ب)

باب توتس : (بالتيروان) : ٣١٣ ، ٣٧٤ -

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،
٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،
٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ،
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ،
٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ هـ ٣ ، ٤ هـ ،
٤٤٨ هـ ١٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ هـ ٢٣ ،
٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ٦٣ ،
٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ،
٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،
٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،
٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٨ -

أفريته : ٣٧٠ -

أفريتنس (كريت) : ٢٤ -

أفانس (مرسى تكور) : ١١٤ -

أفري (قلعة) : ١٦٧ -

أفيرة : ٣٦١ -

أفاني : ٢٦٩ -

أم الربيع (وادي) : ٢٢٦ -

أمسار (موضع) : ٣٤٩ -

الأنديس : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٨ ،
٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ هـ ٧٢ ،
١٠٢ ، ١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٤١ هـ ١٨٠ ،
١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ،
١٩٣ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ -

- باب ابي الربيع (بالقيروان) : ٣١٦ -
 باب سالم (بالقيروان) : ١٥ -
 باب عجيسة (جيسة) : ٥٠٤ -
 باب الفنج (بالهدية) : ١٨١ -
 باب القصر (بالنصورية) : ٣١٧ -
 باب قلشانة (بالقيروان) : ٣١٧ -
 باب كياب : ٣٥٨ -
 باجة : ١٢٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣
 هـ ٦٣ ، ١٨٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ -
 باري : ٢٦٦ ، ٤٧٩ هـ ٤ ، ٤٨٥ -
 باغساية : ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٤٠٧ -
 البراندلنو : ٤٧٩ هـ ٤ -
 بجانة (من الاندلس) : ٨٦ ، ١١١ هـ ١١٧ ،
 ١٨٦ -
 بجاية : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ،
 ٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ -
 البحر المحيط : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩١ -
 برجمانة : ١٩٠ -
 برجمانة (حصن) : ٨٣ -
 برقة : ٥٠ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
 ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٣٢ ،
 ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٨ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
 ٤٣٤ ، ٤٣٥ -
 برمجة النسم : ٣٨٢ هـ ١٠ -
 بسكرة : ١٨٧ ، ٤٤٨ -
 بشري (الفس) : ١٧٦ ، ٦٧٧ -
 البصرة (بالغرب) : ٩٠ هـ ٧٢ ، ٢١٤ ،
 ٢٤٤ ، ٣٤٥ ، ٥١٠ -
 البصرة (العراق) : ٥٦٥ -
 بغداد (والبغداديون) : ٥٧ هـ ٥٨ ، ٣ ،
 ٧٦ ، ٨٠ هـ ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢٤ هـ
 ١٤٠ ، ١٣٢ ، ١٤١ هـ ١٨٠ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٧١ -
 بلاط حميد : ٢١٤ هـ ٥٤ -
 بلرم : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٥٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ -
 بيتاقو : ٤٧٩ -
 بلزمة : ٣٥٢ ، ٤٠٨ -
 البلزعي (الجاني) : ١٥٨ -
 البلوك (قلقة) : ٢٥٧ -
 البليسة : ٣٠ -
 بندون : ١٤٢ -
 بنفنت : ٢٦٩ -
 بود جرج : ٢٢٦ -
 بونة (غناية حاليا) : ١٨٦ ، ٢٩٠ -
 البيت الحرام : ١٢٦ -
 برقستيل : ٤٥١ هـ ١٤ -
 بيزا : ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٦٩ ،
 ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ هـ ١ ، ٤٨٥ -

الزراعيين :

ترجا (وادى) : ٥١٥ .

برموله : ١٢٠ ، ١٥٩ .

رهنى : ٢٦٩ .

تسول : ٨٧ ، ١١٥ ، ١٦٦ .

طسوان : ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ .

٢٣٤ .

تغازى : ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

تقيوسى : ٣١ ، ١٠٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٣٩ .

التل القريه : ٢٩٥ .

تلمسان : ٤٦ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١١٤ ، ١٦٩ .

٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .

٣٦٣ م ١٠٤ ، ٣٦٤ ، ٤١٤ ، ٤٣٨ .

٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ .

٥١١ ، ٥١٨ .

تلمسان الجديدة : ٣٤١ .

نفس : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦١٠ م ١١٤ ، ١٨٦ .

١٩٣ ، ٣٦٣ م ١٠٤ ، ٤١٤ ، ٥٠٣ .

تونس : ٩٤ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ .

١٧٧ ، ١٨٣ م ٦٣ ، ١٨٤ ، ٣٩٨ .

٣٩٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ .

٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

٤٦٧ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ .

تيجسى (تيجساس) : ١٠٦ ، ١٨٤ ، ٢١٥ .

٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٣٥٢ .

تيجرىلى : ٤٦ .

تيوفانو (الاميراطوة) : ٤٨١ .

(ج)

جالولا : ٢١٩ .

٤٩٧ ، ٤٩٥ .

البيفضاء (الهديه) : ٩٢ .

(ت)

تادلا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٥٠٢ .

٥١١ .

تادمكة : ٥١٣ .

تادودانت : ٥١٥ .

تاذروت : ١٢١ .

تاذة : ٨٧ ، ١٠٣ .

تاشمته : ١٠٨ م ١١٢ .

تاملت : ٥١٠ .

تلمرونت : ٥١٠ .

تلمسنا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ .

٣٤٥ ، ٥١١ .

تلمورت : ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٤ ، ٨٦ .

٩١ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ .

١٧١ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٩ .

٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .

٢٢٥ م ١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤ .

٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ .

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٣ ، ٤٩٧ .

٤٩٨ ، ٥١١ ، ٥١٥ .

تيسه : ١٧٥ .

تراقيا :

١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

جرجانتو : ١٥٤ ، ١٥٩ .

الجسريد (بلاد - فلسطينية) : ٢٠ ، ٥٩ ،
٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ،
١٩٠ ، ٣٤٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٣٩ ،
٤٤٥ ، ٥١٥ .

الجزائر (جزائر بني مزغنة) : ٢٩٠ ، ٢٩١ ،
٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧ .

الجزيرة (جزيرة باشو) : ١٨٤ .

الجزيرة الخضراء : ٥٠٦ ، ٥٠٨ .

الجفنة (موضع قرب القيروان) : ٢٩٧ .

جلالانا : ١٥٠ .

جلوا : ٤٧٨ .

جليقية : ٣٦٠ ، ٣٦١ .

جيمة (جزيرة) : ٩٤ .

جنوة : ٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ،
٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ،
٤٩٨ ، ٤٩٧ .

جيجل : ٤١٣ .

الجيزة : ٢٥٣ .

(ح)

الحجاز : ٤١٧ م ١ ، ٤١٩ .

الحجر الأسود : ٢٠٨ ، ٢٤٩ (كالور) .

حجر النسر : ١٠٤ ، ١١٠ م ١١٥ ، ١١٤ ،
٢٣ م ١١٥ ، ٢٦٣ م ٥٤ ، ٢١٤ ،
٢٤٦ .

الحرم المكي : ١٠٠ م ٩٥ .

حصن ماواس : ١٩٠ ، ١٩٦ .

جامع عقبة (القيروان) : ٣٥٣ ، ٣٨٩ ،
٣٩٠ .

جامع القسطنطين : ٤٠٠ .

جامع القرويين : ٢٣٣ .

جايته : ١٥٤ .

جبال درن : ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ .

جبال عمار : ١٨٨ م ٧٧ .

جبل اوراس : ٣٢ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٠٦ ،
١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٣ م ٦١ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ ،
٣٤٠ ، ٣٦٥ .

جبل برزال : ١٨٧ .

جبل تيطري : ٢٩٤ .

جبل الحديد : ٥٩٥ .

جبل أبي الحسين : ٨٩ .

جبل الحناش : ٣٥٣ .

جبل شتوق : ١٦٧ .

جبل كتامة : ٤١٣ .

جبل غزوان (قرب الطائف) : ٤١٧ م ١ .

جبل مجاسة : ٢٦١ .

جبل المقطم : ٣٨٠ .

جبل هيسون : ٤١٣ .

جبل ونشربش : ١٣٠ ، ٣٦٣ .

جرايينا : ٤٧٩ م ٤ .

جربة : ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤٧٥ ،
٤٧٧ .

جرجنت : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

(ر)

الرباط (رباط الفتح) : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .
٢١٠ ، ٢٢٦ .

رباط سوسة : ٩٤ ، ١١٧ .

رباط النستير : ٩٤ .

رسافة : ٤٨١ .

رشيد (مدينة) : ٢٥٣ .

الرسافة (شرق بغداد) : ٣٨٥ .

رقادة : ١٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ،
٨٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ،
١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٨٤ ،
٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ ،
٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠٦ ، ٤٣٥ .

رمسة (حصن) : ٢٦٨ .

رمقة : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٤٩٠ .

الرملة : ١٣١ .

ريقة : ٤٤٨ .

الريف (بلاد) : ٨٢ ، ٩٠ ، ٧٢ .

ريو : ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
٢٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ .

الزواب (بلاد) : ٣٣ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ،
٨٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،
٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ،
٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
٣٦٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

حصن المقصورة : ١١٢ .

الحضنة : ٢٩١ .

حظين : ٣٩٢ .

حلب : ٢٤٦ ، ٢٤٠ .

الحنية (اقليم) : ٧٩ .

حندران (معركة) : ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٣١ ،
٤٤١ ، ٤٤٢ .

(خ)

الخالصة : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(د)

دار (الدعوة) الاسماعيليه (بالتيروان) :
٣٩٠ .

دار العائد جوهري : ٣٦٤ ، ٣٣١ .

دجلة : ٣٨٥ .

درب الملى : ٢٨٣ ، ٢٨٦ .

الدرجيني : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٢ .

درعة (وادي) : ٤٦ ، ٢٣٥ ، ٤٦١ ، ٥١١ ،
٥١٥ ، ٥١٦ .

دكمة : ٤٠٨ .

دمر : ٤٤٥ .

دمشقي : ١٤٧ .

دير سانت كاترين : ٧ ، ١ .

دمشق : ٥٨ ، ٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٨٧ .

(ذ)

ذات الحمام : ١٠٢ ، ١٠٩ .

(ش)

شالة : ٥٠٣ .

الشمس : ٨٨ ، ٩٦ ، ١٢٥ ، ٢٥٣ ، ٣٣٦ ، ٤١٧ هـ ٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٩ .

شرف (انبيلية) : ٢٤٠ .

شرشال : ٣٦٣ هـ ١٠٤ .

شلف : ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ هـ ١١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٣ ، ٣٤٠ ، ٤١٣ ، ٥٠١ .

التشيخ (موضع في بلدة ميلة) : ٢١٥ .

(ص)

صبيوة (التصويوة) : ١٩٤ ، ١٩٩ .

٢٠٢ هـ ٢٠ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣ .

٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

الصحرأ (الرباطية) : ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨ .

صدينة : ٦٥ ، ١٠٦ .

الصعيد : ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ .

صفاقس : ٩٣ ، ١٤٩ ، ٤١٢ ، ٤٤٩ .

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ .

٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

صعوى : ٥٠٦ .

صقلية : ٤٠ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ١٢٠ .

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .

١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ .

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ .

٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٧ .

٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٧٠ .

٤٧٥ هـ ٧٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ .

٤٨١ هـ ٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ .

٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

٤٩٧ .

العقليون (المولدون) : ٤١ ، ١٤٥ .

١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ .

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .

٢٧٤ .

العصين : ٤١٣ ، ٤٥٩ .

(ط)

طسارنت : ١٥٧ ، ١٥٨ هـ ٢١٨ ، ٤٧٩ .

٤ هـ .

طبرقة : ٢٣٠ ، ٢٤١ هـ ٧٠ ، ٢٧٨ .

طبرمين : ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧١ .

٢٧٢ ، ٢٧٣ .

طنيسة : ١٠٩ ، ١٨٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ .

٣٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٠٨ .

طرابنس : ١٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ .

٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ .

٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٤١ .

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨١ .

١٨٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ .

٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

٣٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ .

٣٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ .

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ .

٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ هـ ٩ ، ١٠ .

٤٥٠ هـ ١٩ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

القمران : ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٤٧
غيس (نهس) : ٨٤ هـ ٦٠

(ف)

فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٨٧
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ هـ ١١٥ ، ١١١
١١٥ ، ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩
٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤
٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ١٥٦ ، ٢٨٥ ، ١٥٣
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٩ ، ٢٥٩
٢٥٨

فارس : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٧١ هـ ٧٧
فحص عزلة (قرب باغاية) : ٢٦٦
فحص زيدور : ٤١٤
الفسطاط : ٢٤٩ ، ٢٥٣
فكان (أفكان) : ٢٢٦ ، ٢٢٢
القيوم : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

(ق)

قابس : ٧٨ ، ١٠٣ ، ٢٥٢ ، ٢٩٢
٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥
٤٠٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩
٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣
٤٧٤ هـ ٧٨ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ هـ ٨٨

القاهرة : ٩٢ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٢٠
٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨٤
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٣
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠
٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥

طرابلس : ٤٩١

طنجة : ١١١ هـ ١١٧ ، ١٦٦ ، ١٧٠
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٦
٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦
٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧
٥٠٨

(ع)

الصدرة : ٨٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠
٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦
٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥١١

عبدوة الأسلس : ١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١٦٩
٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عبدوة القرويين : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٩
٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عسى : ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨

العراق : ٨٨ ، ١٣٣ ، ٢٨٥ ، ٤١٧ هـ ٢
٤٧١

عردلية : ٤٧٩

عصرة (قرب جرجنت) : ٣٥٨

عقار (قلعة) : ١٠٦ هـ ١٨٨ ، ٧٧

عقبة الصعتر : ٥٠٤

العيون (يوم) : ١٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠

(غ)

غافة : ٤٢ ، ٤٣

المغرب (٣٠٨) انظر المغرب

غمرناطة : ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٤٠٦ ، ٥٠٧

عمارة : ٥١١

- القصبه : ٢٦٠ -
- قصر الابرستى : ١٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٥٤ - ٣٦٦
- قصر البحر (برفلده) : ٢٤٣ -
- القصر البحري : ٦٧ -
- قصر الحجر : ٣١٢ -
- قصر حموس : ١٩٠ -
- قصر الذهب : ٢٣٧ -
- قصر سالم : ٢٥٧ -
- قصر سطف : ١٩٤ -
- قصر الطوب : ١٣٠ ، ١٤٢ -
- القصر القديم (في بزم) : ٢٥٩ -
- قصر كتامة : ٣٤٣ -
- قصر الماء : ٣٣١ -
- قصر بانه : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ -
- قفصة : ١٩٠ ، ٣٦٤ ، ٣٣١ ، ٤٠٥ -
- قصور ملوية : ٥٠٦ -
- قطانة : ٤٩١ ، ٤٩٢ -
- قفصة : ٤٤٥ -
- قلسانة : ١١١ هـ ، ١١٦ -
- القلشاني (الجاني) :
- القلعة (حماد - أبو طويل) : ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٥٠ هـ ، ١١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ هـ ، ٢٠ هـ ، ٢١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ هـ ، ٢٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ هـ ، ٦ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٢٩ -
- قلعة الملائكة (الملائكة) : ٢٦١ -
- ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ -
- ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ -
- ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٤٠١ ، ٤١١ ، ٤١٧ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ هـ ، ٥ ، ٢٦٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ -
- القاسمة (بالعمرون) : ١٨ -
- القبائل الشرقية (منقلة) : ٢٩٥ ، ٤٠٩ -
- القبائل الصغرى : ٧ ، ٢٥١ ، ٢٩٠ -
- القبائل الكبرى : ٢٩٠ -
- قبة القبروان : ٢٤٥ هـ ، ٧٨ -
- قرطاجنه : ٩٤ -
- قرطبه : ٨٧ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٦٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ هـ ، ٥٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٤٤٢ هـ ، ٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ -
- قرقة : ٤٧٥ -
- قسانة : ٢٦٦ -
- القسنطينية : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ هـ ، ٢٨ ، ٢٩٣ ، ٤٩٠ -
- قسنطينية (والجريد) : ٨٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٥٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ هـ ، ٦ ، ٥١٥ -
- قسنطينة : ١٧ ، ١٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٥ ، ٤٩٧ -

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢١٩ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ،
 ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،
 ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ،
 ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ،
 ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
 ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ،
 ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥ ،
 القبرونيون : ٣٣٨

(ك)

كسابو : ٢٦٩
 كامل (قرية) : ٣٨٧
 الكناسي : ٢٦٩
 كراتي (نهر) : ٢٦٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٥
 السكرخ : ٩٧ ، ٣٨٥
 كردوم (قلعة) : ٣٩٧
 كرسيف : ٨٧

قلعة الينومل : ٢٦١
 قلعة الجلائور : ٢٦١
 قلعة جمة : ١٠٧
 قلعة الحسيب : ١٥٨
 قلعة دلول : ٤١٢
 قلعة السيراوط : ٢٦١

قلعة نساكر (في جبال كيانه) : ١٨٨
 هـ ٧٧

قلعة ابي طويل : أسير القنصة (بنو حماد)

قلورية (كلابريا) : ١٠٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،
 ٣٠٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ هـ ٥ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨١ هـ ٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤

قودس (موضع بالزاب) : ٣٩٧ ، ٣٩٨

قوصرة (جزيرة - بستانلريا) : ٤٦٧ ، ٤٦٨
 هـ ٦٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣

القروان : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٠
 هـ ٢٢ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥
 ٧٩ هـ ٥٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٨
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ،
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ هـ ٦٧ ، ١٨٦ ،
 ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ هـ ٢١ ، ٢٢ هـ ٢٠٤

- مألفه : ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٥٥ ، ٣٩٩ ، ٥٠٧ -
٥٠٨
- مأوطنت (بنو) : ٧٠ .
- متيجة : ٣٦٦ ، ٣٣٦ ، ٣٧٦ .
- المجاية الكبرى : ١٥٠ .
- مجانة : ١٧٥ ، ٤١٤ .
- مجردة (وادي) : ١٧٧ .
- المحارس : ١١٩ .
- الحمدية انظر السيلة : ١٦٨ .
- مدرسة الطرطوشي : ٣٨٥ .
- المدية : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٣ .
- مراكش : ٤٨ ، ٤٦١ .
- المرسی (بيلرم) : ١٥٢ .
- مرسى الخزرد : ٢٣٠ .
- مرسى السدار : ٨٤ ، ٦٠ .
- مرسى النجاج : ٤٠٨ .
- المرصدي (صاحب الخراج) : ٣٣٥ ، ٣٧٦ .
- مرماجة : ٣٣ ، ١٧٥ ، ٣٥٢ ، ٤١٤ .
- المسرية : ١١١ ، ١١٧ ، ١٨٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٥٠٧ .
- مستغانم : ٤١٣ .
- مسيد البس (قرب جرجنيت) : ٢٥٨ .
- المسيلة : ١٠٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .
- ١٨٨ ، ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
- ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ .
- ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
- ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٤٠ (الحمدية) .
- ٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٢٦ .
- ٤٥٥ .
- كرخه : ٤١٩ .
- كرط : ٨٤ ، ٦٠ .
- كرت (اقریطش) : ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٨ .
- كرناية (قبائل) : ٨٤ ، ٦٠ .
- كسنته : ٤٨٥ ، ٤٧٨ .
- الكعبة : ٢٠٨ ، ٤٠٠ .
- كلابريا : انظر قلورية .
- كمبانيا : ٤٦٨ ، ٦٢ .
- كورسيكا : ٢٢٨ .
- كورفو : ٤٨٩ .
- كوكو : ١٧١ .
- كيانة : ١٠٦ ، ١٨٨ ، ٧٧ ، ١٩٨ .
- (ل)
- لطره (حصن) : ٢٦٨ .
- لسكاي (مدينة) : ٩٠ ، ١٦٦ .
- لطة (مرسى) : ١٤٩ .
- لومياديا : ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٥٧ .
- اللبريا : ٤٨٩ .
- لسون : ٣٦١ .
- (م)
- ماترا : ٤٨٤ .
- مستاز : ١٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٤٩١ .
- ٤٩٣ .
- مأطلة : ٤٨١ ، ٦٠ .

الغرب : ٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ،

٩٠ ، ٧٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٠٢ ،

١٠٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،

١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،

٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٤٨ ،

٨٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، (لغرب) ،

٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

(الغرب) ، ٣٤٦ ، (الغرب) ، ٣٤٧ ،

(الغرب) ، ٣٤٩ ، (الغرب) ، ٣٥١ ،

٣٥٤ (الغرب) ، ٣٥٥ ، (الغرب) ، ٣٥٦ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، (الغرب) ، ٣٦٧ ،

٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ،

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، (الغرب) ، ٣٩٦ ،

٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ،

٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ،

٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ،

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،

٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ،

٥١١ ، ٥١٧ ،

الغرب الأوسط : ٦٤ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١٣٦ ، ١٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ،

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،

٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٤١٤ ، ٤٦٢ ، ٤٩٨ ،

٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥١٨ ،

مسينا : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ،

الشرق : ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ،

٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٨٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ،

٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،

مصر : ٥٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢١١ ،

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ،

٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ،

٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،

٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ ،

٤٦٠ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٨ ،

٤٨٧ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،

المسل (بركة) : ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٨٢ ،

المسل (العيد بالمتصورة) : ٤١٦ ،

المسل (بالقروان) : ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،

مسل الهندية : ٢٠٨ ،

مسمودة (مدينة) : ٥١٠ ،

مضيق مسينا : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،

٤٨٨ ، ٤٩٠ ،

مضائق عرفت : ٢٥٨ ،

الغزية (طبرمين) : ٢٧١ ، ٢٤٨ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ هـ ١
٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٩٧ .

المهنية : ٥٩ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢

هـ ٧٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

١٠٠ هـ ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢

١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤

هـ ١٤٠ ، ١٢٨ هـ ١٥٠ ، ١٢٩

١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٣

١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

هـ ٢٠٠ ، ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ هـ ١

٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨

٢٨٣ ، ٢٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨

٣٠٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨

٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦

٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩

٤٤١ ، ٤٤٢ هـ ١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩

٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ٦٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣

هـ ٣٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧

٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧

٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣

٤٧٤ ، ٤٧٦ هـ ٨٨ ، ٤٨٦ ، ٤٩٤

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠٥ .

هياض : ٢٨٣ .

هياض : ٤٣٧ .

هيله : ٧٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

٤٥٨ .

المهنية : « مرسى المهنية » : ٩٦ .

المغرب الأقصى : ٩ هـ ٢ ، ١٠ هـ ٤ ، ٣٤ .

٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ .

٨٨ ، ١١٠ ، ١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢١٨

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤

٣٦٦ ، ٤٦١ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠

٥١١ ، ٥١٨ .

مقبرة (مدينة) : ٥١٠ .

المهنية (الصحراوية) : ٥١٥ .

مقبرة الكلاب : ٢٥٨ .

مقبرة : ٤٠٨ .

مسكة : ١٣٦ ، ٤٠ ، ٤١٧ ، ٤١٩ .

مكتبة (مكتبة) : ٩١ ، ٥٠١ .

ملوية : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١١٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ .

٢١١ .

مليانة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٧ ، ٤١٣ .

مليلة : ١١ ، ٢٣١ ، ٥٠٨ .

منافس (قرية) : ٩٧ .

التصويرية : ٢٣ ، ٢٦ ، ١٩١ ، ١٩٤ .

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ .

٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ .

٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧١ ، ٣٠٢ .

٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٧ .

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ .

٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ .

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ .

٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ .

٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٦ .

- (ن)
- نابولي : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٦٦ .
- ناسلت (موقع قرب نكور) : ٨٤ م ١٠ .
- نجسد : ٤١٧ .
- نغزه : ٨٤ م ٦٠ .
- نغزاوة : ٧٩ ، ٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ .
- ٣٥٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٥ م ٦ .
- ٥٠٥ .
- نظسة : ٣٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٤ .
- نغيس (مدينة) : ٥١٠ .
- نكور : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ م ١١ ، ١١٥ ، ١١٤ .
- ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢٦٥ ، ٤١٤ .
- نكور (نهر) : ٨٠ م ٦٠ ، ٨٦ .
- النوالات : ١٧٣ .
- النوبة : ٤٣٠ .
- نول لطف : ٥٦٦ .
- نكو نيرا : ٤٩٤ .
- النسل : ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ .
- (ه)
- الهبط (بلاد) : ٣٤٣ ، ٣٤٥ .
- هرقلية : ١٧٦ م ٤٦ .
- هرلك : ٨٤ م ٦٠ .
- الهنگ : ٤١٢ .
- (و)
- وادي اعلان : ٣٥٣ .
- وادي الشيطان : ١٤٧ .
- وادي فاس : ٥٠٩ .
- وادي القصارين (بالعمروان) : ٣١٣ .
- ٣٧٤ .
- وادي الطمان : ١٠٣ .
- وادي وريكة : ٥٠٩ .
- وادي جلائ (وبنو) : ٥٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٩ .
- ٢٢٦ .
- وجنه : ٤٩٨ ، ٥٠٢ .
- وماء : ١٦٨ .
- وقعة المجاز : ٢٧٢ ، ٢٧٤ .
- ورجلة : ٥١٥ .
- ورزقة : ٥١٠ .
- وهزان : ١١٠ م ١١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ .
- ٢٩١ ، ٣٦٣ م ١٠٤ .
- (ي)
- اليمن : ٤١٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ .

رقم الايداع ٤٧٧٤ / ١٩٩٠
I.S.B. 1 - 977 - 08 - 0012 - S

مطبعة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ - القاهرة

[The left side of the page contains a dense, vertical column of extremely faint and illegible text, likely a list or index.]

To: www.al-mostafa.com